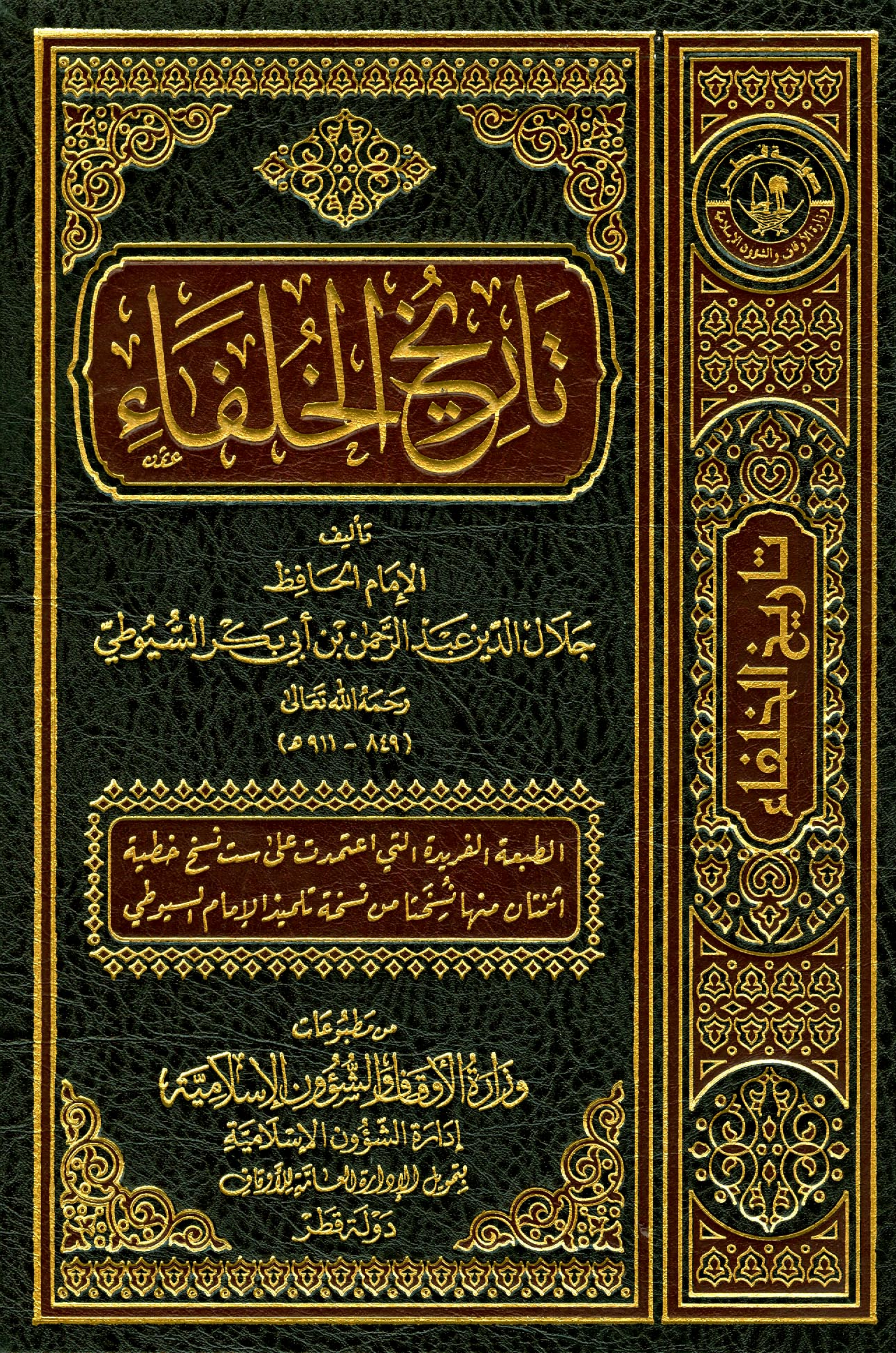


تاريخ الخلفاء
تأليف
الإمام الحافظ
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
رحمه الله تعالى
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)
الطبعة الفريدة التي اعتمدت على ست نسخ خطية
اثنتان منها نسختا من نسخة تلميذ الإمام السيوطي
من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
تاريخ الخلفاء



تأليف

الإمام الحافظ

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

رحمه الله تعالى

(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

تشرفت بخدمته والعناية به

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

بإشراف

محمد غسان نصوح عزقول الحسيني

من مطبوعات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

الطَّبعَة الثَّانيَة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

مصححة ومنقحة

اسم الكتاب : تاريخ الخلفاء

المؤلف : الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

موضوع الكتاب : تاريخ

مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٩٥٣)

عدد الأجزاء : (١)

عدد المجلَّدات : (١)

نوع الورق : شاموا

نوع التجليد : مجلَّد فني

عدد الصفحات : (٨٦٤ صفحة)

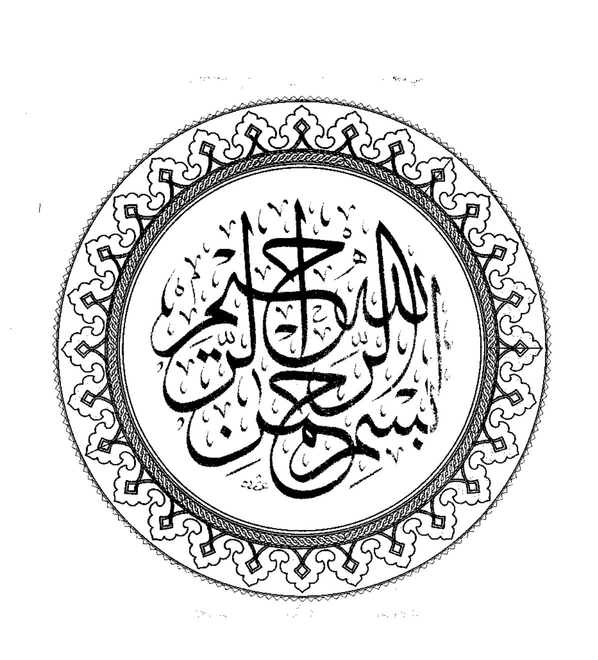
عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 19 - 5


بسم الله الرحمن الرحيم



لبنان ـ بيروت ـ فاكس: 786230

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون
هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلقه ، وخاتم رسله ، وبعد :

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لِأَنْ تضربَ بسهمٍ في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمَدُ اللهَ سبحانه وتعالىٰ علىٰ أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم .

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفىٰ عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ، ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة ؛ وذلك منذ ما يزيد علىٰ ستة عقود ، وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة منذ عدة سنوات امتداداً لتلك الجهود ، وسيراً علىٰ تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر .

ومنذ انطلاقة هٰذا المشروع المبارك يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمهات كتب العلم في فنون مختلفة معظمها يُطبع لأول مرة ؛ كتفسير العُليمي « فتح الرحمٰن في تفسير القرآن » ، و« مرسوم المصحف » للعُقيلي ، و« الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة » لأبي بكر عبد الغني المشتهر باللبيب ، و« معاني الأحرف السبعة » لأبي الفضل عبد الرحمٰن بن أحمد بن الحسن الرازي ، تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر ، و« حاشية مسند الإمام أحمد » للسندي ، و« شرحين لموطأ الإمام مالك » ـ لكُلٍّ من القنازعي والبوني ، و« شرح مسند الإمام الشافعي » للرافعي ، و« نخب الأفكار شرح معاني الآثار » للبدر العيني ، و« مصابيح الجامع » للقاضي بدر الدين الدَّماميني ، و« التقاسيم والأنواع » للإمام ابن حبان .

إضافة إلىٰ « صحيح الإمام ابن خزيمة » بتحقيقه الجديد المتقَن ، ومثله كتاب « السنن الكبرىٰ » للإمام النسائي المحقَّق علىٰ عدة نسخ خطية ، و« المخلصيات »

لأبي طاهر المخلص ، و« مطالع الأنوار » لابن قرقول ، و« نهاية المطلب في دراية المذهب » للإمام الجويني ، بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب رحمه الله تعالىٰ عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي ، و« الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف » للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي أيضاً ، و« التبصرة » للإمام اللخمي « حاشية الخلوتي » في الفقه الحنبلي .

ومؤخراً كتاب « الأصل » لمحمد بن الحسن الشيباني ، كاملاً محققاً علىٰ أصول عدة .

وفي الطريق إصدارات أخرىٰ مهمة تمثل الفقه الإسلامي في عهوده الأولىٰ .

كما طبعت الوزارة لأول مرة كتاب « جامع الآثار في السير ومولد المختار » لابن ناصر الدين الدمشقي ، و« الوجيز في السيرة » و« عصر السيرة » كلاهما للدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله .

وفي معتقد أهل السنة والجماعة علىٰ مذهب السلف الصالح أصدرت الوزارة كتاباً نفيساً لطيفاً وهو : « الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد » لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ .

هـٰذا في جانب ما يُنشر لأول مرة من كتب التراث .

أما في الدراسات والتآليف المعاصرة : فقد نشرت الوزارة مجموعة متميزة من الرسائل العلمية وغيرها ؛ منها : « القيمة الاقتصادية للزمن » ، و« نوازل الإنجاب » ، و« الأحكام المتعلقة بالتدخين » ، وغيرها .

وفي الطريق ـ بإذن الله تعالىٰ ـ ما تقر به عيون الباحثين من دراسات معاصرة في القرآن والسنة ، والنوازل بأنواعها المختلفة .

واليوم يسر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقدم للقارىء الكريم طبعتها الخاصة والمنقحة من كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي .

ومن محاسن هـٰذا الكتاب أنّه ذكر الخلفاء جميعاً بترتيب حسن ، **أساسه ذكر الخليفة لا العام** ، وعلى الرغم من الإيجاز الشديد أحياناً والاقتصار على القليل من الأخبار التاريخية لكثير من الخلفاء . . **إلا أنه يقدم تصوراً مجملاً عمن تولىٰ أمور المسلمين حتىٰ أوائل القرن العاشر** .

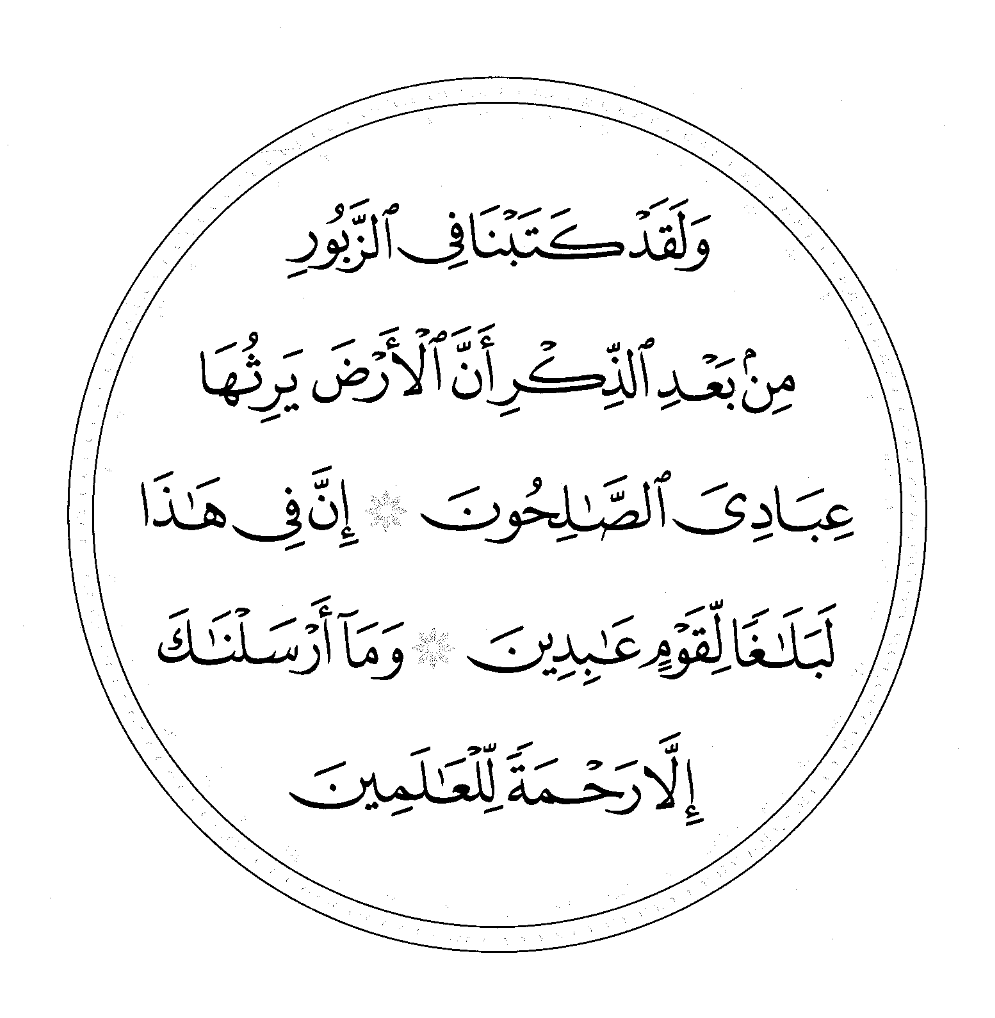
وقد ساق فيه المصنف الأخبار النادرة عن كل خليفة بما يوفر للقارىء معلومات تقوده إلى المصادر المفصلة عنهم .

ومن مزاياه : أن المصنف بسط فيه تاريخ الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، وساق طرفاً من فضائلهم ومناقبهم ، **مما هو قذىً في عيون مبغضيهم ، وبرد وسلام علىٰ محبيهم** ، فهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووزراؤه وأصفياؤه ؛ **حبهم إيمان ، وبغضهم نفاق** .

ومن ميزات الكتاب : أنّ المؤلف كان موسوعي الثقافة ، **لديه قدرة علىٰ فرز الأخبار المغرضة والتنبيه عليها** ، وقد فعل هـٰذا في كثير من روايات الكتاب ، **وما فات المؤلف أتىٰ عليه التحقيق** ، فزاد ذلك من قيمته ، ويكفيه أنه بمثابة مختصر نفيس لكتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الذهبي ، **بعد أن زاد عليه السيوطي ونقحه وهذبه** .

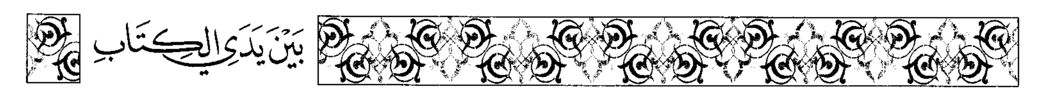
نسأل الله جل وعلا أن ينفع بهـٰذا العمل ، وأن يزيدنا من فضله وتوفيقه

إدارة الشؤون الإسلامية



وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ
مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَٰذَا
لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمد الذاكرين الشاكرين ، وأصلي أفضل صلاة وأسلم أتم تسليم علىٰ سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحابته وأتباعهم أجمعين .

وبعد :

فإن العلم خير ما عُني به الإنسان ؛ ففيه قوام الدين والدنيا ، وقد حثنا الله تعالىٰ على العلم حيث قال : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

فالعلم خير ما صرفت فيه الأوقات ، وتوجهت إليه الرغبات .

وفن التاريخ من خير ما صرفت إليه الهمم ، وكتب به القلم ؛ إذ به تُعرف أحوال السابقين ، وتُلمح أفكار النابغين ، ويميز بين الغث والسمين .

ومن يعي التاريخ في صدره   أضاف أعماراً إلىٰ عمره

فهو علم ينور البصيرة ، ويضيء السريرة ، ويضع الناظر فيه في مواقف الاعتبار .

قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .

ومن جملة فنونه : معرفة أحوال السلاطين والأمراء ، وبيان ارتباط العامة بالعلماء .

وإن هـٰذا الكتاب الذي بين أيدينا ، الموسوم بـ« **تاريخ الخلفاء** » للإمام الجلال السيوطي . . لهو سِفْر يبحث في أخبار الخلفاء السابقين ، وأحوال الملوك والوزراء والسلاطين .

فهو كتاب جليل القدر ، عميم النفع ، مختصر العبارة ، جميل الإشارة ، نظم فيه مؤلفه رحمه الله تعالىٰ سِيَرَ الخلفاء والأمراء ، منذ أن انقضىٰ عهد النبوة إلىٰ عصره .

انتهج فيه مسلكاً بديعاً أنيقاً ، أتىٰ فيه بزبدة كتب التواريخ ، وعلى الأخص كتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الذهبي رحمه الله تعالىٰ ، الذي كان عمدته في تصنيفه .

ثم ضم إليه من غيره شوارد كانت أُغفلت في ذاك الكتاب .

ثم بعد انقضاء زمن الذهبي رحمه الله تعالىٰ ـ وكان قد أتىٰ علىٰ ما فيه ـ . . عول علىٰ غيره من الكتب المعتبرة ؛ التي وضعت من قِبل علماء أفذاذ محدثين ، لهم الباع الطويل في نقد الأخبار والتواريخ ؛ كأمثال ابن كثير وابن حجر وابن فضل الله رحمهم الله تعالىٰ أجمعين .

إلىٰ أن وصل في تاريخه إلىٰ عصره . . فانبرىٰ هو لاستقراء الحوادث في عصره ، فذكر أحداثاً هامة تنير فكر القارىء ، وتظهر له ملامح ذلك العصر .

ثم إن إمامنا السيوطي رحمه الله تعالىٰ رتب تحت كل ترجمة أحداث تلك الحقبة من الزمان ، ثم ختم هـٰذه الترجمة بذكر الذين ماتوا في تلك الفترة ؛ تتميماً للفائدة ، واقتداء بأستاذه الذهبي رحمهما الله تعالىٰ .

تعريف التاريخ

التاريخ لغةً : الإعلام بالوقت ، يقال : أرَّخت الكتاب وورخته ؛ أي : بيَّنت وقت كتابته .

واصطلاحاً : التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال : من مولد الرواة والأئمة ، ووفاة وصحة ، وعقل وبدن ، ورحلة وحج ، وحفظ وضبط ، وتوثيق وتجريح ، وما أشبه هـٰذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم ؛ في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم .

ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة : من ظهور ملمة ، وتجديد فرض وخليفة ووزير ، وغزوة وملحمة وحرب ، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه ، وانتقال دولة .

وربما يتوسع فيه : لبدء الخلق ، وقصص الأنبياء ، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية ، وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي .

أو دونها : كبناء جامع ، أو مدرسة ، أو قنطرة ، أو رصيف ، أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد .

أو خفي سماوي : كجراد ، وكسوف وخسوف ، أو أرضي : كزلزلة وحريق ، وسيل وطوفان ، وقحط ، وطاعون ، وموتان وغيرها من الآيات العظام ، والعجائب الجسام .

والحاصل : أنه فن يُبحَث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت ، بل عما كان في العالم[١] .

وأما موضوعه : فالإنسان والزمان .

ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان ، وفي الزمان[٢] .

وأما فائدته : فهي كثيرة لا تنحصر ، ولكنها متشعبة من فهمنا لمفهوم التاريخ ؛ فمن فوائده وهي أجلها :

- معرفة الأمور علىٰ وجهها ، ومحاولة الوصول إلى الحقائق التاريخية السابقة علىٰ أسس علمية دقيقة .
- ومعرفة الناسخ من المنسوخ عند التعارض .
- وأنه إذا ذُكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله . . أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم ، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته . . أفادت الخوف من التفريط ؛ فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه في المنقول .
- ويطلع بذلك علىٰ عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار .

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧) .

ـ وأن التواريخ وذكر السير راحةُ القلب ، وجلاء الهم ، وتنبيه للعقل ؛ فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات . . دلت علىٰ عظمة الصانع ، وإن وصفت أحوال ظريف . . أوجبت التعجب من الأقدار ، والتنزه فيما يشبه الأسمار[1] .

منافع التاريخ الدنيوية والأخروية

ـ وذكر ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ » : (أن التاريخ له منافع دنيوية وأخروية :

فأما الدنيوية :

فمنها : أن الإنسان يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فيا ليت شعري ؛ أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه ، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين ، وحوادث المتقدمين ؟! **فإذا طالعها . . فكأنه عاصرهم** ، وإذا **علمها . . فكأنه حاضرهم** .

ومنها : أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي **إذا وقفوا علىٰ ما فيها من سيرة أهل الجور** والعدوان ، ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس ، فيرويها خلف عن سلف ، ونظروا إلىٰ ما أعقبت من سوء الذكر ، وقبيح الأحدوثة ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال . . استقبحوها ، وأعرضوا عنها ، واطرحوها .

وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين ، وحسنها ، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت . . استحسنوا ذلك ، ورغبوا فيه، وثابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هـٰذا سوىٰ ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ، ولو لم يكن فيها غير هـٰذا . . لكفىٰ به فخراً .

ومنها : ما يحصل للإنسان من التجارب ، والمعرفة بالحوادث ، وما تصير إليه عواقبها ؛ فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره ؛ فيزداد بذلك عقلاً ،

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧ ، ٢١) .

ويصبح لأَنْ يقتدىٰ به أهلاً ، ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيـت العقـل عقليـن فمطبـوع ومسمـوع
ولا ينفـع مسمـوع إذا لـم يـك مطبـوع
كمـا لا تنفـع الشمـس وضـوء العيـن ممنـوع

يعني بالمطبوع : العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالىٰ للإنسان ، **وبالمسموع** : ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة ، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً له ، وإلا . . فهو زيادة في عقله الأول .

ومنها : ما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الأسماع مصغية إليه ، والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره .

وأما الأخروية :

فمنها : أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ، ورأىٰ تقلب الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها إلىٰ أعيان قاطنيها ، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم ، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق علىٰ جليل ولا حقير ، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير . . زهد فيها ، وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، ورغب في دار تنزهت عن هـٰذه الخصائص ، وسلم أهلها من هـٰذه النقائص .

ومنها : التخلق بالصبر والتأسي ، وهما من محاسن الأخلاق ؛ فإن العاقل إذا رأىٰ أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من البشر . . علم أنه يصيبه ما أصابهم ، وينوبه ما نابهم)[١] .

فضل علم التاريخ وما قال فيه المؤرخون

إن علم التاريخ يعد صلة الوصل بين الماضي والحاضر ، وبين اليوم والمستقبل .

---

(١) الكامل في التاريخ (١/٩ ـ ١١) .

فالدنيا كدولاب يدور ، فما كان أمس . . فهو اليوم حاضر ، وما كان اليوم . . فهو غداً ، **والعاقل من اتعظ بغيره** .

قال تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

وهٰذا العلم يفسح العنان لخيالك ؛ كي يسبح في أفق الماضي البعيد ، فإذا هو متجسد بين يديك ، وكأنك تجالس أعلامه ، وتذاكر أيامه وساعاته ؛ ولهٰذا تداولته الأمم : أمة بعد أمة ، وجيلاً بعد جيل .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ مادحاً علم التاريخ : (**أما بعد : فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال** ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلىٰ معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، وتتساوىٰ في فهمه العلماء والجهال ؛ **إذ هو في ظاهره لا يزيد علىٰ أخبار عن الأيام والدول** ، والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتُطْرَف بها الأندية إذا غصها الاحتفال .

وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، **وعمروا الأرض حتىٰ نادىٰ بهم الارتحال** ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، **وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق** ؛ فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق)[1] .

بهٰذا صدر العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ كتابه ، وناهيك به وصفاً عريقاً لهٰذا العلم ؛ فهو الخبير الخريت فيه ، وهو صاحب دراية فيه وتعمق ، وفضائل التاريخ جمة كثيرة لا تكاد تحصىٰ .

ومن المناسب هنا : أن نذكر جملاً من أقوال جهابذة العلماء الذين تصدوا للتأليف فيه ، أو الكلام عليه ؛ فإن فيها نفعاً لا يدركه إلا من عاينه .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ : (**اعلم : أن فن التاريخ فن عزيز**

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٣ ـ ٤) .

المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ؛ إذ هو يوقفنا علىٰ أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ؛ حتىٰ تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا)[١] .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : (من حفظه ـ أي : التاريخ ـ . . زاد عقله)[٢] .

وقال الجندي رحمه الله تعالىٰ : (قص الله تعالىٰ في كتابه المبين ، كثيراً من أخبار الأمم الماضين ؛ كقوم نوح وهود ، وكمدين وثمود ، وما حكاه عن موسىٰ وهارون ، وفرعون وقارون ، وعن أصحاب الكهف والرقيم ، وعن النمرود وإبراهيم ، وقال تعالىٰ وهو أصدق القائلين : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وكفىٰ بهـٰذا دليلاً علىٰ جلالة علم التاريخ وفضله ، وفخامة قدر صاحبه ونبله)[٣] .

وقال سبط ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ : (إن الفطر السليمة ، والفكر المستقيمة . . تستشرف إلىٰ معرفة البدايات ، وتشرئب إلىٰ إدراك المنسآت .

ومَنْ تدبر مجاري الأقدار ، ومبادىء الليل والنهار . . صار كأنه عاصر تلك العصور ، وباشر تلك الأمور ، وإليه وقعت الإشارة الإلـٰهية ، والأمارة الربانية ، إلىٰ سيد الأولين والآخرين ، بقوله تعالىٰ وهو أصدق القائلين : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال سبحانه في كتابه المجيد : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ في آيات كثيرة وآيات عزيزة .

فالله تعالىٰ منَّ علىٰ نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ بما قص عليه من أخبار الأمم في سالف الدهور والأعوام)[٤] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٩) .
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٥) .
(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٦) .
(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٢٥ ـ ٢٦) .

وقال السخاوي رحمه الله تعالىٰ : ومن أحسن ما بلغني من الشعر في مدحه قول القاضي الأرَّجاني[1] :

إذا علم الإنسان أخبار من مضىٰ توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالماً حليماً كريماً فاغتنم أطول العمر

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ : (**إن معرفة الإنسان بأحوال العلماء.. رفعة وزين** ، وإن جهل طلبة العلم وأهله بهم.. لوصمة وشين ، ولقد علمت الأيقاظ أن العلم بذلك جم المصالح والمراشد ، وأن الجهل به إحدىٰ جوالب المناقص والمفاسد... **وفي المعرفة بهم معرفة من هو أحق بالاقتداء ، وأحرىٰ بالاقتفاء**)[2] .

وكفىٰ **بهـٰؤلاء العلماء شهوداً** ، ولو أردنا أن نسوق باقي الأقوال.. لطال بنا الكلام .

من هو المتأهل لكتابة التاريخ ؟

لقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالىٰ شروطاً يجب توافرها فيمن كتب في هـٰذا الفن ؛ فإن من حاد عنها.. وقع في الزلل والغلط ، وقد ألمح العلامة ابن خلدون إلىٰ بعضها ، ثم تمم بعده الإمام السخاوي هـٰذا البحث في كتابه العظيم « الإعلان بالتوبيخ » .

ولنبدأ بما ذكره العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ ؛ حيث عرض بعض الأخطاء التي يقع فيها من ليس له أدنىٰ علم وفهم بالتاريخ ، فقال : (**فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ** في مثل هـٰذه الأحاديث والآراء ، وعلقت أفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة ؛ من ضعفة النظر ، والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية ، واندرجت في محفوظاتهم ؛

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٤٥) .
(٢) طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٧٤ ـ ٧٥) .

حتىٰ صار فن التاريخ واهياً مختلطاً ، وناظره مرتبكاً ، وعد من مناحي العامة .

فإذاً ؛ **يحتاج صاحب هٰذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة** ، وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار ، في السير والأخلاق والعوائد ، والنحل والمذاهب ، وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، **ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق** ، أو بون ما بينهما من الخلاف ، **وتعليل المتفق منها والمختلف** ، والقيام علىٰ أصول الدول والملل ، ومبادىء ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ؛ حتىٰ يكون مستوعباً لأسباب كل خبره .

وحينئذ **يعرض** خبر المنقول ، **علىٰ ما عنده من القواعد والأصول** ؛ فإن وافقها وجرىٰ علىٰ مقتضاها . . كان صحيحاً ، وإلا . . زيفه واستغنىٰ عنه)[1] .

شروط المؤرخ

ولقد عقد الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ فصلاً خاصاً بشروط المؤرخ فقال : **وأما شرط المعتني به** :

١ ـ **فالعدالة مع الضبط التام الناشىء عنه مزيد الإتقان والتحري** ، ولا سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2] .

وقد قال الخطيب رحمه الله تعالىٰ في « جامعه » : **ويجمعون** ـ أي : أهل الحديث ـ **أيضاً** : ما روي عن سلف المسلمين ، من أخبار الأمم المتقدمين ، وأقاصيص الأنبياء ، وسير الأولياء ، **والذي نستحبه** : ألا يتعرض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ساق عن ابن عياش القطان : قلت لأحمد : **أشتهي أن أجمع حديث الأنبياء ؟ فقال لي : حتىٰ تفرغ من حديث نبينا صلى الله عليه وسلم**[3] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٨) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٣) .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) .

كذا صرح هو وغيره : بأنه ينبغي التحرز فيما يكتب من أخبار الأوائل والكتب القديمة ، وما يكون من الحوادث والملاحم ؛ لتردد الأمر فيها بين تجويز الإبطال أو الجزم ؛ كـ« الكتاب » المنسوب لدانيال ، بل ليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المسطرة . . إلا اليسير مما اتصل بنا أسانيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة : فأكثر ذلك إلى الوهاء أقرب[1] .

٢ ـ أن يكون المؤرخ ذا دين وصلاح وخير ، غير مداهن ومداح بعيدٍ عن الورع ؛ كما قال الذهبي رحمه الله تعالىٰ : (**قوم أعرض أهل الجرح والتعديل عن كشف حالهم** ؛ خوفاً من السيف والضرب ، وما زال هـٰذا في كل دولة قائمة ، يصف المؤرخ محاسنها ، ويغضي عن مساوئها .

هـٰذا إذا كان المؤرخ ذا دين وخير ، فإن كان مداحاً مداهناً . . لم يلتفت إلىٰ الورع ، بل ربما أخرج مساوىء الكبير وهناته في هيئة المدح والمكارم والعظمة ، فلا قوة إلا بالله)[2] .

قال السخاوي : (بل ربما يُخفي من ترجمته ما يظهر خلافه ، ولا يسمح بترجمته بعد موته بما ترجمه به في حياته)[3] .

٣ـ أن يكون ذكياً ، متحرياً لألفاظه مع أقرانه ، ومورياً بالصريح إلىٰ إشاراته ، وذلك بعداً من وقوع البغضاء بين القرناء[4] .

٤ ـ أن يكون عالماً بطريق النقل ؛ حتىٰ لا يجزم إلا بما يتحققه .

فإن لم يحصل له مستند معتمد في الرواية . . لم يجز له النقل ، ولا يكتفي بالنقل الشائع ؛ خصوصاً إن ترتبت علىٰ ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح .

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٣ـ ٦٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٢) .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٦ ـ ٦٧) .

(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٧) .

بل إن كان في الواقعة أمر قادح في حق المستور. . فينبغي له : ألا يبالغ في إفشائه ، ويكتفي بالإشارة ؛ لئلا يكون المذكور وقعت منه فلتة ، فإذا ضبطت عليه. . لزمه عارها أبداً .

٥ ـ عدم التعرض لما قد يقع من العالِم في مقتبل العمر والتشهير به ، ويكون في مستدبر العمر قد رجع عنها ؛ كما قال السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (وكذا يتجنب التعرض للوقائع المنقصة الصادرة في شبوبية من صيره الله تعالىٰ بعد ذلك مقتدىً به ، فمن ذا سلم ؟! وإنما الاعتبار بحاله الآن ، وما أحسن قول سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل ـ يعني : غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ . . إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثر من نقصه. . وُهِب نقصه لفضله)[١] .

٦ ـ أن يكون عارفاً بمقادير الناس ، وبأحوالهم ، وبمنازلهم ، فلا يرفع الوضيع ، ولا يضع الرفيع[٢] .

٧ ـ أن يكون عالماً بمراتب العلوم ، ولا سيما الفروع والأصول ، ويفهم الألفاظ ومواقعها ؛ خوفاً من إطلاق ألفاظ لا تليق بالمترجمين ، فيحصل التعرض له بالتنقيص والتعزير الذي يشين[٣] .

٨ ـ أن يكون ورعاً تقياً ؛ بحيث لا يأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف ؛ خوفاً من الدخول في قوله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث »[٤] ، ومتىٰ لم يكن ورعاً مع كونه معروفاً بالعلم. . اشتد البلاء به ، بخلاف العكس ؛ فالورع والتقىٰ يحجزه ، ويوجب له الفحص والاجتهاد وترك المجازفة[٥] .

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٩ـ ٧٠) .
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٠) .
(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٠) .
(٤) أخرجه البخاري (٥١٤٣) ، ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧١ ـ ٧٢) .

٩ـ ألا يطيل الترجمة إلا بالقدر الذي يحتاج إليه .

قال السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (فرب محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولاً ، ولكنه يأتي إلىٰ من يبغضه : فينقل جميع ما ذكر من مذامه ، ويحذف كثيراً مما يراه من ممادحه ، ويعكس الحال فيمن يحبه ، ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب ؛ فإنه لا يجب عليه تطويل ترجمة أحد ، ولا استيفاء ما ذكر من ممادحه ، ولا يظن المغتر أن تقصيره لترجمته بهـٰذه النية استزراء به ، وخيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين في تأدية ما قيل في حقه من حمد وذم)[١] .

وقال رحمه الله تعالىٰ أيضاً : (قال التقي المقريزي : العلم في الجملة علىٰ قسمين : عقلي ونقلي ، فينبغي أن يتفرغ المرء بعد إتقان ما يجب معرفته منهما لمطالعة التاريخ وتدبر مواعظه ؛ فإنه يحصل بتدبره لمن أزال الله تعالىٰ أكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار إليه أبناء جنسه من الفناء والبيود ، بعد التخول في الأموال والجنود ، فيخطىء بالعزوف عن الدنيا ، والرغبة في الآخرة)[٢] .

أخطاء المؤرخين

ومما سبق يتبين لنا : أن الإطالة والإسهاب في المواضيع التاريخية ، وعدم التثبت والتحقيق في جمع الروايات . . يولد مؤرخاً مقلداً ، بل مقلداً سيئاً ، فكأنه حاطب ليل لا يدري من أين يأخذ ، ولا أين يضع .

وقد ذكر العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ بعض تلك المآخذ التي قد يخطىء فيها المؤرخ فقال : (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع ؛ لاعتمادهم فيها علىٰ مجرد النقل غثاً أو سميناً ، ولم يعرضوها علىٰ أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف علىٰ طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ؛

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٤) .
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٣٥) .

فضلُّوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، **ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر** إذا عرضت في الحكايات ؛ إذ هي مظنة الكذب ، ومطية الهذر ، ولا بد من ردها إلى الأصول ، وعرضها على القواعد)[1] .

الإمام السيوطي وكتابه « تاريخ الخلفاء »

عُلِمَ من المقالة السابقة للعلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ ، وبالنظر إلىٰ سَيْر الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في كتابه « تاريخ الخلفاء » أنه مؤرخ ، حاذق ، عالم ، قد كان له قَصَب السبق مع تأخر زمانه ، **فكان مثالاً للمؤرخ المتثبت** ، وعالماً عارفاً بأحواله ، مطلعاً علىٰ كل زمان ، وبالأخص أحوال زمانه .

فقد رام رحمه الله تعالى الاختصار في تراجمه للخلفاء ، ولم يأت فيها إلا بالمهم المفيد لمن أراد التعرف علىٰ صاحب الترجمة .

ومن خلال تتبع نص « تاريخ الخلفاء » مع أصله « تاريخ الإسلام ». . نجد أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ **قد ابتعد عن كل ما فيه إشكال أو اختلاف من أعداد ونحوها** مما نبه عليه العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ كما سبق .

وقد جرد **الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ كتابه من الاختلافات** حول ما يدور في تراجم بعض الخلفاء ؛ كالخلاف الواقع في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وخلافة يزيد ، وخلافة هارون الرشيد. . . إلىٰ غير ذلك مما يذكره أهل التاريخ .

والحاصل : أن من أراد التعرف علىٰ خلفاء الإسلام ، ويحصِّل خلاصة القول فيهم. . **ففي كتاب الإمام السيوطي غنية** ، ومن طلب ما وراء ذلك. . فليقصد المطولات من المؤلفات .

منهج الإمام السيوطي في هٰذا المختصر

أما عن منهج الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في هٰذا المختصر. . فهو لم

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٩ ـ ١٠) .

يكن عجالة رام فيها مجرد التأليف ، وأن يذكر اسمه في سلك من ألف في هـٰذا الفن ، بل عمد رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أفضل كتب التاريخ ثقة وضبطاً ، وتمحيصاً وتحقيقاً ؛ كتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالىٰ ، فمشىٰ فيه علىٰ طريقته ونهجه .

فإن كتاب الذهبي رحمه الله تعالىٰ مرتب على السنوات ، وفي ضمنها يذكر أحداث تلك السنوات ؛ فالأعوام والسنوات كانت المحور الأساس لترتيب كتابه ، وكان ذكر الخلفاء فيه تابعاً لترتيب تلك السنوات .

أما « تاريخ الخلفاء » : فكانت تراجم الخلفاء هي المحور لترتيب كتابه ، والسنوات تابعة له .

فيبدأ بذكر اسم الخليفة ، ونسبه ، وذكر زوجته وأولاده ، وذكر سنة ولادته إن تحصل له ، وسنة توليه ، ثم يذكر الأحداث في خلافته مرتبة على السنوات إلىٰ حين وفاته ، وهـٰكذا مشىٰ في كل تراجمه .

ثم في آخر ترجمة كل خليفة يذكر وفيات الأعلام الذين ماتوا خلال ولاية هـٰذا الخليفة ، وهو أيضاً تابع فيه للإمام الذهبي رحمهما الله تعالىٰ .

إلا أنه لم يكن ما عند الذهبي فقط بغيته ، بل صار يحشد من كتب التاريخ الموثوقة ما تحصَّل له ؛ لإثراء المادة التي يكتب فيها ؛ كـ« الأوراق » للصولي وكان عنده كاملاً ، و« المسالك » لابن فضل الله ، وغيرهما .

حتىٰ إذا بلغ سنة (٧٠٠هـ) . . التفت الإمام السيوطي إلى « البداية والنهاية » لابن كثير رحمهما الله تعالىٰ ، ثم من بعده إلىٰ « إنباء الغمر بأبناء العمر » للحافظ ابن حجر العسقلاني ، وغيرها من كتب ابن تغري بردي والمقريزي وغيرهما .

فإذا كان عصره . . سَرَدَ أخباراً لم نقف عليها إلا في كتابه هـٰذا ، وكان من بعده من العلماء إنما يأخذون هـٰذه الأخبار منه ، فكان مرجعاً لهم .

سبب إفراد العلماء لتراجم الخلفاء

لعل ما ذكره الإمامان ابن خلدون والسخاوي رحمهما الله تعالىٰ في كتابيهما . . يُبيِّن لنا الارتباط الوثيق بين علم التاريخ وعلم السياسة ، **فالخلفاء والوزراء والقواد والولاة كانوا يمثلون السياسة الإسلامية** ؛ فمعرفة أحوالهم وأفعالهم ، وتتبع أقوالهم . . يرشدنا إلىٰ أن سياسة الناس كانت عندهم في المرتبة الأولىٰ ، وكان لها الحيز الأول في تفكيرهم ، وتدبير أمور رعاياهم .

وأيضاً فقد قالوا قديماً : (**الناس علىٰ دين ملوكهم**) ، فأحوال الناس إنما تعرف من صنيع سلاطينهم .

وإلىٰ هـٰذا أشار العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالىٰ فقال : (**إن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه** ؛ كما يقال في الأمثال الحكمية : « **الناس علىٰ دين الملك** » ، وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر . . فلا بد من أن يفزعوا إلىٰ عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ، ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك ، **فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول** ، فإذا جاءت دولة أخرىٰ من بعدهم ، ومزجت من عوائدهم وعوائدها . . خالفت أيضاً بعض الشيء ، **وكانت للأولىٰ أشد مخالفة** ، ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتىٰ ينتهي إلى المباينة بالجملة)[١] .

وقال الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (**ويستفاد من أنباء هـٰذا الفن ما لعله** مندرج في علوم أخر ؛ كالسياسة العلمِ الذي يتعرف منه أنواع الرياسات والسياسات ، والاجتماعات الفاضلة والمردية وتوابع ذلك)[٢] .

ولهـٰذا كثرت اهتمامات الباحثين في هـٰذا المجال بتراجم الخلفاء قديماً وحديثاً .

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٩) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٤٥) .

بعض المؤلفات في تراجم الخلفاء

ـ « تاريخ الخلفاء » **للمدائني** الإمام الأخباري النسابة : علي بن محمد بن عبد الله أبي الحسن البغدادي (ت ٢٢٤هـ) .

ـ « تاريخ الخلفاء » **لمحمد بن حبيب** بن أمية الأخباري المؤرخ : أبي جعفر البغدادي ، صاحب كتاب « المحبَّر » و« المنمق » (ت ٢٤٥هـ) .

ـ « تاريخ الخلفاء » **لابن أبي الدنيا** ، الإمام الحافظ المحدث : عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي ، صاحب التصانيف (ت ٢٨١هـ) .

ـ « أخبار الخلفاء » **للدولابي** الإمام المحدث المؤرخ : محمد بن أحمد بن حماد أبي بشر (ت ٣٢٠هـ) .

ـ « تاريخ الخلفاء » **لنفطويه** الإمام النحوي الأخباري : إبراهيم بن محمد بن عرفة أبي عبد الله العتكي (ت ٣٢٣هـ) .

ـ « تاريخ الخلفاء » **للخُطَبي** الأديب الأخباري : إسماعيل بن علي بن إسماعيل أبي محمد ، كان عارفاً بأخبار الخلفاء (ت ٣٥٠هـ) .

ـ « تاريخ الخلفاء » **للسرخسي** العلامة الفقيه : زهير بن الحسن بن علي أبي نصر الشافعي (ت ٤٥٤هـ) .

ـ « الأنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء » **للقضاعي** الإمام المحدث القاضي : محمد بن سلامة أبي عبد الله ، صاحب كتاب « الشهاب » (ت ٤٥٤هـ) .

ـ « أسماء الخلفاء والولاة » **لابن حزم** الفقيه الحافظ المؤرخ : علي بن أحمد بن سعيد أبي محمد الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) .

ـ « الإنباء في تاريخ الخلفاء » **لابن العمراني** العلامة المؤرخ : محمد بن علي بن محمد (ت نحو ٥٨٠هـ) .

ـ « بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء » **للسروجي** العلامة المؤرخ : علي بن عبد الله بن محمد بن أبي السرور (ت ٦٤٨هـ) .

ـ « ملخص تاريخ الخلفاء » للعلامة المؤرخ : علي بن أنجب **بن الساعي البغدادي** (ت ٦٧٤هـ) .

ـ « الاكتفاء من تاريخ الخلفاء » للعلامة المؤرخ الشاعر : **ابن نباتة** ، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين أبي بكر (ت ٧٦٨هـ) .

ـ « نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك » **للبسطامي** الفقيه العلامة المؤرخ : عبد الرحمٰن بن علي بن أحمد الحنفي (ت ٨٤٣هـ) .

ـ « تاريخ الخلفاء » **للنويري** المؤرخ الخطيب المالكي : محمد بن محمد بن محمد بن علي كمال الدين (٨٥٧هـ) التزم فيه ذكر الوفاة واسم الأب والأم والولد ، والنسب والمذهب ، ونقش الخاتم ، ومن كان في دولته ومن كان في أيامه إلىٰ قريب الثلاث مئة .

ـ « مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة » **ليوسف بن تغري بردي** العلامة المؤرخ الظاهري : جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ) .

ـ « بهجة السالك والمسلوك في تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك » **للجعفري** المؤرخ العلامة : محمد بن محمد بن محمد بن الحسن القاهري (ت ٨٨٧هـ) .

وممن نظم تواريخ الخلفاء :

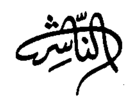
ـ العلامة المؤرخ : محمد بن أحمد بن محمد **الباعوني** (ت ٨٧١هـ) له « فرائد السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك » .

ـ العلامة المؤرخ : محمد بن يوسف بن محمد **الباعوني** ابن أخ السابق (ت ٩١٦هـ) وسماها « الإشارة الوفية إلى الخصائص الأشرفية » وهي ذيل للمنظومة السابقة .

خاتمة شكر

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »[1] فكان لزاماً علينا أن تنطق ألسنتنا بالشكر ، وأن نمد أيدينا بالدعاء لهٰذه الدار العامرة وللقائمين عليها لما تقدمه من خدمات للكتب العلمية وطلبة العلم ، أمدها الله بمدد من عنده ، وأعانها علىٰ متابعة الطريق ؛ فإنه علىٰ ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده



(١) أخرجه أبو داوود (٤٨١١) ، والترمذي (١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ترجمة

الإمام الحافظ العلامة

جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي

رحمه الله تعالى[1]

(٨٤٩ ـ ٩١١ هـ)

اسمه ونسبه

هو الإمام الحافظ ، المحدث ، الفقيه ، العلامة ، الحبر الفهامة : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمـٰن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام ، الخضيري ، السيوطي[2] ، المصري ، الشافعي[3] .

---

(١) مصادر الترجمة : « التحدث بنعمة الله » للإمام السيوطي ، و« حسن المحاضرة » (١/ ٢٨٩ـ٢٩٧) ، و« الضوء اللامع » (٤/ ٦٥ـ٧٠) ، و« شذرات الذهب في أخبار من ذهب » (١٠/ ٧٤ـ٧٩) و« الكواكب السائرة » (١/ ٢٢٧ـ٢٣٢) ، و« النور السافر » (ص ٩٠ـ ٩٤) ، و« البدر الطالع » (ص٣٣٧) ، و« الأعلام » (٣/ ٣٠١ـ٣٠٢) ، و« معجم المؤلفين » (٢/ ٨٢ـ٨٥) ، و« الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » للأستاذ الفاضل البحاثة إياد خالد الطباع .

(٢) نسبة الخضيري : لم يتحقق الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ إلامَ تكون هـٰذه النسبة ، إلا أنه رأىٰ في كتب البلدان والأنساب أن الخضيرية محلة ببغداد ، وحدثه من سمع أباه يذكر أن جده الأعلىٰ كان أعجمياً أو من الشرق ، فلا يبعد أن تكون النسبة إلى المحلة المذكورة . ورجَّح العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله ـ كما نقله الأستاذ المحقق إياد خالد الطباع عنه في كتابه « الإمام الحافظ السيوطي » (ص٣٤ـ٣٥) ـ : (أن في أسيوط مسجداً في المحلة المسماة بالخضيرية ، ولعله المدرسة التي بناها أحد أجداده في أسيوط) .

وأما نسبة السيوطي ـ ويقال : الأسيوطي ـ : فإلىٰ بلدة بصعيد مصر ، والذي تحرر لدى الإمام السيوطي أن فيها خمس لغات : أُسيوط بضم الهمزة وفتحها ، وسُيوط بتثليث السين .

(٣) كذا ذكر المؤلف نسبه في « حسن المحاضرة » (١/ ٢٨٩) وترجم لنفسه فيه فقال : (وإنما ذكرت ترجمتي في هـٰذا الكتاب ؛ اقتداءً بالمحدثين قبلي ، فقلَّ أن ألَّف أحدٌ منهم تاريخاً إلا وذكر ترجمته فيه ؛ وممن وقع له ذلك : الإمام عبد الغافر الفارسي في « تاريخ نيسابور » ، وياقوت الحموي في « معجم الأدباء » ، ولسان الدين بن الخطيب في « تاريخ غرناطة » ، والحافظ تقي الدين الفاسي في « تاريخ مكة » ، والحافظ =

ولد الحافظ السيوطي رحمه الله تعالىٰ بعد المغرب ، ليلة الأحد ، مستهل شهر رجب ، سنة (٨٤٩هـ) ، بالقاهرة ، وكان يُلقَّب بابن الكتب ؛ لأن أباه كان من أهل العلم ، واحتاج إلىٰ مطالعة كتاب ، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه ، فذهبت لتأتي به ، ففاجأها المخاض وهي بين الكتب ، فوضعتْهُ[١] .

وسماه والده في اليوم السابع من ولادته بعبد الرحمـٰن[٢] ، وفي ذلك لطائف ؛ كما قاله المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « التحدث بنعمة الله » :

منها : أنه أحبُّ الأسماء إلى الله تعالىٰ ، وأنه موافقٌ لاسم أمير الملائكة إسرافيل ، وأنه موافقٌ لاسم ولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

قال السيوطي رحمه الله تعالىٰ : وأظن الوالد قصد ذلك ؛ فإن اسمه أبو بكر ، فسماني باسم عبد الرحمـٰن بن أبي بكر الصديق .

ومنها : أن هـٰذا الاسم يجري مجرى اللقب ؛ لأن اللقب المحبوب : ما أشعر بمدحٍ أو رِفْعة ، وكفىٰ مدحاً ورفعةً الإضافة إلى الرحمـٰن علىٰ وجه العبودية له .

ومنها : أنه أول اسم سَمَّىٰ به آدمُ أول ولده .

ومنها : أن المسمَّىٰ به يصير من القوم الذين قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا . . . ﴾ إلىٰ آخر الآيات .

ولقبه والده بجلال الدين ، وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني لما عُرض عليه وقال له : ما كنيتك ؟ قال : لا كنية لي ، فقال : أبو الفضل ، وكتبه بخطه[٣] .

= أبو الفضل ابن حجر في « قضاة مصر » ، وأبو شامة في « الروضتين » وهو أورعهم وأزهدهم) .

(١) انظر « النور السافر » (ص٩٠) .

(٢) كما هي السُّنَّة النبوية المشرفة ، وقد غفل عنها كثيرٌ من الناس ، وغفلوا أيضاً عن تحسين الأسماء وقد أُمروا بذلك ، وهو من حق الأبناء على الآباء .

(٣) انظر « النور السافر » (ص ٩٠) .

وكان والد الإمام السيوطي من العلماء الأفاضل ، والقضاة الأماثل ، وقد ترجم له في « حسن المحاضرة » : أنه ولد بسيوط بعد ثمان مئة ، واشتغل ببلده ، وتولىٰ بها القضاء قبل قدومه إلى القاهرة ، ثم قدمها ولازم العلامة القاياتي[1] ، وأجازه بالتدريس ، وأخذ عن الحافظ ابن حجر ، والشيخ عز الدين المقدسي[2] وغيرهم .

كان علىٰ جانبٍ عظيمٍ من الدِّين والتحري في الأحكام ، وعدم الاجتماع بالناس ، مواظباً علىٰ قراءة القرآن ، يختم كل جمعة ختمة ، وألَّف بعض التصانيف .

توفي ليلة الاثنين بمرضِ ذات الجنبِ ، في شهر صفر ، سنة (٨٥٥هـ) ، وصلَّىٰ عليه قاضي القضاة شرف الدين المناوي ، رحمهم الله تعالىٰ وأحسن إليهم جميعاً[3] .

فتوفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر ، وقد وصل في القرآن إذ ذاك إلىٰ سورة (التحريم) ، وأسند وصايته إلىٰ جماعة منهم : الكمال بن الهمام ، فقرَّره في وظيفة الشيخونية ، ولحظه بنظره ، وختم القرآن العظيم ، وله من العمر دون ثماني سنين[4] .

---

(١) الإمام العلامة شمس الدين محمد بن علي القاياتي ، ولد سنة (٧٨٥هـ) تقريباً ، وأخذ عن السراج البلقيني والبدر الطبندي والعز ابن جماعة وغيرهم ، برع في الفقه والعربية والأصلين والمعاني ، انتفع به خلق ، وكان قاضي القضاة ومحقق الوقت وعلامة الآفاق ، توفي سنة (٨٥٠هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٩/ ٣٩٠ـ ٣٩١) .

(٢) الإمام العلامة قاضي الأقاليم عز الدين أبو البركات عبد العزيز بن الإمام العلامة علاء الدين أبي الحسن علي البغدادي مولداً ، ثم المقدسي الحنبلي ، الإمام العالم المفسر ، ولد ببغداد سنة (٧٧٠هـ) ، واشتغل بها ، ثم قدم دمشق وأخذ عن ابن اللحام الفقه ، وبرع وصنف ، وولي القضاء في دمشق وبغداد ومصر وبيت المقدس ؛ لذلك سمي قاضي الأقاليم ، توفي في دمشق سنة (٨٤٦هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٩/ ٣٧٧) .

(٣) حسن المحاضرة (١/ ٣٨٠ـ ٣٨١) .

(٤) شذرات الذهب (١٠/ ٧٥) .

وقد أحضره والده ـ وعمره ثلاث سنين ـ مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرةً واحدة ، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي[(١)] ، ودرْسَ الشيخ سراج الدين عمر الوردي[(٢)] .

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « حسن المحاضرة » : (وحُمِلتُ في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب ؛ رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي[(٣)] ، فبرَّك عليَّ ، ونشأتُ يتيماً ، فحفظتُ القرآن دون ثماني سنين ، ثم حفظتُ « العمدة » ، و« منهاج الفقه والأصول »[(٤)] ، و« ألفية ابن مالك » ، وشرعتُ في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربعٍ وستين ؛ فأخذتُ الفقه والنحو عن جماعةٍ من الشيوخ ، وأخذتُ الفرائض عن العلامة فَرَضِي زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحي[(٥)] الذي كان يقال : إنه بلغ السنَّ العالية ، وجاوز المئة بكثير ، والله أعلم بذلك ، قرأت عليه في « شرحه على المجموع » .

وأُجِزتُ بتدريس العربية في مستهل سنة ستٍّ وستين .

وقد ألفتُ في هـٰذه السَّنة ، فكان أول شيءٍ ألفتُهُ : « شرح الاستعاذة

---

(١) هو الإمام المحدث رضوان بن محمد بن يوسف العقبي ، ثم القاهري ، محدث العصر ، ولد سنة (٧٦٩هـ) بمنية عقبة بالجيزة ، فنشأ وحفظ القرآن وتلا بالسبع على الشيخ إسماعيل الأنبابي ، وحضر دروس البلقيني وابن الملقن والصدر المناوي والعز ابن جماعة ، واشتدت عنايته بالرواية ، وانفرد بالديار المصرية بمعرفة شيوخها وما عندهم من المسموعات ، وعرف العالي والنازل ، وكتب بخطه الكثير من الكتب والأجزاء ، توفي سنة (٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى . انظر « الضوء اللامع » (٣/ ٢٢٦ـ٢٢٩) .

(٢) النور السافر (ص٩١) .

(٣) نسبة للسيدة نفيسة الحسنية صاحبة المشهد المشهور بمصر ، والدها الأمير حسن ، ولي إمرة المدينة للمنصور ، ثم حبسه ، ودخلت هي مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر ، ولما توفيت سنة (٢٠٨هـ) .. هَمَّ زوجها بحمل جنازتها إلى المدينة ، فأبىٰ أهل مصر ، فدفنت بين القاهرة ومصر ، رحمها الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٤٣) .

(٤) أي : « منهاج الطالبين » للنووي ، و« منهاج الأصول » للبيضاوي .

(٥) الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن علي الشارمساحي ، وهي نسبة إلىٰ قرية شارمساح بلد قرب دمياط ، كان شيخ علم الفرائض ، توفي سنة (٨٦٥هـ) . انظر « نظم العقيان » (ص ٤٣ ـ ٤٤) .

والبسملة » وأوقفتُ عليه شيخَنا شيخَ الإسلام علمَ الدِّين البُلقيني[١] ، فكتب عليه تقريظاً .

ولازمتُه في الفقه إلىٰ أن مات ، فلازمتُ ولده ، فقرأتُ عليه من أول « التدريب » لوالده إلى (الوكالة)[٢] ، وسمعتُ عليه من أول « الحاوي الصغير » إلى (العِدد) ، ومن أول « المنهاج » إلى (الزكاة) . . . وأجازني بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديري .

فلما توفي سنة ثمانٍ وسبعين . . لزمتُ شيخ الإسلام شرف الدين المناوي[٣] ، فقرأت عليه قطعة من « المنهاج » .

ولزمتُ في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي ، فواظبته أربع سنين ، وكتب لي تقريظاً علىٰ « شرح ألفية ابن مالك » ، وعلىٰ « جمع الجوامع » تأليفي ، وشهد لي غير مرةٍ بالتقدُّم في العلوم بلسانه وبنانه)[٤] . ولم ينفك عن الشيخ إلىٰ أن مات رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني ، حامل لواء الشافعية ، ولد سنة (٧٩١هـ) تولىٰ مشيخة الخشابية ، والتفسير بالبرقوقية ، وتولى القضاء الأكبر ، وتكرر عزله وإعادته ، توفي سنة (٨٦٨هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٩/ ٤٥٤) .

(٢) التدريب في الفروع ، للإمام الفقيه سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني المتوفىٰ سنة (٨٠٥) ، بلغ فيه إلىٰ (كتاب الرضاع) ، ثم أكمله ولده علم الدين ، رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المناوي ، شيخ الإسلام ، ولد سنة (٧٩٨هـ) ، ولازم الشيخ ولي الدين العراقي ، وتصدَّىٰ للإقراء والإفتاء ، وتخرج به الأعيان ، توفي سنة (٨٧١هـ) رحمه الله تعالى . انظر « حسن المحاضرة » (١/ ٣٨٤) .

(٤) حسن المحاضرة (١/ ٢٩١) ، ثم قال عن شيخه الشبلي رحمه الله تعالىٰ : (ورجع إلىٰ قولي مجرداً في حديث ؛ فإنه أورد في « حاشيته على الشفا » حديث أبي الحمراء في الإسراء ، وعزاه إلىٰ تخريج ابن ماجه ، فاحتجتُ إلىٰ إيراده بسنده ، فكشفت « ابن ماجه » في مَظِنَّته فلم أجده ، فمررت على الكتاب كلِّه ، فلم أجده ، فاتهمتُ نظري ، فمررت مرةً ثانيةً فلم أجده ، فعدتُ ثالثةً فلم أجده ، ورأيته في « معجم الصحابة » لابن قانع ، فجئتُ إلى الشيخ وأخبرته ، فبمجرد ما سمع مني ذلك . . أخذ نسخته ، وأخذ القلم فضرب علىٰ لفظ « ابن ماجه » وألحق « ابن قانع » في الحاشية ، فأعظمتُ ذلك ، وهِبْته لعظم منزلة الشيخ في قلبي ، واحتقاري في نفسي ، فقلت : ألا تصبرون لعلكم تراجعون ؟! فقال : لا ؛ إنما قلدتُ في قولي : « ابن ماجه » البرهان الحلبي) .

ولزم الشيخ العلامة : محيي الدين الكافِيَجي أربع عشرة سنة[1] ، وأخذ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك ، وكتب له إجازةً عظيمة .

وحضر عند الشيخ سيف الدين الحنفي[2] دروساً عديدةً في « الكشاف » ، و« التوضيح » ، و« حاشيته عليه » ، و« تلخيص المفتاح » ، و« العضد » .

قال رحمه الله تعالىٰ عن نفسه : (وسافرتُ بحمد الله تعالىٰ إلىٰ بلاد الشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتكرور ، ولما حججتُ . . شربتُ من ماء زمزم لأمور : منها : أن أصل في الفقه إلىٰ رتبة الشيخ سراج الدين البُلقيني ، وفي الحديث إلىٰ رتبة الحافظ ابن حجر .

وأفتيتُ من مستهل سنة إحدىٰ وسبعين ، وعقدتُ إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين)[3] .

وقرأ على الشمس السيرامي « صحيح مسلم » إلا قليلاً منه[4] ، و« الشفا » ، و« ألفية ابن مالك » فما أتمها إلا وقد صنَّف ، وسمع علىٰ شيخه المذكور كثيراً من الكتب[5] .

---

(١) الإمام العلامة محيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن مسعود الرومي ، الكافيجي ـ بكسر الفاء وفتح التحتية : نسبة إلىٰ « كافية ابن الحاجب » لكثرة قراءته وإقرائه لها ـ الحنفي ، الإمام المحقق علامة الوقت ، ولد قبل سنة (٨٠٠هـ) ، برع وتقدم في التفسير والحديث والأصلين والعربية وغير ذلك ، توفي سنة (٨٧٢هـ) رحمه الله تعالى . انظر « حسن المحاضرة » (١/ ٤٧٦) .

(٢) هو العلامة الشيخ سيف الدين الحنفي محمد بن محمد بن محمد بن قطلوبغا ، العلامة الورع الزاهد العابد ، ولد تقريباً علىٰ رأس سنة (٨٠٠هـ) ، وأخذ عن قارىء « الهداية » ، ولازم ابن الهمام ، وهو محقق الديار المصرية ، توفي سنة (٨٨١هـ) ، وهو آخر شيوخ المؤلف موتاً ، رحمهم الله تعالى . انظر « حسن المحاضرة » (١/ ٤١٣) .

(٣) حسن المحاضرة (١/ ٢٩١ـ٢٩٢) .

(٤) العلامة نظام الدين يحيى بن يوسف ـ وقيل : سيف وهو الأشهر ـ ابن عيسى السيرامي الأصل والمولد ، المصري الدار والوفاة ، الحنفي شيخ الشيوخ ، برع في الفقه والأصلين والعربية ، وشارك في عدة فنون ، وتصدر للإفتاء والتدريس ، وتخرج به الكثير ، توفي سنة (٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٩/ ٣٠٠ـ٣٠١) .

(٥) شذرات الذهب (١٠/ ٧٥) .

وقرأ على الشمس المرزباني الحنفي[1] « الكافية » و« شرحها » ، ومقدمة « إيساغوجي » و« شرحها » للكاتي ، وسمع عليه من « المتوسط »[2] ، و« الشافية » و« شرحها » للجاربردي ، ومن « ألفية العراقي » ، ولزمه حتىٰ مات سنة سبع وستين .

وقد ذكر تلميذه الداووديُّ في ترجمة شيخه السيوطي أسماء شيوخه إجازةً وقراءةً وسماعاً مرتَّبين علىٰ حروف المعجم ، فبلغت عدتهم أحداً وخمسين نفساً[3] .

وقال في « حسن المحاضرة » : (وأما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة . . فكثير ، أوردتهم في « المعجم » الذي جمعتهم فيه ، وعِدَّتهم نحو مئة وخمسين ، ولم أكثر من سماع الرواية ؛ لاشتغالي بما هو أهم ؛ وهو قراءة الدراية)[4] .

وقد أورد الأستاذ المحقق إياد خالد الطباع حفظه الله أسماء شيوخه من الرجال والنساء حتىٰ أوصلهم إلىٰ أربعةٍ ومئتي شيخ ، خمسهم ـ اثنان وأربعون ـ من النساء ، ونلاحظ من خلال التتبع : أن شيوخه هم أعيان عصره ، وفضلاء دهره ، وأكابر علماء زمانه في التفسير والحديث والفقه ، والمنطق والكلام ، والأدب واللغة ، والنحو والبلاغة .

وقد تنوَّعت مذاهب شيوخه : كالإمام الشُّمُنِّي الحنفي[5] ، والكافيجي

---

(١) العلامة محمد بن سعد الدين بن خليل ، الشمس المرزباني الحنفي ، الفقيه اللغوي الأصولي ، توفي سنة (٨٦٧هـ) رحمه الله تعالى . انظر « الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » (ص ٥٩) .

(٢) المتوسط : هو شرح علىٰ « كافية ابن الحاجب » تأليف السيد ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذي المتوفىٰ سنة (٧١٧هـ) رحمه الله تعالىٰ .

(٣) شذرات الذهب (١٠/ ٧٦) .

(٤) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٢) .

(٥) الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن العلامة كمال الدين محمد الشُّمُنِّي الحنفي ، إمام النحاة في زمانه ، وشيخ التفسير والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم العديدة ، توفي رحمه الله تعالىٰ سنة (٨٧٢هـ) . انظر « شذرات الذهب » (٩/ ٤٦٤ـ ٤٦٧) .

الحنفي ، والإمام نجم الدين عبد الرحمـٰن بن عبد الوارث المالكي[1] ، والعلامة الإمام عز الدين الكناني الحنبلي[2] .

وتنوعت روايته عن مشايخ من أمصارٍ مختلفة ؛ مما جعله يحوز قصب السَّبق في أكثر الميادين ؛ وكأنَّ لسان حاله يقول : (من الطويل)

أولـٰئك أهلُ الفضل حتىٰ ولو فنوا ... لهـم بـركـاتٌ فـي الـدُّنـا ومنـافـعُ
أولـٰئك أشياخي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنـا يـا جـريـرُ المجـامـعُ

صفاته

تميز الحافظ السيوطي رحمه الله تعالىٰ : بذهنٍ ثاقب ، وحافظةٍ قلَّ أن يوجد لها نظير ، وتبحرٍ في علومٍ كثيرة ، قلَّما تجدها مجموعةً في شخصٍ واحد .

وهو أعجوبة زمانه ، ومؤلفاته التي لا تكاد تحصر خير دليلٍ علىٰ تبحره وإتقانه .

واسمع ما قاله عن نفسه في « حسن المحاضرة » : (ورُزِقتُ التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع علىٰ طريقة العرب والبلغاء ، لا علىٰ طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذي أعتقده : أن الذي وصلتُ إليه من هـٰذه العلوم السبعة سوى الفقه ، والنقول التي اطلعتُ عليها فيها . . لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي ؛ فضلاً عمَّن دونهم ، وأما الفقه . . فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخي[3] فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً . . .)[4] .

---

(١) العلامة عبد الرحمـٰن بن عبد الوارث القرشي البكري المصري المالكي ، ولد سنة (٧٨٣هـ) بمصر ، قرأ القرآن ، وحفظ « الإلمام » لابن دقيق العيد و« مختصر ابن الحاجب » ، وأخذ عن علماء عصره ، كثير التواضع ، عالي الهمة ، ذو سطوة على المفسدين ، وكان من القضاة ، توفي سنة (٨٦٨هـ) رحمه الله تعالى . انظر « الضوء اللامع » (٤/ ٩٠ـ ٩١) .

(٢) قاضي القضاة أحمد بن إبراهيم بن نصر الله الكناني العسقلاني الأصل ، المصري المولد ، قاضٍ مشىٰ علىٰ طريقة السلف ، تفرد بمذهب الإمام أحمد في عصره ، ولد سنة (٨٠٠هـ) ، أخذ عن علماء عصره ، وولي قضاء الحنابلة بمصر ، توفي سنة (٨٧٦هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٩/ ٤٧٩ـ ٤٨٠) .

(٣) العلامة علم الدين البلقيني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٢) .

قال عنه العلامة ابن العماد رحمه الله في « شذرات الذهب » : (**وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه** ؛ رجالاً وغريباً ، ومتناً وسنداً ، واستنباطاً للأحكام منه ، **وأخبر عن نفسه : أنه يحفظ مئتي ألف حديث** ، قال : ولو وجدتُ أكثر . . لحفظته . . .)[1] .

وإليك مثالاً يدل علىٰ تبحره وعلو همته ، وتصميمه وحفظه وإتقانه ؛ حيث قال رحمه الله تعالىٰ في مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر » في النحو : (ولم أزل من زمن الطلب أعتني بكتبها قديماً وحديثاً ـ أي : اللغة العربية ـ وأسعىٰ في تحصيل ما دثر منها سعياً حثيثاً ، **إلىٰ أن وقفتُ منها على الجم الغفير** ، **وأحطتُ بغالب الموجود** ؛ مطالعةً وتأملاً ، بحيث لم يفتني سوى النزر ، **وألفتُ فيها الكتب المطولة والمختصرة** . . .) إلىٰ أن قال : (وكان مما سودتُ من ذلك كتابٌ ظريف ، لم أُسبق إلىٰ مثله ، وديوان منيف ؛ لم ينسج ناسج علىٰ شكله . . . ولم يكن انتهى المقصود منه ؛ لاحتياجه إلىٰ إلحاق ، ولا سُوِّد بتسطير جميع ما أرصد له من بياض الأوراق ، فحبسته بضع عشرة سنة ، وحُرم منه الكاتبون والمطالعون ، ثم قدَّر الله أني أُصبتُ بفقده ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، **فاستخرتُ الله تعالىٰ في إعادة تأليفه ثانياً** ، والعود ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ أحمدُ ، وعزمتُ علىٰ تجديده ، طالباً من الله سبحانه المعونة ، فهو أجلُّ مَنْ في المهمَّات يُقصد)[2] .

ومن يطلع علىٰ معجم شيوخه وما قرأه عليهم من الكتب . . يدفع قول القائل : إنه استبدَّ بالأخذ من بطون الدفاتر والكتب ، بل الناظر في تاريخ حياته ، وعدد مؤلفاته **سيسجل موقف إعجاب بتلك الشخصية الموسوعية الفذَّة** ، هـٰذه الشخصية الفيَّاضة بالعلم والمعرفة ، أخرجَتْ إلى الحضارة مئاتِ المؤلفات والبحوث ؛ والتي تعجز عن إعدادها مراكز البحوث الدولية الآن .

---

(١) شذرات الذهب (١٠/ ٧٦) . وذكر النجم الغزي رحمه الله تعالىٰ في « الكواكب السائرة » (١/ ٢٢٩) : (ورئي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **هاتِ يا شيخ السُّنة** ») .

(٢) الأشباه والنظائر (١/ ٢٢) .

ومؤلفاته الكبرىٰ في : علوم القرآن ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والبلاغة ، والطبقات ؛ كلها من أمات المصادر في بابها ، وعليها المدار في موضوعاتها .

وما جمع في كتبه من مصادر قد لا توجد اليوم حتىٰ بين المخطوطات ؛ مما جعل كتبه هي الأصل ، فحفظ لنا بكتبه كثيراً من الأخبار والآثار والنقول .

وآراؤه في كتبه ، وأقواله واجتهاداته : جعلته متفرداً في عصره ، وادعاؤه الاجتهاد والتجديد علىٰ خطورتهما لم ينزعهما عنه إلا حاسدٌ أو مشاحن .

واتفق مترجموه على الإقرار له بهما ، والاعتراف بفضله وعلمه وتقدمه ؛ مع ما كان عليه من التواضع وحبِّ الصالحين ، والتأني في المسائل والفتاوىٰ ، وورعه وزهده ، وبُعْده عن عطايا الملوك .

وكان إذا احتاج شيئاً من النفقة . . باع من كتبه وأكل من ثمنها ، وكلُّ مَنْ وصل إلىٰ هـٰذه المرتبة لا بدَّ له من حسَّاد ، وهـٰذا من طباع البشر ، فلا نتعرَّض لشيء من هـٰذا ؛ فأقوال الأقران في بعضهم غير مقبولة ، رحمهم الله تعالىٰ وعفا عنهم .

وقد تحدَّىٰ أهلَ زمانه بسبعة أسئلة طرحها عليهم ، وأجاب عليها رحمه الله تعالىٰ[1] .

قال عن نفسه في « حسن المحاضرة » : (وقد كملَتْ عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالىٰ ، أقول تحدُّثاً بنعمة الله تعالىٰ ، لا فخراً ، وأي شيءٍ في الدنيا حتىٰ يطلب تحصيلها بالفخر ؟! وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ، ولو شئت أن أكتب في كل مسألةٍ مصنَّفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها . . لقدرتُ علىٰ ذلك من فضل الله ، لا بحولي ولا بقوتي ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله)[2] .

---

(١) انظر « الإمام الحافظ السيوطي » للأستاذ المحقق إياد خالد الطباع (ص٧٣ ـ ٨٦) .
(٢) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٢) .

وهي النافعة ، الكثيرة الكاملة الجامعة ، المتقنة المحررة ، المعتمدة المعتبرة ، فقد بلَّغها تلميذه الداوودي إلىٰ خمس مئة مؤلَّف ، وشهرتها تغني عن ذكرها .

وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، وكان آيةً في سرعة التأليف ؛ حتىٰ قال تلميذه الداوودي رحمه الله تعالىٰ : عاينتُ الشيخَ وقد كتب في يومٍ واحدٍ ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً ، وكان مع ذلك يملي الحديث ، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبةٍ حسنة[1] .

لكن بعد استقصاء مؤلفاته : ما بين مطول ومختصر ، ورسالة وفتيا . . فقد بلغت ـ كما أحصاها الأستاذ المحقق إياد خالد الطباع حفظه الله ـ (١١٩٤) مؤلفاً .

نذكر من أهمها :

في القرآن وما يتعلق به : « الإتقان في علوم القرآن » ، و« الدر المنثور في التفسير بالمأثور » ، و« لباب النقول في أسباب النزول » ، و« تناسق الدرر في تناسب السور » .

وفي الحديث وما يتعلق به : كتب شروحاً على الكتب الستة ، و« تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي » ، و« شرح ألفية العراقي » ، و« جمع الجوامع » ، و« الجامع الصغير » ، و« الخصائص الكبرىٰ » و« الصغرىٰ » ، و« شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور » ، و« البدور السافرة عن أمور الآخرة » . . . إلىٰ غير ذلك .

وفي الفقه وما يتعلق به : « الأشباه والنظائر » ، ونظم « الروضة » المسمى : « الخلاصة » ، و« الأزهار الغضة في حواشي الروضة » ، و« شرح التنبيه » ، و« شرح الروض » . . . إلىٰ آخره .

---

(١) شذرات الذهب (١٠/ ٧٦) .

وفي الأجزاء المفردة : في مسائل مختلفة ، وله أجزاء كثيرة ؛ منها : « المصابيح في صلاة التراويح » ، و« بسط الكف في إتمام الصف » ، و« نتيجة الفكر في الجهر بالذكر » ، و« الإنصاف في تمييز الأوقاف » .

وفي فن العربية وما يتعلق به : « شرح ألفية ابن مالك » المسمى : « البهجة المرضية في شرح الألفية » ، و« جمع الجوامع » وشرحه « همع الهوامع » ، و« الفتح القريب على مغني اللبيب » ، والنكت على : « الألفية » ، و« الكافية » ، و« الشذور » ، و« النزهة » .

وفي فن الأصول والبيان والتصوف : « شرح الكوكب الوقَّاد في الاعتقاد » ، و« عقود الجمان في المعاني والبيان » ، و« تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية » ، و« درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي » ، و« الخبر الدال علىٰ وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال » .

وفي التاريخ والأدب : كتب عدة ؛ كتب في الطبقات كـ « طبقات الحفاظ » ، و« النحاة » ، و« المفسرين » ، و« الأصوليين » ، و« الكُتَّاب » ، و« تاريخ الخلفاء » وهو كتابنا هـٰذا ، و« معجم شيوخه الكبير » ، و« ديوان خطب » ، و« ديوان شعر » ، و« شرح بانت سعاد » ، وغير ذلك كثير .

حسبي وفي تعدادها لم أطمع

قال العلامة ابن العماد رحمه الله تعالىٰ : (ومناقبه لا تحصر كثرة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها . . لكفىٰ ذلك شاهداً لِمَنْ يُؤمنُ بالقدرة ، وله شِعرٌ كثير ، جيده كثير ، ومتوسطه أكثر ، وغالبه في الفوائد العلمية . . .)[1] .

ومن هـٰذه الفوائد أنه قال : (من مخلع البسيط)

حـدثنـا شيخنـا الكنـانـي ... عـن أبِـهِ صـاحـب الخطـابـةْ

أَسْـرِعْ أخـا العلـمِ فـي ثـلاثٍ ... الأكـل والمشـي والكتـابـةْ

(١) شذرات الذهب (١٠/ ٧٨) .

وله أيضاً فيما يُسنُّ قَبوله من الأشياء : (من الطويل)

عن المصطفىٰ سبعٌ يُسنُّ قَبولها ... إذا ما بها قد أتحف المرءَ خُلانُ
فحلـوٌ وألبـانٌ ودهـنٌ وسـادةٌ ... ورزقٌ لمحتـاجٍ وطيـبٌ ورَيحـانُ

وقال في إملاء الحديث : (من الخفيف)

عـابَ الإمـلاءَ للحـديـثِ رجـالٌ ... قد سَعَوا في الضلال سعياً حثيثا
إنمـا ينكـر الأمـالـيَ قـومٌ ... لا يكـادون يفقهـون حـديثـا

وقال أيضاً : (من السريع)

لِـمَ لا نـرجِّي العفـوَ مـن ربنـا ... وكيـف لا نطمـع فـي حلمـهِ
وفـي الصحيحيـن أتـىٰ إنـه ... بعبـدِهِ أرحـمُ مـن أُمِّـهِ

ولم نتعرض لتلامذته لكثرتهم ، ولا لمناصبه رحمه الله تعالىٰ ؛ فقد كُتبت فيه مؤلفات عديدة ، وقَصْدُنا الإيجاز ، ومهما كتبنا . . فلن نوفيَ هـٰذا العَلَم شيئاً يسيراً من قدره ، بل هـٰذه رشفةٌ من بحره الواسع ، وقطرة من غيثه الهامع .

وفاته

ولما بلغ الأربعين . . أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالىٰ ، والاشتغال به صِرْفاً ، والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته ، وترك الإفتاء والتدريس ، واعتذر عن ذلك بمؤلَّفٍ سماه بـ« التنفيس » .

وأقام في روضة المقياس جنوب القاهرة ، وانقطع عن الخلق في منزله ؛ حتىٰ لم يكن يفتح طاقات بيته على النيل مدة سكناه .

مرض رحمه الله تعالىٰ في آخر حياته بورمٍ شديد في ذراعه اليسرىٰ ، فمكث سبعة أيام ، وتوفي رحمه الله تعالىٰ سحر ليلةِ الجمعة ، التاسع عشر من جمادى الأولىٰ ، سنة (٩١١هـ) في منزله ، وقد استكمل من العمر إحدىٰ وستين وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ونُقل عنه : أنه قرأ (سورة يس) عند احتضاره ، وصلىٰ عليه خلائق بجامع الأباريقي بالروضة ، عقيب صلاة الجمعة ، وصلىٰ عليه مرةً ثانيةً خلائقُ لا يحصون ، وكان له مشهد عظيم[1] .

ودُفن بحوش قوصون ، خارج باب القرافة ، وقبره مشهور يزار ، ومعروف عند أهل تلك المنطقة[2] ، وصُلِّي عليه صلاة الغائب في دمشق بالجامع الأموي يوم الجمعة ، الثامن من رجب من تلك السنة .

وممَّن رثاه بقصيدةٍ الفقيه الشاعر عبد الباسط بن خليل الحنفي المتوفىٰ سنة (٩٢٠هـ) ومنها[3] : (من السريع)

مات جلالُ الدِّينِ غيثُ الورىٰ مجتهدُ العصرِ إمامُ الوجودْ
وحافظُ السُّنةِ مهدي الهدىٰ ومرشدُ الضال بنفعٍ يعودْ
فيا عيوني انهملي بعدَه ويا قلوبُ انفطري بالوَقودْ
وأظلمي يا دنيا إذ حُقَّ ذا بل حُقَّ أن ترعدَ فيك الرعودْ
وحُقَّ للضوء بأن ينطفي وحُقَّ للقائمِ فيك القعودْ
مصيبةٌ حلَّتْ فحلَّتْ بنا وأورثَتْ نارَ اشتعالِ الكبودْ
صبَّرنا اللهُ عليها وأو لاهُ نعيماً حلَّ دار الخلودْ
وعمَّهُ منه بوبلِ الرضا والغيث بالرحمة بين اللحودْ

وبموته فقدت الأمة الإسلامية عَلَماً من أعلامها الأفذاذ علىٰ مرِّ التاريخ ، قلَّ أن يجود الزمان بمثله ، بل عجزت بطون الأمهات أن تلد بعده مثله ، ولعل تلك الأم التركية الأصل ، التي حملَتْ في بطنها الجلال ، وربَّتْهُ يتيماً ، ودفنته وقد بلغتِ الكبر . . لم تدرِ أن وليدها سيكون في يومٍ من الأيام مالىء الدنيا وشاغل الناس[4] .

---

(١) انظر « الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » (ص ٤٣٦) .
(٢) انظر تفصيل الأستاذ إياد خالد الطباع حول مكان دفن الإمام السيوطي وتوضيحه ما توهمه كثير من الناس في كتابه « الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » (ص ٤٣٧) .
(٣) الكواكب السائرة (١/ ٢٣٢) .
(٤) الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية (ص ٤٣٨) .

رحمه الله تعالىٰ رحمةً واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وحشرنا وإياه تحت لواء سيد المرسلين ، فبمثل هـٰؤلاء ترتفع الهامات ، وبمثل هـٰؤلاء تكون المكرمات ، وبمثل هـٰؤلاء تستمطر الرحمات ، وبمثل هـٰؤلاء تكون الحجج البالغات ، وبمثلهم يستشفع إلىٰ رب البريات .

فنسألك اللهم أن تنزل علىٰ قبره شآبيب البركات والرحمات والمغفرات ، بجاه سيد الكائنات ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه النجوم الزاهرات .

والحمد لله رب العالمين

وصف النسخ الخطية

لقد منَّ الله تعالىٰ علينا بست نسخ خطية نفيسة ومطبوعة نادرة ، وهٰذا توصيفها :

النسخة الأولىٰ : نسخة مصورة من مكتبة لاله لي ، بإستنبول برقم (٢٠٠٥) ، وقد اعتمدناها أصلاً .

وهي نسخة نفيسة جداً .

تقع في (٢٥٢) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة ، عناوينها بالحمرة ، وعليها بعض الحواشي ، خطها نسخي جميل .

كتبت سنة (٩٧٦هـ) ، بخط أحمد بن محمد بن يوسف الجوجري ، وهي منسوخة عن نسخة تلميذ الإمام السيوطي الشيخ جرامرد رحمهما الله تعالىٰ .

ورمزنا لها بـ(أ) .

* * *

النسخة الثانية : نسخة مصورة من مكتبة السلطان طُرخان والِدَه بإستنبول ، رقم (٢٢٧) .

وهي نسخة في غاية النفاسة والضبط .

تقع في (١٥٨) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٦) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٩) كلمة ، عناوينها باللون الأزرق اللازوردي ، وتقييدات النص بالأحمر ، في أولها فهرسة للموضوعات ، وخطها نسخي جميل .

كتبت سنة (٩٨٧هـ) ، عن نسخة تلميذ الإمام السيوطي الشيخ جرامرد الناصري ، دون ذكرٍ لاسم ناسخها .

ورمزنا لها بـ(ب) .

النسخة الثالثة : نسخة مصورة من مكتبة قراه چلبي زاده بإستنبول ، رقم (٢٦٥) .

وهي نسخة جيدة .

تقع في (١٨٨) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٥) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٥) كلمة ، عناوينها باللون الأحمر ، وعليها بعض الحواشي لكاتبها ، وخطها نسخي .

كتبت سنة (٩٨٥هـ) بمكة المكرمة ، بخط : عبد الكريم بن علي السمهودي الحسيني .

ورمزنا لها بـ(ج) .

النسخة الرابعة : نسخة مصورة من مكتبة يني جامع بإستنبول ، رقم (٨٢٩) .

وهي نسخة نفيسة جداً ، مضبوطة بالشكل الكامل .

تقع في (٤٧٨) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (١٣) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (٩) كلمات ، عناوينها باللون الأحمر ، لم يذكر عليها اسم ناسخها وتاريخ النسخ .

ورمزنا لها بـ(د) .

النسخة الخامسة : نسخة مصورة من مكتبة فضل أحمد بإستنبول ، رقم (١٠٣٤) .

وهي نسخة في غاية الدقة والنفاسة :

تقع في (٢١٠) ورقات ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٣) سطراً ،

ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة ، عناوينها باللون الأحمر ، وعليها بعض الحواشي والتقييدات ، خطها معتاد .

كتبت في حياة الإمام السيوطي سنة (٨٩٥هـ) ، وقد حصل شطب لاسم ناسخها !! وعليها مقابلة ومطالعة باسم : عبد اللطيف بن محمد ؛ المعروف : برضا زاده .

ورمزنا لها بـ(هـ) .

* * *

النسخة السادسة : نسخة مصورة من مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم (١٤) تاريخ .

وهي نسخة جيدة .

تقع في (١٥٢) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٩) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة ، عناوينها باللون الأحمر .

كتبت سنة (٩٦٥هـ) ، وقد كشط اسم ناسخها .

وتم الاستئناس بها أثناء العمل .

ورمزنا لها بـ(و) .

* * *

النسخة السابعة : مطبوعة قديمة ، طبعت بمدينة لاهور عاصمة البنجاب سنة (١٣٠٤هـ) .

طبعت علىٰ نفقة التجار : فقير الله وعبد العزيز وعبد القادر بن أحمد الجامي ، رزقهم الله إيماناً كاملاً .

تتكون من (٣٧١) صفحة ، وعدد أسطر الصفحة الواحدة (٢٧) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة .

وجاء فيها : تاريخ الطبعة لمصححه ومحشيه الأحقر : غلام رسول عادل جرهي بعد إتمامه لعام الطبع (١٣٠٤هـ ـ ١٨٨٧م) .

وجاء أيضاً : لقد قام المحشي بتعريف وشرح لجميع الكلمات الغامضة ، وكتب عقد الهبة للناشر ، وبالتالي لا يسمح لأحد طباعة الكتاب دون إذن ؛ وإلا . . فهو مسؤول بما يترتب على المخالفة القانونية .

ورمزنا لها بـ(ط) .

منهج العمل في الكتاب

لقد بذلنا بحمد الله وتوفيقه جهداً علمياً وتحقيقياً ؛ ليخرج الكتاب على النحو الذي أراده المصنف ، وتجلىٰ عملنا في الخطوات التالية :

ـ مقابلة النسخ جميعها مقابلة دقيقة ومحكمة ، وإثبات بعض الفروق مما له أهمية ، أو فائدة ، أو يعطي معنىً آخر .

ـ ترصيع الكتاب بعلامات الترقيم وفق منهج الدار ، ووضعُ عنوناتٍ بين معكوفين [] لبعض الفقرات ، وجعلنا النص بلونين .

ـ تخريج مواده العلمية كلها ، وهي تنقسم إلىٰ قسمين :

أ ـ الأحاديث النبوية الشريفة : فكان تخريجنا للحديث بالرجوع إلى المصادر التي أحالنا عليها المصنف رحمه الله ، فعرضناها على المصدر المطبوع ، وأثبتنا الفرق إن وجد ، وإن لم يكن ذاك المصدر مطبوعاً . . أحلنا علىٰ مصدر آخر يستفيد من المصدر المتقدم ، وإلا . . خرجناه تخريجاً مستقلاً يتناسب مع هدف الكتاب .

ب ـ وأما الأخبار : فخرجناها من مظانها التي نبه عليها الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في آخر الكتاب ، بالإضافة إلىٰ غيرها وذلك تتميماً للفائدة .

ـ ضبط الأعلام والكلمات والأنساب التي تُشْكِلُ .

ـ جمع ترجمة وافية للمؤلف الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ ، وصنع مقدمة عن أهمية علم التاريخ ، وشروط المؤرخ ، وأهم ما أُلف في هـٰذا الموضوع ، وأهمية هـٰذا الكتاب .

ـ صناعة فهرس لمحتوى الكتاب .

وبعد : فهـٰذا جهدنا المتواضع أمام هـٰذا الإمام العظيم ، والجهبذ النحرير ، وقد تمحور عملنا فيه لبيان مكانته العلمية وإخراجه كما أراده مؤلفه ، فما كان فيه

من صواب . . فذاك من الله العلي القدير ، وإن وجد فيه زلل أو خطل . . فهو منا عن غير تقصير ، فرحم الله امرأ وجد فيه صواباً فأنالنا من دعائه ، أو وجد فيه خطأ فأرشدنا إلىٰ صوابه .

وقد امتازت طبعتنا هـٰذه بخصائص :

أولها : مقابلة الكتاب علىٰ ست نسخ خطية ، اثنتان منها منسوخة عن نسخة المصنف رحمه الله تعالىٰ .

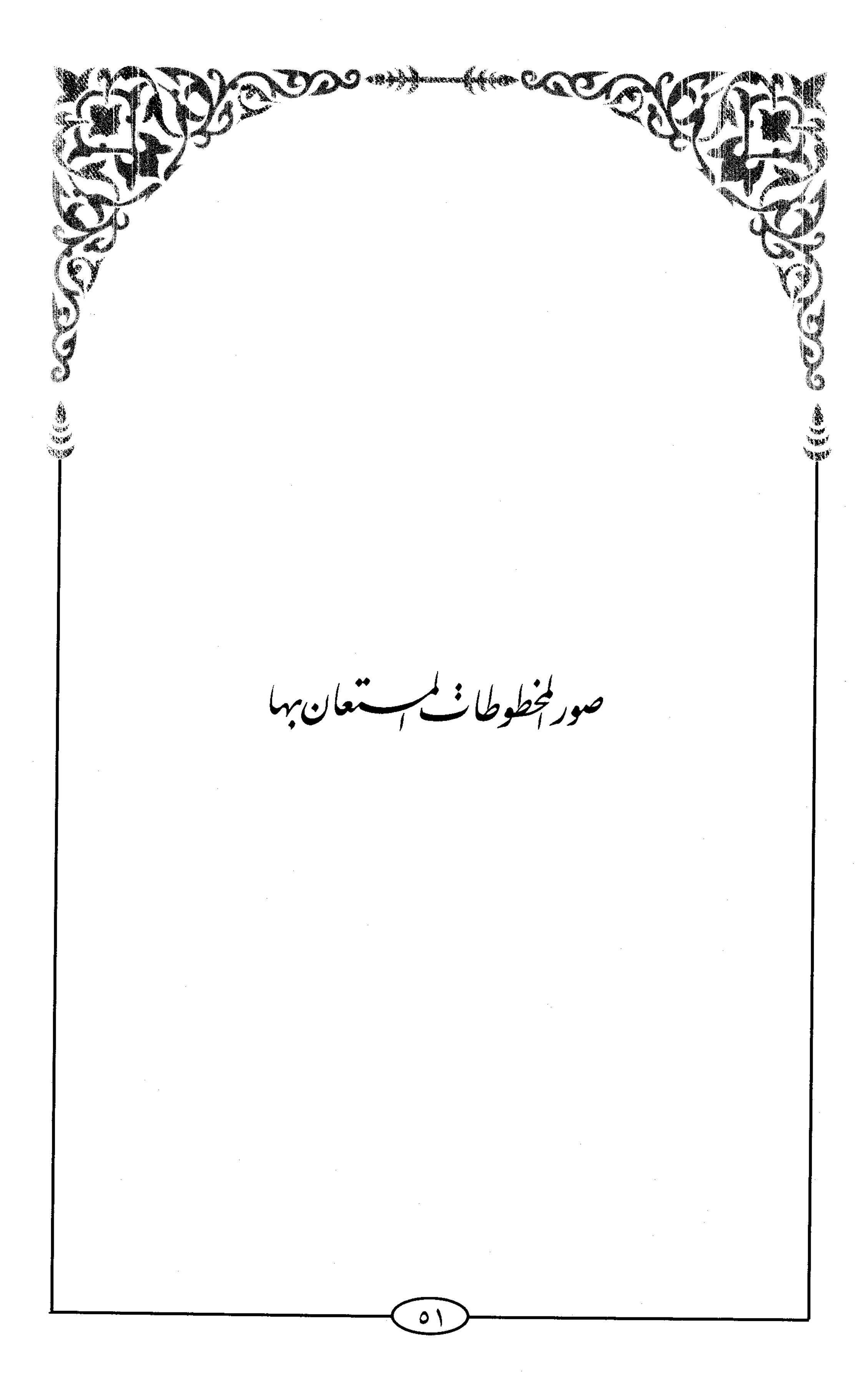
ثانيها : الرجوع إلى المصادر التي أخذ عنها المصنف ، فهـٰذا توثيق يعادل توثيق النسخ الخطية ؛ بل يزيد عليه بإصلاح ما وقع فيها من خلل إن كان .

ثالثها : أن الكتاب قد مر علىٰ أكثر من لجنة علمية في دار المنهاج ، وهـٰذا يدلك علىٰ أن الأخطاء فيه تكاد تكون قليلة أو نادرة ، ولسنا ندعي الكمال ولكن هـٰذا جهدنا ، وما كان قصدنا إلا رضا الله تعالىٰ ، والله من وراء القصد .

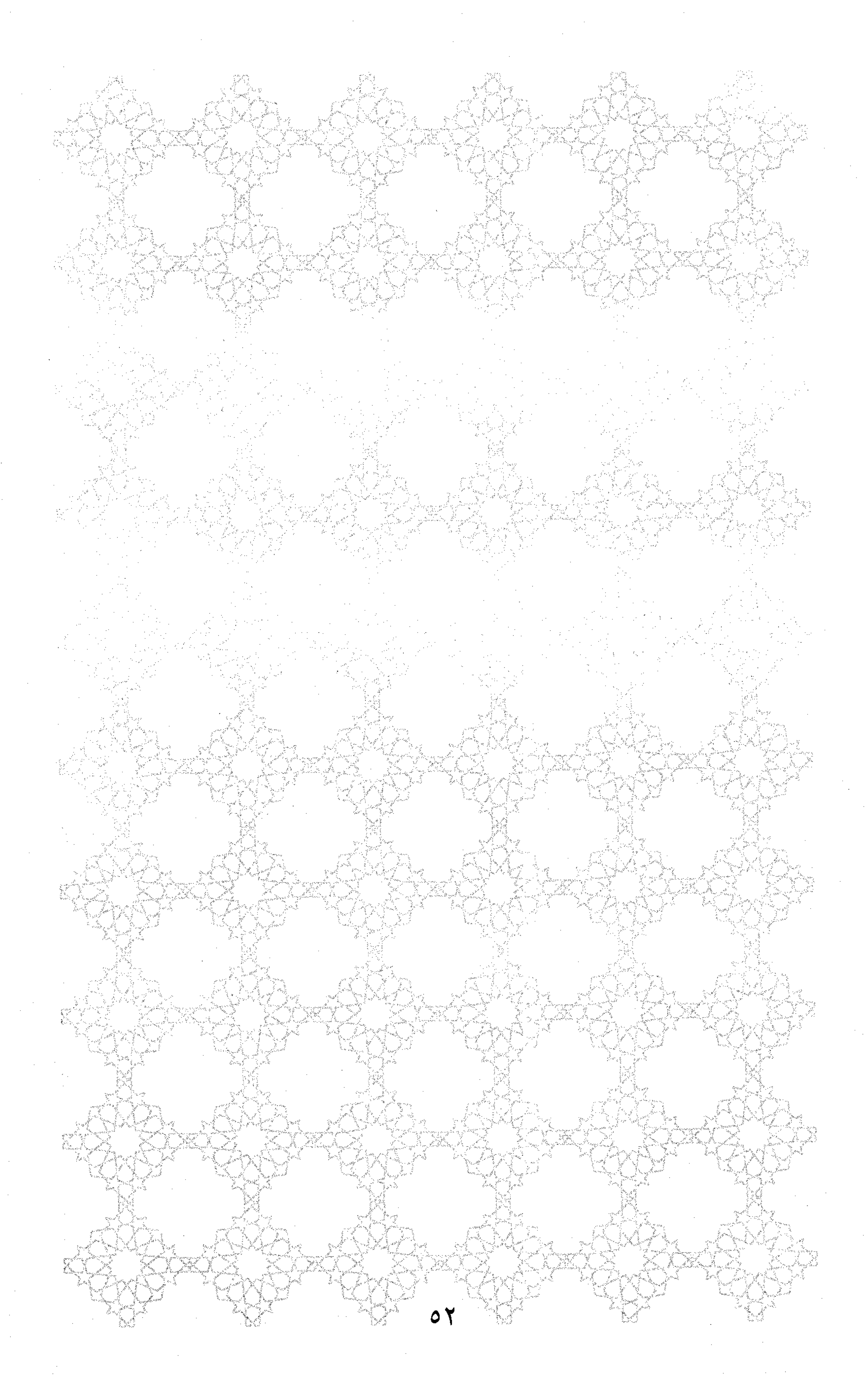
والحمد لله رب العالمين

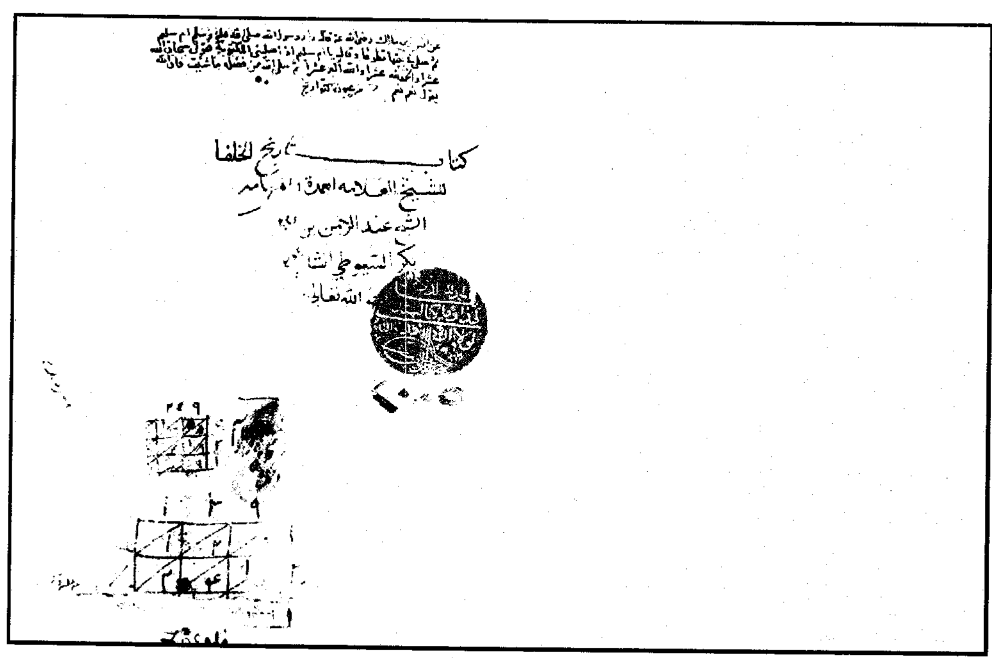
اللجنة العلمية
بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي



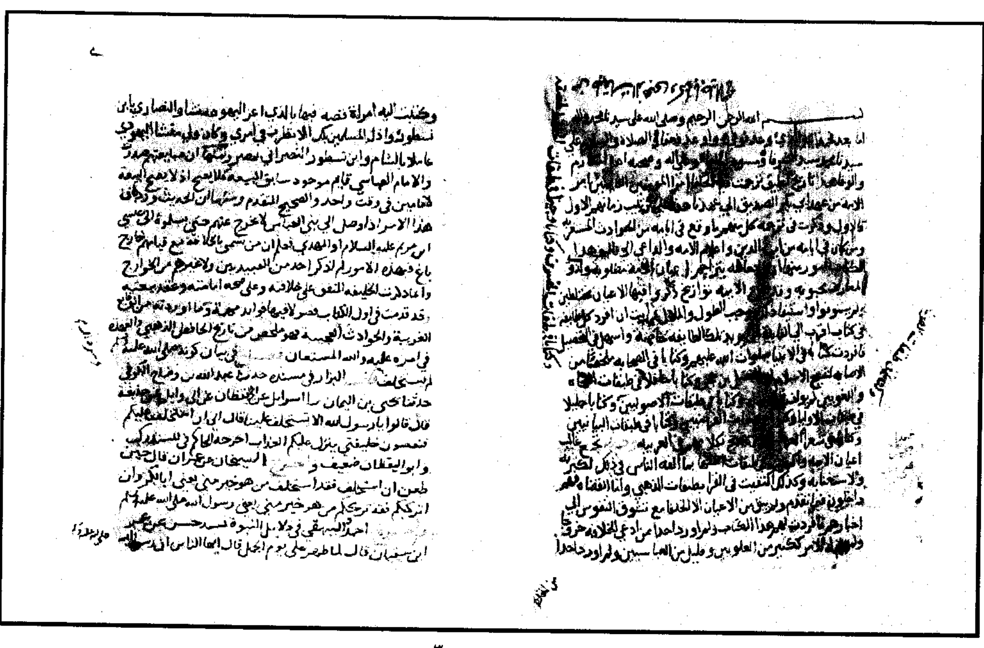


صور المخطوطات المستعان بها



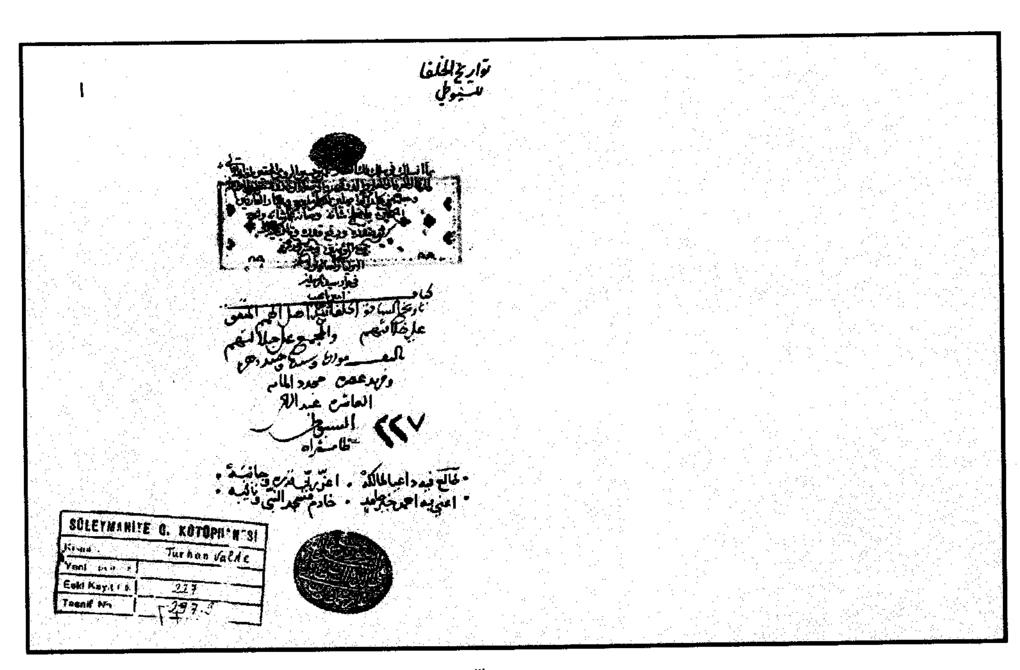


راموز ورقة العنوان للنّسخة (أ)

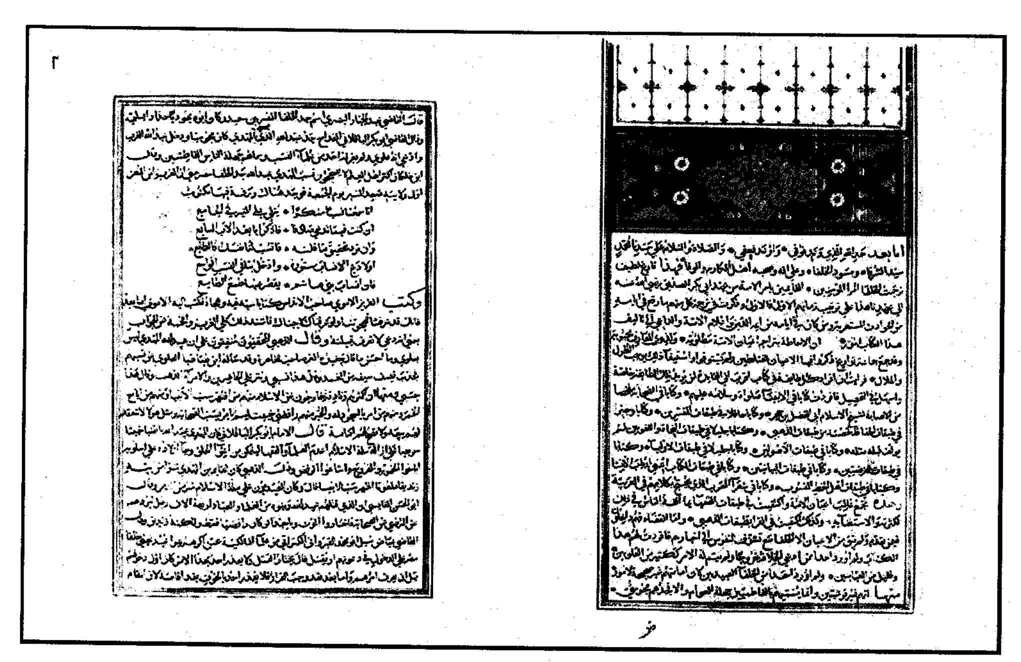


راموز الورقة الأولى للنّسخة (أ)

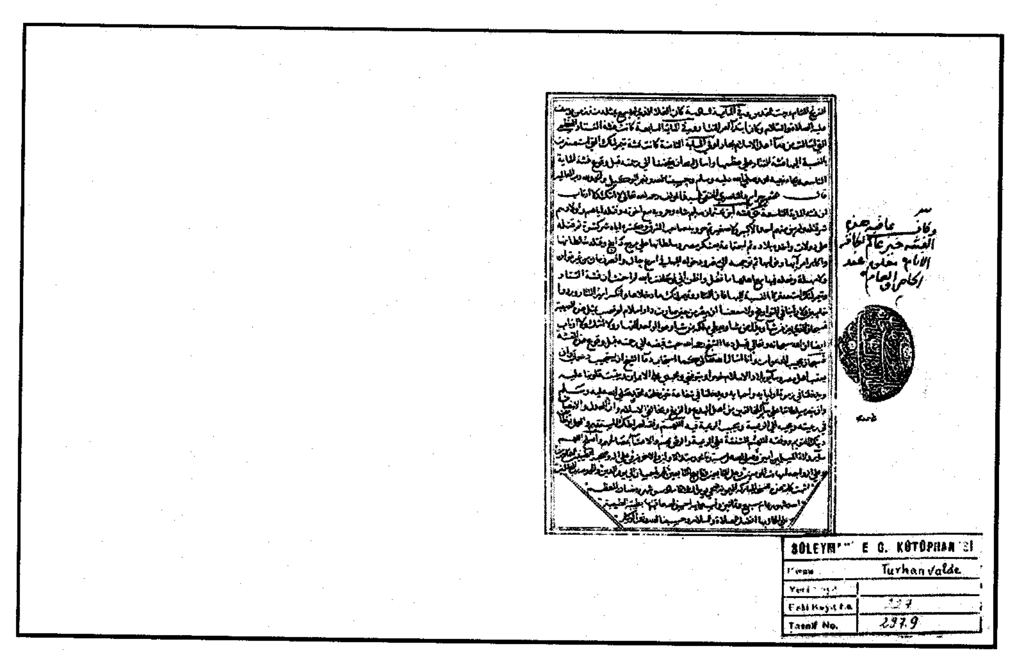
راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (أ)


تاريخ الخلفا
للسيوطي

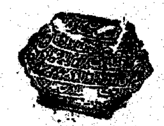
راموز ورقة العنوان للنّسخة (ب)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

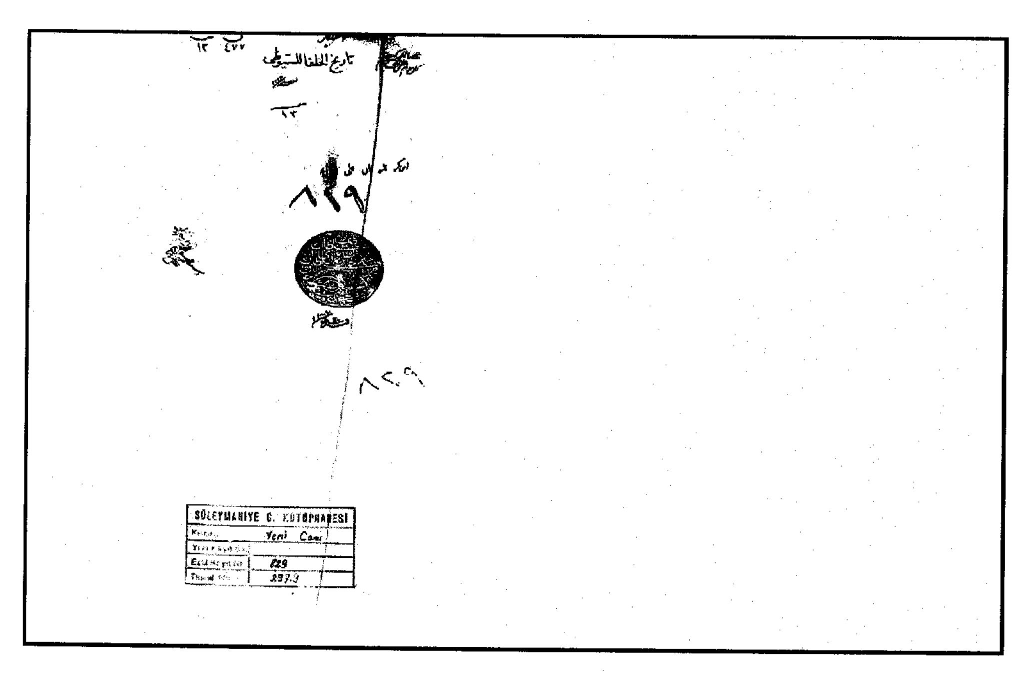


راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)



راموز ورقة العنوان للنسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث الحافظ

الأمة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي رحمه الله

أما بعد حمد الله الذي وعد فوفى، وأوعد فعفى

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الشرفاء وسيد الخلفا

وعلى آله وصحبه أهل الكرم والوفا، هذا تاريخ لطيف

ترجمت فيه الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة من

عهد أبي بكر الصديق إلى عهدنا هذا على ترتيب زمانهم الأول

فالأول، وذكرت في ترجمة كل منهم ما وقع في

أيامه من الحوادث المستغربة، ومن كان في أيامه من أئمة

الدين وأعلام الأمة والداعي إلى تأليف هذا الكتاب أمور

منها أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة

ولذوي المعارف محبوبة، وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها

الأعيان

الأعيان مختلطين ولم يستوفوا واستيفاء ذلك يوجب

الطول والملال، فأردت أن أفرد كل طائفة في كتاب أقرب

إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل في التحصيل

فأفردت كتابا في الأنبياء صلوات الله عليهم، وكتابا في

الصحابة ملخصا من الإصابة لشيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر

وكتابا حافلا في طبقات المفسرين، وكتابا وجيزا في

طبقات الحفاظ ملخصا من طبقات الذهبي، وكتابا جليلا

في طبقات النحاة واللغويين لم يؤلف قبله مثله، وكتابا

في طبقات الأصوليين، وكتابا في طبقات الفرضيين

وكتابا في طبقات البيانيين، وكتابا في طبقات الكتاب

أعني أرباب الإنشاء، وكتابا في طبقات أهل الخط المنسوب

وكتابا في شعر العرب الذين يحتج بكلامهم في العربية

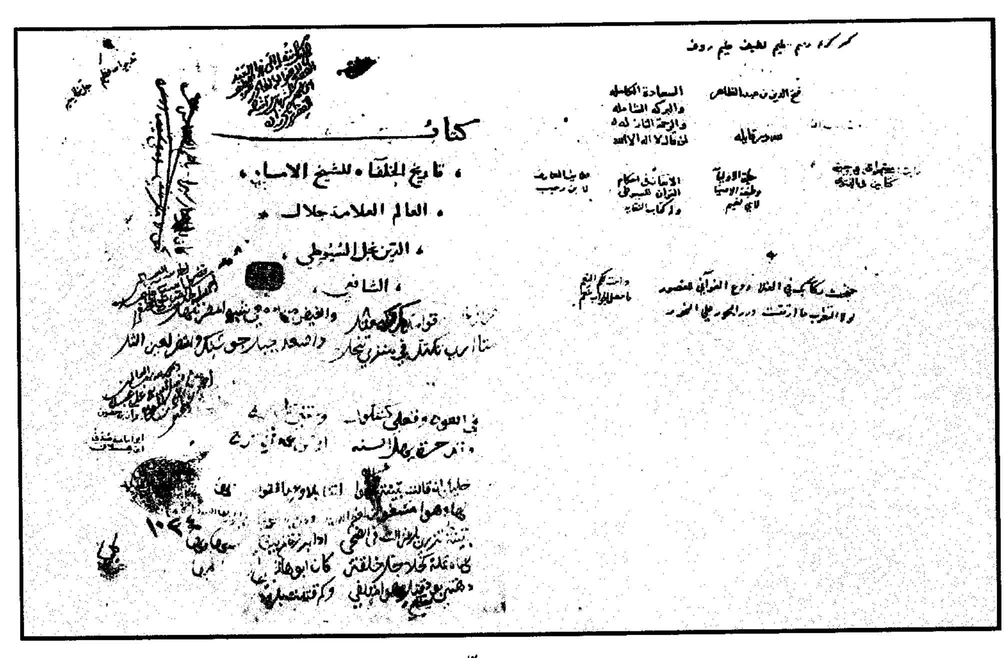
وهذه تجمع غالب أعيان الأمة، فاكتفيت في طبقات

راموز الورقة الأولى للنسخة (د)

وهي أعظم الفتن في هذه الأمة وأولها بالنسبة إلى الدعاء بالخليفة، ولم يدع خليفة قبله إلى شيء من البدع ه. وفي المائة الثالثة خروج القرامطة وناهيك بهم، ثم فتنة المقتدر لما خلع وبويع ابن المعتز وأعيد المقتدر ثاني يوم، وذبح القاضي وجماعة من العلماء، ولم يقتل قاضٍ قبله في ملة الإسلام، ثم فتنة تفرق الكلمة وتغلب المتغلبين على البلاد واستمر ذلك إلى الآن، ومن جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية وناهيك بهم إفسادا وكفرا وقتلا للعلماء والصلحاء. وفي المائة الرابعة كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله وناهيك بها فعلة. وفي المائة الخامسة أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس. وفي المائة السادسة كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف عليه السلام، وكان ابتداء أمر التتار. وفي المائة

السابعة كانت فتنة التتار العظمى التي أسالت من دماء أهل الإسلام بحورا، وفي المائة الثامنة كانت فتنة تمرلنك التي استصغرت بالنسبة إليها فتنة التتار على عظمها، وأسأل الله أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه نبيه صلى الله عليه وسلم. آخر الكتاب، والحمد لله العلي الوهاب.

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)



كتاب

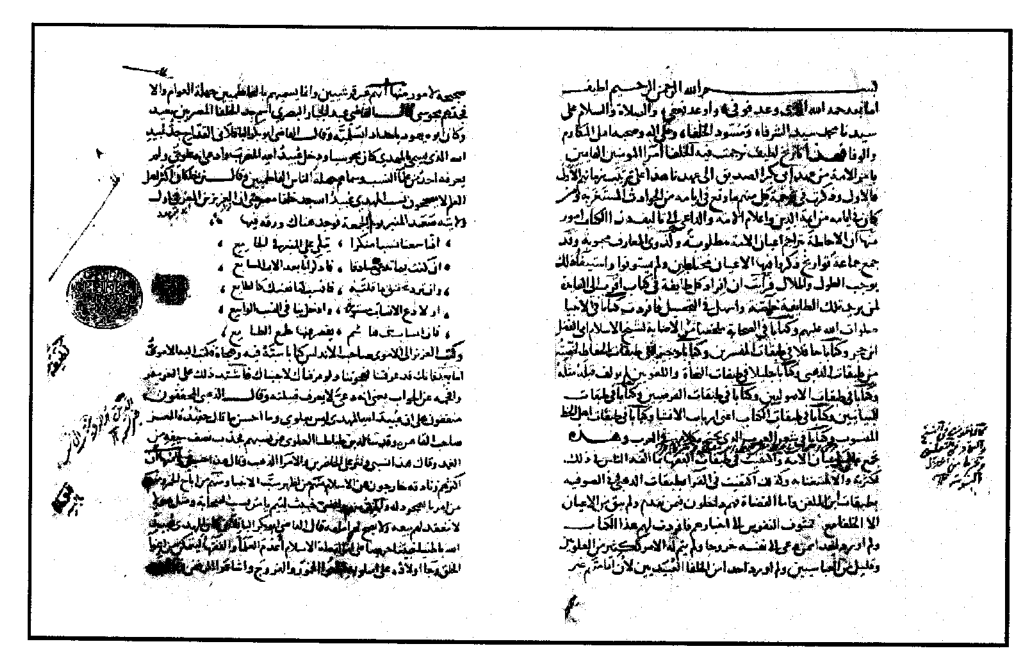
تاريخ الخلفاء للشيخ الإمام

العالم العلامة جلال

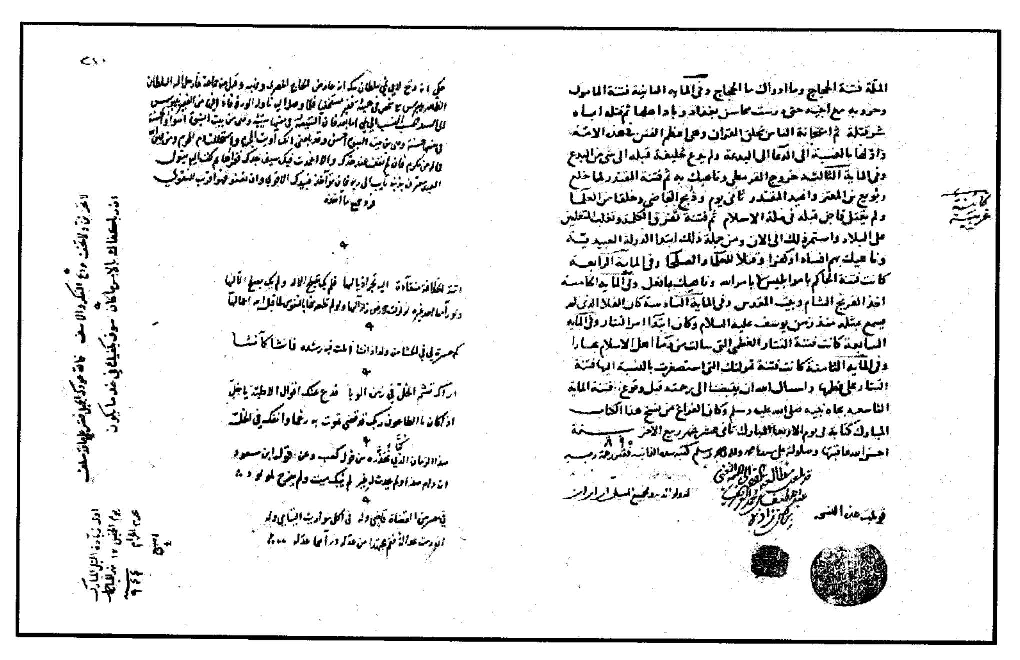
الدين ... السيوطي

الشافعي

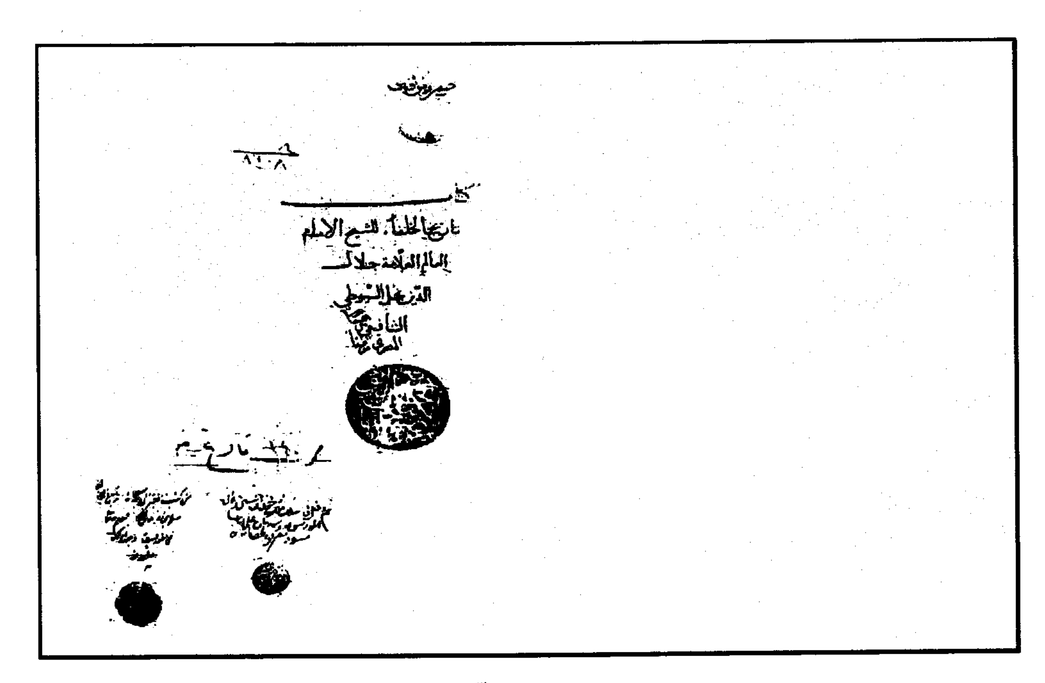
راموز ورقة العنوان للنسخة (هـ)



راموز الورقة الأولى للنسخة (هـ)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (هـ)

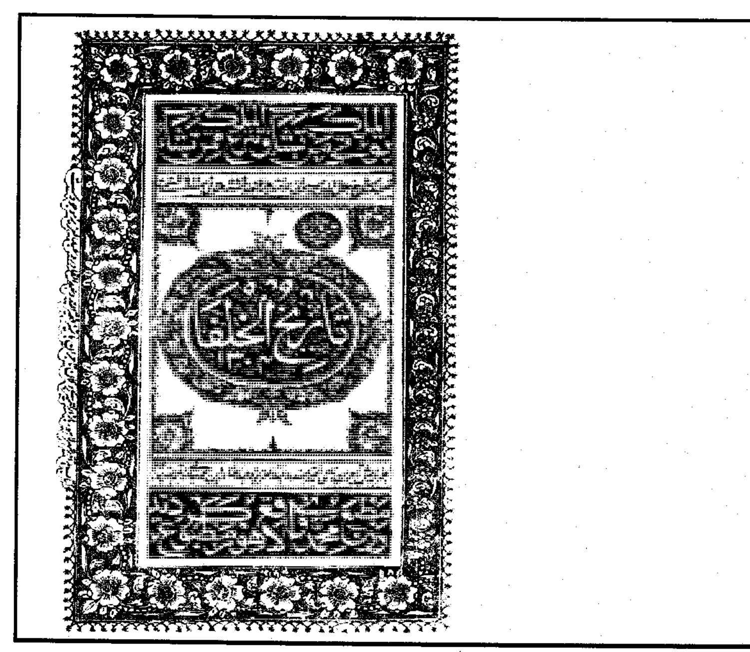


تاريخ الخلفاء للشيخ الإسلام
العالم العلامة جلال
الدين عبد السيوطي
الشافعي

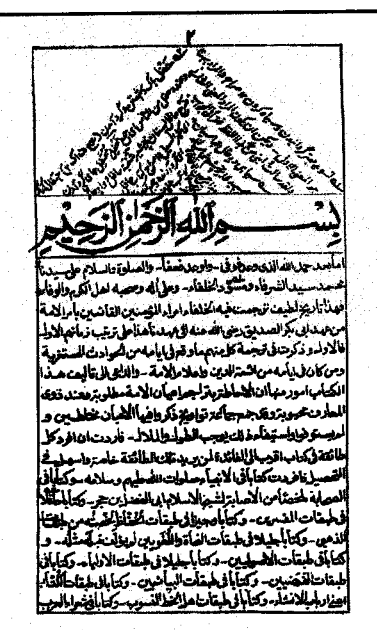
راموز ورقة العنوان للنسخة (و)

راموز الورقة الأولى للنسخة (و)

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (و)

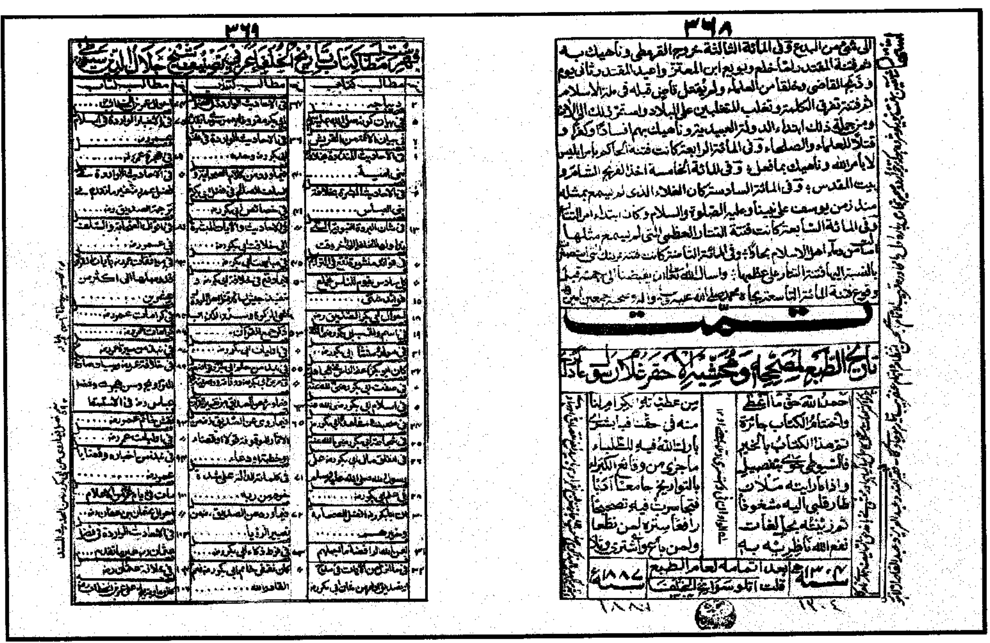


راموز ورقة العنوان للنّسخة (ط)



بسم الله الرحمن الرحيم

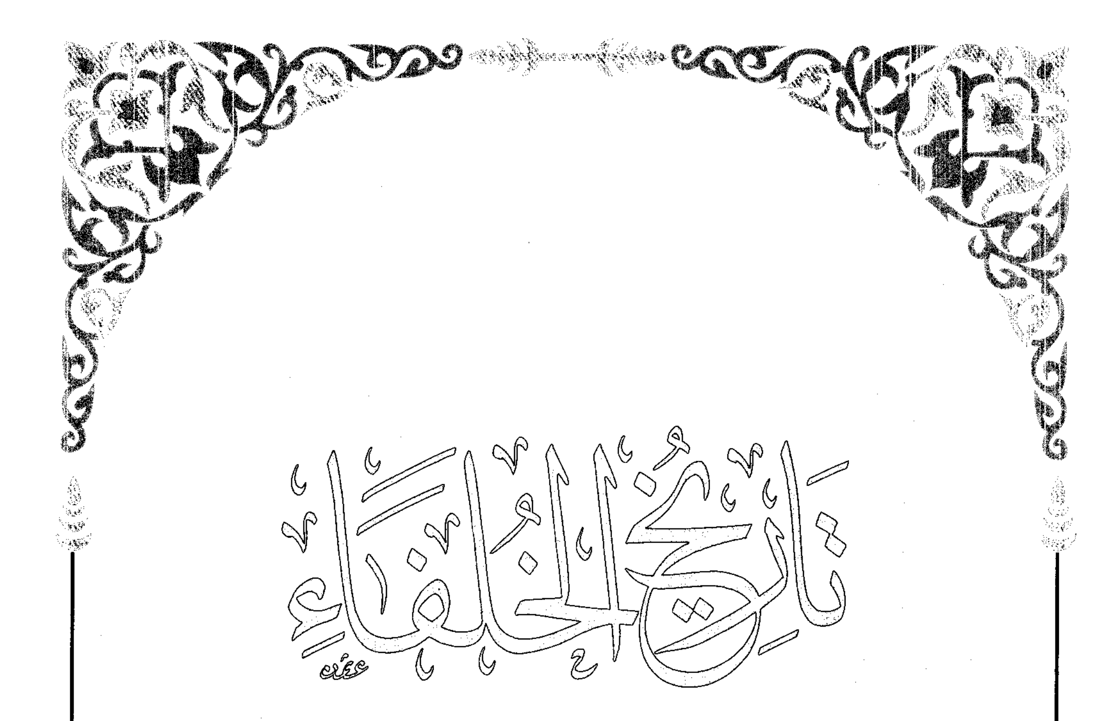
راموز الورقة الأولى للنسخة (ط)



تمت

فهرست مطالب كتاب تاريخ الخلفاء

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ط)



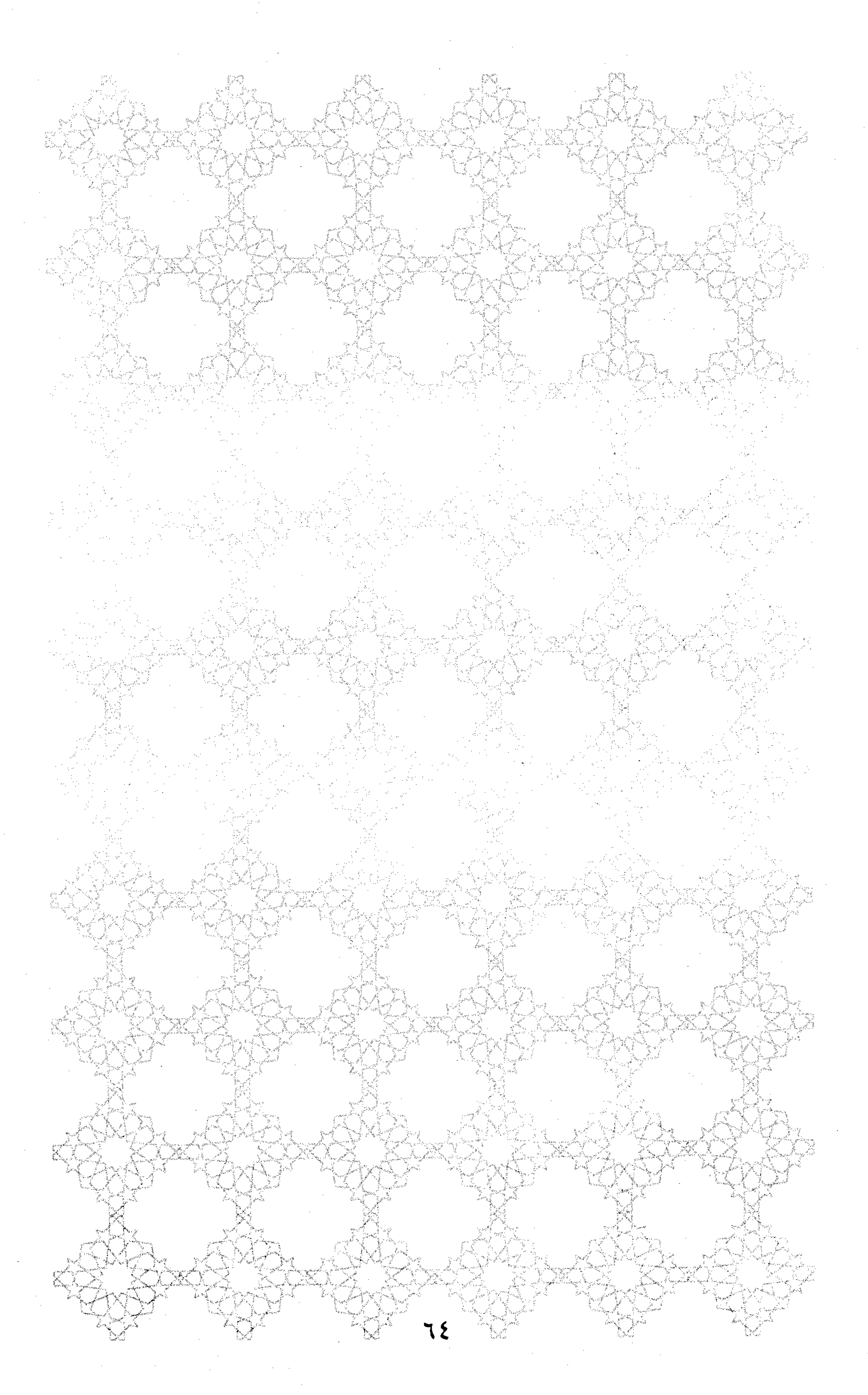
تأليف

الإمام الحافظ

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

رحمه الله تعالى

(٨٤٩ - ٩١١ هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم
ربّ يسّر ، يا لطيف

[خُطْبَةُ الكِتَابِ]

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث الحافظ الأمة
جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي رحمه الله :

أما بعد حمد الله الذي وعد فوفَّىٰ ، وأوعد فعفا ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد سيد الشرفا ، ومسوِّد الخلفا ، وعلىٰ آله وصحبه أهل المكارم والوفا . . فهٰذا تاريخ لطيف، ترجمت فيه الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة؛ من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلىٰ عهدنا هٰذا ، علىٰ ترتيب زمانهم الأول فالأول.

وذكرت في ترجمة كل منهم : ما وقع في أيامه من الحوادث المستغربة ، ومَن كان في أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة .

[الداعي إلىٰ تأليف الكتاب]

والداعي إلىٰ تأليف هٰذا الكتاب أمور ؛ منها : أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة ، ولذوي المعارف محبوبة ، وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الأعيان مختلطين ، ولم يستوفوا ، واستيفاء ذلك يوجب الطول والملال ، فرأيت أن إفراد كل طائفة في كتاب أقرب إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة ، وأسهل في التحصيل .

فأفردت كتاباً في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكتاباً في الصحابة ملخصاً من « الإصابة » لشيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر ، وكتاباً حافلاً في طبقات المفسرين ، وكتاباً وجيزاً في طبقات الحفاظ ؛ لخصته من « طبقات الذهبي » ، وكتاباً جليلاً في طبقات النحاة واللغويين ، لم يؤلف قبله مثله ، وكتاباً

في طبقات الأصوليين ، وكتاباً جليلاً في طبقات الأولياء ، وكتاباً في طبقات الفرضيين ، وكتاباً في طبقات البيانيين ، وكتاباً في طبقات الكُتَّاب ؛ أعني : أرباب الإنشاء ، وكتاباً في طبقات أهل الخط المنسوب ، وكتاباً في شعراء العرب الذين يحتج بكلامهم في العربية ، وهٰذه تجمع غالب أعيان الأمة .

واكتفيت في طبقات الفقهاء بما ألفه الناس في ذلك ؛ لكثرته والاستغناء به ، وكذلك اكتفيت في القراء بـ« طبقات الذهبي » ، وفي الصوفية بـ« طبقات ابن الملقن » ، وأما القضاة . . فهم داخلون فيمن تقدم .

ولم يبق من الأعيان إلا الخلفاء مع تشوف النفوس إلىٰ أخبارهم ، فأفردتُ لهم هٰذا الكتاب ، ولم أورد أحداً ممن ادَّعى الخلافة خروجاً[1] ولم يتم له الأمر ؛ ككثير من العلويين ، وقليل من العباسيين .

[أسباب عدم ذكر العبيديين]

ولم أورد أحداً[2] من الخلفاء العُبيديين ؛ لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور :

منها : أنهم غير قرشيين ، وإنما يسميهم بالفاطميين جهلةُ العوام ، وإلا . . فجدهم مجوسي .

قال القاضي عبد الجبار البصري : (اسم جد الخلفاء المصريين : سعيد ، وكان أبوه يهودياً حداداً بسَلَمْيَة)[3] .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : (القَدَّاح : جد عبيد الله الذي يسمىٰ بالمهدي كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله المغرب وادَّعىٰ أنه علوي ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ، وسماهم جهلة الناس الفاطميين)[4] .

وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد

---

(١) في (د ، هـ) : (دعا إلىٰ نفسه خروجاً) .
(٢) من هنا بدأ السقط في (أ) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٢) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٣) .

خلفاء مصر ، حتىٰ إن العزيز بن المُعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة ، فوجد هناك ورقة فيها مكتوب : [من السريع]

إنَّـا سَمعنـا نَسَبـاً مُنكـراً ... يُتلىٰ على المنبر في الجامعِ

إن كنتَ فيما تدَّعي صادقاً ... فاذكُر أباً بعدَ الأب السابعِ

وإن تُرد تحقيق ما قلتَه ... فانسُب لنا نفسَك كالطائعِ

أو لا دَع الأنسابَ مستورةً ... وادخل بنا في النسبِ الواسعِ

فإنَّ أنَساب بني هاشمٍ ... يقصرُ عنها طمعُ الطامعِ[1]

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس[2] كتاباً سبَّه فيه وهجاه ، فكتب إليه الأموي : (أما بعد : فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك. . لأجبناك ، فاشتد ذلك على العزيز وأفحمه عن الجواب)[3] يعني : أنه دَعِيٌّ لا تعرف قبيلته .

وقال الذهبي : (المحققون متفقون علىٰ أن عبيد الله المهدي ليس بعلوي ، وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة وقد سأله ابن طَبَاطَبَا العلوي عن نسبهم ، فجذب نصف سيفه من الغمد وقال : هـٰذا نسبي ، ونثر على الحاضرين والأمراء الذهب وقال : هـٰذا حسبي)[4] .

ومنها : أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ؛ منهم : من أظهر سب الأنبياء ، ومنهم : من أباح الخمر ، ومنهم : من أمر بالسجود له ، والخيِّر منهم : رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ، ومثل هـٰؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ، ولا تصح لهم إمامة .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : (كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً ، حريصاً

---

(١) وفيات الأعيان (٥/ ٣٧٣) ، والنقل من « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٣١) ، ونسب المقريزي الأبيات في « المقفى الكبير » (٤/ ٧٣ـ ٧٤) إلىٰ عبد الرحمـٰن بن محمد بن خالد بن خالد بن يزيد .

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله ، وهو المرواني ، المتوفىٰ سنة (٣٦٦هـ) ، انظر « النجوم الزاهرة » (٤/ ١٤٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٧/ ١٣٠) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٤/ ١٠٨) .

علىٰ إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ؛ ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده علىٰ أسلوبه ؛ أباحوا الخمور والفروج ، وأشاعوا الرفض)[1] .

وقال الذهبي : (كان القائم بن المهدي شراً من أبيه ، زنديقاً ملعوناً ، أظهر سب الأنبياء)[2] .

قال : (وكان العبيديون علىٰ ملة الإسلام شراً من التتر)[3] .

وقال أبو الحسن القابسي : (إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعبَّاد أربعة آلاف رجل ؛ ليردهم عن الترضي عن الصحابة ، فاختاروا الموت ، ويا حبذا لو كان رافضياً فقط !! ولكنه زنديق)[4] .

وقال القاضي عياض : (سئل أبو محمد القيرواني الكَرَّاني[5] من علماء المالكية : عمن أكرهه بنو عبيد ـ يعني خلفاء مصر ـ على الدخول في دعوتهم أَو يقتل ؟

قال : يختار القتل ، ولا يعذر أحد بهـٰذا ، إلا من[6] كان أول دخولهم قبل أن يعرف أمرهم ، وأما بعد.. فقد وجب الفرار ، فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته ؛ لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز ، وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم ؛ لئلا يُحِلُّوا[7] للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم)[8] .

وقال يوسف الرُّعَيني : (أجمع العلماء بالقيروان : علىٰ أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة ؛ لِمَا أظهروا من خلاف الشريعة)[9] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٣) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٣١) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٣٤) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٤/ ١٠٨ـ١٠٩) .
(٥) في (ب ، د ، هـ) : (الكتراتي) ، وفي (ج) : (الكثراني) ، والمثبت من « ترتيب المدارك » .
(٦) كذا في (ب) ، وفي سائر النسخ : (الأمر) ، وانظر « ترتيب المدارك » .
(٧) كذا في (ج) ، وفي بقية النسخ : (يخلوا) .
(٨) ترتيب المدارك (٢/ ٢٩١) ، وفيه : (لئلا يخلو بالمسلمين عدوهم...) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٥١١) .
(٩) ترتيب المدارك (٢/ ٢٩١) ، تاريخ الإسلام (٢٨/ ٥١٢) .

قال ابن خلكان : وقد كانوا يدَّعون علم المغيبات ، وأخبارهم في ذلك مشهورة ، حتىٰ إن العزيز صعد يوماً إلى المنبر فرأىٰ ورقة مكتوب فيها : [من مخلع البسيط]

بـالظُّلـم والجَـور قـد رَضينـا ... وليـسَ بـالكفـرِ والحمـاقَـةْ
إن كنـتَ أُعطيـت علـمَ غيـب ... فقـل لنـا كـاتـبَ البطـاقـةْ[1]

وكتبت إليه امرأة قصَّة فيها : (بالذي أعز اليهود بمنشا[2] ، والنصارىٰ بابن نُسطور[3] ، وأذل المسلمين بك ؛ إلا نظرت في أمري)[4] .

وكان ولَّىٰ منشا اليهودي عاملاً بالشام ، وابن نسطور النصراني بمصر .

ومنها : أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة ، فلا تصح ؛ إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد ، والصحيح المتقدم .

ومنها : أن الحديث ورد بأن هـٰذا الأمر إذا وصل إلىٰ بني العباس . . لا يخرج عنهم حتىٰ يسلموه إلىٰ عيسى ابن مريم أو المهدي[5] ، فعلم أن من تسمىٰ بالخلافة مع قيامهم خارجٌ باغٍ .

فبهـٰذه الأمور لم أذكر أحداً من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج ، وإنما ذكرت الخليفة المتَّفَق علىٰ صحة[6] إمامته وعقد بيعته .

وقد قدمت في أول الكتاب فصولاً فيها فوائد مهمة ، وما أوردته من الوقائع الغريبة والحوادث العجيبة . . فهو ملخص من « تاريخ الحافظ الذهبي » ، والعهدة في أمره عليه .

والله المستعان

---

(١) وفيات الأعيان (٥/ ٣٧٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٣١) ، وإلىٰ هنا انتهى السقط من (أ) .

(٢) هو منشا بن إبراهيم ؛ كما في « الكامل » (٧/ ٤٤٨) .

(٣) هو عيسى بن نسطور ؛ كما في « الكامل » (٧/ ٤٤٨) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ١٦٨) ، وفي « الكامل » (٧/ ٤٧٥) : (أن أهل مصر كتبوا قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها : بالذي أعز اليهود بمنشا . . .) .

(٥) وسيذكره المصنف (ص ٨٢) .

(٦) في (أ) : (المتفق علىٰ خلافته وعلىٰ صحة) .

فَصْل
في بيان كونه صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وسر ذلك

قال البزار في « مسنده » : حدثنا عبد الله بن وضَّاح الكوفي ، حدثنا يحيى بن اليمان ، حدثنا إسرائيل[1] ، عن أبي اليَقْظان ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : قالوا : يا رسول الله ؛ ألا تستخلف علينا ؟ قال : « إنِّي إنِ اسْتَخلفتُ عليكُم فتَعصُونَ خَليفَتِي . . يَنزل عليكُم العذابُ » أخرجه الحاكم في « المستدرك » ، وأبو اليَقْظان ضعيف[2] .

وأخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن : (إن أَستخلف . . فقد استخلَفَ من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترككم . . فقد ترككم من هو خير مني ؛ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم)[3] .

وأخرج أحمد ، والبيهقي في « دلائل النبوة » بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال : لما ظهر عليٌّ يوم الجمل . . قال : (أيها الناس ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هٰذه الإمارة شيئاً ، حتىٰ رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتىٰ مضىٰ لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأىٰ من الرأي أن يستخلف عمرَ ، فأقام واستقام حتىٰ ضرب الدين بجِرَانه[4] ، ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها)[5] .

وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقي في « الدلائل » عن أبي وائل قال : قيل

---

(١) كذا في النسخ الخطية ، والصواب : (شريك) ؛ كما في مصادر التخريج ، والله أعلم .

(٢) مسند البزار (٢٨٩٥) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٧٠) ، وأخرجه الترمذي (٣٨١٢) ، وقال : هٰذا حديث حسن ، وهو حديث شريك ، وانظر « علل الدارقطني » (٣/ ٢١٥) ، وشريك : هو ابن عبد الله بن الحارث النخعي القاضي ، وأبو اليقظان : هو عثمان بن عمير البجلي ، وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة .

(٣) صحيح البخاري (٧٢١٨) ، وصحيح مسلم (١٨٢٣) .

(٤) أي : ثبت واستقر .

(٥) مسند أحمد (١/ ١١٤) ، ودلائل النبوة (٧/ ٢٢٣) من طريق الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان . . . إلخ ، وعند أحمد : عن الأسود ، عن رجل .

لعلي : ألا تستخلف علينا ؟ قال : (ما استخلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلفُ ، ولكن إن يُرِد الله بالناس خيراً . . فسيجمعهم بعدي علىٰ خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم علىٰ خيرهم)[١] .

قال الذهبي : وعند الرافضة أباطيل في أنه عهد إلىٰ علي رضي الله عنه .

وقد قال هُزَيل بن شُرَحبيل[٢] : أكان أبو بكر يتأمر علىٰ وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! ود أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخَزَم[٣] أنفه بخِزَام . أخرجه ابن سعد والبيهقي في « الدلائل »[٤] .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال علي : (لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم . . نظرنا في أمرنا : فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدَّم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدُنيانا مَن رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، فقدَّمنا أبا بكر)[٥] .

وقال البخاري في « تاريخه » : روي عن ابن جُمْهان عن سَفِينة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر وعثمان : « هَؤُلاءِ الخُلَفَاءُ بَعدِي » قال البخاري : ولم يُتابَع علىٰ هـٰذا ؛ لأن عمر وعلياً قالا : (لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم) انتهىٰ[٦] .

والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال : حدثنا أبو يعلىٰ ، حدثنا يحيى الحِمَّاني ، حدثنا حَشْرَج ، عن سعيد بن جُمْهان ، عن سَفينة قال : لما بنىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد . . وضع في البناء حجراً وقال لأبي بكر : « ضَع حَجَرك إلىٰ جَنبِ حَجَري » ثم قال لعمر : « ضَع حَجَرك إلىٰ جَنبِ حَجَر

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٩) ، ودلائل النبوة (٧/ ٢٢٣) .
(٢) كذا في (هـ) ، وفي باقي النسخ : (هذيل) ، والصواب المثبت ؛ كما ضبطه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٥/ ٣٦١) ، والله أعلم .
(٣) الخزم : ثقب الأنف .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٧) ، ودلائل النبوة (٧/ ٢٢٧) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٧) .
(٦) التاريخ الكبير (٣/ ١١٧) .

أبي بكر » ثم قال لعثمان : « ضَع حَجَرك إلىٰ جَنبِ حَجَر عمر » ثم قال : « هَؤلاءِ الخُلَفاء بَعدي » .

قال أبو زرعة : (إسناده لا بأس به) ، وقد أخرجه الحاكم في « المستدرك » وصححه ، والبيهقي في « الدلائل » وغيرهما[1] .

قلت : ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلي : إنه لم يستخلف ؛ لأن مرادهما : أنه عند الوفاة لم ينص على استخلاف أحد ، وهٰذه إشارة وقعت قبل ذلك ؛ فهو كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : « **عليكُم بسنَّتِي وسنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ المَهْديينَ من بَعدِي** » أخرجه الحاكم من حديث العِرْباض بن سارية[2] .

وكقوله صلى الله عليه وسلم : « **اقتدُوا باللذَينِ من بَعدي : أبي بكر وعمَرَ** »[3] ، وغير ذلك من الأحاديث المشيرة إلى الخلافة .

فَصْلٌ
في بيان أن الأئمة من قريش والخلافة فيهم

قال أبو داوود الطيالسي في « مسنده » : حدثنا سُكَين بن عبد العزيز ، عن سيار بن سلامة ، عن أبي بَرْزة قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « **الأَئمةُ من قُريش ما حَكَموا فعَدَلوا ، ووَعَدوا فوَفَوا ، واستُرحِمُوا فرَحِمُوا** » أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلىٰ في « مسنديهما » ، والطبراني[4] .

وقال الترمذي : حدثنا أحمد بن مَنِيع ، حدثنا زيد بن الحُباب ، حدثنا

---

(١) المجروحين (١/ ٣٣٨) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٣) ، ودلائل النبوة (٢/ ٥٥٣) ، والضعفاء الكبير (١/ ٢٩٧) ، وأبو يعلىٰ : هو الموصلي أحمد بن علي ، ويحيىٰ : هو ابن عبد الحميد .

(٢) مستدرك الحاكم (١/ ٩٧) ، وأخرجه أبو داوود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢) .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٧٥) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

(٤) مسند الطيالسي (٩٢٦) ، ومسند أحمد (٤/ ٤٢١) ، ومسند أبي يعلىٰ (٣٦٤٥) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٢٥٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه بنحوه .

معاوية بن صالح ، حدثنا أبو مريم الأنصاري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المُلك في قُريش ، والقضاءُ في الأنصارِ ، والأَذان في الحبشةِ** » إسناده صحيح[1] .

وقال الإمام أحمد في « مسنده » : حدثنا الحَكَم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن ضَمْضَم بن زُرعة ، عن شُريح ، عن كَثير بن مُرَّة ، عن عتبة بن عَبْدٍ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الخِلافَةُ في قُريش ، والحُكْم في الأَنصارِ ، والدَّعوة في الحبَشةِ** » رجاله موثقون[2] .

وقال البزار : حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا الفيض بن الفضل ، حدثنا مِسْعَر ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الأُمراءُ من قُريش ؛ أَبرارُها أُمراء أَبرارِها ، وفجّارُها أمراءُ فجّارِها** »[3] .

فَصْل

[في مدة الخلافة الراشدة]

قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز ، حدثنا حَمَّاد بن سلمة ، حدثنا سعيد بن جُمْهان ، عن سَفينة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الخلافةُ ثلاثون عاماً ، ثم يكُون بعد ذلك المُلْك** » أخرجه أصحاب السنن ، وصححه ابن حبان وغيره[4] .

قال العلماء : لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن .

وقال البزار : حدثنا محمد بن مسكين ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا

---

(١) سنن الترمذي (٣٩٣٦) ، وأبو مريم : هو عبد الرحمـٰن بن ماعز .

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٨٥) ، وشريح : هو ابن عبيد الحضرمي .

(٣) مسند البزار (٧٥٩) ، وأبو صادق : هو عبد الله بن ناجد ، وقيل : مسلم بن يزيد .

(٤) مسند أحمد (٥/ ٢٢٠) ، وسنن أبي داوود (٤٦٤٦) ، وسنن الترمذي (٢٢٢٦) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨١٥٥) ، وصحيح ابن حبان (٦٩٤٣) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٤٥) .

يحيى بن حمزة [عن أبي وهب][1] ، عن مَكحول ، عن أبي ثعلبة ، عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أولَ دِينكُم بدَأَ نبوَّة ورَحمةً ، ثم يكُون خلافةً ورَحمةً ، ثم يكُون ملكاً وجَبرية » حديث حسن[2] .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا ابن عَون ، عن الشَّعبي ، عن جابر بن سَمُرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَزالُ هـٰذا الأمرُ عَزيزاً ، يُنصَرون علىٰ مَن ناوَأَهم عليه إلى اثني عَشَر خليفةً ، كلُّهم من قُريش » أخرجه الشيخان وغيرهما ، وله طرق وألفاظ[3] .

منها : « لا يَزالُ هـٰذا الأمرُ صَالحاً » ، ومنها : « لا يَزالُ هـٰذا الأمرُ مَاضياً » رواهما أحمد[4] .

ومنها عند مسلم : « لا يَزالُ أمرُ الناسِ مَاضياً ما وَلِيَهم اثنا عَشَر رَجلاً »[5] .

ومنها عنده : «إنَّ هـٰذا الأمرَ لا يَنقضي حتىٰ يَمضي فيهم اثنا عَشَر خَليفةً »[6] .

ومنها عنده : « لا يَزالُ الإسلامُ عَزيزاً مَنيعاً إلى اثني عشر خليفةً »[7] .

ومنها عند البزار : « لا يَزالُ أمرُ أُمتي قائماً حتىٰ يَمضي اثنا عَشَر خليفةً ؛ كلُّهم من قُريش »[8] .

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من مطبوع البزار .

(٢) مسند البزار (١٢٨٢) ، وأبو وهب : هو عبيد الله بن عبيد الله الكلاعي ، ومكحول : هو الشامي ، وأبو ثعلبة : هو الخُشَني الصحابي .

(٣) مسند أحمد (٥/٩٨) ، وصحيح البخاري (٧٢٢٢) ، وصحيح مسلم (٧/١٨٢١) ، وسنن أبي داوود (٤٢٨٠) ، وابن عون : هو عبد الله ، والشعبي : هو عامر بن شراحيل .

(٤) مسند أحمد (٥/٩٧) .

(٥) صحيح مسلم (٦/١٨٢١) .

(٦) صحيح مسلم (١٨٢١) .

(٧) صحيح مسلم (٩/١٨٢١) .

(٨) مسند البزار (٤٢٨٤) .

ومنها عند أبي داوود زيادة : فلما رجع إلىٰ منزله . . أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهرج »[1] .

ومنها عنده : « لا يَزالُ هـٰذا الدِّين قائماً حتىٰ يكون عليكُم اثنا عَشَر خليفةً ، كلُّهم تَجتمع عليه الأمةُ »[2] .

[بيان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « اثنا عشر »]

وعند أحمد والبزار بسند حسن عن ابن مسعود أنه سئل : كم يَملك هـٰذه الأمةَ من خليفةٍ ؟ فقال : سألنا عنها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اثنا عَشَر ؛ كَعِدَّة نُقباءِ بني إسرائيلَ »[3] .

قال القاضي عياض : (لعل المراد بالاثني عشر في هـٰذه الأحاديث وما شابهها : أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة ، وقوة الإسلام ، واستقامة أموره ، والاجتماع علىٰ من يقوم بالخلافة ، وقد وجد هـٰذا فيمن اجتمع عليه الناس ، إلىٰ أن اضطرب أمر بني أمية ، ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد[4] ، فاتصلت بينهم إلىٰ أن قامت الدولة العباسية ، فاستأصلوا أمرهم)[5] .

قال شيخ الإسلام ابن حجر في « شرح البخاري » : (كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه ؛ لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة : « كلُّهم يَجتمع عليه الناسُ » .

وإيضاح ذلك : أن المراد بالاجتماع : انقيادهم لبيعته ، والذي وقع : أنَّ الناس اجتمعوا علىٰ أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، إلىٰ أن وقع أمر الحَكَمين في صِفِّين[6] ، فتسمىٰ معاوية يومئذ بالخلافة ، ثم اجتمع الناس علىٰ

---

(١) سنن أبي داوود (٤٢٨١) .
(٢) سنن أبي داوود (٤٢٧٩) .
(٣) مسند أحمد (١/٣٩٨) ، ومسند البزار (١٩٣٧) .
(٤) وكانت خلافته سنة (١٢٥هـ) .
(٥) إكمال المعلم (٦/٢١٧) .
(٦) وكانت هـٰذه الوقعة في سنة (٣٧هـ) .

معاوية عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا علىٰ ولده **يزيد** ، ولم ينتظم للحسين أمر ، بل قُتل قبل ذلك .

ثم لما مات يزيد . . وقع الاختلاف إلىٰ أن اجتمعوا علىٰ **عبد الملك** بن مروان بعد قتل ابن الزبير ، ثم اجتمعوا علىٰ أولاده الأربعة : **الوليد** ، ثم **سليمان** ، ثم **يزيد** ، ثم **هشام** ، وتخلل بين سليمان ويزيد **عمر بن عبد العزيز** ؛ **فهـٰؤلاء سبعةٌ بعد الخلفاء الراشدين** ، والثاني عشر هو : **الوليد بن يزيد** بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام ، فولي نحو أربع سنين ، ثم قاموا عليه فقتلوه .

وانتشرت الفتن ، وتغيرت الأحوال من يومئذ ، **ولم يتفق أن يجتمع الناس علىٰ خليفة بعد ذلك** ؛ لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تَطُل مدته ، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ، ولما مات يزيد . . وَلِي أخوه إبراهيم ، فغلبه مروان ، ثم ثار علىٰ مروان بنو العباس إلىٰ أن قُتل .

ثم كان **أول خلفاء بني العباس السفاح** ، ولم تَطُل مدته مع كثرة مَن ثار عليه ، ثم وَلِي أخوه المنصور فطالت مدته ، لكن خرج عنهم المغرب الأقصىٰ باستيلاء المروانيين على الأندلس ، واستمرت في أيديهم متغلِّبين عليها إلىٰ أن تسموا بالخلافة بعد ذلك ، **وانفرط الأمر إلىٰ أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في البلاد** ، بعد أن كانوا في أيام بني **عبد** الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، يميناً وشمالاً مما غلب عليه المسلمون ، ولا يتولىٰ أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة علىٰ شيء منها إلا بأمر الخليفة)[1] .

ومن **انفراط الأمر** : أنه كان في المئة الخامسة بالأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمىٰ بالخلافة ، ومعهم صاحب مصر العبيدي ، والعباسي ببغداد خارجاً عمن كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج .

قال : (**فعلىٰ هـٰذا التأويل يكون المراد بقوله : « ثم يكون الهرج »** يعني :

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢١٤) .

القتلَ الناشىء عن الفتن وقوعاً فاشياً ، ويستمر ويزداد ، وكذا كان)[1] .

وقيل : (إن المراد : وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلىٰ يوم القيامة ، يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ، ويؤيد هٰذا : ما أخرجه مسدد في « مسنده الكبير » عن أبي الجلد أنه قال : « لا تهلك هٰذه الأمة حتىٰ يكون منها اثنا عشر خليفة ، كلهم يعمل بالهدىٰ ودين الحق ، منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم »[2] .

وعلىٰ هٰذا : فالمراد بقوله : « ثم يكون الهرج » أي : الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده) انتهىٰ[3] .

قلت : وعلىٰ هٰذا : فقد وجد من الاثني عشر : الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز : هٰؤلاء ثمانية ، ويحتمل أن يضم إليهم : المهتدي[4] من العباسيين ؛ لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وكذلك : الظاهر[5] ؛ لما أتاه من العدل ، ويبقى الاثنان المنتظران : أحدهما المهدي ؛ لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم .

فَصْلٌ
في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية

قال الترمذي : حدثنا محمود بن غَيلان ، حدثنا أبو داوود الطيالسي ، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية فقال : سوَّدت وجوه المؤمنين ، فقال : لا تؤنبني رحمك الله ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أُري بني أميةَ علىٰ منبره فساءه ذلك ،

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢١٤) .

(٢) مسند مسدد ؛ كما في « المطالب العالية » (٤٤٨٤) .

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢١٣) .

(٤) هو محمد بن الواثق ، وكانت خلافته سنة (٢٥٥هـ) ، وسيأتي (ص ٥٦٠) .

(٥) هو محمد بن الناصر لدين الله ، كانت خلافته سنة (٦٢٢هـ) ، وسيأتي (ص ٦٩٩) .

فنزلت : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ ، ونزلت : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ « يملكُها بعدك بنو أمية يا محمد » .

قال القاسم : فعدَدْنا ؛ فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص ، قال الترمذي : هـٰذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم ، وهو ثقة ، ولكن شيخه مجهول[1] .

وأخرج هـٰذا الحديث الحاكم في « مستدركه » ، وابن جرير في « تفسيره »[2] ، قال الحافظ أبو الحجاج : وهو حديث منكر ، وكذا قال ابن كثير[3] .

وقال ابن جرير في « تفسيره » : حدثت عن محمد ابن زَبَالة ، حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، حدثني أبي عن جدي قال : (رأىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بني الحَكَم بن أبي العاصي يَنْزون علىٰ منبره نَزْو القردة ، فساءَهُ ذلك ، فما استجمَعَ ضاحكاً حتىٰ مات ، وأنزل الله في ذلك : ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾) ، إسناده ضعيف[4] ؛ لكن له شواهد من حديث عبد الله بن عمر[5] ، ويَعلى بن مُرَّة[6] ، والحسين بن علي[7]

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٠) .
(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ١٧٥) ، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٦٠) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٠) ، ونقل فيه حكم المزي على الحديث .
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١١٢ـ ١١٣) ، وفيه : (رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بني فلان ينزون) ، ومحمد ابن زَبالة : هو محمد بن الحسن بن زبالة .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » ؛ كما في « الدر المنثور » (٥/ ٣٠٩) ، ولفظه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ولد الحكم بن أبي العاصي على المنابر كأنهم القردة » ، وهو من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وجاء في : (ب ، ج ، د ، هـ) : (عمرو) .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٣٣٢٣) ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريت بني أمية علىٰ منابر الأرض ، وسيتملكونكم ؛ فتجدونهم أرباب سوء » ، واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ، وفي مطبوع « الدر المنثور » : (يعلى بن مرة عن علي رضي الله عنه) .
(٧) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٥/ ٣١٠) وعزاه لابن مردويه ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله =

وغيرهم ، وقد أوردتها بطرقها في كتابي « التفسير المسند » ، وأشرت إليها في كتابي « أسباب النزول »[١] .

فصل

في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس

قال البزار : حدثنا يحيى بن مُعَلَّى بن منصور ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُدَيك ، عن محمد بن عبد الرحمـٰن العامري ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « فيكمُ النُّبوةُ والمَملَكةُ » العامري ضعيف[٢] ، وقد أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » ، وابن عدي في « الكامل » ، وابن عساكر من طرقٍ عن ابن أبي فُدَيك به[٣] .

وقال الترمذي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجَوْهري ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن ثَوْر بن يزيد ، عن مَكحول ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « إذا كان غداةَ الاثنينِ . . فَأْتِني أنتَ وولدُك ؛ حتىٰ أَدعوَ لهم بدَعوَةٍ يَنفعُكَ الله بها وولدَكَ » فغَدَا وغَدَونا معه ، وأَلْبَسَنا كساءً ، ثم قال : « اللهمَّ ؛ اغفِرْ للعباسِ وولَدِه مغفرةً ظاهرةً وباطنةً ، لا تُغادِرُ ذَنباً ، اللهمَّ ؛ احفَظْه في ولَدِه » هـٰكذا أخرجه الترمذي في « جامعه »[٤] .

وزاد رزين العبدري في آخره : « واجْعَل الخلافةَ باقيةً في عَقِبه »[٥] .

= عليه وسلم أصبح وهو مهموم ، فقيل : ما لك يا رسول الله ؟ فقال : « إني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري » فقيل : يا رسول الله ؛ لا تهتم ؛ فإنها دنيا تنالهم .

(١) أسباب النزول (١/ ٢١٧ـ٢١٨) .

(٢) مسند البزار (٩١٠٣) ، وسهيل : هو ابن أبي صالح ذكوان .

(٣) دلائل النبوة (٦/ ٥١٧) ، والكامل (٤/ ٢٦٢) ، وتاريخ دمشق (٢٦/ ٣٧٤) .

(٤) سنن الترمذي (٣٧٦٢) ، وفيه : (حتىٰ أدعو لك بدعوة . . .) .

(٥) انظر « جامع الأصول » (٩/ ٢٣) .

قلت : هٰذا الحديث والذي قبله أصلح ما ورد في هٰذا الباب .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر[1] ، عن يزيد بن ربيعة ، عن أبي الأشعث ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت بني مروان يتعاورون علىٰ منبري فساءني ذلك ، ورأيت بني العباس يتعاورون علىٰ منبري فسرني ذلك »[2] .

التعاور : التداول .

وقال أبو نعيم في « الحلية » : حدثنا محمد بن المُظفَّر ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عُبيد[3] ، حدثنا محمد بن صالح العَدَوي ، حدثنا ابن جعفر التميمي ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّي ، أخبرني علي بن زيد بن جُدْعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقَّاه العباس ، فقال : « أَلاَ أُبشِّركَ يا أَبا الفَضلِ ؟ » قال : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « إنَّ الله افتَتَح بي هٰذا الأمرَ ، وبذُرِّيتِكَ يَختِمُه » ، إسناده ضعيف[4] .

وقد ورد من حديث علي بإسناد أضعف من هٰذا ، أخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن يونس الكُدَيمي ـ وهو وضاع ـ عن إبراهيم بن سعيد الأشقر[5] ، عن خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم ، عن محمد بن الحنفية ، عن علي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : « إنَّ الله فتَحَ هٰذا الأمرَ بي ، ويَختِمُه بولَدِكَ »[6] .

---

(١) في النسخ : (إسحاق عن إبراهيم أبي النضر) ، والمثبت من « المعجم الكبير » ، و« تهذيب الكمال » (٢/ ٣٨٩) .

(٢) المعجم الكبير (٢/ ٩٦) . وأبو الأشعث : هو شراحيل بن آده .

(٣) في النسخ : (عبد الله بن أحمد بن عبيد) ، والمثبت من « الحلية » ، وعبد الله بن محمد : هو الأموي أبو بكر ابن أبي الدنيا ، انظر « تهذيب الكمال » (١٦/ ٧٢) .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣١٥) ، وابن جعفر : اسمه لاهِز ؛ كما في « تهذيب الكمال » (١٨/ ١٦٦) .

(٥) في (أ) : (الأشقري) ، والمثبت كما في بقية النسخ ، وفي « تاريخ دمشق » : (الشقري) .

(٦) تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٤٩) ، وأبو هاشم : هو الرُّمَّاني يحيى بن دينار ، وقيل : يحيى بن الأسود .

وورد أيضاً من حديث ابن عباس ، أخرجه الخطيب في « التاريخ » ، ولفظه : « بِكُم يُفتَحُ هـٰذا الأمرُ ، وبكُم يُختَم »[1] ، وسيأتي بسنده في ترجمة المهتدي بالله[2] .

وورد أيضاً من حديث عمار بن ياسر ، أخرجه الخطيب[3] .

وقال في « الحلية » : حدثنا محمد بن المظفَّر ، حدثنا نصر بن محمد ، حدثنا علي بن أحمد السَّوَّاق ، حدثنا عمر بن راشد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن صالح ، عن أبيه ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَكُون من وَلَدِ العبَّاسِ ملوكٌ يَلُون أَمرَ أمتي ، يُعِزُّ الله بهم الدِّين » ، عمر بن راشد ضعيف[4] .

وقال أبو نعيم في « الدلائل » : حدثنا الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا المنتصر بن نصر بن المنتصر ، حدثنا أحمد بن راشد بن خثيم ، [ثنا عمي سعيد بن خثيم][5] ، عن حنظلة ، عن طاووس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني أم الفضل قالت : مررتُ بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إنَّك حامِلٌ بغلام ، فإذا ولَدْتِ.. فأتني به » فلما ولدت.. أتيت به النبي صلى الله عليه وسلَّم فأذَّن في أذنه اليمنىٰ ، وأقام في أذنه اليسرىٰ ، وألبأه من ريقه[6] ، وسماه عبد الله ، وقال : « اذْهَبي بأَبي الخُلفاءِ » فأخبرت العباس ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هو ما أَخبَرَتْك ، هـٰذا أبو الخُلفاءِ ، حتىٰ يَكون منهم السَّفَّاح ، حتىٰ يكون منهم المَهْدي ، حتىٰ يكون منهم مَن يصلِّي بعيسى ابن مريم عليه السلام »[7] .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٩) .

(٢) انظر ترجمة المهتدي بالله (ص ٥٦٠) ، ولم يذكر الحديث هناك ، والله أعلم .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ١١٧) ، ولفظه : بينا النبي صلى الله عليه وسلم راكب ؛ إذ حانت منه التفاتة ؛ فإذا هو العباس ، فقال : « يا عباس » قال : لبيك يا رسول الله ، قال : « إن الله فتح هـٰذا الأمر بي ، وسيختمه بغلام من ولدك ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وهو الذي يصلي بعيسىٰ » .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣١٦) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة من « دلائل النبوة » .

(٦) ألبأه : أطعمه .

(٧) دلائل النبوة (٤٨٧) ، وانظر « الخصائص الكبرىٰ » (٢/ ٢٠٢) ، حنظلة : هو ابن سليمان ، =

وقال الديلمي في « مسند الفردوس » : أخبرنا عَبْدوس بن عبد الله كتابة ، أخبرنا الحسين بن فَنْجُوْيه ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المُقرِىء ، حدثنا العباس بن علي النسائي ، حدثنا يحيى بن يعلى الرازي ، حدثنا سهل بن تَمَّام ، حدثنا الحارث بن شِبْل ، حدثتنا أم النعمان ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « سَتكُون لولد العباس رايةٌ ، ولن تَخرجَ من أَيديهم ما أَقامُوا الحَقَّ »[1] .

وقال الدارقطني في « الأفراد » : حدثنا عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي ، حدثنا محمد بن هارون السعدي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الأنصاري ، عن أبي يعقوب بن سليمان الهاشمي ، سمعت المنصور يقول : حدثني أبي ، عن جدي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس : « إذا سَكَن بَنوكَ السَّوادَ ، ولبِسُوا السَّوادَ ، وكانَ شيعتهم أهل خُرَاسان . . لم يَزل الأمرُ فيهم حتىٰ يَدفَعُوه إلىٰ عِيسَى ابنِ مريمَ » ، أحمد بن إبراهيم ليس بشيء ، وشيخه مجهول ، والحديث ضعيف بمرة ، حتىٰ إن ابن الجوزي ذكره في « الموضوعات »[2] .

وله شاهد أخرجه الطبراني في « الكبير » عن أحمد بن داوود المكي ، عن محمد بن إسماعيل بن عون النيلي ، عن الحارث بن معاوية بن الحارث ، عن أبيه ، عن جده أبي أمه ، عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً : « الخلافةُ في وَلَد عمِّي صِنو أبي ، حتىٰ يُسلِّموها إلى المسيحِ » وأخرجه الديلمي من وجه آخر عن أم سلمة رضي الله عنها[3] .

= وطاووس : هو ابن كيسان ، وأم الفضل : هي بنت الحارث الهلالية الصحابية .

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٢٢) وعزاه للديلمي .

(٢) الموضوعات (١/ ٣٤٤) من طريق الدارقطني ، وأخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٨/ ٣٥٥) من طريق عبيد الله بن عبد الصمد ، به ، وزاد بين أبي يعقوب بن سليمان وبين منصور : زينب بنت سليمان بن علي . وأخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤٣٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٣٣٥) من طريق طلحة بن عبيد الله ، عن أبي يعقوب بن سليمان بن منصور ، عن زينب بنت سليمان بن منصور قالت : حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) المعجم الكبير (٢٣/ ٤٢٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩/ ٤٧٤) ، ومسند الفردوس (٥٣٧١) ، وعندهم : (حتىٰ يسلموها إلى الدجال) .

وقال العُقيلي في كتاب « الضعفاء » : حدثنا أحمد بن محمد النَّصِيبي ، حدثنا إبراهيم بن المُسْتَمِر العُرُوقي ، حدثنا أحمد بن سعيد الجُبَيري ، حدثنا عبد العزيز بن بكَّار بن عبد العزيز بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن جده [عن] أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً : « يَلِي ولَدُ العبَّاسِ مِن كلِّ يَومٍ تَلِيه بَنُو أميَّةَ يَومينِ ، ولكلِّ شَهرٍ شَهْرين »[1] .

هٰذا حديث أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » وأعلَّه ببكَّار[2] ، وليس كما قال ؛ فإن بكَّاراً لم يتهم بكذب ولا وضع ، بل قال فيه ابن عدي : هو من جملة الضعفاء الذين يُكتب حديثهم ، ثم قال : وأرجو أنه لا بأس به[3] .

ولعمري !! فليس معنى الحديث ببعيد ؛ فإن دولة العباسيين في حال علوها ونفوذ كلمتها في أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، ما عدا أقصى المغرب . . كانت من سنة بضع وثلاثين ومئة إلىٰ سنة بضع وتسعين ومئتين حتىٰ تولى المقتدر ، وفي أيامه انخرم النظام وخرجت المغرب بأسرها عن أمره ، ثم تتابع الفساد والاختلال في دولته وبعده كما سيأتي[4] ، فكانت أيام شموخ مملكتهم مئة وبضعاً وستين سنة ، وهي ضعف أيام بني أمية الشامخة ؛ فإنها كانت اثنتين وتسعين سنة ، منها تسع سنين الأمر فيها لابن الزبير أكثر ، فصَفَت ثلاثة وثمانين سنة وكسراً ، وهي ألف شهر سواء .

ثم وجدت للحديث شاهداً ؛ قال الزبير بن بكَّار في « الموفَّقيات » : حدثني علي بن صالح ، عن جدي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمعاوية : (لا تملكون يوماً . . إلا ملكنا يومين ، ولا شهراً . . إلا ملكنا شهرين ، ولا حولاً . . إلا ملكنا حولين) .

وقال الزبير بن بكَّار في « الموفقيات » : حدثني علي بن المغيرة عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) الضعفاء الكبير (٣/ ٥) .

(٢) الموضوعات (١/ ٣٤٥) .

(٣) الكامل في الضعفاء (٢/ ٤٣) .

(٤) انظر ما سيأتي (ص ٥٨٧) .

(الرايات السود لنا أهل البيت) ، وقال : (لا يجيء هلاكها إلا من قبل المغرب) .

وقال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : أنبأنا أبو القاسم بن بيان ، أخبرنا أبو علي بن شاذان ، أخبرنا جعفر بن محمد الواسطي ، حدثنا محمد بن يونس الكُدَيمي ، حدثنا عبد الله بن سَوَّار العَنْبري ، حدثنا أبو الأشهب جعفر بن حيان ، عن أبي رجاء العُطارِدي ، عن عبد الله بن عباس ، عن أبيه رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « **اللهمَّ ؛ انصُرِ العبَّاس وولَدَ العبَّاسِ** » قالها ثلاثاً ، ثم قال : « **يا عمُّ ؛ أَمَا شَعَرت أنَّ المَهدي من وَلدِكَ ، مُوفَّقاً رَاضِياً مَرْضياً ؟!** » ، الكُدَيمي وضاع[1] .

وقال ابن سعد في « الطبقات » : حدثنا محمد بن عمر ، أخبرنا عمر بن عقبة اللَّيثي ، عن شعبة مولى ابن العباس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أرسل العباس بن عبد المطلب إلىٰ بني عبد المطلب فجمعهم عنده ، وكان عليٌّ عنده بمنزلة لم يكن أحد بها ، فقال العباس : يا بن أخي ؛ إني قد رأيت رأياً لم أحب أن أقطع فيه شيئاً حتىٰ أستشيرك . فقال علي : ما هو ؟ قال : ندخل على النبي صلى الله عليه وسلم فنسأله إلىٰ من هـٰذا الأمر من بعده ؛ فإن كان فينا . . لم نُسْلمه ـ والله ـ ما بقي منا في الأرض طارف ، وإن كان في غيرنا . . لم نطلبها بعد أبداً ؟ قال علي : يا عم ؛ وهل هـٰذا الأمر إلا إليك ، وهل أحد ينازعكم في هـٰذا الأمر ؟!)[2] .

فصل

[إذا أراد الله أن يخلق خلقاً للخلافة . . مسح ناصيته بيمينه]

قال الديلمي في « مسند الفردوس » : أخبرنا أبو منصور ابن خَيْرون ، أخبرنا

---

(١) تاريخ دمشق (٢٦/٢٩٨ـ ٢٩٩) ، أبو القاسم : هو علي بن أحمد بن محمد الرزاز ، وأبو علي : هو الحسين بن أحمد بن إبراهيم ، وأبو رجاء : هو عِمران بن مِلْحان .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٢/٢١٦) .

أحمد بن علي ، حدثنا بُشْرَى بن عبد الله الرومي ، حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الفامي ـ يعرف بِغُنْدَر ـ قال : قُرِىء علىٰ أبي شاكر مَسَرَّة بن عبد الله : حدثنا الحسن بن يزيد ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم بن جعفر الأنصاري ، حدثنا أنس بن مالك مرفوعاً : « **إذا أَرادَ الله أَن يَخلُقَ خَلْقاً للخلافَةِ . . مَسَح علىٰ ناصيَتِه بيَمينِه** » ، مسرة ذاهب الحديث متروك[1] .

وقد ورد من حديث أبي هريرة أخرجه الديلمي من ثلاث طرق عن ابن أبي ذئب ، عن صالح مولى التَّوْءمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً[2] .

وأخرجه الحاكم في « مستدركه » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[3] .

فَصْلٌ

في شأن البردة النبوية التي تداولها الخلفاء إلىٰ آخر وقت

أخرج السِّلَفي في « الطُّيوريات » بسنده إلى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء : أن كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشد النبيَّ صلى الله عليه وسلم قصيدته (بانت سعاد) . . **رَمَىٰ إليه ببردة كانت عليه** ، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه . . كتب إلىٰ كعب : (**بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف درهم**) ، فأبىٰ عليه ، فلما مات كعب . . **بعث معاوية إلىٰ أولاده بعشرين ألف درهم ، وأخذ منهم البردة التي هي عند الخلفاء إلى اليوم** ، وهـٰكذا قاله خلائق آخرون[4] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « الفردوس » ، وهو عند الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٥٠) ، ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٢/ ٢٨٩) ، أبو منصور : هو محمد بن عبد الملك بن حسن ، وأحمد بن علي : هو ابن ثابت الخطيب البغدادي ، والحسن بن يزيد : هو الحسن بن عرفة بن يزيد ، والأعمش : هو سليمان بن مهران .

(٢) مسند الفردوس (٩٥٩) ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٤/ ١٩٨) ، وابن عدي في « الكامل » (٦/ ٣٦٤) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (٢/ ٢٨٩) من طريق مصعب بن عبد الله النوفلي عن ابن أبي ذئب ، وقال ابن عدي : (هـٰذا حديث منكر بهـٰذا الإسناد ، والبلاء فيه من مصعب ، والله أعلم) . وصالح هـٰذا : هو ابن نبهان المدني .

(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٣٣٣) موقوفاً .

(٤) لم نقف عليه في مطبوع « الطيوريات » ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٤/ ٣٧٣) : (وهـٰذا من =

وأما الذهبي.. فقال في « تاريخه » : (أما البردة التي عند الخلفاء آل العباس.. فقد قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق في قصة غزوة تبوك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطىٰ أهل أَيْلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراها أبو العباس السَّفاح بثلاث مئة دينار)[1] .

قلت : فكأن التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية[2] .

وأخرج الإمام أحمد في « الزهد » عن عروة بن الزبير رضي الله عنه : (أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حَضْرمي ؛ طوله أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خَلُق وطووه بثياب تلبس يوم الأضحىٰ والفطر) ، في إسناده ابن لهيعة[3] .

وقد كانت هـٰذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها علىٰ أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً ، وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[4] .

فَصْلٌ

في فوائد منثورة تقع في التراجم ولكن ذكرها هـٰهنا في موضع واحد أنسب وأفيد

قال ابن الجوزي : ذكر الصولي أن الناس يقولون : إن كل سادس يقوم للناس.. يخلع ، قال : فتأملت هـٰذا فرأيته عجباً ، اعتقد الأمر لنبينا صلى الله عليه وسلم ، ثم قام بعده أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والحسن فخلع .

ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وعبد الملك ، وابن الزبير فخلع .

= الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هـٰذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه) .

(١) تاريخ الإسلام (١/ ٦٤٣) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٢/ ٤٢) .

(٢) انظر « السيرة الحلبية » (٣/ ٢٤٠) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « الزهد » ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧٦٥) .

(٤) انظر « السيرة الحلبية » (٣/ ٢٤٠) .

ثم الوليد ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد ، وهشام ، والوليد فخلع ، ثم لم ينتظم لبني أمية أمر .

فولي السَّفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين فخلع .

ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين فخلع .

ثم المعتز ، والمهتدي ، والمعتمِد ، والمعتضِد ، والمكتفي ، والمقتدِر فخلع مرتين ، ثم قتل .

ثم القاهر ، والراضي ، والمتقي ، والمستكفي ، والمطيع ، والطائع فخلع .

ثم القادر ، والقائم ، والمقتدي ، والمستظهِر ، والمسترشِد ، والراشِد فخلع ، هـٰذا آخر كلام ابن الجوزي[1] .

قال الذهبي : (وما ذكره منخرم بأشياء :

أحدها : قوله : « وعبد الملك وابن الزبير » وليس الأمر كذلك ، بل ابن الزبير خامس وبعده عبد الملك ، أو كلاهما خامس ، أو أحدهما خليفة والآخر خارج ؛ لأن ابن الزبير سابق البيعة عليه ، وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير .

والثاني : تركه لعدِّ يزيد الناقص ، وأخيه إبراهيم الذي خلع ، ومروان ، فيكون الأمين باعتبار عددهم تاسعاً .

قلت : قد تقدم أن مروان ساقط من العدد[2] ؛ لأنه باغٍ ، ومعاوية بن يزيد كذلك ؛ لأن ابن الزبير بويع له بعد موت يزيد ، وخالف عليه معاوية بالشام فهما واحد ، وإبراهيم الذي بعد يزيد الناقص لم يتم له أمر ؛ فإن قوماً بايعوه

---

(١) المنتظم (١٧/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) .

(٢) تقدم (ص ٧٦) .

بالخلافة ، وآخرين لم يبايعوه ، وقوم كانوا يدعونه بالإمرة دون الخلافة ، ولم يقم سوىٰ أربعين[1] يوماً أو سبعين يوماً ، **فعلىٰ هـٰذا مروان الحمار سادس ؛ لأنه** الثاني عشر من معاوية ، والأمين بعده سادس .

والثالث : أن الخلع ليس مقتصراً علىٰ كل سادس ؛ فإن المعتز خلع ، وكذا القاهر والمتقي والمستكفي)[2] .

قلت : لا انخرام بهـٰذا ؛ **فإن المقصود أن السادس لا بد من خلعه** ، ولا ينافي هـٰذا كون غيره أيضاً يخلع .

ويقال زيادة علىٰ ما ذكره ابن الجوزي : وليَ بعد الراشد المقتفي ، والمستنجد ، والمستضيء ، والناصر ، والظاهر ، والمستنصر ، وهو السادس فلم يُخلع ، ثم المستعصم وهو الذي قتله التتار ، وكان آخر دولة الخلفاء ، **وانقطعت الخلافة بعده ثلاث سنين ونصف** .

ثم أقيم بعده المستنصر ، فلم يقم في الخلافة ، بل بويع بمصر وسار إلى العراق ، فصافَّ التتار فقتل أيضاً ، **وتعطلت الخلافة بعده سنة كاملة** .

ثم أقيمت الخلافة بمصر ؛ فأولهم : الحاكم ، ثم المستكفي ، ثم الواثق ، ثم الحاكم ، ثم المعتضد ، **ثم المتوكل وهو السادس فخلع** .

وولي المستعصم ، ثم خلع بعد خمسة عشر يوماً ، وأعيد المتوكل ، ثم خلع وبويع الواثق ، ثم المستعصم[3] ، ثم خلع وأعيد المتوكل ، فاستمر إلىٰ أن مات ، ثم المستعين ، ثم المعتضد ، ثم المستكفي ، **ثم القائم وهو السادس من المستعصم الأول ومن المستعصم الثاني فخلع** ، ثم المستنجد خليفة العصر وهو الحادي والخمسون من خلفاء بني العباس .

---

(١) في (أ) : (ثمانين) ، وانظر « المنتظم » (٧/ ٢٥٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٦/ ٣٠٣ـ٣٠٤) .

(٣) في (ب) : (المنتصر) ، وفي بقية النسخ : (المعتصم) ، والمثبت هو الصواب ؛ كما سيأتي عند المصنف (ص ٧٦١، ٧٦٤) ، والله أعلم .



[فيما اتفق فيه الخلفاء]

يقال : لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة ؛ **فالفاتحة** : المنصور ، **والواسطة** : المأمون ، **والخاتمة** : المعتضد[(١)] .

خلفاء بني العباس كلهم أبناء سراري إلا السفاح والمهدي والأمين .

ولم يَلِ الخلافة هاشمي ابن هاشمية إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابنه الحسن ، والأمين ، قاله الصولي[(٢)] .

لم يَلِ الخلافة من اسمه علي إلا علي بن أبي طالب ، وعلي المكتفي ، قاله الذهبي[(٣)] .

قلت : غالب أسماء الخلفاء أفراد ، والمثنىٰ منهم قليل ، **والمتكرر كثيراً** : عبد الله وأحمد ومحمد ، **وجميع ألقاب الخلفاء أفراد إلى المستعصم** آخر الخلفاء العراقيين .

ثم كررت الألقاب في الخلفاء المصريين ، فكرر المستنصر ، والمستكفي ، والواثق ، والحاكم ، والمعتضد ، والمتوكل ، والمستعصم ، والمستعين ، والقائم ، والمستنجد .

وكلها لم تكرر غير مرة واحدة ، إلا المستكفي والمعتضد فكررا مرة أخرىٰ ، فتلقب بهما من الخلفاء العباسيين ثلاثة .

ولم يتلقب أحد من بني العباس بلقب أحد من بني عبيد إلا القائم ، والحاكم ، والظاهر ، والمستنصر ، وأما المهدي والمنصور . . فسبق التلقيب به لبني العباس قبل وجود بني عبيد .

قال بعضهم : **وما تلقب أحد بالقاهر فأفلح** ، لا من الخلفاء ولا من الملوك .

قلت : وكذا المستكفي والمستعين لُقِّب بكل منهما اثنان من بني العباس ،

---

(١) انظر « مآثر الإنافة » (٣/ ٣٧٠) .

(٢) انظر « الوافي بالوفيات » (٥/ ٩٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٣٨٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٢/ ٢٠) .

فخلعا ونفيا ، والمعتضد من أجلِّ الألقاب وأبركِهِ لمن لُقِّب به .

لم يَلِ الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا المقتفي بعد الراشد ، والمستنصر بعد المستعصم ، قاله الذهبي[١] .

قال : (ولم يَلِ الخلافة ثلاثة إخوة إلا أولاد الرشيد : الأمين والمأمون والمعتصم ، وأولاد المتوكل : المنتصر والمعتز والمعتمد ، وأولاد المقتدر : الراضي والمتقي والمطيع) .

قال : (وولي الأمر من أولاد عبد الملك أربعة ولا نظير لذلك إلا في الملوك)[٢] .

قلت : جاء له نظير في الخلفاء بعد الذهبي ، فولي الخلافة من أولاد المتوكل محمد أربعة ، بل خمسة : المستعين والمعتضد والمستكفي والقائم والمستنجد خليفة العصر .

[أوليات الخلفاء]

ولم يَلِ الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأبو بكر الطائع بن المطيع ، حصل لأبيه فالج ، فنزل لابنه عنها طوعاً .

قال العلماء : أول من ولي الخلافة وأبوه حي : أبو بكر ، وهو أول من عهد بها ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سمى المصحف مصحفاً .

أول من سمي أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو أول من اتخذ الدِّرة ، وأول من ورَّخ من الهجرة ، وأول من أمر بصلاة التراويح ، وأول من وضع الديوان .

أول من حمى الحِمَىٰ : عثمان ، وهو أول من أقطع الإقطاعات ؛ أي : أكثر من ذلك ، وأول من زاد الأذان الأول في الجمعة ، وأول من رَزَق المؤذنين ،

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٧) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٧ ـ ٤٠٨) .

وأول من أُرْتِج عليه في الخطبة ، وأول من اتخذ صاحب شرطة .

أول من استخلف ولي العهد في صحته : معاوية ، وهو أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته .

أول من حملت إليه الرؤوس : عبد الله بن الزبير .

أول من ضرب اسمه على السكة : عبد الملك بن مروان .

أول من منع من ندائه باسمه : الوليد بن عبد الملك .

أول ما حدثت الألقاب لبني العباس .

وقال ابن فضل الله : زعم بعضهم أن لبني أمية ألقاباً مثل ألقاب بني العباس .

قلت : ذكر بعض المؤرخين أن لقب معاوية : الناصر لدين الله[١] ، ولقب يزيد : المستنصر[٢] ، ولقب معاوية ابنه : الراجع إلى الحق[٣] ، ولقب مروان : المؤتمن بالله[٤] ، ولقب عبد الملك : الموفق لأمر الله[٥] ، ولقب ابنه الوليد : المنتقم بالله[٦] ، ولقب عمر بن عبد العزيز : المعصوم بالله[٧] ، ولقب يزيد بن عبد الملك : القادر بصنع الله[٨] ، ولقب يزيد الناقص : الشاكر لأنعم الله[٩] .

أول من تفرقت الكلمة في دولته : السفاح .

أول خليفة قرَّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم : المنصور ، وهو أول خليفة استعمل مواليه في الأعمال وقدمهم على العرب .

أول من أمر بتصنيف الكتب في الرد على المخالفين : المهدي .

---

(١) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٦٤) .
(٢) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٦٦) .
(٣) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٧٠) .
(٤) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٧٥) .
(٥) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٧٨) .
(٦) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٨١) .
(٧) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٨٩) .
(٨) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٩٣) .
(٩) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ١٠٦) .

أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف والأعمدة : الهادي .

أول من لعب بالصَّوالِجَة[1] في الميدان : الرشيد .

أول ما دعي وكتب للخليفة بلقبه : في أيام الأمين .

أول من أدخل الأتراك الديوان : المعتصم .

أول من أمر بتغيير أهل الذمة زيهم : المتوكل .

أول من تحكمت الأتراك من قتله : المتوكل ، وظهر بذلك تصديق الحديث النبوي ؛ كما أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اترُكُوا التُّركَ ما تَركُوكم ؛ فإن أول مَن يَسلُب أمتي مُلكَهم وما خوَّلَهم الله : بَنو قَنْطوراء »[2] .

أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة وصغر القلانس : المستعين .

أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب : المعتز .

أول خليفة قُهر وحجر عليه ووكل به : المعتمد .

أول من ولي الخلافة من الصبيان : المقتدر .

آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال : الراضي ؛ وهو آخر خليفة له شِعْر مدوَّن ، وآخر خليفة خطب وصلىٰ بالناس دائماً ، وآخر خليفة جالس النُّدَماء ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه ، وعطاياه وخدمه ، وجراياته وخزائنه ، ومطابخه ومشاربه ، ومجالسه وحجابه وأموره جاريةً علىٰ ترتيب الخلافة الأولىٰ ، وهو آخر خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء .

أول ما كررت الألقاب : من المستنصر الذي تولىٰ بعد المستعصم .

في « الأوائل » للعسكري : (أول خليفة ولي في حياة أمه : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم الهادي ، ثم الرشيد ، ثم الأمين ، ثم المتوكل ، ثم

---

(١) الصوالجة ـ جمع صَولجان ـ : وهو عصا يعطف طرفها ، يضرب بها الكرة على الدواب .

(٢) المعجم الكبير (١٠/ ١٨١) ، والمعجم الأوسط (٥٦٣٤) ، وبنو قنطوراء : الترك .

المنتصر ، ثم المستعين ، ثم المعتز ، ثم المعتضد ، ثم المطيع ، ولم يَلِ الخلافة أحد في حياة أبيه غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه)[1] ، وزيد عليه الطائع .

وقال الصولي : (لا تعرف امرأة ولدت خليفتين إلا وَلاَّدة : أم الوليد ، وسليمان ابني عبد الملك ، وشاه فرند[2] : أم يزيد الناقص ، وإبراهيم ابني الوليد ، والخَيْزُران : أم الهادي ، والرشيد) .

قلت : ويزاد أم العباس ، وحمزة ، وأم داوود ، وسليمان أولاد المتوكل الأخير[3] .

فائدة [١٧]

[في أسماء المتخلفين العبيديين]

المتسمون بالخلافة من العبيديين أربعة عشر ؛ ثلاثة بالمغرب : المهدي ، والقائم ، والمنصور ، وأحد عشر بمصر : المعز ، والعزيز ، والحاكم ، والظاهر ، والمستنصر ، والمستعلي ، والآمر ، والحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاضد .

وكان ابتداء مملكتهم : من سنة بضع وتسعين ومئتين ، وانقراضها : في سنة سبع وستين وخمس مئة .

قال الذهبي : (وهي الدولة المجوسية أو اليهودية لا العلوية ، والباطنية لا الفاطمية ، وكانوا أربعة عشر متخلفاً لا مستخلفاً) انتهى[4] .

---

(١) الأوائل (ص١٣٥ـ ١٣٧) .

(٢) في النسخ (شاهين) ، ولعل المثبت هو الصواب ، وانظر « الكامل » لابن الأثير (٤/ ٤٩٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/ ٣١١) ، و« النجوم الزاهرة » (١/ ٢٩٩) ، وما ذكره المصنف في ترجمة يزيد الناقص ، والله أعلم .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن المعتضد ، وهو قبل الأخير .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٩/ ٢٧٥) .

فائدة

[في خلفاء المغرب من الأمويين]

المتسمون بالخلافة من الأمويين بالمغرب كانوا أحسن حالاً من العبيديين بكثير ؛ إسلاماً وسنة ، وعدلاً وفضلاً وعلماً ، وجهاداً وغزواً ، وهم كثير ؛ حتىٰ إنه اجتمع بالأندلس في عصر واحد ستة كلهم تسمىٰ بالخلافة .

فائدة

[في المؤلفات بتواريخ الخلفاء]

أفرد تواريخ الخلفاء بالتأليف جماعة من المتقدمين ، منها :

- « تاريخ الخلفاء » لِنفْطَويه النحوي ، مجلدان ، انتهىٰ إلىٰ أيام القاهر .

- و« الأوراق » للصُّولي ، ذكر فيه العباسيين فقط وانتهىٰ إلىٰ......[1] وقفت عليه .

- و« تاريخ خلفاء بني العباس » لابن الجوزي ، رأيته أيضاً انتهىٰ فيه إلىٰ أيام الناصر .

- و« تاريخ الخلفاء » لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المَرْوَزي الكاتب ، أحد فحول الشعراء ، مات في سنة ثمانين ومئتين .

- و« تاريخ خلفاء بني العباس » للأمير أبي موسىٰ هارون بن محمد العباسي .

فائدة

[فيمن حفظ القرآن من الخلفاء]

أخرج الخطيب في « التاريخ » بسنده عن محمد بن عبَّاد قال : (لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان ، والمأمون)[2] .

---

(١) بياض في غير (ب ، جـ) ، وفيهما : (فقط وقفت عليه) وكانت وفاة العلامة المؤرخ الصولي سنة (٣٣٥هـ) في خلافة المطيع أبي الفضل بن المقتدر بالله .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠) .

قلت : وهـٰذا الحصر ممنوع ، بل حفظه أيضاً الصديق رضي الله عنه على الصحيح ، وصرح به جماعة منهم النووي في « تهذيبه »[1] ، وعلي رضي الله عنه ورد من طريق أنه حفظه كله بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

فائدة

[في لفظ بيعة الخلفاء]

قال ابن الساعي : (حضرت مبايعة الخليفة الظاهر ، فكان جالساً في شبَّاك القبة ؛ بثياب بيض وعليه الطرحة ، وعلىٰ كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، والوزير قائماً بين يديه علىٰ منبر ، وأستاذ الدار دونه بمرقاة ؛ وهو الذي يأخذ البيعة على الناس .

ولفظ المبايعة : أبايع سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة علىٰ جميع الأنام : أبا نصر محمد الظاهر بأمر الله علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ، واجتهاد أمير المؤمنين ، وأنْ لا خليفة سواه) انتهىٰ[3] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٤٠٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي داوود في « المصاحف » (٣١) من طريق محمد بن سيرين قال : (لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم . . أقسم عليٌّ ألا يرتدي برداء إلا لجمعة ؛ حتىٰ يجمع القرآن في مصحف ، ففعل ، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ قال : لا والله ؛ إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة ، فبايعه ثم رجع) . قال أبو بكر : لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث ، وهو لين الحديث ، وإنما رووا : (حتىٰ أجمع القرآن) يعني : أتم حفظه ؛ فإنه يقال للذي يحفظ القرآن : قد جمع القرآن .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٥/١١ـ١٢) .



الخلافة الرّاشدة

خلافة الصديق رضي الله عنه

[١١ـ ١٣هـ][١]

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه : عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي ، يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُرَّة .

قال النووي في « تهذيبه » : وما ذكرناه من أن اسم أبي بكر عبد الله . . هو الصحيح المشهور ، وقيل : اسمه عتيق ، والصواب الذي عليه كافة العلماء : أن عتيقاً لقبٌ له لا اسم ، ولُقِّب عتيقاً : لعتقه من النار ؛ كما ورد في حديث رواه الترمذي[٢] .

وقيل : لعتاقة وجهه ؛ أي : حسنه وجماله ، قاله الليث بن سعد وجماعة .

وقيل : لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به ، قاله مصعب بن الزبير وغيره .

وأجمعت الأمة علىٰ تسميته بالصديق ؛ لأنه بادر إلىٰ تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولازم الصدق ، فلم يقع منه هناة ما ، ولا وقفة في حال من الأحوال .

وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة ؛ منها :

ـ قصته يوم ليلة الإسراء ، وثباته وجوابه للكفار في ذلك .

ـ وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك عياله وأطفاله ، وملازمته في الغار وسائر الطريق .

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ١٦٩) ، و« تاريخ الطبري » (٣/ ٢٢٣) ، و« المنتظم » (٤/ ٥٣) ، و« أسد الغابة » (٣/ ٣٠٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ١٠٥) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٣٣) .

(٢) سنن الترمذي (٣٦٧٩) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنت عتيق الله من النار » .

ـ ثم كلامه يوم بدر ، ويوم الحديبية حين اشتبه علىٰ غيره الأمر في تأخر دخول مكة .

ـ ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عَبداً خيَّرَه الله بينَ الدُّنيا والآخِرَة »[1] .

ـ ثم ثباته في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطبته الناس وتسكينهم .

ـ ثم قيامه في قضية البيعة بمصلحة المسلمين .

ـ ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام ، وتصميمه في ذلك .

ـ ثم قيامه في قتال أهل الردة ، ومناظرته للصحابة حتىٰ حجَّهم بالدلائل ، وشرح الله صدورهم لما شرح له صدره من الحق ؛ وهو قتال أهل الردة .

ـ ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه وإمدادهم .

ـ ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه ، وأجل فضائله ؛ وهو استخلافه على المسلمين عمر رضي الله عنه ، وكم للصديق من موقف وأثر ومناقب وفضائل لا تحصىٰ !! هـٰذا كلام النووي[2] .

وأقول : قد أردت أن أبسط ترجمة الصديق بعض البسط ذاكراً جملة كثيرة مما وقفت عليه من حاله ، وأرتب ذلك فصولاً .

فَصْلٌ
في اسمه ولقبه

تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك[3] ، قال ابن كثير : (اتفقوا علىٰ أن اسمه :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨٩ـ ٣٩١) .
(٣) تقدم قريباً (ص ٩٩) .

عبد الله بن عثمان إلا ما روى ابن سعد عن ابن سيرين : أن اسمه عتيق[1] ، والصحيح : أنه لقبه)[2] .

ثم اختلف في وقت تلقيبه به ، وفي سببه ؛ فقيل : لعتاقة وجهه ؛ أي : جماله ، قاله الليث بن سعد وأحمد ابن حنبل وابن معين وغيرهم .

وقال : أبو نعيم الفضل بن دكين : لقدمه في الخير .

وقيل : لعتاقة نسبه ؛ أي : طهارته ؛ إذ لم يكن في نسبه شيء يعاب به .

وقيل : سمي به أولاً ، ثم سمي بعبد الله ؛ روى الطبراني عن القاسم بن محمد : أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن اسم أبي بكر فقالت : (عبد الله) ، فقال : إن الناس يقولون : عتيق ؟ قالت : (إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم : عتيقاً ومعتقاً ومعيتقاً)[3] .

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن موسى بن طلحة قال : قلت لأبي طلحة : لِمَ سمي أبو بكر عتيقاً ؟ قال : (كانت أمه لا يعيش لها ولد ، فلما ولدته . . استقبلت به البيت ، ثم قالت : اللهمَّ ؛ إن هـٰذا عتيق من الموت ، فهبه لي)[4] .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : (إنما سمي عتيقاً ؛ لحُسن وجهه)[5] .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (اسم أبي بكر الذي سماه به أهله : عبد الله ؛ ولكن غلب عليه اسم عتيق) ، وفي لفظٍ : (ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه عتيقاً)[6] .

وأخرج أبو يعلىٰ في « مسنده » ، وابن سعد ، والحاكم وصححه عن عائشة

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٥٦) .

(٢) في كتابه المفقود « سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه » ، والله أعلم .

(٣) المعجم الكبير (١/ ٥٣) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢١) .

(٥) المعجم الكبير (١/ ٥٤) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦) .

قالت : (والله ؛ إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء ، والستر بيني وبينهم ؛ إذ أقبل أبو بكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَن سَرَّه أن يَنظرَ إلىٰ عَتيقٍ من النارِ . . فَلْيَنظُر إلىٰ أبي بكر » وإن اسمه الذي سماه أهله لَعبد الله ، فغلب عليه اسم عتيق)[1] .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أبا بكرٍ ، أنتَ عتيقُ اللهِ من النارِ » فمِن يومئذٍ سُمِّي عتيقاً)[2] .

وأخرج البزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن الزبير قال : (كان اسم أبي بكر عبد الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتَ عتيقُ الله من النارِ » فسمي عتيقاً)[3] .

وأما الصديق . . فقيل : كان يلقب به في الجاهلية ؛ لِمَا عُرف منه من الصدق ، ذكره ابن مُسْدي ، وقيل : لمبادرته إلىٰ تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به .

قال ابن إسحاق : عن الحسن البصري وقتادة : (وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء) .

أخرج الحاكم في « المستدرك » عن عائشة رضي الله عنها قالت : (جاء المشركون إلىٰ أبي بكر فقالوا : هل لك إلىٰ صاحبك ؛ يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس ؟! قال : وقال ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : لقد صدق ؛ إني لأصدقه بأبعد من ذلك : بخبر السماء غدوة وروحة ؛ فلذلك سمي أبو بكر : الصديق) ، إسناده جيد[4] .

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٤٨٩٩) ، والطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٥٦) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٢) .
(٢) سنن الترمذي (٣٦٧٩) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٣٧٦) .
(٣) مسند البزار (٢٢١٣) ، والمعجم الكبير (١/ ٥٣) .
(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٢) .

وقد ورد ذلك من حديث أنس وأبي هريرة أسندهما ابن عساكر[١] ، وأم هانىء أخرجه الطبراني[٢] .

وقال سعيد بن منصور في « سننه » : حدثنا أبو مَعْشر ، عن أبي وهب مولىٰ أبي هريرة قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذي طُوىٰ . . قال : « يا جبريل ؛ إن قومي لا يصدقوني » قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق[٣] ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » موصولاً عن أبي وهب عن أبي هريرة[٤] .

وأخرج الحاكم عن النزَّال بن سَبْرة قال : قلنا لعلي : يا أمير المؤمنين ؛ أخبرنا عن أبي بكر ، فقال : (ذاك امرؤ سماه الله الصديق ؛ علىٰ لسان جبريل ، وعلىٰ لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا) ، إسناده جيد[٥] .

وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي تِحيىٰ قال : لا أحصي كم سمعت علياً يقول على المنبر : (إن الله سمىٰ أبا بكر علىٰ لسان نبيه صديقاً)[٦] .

وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال : (سمعت علياً يحلف ؛ لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق)[٧] .

وفي حديث أُحُد : « اسْكُن ؛ فإنَّما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدان »[٨] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٥٥) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه عن سيدنا أنس رضي الله عنه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (١/ ٣٠٩) ، وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ١٥٦) .

(٢) المعجم الكبير (١/ ٥٥) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١٥٦) من طريق أبي معشر رحمه الله تعالىٰ .

(٤) المعجم الأوسط (٧١٧٣) .

(٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٢) ، واللفظ للعشاري في « فضائل أبي بكر » (١١) ، وانظر « كنز العمال » (٣٦٦٩٨) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٧٥) من طريق الدارقطني ، أبو تِحيىٰ : هو حكيم بن سعد ، وتصحَّف الاسم في كل المطبوعات إلىٰ : (يحيىٰ) !!

(٧) المعجم الكبير (١/ ٥٥) ، وأخرجه الحاكم (٣/ ٦٢) .

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٩٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

وأم أبي بكر : بنت عم أبيه ، اسمها : سلمىٰ بنت صخر بن عامر بن كعب ، وتكنىٰ أم الخير ، قاله الزهري ، أخرجه ابن عساكر[1] .

فَصْلٌ
في مولده ومنشئه

ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر ؛ فإنه مات وله ثلاث وستون سنة .

قال ابن كثير : (وأما ما أخرجه خليفة بن خياط عن يزيد بن الأصم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « أَنا أَكبرُ أو أنتَ ؟ » قال : « أنت أكبر وأنا أسن منك »[2] . . فهو مرسل غريب جداً ، والمشهور خلافه ، وإنما صح ذلك عن العباس)[3] .

وكان منشؤه بمكة ، لا يخرج منها إلا لتجارة ، وكان ذا مال جزيل في قومه ، ومروءة تامة ، وإحسان وتفضل فيهم ؛ كما قال له ابن الدَّغِنَة : (إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم ، وتعين علىٰ نوائب الدهر ، وتقري الضيف)[4] .

قال النووي : (وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ، ومحبباً فيهم ، ومَألفاً لهم ، فلما جاء الإسلام . . آثره علىٰ ما سواه ، ودخل فيه أكمل دخول)[5] .

وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خَرَّبُوذ قال : (إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحدُ عشرة من قريش اتصل لهم شرف الجاهلية بشرف

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٤) .
(٢) تاريخ خليفة (ص١٢١) ، وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٧٨٠) : (وهـٰذا الخبر لا يعرف إلا بهـٰذا الإسناد ، وأحسبه وهماً) ، وقال ابن حجر في « الفتح » (٧/ ٢٥١) : (هو كما ظن) .
(٣) لعله في كتابه المفقود « سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه » ، والله أعلم .
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٩٧) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٩٢) .

الإسلام ؛ فكان إليه أمر الديات والغرم)[1] وذلك أن قريشاً لم يكن لها مَلِكٌ ترجع الأمور كلها إليه ، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها .

فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ، ومعنىٰ ذلك : أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم .

وكانت في بني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة ؛ أي : لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم ، وإذا عقدت قريش رايةَ حرب.. عقدها لهم بنو عبد الدار ، وإذا اجتمعوا لأمر إبراماً أو نقضاً.. لا يكون اجتماعهم لذلك إلا في دار الندوة ، ولا ينفذ إلا بها ، وكانت لبني عبد الدار .

فَصْلٌ

[خُلُقه في الجاهلية رضي الله عنه]

كان أبو بكر من أعف الناس في الجاهلية ؛ أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : (والله ؛ ما قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام ، لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية)[2] .

وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت : (لقد حرَّم أبو بكر الخمر علىٰ نفسه في الجاهلية)[3] .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال : (ما قال أبو بكر شعراً قط)[4] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي العالية الرِّياحي قال : قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شربت الخمر في الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله ، فقيل : ولِمَ ؟ قال : كنت أصون عرضي وأحفظ

(١) جمهرة نسب قريش (٢/ ٥٨٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٤) .
(٣) معرفة الصحابة (١٠٩ و١١٠) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٤) .

مروءتي ؛ فإن من شرب الخمر . . كان مضيعاً في عرضه ومروءته ، قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صَدَق أبو بكرٍ ، صَدَق أبو بكرٍ » مرتين ، مرسل غريب سنداً ومتناً[١] .

فصل

في صفته

أخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً قال لها : صفي لنا أبا بكر ، فقالت : (رجل أبيض ، نحيف خفيف العارضين ، أجنأ[٢] ، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حَقْويه[٣] ، معروق الوجه[٤] ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عاري الأشاجع[٥] ، هٰذه صفته)[٦] .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكَتَم)[٧] .

وأخرج عن أنس قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر ، فغلفها بالحناء والكَتَم)[٨] .

فصل

في إسلامه

أخرج الترمذي وابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري قال : قال

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٣) .
(٢) الجنأ : ميل الظهر .
(٣) الحقو : الخاصرة .
(٤) معروق الوجه : قليل لحم الوجه .
(٥) الأشاجع : مفاصل الأصابع ؛ أي : كان اللحم عليها قليلاً .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٢) .
(٧) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٢) ، والكتم : من نبات الجبل ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقاً .
(٨) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٤) ، والأشمط : الذي خالط شعره بياض .

أبو بكر رضي الله عنه : (ألستُ أحقَّ الناس بها ؟! ألست أول من أسلم ؟! ألست صاحب كذا ؟! ألست صاحب كذا ؟!)[1] .

وأخرج ابن عساكر من طريق الحارث ، عن علي رضي الله عنه قال : (أول من أسلم من الرجال : أبو بكر)[2] .

وأخرج خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال : (أول من صلىٰ مع النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق)[3] .

وأخرج ابن سعد عن أبي أَروى الدَّوسي الصحابي رضي الله عنه قال : (أول من أسلم : أبو بكر الصديق)[4] .

وأخرج الطبراني في « الكبير » وعبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن الشعبي قال : سألت ابن عباس : أي الناس كان أول إسلاماً ؟ قال : أبو بكر الصديق ؛ ألم تسمع قول حسان : [من البسيط]

إذا تذكرتَ شَجْواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خيرَ البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمودَ مشهدُه وأولَ الناس منهم صدق الرسلا[5]

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون بن مهران قلت : عليٌّ أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ قال : فارتعد حتىٰ سقطت عصاه من يده ، ثم قال : (ما كنت أظن أن أبقىٰ إلىٰ زمان يعدل بهما ، لله دَرُّهما !! كانا رأسي الإسلام) .

قال : فقلت : فأبو بكر كان أول إسلاماً أو علي ؟ قال : (والله ؛ لقد آمن

---

(١) سنن الترمذي (٣٦٦٧) ، وصحيح ابن حبان (٦٨٦٣) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٨) .
(٣) حديث خيثمة (ص١٣٠) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٥٧) .
(٥) المعجم الكبير (١٢/ ٨٩) ، والزهد لأحمد (١١٢) ، وانظر ما قاله الرازي في « العلل » (٦/ ٤٤٧) ، والأبيات في « ديوان حسان » (١/ ١٢٥) .

أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مر به ، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتىٰ أنكحها إياه ، وذلك كله قبل أن يولد علي)[1] .

وقد قال : إنه أول من أسلم خلائقُ من الصحابة والتابعين وغيرهم ، بل ادعىٰ بعضهم الإجماع عليه ، وقيل : أول من أسلم : علي ، وقيل : خديجة .

ويجمع بين الأقوال : بأن أبا بكر : أول من أسلم من الرجال ، وعلياً : أول من أسلم من الصبيان ، وخديجة : أول من أسلم من النساء ، وأول من ذكر هٰذا الجمع : الإمام أبو حنيفة رحمه الله ، أخرجه عنه . . . .[2] .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن سالم بن أبي الجَعْد قال : قلت لمحمد ابن الحنفية : هل كان أبو بكر أول القوم إسلاماً ؟ قال : (لا) ، قلت : فبِمَ علا أبو بكر وسبق حتىٰ لا يذكر أحد غير أبي بكر ؟ قال : (لأنه كان أفضلهم إسلاماً حين أسلم حتىٰ لحق بربه)[3] .

وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال لأبيه سعد : أكان أبو بكر الصديق أولكم إسلاماً ؟ قال : (لا ؛ ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة ، ولكن كان خيرنا إسلاماً)[4] .

قال ابن كثير : (الظاهر : أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد ؛ زوجته خديجة ، ومولاه زيد ، وزوجة زيد أم أيمن ، وعلي ، وورقة) انتهىٰ .

وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد قال : قال أبو بكر الصديق : (كنت جالساً بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نُفيل قاعداً ، فمر به أمية ابن أبي الصَّلْت ، فقال : كيف أصبحت يا باغي الخير ؟ قال : بخير ، قال : هل

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ٩٢ـ ٩٣) .

(٢) بياض في الأصول كلها ، وذكر السخاوي في « فتح المغيث » (٤/ ١٢٦) أن الحاكم أخرجه في « تاريخ نيسابور » .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٥٩٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٤٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٥) .

وجدت ؟ قال : لا ، فقال : [من الخفيف]

كـل ديـنٍ يـومَ القيـامـةِ إلا ما قضـى اللهُ فـي الحنيفـةِ بـورُ

أما إن هـٰذا النبي الذي يُنتظر . . منا أو منكم ؟ قال : ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ولا يبعث ، قال : فخرجت أريد ورقة بن نوفل ، وكان كثير النظر إلى السماء ، كثير همهمة الصدر ، فاستوقفته ، ثم قصصت عليه الحديث ، فقال : نعم يا بن أخي ؛ إنا أهل الكتب والعلماء ، ألا إن هـٰذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسباً ـ ولي علم بالنسب ـ وقومك أوسط العرب نسباً ، قلت : يا عم ؛ وما يقول النبي ؟ قال : يقول ما قيل له ، إلا أنه لا يظلم ولا يظالم ، قال : فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . آمنت به وصدقته)[(١)] .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن الحصين التميمي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام . . إلا كانت له عنه كَبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه »[(٢)] .

عتم : أي : تلبث .

قال البيهقي : (وهـٰذا لأنه كان يرىٰ دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسمع آثاره قبل دعوته ، فحين دعاه . . كان قد سبق له فيه تفكر ونظر ، فأسلم في الحال) .

ثم أخرج عن أبي ميسرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا برز . . سمع من يناديه : يا محمد ، فإذا سمع الصوت . . انطلق هارباً ، فأسرَّ ذلك إلىٰ أبي بكر ؛ وكان صديقاً له في الجاهلية)[(٣)] .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كَلَّمتُ في الإسلامِ أَحداً . . إلاَّ أَبَىٰ عليَّ ورَاجَعَني الكلامَ ، إلاَّ

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٥) ، والبيت في « ديوان أمية » (ص ٣٩٣) .
(٢) سيرة ابن إسحاق (١٧٨) .
(٣) دلائل النبوة (٢/ ١٦٤ـ ١٦٥) .

ابن أبي قُحافة ؛ فإنِّي لم أكلِّمه في شيءٍ . . إلا قَبِله واستَقَام عليه »[1] .

وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ إني قلت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت »[2] .

فَصْلٌ

في صحبته ومشاهده

قال العلماء : صحب أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلىٰ أن توفي ؛ لم يفارقه سفراً ولا حضراً إلا فيما أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج أو غزو ، وشهد معه المشاهد كلها ، وهاجر معه وترك عياله وأولاده ؛ رغبةً في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو رفيقه في الغار ، قال تعالىٰ : ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع ، وله الآثار الجميلة في المشاهد ، وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس ؛ كما سيأتي في (فصل شجاعته رضي الله عنه) .

أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : (تباشرت الملائكة يوم بدر فقالوا : أما ترون أبا بكر الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ؟!)[3] .

وأخرج أحمد وأبو يعلىٰ والحاكم عن علي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبي بكر : « مع أَحدِكما جبريلُ ، ومع الآخرِ ميكائيلُ »[4] .

---

(١) أخبار أصبهان (٢/ ٢٩٧) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ٤٤) .

(٢) صحيح البخاري (٤٦٤٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٩٦) .

(٤) مسند أحمد (١/ ١٤٧) ، ومسند أبي يعلىٰ (٣٤٠) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٨) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين : أن عبد الرحمـٰن بن أبي بكر الصديق كان يوم بدر مع المشركين ، فلما أسلم.. قال لأبيه : لقد أَهْدَفت لي يوم بدر فصرفت عنك ولم أقتلك ، فقال له أبو بكر : (لكنك لو هَدَفت لي.. لم أنصرف عنك)[1] .

قال ابن قتيبة : (معنىٰ « أهدفت » : أشرفت ؛ ومنه قيل للبناء المرتفع : هدف)[2] .

فصل
في شجاعته وأنه أشجع الصحابة

أخرج البزار في « مسنده » عن علي أنه قال : (أخبروني من أشجع الناس ؟) قالوا : أنت ، قال : (أما إني ما بارزت أحداً.. إلا انتصفت منه ، ولكن أخبروني بأشجع الناس) .

قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : (أبو بكر ؛ إنه لما كان يوم بدر.. جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين ، فوالله ؛ ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف علىٰ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يهوي إليه أحد.. إلا أهوىٰ إليه ، فهـٰذا أشجع الناس) .

قال علي : (ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهـٰذا يجؤه[3] ، وهـٰذا يتلتله[4] ، وهم يقولون : أنت الذي جعلت الآلهة إلـٰهاً واحداً ؟! قال : فوالله ؛ ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هـٰذا ، ويجأ هـٰذا ، ويتلتل هـٰذا وهو يقول : ويلكم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/١٢٨) ، وفيه : (لو أهدفت) .

(٢) غريب الحديث (١/٥٧٨) .

(٣) يجؤه : يضربه .

(٤) يتلتله : يخيسه ويذلله .

ثم رفع علي بردة كانت عليه ، فبكىٰ حتى اخضلَّتْ لحيته ، ثم قال : (أنشدكم بالله ؛ أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟) فسكت القوم ، فقال : (ألا تجيبوني ؟ فوالله ؛ لساعةٌ من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون[1] ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهـٰذا رجل أعلن إيمانه)[2] .

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاصي عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (رأيت عقبة بن أبي مُعيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتىٰ دفعه عنه ، فقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾)[3] .

وأخرج الهيثم بن كليب في « مسنده » عن أبي بكر قال : (لما كان يوم أحد . . انصرف الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أول من فاء)[4] وسيأتي تتمة الحديث في مسند ما رواه[5] .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً . . ألحَّ أبو بكر علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال : « يا أَبا بكرٍ ؛ إنَّا قليلٌ » فلم يزل أبو بكر يلح علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلىٰ رسوله ، وثار المشركون علىٰ أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي

---

(١) في « مسند البزار » ، و« كنز العمال » (٣٥٦٩٠) : (خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون) .

(٢) مسند البزار (٧٦١) .

(٣) صحيح البخاري (٣٦٧٨) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٠٠٢٥) وعزاه للشاشي ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٦٩٨٠) .

(٥) انظر ما سيأتي (ص ١٨٣) لـٰكنه أشار إليه ولم يذكره .

المسجد ضرباً شديداً)[1] وسيأتي تتمة الحديث في ترجمة عمر رضي الله عنه[2] .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : (لما أسلم أبو بكر . . أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلىٰ رسوله)[3] .

فصل

في إنفاقه ماله علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أجود الصحابة

قال تعالىٰ : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ . . . ﴾ إلىٰ آخر السورة ، قال ابن الجوزي : (أجمعوا علىٰ أنها نزلت في أبي بكر)[4] .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نَفَعني مالٌ قط ما نَفَعني مالُ أبي بكرٍ » فبكىٰ أبو بكر ، وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ ![5] .

وأخرج أبو يعلىٰ من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً مثله[6] .

قال ابن كثير : وروي أيضاً من حديث علي[7] ، وابن عباس[8] ، وأنس[9] ، وجابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم[10] .

وأخرج الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلاً ، وزاد : (وكان رسول الله

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٦) .
(٢) انظر ما سيأتي (ص ٢١٠ـ ٢١٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٤) .
(٤) انظر « زاد المسير » (٩/ ١٥٢) .
(٥) مسند أحمد (٢/ ٢٥٣) .
(٦) مسند أبي يعلىٰ (٤٤١٨) .
(٧) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٥٨) .
(٨) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ٧٥) .
(٩) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٦٢) .
(١٠) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٣٤١) .

صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه)[1] .

وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة بن الزبير : (أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار ـ وفي لفظ : أربعون ألف درهم ـ فأنفقها علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (أسلم أبو بكر يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم ، فخرج إلى المدينة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف ، كل ذلك ينفق في الرقاب والعون على الإسلام)[3] .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر أعتق سبعةً كلَّهم يُعذَّب في الله)[4] .

وأخرج ابن شاهين في « السنة » ، والبغوي في « تفسيره » ، وابن عساكر عن ابن عمر قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلَّلها في صدره بخلال ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ؛ ما لي أرىٰ أبا بكر عليه عباءة قد خلَّلها في صدره بخلال ؟! فقال : « يا جبريل ؛ أنفق ماله عليَّ قبل الفتح » ، قال : فإن الله يقرأ عليه السلام ويقول : « قل له : أراضٍ أنت عني في فقرك هـٰذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر : أسخط علىٰ ربي ؟! أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راض ، غريب وسنده ضعيف جداً[5] .

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله ، وسندهما ضعيف أيضاً ، وأخرج ابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس[6] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٣٩٧) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٥٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٦ـ ٦٧) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٦٨) من طريق ابن الأعرابي رحمه الله تعالىٰ .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٧) .
(٥) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (١٢٤) ، وتفسير البغوي (٨/ ٣٤) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ٧١) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٠/ ٧٣) ، وهو من طريق الخطيب في « تاريخه » ولفظه الآتي .

وأخرج الخطيب بسندٍ واهٍ أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هَبَط عليَّ جبريلُ وعليه طِنْفِسة وهو متخلِّلٌ بها ، فقلت : يا جبريل ؛ ما هـٰذا ؟ قال : إن الله أمر الملائكة أن تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض »[١] .

قال ابن كثير : (منكر جداً ، قال : ولولا أن هـٰذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس . . لكان الإعراض عنهما أولىٰ)[٢] .

وأخرج أبو داوود والترمذي عن عمر بن الخطاب قال : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر إنْ سبقتُه يوماً ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أَبقيتَ لأهلِكَ ؟ » قلت : مثله ، وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : « يا أبا بكرٍ ؛ ما أَبقيتَ لأهلِكَ ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقه إلىٰ شيء أبداً) قال الترمذي : حسن صحيح[٣] .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن الحسن البصري : أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها ، فقال : يا رسول الله ؛ هـٰذه صدقتي ، ولله عندي معاد ، وجاء عمر بصدقته فأظهرها ، فقال : يا رسول الله ؛ هـٰذه صدقتي ولي عند الله معاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين صَدقَتَيكما كما بينَ كَلِمَتيكُما » ، إسناده جيد لكنه مرسل[٤] .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما لأحدٍ عندنا يدٌ . . إلاَّ وَقَد كافَأْناه ، إلاَّ أَبا بكر ؛ فإنَّ له عندنا يداً يُكافئه اللهُ بها يومَ القيامةِ ، وما نَفَعني مالُ أَحَد قطُّ ما نَفَعني مالُ أبي بكرٍ »[٥] .

وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : جئت بأبي قُحافة إلى

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٤٤١) .
(٢) لعله في كتابه المفقود « سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه » ، والله أعلم .
(٣) سنن أبي داوود (١٦٧٨) ، وسنن الترمذي (٣٦٧٥) .
(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٢) .
(٥) سنن الترمذي (٣٦٦١) .

النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « هلاَّ تركتَ الشيخَ حتىٰ آتِيه ؟ » قال : بل هو أحق أن يأتيك ، قال : « إنَّا نَحفَظُه لأَيادِي ابنهِ عندنا »[1] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحدٌ عندي أعظمَ يداً من أبي بكر ، وَاسَاني بنَفسِه ومالِه ، وأَنكَحَني ابنَتَه »[2] .

فَصْلٌ

في علمه وأنه أعلم الصحابة وأذكاهم

قال النووي في « تهذيبه » ومن خطه نقلت : (استدل أصحابنا علىٰ عظم علمه بقوله رضي الله عنه في الحديث الثابت في « الصحيحين » : « والله ؛ لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله ؛ لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقاتلتهم علىٰ منعه »[3] .

واستدل الشيخ أبو إسحاق بهـٰذا وغيره في « طبقاته » : علىٰ أن أبا بكر أعلم الصحابة ؛ لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكمة في المسألة إلا هو ، ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه .

وروينا عن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : « أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ما أعلم غيرهما » .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : « إنَّ الله تباركَ وتعالَىٰ خيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عندَه ، فاختَارَ ذلك العبدُ ما عند الله » فبكىٰ أبو بكر وقال : بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدٍ خُيِّر ، فكان

---

(١) مسند البزار (٧٩) ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٥٠) ، وقال : (وفيه عبد الله بن عبد الملك الفهري ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٠) .

(٣) صحيح البخاري (١٤٠٠) ، وصحيح مسلم (٢٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر ، وكان أبو بكر **أَعلَمنا** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ مِن أَمَنِّ الناسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِهِ أبا بكرٍ ، ولو كنتُ متَّخذاً خَليلاً غيرَ ربِّي . . لاتَّخذتُ أبا بكرٍ ، ولكن أخوةُ الإسلامِ ومودَّتُه ، لا يبقينَّ بابٌ إلا سُدَّ إلا بابَ أبي بكرٍ** ») هـٰذا كلام النووي[1] .

وقال ابن كثير : (**كان الصديق رضي الله عنه أقرأ الصحابة** ـ أي : أعلمهم بالقرآن ـ لأنه صلى الله عليه وسلم قدَّمه إماماً للصلاة بالصحابة مع قوله : « **يؤمُّ القومَ أَقرؤهم لكتابِ اللهِ** »)[2] .

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يَنبغي لقومٍ فيهم أبو بكرٍ أن يؤمَّهم غيرُه** »[3] .

وكان مع ذلك **أعلمهم بالسنة** ؛ كما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سننٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها هو ، ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أول البعثة إلى الوفاة ؟! وهو مع ذلك من أذكىٰ عباد الله وأعقلهم .

وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل ؛ لقصر مدته ، وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا : **فلو طالت** مدته . . **لكثر ذلك عنه** جداً ، ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه عنه ، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحدهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته ، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم .

وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال : (**كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم . . نظر في كتاب الله** ؛ فإن وجد فيه ما يقضي بينهم . . قضىٰ به ، وإن

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٤) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) ، (٢/ ٤٠٥ـ٤٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٣) ، وأبو داوود (٥٨٢) ، والترمذي (٢٣٥) ، وابن ماجه (٩٨٠) ، والنسائي (٢/ ٧٧) من حديث سيدنا أبي مسعود البدري رضي الله عنه ، وانظر « البداية والنهاية » (٥/ ٢٣٦) .

(٣) سنن الترمذي (٣٦٧٣) .

لم يكن في الكتاب ، وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة . . قضىٰ به ، فإن أعياه . . خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضىٰ في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع أمرهم علىٰ رأي . . قضىٰ به)[1] .

وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة . . نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضىٰ فيه بقضاء . . قضىٰ به ، وإلا . . دعا رؤوس المسلمين ، فإذا اجتمعوا علىٰ أمر . . قضىٰ به .

وكان الصديق رضي الله عنه مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب ، لا سيما قريش .

أخرج ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، عن شيخ من الأنصار قال : (كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر الصديق من أنسب العرب)[2] .

وكان الصديق مع ذلك غاية في علم تعبير الرؤيا ، وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد قال محمد بن سيرين ـ وهو المقدَّم في هـٰذا العلم بالاتفاق ـ : (كان أبو بكر أعبر هـٰذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم) أخرجه ابن سعد[3] .

وأخرج الديلمي في « مسند الفردوس » وابن عساكر عن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمرت أن أُؤوِّل الرؤيا أبا بكر » قال ابن كثير : غريب[4] .

---

(١) أخرجه الدارمي (١٦٣) .

(٢) السيرة النبوية (١/١١) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/١٦١) ، وجاء في مطبوعه : (أغير) ، وفي « أنساب الأشراف » (١٠/٦٦) ، و« تاريخ دمشق » (٣٠/٣٢٨) ما يدل علىٰ أنه أراد تعبير الرؤيا .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠/٢١٨) ، ولم نقف عليه في مطبوع « الفردوس » ، ولفظ الديلمي : « أمرت أن أولِّي =

وكان من أفصح الناس وأخطبهم ؛ قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : (خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما)[1] .

وسيأتي في حديث السقيفة قول عمر رضي الله عنه : (وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم له)[2] .

وسيأتي من كلامه في ذلك ، وفي تعبير الرؤيا ، ومن خطبه جملة في فصل مستقل[3] .

ومن الدال علىٰ أنه أعلم الصحابة : حديث صلح الحديبية ، حيث سأل عمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح وقال : (علام نُعطي الدنيةَ في ديننا ؟!) فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهب إلىٰ أبي بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجابه الصديق بمثل ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم سواء بسواء . أخرجه البخاري وغيره[4] .

وكان مع ذلك أسدَّ الصحابة رأياً وأكملهم عقلاً ؛ أخرج تمَّام الرازي في « فوائده » وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَتاني جبريلُ فقال : إنَّ اللهَ يأمرُك أن تَستَشِير أبا بكرٍ »[5] .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يسرح معاذاً إلى اليمن . . استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأسيد بن حضير ، فتكلم القوم كل

= الرؤيا أبا بكر » كما في « كنز العمال » (٣٢٥٥٢) ، وهو كذلك عند أحمد في « فضائل الصحابة » (٦٢٣) ، وأورده الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص٥٨) بلفظ : « أمرت أن أؤول الرؤيا علىٰ أبي بكر » .

(١) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٣٠٥٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٣٥) من طريق الزبير بن بكار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ١٥٣) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٩٦ ، ٢٠٢) .

(٤) صحيح البخاري (٣١٨٢) ، وصحيح مسلم (١٧٨٥) من حديث سيدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه .

(٥) فوائد تمام (١٤٧٨) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ١٢٩) .

إنسان برأيه ، فقال : « ما تَرَىٰ يا معاذُ ؟ » فقلت : أرىٰ ما قال أبو بكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يكره فوقَ سمائه أن يُخطَّأ أبو بكر »[1] .

ورواه ابن أبي أسامة في « مسنده » بلفظ : « إنَّ الله يكره في السماءِ أن يُخطَّأ أبو بكر الصديق في الأرضِ »[2] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يكره أن يخطأ أبو بكر » رجاله ثقات[3] .

فَصْلٌ

[في أن الصديق رضي الله عنه حافظ لكتاب الله]

قال النووي في « تهذيبه » : (الصديق رضي الله عنه أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله)[4] ، وذكر هـٰذا أيضاً جماعةٌ منهم ابن كثير في « تفسيره »[5] .

وأما حديث أنس : (جمع القرآن علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة)[6] . . فمراده من الأنصار ؛ كما أوضحته في كتاب « الإتقان »[7] .

وأما ما أخرجه ابن أبي داوود عن الشعبي قال : (مات أبو بكر الصديق ولم يجمع القرآن كله)[8] . . فهو مدفوع ، أو مؤول علىٰ أن المراد : جمعه في المصحف على الترتيب الذي صنعه عثمان رضي الله عنه .

---

(١) المعجم الكبير (٢٠/٦٧) ، وأخبار أصبهان (٢/١٧٤) ، وفضائل الصحابة (٦٥٩) ، ومسند الشاشي (١٣٤١) ، ويسرح : يرسل .

(٢) بغية الباحث (٩٥٦) .

(٣) المعجم الأوسط (٣٩٤٩) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٤٠٨) .

(٥) انظر « فضائل القرآن » (ص ٥٤) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٨١٠) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

(٧) الإتقان في علوم القرآن (١/٢٢٣) .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٠١٤) ، ومن طريقه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١٠/٩٧) .

فَصْلٌ

في أنه أفضل الصحابة وخيرهم

أجمع أهل السنة علىٰ أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم سائر العشرة ، ثم باقي أهل بدر ، ثم باقي أهل أحد ، ثم باقي أهل البيعة ، ثم باقي الصحابة ، هٰكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادي .

روى البخاري عن ابن عمر قال : (كنا نُخيِّر بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنخيِّر أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان رضي الله عنهم)[1] .

زاد الطبراني في « الكبير » : (فيعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره)[2] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال : (كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضِّل أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً)[3] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : (كنا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول : أفضل هٰذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نسكت)[4] .

وأخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال : قال عمر لأبي بكر : يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذاك . . فلقد سمعته يقول : « ما طَلَعت الشمسُ علىٰ رجلٍ خيرٍ من عمر »[5] .

وأخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : (أبو بكر) ، قلت : ثم

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٥) .
(٢) المعجم الكبير (١٢/ ٢٨٥) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٤٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٤٧) .
(٥) سنن الترمذي (٣٦٨٤) .

من ؟ قال : (عمر) ـ وخشيت أن يقول : عثمان ـ قلت : ثم أنت ؟ قال : (ما أنا إلا رجل من المسلمين)[1] .

وأخرج أحمد وغيره عن علي قال : (خير هٰذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر وعمر)[2] ، قال الذهبي : (هٰذا متواتر عن علي ، فلعن الله الرافضة ما أجهلهم)[3] .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب قال : (أبو بكر سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم)[4] .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ : أن عمر صعد المنبر ثم قال : (ألا إن أفضل هٰذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير هٰذا.. فهو مُفترٍ ، عليه ما على المفتري)[5] .

وأخرج أيضاً عن ابن أبي ليلىٰ قال : قال علي : (لا يفضلني أحد علىٰ أبي بكر وعمر.. إلا جلدته حد المفتري)[6] .

وأخرج عبد بن حميد في « مسنده » ، وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما طَلَعت الشمسُ ولا غَربت علىٰ أحد أفضلَ من أَبي بَكرٍ إلا أن يَكون نبيٌّ »[7] .

وفي لفظ : « علىٰ أحدٍ بعد النبيينَ والمُرسلين أَفضل من أبي بكرٍ »[8] .

وقد ورد أيضاً من حديث جابر ؛ ولفظه : « ما طَلَعت الشمسُ علىٰ أحدٍ منكم أفضلَ منه » أخرجه الطبراني وغيره[9] ، وله شواهد من وجوه أخر تقضي له

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٧١) .
(٢) مسند أحمد (١/ ١١٠) ، والمعجم الكبير (١/ ١٠٧) .
(٣) تاريخ الإسلام (٣/ ١١٥) .
(٤) سنن الترمذي (٣٦٥٦) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٦) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٤٣) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٨٣) .
(٧) مسند عبد بن حميد (٢١٢) ، وحلية الأولياء (٣/ ٣٢٥) .
(٨) هو لفظ أبي نعيم في « حلية الأولياء » .
(٩) المعجم الأوسط (٧٣٠٢) .

بالصحة أو الحسن ، وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته .

وأخرج الطبراني عن سلمة بن الأكوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبو بكرٍ الصديقُ خيرُ الناسِ إلا أن يكون نبي »[1] .

وفي « الأوسط » عن سعد بن زرارة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ روحَ القدسِ جبريلَ أخبرني : أنَّ خيرَ أمتِكَ بعدَكَ أبو بكرٍ »[2] .

وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاصي قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمرُ بن الخطاب »[3] ، وقد ورد هـٰذا الحديث بدون : « ثم عمر » من رواية أنس[4] ، وابن عمر[5] ، وابن عباس[6] .

وأخرج الترمذي ، والنسائي ، والحاكم وصحَّحه عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة : أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحبَّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : (أبو بكر) ، قلت : ثم مَن ؟ قالت : (ثم عمر) ، قلت : ثم مَن ؟ قالت : (أبو عبيدة ابن الجراح)[7] .

وأخرج الترمذي وغيره عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : « هـٰذانِ سَيِّدا كُهولِ أهلِ الجنَّة من الأَوَّلين والآخِرين إلا النبيينَ والمرسلينَ »[8] ، وأخرج مثله عن علي[9] ، وفي الباب عن ابن عباس[10] ،

---

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٤٧) ، وعزاه للطبراني .

(٢) المعجم الأوسط (٦٤٤٨) .

(٣) صحيح البخاري (٤٣٥٨) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٤) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٩٠) ، وابن ماجه (١٠١) .

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/ ٤٢٥) ، ومن طريقه به ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ١٣٦ـ١٣٧) .

(٦) أخرجه الحارث بن أبي أسامة ؛ كما في « بغية الباحث » (٩٥٨) .

(٧) سنن الترمذي (٣٦٥٧) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٢٠١) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٧٣) .

(٨) سنن الترمذي (٣٦٦٤) ، ومسند البزار (٧٢٢٤) ، والمختارة (٢٢٦٠) .

(٩) سنن الترمذي (٣٦٦٥) ، ومسند أحمد (١/ ٨٠) .

(١٠) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٢١٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ١٨١) .

وابن عمر[١] ، وأبي سعيد الخدري[٢] ، وجابر بن عبد الله[٣] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن عمار بن ياسر قال : (**من فضَّل علىٰ أبي بكرٍ وعمرَ أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقد أَزْرىٰ على المهاجرين والأنصار**)[٤] .

وأخرج ابن سعد عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « **هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟** » قال : نعم ، فقال : « **قل وأنا أسمع** » فقال : [من البسيط]

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنيفِ وقد ... طافَ العدوّ به إذ صعدَ الجَبَلا
وكان حِبَّ رسول الله قد عَلِموا ... من البريَّة لم يَعدِل به رَجُلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه ، ثم قال : « **صَدَقت يا حسانُ ؛ هو كما قلتَ** »[٥] .

فصل

[في أن أبا بكر رضي الله عنه أرحم الناس بالأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم]

روىٰ أحمد والترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أَرحَمُ أُمتي بأُمتي : أبو بكرٍ ، وأشدُّهم في أمرِ الله : عُمر ، وأصدَقُهم حياءً : عثمانُ ، وأعلَمُهم بالحلالِ والحرامِ : معاذُ بن جبل ، وأفرَضُهم : زيدُ بن ثابتٍ ، وأَقرؤهم : أبيُّ بن كعب ، ولكلِّ أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هـٰذه الأمةِ : أبو عبيدةَ ابنُ الجراحِ** »[٦] .

---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٥٧٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ١٧٢ـ ١٧٣) .
(٢) أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٢١٩) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٤٣١) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨٨٠٨) .
(٤) المعجم الأوسط (٨٣٢) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٥٩) ، والبيتان في « ديوان حسان » (١/ ١٢٥) .
(٦) مسند أحمد (٣/ ٢٨١) ، وسنن الترمذي (٣٧٩٠) .

وأخرجه أبو يعلىٰ من حديث ابن عمر ، وزاد فيه : « وأَقضاهم : عليٌّ »[١] .

وأخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » من حديث شدَّاد بن أوس ، وزاد : « وأبو ذَرٍّ : أزهدُ أُمتي وأصدَقُها ، وأبو الدرداءِ : أَعبَدُ أمتي وأَتقاها ، ومعاويةُ بن أبي سفيان : أَحلَمُ أمتي وأَجودُها »[٢] .

وقد سئل شيخنا العلامة الكافِيَجي عن هٰذه التفضيلات : هل تنافي التفضيل السابق ؟ فأجاب : بأنه لا منافاة .

فَصْلٌ

فيما أُنزِل من الآيات في مدحه أو تصديقه أو أمرٍ من شأنه

اعلم : أني رأيت لبعضهم كتاباً في أسماء من نزل فيهم القرآن غير محرر ولا مستوعب ، وقد ألفتُ في ذلك كتاباً حافلاً مستوعباً محرراً ، وأنا أُلخِّص هنا ما يتعلق منه بالصديق رضي الله عنه .

قال تعالىٰ : ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ ، أجمع المسلمون علىٰ أن الصاحب المذكور : أبو بكر ، وسيأتي فيه أثر عنه[٣] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ قال : (علىٰ أبي بكر ؛ إن النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة عليه)[٤] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود : (أن أبا بكر اشترىٰ بلالاً من أميةَ بن خلفٍ وأُبيِّ بنِ خلفٍ ببردةٍ وعشر أواق ، فأعتقه لله ، فأنزل الله : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٥٧٦٣) .

(٢) مسند الفردوس (١٧٨٧) ، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة ؛ كما في « بغية الباحث » (٩٦٥) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٢٧) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٤٧) .

يَغۡشَىٰ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ : سعي أبي بكر وأمية وأبيٍّ)[1] .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أي بني ؛ أراك تعتق أناساً ضعافاً ، فلو أنك تعتق رجالاً جُلُداً يقومون معك ، ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! قال : (أي أبتِ ؛ إنما أريد ما عند الله) ، قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هـٰذه الآية نزلت فيه : ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ . . . ﴾ إلىٰ آخرها[2] .

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عروة : (أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله ، وفيه نزلت : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى . . . ﴾) إلىٰ آخر السورة[3] .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير قال : (نزلت هـٰذه الآية : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ . . . ﴾ إلىٰ آخر السورة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه)[4] .

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتىٰ أنزل الله كفارة اليمين)[5] .

وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صفوان ـ وكانت له صحبة ـ قال : قال علي بن أبي طالب : (والذي جاء بالحق) : محمد ، (وصدق به) : أبو بكر الصديق ، قال ابن عساكر : هـٰكذا الرواية (بالحق) ولعلها قراءة لعلي[6] .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ قال : (نزلت في أبي بكر وعمر)[7] .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٥٩) .
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧١) .
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٦٧) ، والمعجم الكبير (١/ ٣٣٦) .
(٤) مسند البزار (٢٢٠٩) .
(٥) صحيح البخاري (٦٦٢١) .
(٦) مسند البزار (٩٢٨) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٦) ، وفي « البحر المحيط » (٧/ ٤٢٨) : قال علي ، وأبو العالية ، والكلبي وجماعة : (﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ : هو الرسول ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ : هو أبو بكر) . وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢/ ٢٤/ ٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه .
(٧) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٠) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال : (نزلت : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ في أبي بكر رضي الله عنه)[1] ، وله طرق أخرىٰ ذكرتها في « أسباب النزول »[2] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر وابن عباس في قوله : ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : (نزلت في أبي بكر وعمر)[3] .

وأخرج عبد بن حميد في « تفسيره » عن مجاهد قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ . . قال أبو بكر : (يا رسول الله ؛ ما أنزل الله عليك خيراً . . إلا أشركنا فيه !!) ، فنزلت : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾[4] .

وأخرج ابن عساكر عن علي بن الحسين : (أن هٰذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾)[5] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (نزلت في أبي بكر الصديق : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾)[6] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال : (عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر وحده ؛ فإنه خرج من المعاتبة ، ثم قرأ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾)[7] .

---

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٧/ ٧٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم .
(٢) أسباب النزول (٢/ ٩١) .
(٣) المعجم الأوسط (٨٢٠) .
(٤) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٦٢٢) ، وعزاه لعبد بن حميد .
(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٨) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٨) .
(٧) تاريخ دمشق (٣٠/ ٩٢) .

فَصْلٌ

في الأحاديث الواردة في فضله مقروناً بعمر سوىٰ ما تقدَّم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَينا راعٍ في غَنمِه . . عَدَا عليه الذئبُ ، فأخَذَ منها شاةً ، فطَلَبه الرَّاعي ، فالتفَت إليه الذئبُ فقال : مَن لها يومَ السَّبُع ، يوم لا رَاعي لها غَيري ؟! وبَينا رجلٌ يَسوق بقرةً قد حمَلَ عليها ، فالتفَتتْ إليه فكلَّمته فقالت : إني لم أُخلق لهـٰذا ؛ ولكنِّي خُلقت للحَرثِ » ، قال الناس : سبحان الله !! قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فإنِّي أُومن بذلك وأبو بكرٍ وعمرُ » وما ثَمَّ أبو بكر وعمر)[١] أي : لم يكونا في المجلس ، شهد لهما بالإيمان بذلك ؛ لعلمه بكمال إيمانهما .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِن نبيٍّ إلا وله وَزِيران من أهلِ السماءِ ، ووَزِيران من أهلِ الأرضِ ؛ فأما وَزِيرايَ من أهلِ السماءِ . . فجبريلُ وميكائيلُ ، وأما وَزِيراي من أهلِ الأرضِ . . فأبو بكرٍ وعمرُ »[٢] .

وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَبو بكرٍ في الجنَّة ، وعمرُ في الجنَّة ، وعثمانُ في الجنَّة ، وعليٌّ في الجنَّة . . . » وذكر تمام العشرة[٣] .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهلَ الدرجاتِ العُلا ليَراهُم مَن تَحتَهم ؛ كما تَرَون النجمَ الطالعَ في أُفُق السماءِ ، وإن أبا بكرٍ وعمرَ منهم وأَنْعَما »[٤] .

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٣) و(٣٦٩٠) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٨) .
(٢) سنن الترمذي (٣٦٨٠) .
(٣) سنن أبي داوود (٤٦٥٠) ، وسنن الترمذي (٣٧٤٨) ، وسنن ابن ماجه (١٣٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨١٩٣) ، ومسند أحمد (١/ ١٨٧) .
(٤) سنن الترمذي (٣٦٥٨) ، وأخرجه ابن ماجه (٩٦) ، وأنعما : أي : فضلا وزادا .

وأخرجه الطبراني من حديث جابر بن سمرة[1] وأبي هريرة[2] .

وأخرج الترمذي عن أنس : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج علىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس ، فيهم أبو بكر وعمر ، ولا يرفع إليه أحدٌ منهم بصره إلا أبو بكر وعمر ؛ فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ، ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما)[3] .

وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر ؛ أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وهو آخذ بأيديهما ، وقال : « هَكذا نُبعث يومَ القيامةِ »[4] ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة[5] .

وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنا أَوَّل مَن تَنشقُّ عنه الأرض ، ثم أبو بكرٍ ، ثم عمرُ »[6] .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن حَنْطب : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأىٰ أبا بكرٍ وعمرَ فقال : « هـٰذانِ السمعُ والبصرُ »[7] .

وأخرجه الطبراني من حديث ابن عمر[8] ، وابن عمرو[9] .

وأخرج البزار والحاكم عن أبي أروى الدوسي قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر ، فقال : « الحمدُ للهِ الذي أَيَّدني بكُما »[10] .

---

(١) المعجم الكبير (٢/ ٢٥٤) .
(٢) المعجم الكبير (القطعة المفقودة) (١٩/ ٤٤٧) .
(٣) سنن الترمذي (٣٦٦٨) .
(٤) سنن الترمذي (٣٦٦٩) .
(٥) المعجم الأوسط (٨٢٥٨) .
(٦) سنن الترمذي (٣٦٩٢) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٨) .
(٧) سنن الترمذي (٣٦٧١) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٩) ، قال الترمذي : (هـٰذا حديث مرسل ؛ عبد الله بن حنطب : لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم) .
(٨) المعجم الأوسط (٤٩٩٩) .
(٩) مسند الشاميين (٤٩٤) .
(١٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٤) ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٧٧) .

وورد هـٰذا أيضاً من حديث البراء بن عازب أخرجه الطبراني في « الأوسط »[1] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتاني جبريلُ آنفاً ، فقلت : يا جبريلُ ؛ حدِّثني بفضائلِ عمرَ بنِ الخطاب ، فقال : لو حدَّثتك بفضائلِ عمرَ منذ ما لَبِث نوحٌ في قومِه . . ما نَفِدت فضائلُ عمر ، وإن عمرَ حسنةٌ من حسناتِ أبي بكرٍ »[2] .

وأخرج أحمد عن عبد الرحمـٰن بن غَنْم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر : « لو اجتَمعتُما في مَشورَةٍ . . ما خالفتُكُما »[3] ، وأخرجه الطبراني من حديث البراء بن عازب[4] .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه سئل : مَن كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : (أبو بكر وعمر ، لا أعلم غيرهما)[5] .

وأخرج عن القاسم بن محمد قال : (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[6] .

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكلِّ نبيٍّ خاصَّةً من أمتهِ ، وإن خاصَّتي من أصحابي : أبو بكر وعمرُ »[7] .

وأخرج ابن عساكر عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِم الله أبا بكرٍ ؛ زوَّجني ابنتَه ، وحمَلَني إلىٰ دار الهجرةِ ، وأَعتقَ بلالاً ،

---

(١) المعجم الأوسط (٧٢٩٩) .
(٢) مسند أبي يعلىٰ (١٦٠٣) .
(٣) مسند أحمد (٤/ ٢٢٧) .
(٤) المعجم الأوسط (٧٢٩٩) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٨٩) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٨٩) .
(٧) المعجم الكبير (١٠/ ٧٧) .

رَحِم الله عمرَ ؛ يقولُ الحقَّ وإن كان مُرّاً ، تَرَكه الحقُّ وما له مِن صَديقٍ ، رَحِم الله عثمانَ ؛ تَستحييه الملائكةُ ، رَحِم الله علياً ، اللهمَّ ؛ أَدِر الحقَّ معه حيثُ دارَ »[1] .

وأخرج الطبراني عن سهل رضي الله عنه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع . . صعد المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « أَيُّها الناسُ ؛ إن أبا بكرٍ لم يَسؤني قطُّ ، فاعْرِفوا له ذلك ، أَيُّها الناسُ ؛ إني راضٍ عن أبي بكرٍ وعمرَ ، وعثمانَ وعليٍّ ، وطلحةَ والزبيرِ ، وسعدٍ وعبدِ الرحمـٰن بن عوف ، والمهاجرين الأولين ، فاعْرِفوا ذلك لهم »[2] .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن ابن أبي حازم قال : جاء رجل إلىٰ علي بن الحسين ، فقال : (ما كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كمنزلتهما منه الساعة)[3] .

وأخرج ابن سعد عن بِسْطام بن مسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : « لا يَتأمَّر عليكما أحدٌ بَعدي »[4] .

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعاً : « حُب أبي بكرٍ وعمرَ إيمانٌ ، وبغضُهما كفرٌ »[5] .

وأخرج عن ابن مسعود قال : (حب أبي بكر وعمر ومعرفتهما من السُّنة)[6] .

وأخرج عن أنس مرفوعاً : « إنِّي لأَرجو لأمَّتي في حُبهم لأبي بكر وعمرَ ما أَرجو لهم في قول : لا إلـٰه إلا الله »[7] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٣) ، وأخرجه الترمذي (٣٧١٤) .
(٢) المعجم الكبير (٦/ ١٠٤) .
(٣) الزهد لأحمد (ص ١١١ـ ١١٢) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٣) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٤٤) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٩٣) .
(٧) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٩٦) .

فَصْلٌ

في الأحاديث الواردة في فضله وحده سوىٰ ما تقدم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن أنفقَ زَوجينِ من شيءٍ من الأشياءِ في سبيلِ الله . . دُعي من أبوابِ الجنَّةِ : يا عبد الله ؛ هـٰذا خيرٌ ، فمَن كان من أَهلِ الصلاةِ . . دُعي من باب الصلاةِ ، ومَن كان من أهلِ الجهادِ . . دُعي من بابِ الجهادِ ، ومَن كان من أهلِ الصدَقةِ . . دُعي من بابِ الصدَقةِ ، ومن كان من أهلِ الصيامِ . . دُعي من بابِ الصيامِ من بابِ الريَّانِ » فقال أبو بكر : ما علىٰ من يُدعىٰ من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعىٰ منها كلها أحد ؟ قال : « نَعَم ؛ وأَرجُو أن تكون منهم يا أَبا بكرٍ »[1] .

وأخرج أبو داوود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَما إنَّك يا أبا بكرٍ أولُ مَن يدخلُ الجنَّة من أمَّتي »[2] .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِن أَمنِّ الناس علي في صحبتهِ ومالهِ : أبا بكرٍ ، ولو كنتُ متَّخذاً خليلاً غيرَ ربِّي . . لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ، ولكن أُخوَّة الإسلامِ »[3] .

وقد ورد هـٰذا الحديث من رواية ابن عباس[4] ، وابن الزبير[5] ، وابن مسعود[6] ، وجندب بن عبد الله[7] ، والبراء[8] ، وكعب بن

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٦) ، وصحيح مسلم (١٠٢٧) .

(٢) أبو داوود (٤٦٥٢) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٧٣) ، ولفظ الحاكم : « أخذ جبريل بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي » ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ وددت أني كنت معك حتىٰ أراه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنك أول من يدخله من أمتي » .

(٣) صحيح البخاري (٤٦٦) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٢) .

(٤) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٨١٠٢) .

(٥) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٤) .

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) .

(٧) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١١١٢٣) .

(٨) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ١٣٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٢٩) .

مالك[1] ، وجابر بن عبد الله[2] ، وأنس[3] ، وأبي واقد الليثي[4] ، وأبي المُعلَّىٰ[5] ، وعائشة[6] ، وأبي هريرة[7] ، وابن عمر[8] رضي الله عنهم ، وقد سردت طرقهم في « الأحاديث المتواترة » .

وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال : (كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أقبل أبو بكر فسلَّم وقال : إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيءٌ فأسرعتُ إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبىٰ عليَّ ، فأقبلتُ إليك ، فقال : « **يَغفِرُ الله لكَ يا أبا بكرٍ** » ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتىٰ منزل أبي بكر فلم يجده ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسلَّم ، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعَّر حتىٰ أشفَقَ أبو بكر ، فجثا علىٰ ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ؛ أنا كنت أظلمَ منه ، مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ اللهَ بعَثَني إليكم فقلتُم : كذبْتَ ، وقال أبو بكرٍ : صدَقْتَ ، ووَاساني بنفسِه وماله ، فهل أنتم تارِكُو لي صاحبي ؟!** » مرتين ، فما أُوذي بعدها)[9] .

وأخرج ابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله عنه نحوه ؛ وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تُؤذوني في صَاحِبي ؛ فإنَّ اللهَ بعثني بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ فقلتم : كذبْتَ ، وقال أبو بكرٍ : صدَقْتَ ، ولولا أنَّ الله سمَّاه صَاحِباً . لاتَّخذته خليلاً ، ولكن أخوةُ الإسلامِ** »[10] .

وأخرج ابن عساكر عن المِقدام قال : استبَّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩/ ٤١) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٤٩) .
(٣) أخرجه البزار في « مسنده » (٦٥٥٧) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣/ ٢٤٦) .
(٥) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٧٨) .
(٦) أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٣٥٤٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٠٥٥) .
(٧) أخرجه الترمذي (٣٦٦١) .
(٨) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ٣٧٢) .
(٩) البخاري (٣٦٦١) .
(١٠) الكامل (٤/ ٢٧٨) .

قال : وكان أبو بكر سباباً أو نساباً ، غير أنه تحرَّج من قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ، وشكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : « ألا تَدَعون لي صَاحِبي ؟! ما شأنُكم وشأنُه ؟! فوالله ؛ ما منكم رجلٌ إلاَّ علىٰ بابِ بيتهِ ظُلمة إلاَّ بابَ أبي بكرٍ ؛ فإنَّ علىٰ بَابه النورَ ، فوالله ؛ لقد قلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدَقْتَ ، وأمسَكتُم الأموالَ وجادَ لي بمالِه ، وخَذَلتموني ووَاساني واتَّبعني »[1] .

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن جرَّ ثوبَه خُيلاء . . لم يَنظرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ » فقال أبو بكر : إن أحد شِقَّي ثوبي يَسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّك لستَ تصنَعُ ذلك خُيلاء »[2] .

[خصال توجب الجنة]

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن أصبَحَ منكم اليومَ صائماً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمَن تَبع منكم اليومَ جنازَةً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمَن أَطعَمَ منكم اليومَ مِسْكِيناً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمَن عادَ منكم اليومَ مَريضاً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتَمَعن في امرىءٍ . . إلا دخَلَ الجنَّةَ »[3] .

وقد ورد هٰذا الحديث من رواية أنس بن مالك ، وعبد الرحمٰن بن أبي بكر ؛ فحديث أنس أخرجه . . . .[4] وفي آخره : « وجَبَت لكَ الجنَّة »[5] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ١١٠) .
(٢) صحيح البخاري (٣٦٦٥) ، وأخرجه مسلم (٢٠٨٥/ ٤٤) دون قصة أبي بكر .
(٣) صحيح مسلم (١٠٢٨) .
(٤) في النسخ بعد قوله : (أخرجه) : بياض في الأصل ، ولا عبرة لما جاء في كثير من مطبوعات « تاريخ الخلفاء » : (أخرجه البيهقي في الأصل) ؟! إذ ليس للإمام البيهقي كتاب اسمه « الأصل » !!
(٥) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٨/ ٤٠ ـ ٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٩٧) .

وحديث عبد الرحمٰن أخرجه البزار ؛ ولفظه : صلَّىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، ثم أقبل علىٰ أصحابه بوجهه فقال : « مَن أصبَحَ منكم اليومَ صائماً ؟ » قال عمر : يا رسول الله ، لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مفطراً ، فقال أبو بكر : ولكن حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائماً .

فقال : « هَل منكم أحدٌ اليومَ عادَ مَريضاً ؟ » فقال عمر : يا رسول الله ؛ لم نبرح فكيف نعود المريض ؟! فقال أبو بكر : بلغني أن أخي عبد الرحمٰن بن عوف شاكٍ ، فجعلت طريقي عليه ؛ لأنظر كيف أصبح .

فقال : « هَل منكم أحدٌ أطعَمَ اليومَ مسكيناً ؟ » فقال عمر : صلينا يا رسول الله ثم لم نبرح ، فقال أبو بكر : دخلت المسجدَ ؛ فإذا بسائلٍ ، فوجدت كِسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمٰن ، فأخذتها فدفعتها إليه .

فقال : « أنتَ ؛ فأَبشِر بالجنَّة » ثم قال كلمة أرضىٰ بها عمر : « عمر زعَمَ أنه لم يُرِد خيراً قطُّ إلا سبَقَه إليه أبو بكرٍ »[1] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت في المسجد أصلي ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، فوجدني أدعو ، فقال : « سَل . . تُعطَه » ثم قال : « مَن أحبَّ أن يقرأَ القرآنَ غضاً . . فَلْيقرأه بقراءَةِ ابن أمِّ عَبدٍ » فرجعت إلىٰ منزلي ، فأتاني أبو بكر فبشرني ، ثم أتاني عمر فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه ، فقال : إنك لسبَّاق بالخير[2] .

[مكانة الصديق عند الصحابة رضي الله عنهم]

وأخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي رضي الله عنه قال : جرىٰ بيني وبين أبي بكر كلام ، فقال لي كلمةً كرهتها وندم ، فقال لي : يا ربيعة ؛ رُدَّ عليَّ

---

(١) مسند البزار (٢٢٦٧) ، بغير هـٰذا السياق ولم يذكر فيه عمر رضي الله عنه ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٤٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٩٧) بلفظ المصنف .

(٢) مسند أبي يعلىٰ (١٧) .

مثلها حتىٰ تكون قصاصاً ، قلت : لا أفعل ، قال : لتقولَنَّ أو لأستَعْدِيَنَّ عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : ما أنا بفاعل ، فانطلق أبو بكر ، وجاء أناس من أسلم ، فقالوا لي : رحم الله أبا بكر ، في أيِّ شيء يَستَعْدي عليك وهو الذي قال لك ما قال ؟!

فقلت : أتدرون من هـٰذا ؟ هـٰذا أبو بكر الصديق ، هـٰذا ثاني اثنين ، وهـٰذا ذو شيبة المسلمين ، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب ، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه ، فيغضب الله عز وجل لغضبهما ، فيهلك ربيعة .

وانطلق أبو بكر رضي الله عنه ، فتبعته وحدي حتىٰ أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان ، فرفع إليَّ رأسه فقال : « يا ربيعةُ ؛ ما لكَ وللصدِّيق ؟ » فقلت : يا رسول الله ؛ كان كذا وكذا ، فقال لي كلمة كرهتها ، فقال لي : قل كما قلت حتىٰ يكون قصاصاً ، فأبيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَجَل ؛ لا تردَّ عليه ، ولكنْ قُل : غَفَرَ اللهُ لكَ يا أَبا بكرٍ » فقلت : غفر الله لك يا أبا بكر[1] .

وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « أنتَ صَاحبي على الحوضِ ، وصَاحبي في الغارِ »[2] .

وأخرج عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبو بكرٍ صَاحبي ، ومُؤنسي في الغارِ » ، إسناده حسن[3] .

وأخرج البيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ في الجنَّة طَيراً كأَمثالِ البَخاتي » قال أبو بكر : إنها لناعمة

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٥٨ ـ ٥٩) .
(٢) الترمذي (٣٦٧٠) .
(٣) فضائل الصحابة (٦٠٣) .

يا رسول الله ؟ قال : « أنعَمُ منها مَن يأكلُها ، وأنتَ ممن يأكُلُها »[1] ، وقد ورد هـٰذا الحديث من رواية أنس[2] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُرِج بي إلى السماءِ ، فما مَررت بسماءٍ . . إلا وجدتُ فيها اسمي : محمدٌ رسولُ الله ، وأبو بكرٍ الصديقُ خَلفي » إسناده ضعيف[3] ؛ لكنه ورد أيضاً من حديث ابن عباس[4] ، وابن عمر[5] ، وأنس[6] ، وأبي سعيد[7] ، وأبي الدرداء[8] رضي الله عنهم بأسانيدَ ضعيفةٍ يشدُّ بعضها بعضاً .

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال : قُرِئت عند النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ إن هـٰذا لَحسنٌ ! ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إنَّ الملَكَ سَيقولُها لكَ عند الموتِ »[9] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ والله لو أمرتني أن أقتل نفسي . . لفعلت ، قال : « صَدَقت »[10] .

وأخرج أبو القاسم البغوي : حدثنا داوود بن عمرو ، حدثنا عبد الجبار بن الورد ، عن ابن أبي مُلَيكة قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غديراً ، فقال : « لِيَسبَحْ كلُّ رجلٍ إلىٰ صاحبه » قال : فسبح كل رجلٍ منهم إلىٰ

(١) البعث والنشور (٣٥٤) .
(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٢٢١) .
(٣) مسند أبي يعلىٰ (٦٦٠٧) .
(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٤٤) .
(٥) أخرجه البزار في « مسنده » ؛ كما في « مجمع الزوائد » (٨/ ٣٣٦) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٠٤) .
(٧) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٤٤) .
(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٠٤) .
(٩) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٢٨٨) .
(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٦٦) .

صاحبه ، حتىٰ بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أبي بكر حتى اعتنقه ، وقال : « لو كنتُ متَّخذاً خليلاً حتىٰ أَلقى الله . . لاتَّخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنه صَاحبي »[١] .

تابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد ، أخرجه ابن عساكر[٢] ، وعبد الجبار ثقة ، وشيخه ابن أبي مليكة إمام ، إلا أنه مرسل ، وهو غريب جداً .

قلت : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، وابن شاهين في « السنة » من وجهٍ آخرَ موصولاً عن ابن عباس[٣] .

[خصال الخير مجموعة في الصديق رضي الله عنه]

وأخرج ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » ، وابن عساكر من طريق صدقة بن ميمون القرشي ، عن سليمان بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خِصالُ الخيرِ ثلاثُ مئةٍ وستونَ خصلةً ، إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً . . جَعَل فيه خصلَةً منها يُدخله بها الجنَّة » قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ أفيَّ شيءٌ منها ؟ قال : « نَعَم ، جَمعاً من كلٍّ »[٤] .

وأخرج ابن عساكر من طريق آخر عن صدقة القرشي ، عن رَجَّال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خِصالُ الخيرِ ثلاثُ مئة وستون » فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ لي منها شيءٌ قال : « كلُّها فيك ، فهنيئاً لكَ يا أبا بكرٍ »[٥] .

وأخرج ابن عساكر من طريق مُجَمِّع بن يعقوب الأنصاري عن أبيه قال : (إن كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لَتشتبكُ حتىٰ تصير كالأسوار ، وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ، ما يطمع فيه أحد من الناس ، فإذا جاء أبو بكر . .

---

(١) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٨١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣٠/ ١٥٢) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٥١ـ ١٥٢) .
(٣) المعجم الكبير (١١/ ٢٦٠) ، وشرح مذاهب أهل السنة (١١٦) .
(٤) مكارم الأخلاق (٢٩) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ١٠٣) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٠٤) ، ورجَّال : هو ابن عُنْفُوة .

جلس ذلك المجلس ، وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه ، وألقىٰ إليه حديثه ، وسمع الناس)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حبُّ أبي بكرٍ وشكرُه واجبٌ علىٰ كل أمَّتي »[2] ، وأخرج مثله من حديث سهل بن سعد[3] .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « الناسُ كلُّهم يُحاسبون إلاَّ أبا بكرٍ »[4] .

فَصْلٌ
فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله

أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : (أبو بكر سيدنا)[5] .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن عمر رضي الله عنه قال : (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض . . لرجح بهم)[6] .

وأخرج ابن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن عمر رضي الله عنه قال : (إن أبا بكر كان سابقاً مبرزاً)[7] .

وقال عمر : (لوددت أني شعرة في صدر أبي بكر) أخرجه مسدد في « مسنده »[8] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٣٠) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٤١) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٤٢) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٥٢) .
(٥) صحيح البخاري (٣٧٥٤) .
(٦) شعب الإيمان (٣٦) .
(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٣٩) ، من طريق ابن أبي خيثمة ، وأحمد في « الزهد » (ص ١١١) .
(٨) مسند مسدد ؛ كما في « المطالب العالية » (٣٨٧٦) .

وقال : (وددت أني من الجنة حيث أرىٰ أبا بكر) أخرجه ابن أبي الدنيا وابن عساكر[1] .

وقال : (لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك) أخرجه أبو نعيم[2] .

وأخرج ابن عساكر عن علي : أنه دخل علىٰ أبي بكر وهو مسجًّى ، فقال : (ما أحد ألقى الله بصحيفته أحب إليَّ من هـٰذا المسجىٰ)[3] .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمـٰن بن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حدثني عمر بن الخطاب : أنه ما سابق أبا بكر إلىٰ خير قط . . إلا سبقه به »[4] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن علي قال : (والذي نفسي بيده ؛ ما استبقنا إلىٰ خير قط . . إلا سبقنا إليه أبو بكر)[5] .

وأخرج في « الأوسط » أيضاً عن أبي جُحيفة قال : قال عليٌّ : (خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر ، لا يجتمع حُبِّي وبغضُ أبي بكر وعمر في قلب مؤمن)[6] .

وأخرج في « الكبير » عن ابن عمرو قال : (ثلاثة من قريش أصبحُ قريشٍ وجوهاً ، وأحسنها أخلاقاً ، وأثبتها جناناً : إن حدثوك . . لم يَكْذِبوك ، وإن حدثتهم . . لم يكذِّبوك ؛ أبو بكر الصديق ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وعثمان بن عفان)[7] .

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم النخعي قال : (كان أبو بكر يسمى الأواه ؛ لرأفته ورحمته)[8] .

---

(١) المتمنين (٨٧) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٩) .
(٢) حلية الأولياء (٥/ ١٣٤) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٤٢) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٥) .
(٥) المعجم الأوسط (٧١٦٨) .
(٦) المعجم الأوسط (٣٩٢٠) .
(٧) المعجم الكبير (١/ ٥٦) .
(٨) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٥٧) .

وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال : (مكتوب في الكتاب الأول : مثل أبي بكر الصديق مثل القَطْر ؛ أينما وقع . . نفع)[١] .

وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال : (نظرنا في صحابة الأنبياء ، فما وجدنا نبياً كان له صاحب مثل أبي بكر الصديق)[٢] .

وأخرج عن الزهري قال : (من فضلِ أبي بكر : أنه لم يشكَّ في الله ساعة قط)[٣] .

وأخرج عن الزبير بن بكار قال : (سمعت بعض أهل العلم يقول : خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب)[٤] .

وأخرج عن أبي حَصين قال : (ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ، ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء)[٥] .

فَصْلٌ
[في خصائص أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

أخرج الدينوري في « المجالسة » ، وابن عساكر عن الشعبي قال : (خصَّ الله تبارك وتعالىٰ أبا بكر الصديق بأربع خصال لم يخص بها أحداً من الناس : سماه الصديق ولم يسم أحداً الصديق غيره ، وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفيقه في الهجرة ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود)[٦] .

وأخرج ابن أبي داوود في كتاب « المصاحف » عن أبي جعفر قال : (كان

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٨) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ١٢٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣١٧) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٥) ، وتقدم (ص ١١٩) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٩٥) .
(٦) المجالسة وجواهر العلم (٢٨١٥) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ٢٦٦) .

أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه)[1] .

وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال : (كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير ، فكان يشاوره في جميع أموره ، وكان ثانيه في الإسلام ، وثانيه في الغار ، وثانيه في العريش يوم بدر ، وثانيه في القبر ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحداً)[2] .

فصل

في الأحاديث والآيات المشيرة إلىٰ خلافته وكلام الأئمة في ذلك

أخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقْتَدوا باللذَينِ من بَعدي : أبي بكرٍ وعمرَ »[3] ، وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء[4] ، والحاكم من حديث ابن مسعود[5] .

وأخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَكون خَلفي اثنا عشَرَ خليفة : أبو بكر لا يلبث إلا قليلاً »[6] صدرُ هـٰذا الحديث مجمع علىٰ صحته ، وارد من طرق عدة ، وقد تقدم شرحه في أول هـٰذا الكتاب[7] .

وفي « الصحيحين » في الحديث السابق : أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب قُربَ وفاتهِ وقال : « إنَّ عبداً خيَّره الله . . . » الحديث ، وفي آخره : « لا يَبقينَّ

---

(١) المصاحف (٢٢) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٣) .

(٣) سنن الترمذي (٣٦٦٢) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٧٥) .

(٤) مسند الشاميين (٩١٣) .

(٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٥ـ٧٦) .

(٦) معجم الصحابة (١٣٨٩) .

(٧) تقدم (ص ٧٥) .

بابٌ إلاَّ سُدَّ إلاَّ بابُ أبي بكرٍ »[1] ، وفي لفظ لهما : « لا يَبقين في المسجدِ خوخةٌ إلا خوخةُ أبي بكرٍ »[2] .

قال العلماء : هٰذا إشارة إلى الخلافة ؛ لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين ، وقد ورد هٰذا اللفظ من حديث أنس رضي الله عنه ؛ ولفظه : « سدُّوا هٰذه الأبوابَ الشارعةَ في المسجدِ إلاَّ بابَ أبي بكر » أخرجه ابن عدي[3] .

ومن حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي وغيره[4] ، ومن حديث ابن عباس في « زوائد المسند »[5] ، ومن حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه الطبراني[6] ، ومن حديث أنس أخرجه البزار[7] .

وأخرج الشيخان عن جبير بن مُطعِم رضي الله عنه قال : أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت ، قال : « إن لم تَجديني . . فأتي أبا بكرٍ »[8] .

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه قال : بعثني بنو المصطلق إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ سَلْهُ : إلىٰ من ندفع صدقاتنا بعدك ؟ فأتيتُه فسألته ، فقال : « إلىٰ أَبي بكرٍ »[9] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيئاً ، فقال لها : « تَعودِينَ » فقالت : يا رسول الله ؛ إن عدْتُ فلم أجدك ؟ تُعرِّض بالموت ، فقال : « إن جئتِ فلم تَجديني . . فَأتي

---

(١) تقدم (ص ١١٧) .
(٢) صحيح البخاري (٣٩٠٤) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٢) من حديث سيدنا أبي سعيد رضي الله عنه .
(٣) الكامل (٤/ ٢٠٧) .
(٤) سنن الترمذي (٣٦٧٨) ، وصحيح ابن حبان (٦٨٥٧) .
(٥) مسند أحمد (١/ ٢٧٠) .
(٦) المعجم الأوسط (٧٠١٧) .
(٧) مسند البزار (٦٥٥٧) .
(٨) صحيح البخاري (٣٦٥٩) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٦) .
(٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٧) .

أبا بكرٍ ؛ فإنه الخليفةُ من بَعدي »[1] .

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : « ادْعِي لي أبا بكر وأَخاكِ ؛ حتىٰ أكتبَ كتاباً ؛ فإنِّي أخافُ أن يتمنَّىٰ متمنٍّ ، ويقول قائل : أنا أَولىٰ ، ويَأبى اللهُ والمؤمنونَ إلاَّ أبا بكرٍ »[2] .

وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها[3] ، وفي بعضها : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه : « ادعي لي عبدَ الرحمـٰن بن أبي بكرٍ . . أَكتبْ لأبي بكرٍ كتاباً ؛ لا يختلفُ عليه أحدٌ بعدي » ثم قال : « دَعيه ؛ مَعاذ اللهِ أن يَختلِفَ المؤمنون في أبي بكرٍ »[4] .

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت : مَن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : (أبو بكر) ، فقيل لها : ثم مَن بعد أبي بكر ؟ قالت : (عمر) ، قيل لها : مَن بعد عمر ؟ قالت : (أبو عبيدة ابن الجراح)[5] .

[رضيه لدينا أفلا نرضاه لدنيانا]

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه ، فقال : « مُروا أَبا بكرٍ فَلْيصلِّ بالناسِ » قالت عائشة : يا رسول الله ؛ إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك . . لم يستطع أن يصلي بالناس ، قال : « مُرِي أَبا بكرٍ فَلْيصلِّ بالناسِ » فعادت فقال : « مُري أَبا بكرٍ فَلْيصلِّ بالناسِ ؛ فإنَّكنَّ صَواحِبُ يوسُفَ » فأتاه الرسول ، فصلىٰ بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هـٰذا الحديث متواتر[6] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٢٠ـ ٢٢١) .
(٢) صحيح مسلم (٢٣٨٧) .
(٣) مسند أحمد (٦/ ٤٧) و(٦/ ١٤٤) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٧٠٨١) .
(٤) أخرجه الطيالسي في « مسنده » (١٥٠٨) .
(٥) صحيح مسلم (٢٣٨٥) .
(٦) صحيح البخاري (٦٧٨) ، وصحيح مسلم (٤٢٠) .

ورد أيضاً من حديث عائشة[1] ، وابن مسعود[2] ، وابن عباس[3] ، وابن عمر[4] ، وعبد الله بن زمعة[5] ، وأبي سعيد[6] ، وعلي بن أبي طالب[7] ، وحفصة رضي الله عنهم[8] ، وقد سقت طرقهم في « الأحاديث المتواترة » .

وفي بعضها عن عائشة رضي الله عنها : **(لقد راجعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وما حملني علىٰ كثرة مراجعته . . إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وإلا أني كنت أرىٰ أنه لن يقوم أحد مقامه . . إلا تشاءم الناس به ، فأردتُ أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر)**[9] .

وفي حديث ابن زمعة رضي الله عنه : **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائباً ، فتقدم عمر فصلىٰ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، لا ، لا ، يَأبى اللهُ والمسلمون إلاَّ أبا بكرٍ ، يُصلي بالناسِ أبو بكرٍ »**[10] .

وفي حديث ابن عمر : **كبَّر عمر ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره ، فأطلع رأسه مغضباً فقال : « أَينَ ابنُ أبي قُحافة ؟! »**[11] .

قال العلماء : في هٰذا الحديث أوضح دلالة علىٰ أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق ، وأحقهم بالخلافة ، وأولاهم بالإمامة .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤) ، ومسلم (٤١٨) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٨٨) .
(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٣٥٦) ، وابن ماجه (١٢٣٥) .
(٤) أخرجه البخاري (٦٨٢) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/ ١٩٦_١٩٧) .
(٥) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢/ ١٩٥) ، والمقدسي في « المختارة » (٣١٤) .
(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢/ ١٩٧) .
(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٦٥) .
(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٦٥) .
(٩) أخرجه البخاري (٤٤٤٥) ، ومسلم (٤١٨/ ٩٣) .
(١٠) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٢٢) ، وأبو داوود (٤٦٦٠) .
(١١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١٩٦ _١٩٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٦٤) .

قال الأشعري : (قد علم بالضرورة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصديق أن يصلي بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار ؛ مع قوله : « يَؤم القومَ أَقرؤهم لكتابِ الله »[1] ، فدل علىٰ أنه كان أقرأهم ؛ أي : أعلمهم بالقرآن) انتهىٰ[2] .

وقد استدل الصحابة أنفسُهم بهـٰذا علىٰ أنه أحق بالخلافة ؛ منهم : عمر ، وسيأتي قوله في (فصل المبايعة)[3] .

ومنهم : علي ، وأخرج ابن عساكر عنه قال : (لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهدٌ وما أنا بغائب وما بي مرض ، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا)[4] .

قال العلماء : وقد كان معروفاً بأهلية الإمامة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرج أحمد وأبو داوود وغيرهما عن سهل بن سعد قال : كان قتالٌ بين بني عمرو بن عوف ، فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم بعد الظهر ؛ ليصلح بينهم وقال : « يا بلالُ ؛ إن حضَرَت الصلاةُ ولم آتِ .. فمُر أبا بكرٍ فَلْيصلِّ بالناسِ » فلما حضرت صلاة العصر .. أقام بلال الصلاة ، ثم أمر أبا بكر فصلىٰ[5] .

وأخرج أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » ، وابن عساكر عن حفصة رضي الله عنها : أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أنت مرضتَ .. قدمتَ أبا بكر ؟ قال : « لستُ أنا أُقدمه ؛ ولكنَّ الله يُقدِّمه »[6] .

---

(١) تقدم (ص ١١٧) .
(٢) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (٥/ ٣٣١) .
(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٥٠) .
(٤) تقدم (ص ٧١) .
(٥) مسند أحمد (٥/ ٣٣٢) ، وسنن أبي داوود (٩٤١) ، وهو عند البخاري (٧١٩٠) ، ومسلم (٤٢١) .
(٦) الغيلانيات (٦٩٢) ، وتاريخ دمشق (٣٠/ ٢٦٥) .

وأخرج الدارقطني في « الأفراد » ، والخطيب ، وابن عساكر عن عليٍّ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألتُ اللهَ أن يقدِّمَك ثلاثاً ، فأبىٰ عليَّ إلاَّ تقديمَ أبي بكرٍ »(١) .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس ؟ قال : « لتكونَنَّ من الناسِ بسبيلٍ » قال : ورأيت في صدري كالرُّقمتين ؟ قال : « سنتين »(٢) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي بكرة قال : (أتيت عمر وبين يديه قوم يأكلون ، فرمىٰ ببصره في مؤخر القوم إلىٰ رجل ، فقال : ما تجد فيما تقرأ قبلك من الكتب ؟ قال : خليفة النبي صلى الله عليه وسلم صِدِّيقه)(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال : (أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء ، فجئته ، فقلت له : اشفني فيما اختلف فيه الناس ، هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر ؟ فاستوى الحسن قاعداً فقال : أَوَفي شكٍّ هو لا أبا لك ؟! إي والله الذي لا إلـه إلا هو ؛ لقد استخلفه ، ولهو كان أعلمَ بالله وأتقىٰ له وأشدَّ له مخافةً من أن يموت عليها لو لم يؤمره)(٤) .

وأخرج ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال : (قال لي الرشيد : يا أبا بكر ؛ كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ سكت الله ، وسكت رسوله ، وسكت المؤمنون ، قال : والله ؛ ما زدتني إلا غماً !!

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام ، فدخل عليه بلال فقال : يا رسول الله ؛ مَن يصلي بالناس ؟ قال : « مر أبا بكر يصلِّي بالناسِ » فصلىٰ أبو بكر بالناس ثمانية أيام ، والوحي ينزل ، فسكت

---

(١) تاريخ بغداد (١١/٢١٣) ، وتاريخ دمشق (٣٢٢/٤٥) من طريق الدارقطني ، وأورده المصنف في « اللآلىء المصنوعة » (١/٣٢٦) وعزاه للدارقطني في « الأفراد » .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/١٦٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٠/٢٩٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠/٢٩٧) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله ، وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجبه فقال : بارك الله فيك)[1] .

[آيات استنبط العلماء منها خلافة الصديق رضي الله عنه]

وقد استنبط جماعة من العلماء خلافة الصديق من آيات من القرآن ؛ فأخرج البيهقي عن الحسن البصري في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : (هو ـ والله ـ أبو بكر وأصحابه ؛ لما ارتدت العرب . . جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتىٰ ردَّهم إلى الإسلام)[2] .

وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال : (لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم . . ارتدت العرب . . . فذكر قتال أبي بكر لهم . . . إلىٰ أن قال : فكنا نتحدث أن هـٰذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾)[3] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن جويبر في قوله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال : هم بنو حنيفة ، قال ابن أبي حاتم وابن قتيبة : (هـٰذه الآية حجة علىٰ خلافة الصديق ؛ لأنه الذي دعا إلىٰ قتالهم)[4] .

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري : (سمعت أبا العباس بن سريج يقول : خلافة الصديق في القرآن في هـٰذه الآية ، قال : لأن أهل العلم أجمعوا علىٰ أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلا دعاء أبي بكر لهم وللناس إلىٰ قتال أهل الردة ومن منع الزكاة ، قال : فدل ذلك علىٰ وجوب خلافة أبي بكر ، وافتراض طاعته ؛ إذ أخبر الله أن المتولي عن ذلك يعذب عذاباً أليماً) .

قال ابن كثير : (ومن فسر القوم : بأنهم فارس والروم . . فالصديق هو الذي

---

(١) الكامل (٤/ ٢٦) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣١٠) ، وانظر « دلائل النبوة » (٦/ ٣٦٢) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣١٩) .
(٤) انظر « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٩٦) .

جهز الجيوش إليهم ، وتمام أمرهم كان علىٰ يد عمر وعثمان ؛ وهما فرعا الصديق) .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم . . . ﴾ الآيَةَ ، قال ابن كثير : (هٰذه الآية منطبقة علىٰ **خلافة الصديق**)[1] .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن عبد الرحمٰن بن عبد الحميد المَهْري قال : (**إن ولاية أبي بكر وعمر في كتاب الله** ؛ يقول الله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾ الآيَة)[2] .

وأخرج الخطيب عن أبي بكر بن عياش قال : (**أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن** ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ **فمن سماه الله صادقاً . . فليس يكذب** ؛ هم قالوا : يا خليفة رسول الله) ، قال ابن كثير : (استنباط حسن)[3] .

وأخرج البيهقي عن الزَّعْفراني قال : (سمعت الشافعي يقول : **أجمع الناس علىٰ خلافة أبي بكر** ؛ وذلك أنه اضطر الناسُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر ، فولَّوه رقابهم)[4] .

وأخرج أسد السنة في « فضائله » عن معاوية بن قرة قال : (ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكُّون أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **وما كانوا يجتمعون علىٰ خطأ أو ضلالة**)[5] .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ما رآه المسلمون حسناً . . **فهو عند الله حسن** ، وما رآه المسلمون سيئاً . . فهو عند الله

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ١٨٣) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٤٧٦٤) .

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧٦) .

(٤) معرفة السنن والآثار (١/ ٩٢) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٩٧) .

سيىء ، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر)[1] .

وأخرج الحاكم وصححه الذهبي عن مرة الطيب قال : جاء أبو سفيان ابن حرب إلىٰ علي فقال : (ما بال هـٰذا الأمر في أقل قريش قلة ، وأذلها ذلاً ـ يعني : أبا بكر ـ والله ؛ لئن شئت . . لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً ؟!) فقال علي : (لطال ما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان . . فلم يضره ذلك شيئاً ؛ إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً)[2] .

فصل
في مبايعته

روى الشيخان : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس مرجعه من الحج ، فقال في خطبته :

(قد بلغني أن فلاناً منكم يقول : لو مات عمر . . بايعت فلاناً ، فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلْتَةً [وتمت] ، ألا وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقىٰ شرها ، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة ، وتخلف الأنصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلىٰ أبي بكر ، فقلت له : يا أبا بكر ؛ انطلق بنا إلىٰ إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتىٰ لقينا رجلان صالحان ، فذكرا لنا الذي صنع القوم ، قالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار ، فقالا : لا عليكم ألا تقربوهم ، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين ، فقلت : والله ؛ لنأتينهم .

فانطلقنا حتىٰ جئناهم في سقيفة بني ساعدة ؛ فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت : من هـٰذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة ، فقلت :

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٨) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٨) .

ما له ؟ قالوا : وجع ، فلما جلسنا . . قام خطيبهم ، فأثنىٰ على الله بما هو أهله وقال :

أما بعد : فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفَّت دافة منكم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويحضنونا من الأمر .

فلما سكت . . أردت أن أتكلم ، وكنت قد زوَّرت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري منه بعض الحدِّ ، وهو كان أحلم مني وأوقر ، فقال أبو بكر : علىٰ رسلك ، فكرهت أن أغضبه ، وكان أعلم مني ، والله ؛ ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري . . إلا قالها في بديهته مثلها وأفضل منها حتىٰ سكتَ ، فقال :

أما بعد : فما ذكرتم فيكم من خير . . فأنتم أهله ، ولم تعرف العرب هـٰذا الأمر إلا لهـٰذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هـٰذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة ابن الجراح [وهو جالس بيننا] فلم أكره مما قال غيرها ، وكان والله ؛ أن أُقدَّم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم . . أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر علىٰ قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيلها المُحكَّك ، وعُذَيقها المُرجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ، وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات حتىٰ خشيتُ الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعتُه وبايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، أما والله ؛ ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة . . أن يُحدِثوا بعدنا بيعة ؛ فإما أن نبايعهم علىٰ ما لا نرضىٰ ، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد)[1] .

وأخرج النسائي ، وأبو يعلىٰ ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا معشر الأنصار ؛ ألستم تعلمون أن

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٣٠) ، وصحيح مسلم (١٦٩١) بقطعة منه ، وانظر « الجمع بين الصحيحين » (٢٦) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟! فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر)[1] .

[بدء المبايعة وأول من بايع]

وأخرج ابن سعد ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر . . فقام خطباء الأنصار ، فجعل الرجل منهم يقول : يا معشر المهاجرين ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم . . قرن معه رجلاً منا ، فنرىٰ أن يلي هـٰذا الأمر رجلان منا ومنكم ، فتتابعت خطباء الأنصار علىٰ ذلك .

فقام زيد بن ثابت فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبي بكر فقال : هـٰذا صاحبكم ، فبايعه عمر ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ، فصعد أبو بكر المنبر ، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت : ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فقام فبايعه ، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فدعا به فجاء ، فقال : قلت : ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه علىٰ بنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فبايعه)[2] .

[خطبة الصديق رضي الله عنه بعد البيعة]

وقال ابن إسحاق في « السيرة » : حدثني الزهري قال : حدثني أنس بن مالك

---

(١) سنن النسائي (٢/ ٧٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٧) ، وانظر « المقصد العلي » (٨٤٧) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٤ـ ١٩٥) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٧٦) ، والسنن الكبرىٰ (٨/ ١٤٣) .

قال : (لما بويع أبو بكر في السقيفة ، وكان الغد . . جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : إن الله قد جمع أمركم علىٰ خيركم ؛ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أما بعد : أيها الناس ؛ فإني قد ولِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت . . فأعينوني ، وإن أسأت . . فقوِّموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتىٰ أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتىٰ آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدَعُ قوم الجهاد في سبيل الله . . إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط . . إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله . . فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلىٰ صلاتكم يرحمكم الله)[1] .

وأخرج موسى بن عقبة في « مغازيه » ، والحاكم وصححه عن عبد الرحمـٰن بن عوف قال : (خطب أبو بكر فقال : والله ؛ ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ، ولا كنت راغباً فيها ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ؛ ولكني أشفقت من الفتنة ، وما لي في الإمارة من راحة ، ولقد قُلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله .

فقال علي والزبير : ما غضبنا إلا لأنَّا أُخرنا عن المشورة ، وإنا نرىٰ أبا بكر أحق الناس بها ؛ إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أَمَرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي)[2] .

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم التيمي قال : (لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أتىٰ عمر أبا عبيدة ابن الجراح فقال : ابسط يدك فلأبايعك ؛ فإنك

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦١) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٦) ، وأخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (٨/ ١٥٢) ، من طريق موسى بن عقبة ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٥/ ٢٥٠) : (إسناده جيد) .

أمين هٰذه الأمة علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فَهَّة قبلها منذ أسلمت ؛ أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين ؟!)[1] .

الفَهَّة : ضعف الرأي .

وأخرج ابن سعد أيضاً عن محمد : أن أبا بكر قال لعمر : (ابسط يدك نبايع لك ، فقال له عمر : أنت أفضل مني ، فقال له أبو بكر : أنت أقوىٰ مني ، فقال عمر : فإن قوتي لك مع فضلك ، فبايعه)[2] .

وأخرج أحمد عن حميد بن عبد الرحمـٰن بن عوف قال : (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ، فجاء فكشف عن وجهه فقبَّله وقال : فدىً لك أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً !! مات محمدٌ وربِّ الكعبة . . .) فذكر الحديث .

قال : وانطلق أبو بكر وعمر يَتَقَاوَدان حتىٰ أَتَوْهم[3] ، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم . . إلا ذكره ، وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو سَلَكَ الناسُ وادياً وسَلَكتِ الأنصارُ وادياً . . لسَلَكتُ وادِيَ الأنصارِ » ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد : « قريشٌ ولاةُ هـٰذا الأمرِ ، فبَرُّ الناسِ تَبَعٌ لبَرِّهم ، وفاجِرُهم تَبَعٌ لفاجِرِهم » ، فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء[4] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : (لما بويع أبو بكر . . رأىٰ من الناس بعض الانقباض ، فقال : أيها الناس ؛ ما يمنعكم ؟ ألستُ أحقكم بهـٰذا الأمر ؟ ألست أول من أسلم ؟ ألست ألست . . . فذكر خصالاً)[5] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٦) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٣) .
(٣) يتقاودان : يذهبان مسرعين ، كأن كل واحد منهما يقود الآخر لسرعته .
(٤) مسند أحمد (١/ ٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٧) ، وتقدم نحوه (ص ١٠٦ـ١٠٧) .

وأخرج أحمد عن رافع الطائي قال : حدثني أبو بكر عن بيعته وما قالته الأنصار وما قاله عمر ، قال : (فبايعوني وقبلتها منهم ، وتخوفتُ أن تكون فتنة تكون بعدها ردة)[1] .

وأخرج ابن إسحاق ، وابن عائذ في « مغازيه » عنه أنه قال لأبي بكر : ما حملك علىٰ أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين ؟! قال : (لم أجد من ذلك بداً ، خشيت علىٰ أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة) .

وأخرج أحمد عن قيس بن أبي حازم قال : إني لجالس عند أبي بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، فذكر قصة ، فنودي في الناس : الصلاة جامعة ؛ وهي أول صلاة في المسلمين نودي لها : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر ، ثم قال : (أيها الناس ؛ لوددت أن هـٰذا كفانيه غيري ، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم . . ما أطيقها ؛ إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء)[2] .

وأخرج ابن سعد عن الحسن البصري قال : لما بويع أبو بكر . . قام خطيباً فقال : (أما بعد : فإني ولِّيت هـٰذا الأمر وأنا له كاره ، ووالله ؛ لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لم أقم به ؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ، ولست بخير من أحدكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت . . فاتبعوني ، وإذا رأيتموني زُغت . . فقوِّموني ، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا رأيتموني غضبت . . فاجتنبوني لا أؤثِّر في أشعاركم وأبشاركم)[3] .

وأخرج ابن سعد ، والخطيب في « رواة مالك » عن عروة قال : لما ولي أبو بكر . . خطب الناس ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : (أما بعد : فإني قد

---

(١) مسند أحمد (١/ ٨) ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٥/ ٢٤٨) : (وهـٰذا إسناد جيد قوي) .
(٢) مسند أحمد (١/ ١٣) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٤) .

وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نَزَل القرآن ، وسنَّ النبي صلى الله عليه وسلم السنن ، وعلمنا فعلمنا ، **فاعلموا أيها الناس : أن أكيس الكيس التقىٰ ، وأعجز العجز الفجور** ، وأن أقواكم عندي الضعيف حتىٰ آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندي القوي حتىٰ آخذ منه الحق ، **أيها الناس ؛** إنما أنا متَّبِع ولست بمبتدع ، **فإذا أحسنت . . فأعينوني ، وإن أنا زُغت . . فقوِّموني** ، أقول قولي هـٰذا وأستغفر الله لي ولكم)[1] .

قال مالك : (لا يكون أحد إماماً أبداً إلا علىٰ هـٰذا الشرط)[2] .

وأخرج الحاكم في « مستدركه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ارتجت مكة ، فسمع أبو قحافة ذلك فقال : ما هـٰذا ؟ قالوا : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أمر جليل ، فمَن قام بالأمر بعده ؟ قالوا : ابنك ، قال : **فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة** ؟ قالوا : نعم ، قال : **لا واضع لما رفعت ، ولا رافع لما وضعت**)[3] .

وأخرج الواقدي من طرق عن عائشة وابن عمر وسعيد بن المسيب وغيرهم : (**أن أبا بكر بُويع يوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم** : يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة)[4] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر قال : (**لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر حتىٰ لقي الله ، ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتىٰ لقي الله ، ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتىٰ لقي الله**)[5] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٧) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤٠٧٣) وعزاه للخطيب في « رواة مالك » .

(٢) أورده الدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (١/ ٤١٠) .

(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٢٤٥) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٩) من طريق الواقدي .

(٥) المعجم الأوسط (٧٩٢٣) .

فَصْلٌ
فيما وقع في خلافته

والذي وقع في أيامه من الأمور الكبار : تنفيذ جيش أسامة ، وقتال أهل الردة ، ومانعي الزكاة ، ومسيلمة ، وجمع القرآن .

أخرج الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال : (لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ارتد من ارتد من العرب ، وقالوا : نصلي ولا نزكي ، فأتيت أبا بكر فقلت : يا خليفة رسول الله ؛ تألَّفِ الناسَ وارفق بهم ؛ فإنهم بمنزلة الوحش ، فقال : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ؟! جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام ؟! بماذا عسيت أن أتألَّفهم ؟! بشعر مفتعل ، أو بسحر مفترىٰ ؟! هيهات هيهات !! مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي ، والله ؛ لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً .

قال عمر : فوجدته في ذلك أمضىٰ مني وأصرم ، وأدب الناس علىٰ أمور هانت علىٰ كثير من مؤنتهم حين وليتهم)(١) .

[أول اختلاف وقع بين الصحابة]

وأخرج أبو القاسم البغوي ، وأبو بكر الشافعي في « فوائده » ، وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . اشرأبَّ النفاق ، وارتدت العرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي . . لهاضَها ، فما اختلفوا في نقطة . . إلا طار أبي بفنائها وفصلها ، قالوا : أين يدفن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علماً ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبيٍّ يُقبَضُ . . إلاَّ دُفِن تحتَ مَضجَعِه الذي ماتَ فيه » .

قالت : واختلفوا في ميراثه ، فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً ، فقال

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦٨٣٨) وعزاه للإسماعيلي .

أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّا معشَرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ ، ما تَركنا صَدَقةٌ »[1] .

قال الأصمعي : (الهيض : الكسر للعظم ، واشرأب : رفع رأسه) .

قال بعض العلماء : وهٰذا أول اختلاف وقع بين الصحابة رضي الله عنهم ، فقال بعضهم : ندفنه بمكة بلده الذي ولد بها ، وقال آخرون : بل بمسجده ، وقال آخرون : بل بالبقيع ، وقال آخرون : بل ببيت المقدس مدفن الأنبياء ، حتىٰ أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم .

قال ابن زَنْجويه : (وهٰذه سنة تفرَّد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ، ورجعوا إليه فيها) .

[إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه]

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (والذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لولا أن أبا بكر استخلف . . ما عُبد الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة !! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّه أسامة بن زيد في سبع مئة إلى الشام ، فلما نزل بذي خُشُب . . قُبض النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : رُدَّ هـٰؤلاء ؛ تُوَجِّهُ هـٰؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟!

فقال : والذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لو جرَّتِ الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما رددت جيشاً وجَّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حللت لواءً عقده ، فوجه أسامةَ ، فجعل لا يمر بقبيل[2] يريدون الارتداد . . إلا قالوا : لولا أن لهـٰؤلاء قوة . . ما خرج مثل هـٰؤلاء من عندهم ؛ ولكن ندعهم

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣١١) من طريق أبي القاسم البغوي ، والغيلانيات (٨٩٩) .
(٢) القبيل : الجماعة من الثلاثة فصاعداً .

حتىٰ يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام)[1] .

وأخرج عن عروة قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه : « أَنفِذُوا جيشَ أسامةَ » فسار حتىٰ بلغ الجُرْف ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل ، فلم يبرح حتىٰ قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض . . رجع إلىٰ أبي بكر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني وأنا علىٰ غير حالكم هـٰذه ، وأنا أتخوف أن تكفر العرب ؛ فإن كفرت . . كانوا أول من يقاتل ، وإن لم تكفر . . مضيت ؛ فإن معي سروات الناس وخيارهم .

فخطب أبو بكر الناس ، ثم قال : والله ؛ لأن تخطفني الطير . . أحب إليَّ من أن أبدأ بشيء قبلَ أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثه[2] .

[قتال أهل الردة]

قال الذهبي : (لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي . . ارتد طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ، ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله ؛ لو منعوني عِقالاً أو عَناقاً كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقاتلتهم علىٰ منعها .

فقال عمر : كيف تقاتل الناس ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمرت أن أُقاتلَ الناسَ حتىٰ يقولوا : لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله ، فمَن قَالَها . . عصَمَ منِّي مالَه ودَمَه إلا بحَقِّها ، وحسابُه على اللهِ » ؟!

فقال أبو بكر : والله ؛ لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، وقد قال : « إلا بحقها » .

---

(١) تاريخ دمشق (٣١٦/٣٠) من طريق البيهقي ، وانظر « البداية والنهاية » (٣٠٥/٦) .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٦٢/٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/٨) .

قال عمر : فوالله ؛ ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق)[1] ، أخرجه. . . . .[2] .

وعن عروة قال : (خرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتىٰ بلغ نَقْعاً حذاء نجد ، وهربت الأعراب بذراريهم ، فكلم الناسُ أبا بكر وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء ، وأمّر رجلاً على الجيش ، ولم يزالوا به حتىٰ رجع ، وأمَّر خالد بن الوليد ، وقال له : إذا أسلموا وأعطوا الصدقة : فمَن شاء منكم . . فليرجع ، ورجع أبو بكر إلى المدينة)[3] .

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر قال : (لما برز أبو بكر واستوىٰ علىٰ راحلته . . أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال : إلىٰ أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « شِمْ سَيفَكَ[4] ، ولا تُفجعنا بنفسِكَ » وارجع إلى المدينة ، فوالله ؛ لئن فُجعنا بك . . لا يكون للإسلام نظام أبداً)[5] .

وعن حنظلة بن علي الليثي : (أن أبا بكر بعث خالداً ، وأمره أن يقاتل الناس علىٰ خمس ، من ترك واحدة منهن . . قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً : علىٰ شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان)[6] .

وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة ، فقاتل بني أسد وغطفان ، وقتل من

---

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٢٧) .

(٢) كذا في النسخ بياض بعد قوله : (أخرجه) ، وفي هامش (ب) : (هنا سقط في خط المؤلف) ، والحديث أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ، ومسلم (٢٠) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥/ ١٦٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ٢٨) .

(٤) شم سيفك : أغمده .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤١٦٧) ، وعزاه للدارقطني في « غرائب مالك » .

(٦) أخرجه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٩٧٥) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١١٤١٠) وعزاه لأحمد في « السنة » ، وزاد فيه : (والحج) .

قتل ، وأسر من أسر ، ورجع الباقون إلى الإسلام ، واستشهد بهـٰذه الوقعة من الصحابة : عكَّاشة بن مِحصن وثابت بن أَقْرَم[1] .

وفي رمضان من هـٰذه السنة : ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وعمرها أربع وعشرون سنة[2] .

قال الذهبي : (وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب إلا منها ؛ فإن عقب ابنته زينب انقرضوا ، قاله الزبير بن بكار)[3] .

وماتت قبلها بشهر أم أيمن[4] .

وفي شوال : مات عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه[5] .

[قتال مسيلمة وموته وذكر بعض من مات في اليمامة]

ثم سار خالد بجموعه إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب في أواخر العام ، فالتقى الجمعان ، ودام الحصار أياماً ، ثم قُتل الكذاب إلىٰ لعنة الله ، قتله وحشي قاتل حمزة .

واستشهد فيها خلق من الصحابة : أبو حذيفة بن عتبة[6] ، وسالم مولىٰ أبي حذيفة[7] ، وشجاع بن وهب ، وزيد بن الخطاب ، وعبد الله بن سُهيل ، ومالك بن عمرو ، والطفيل بن عمرو الدوسي ، ويزيد بن قيس ، وعامر بن

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (٦/ ٣١٧) .

(٢) واختلف في سنها يوم ماتت ، فقيل : ماتت عن تسع وعشرين ، قاله ابن سعد في « الطبقات » (٨/ ٢٩) ، والدولابي في « الذرية الطاهرة » (٢٠١) ، والطبري في « تاريخه » (٣/ ٢٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ١٦٠) ، وقيل : ماتت عن ثلاثين ، قاله ابن أبي خيثمة في « تاريخه » (٣/ ٣٨٨) ، وقيل : ماتت عن إحدىٰ وعشرين ، قاله الحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٦٣) ، وقيل غير ذلك ، انظر « تاريخ دمشق » (٣/ ١٦٠ـ ١٦١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٤) ، وجمهرة نسب قريش (٢/ ٥٤٩) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٩) ، ونقل عن الواقدي : أنها توفيت في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنهما ، وانظر « الإصابة » (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٩) .

(٦) اسمه : مِهْشم ، وقيل : هشيم ، وقيل : هاشم .

(٧) هو سالم بن عبيد ، وقيل : معقل .

البُكير ، وعبد الله بن مَخْرمة ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعبَّاد بن بشر ، ومعن بن عدي ، وثابت بن قيس بن شمَّاس ، وأبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشة ، وجماعة آخرون تتمة سبعين .

وكان لمسيلمة يوم قتل مئة وخمسون سنة ، ومولده قبل مولد عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة اثنتي عشرة : بعث الصِّديقُ العلاءَ بن الحضرمي إلى البحرين ، وكانوا قد ارتدوا ، فالتقوا بجُواثَىٰ[1] ، فنُصر المسلمون ، وبعث عكرمة بن أبي جهل إلىٰ عُمان وكانوا قد ارتدوا ، وبعث المهاجر بن أبي أمية إلىٰ أهل النُّجَير[2] وكانوا ارتدوا ، وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلىٰ طائفة من المرتدة .

وفيها : مات أبو العاصي بن الربيع[3] ؛ زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصَّعْب بن جَثَّامة الليثي ، وأبو مَرْثَد الغَنَوي[4] .

وفيها : بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلىٰ أرض البصرة ، فغزا الأُبُلَّة فافتتحها ، وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق صلحاً وحرباً .

وفيها : أقام الحج أبو بكر الصديق ، ثم رجع فبعث عمرو بن العاصي والجنود إلى الشام ، فكانت وقعة أَجنادِين ، في جمادى الأولىٰ ، سنة ثلاث عشرة ، ونصر الله المسلمين ، وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق .

واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل ، وهشام بن العاصي في طائفة .

وفيها : كانت وقعة مرج الصُّفْر وهزم المشركون ، واستشهد بها الفضل بن العباس في طائفة .

---

(١) الجواثىٰ : هو حصن بالبحرين .

(٢) النجير : هو حصن باليمن قرب حضرموت .

(٣) اسمه : لقيط ، وقيل : الزبير .

(٤) اسمه : كنَّاز بن الحصين .

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال : (أرسل إليَّ أبو بكر مَقتلَ أهلِ اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحَرَّ يوم اليمامة بالناس ، وإني لأخشىٰ أن يستَحِرَّ القتل بالقرَّاء في المَوَاطن فيذهبَ كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإنِّي لأرىٰ أن تجمع القرآن .

قال أبو بكر : فقلت لعمر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتىٰ شرح الله لذلك صدري ، فرأيت الذي رأىٰ عمر ، قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم .

فقال أبو بكر : إنك شاب عاقل ولا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَتَتَبَّعِ القرآن فاجمَعْه .

فوالله ؛ لو كلفني نقلَ جبل من الجبال . . ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن ، فقلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعتُ القرآن أجمعُه من الرِّقاع والأكتاف ، والعُسُب وصدور الرجال ، حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ . . .﴾ إلىٰ آخرها[1] ، فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفَّاه الله ، ثم عند عمر حتىٰ توفَّاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم)[2] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن علي قال : (أعظم الناس أجراً في المصاحف : أبو بكر ؛ إن أبا بكر كان أول من جمع بين اللوحين)[3] .

---

(١) أخرج عبد الرزاق في « المصنف » (١٥٥٦٨) ، وأحمد (٥/١٨٩) ، والطبراني في « الكبير » (٤/ ٨٢) عن سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (لما كتبت المصاحف . . فقدتُ آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا . . . وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ قال : وكان خزيمة يدعىٰ ذا الشهادتين) . وانظر تفصيل الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨/٥١٨ـ٥١٩) و(٩/ ١٥) .

(٢) صحيح البخاري (٤٦٧٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٨٠) من طريق أبي يعلىٰ .



في أَوَّلياته

منها : أنه أول من أسلم ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سماه مصحفاً ، وتقدم دليل ذلك[1] ، وأول من سمي خليفة .

أخرج أحمد ، عن ابن أبي مليكة قال : قيل لأبي بكر : يا خليفة الله ، قال : (**أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا راض به**)[2] .

ومنها : أنه أول من ولي الخلافة وأبوه حي ، وأول خليفة فرض له رعيته العطاء .

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما استُخلف أبو بكر . . قال : (**لقد علم قومي أن حِرفَتي لم تكن تعجزُ عن مُؤنة أهلي ، وشُغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل أبي بكر من هـٰذا المال ، ويحترف للمسلمين فيه**)[3] .

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال : (**لما بويع أبو بكر . . أصبح وعلىٰ ساعده أَبْراد ، وهو ذاهب إلى السوق ، فقال عمر : أين تريد ؟ قال : السوق ، قال : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ فقال عمر : انطلق . . يفرض لك أبو عبيدة ، فانطلقا إلىٰ أبي عبيدة ، فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقتَ شيئاً . . رددته وأخذت غيره ، ففرضا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن**)[4] .

وأخرج ابن سعد عن ميمون قال : لما استخلف أبو بكر . . جعلوا له ألفين ، فقال : (**زيدوني ؛ فإن لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة**) فزادوه خمس مئة[5] .

---

(١) تقدم (ص ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٦٣) .

(٢) مسند أحمد (١/ ١٠) .

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧٠) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٨) ، واللفظ من « كنز العمال » (١٤٠٦٧) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٩) .

وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال : (لما احتضر أبو بكر . . قال : **يا عائشة ؛ انظري اللِّقحة التي كنا نشرب من لبنها**[1] ، **والجَفْنة التي كنا نصطبح فيها ، والقَطيفة التي كنا نلبسها** ؛ فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين ، فإذا مت . . فارديه إلىٰ عمر ، **فلما مات أبو بكر** . . أرسلت به إلىٰ عمر ، فقال عمر : **رحمك الله يا أبا بكر ؛ لقد أتعبت من جاء بعدك**)[2] .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال : قال أبو بكر لما احتُضر لعائشة : (**يا بنية ؛ إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً** ؛ ولكنا أكلنا من جَرِيش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم علىٰ ظهورنا ، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هـٰذا العبد الحبشي ، وهـٰذا البعير الناضح ، وجَرْد هـٰذه القطيفة ، فإذا مت . . **فابعثي بهن إلىٰ عمر**)[3] .

ومنها : أنه أول من اتخذ بيت المال .

أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي حثمة وغيره : **أن أبا بكر رضي الله عنه كان له بيت مال بالسُّنْح ليس يحرسه أحد** ، فقيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟ قال : عليه قفل ، **وكان يعطي ما فيه حتىٰ يفرغ** ، فلما انتقل إلى المدينة . . حوَّله فجعله في داره ، **فقدم عليه مال** ، **فكان يقسمه علىٰ فقراء الناس** ، فيسوي بين الناس في القسم ، وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعله في سبيل الله ، واشترىٰ قطائف أُتي بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة ، **فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن** . . **دعا عمر الأمناء** ، ودخل بهم بيت مال أبي بكر ـ منهم عبد الرحمـٰن بن عوف ، وعثمان بن عفان ـ **ففتحوا بيت المال** ، **فلم يجدوا فيه لا ديناراً ولا درهماً**)[4] .

قلت : وبهـٰذا الأثر يرد قول العسكري في « الأوائل » : (إن أول من اتخذ

---

(١) اللقحة : الناقة ذات اللبن .

(٢) المعجم الكبير (١/ ٦٠) .

(٣) المحتضرين (٣٦) مختصراً ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١٧٩) بتمامه ، ويقال : انجرد الثوب ؛ إذا صار خَلَقاً بالياً .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٥) .

بيت المال عمر ، وإنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبي بكر رضي الله عنه)[1] .

وقد رددتُ عليه في كتابي الذي صنفته في الأوائل[2] ، ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال : (إن أول من ولي بيت المال : أبو عبيدة ابن الجراح لأبي بكر)[3] .

ومنها : قال الحاكم : (أول لقب في الإسلام : لقب أبي بكر ؛ عتيق)[4] .

فصل
[في تنفيذه رضي الله عنه عِدَة النبي صلى الله عليه وسلم]

أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو جَاءَ مالُ البحرينِ . . أَعطيتُك هـٰكذا ، وهـٰكذا ، وهـٰكذا » فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال أبو بكر : من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عِدَة . . فليأتنا ، فجئت فأخبرته ، فقال : خذ ، فأخذت ، فوجدتها خمس مئة ، فأعطاني ألفاً وخمس مئة[5] .

فصل
في نُبَذٍ من حلمه وتواضعه

أخرج ابن عساكر عن أُنيسة قالت : (نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل أن يُستخلف ، وسنة بعد ما استخلف ، فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن)[6] .

---

(١) الأوائل (ص ١٠٥) .
(٢) الوسائل إلىٰ معرفة الأوائل (ص ١٠١) .
(٣) الأوائل (ص ٢٤٣) .
(٤) معرفة علوم الحديث (ص ٢١٠) .
(٥) صحيح البخاري (٢٥٩٨) ، وصحيح مسلم (٢٣١٤) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٢٢) .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن ميمون بن مهران قال : (جاء رجل إلىٰ أبي بكر الصديق فقال : السلام عليك يا خليفة رسول الله ، قال : من بين هـٰؤلاء أجمعين ؟!)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري : (أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً ؛ كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيستقي لها ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاءها . . وجد غيره قد سبقه إليها ، فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها ، فرصده عمر ؛ فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها ، وهو يومئذ خليفة ، فقال عمر : أنت هو لعمري)[2] .

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمـٰن الأصبهاني قال : (جاء الحسن بن علي إلىٰ أبي بكر وهو علىٰ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انزل عن مجلس أبي ، فقال : صدقت ؛ إنه مجلس أبيك ، وأجلسه في حجره وبكىٰ ، فقال علي : والله ؛ ما هـٰذا عن أمري ، فقال : صدقت ، والله ؛ ما اتهمتك)[3] .

فصل
[في حجه رضي الله عنه]

أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال : (استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة المقبلة ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر . . استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ، فلما قبض أبو بكر واستُخلف عمر . . استعمل عبد الرحمـٰن بن عوف على الحج ، ثم

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٧٣٥) ، وعزاه لأحمد في « الزهد » .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٢٢) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٠٦ـ ٣٠٧) من طريق أبي نعيم ، وأخرجه ابن الأعرابي في « معجمه » (٨٣١) .

لم يزل عمر يحج سنيه كلها حتىٰ قبض ، فاستُخلف عثمان فاستعمل عبد الرحمـٰن بن عوف على الحج)[١] .

فَصْلٌ

في مرضه ووفاته ، ووصيته ، واستخلافه عمر

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال : (كان سبب موت أبي بكر وفاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كَمِدَ ، فما زال جسمه يَحْرِي حتىٰ مات)[٢] .

يحْري : أي ينقص .

وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب : أن أبا بكر والحارث بن كَلَدة كانا يأكلان خَزِيرة أُهديت لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي بكر : (ارفع يدك يا خليفة رسول الله ، والله ؛ إن فيها لسم سنة ، وأنا وأنت نموت في يوم واحد) ، فرفع يده ، فلم يزالا عليلين حتىٰ ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة[٣] .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : (ماذا نتوقع من هـٰذه الدنيا الدنية وقد سُمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسُمَّ أبو بكر ؟!)[٤] .

وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان أول بدء مرض أبي بكر : أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلىٰ صلاة ، وتوفي ليلة الثلاثاء ، لثمان بقين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة)[٥] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٢) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٠/ ٤٠٨) من طريق سيف بن عمر ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٣-٦٤) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٢) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٤) ، والخزيرة : نوع من الأطعمة ، يصنع من اللحم ، يقطع قطعاً صغاراً ، ثم يصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج . . ذر عليه الدقيق .

(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٤) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٥) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٣) .

[استخلافه لعمر رضي الله عنهما]

وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السَّفَر قال : (دخلوا علىٰ أبي بكر في مرضه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ؛ ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إليَّ ، فقالوا : ما قال لك ؟ قال : إني فعَّال لما أريد)[1] .

وأخرج الواقدي من طرق : (أن أبا بكر لما ثقل.. دعا عبد الرحمـٰن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب ، فقال : ما تسألني عن أمر.. إلا وأنت أعلم به مني !! فقال أبو بكر : وإن ، فقال عبد الرحمـٰن : هو والله أفضل من رأيك فيه .

ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : أنت أخبرُنا به ، فقال : علىٰ ذلك ، فقال : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله .

وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيِّرَ بعدك ؛ يرضىٰ للرضا ويسخط للسخط ، الذي يُسِرُّ خيرٌ من الذي يعلن ، ولن يلي هـٰذا الأمر أحد أقوىٰ عليه منه .

[عهد الصديق ووصيته رضي الله عنه]

ودخل عليه بعض الصحابة ، فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترىٰ غلظه ؟ فقال أبو بكر : أبالله تخوفوني ؟! أقول : اللهم ؛ استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عني ما قلت مَن وراءك .

ثم دعا عثمان فقال : اكتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هـٰذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ؛ حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨١ـ ١٨٢) ، والمحتضرين (٣٩) ، وأبو السَّفَر : هو سعيد بن يُحْمِد .

الكاذب : إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آلُ الله ورسولَه ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل . . فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدَّل . . فلكل امرىء ما اكتسب ، والخيرَ أردتُ ، ولا أعلم الغيب : ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم أمر بالكتاب فختمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً ، فبايع الناس ورضوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً ، فأوصاه بما أوصاه به ، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال : اللهم ؛ إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأيي ، فوليتُ عليهم خيرهم وأقواهم عليهم ، وأحرصهم علىٰ ما أرشدهم ، وقد حضرني من أمرك ما حضر ، فاخلفني فيهم ؛ فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم ولاتهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته)[1] .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال : (أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر ، وصاحبة موسىٰ حين قالت : استأجره ، والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته : أكرمي مثواه)[2] .

وأخرج ابن عساكر عن سيَّار أبي حمزة قال : (لما ثقل أبو بكر . . أشرف على الناس من كُوَّة فقال : أيها الناس ؛ إني قد عهدت عهداً أفترضون به ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله ، فقام علي فقال : لا نرضىٰ إلا أن يكون عمر ، قال : فإنه عمر)[3] .

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن أبا بكر لما حضرته الوفاة . . قال : أيُّ يوم هـٰذا ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : فإن مت من ليلتي . . فلا تنتظروا بي الغد ؛ فإن أحب الأيام والليالي إليَّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[4] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٣ـ ١٨٤) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٩٠) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٣) .
(٤) مسند أحمد (١/ ٨) .

وأخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر نحلها جادَّ عشرين وسقاً من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفاة . . قال : يا بنية ؛ والله ما من الناس أحد أحب إليَّ غنىً منك ، ولا أعز عليَّ فقراً بعدي منك ، وإني كنت نحلتكِ جادَّ عشرين وسقاً ، فلو كنت جددتيه واحتزتيه . . كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك ، فاقتسموه علىٰ كتاب الله ، فقلت : يا أبت ؛ والله لو كان كذا وكذا . . لتركته ، إنما هي أسماء ، فمن الأخرىٰ ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة ، أراها جارية)[1] .

وأخرجه ابن سعد ، وقال في آخره : (قال : ذات بطن ابنة خارجة ، قد أُلقي في روعي أنها جارية ، فاستوصي بها خيراً ، فولدت أم كلثوم)[2] .

وأخرج ابن سعد عن [خالد بن أبي عزة][3] : أن أبا بكر أوصىٰ بخُمُس ماله ، وقال : (آخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين)[4] .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : (لأن أوصي بالخمس . . أحب إليَّ من أن أوصي بالربع ، ولأن أوصي بالربع . . أحب إليَّ من أن أوصي بالثلث ، ومن أوصىٰ بالثلث . . لم يترك شيئاً)[5] .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن الضحاك : (أن أبا بكر وعلياً أوصيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوي قرابتهما)[6] .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن عائشة رضي الله عنها قالت : (والله ؛ ما ترك أبو بكر ديناراً ولا درهماً ضرب الله سكته)[7] .

---

(١) الموطأ (١٤٤٣) ، وجادَّ عشرين : جداد عشرين .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٨) .
(٣) وفي النسخ : (عن عروة) ، والمثبت من « الطبقات » ، وأخرجه من طريق ابن سعد بهٰذا الإسناد ابن عساكر في « تاريخه » (٣٠/ ٤٢٣) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٧) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٢) .
(٦) سنن سعيد بن منصور (٣٣٤) .
(٧) الزهد (ص١٠٩) .

وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما ثقل أبو بكر . . تمثلتُ بهٰذا البيت : [من الطويل]

لعمرُك ما يُغني الثَّراءُ عن الفَتىٰ إذا حَشْرجتْ يوماً وضاقَ بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ؛ ولكن قولي : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ **انظروا ثوبيَّ هٰذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما ؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت**)[1] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخلت علىٰ أبي بكر وهو في الموت فقلت : [من الرجز]

مَن لا يزالُ دمعه مقنَّعاً فإنَّه في مَرَّة مدفوق

فقال : لا تقولي هٰذا ؛ ولكن قولي : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ثم قال : **في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟** قلت : يوم الاثنين ، قال : **أرجو فيما بيني وبين الليل** ، فتوفي ليلة الثلاثاء ، ودُفن قبل أن يصبح)[2] .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن بكر بن عبد الله المزني قال : لما حُضر أبو بكر . . قعدت عائشة رضي الله عنها عند رأسه فقالت : [من مخلع البسيط]

وكل ذي إبل موردها[3] وكل ذي سلب مسلوب

ففهمها أبو بكر فقال : (ليس كذلك يا ابنتاه ؛ ولكنه كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ . . . ﴾ الآية)[4] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٩) ، والمحتضرين (٣٦) ، والبيت لحاتم الطائي في « ديوانه » (ص ٦٥) .

(٢) مسند أبي يعلىٰ (٤٤٥١) ، الدفق : السيلان .

(٣) كذا في (ب ، ج ، د) ، وفي : (أ ، هـ) : (موردا) ، وفي مصادر التخريج : (موروثها) ، والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١٨١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣٠/ ٤٢٧) ، والبيت لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص ٥٠) .

وأخرج أحمد ، عن عائشة رضي الله عنها : أنها تمثلت بهٰذا البيت وأبو بكر يقضي : [من الطويل]

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهِه ... ثِمالُ اليتامَىٰ عِصمةٌ للأَرامِلِ

فقال أبو بكر : (ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن عبادة بن نُسَي قال : لما حضرت أبا بكر الوفاة . . قال لعائشة : (اغسلي ثوبيَّ هٰذين وكفنيني بهما ؛ فإنما أبوك أحد رجلين : إما مكسو أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب)[2] .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي مُليكة : (أن أبا بكر أوصىٰ أن تغسله امرأته أسماء بنت عُمَيس ، ويعينها عبد الرحمٰن بن أبي بكر)[3] .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب : (أن عمر رضي الله عنه صلّىٰ علىٰ أبي بكر بين القبر والمنبر ، وكبر عليه أربعاً)[4] .

وأخرج عن عروة والقاسم بن محمد : (أن أبا بكر أوصىٰ عائشة أن يدفن إلىٰ جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توفي . . حُفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُلصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم)[5] .

وأخرج عن ابن عمر قال : (نزل في حفرة أبي بكر : عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمٰن بن أبي بكر)[6] .

وأخرج من طرق عدة : (أنه دفن ليلاً)[7] .

وأخرج عن ابن المسيب : (أن أبا بكر لما مات . . ارتجت مكة ، فقال

---

(١) مسند أحمد (١/ ٧) ، وعنده : (ربيع اليتامىٰ) ، والثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه .
(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧١٣) ، وعزاه لأحمد في « الزهد » .
(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١٨٦) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٩) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٢) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩١) .
(٧) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٠) .

أبو قحافة : ما هٰذا ؟ قالوا : مات ابنك ، قال : رزء جليل ، مَن قام بالأمر بعده ؟ قالوا : عمر ، قال : صاحبه)[1] .

وأخرج عن مجاهد : (أن أبا قحافة ردَّ ميراثه من أبي بكر علىٰ ولد أبي بكر ، ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياماً ، ومات في المحرم ، سنة أربع عشرة ، وهو ابن سبع وتسعين سنة)[2] .

قال العلماء : لم يلِ الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر ، ولم يرث خليفةً أبوه إلا أبا بكر .

وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال : (ولي أبو بكر سنتين وسبعة أشهر)[3] .

وفي « تاريخ ابن عساكر » بسنده عن الأصمعي قال : قال خُفَاف بن نَدْبة السلمي يبكي أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه : [من السريع]

ليسَ لحيٍّ فاعلَمَنْه بَقَاءْ	وكلُّ دُنيا أمرُها للفناءْ
والمُلْك في الأقوامِ مُستودعٌ	عاريةٌ والشرطُ فيه الأداءْ
والمرءُ يسعىٰ وله راصدٌ	تَندبُه العينُ ونار الصداءْ
يَهرم أو يُقتل أو قهرُه	يَشكوه سُقم ليس فيه شفاءْ
إنَّ أبا بكرٍ هو الغيثُ إذْ	لم تُزرع الجوزاءُ بقلاً بماءْ
تاللهِ لا يُدرك أيامَه	ذو مئزرٍ ناشٍ ولا ذو رِداءْ
مَن يسعَ كي يُدرك أيامَه	مجتهدُ الشَّدِّ بأرضٍ فضاءْ[4]

فصل
فيما روي عنه من الحديث المسند

قال النووي في « تهذيبه » : (روى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٢ـ ١٩٣) ، والرزء : المصيبة .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٣) .
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٥) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٤٣) ، والأبيات في « ديوانه » ضمن « شعراء إسلاميون » (ص ٥٠٩ـ ٥١١) .

وسلم مئة حديث واثنين وأربعين حديثاً ، وسبب قلة روايته : أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث ، واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها)[1] .

قلت : وقد ذكر عمر رضي الله عنه في حديث البيعة السابق : أن أبا بكر لم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم . . إلا ذكره[2] ، وهـٰذا أدل دليل علىٰ كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن .

رویٰ عنه : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن عوف ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابن عمرو ، وابن عباس ، وأنس ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وأبو هريرة ، وعقبة بن الحارث ، وعبد الرحمـٰن ابنه ، وزيد بن أرقم ، وعبد الله بن مغفل ، وعقبة بن عامر الجهني ، وعمران بن حصين ، وأبو برزة الأسلمي ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو الطفيل الليثي ، وجابر بن عبد الله ، وبلال ، وعائشة ابنته ، وأسماء ابنته .

ومن التابعين : أسلم مولىٰ عمر ، وأَوْسَط البجلي[3] وخلائق .

وقد رأيت أن أسرد أحاديثه هنا علىٰ وجه وجيز مبيناً عقب كل حديث من خرَّجه ، وسأفردها بطرقها في مسند إن شاء الله تعالىٰ .

١ـ حديث الهجرة ، الشيخان وغيرهما[4] .

٢ـ حديث البحر : « هو الطَّهورُ ماؤه الحِلُّ مَيتتُه » الدارقطني[5] .

٣ـ حديث : « السِّواكُ مَطهرةٌ للفمِ ، مَرضاةٌ للربِّ » أحمد[6] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٩١) .

(٢) تقدم (ص ١٥٤) .

(٣) وهو : أوسط بن إسماعيل .

(٤) صحيح البخاري (٤٦٦٣) ، ومسلم (٢٣٨١) .

(٥) سنن الدارقطني (١/ ٣٤) مرفوعاً ، و(١/ ٣٥) موقوفاً ، وصحح الموقوف في « العلل » (١/ ٢٢١) .

(٦) مسند أحمد (١/ ٣) .

٤ـ حديث : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتفاً ، ثم صلىٰ ولم يتوضأ) البزار وأبو يعلىٰ[١] .

٥ـ حديث : « لا يَتوضأَنَّ أحدُكم من طعامٍ أكَلَه حلَّ له أكلُه » البزار[٢] .

٦ـ حديث : (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب المصلين) أبو يعلىٰ والبزار[٣] .

٧ـ حديث : (أن آخر صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم خلفي في ثوب واحد) أبو يعلىٰ[٤] .

٨ ـ حديث : « مَن سرَّه أن يَقرأ القرآنَ غَضّاً كما أُنزل . . فليَقرأه علىٰ قراءَةِ ابن أمِّ عَبْدٍ » أحمد[٥] .

٩ـ حديث : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : « قل : اللهمَّ ؛ إنِّي ظَلَمتُ نَفسي ظُلماً كَثيراً ، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ ، فاغفِر لي مَغفرةً من عندكَ وارحَمْني ؛ إنَّك أنتَ الغفورُ الرحيمُ » البخاري ومسلم[٦] .

١٠ـ حديث : « مَن صلَّى الصبحَ . . فهو في ذِمَّة الله ؛ فلا تَخفِروا الله في عَهدِه ، فمَن قَتَله . . طلَبَه الله حتىٰ يُكبه في النارِ علىٰ وَجهِه » ابن ماجه[٧] .

١١ـ حديث : « ما قُبض نبيٌّ قطُّ حتىٰ يَؤمَّه رجلٌ من أُمتِه » البزار[٨] .

١٢ـ حديث : « ما مِن رجلٍ يُذنب ذَنباً فيتوضأُ فيحسنُ الوضوءَ ، ثم يصلِّي

---

(١) مسند البزار (١٩) ، ومسند أبي يعلىٰ (٢٤) .
(٢) مسند البزار (٧٧) .
(٣) مسند أبي يعلىٰ (٨٨) ، ومسند البزار (٣٩) .
(٤) مسند أبي يعلىٰ (٥١) .
(٥) مسند أحمد (٧/١) ، وأخرجه ابن ماجه (١٣٨) .
(٦) صحيح البخاري (٨٣٤) ، وصحيح مسلم (٢٧٠٥) .
(٧) سنن ابن ماجه (٣٩٤٥) .
(٨) مسند البزار (٣) .

رَكعتين فيستغفرُ الله . . إلاَّ غَفَر له » أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان[1] .

١٣ـ حديث : « ما قَبض الله نبياً إلاَّ في الموضعِ الذي يُحب أن يدفَن فيه » الترمذي[2] .

١٤ـ حديث : « لعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارَىٰ ؛ اتَّخذوا قبورَ أَنبيائهم مَساجدَ » أبو يعلىٰ[3] .

١٥ـ حديث : « إنَّ الميت يُنضح عليه الحميمُ ببكاءِ الحيِّ » أبو يعلىٰ[4] .

١٦ـ حديث فرائض الصدقات بطوله ، البخاري وغيره[5] .

١٧ـ حديث : « اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ ؛ فإنها تُقيم العِوَج ، وتَدفع ميتة السُّوءِ ، وتقعُ من الجائعِ مَوقِعها من الشبعانِ » أبو يعلىٰ[6] .

١٨ـ حديث عن ابن أبي مليكة قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق ، فيضرب بذراع ناقته فينيخها ، فقالوا له : أفلا أمرتنا نناولكه ؟ فقال : (إن حبِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ألا أسأل الناس شيئاً) أحمد[7] .

١٩ـ حديث : (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عُميس حين نَفِست بمحمد بن أبي بكر أن تغتسل وتُهِل) البزار والطبراني[8] .

٢٠ـ حديث : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الحج أفضل ؟ فقال : « العَجُّ والثَّجُّ » الترمذي وابن ماجه[9] .

---

(١) مسند أحمد (١/٢) ، وسنن أبي داوود (١٥٢١) ، سنن الترمذي (٤٠٦) ، وسنن ابن ماجه (١٣٩٥) ، وسنن النسائي (١٠٢٤٧) ، وصحيح ابن حبان (٦٢٣) .

(٢) سنن الترمذي (١٠١٨) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « المسند » .

(٤) مسند أبي يعلىٰ (٤٧) .

(٥) صحيح البخاري (١٤٥٤) ، وسنن أبي داوود (١٥٦٧) ، وسنن ابن ماجه (١٨٠٠) .

(٦) مسند أبي يعلىٰ (٨٥) .

(٧) مسند أحمد (١١/١) .

(٨) مسند البزار (٧٨) ، والمعجم الكبير (١٣٨/٢٤) .

(٩) سنن الترمذي (٨٢٧) ، وسنن ابن ماجه (٢٩٢٤) ، والعج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : سيلان دماء الهدي .

٢١ـ حديث : أنه قبَّل الحَجَر وقال : (لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك . . ما قبلتك) الدارقطني[١] .

٢٢ـ حديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ببراءة إلىٰ أهل مكة : « لا يَحجُّ بعد العامِ مُشرك ، ولا يَطوفُ بالبيتِ عُريان . . . » الحديث ، أحمد[٢] .

٢٣ـ حديث : « مَا بينَ بَيتِي ومِنْبَري روضةٌ من رِيَاضِ الجنةِ ، ومِنْبَري علىٰ تُرعَةٍ من تُرَعِ الجنةِ » أبو يعلىٰ[٣] .

٢٤ـ حديث انطلاقه صلى الله عليه وسلم إلىٰ دار أبي الهيثم ابن التيِّهان بطوله ، أبو يعلىٰ[٤] .

٢٥ـ حديث : « الذَّهَب بالذَّهَبِ ، مِثلاً بمِثْلٍ ، والفِضَّة بالفضَّةِ ، مِثْلاً بمِثْلٍ ، والزائدُ والمُستَزِيدُ في النارِ » أبو يعلىٰ والبزار[٥] .

٢٦ـ حديث : « مَلعُونٌ مَن ضارَّ مُؤمناً أو مَكَر به » الترمذي[٦] .

٢٧ـ حديث : « لا يَدخلُ الجنةَ : بخيلٌ ، ولا خِبٌّ ولا خائِنٌ ، ولا سيىءُ المَلَكَة ، وأولُ مَن يدخلُ الجنةَ : المملوكُ إذا أطاعَ الله وأطاعَ سيِّدَه » أحمد[٧] .

٢٨ـ حديث : « الوَلاءُ لمَن أَعْتَق » الضياء المقدسي في « المختارة »[٨] .

٢٩ـ حديث : « لا نُورَثُ ، ما تَركنا صدقةٌ » البخاري[٩] .

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٢٥٠٦) وعزاه لابن أبي شيبة والدارقطني في « العلل » ، وانظر « علل الدارقطني » (١/ ١٦٧ـ١٦٨) .

(٢) مسند أحمد (١/ ٣) .

(٣) مسند أبي يعلىٰ (١١٨) .

(٤) مسند أبي يعلىٰ (٧٨) .

(٥) مسند أبي يعلىٰ (٥٥) ، ومسند البزار (٤٥) .

(٦) سنن الترمذي (١٩٤٠) .

(٧) مسند أحمد (١/ ٤) ، والخِبُّ : الرجل الخداع ، وسيىء الملكة : هو من يتجاوز الحد في تعذيب المماليك .

(٨) المختارة (١٧) .

(٩) صحيح البخاري (٤٠٣٦) .

٣٠ـ حديث : « إنَّ اللهَ إذا أَطعَمَ نَبيّاً طُعمة ثم قَبَضه . . جَعَلها للذي يقومُ مِن بَعدِه » أبو داوود[١] .

٣١ـ حديث : « كُفْرٌ بالله تبرؤٌ مِن نسَبٍ وإن دَقَّ » البزار[٢] .

٣٢ـ حديث : « أنتَ ومالُكَ لأَبيكَ » قال أبو بكر : وإنما يعني بذلك النفقة ، البيهقي[٣] .

٣٣ـ حديث : « مَن اغْبَرَّت قدَمَاه في سبيلِ اللهِ . . حَرَّمهما اللهُ على النارِ » البزار[٤] .

٣٤ـ حديث : « أُمرت أن أُقاتِلَ الناسَ . . . » الحديث ، الشيخان وغيرهما[٥] .

٣٥ـ حديث : « نِعمَ عبدُ الله وأخو العَشِيرَةِ خالدُ بن الوليدِ ، وسيفٌ من سيوفِ الله ، سَلَّه الله على الكفارِ والمُنافقين » أحمد[٦] .

٣٦ـ حديث : « ما طَلَعت الشمسُ علىٰ رجلٍ خيرٍ مِن عُمر » الترمذي[٧] .

٣٧ـ حديث : « مَن وَلِيَ مِن أمرِ المسلمينَ شيئاً ، فأمَّر عليهم أَحداً محاباةً . . فعليه لعنةُ اللهِ ، لا يَقبلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً ؛ حتىٰ يُدخله جَهَنم ، ومَن أعْطَىٰ أَحداً حِمَى اللهِ . . فقد انتَهَك من حِمَى الله شيئاً بغيرِ حقِّه ، فعليه لعنةُ اللهِ » أحمد[٨] .

٣٨ـ حديث قصة ماعز ورجمه ، أحمد[٩] .

---

(١) سنن أبي داوود (٢٩٧٣) .
(٢) مسند البزار (٧٠) .
(٣) السنن الكبرىٰ (٧/ ٤٨١) .
(٤) مسند البزار (٢٢) .
(٥) صحيح البخاري (١٣٩٩) ، وصحيح مسلم (٢٠) ، وسنن أبي داوود (١٥٥٦) ، وسنن الترمذي (٢٦٠٧) .
(٦) مسند أحمد (١/ ٨) .
(٧) سنن الترمذي (٣٦٨٤) .
(٨) مسند أحمد (١/ ٦) .
(٩) مسند أحمد (١/ ٨) .

٣٩ـ حديث : « ما أَصرَّ مَن استَغفَر وإن عادَ في اليومِ سَبعينَ مرةً » الترمذي[١] .

٤٠ـ حديث : (أنه صلى الله عليه وسلم شاور في أمر الحرب) الطبراني[٢] .

٤١ـ حديث : (نزلت : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ . . .) الحديث ، الترمذي وابن حبان وغيرهما[٣] .

٤٢ـ حديث : (إنَّكم تَقرؤون هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ . . .) الحديثَ ، أحمد والأربعة وابن حبان[٤] .

٤٣ـ حديث : « ما ظَنُّك باثْنين اللهُ ثَالثُهما » الشيخان[٥] .

٤٤ـ حديث : « اللهمَّ ؛ طَعْناً وطَاعُوناً » أبو يعلىٰ[٦] .

٤٥ـ حديث : « شَيَّبَتني هُود . . . » الحديث ، الدارقطني في « العلل »[٧] .

٤٦ـ حديث : « الشِّركُ أَخفىٰ في أُمتي مِن دَبِيبِ النَّملِ . . . » الحديث ، أبو يعلىٰ وغيره[٨] .

٤٧ـ حديث : (قلت : يا رسول الله ؛ علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . . .) الحديث ، الهيثم بن كليب في « مسنده » ، وهو عند الترمذي وغيره من مسند أبي هريرة[٩] .

٤٨ـ حديث : « عَليكم بلا إلٰه إلاَّ اللهُ والاستغفارِ ؛ فإنَّ إبليسَ قال : أهلكتُ

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٥٩) ، وأخرجه أبو داوود (١٥١٤) .
(٢) المعجم الكبير (١/ ٦٣) .
(٣) سنن الترمذي (٣٠٣٩) ، وصحيح ابن حبان (٢٩١٠) ، ومسند أبي يعلىٰ (٢١) .
(٤) مسند أحمد (١/ ٢) ، وسنن أبي داوود (٤٣٣٨) ، وسنن الترمذي (٢١٦٨) ، وسنن ابن ماجه (٤٠٠٥) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١١١٥٧) ، وصحيح ابن حبان (٣٠٤) .
(٥) صحيح البخاري (٣٦٥٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٨١) .
(٦) مسند أبي يعلىٰ (٦٢) .
(٧) في (ج) : (العلل وغيره) ، العلل (١/ ٢٠٠) ، وأخرجه الترمذي (٣٢٩٧) .
(٨) مسند أبي يعلىٰ (٥٨) ، والمقدسي في « المختارة » (٦٢) .
(٩) سنن الترمذي (٣٣٩٢) ، وسنن أبي داوود (٥٠٦٧) .

الناسَ بالذنوبِ ، وأَهلكوني بلا إلَـه إلاَّ اللهُ والاستغفارِ ، فلما رأيتُ ذلك . . أَهلكتهم بالأهواءِ ، فهم يَحسبونَ أنَّهم مُهتدون » أبو يعلىٰ[1] .

٤٩ـ حديث : (لما نزلت : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ . . قلت : يا رسول الله ؛ والله لا أكلمك إلا كأخي السرار) البزار[2] .

٥٠ـ حديث : « كلٌّ ميسَّر لما خُلِقَ له » أحمد[3] .

٥١ـ حديث : « مَن كذَبَ عليَّ مُتعمِّداً ، أو ردَّ عليَّ شيئاً أَمرتُ به . . فليَتَبوَّأْ بَيتاً في جهنَّم » أبو يعلىٰ[4] .

٥٢ـ حديث : (ما نجاة هـٰذا الأمر . . .) الحديث في : (لا إلـه إلا الله) أحمد وغيره[5] .

٥٣ـ حديث : « اخرُجْ فَنادِ في الناسِ : مَن شهِدَ أنْ لا إلَـه إلاَّ اللهُ . . وجَبَت له الجنة » فخرجتُ فلقيني عمر . . . الحديث ، أبو يعلىٰ[6] ، وهو محفوظ من حديث أبي هريرة[7] ، غريب جداً من حديث أبي بكر .

٥٤ـ حديث : « صِنفان مِن أُمتي لا يَدخلان الجنة : المُرجِئَة ، والقَدَرية » الدارقطني في « العلل »[8] .

٥٥ـ حديث : « سَلُوا اللهَ العافية » أحمد والنسائي وابن ماجه[9] ، وله طرق كثيرة عنه .

٥٦ـ حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أمراً . . قال :

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (١٣٦) .
(٢) مسند البزار (٥٦) .
(٣) مسند أحمد(١/ ٥) .
(٤) مسند أبي يعلىٰ (٧٣) .
(٥) مسند أحمد (١/ ٦) ، ومسند البزار (٤) ، ومسند أبي يعلىٰ (٩) .
(٦) مسند أبي يعلىٰ (١٠٥) .
(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٣١) .
(٨) العلل (١/ ٢٨١) .
(٩) مسند أحمد (١/ ٣) ، وسنن النسائي (١٠٧٢٠) ، وسنن ابن ماجه (٣٨٤٩) .

« اللهمَّ ؛ خِرْ لِي ، واخْتَرِ لِي » الترمذي[1] .

٥٧- حديث : دعاء الدَّين : « اللهمَّ ؛ فارِجَ الهمِّ . . . » الحديث ، البزار والحاكم[2] .

٥٨- حديث : « كلُّ جَسَد نَبَت من سُحت . . فالنارُ أَولَىٰ به »[3] ، وفي لفظ : « لا يَدخُل الجنةَ جسدٌ غُذِي بحرامٍ » أبو يعلىٰ[4] .

٥٩- حديث : « ليسَ شيءٌ من الجَسَد إلاَّ وهو يَشكو ذَرَب اللِّسانِ » أبو يعلىٰ[5] .

٦٠- حديث : « يَنزِلُ الله ُليلةَ النصفِ من شعبانَ ، فيغفرُ فيها لكلِّ بشرٍ ، ما خَلا كافراً أو رجلاً في قَلبه شحناءُ » الدارقطني[6] .

٦١- حديث : « إنَّ الدَّجال يَخرجُ بالمشرقِ من أرضٍ يُقال لها : خُراسان ، يَتبعه أقوامٌ كأنَّ وجُوهَهُم المَجانُّ المُطْرَقة » الترمذي وابن ماجه[7] .

٦٢- حديث : « أُعطيت سَبعين أَلفاً يَدخلُون الجنةَ بغيرِ حِسابٍ . . . » الحديث ، أحمد[8] .

٦٣- حديث الشفاعة بطوله في تردد الخلائق إلىٰ نبي بعد نبي ، أحمد[9] .

٦٤- حديث : « لو سَلَك الناسُ وادياً ، وسَلَكت الأنصارُ وادياً . . لسَلَكتُ واديَ الأَنصارِ » أحمد[10] .

---

(١) سنن الترمذي (٣٥١٦) .
(٢) مسند البزار (٦٢) ، ومستدرك الحاكم (١/ ٥١٥) .
(٣) مسند أبي يعلىٰ (٨٣) .
(٤) مسند أبي يعلىٰ (٨٣) .
(٥) مسند أبي يعلىٰ (٥) .
(٦) أخرجه ابن حجر في « الأمالي المطلقة » (١/ ١٢٢) وقال : (أخرجه الدارقطني في « السنة ») .
(٧) سنن الترمذي (٢٢٣٧) ، وسنن ابن ماجه (٤٠٧٢) .
(٨) مسند أحمد (١/ ٦) .
(٩) مسند أحمد (١/ ٤) .
(١٠) مسند أحمد (١/ ٥) .

٦٥ـ حديث : « قريشٌ ولاةُ هـٰذا الأمرِ ؛ بَرُّهم تبعٌ لبَرِّهم ، وفاجِرُهم تَبَع لفاجِرِهم » أحمد[١] .

٦٦ـ حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أوصىٰ بالأنصار عند موته وقال : « اقبَلُوا مِن مُحسنِهم ، وتَجاوَزوا عن مُسيئهم » البزار والطبراني[٢] .

٦٧ـ حديث : « إنِّي لأَعلمُ أرضاً يُقال لها : عُمان ، يَنضح بناحيَتِها البحرُ ، بها حيٌّ من العربِ لو أَتاهم رَسُولي . . ما رَمَوه بسهمٍ ولا حَجَرٍ » أحمد وأبو يعلىٰ[٣] .

٦٨ـ حديث : أن أبا بكر مرَّ بالحسن وهو يلعب مع الغلمان ، فاحتمله علىٰ رقبته وقال : (بأبي شبيهٌ بالنبي ، ليس شبيهاً بعلي) البخاري[٤] ، قال ابن كثير : وهو في حكم المرفوع ؛ لأنه في قوة قوله : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشبه الحسن) .

٦٩ـ حديث : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور أم أيمن) مسلم[٥] .

٧٠ـ حديث قتل السارق في الخامسة ، أبو يعلىٰ والديلمي[٦] .

٧١ـ حديث قصة أحد ، الطيالسي والطبراني[٧] .

٧٢ـ حديث : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولا أرىٰ شيئاً ، قلت : يا رسول الله ؛ ما الذي تدفع ؟ قال : « الدُّنيا تَطولت لي ، فقلت : إليكِ عنِّي ، فقالت لي : أَمَا إنَّك لسْتَ بمُدرِكي » البزار[٨] .

---

(١) مسند أحمد (١/٥) .
(٢) مسند البزار (٣٠) ، والمعجم الكبير (١/٦٣) .
(٣) مسند أحمد (١/٤٤) ، ومسند أبي يعلىٰ (١٠٦) .
(٤) صحيح البخاري (٣٥٤٢) .
(٥) صحيح مسلم (٢٤٥٤) .
(٦) مسند أبي يعلىٰ (٢٨) .
(٧) مسند الطيالسي (٦) .
(٨) مسند البزار (٤٤) .

هـٰذا ما أورده ابن كثير في « مسند الصديق » من الأحاديث المرفوعة ، وقد فاته أحاديث أخرىٰ تتبعتها لتكملة العدة التي ذكرها النووي :

٧٣ـ حديث : « اقتُلُوا الفَرْد كائناً ما كانَ مِنَ الناسِ » الطبراني في « الأوسط »[١] .

٧٤ـ حديث : « انظُروا دُور مَن تَعْمُرون ، وأرضَ مَن تَسكنونَ ، وفي طريقِ مَن تَمشون » الديلمي[٢] .

٧٥ـ حديث : « أَكثِرُوا الصلاة عليَّ ؛ فإنَّ اللهَ وكَّل بقبرِي ملَكاً ، فإذا صلَّىٰ عليَّ رجلٌ من أُمتي . . قال لي ذلك الملكُ : إن فلانَ بنَ فلانٍ صلَّىٰ عليك الساعةَ » الديلمي[٣] .

٧٦ـ حديث : « الجمعةُ إلى الجمعةِ كفَّارةٌ لما بينهما ، والغُسل يومَ الجمعةِ كفَّارة . . . » الحديثَ ، العقيلي في « الضعفاء »[٤] .

٧٧ـ حديث : « إنَّما حرُّ جهنَّمَ علىٰ أُمتي مثلُ الحَمَّام » الطبراني[٥] .

٧٨ـ حديث : « إيَّاكم والكَذِبَ ؛ فإنَّ الكذِبَ مُجانِبٌ للإيمانِ » ابن لال في « مكارم الأخلاق »[٦] .

٧٩ـ حديث : « بشِّر مَن شهِدَ بدراً بالجنةِ » الدارقطني في « الأفراد »[٧] .

---

(١) المعجم الأوسط (٥٤٤٦) ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٢٣٦) ، ولفظه : « اقتلوا الفَذَّ من كان من الناس » ، وقال : (رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه صالح بن متيم ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) ، والمراد بالفرد : من فارق الجماعة ؛ كما أوضحه حديث عرفجة الذي أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٤١) .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٤٨٤٣) وعزاه للديلمي .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢١٨١) وعزاه للديلمي .

(٤) الضعفاء الكبير (٢/ ٢٢٠) .

(٥) المعجم الأوسط (٦٦٠٣) .

(٦) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٥) ، والبيهقي في « السنن » (١٠/ ١٩٦) ، وهو موقوف ، وقال البيهقي : (وقد روي مرفوعاً) ، وقال الدارقطني في « العلل » : (والصحيح منه : قول من وقفه) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٩/ ٤٧٣) من طريق الدارقطني ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣٨٩٢) وعزاه للدارقطني في « الأفراد » ، وانظر « أطراف الغرائب والأفراد » للمقدسي (ص٧٥) .

٨٠ ـ حديث : « الدَّين رايةُ الله الثقيلةُ ، مَن هـٰذا الذي يُطيق حَمْلَها ؟! » الديلمي[١] .

٨١ ـ حديث : « (سُورةُ يس) تُدعى المُعِمَّة. . . » الحديثَ ، الديلمي والبيهقي في « الشعب »[٢] .

٨٢ ـ حديث : « السُّلطانُ العادلُ المتواضِعُ ظلُّ اللهِ ورُمحه في الأرضِ ، ويرفعُ له في كل يومٍ وليلةٍ عملُ ستينَ صدِّيقاً » أبو الشيخ ابن حيان في كتاب « الثواب »[٣] .

٨٣ ـ حديث : « قال موسىٰ لربِّه : ما جَزاءُ مَن عزَّى الثَّكْلَىٰ ؟ قال : أُظِلُّه في ظِلِّي » ابن شاهين في « الترغيب » والديلمي[٤] .

٨٤ ـ حديث : « اللهمَّ ؛ اشدُدِ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطَّابِ » الطبراني في « الأوسط »[٥] .

٨٥ ـ حديث : « ما صِيدَ صيدٌ ، ولا عضدت عِضاهٌ ، ولا قُطعت وشيجةٌ. . إلا بقلَّة التسبيحِ » ابن راهويه في « مسنده »[٦] .

٨٦ ـ حديث : « لو لم أُبعث فيكم. . لبُعث عُمر. . . » الحديثَ ، الديلمي[٧] .

٨٧ ـ حديث : « لو اتَّجرَ أهلُ الجنةِ . . لاتَّجروا بالبزِّ » أبو يعلىٰ[٨] .

---

(١) مسند الفردوس (٣٠٩٨) .

(٢) شعب الإيمان (٢٤٦٥) .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤٥٨٩) وعزاه لأبي الشيخ ، وانظر ما قال الرازي في « العلل » (٦/ ٥٩١) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٢٩٥٧) وعزاه لابن شاهين في « الترغيب » ، وعزاه للديلمي الزرقاني في « شرح الموطأ » (٤/ ٤٤١) .

(٥) المعجم الأوسط (٦٤٥٣) .

(٦) مسند إسحاق ابن راهويه ؛ كما في « المطالب العالية » (٣٤٠٥) ، وقال ابن حجر : (هـٰذا معضل أو مرسل) .

(٧) مسند الفردوس (٥١٢٧) .

(٨) مسند أبي يعلىٰ (١١١) ؛ ولفظه : « إن أهل الجنة لا يتبايعون ، ولو تبايعوا. . ما تبايعوا إلا بالبز » .

٨٨ ـ حديث : « مَن خرجَ يَدعو إلىٰ نفسِه أو إلىٰ غيرِه وعلى الناسِ إمامٌ . . فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ، فاقتُلُوه » الديلمي[1] .

٨٩ ـ حديث : « مَن كتَبَ عنِّي عِلماً أو حديثاً . . لم يَزَل يُكتب له الأجرُ ما بَقي ذلك العلمُ أو الحديثُ » الحاكم في « التاريخ »[2] .

٩٠ـ حديث : « مَن مشَىٰ حافياً في طاعةِ الله . . لم يَسأله اللهُ يومَ القيامةِ عما افترُضَ عليه » الطبراني في « الأوسط »[3] .

٩١ـ حديث : « مَن سَرَّه أن يُظِلَّه اللهُ من فَوْرِ جهنَّم ويجعلَه في ظِلِّه . . فلا يَكن على المؤمنينَ غَليظاً ، وليَكُن بهم رَحيماً » ابن لال في « مكارم الأخلاق » ، وأبو الشيخ ابن حيان في « الثواب »[4] .

٩٢ـ حديث : « مَن أصبَحَ يَنوي لله طاعةً . . كَتَب اللهُ له أجرَ يومِه وإن عَصاه » الديلمي[5] .

٩٣ـ حديث : « ما تَرَك قومٌ الجهادَ . . إلاَّ عمَّهم اللهُ بالعذابِ » الطبراني في « الأوسط »[6] .

٩٤ـ حديث : « لا يدخلُ الجنةَ مُفترٍ » الديلمي ولم يسنده[7] .

٩٥ـ حديث : « لا تَحقِرنَّ أحداً من المسلمين ؛ فإنَّ صغيرَ المسلمينَ عند الله كبيرٌ » الديلمي[8] .

---

(١) مسند الفردوس (٥٤٩٣) .

(٢) أورده السيوطي في « اللآليء المصنوعة » (١/ ١٨٥) وعزاه للحاكم ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٨٩٥١) وعزاه لابن عساكر في « تاريخه » .

(٣) المعجم الأوسط (٦١٨٧) .

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ١٧٦) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (١١٢٦٠) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٥٩٨٥) وعزاه لابن لال وأبي الشيخ .

(٥) مسند الفردوس (٥٧٧٣) .

(٦) المعجم الأوسط (٣٨٣٩) .

(٧) مسند الفردوس (٧٦١٥) .

(٨) مسند الفردوس (٧٨١٣) .

٩٦ـ حديث : « يقولُ الله : إن كُنتم تريدونَ رَحمَتِي . . فارحَمُوا خَلْقِي » أبو الشيخ ابن حيان والديلمي[١] .

٩٧ـ حديث : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإزار ، فأخذ بعضلة الساق ، فقلت : يا رسول الله ؛ زدني ، فأخذ بمقدَّم العضلة ، فقلت : زدني ، قال : « لا خير فيما هو أسفلَ من ذلك » قلت : هلكنا يا رسول الله ، قال : « يا أبا بكرٍ ، سَدِّد وقارِبْ . . تَنجُ » أبو نعيم في « الحلية »[٢] .

٩٨ـ حديث : « كَفِّي وكفُّ عليٍّ في العدلِ سَواءٌ » الديلمي وابن عساكر[٣] .

٩٩ـ حديث : « لا تُغفلوا التَّعوذَ من الشيطانِ ؛ فإنَّكم إن لم تَكونوا تَرونه . . فإنَّه ليسَ عنكم بغافلٍ » الديلمي ولم يسنده[٤] .

١٠٠ـ حديث : « مَن بَنَىٰ لله مَسجداً . . بَنَى اللهُ له بَيتاً في الجنةِ » الطبراني في « الأوسط »[٥] .

١٠١ـ حديث : « مَن أكَلَ من هٰذه البقلةِ الخَبيثَةِ . . فلا يقربَنَّ مَسجدَنا » الطبراني في « الأوسط »[٦] .

١٠٢ـ حديث رفع اليدين في الافتتاح والركوع والرفع ، البيهقي في « السنن »[٧] .

١٠٣ـ حديث : (أنه صلى الله عليه وسلم أهدىٰ جملاً لأبي جهل) الإسماعيلي في « معجمه »[٨] .

---

(١) مسند الفردوس (٨١٠٣) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٣/ ٣٠) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٥٩٩١) وعزاه لأبي الشيخ والديلمي .
(٢) حلية الأولياء (٤/ ٣٦١) .
(٣) مسند الفردوس (٨٢٦٥) ، وتاريخ دمشق (٤٢/ ٣٦٩) .
(٤) مسند الفردوس (٧٤١٧) .
(٥) المعجم الأوسط (٧١١٤) .
(٦) المعجم الأوسط (٦١٣) ، والبقلة الخبيثة : الثوم .
(٧) السنن الكبرىٰ (٢/ ٧٣) .
(٨) معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي (١/ ٣١٢ـ٣١٣) .

١٠٤ـ حديث : « **النظرُ إلىٰ عليٍّ عبادةٌ** » ابن عساكر[١] .

فَصْلٌ
فيما ورد عن الصديق من تفسير القرآن

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر عن آية ؟ فقال : (**أيُّ أرض تسعني ، أو أيُّ سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله ؟!)**[٢] .

وأخرج أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر عن قوله تعالىٰ : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ؟ فقال : (أيُّ سماء تظلني ، أو أيُّ أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ؟!)[٣] .

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة ؟ فقال : (**إني سأقول فيها برأيي ؛ فإن يكن صواباً . . فمن الله ، وإن يكن خطأً . . فمني ومن الشيطان ، أراه ما خلا الولد والوالد**) ، فلما استخلف عمر قال : (**إني لأستحي أن أرد شيئاً قاله أبو بكر**)[٤] .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر لأصحابه : (**ما تقولون في هاتين الآيتين** : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ ؟ قالوا : **ثم استقاموا** : فلم يذنبوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة ، قال : **لقد حملتموها علىٰ غير المحمل** ، ثم قال : قالوا : ربنا الله ثم استقاموا : **فلم يميلوا إلىٰ إلـٰه غيره ، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك**)[٥] .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن سعد البجلي ، عن أبي بكر الصديق في قوله

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٠) .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في « سننه » (٣٩) (التفسير) .
(٣) فضائل القرآن (ص ٣٧٥) .
(٤) السنن الكبرىٰ (٦/ ٢٢٣) .
(٥) حلية الأولياء (١/ ٣٠) .

تعالىٰ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ قال : (النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ)[1] .

وأخرج ابن جرير عن أبي بكر في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ قال : (قد قالها الناس ، فمن مات عليها . . فهو ممن استقام)[2] .

فصل

فيما روي عن الصديق رضي الله عنه من الآثار الموقوفة[3] قولاً أو قضاء ، أو خطبة أو دعاء

أخرج اللالكائي في « السنة » عن ابن عمر قال : جاء رجل إلىٰ أبي بكر فقال : أرأيت الزنا بقدر ؟ قال : (نعم) ، قال : فإن الله قدَّره عليَّ ثم يعذبني ؟ قال : (نعم يا بن اللخناء ؛ أما والله ؛ لو كان عندي إنسان . . أمرت أن يجأ أنفك)[4] .

وأخرج ابن أبي شيبة في « مصنفه » عن الزبير : أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس : (يا معشر الناس ؛ استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده ؛ إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطياً رأسي ؛ استحياء من ربي)[5] .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن عمرو بن دينار قال : قال أبو بكر : (استحيوا من الله ، فوالله ؛ إني لأدخل الكنيف فأسند ظهري إلى الحائط ؛ حياء من الله)[6] .

وأخرج أبو داوود في « سننه » عن أبي عبد الله الصُّنابحي : (أنه صلىٰ وراء

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٠٤ـ١٠٥) .

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١١٤) ، ولكن عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وانظر « الدر المنثور » (٧/ ٣٢١) .

(٣) في (أ) و(ج) : (فيما ورد . . .) .

(٤) شرح أصول الاعتقاد (١٢٠٥) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١٣٣) .

(٦) لم نقف عليه في مطبوع « المصنف » ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٤١٨٢) وعزاه لعبد الرزاق .

أبي بكر المغرب ، فقرأ في الركعتين الأولين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل ، وقرأ في الثالثة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا . . . ﴾ الآية)[1] .

وأخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن ابن عيينة قال : كان أبو بكر إذا عزَّىٰ رجلاً . . قال : (ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزع فائدة ، الموت أهون مما قبله ، وأشد مما بعده ، اذكروا فَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . تصغر مصيبتكم ، وأعظم الله أجركم)[2] .

وأخرج ابن أبي شيبة والدارقطني عن سالم بن عبيد ـ وهو صحابي ـ قال : (كان أبو بكر الصديق يقول لي : قم بيني وبين الفجر حتىٰ أتسحر)[3] .

وأخرج عن أبي قلابة وأبي السَّفَر قالا : (كان أبو بكر الصديق يقول : أجيفوا الباب حتىٰ نتسحر)[4] .

وأخرج البيهقي وأبو بكر بن زياد النيسابوري في كتاب « الزيادات » عن حذيفة بن أَسِيد قال : (لقد أدركت أبا بكر وعمر وما يضحِّيان ؛ إرادة أن يستن بهما)[5] .

وأخرج أبو داوود عن ابن عباس قال : (شهدت علىٰ أبي بكر الصديق أنه قال : كلوا الطافي من السمك)[6] .

وأخرج الشافعي في « الأم » عن أبي بكر الصديق : (أنه كره بيع اللحم بالحيوان)[7] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « السنن » ، وأورده المزي في « تحفة الأشراف » (٦٦٠٧) استدراكاً من رواية أبي الطيب الأشناني ، وقال : (ولم يذكر أبو القاسم) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٦) من طريق ابن أبي خيثمة .

(٣) المصنف (٩٠٢٢) ، وسنن الدارقطني (٢/ ١٦٦) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٧٦١٨) من طريق أبي قلابة .

(٥) السنن الكبرىٰ (٩/ ٢٦٥) .

(٦) لم نقف عليه في مطبوع « السنن » ، وأورده المزي في « تحفة الأشراف » (٦٦٠٢) استدراكاً من رواية أبي الحسن ابن العبد عن أبي داوود ، وأخرجه الدارقطني في « السنن » (٤/ ٢٧٠) ، وانظر « فتح الباري » (٩/ ٦١٥) .

(٧) الأم (٤/ ١٦٧ـ١٦٨) .

وأخـرج البخـاري عنـه : (أنـه جعـل الجـد بمنـزلـة الأب) يعنـي : فـي الميراث[1] .

وأخرج ابن أبي شيبة في « مصنفه » عن عطاء ، عن أبي بكر قال : **(الجد بمنزلة الأب ، ما لم يكن أب دونه ، وابن الابن بمنزلة الابن ما لم يكن ابن دونه)**[2] .

وأخرج عن القاسم : أن أبا بكر أُتي برجلٍ انتفىٰ من أبيه ، فقال أبو بكر : **(اضرب الرأس ؛ فإن الشيطان في الرأس)**[3] .

وأخرج عن أبي مالك قال : كان أبو بكر إذا صلىٰ على الميت.. قال : **(اللهمَّ ؛ عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة ، والذنب عظيم ، وأنت غفور رحيم)**[4] .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن عمر : أن أبا بكر قضىٰ بعاصم بن عمر بن الخطاب لأم عاصم وقال : **(ريحها وشمها ولطفها خير له منك)**[5] .

وأخرج البيهقي عن قيس بن أبي حازم قال : (جاء رجل إلىٰ أبي بكر فقال : **إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه ؟ فقال لأبيه : إنما لك من ماله ما يكفيك ،** فقال : يا خليفة رسول الله ؛ أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتَ ومالُكَ لأبيكَ » فقال : **نعم ؛ وإنما يعني بذلك النفقة)**[6] .

وأخرج أحمد عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : **(أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد)**[7] .

---

(١) صحيح البخاري معلقاً قبل (٦٧٣٧) ، وفيه : (وقال أبو بكر وابن عباس وابن الزبير : « الجد أب ») .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٨٦١) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٦٤١) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١١٤٧٥) .

(٥) سنن سعيد بن منصور (٢٢٧٢) .

(٦) السنن الكبرىٰ (٧/ ٤٨١) .

(٧) لم نقف عليه في مطبوع « المسند » ، وأخرجه البيهقي في « السنن » (٨/ ٣٤) .

وأخرج البخاري عن ابن أبي مليكة ، عن جده : (أن رجلاً عضَّ يد رجل فأندر ثنيته ، فأهدرها أبو بكر)[1] .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن عكرمة : أن أبا بكر قضىٰ في الأذن بخمس عشرة من الإبل ، وقال : (يواري شينها الشعر والعمامة)[2] .

[أوصيك بعشر خلال]

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي عمران الجَوْني : أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام ، وأمَّر عليهم يزيد بن أبي سفيان فقال : (إني موصيك بعشر خلال : لا تقتلوا امرأة ، ولا صبياً ، ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطع شجراً مثمراً ، ولا تخربن عامراً ، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، ولا تفرقن[3] نحلاً[4] ولا تحرقه ، ولا تغلل ، ولا تجبن)[5] .

وأخرج أحمد ، وأبو داوود ، والنسائي عن أبي برزة الأسلمي قال : (غضب أبو بكر من رجل ، فاشتد غضبه جداً ، فقلت : يا خليفة رسول الله ؛ اضرب عنقه ، قال : ويلك !! ما هي لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[6] .

[بعض أقضية الصديق رضي الله عنه]

وأخرج سيف في كتاب « الفتوح » عن شيوخه : أن المهاجر بن أبي أمية ـ وكان أميراً على اليمامة ـ رُفع إليه امرأتان مغنيتان ؛ غنت إحداهما بشتم النبي صلى الله عليه وسلم : فقطع يدها ونزع ثناياها ، وغنت الأخرىٰ بهجاء

---

(١) صحيح البخاري (٢٢٦٦) ، وأندر : أسقط .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٣٨٠) ، والسنن الكبرىٰ (٨/ ٨٥) .

(٣) كذا في النسخ : (ولا تفرقن) بالفاء ، وفي المصادر : (ولا تغرقن) ، والله أعلم .

(٤) كذا في (ب) بالحاء المهملة ، وفي باقي النسخ : (نخلاً) بالخاء المعجمة ، والمثبت هو الصواب ؛ كما في « شرح الموطأ » للزرقاني (٣/ ١٧) ، والله أعلم .

(٥) السنن الكبرىٰ (٩/ ٨٩) من طريق مالك ، وهو عند مالك في « الموطأ » (٩٧١) .

(٦) مسند أحمد (١/ ٩) ، وسنن أبي داوود (٤٣٦٣) ، وسنن النسائي (٧/ ١٠٨) .

المسلمين : فقطع يدها ونزع ثنيتها ، فكتب إليه أبو بكر : (بلغني الذي فعلت في المرأة التي تغنت بشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلولا ما سبقتني فيها . . لأمرتك بقتلها ؛ لأن حدَّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطىٰ ذلك من مسلم . . فهو مرتد ، أو معاهد . . فهو محارب غادر ، وأما التي تغنت بهجاء المسلمين : فإن كانت ممن يدعي الإسلام . . فأدبٌ وتقدمةٌ دون المثلة ، وإن كانت ذمية . . فلعمري ؛ لما صفحت عنه من الشرك أعظم ، ولو كنت تقدمت إليك في مثل هـٰذا . . لبلغت مكروهاً ، فاقبل الدعة ، وإياك والمثلة في الناس ؛ فإنها مأثمٌ ومنفرةٌ إلا في قصاص)[1] .

وأخرج مالك والدارقطني عن صفية بنت أبي عبيد : (أن رجلاً وقع علىٰ جارية بكر واعترف ، فأمر به فجُلد ، ثم نفاه إلىٰ فدك)[2] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن محمد بن حاطب قال : جِيء إلىٰ أبي بكر برجل قد سرق وقد قطعت قوائمه ، فقال أبو بكر : (ما أجد لك شيئاً إلا ما قضىٰ فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك ؛ فإنه كان أعلم بك) فأمر بقتله[3] .

وأخرج مالك عن القاسم بن محمد : أن رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قَدِمَ ، فنزل علىٰ أبي بكر ، فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه ، فكان يصلي من الليل ، فيقول أبو بكر : وأبيك ؛ ما ليلك بليلِ سارق !! ثم إنهم افتقدوا حلياً لأسماء بنت عُميس امرأة أبي بكر ، فجعل يطوف معهم ويقول : اللهم ؛ عليك بمن بيَّت أهل هـٰذا البيت الصالح ، فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به ، فاعترف الأقطع ، أو شهد عليه ، فأمر به أبو بكر فقُطعت يده اليسرىٰ ، وقال أبو بكر : (والله ؛ لدعاؤه علىٰ نفسه أشد عندي عليه من سرقته)[4] .

---

(١) وأخرجه الطبري في « تاريخه » (٣/٣٤١ـ ٣٤٢) من طريق سيف ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٣٩٩٢) وعزاه لسيف في « الفتوح » .

(٢) الموطأ (١٥١٥) ، والعلل للدارقطني (١/ ٢٧١) .

(٣) مسند أبي يعلىٰ (٢٨) ، وأخرجه النسائي (٨/ ٨٩) .

(٤) الموطأ (١٥٣٤) .

وأخرج الدارقطني عن أنس : (أن أبا بكر قطع في مجنٍّ ثمنه خمسة دراهم)[1] .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن . . جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : (هكذا كنا ، ثم قست القلوب) قال أبو نعيم : أي : قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالىٰ[2] .

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : قال أبو بكر : (ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته)[3] .

وأخرج أبو عبيد في « الغريب » عن أبي بكر قال : (طوبىٰ لمن مات في النأنأة) أي : في أول الإسلام قبل تحرك الفتن[4] .

وأخرج الأربعة ومالك عن قَبيصة قال : (جاءت الجدة إلىٰ أبي بكر الصديق تسأله ميراثها ؟ فقال : ما لك في كتاب الله ، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فارجعي حتىٰ أسأل الناس ، فسأل الناس .

فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس ، فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر)[5] .

وأخرج مالك والدارقطني عن القاسم بن محمد : (أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما ؛ أم أم وأم أب ، فأعطى الميراث أم الأم ، فقال له عبد الرحمـٰن بن سهل الأنصاري ـ وكان ممن شهد بدراً وهو أخو بني حارثة ـ : يا خليفة رسول الله ؛ أعطيت التي لو أنها ماتت . . لم يرثها ؟! فقسَّمه بينهما)[6] .

---

(١) سنن الدارقطني (٣/ ١٨٦) .
(٢) حلية الأولياء (١/ ٣٣ـ ٣٤) .
(٣) صحيح البخاري (٣٧١٣) .
(٤) غريب الحديث (٣/ ٢١٤ـ ٢١٥) .
(٥) سنن أبي داوود (٢٨٩٤) ، وسنن الترمذي (٢١٠١) ، وسنن ابن ماجه (٢٧٢٤) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٦٣٤٠) ، والموطأ (١٠٨٠) .
(٦) الموطأ (١٠٨١) ، وسنن الدارقطني (٤/ ٩١) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن عائشة رضي الله عنها حديث امرأة رفاعة التي طلقت منه وتزوجت بعده عبد الرحمـٰن بن الزبير ، فلم يستطع أن يغشاها ، وأرادت العود إلىٰ رفاعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، حتىٰ تـذوقـي عسيلتـه ويـذوق عسيلتـك » وهـٰـذا القـدر فـي الصحيـح[١] ، وزاد عبد الرزاق : فقعدت ، ثم جاءته فأخبرته أن قد مسَّها ، فمنعها أن ترجع إلىٰ زوجها الأول ، وقال : « اللهمَّ ؛ إن كان إنما بها أن تَرجِعَ إلىٰ رِفاعة . . فلا يتمُّ لها نكاحُه مرة أخرىٰ » ثم أتت أبا بكر وعمر في خلافتهما ، فمنعاها[٢] .

وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر : (أن عمرو بن العاصي وشُرحبيل بن حَسَنة بعثاه بريداً إلىٰ أبي بكر برأس بنان[٣] بِطْريق الشام ، فلما قدم علىٰ أبي بكر . . أنكر ذلك ، فقال له عقبة : يا خليفة رسول الله ؛ فإنهم يصنعون ذلك بنا ؟!

قال : أفيستنَّانِ بفارس والروم ؟! لا يُحمل إليَّ رأس ، إنما يكفي الكتاب والخبر)[٤] .

وأخرج البخاري عن قيس بن أبي حازم قال : (دخل أبو بكر على امرأة من أَحْمَس يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجَّتْ مصمتة ، قال لها : تكلمي ؛ فإن هـٰذا لا يحل ، هـٰذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين ، قالت : أي المهاجرين ؟ قال : من قريش ، قالت : من أي قريش ؟ قال : إنكِ لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا علىٰ هـٰذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلىٰ ، قال : فهم أولـٰئك على الناس)[٥] .

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٣٩) ، صحيح مسلم (١٤٣٣) .
(٢) مصنف عبد الرزاق (١١١٣٣) .
(٣) كذا في النسخ ، وفي « البيهقي » ، و« شرح مشكل الآثار » (٧/ ٤٠٤) : (يناق) .
(٤) السنن الكبرىٰ (٩/ ١٣٢) .
(٥) صحيح البخاري (٣٨٣٤) .

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدري ما هـٰذا ؟ قال أبو بكر : ما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة ، إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني ، فهـٰذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه)[1] .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن ابن سيرين قال : (لم أعلم أحداً استقاء من طعامٍ أكله غير أبي بكر . . .) وذكر القصة[2] .

وأخرج النسائي عن أسلم : أن عمر اطلع علىٰ أبي بكر وهو آخذ بلسانه ، فقال : (هـٰذا الذي أوردني الموارد)[3] .

وأخرج أبو عبيد في « الغريب » عن أبي بكر : أنه مرَّ بعبد الرحمـٰن وهو يماظُّ جاراً له ، فقال له : (لا تماظ جارك ؛ فإنه يبقىٰ ويذهب عنك الناس)[4] .

المماظَّة : المنازعة والمخاصمة .

[من خطب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر عن موسى بن عقبة : أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول : (الحمد لله رب العالمين ، أحمده وأستعينه ، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت ؛ فإنه قد دنا أجلي وأجلكم ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وسراجاً منيراً ؛ لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، ومن يطع الله ورسوله . . فقد رشد ، ومن يعصهما . . فقد ضل ضلالاً مبيناً .

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ؛ فإن

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٤٢) .

(٢) الزهد (ص ١١٠ ـ ١١١) .

(٣) النسائي في « الكبرىٰ » (١١٨٤١) .

(٤) غريب الحديث (٣/ ٢٢٦) .

جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص : السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ؛ فإنه من يطع والي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . فقد أفلح ، وأدَّى الذي عليه من الحق .

وإياكم واتباع الهوىٰ ؛ فقد أفلح من حُفظ من الهوىٰ والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ، وما فخر من خُلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغداً ميت ؟!

فاعملوا يوماً بيوم ، وساعة بساعة ، وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدُّوا أنفسكم في الموتىٰ ، واصبروا ؛ فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا والحذر ينفع ، واعملوا والعمل يُقبل ، واحذروا ما حذَّركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته .

وافهموا وتفهَّموا ، واتقوا وتَوَقُّوا ؛ فإن الله قد بيَّن لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نجىٰ به من نجىٰ قبلكم ، قد بيَّن لكم في كتابه حلاله وحرامه ، وما يحب من الأعمال وما يكره ؛ فإني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واعلموا : أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم . . فربَّكم أطعتم ، وحظكم حفظتم واغتبطتم ، **وما تطوعتم به لربكم**(١) . . فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا لسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها .

ثم تفكَّروا عبادَ الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا ؛ قد وردوا علىٰ ما قدَّموا فأقاموا عليه ، وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت .

إن الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ؛ **فإنه لا خير في خيرٍ بعدَه النارُ ، ولا شر في شر بعدَه الجنة** .

أقول قولي هـٰذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، وصلوا علىٰ نبيكم صلى الله

---

(١) في (أ) : (بدينكم) ، وفي (ط) : (لدينكم) ، وفي « تاريخ دمشق » : (لمدتكم) .

عليه وسلم ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته)[1] .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عُكيم قال : خطبنا أبو بكر الصديق ، فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو له أهل ، ثم قال : (أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ؛ فإن الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ .

ثم اعلموا عباد الله : أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ علىٰ ذلك مواثيقكم ، واشترىٰ منكم القليل الفاني بالكثير الباقي ، وهـٰذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ، ولا تنقضي عجائبه ، فاستضيئوا بنوره ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم الظلمة ؛ فإنه إنما خلقكم لعبادته ، ووكَّل بكم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون .

ثم اعلموا عباد الله : أنكم تغدون وتروحون في أَجَلٍ قد غُيِّب عنكم علمه ؛ فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله . . فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، سابقوا في آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلىٰ أسوأ أعمالكم ؛ فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ؛ فالوَحَا الوَحَا ، ثم النجاء النجاء ؛ فإن وراءكم طالباً حثيثاً مَرُّهُ سريع)[2] .

وأخرج ابن أبي الدنيا وأحمد في « الزهد » وأبو نعيم في « الحلية » عن يحيى ابن أبي كثير : أن أبا بكر كان يقول في خطبته : (أين الوُضَّاءُ الحسنةُ وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟! أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها ؟! أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟! قد تضعضع أركانهم حين أخنىٰ بهم الدهر ، وأصبحوا في ظلمات القبور ، الوَحَا الوَحَا ، ثم النجاء النجاء)[3] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٥ـ ٣٣٦) .

(٢) مستدرك الحاكم (٢/ ٣٨٣ـ ٣٨٤) ، وشعب الإيمان (١٠٥٩٣) ، والوحا : السرعة .

(٣) قصر الأمل (١٣٤) ، وحلية الأولياء (١/ ٣٤ـ ٣٥) من طريق أحمد .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن سلمان قال : (أتيت أبا بكر فقلت : اعهد إلي ، فقال : **يا سلمان ؛ اتق الله ، واعلم أنه ستكون فتوح ، فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك ، أو ألقيته علىٰ ظهرك ، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس . . فإنه يصبح في ذمة الله ، ويمسي في ذمة الله تعالىٰ ؛ فلا تقتلنَّ أحداً من أهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته ، فيكبك الله في النار علىٰ وجهك**)[1] .

وأخرج عن أبي بكر رضي الله عنه قال : (**يُقبَضُ الصالحون الأول فالأول ، حتىٰ يبقىٰ من الناس حثالةٌ كحثالة التمر والشعير لا يبالي الله بهم**)[2] .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن معاوية بن قُرَّة : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول في دعائه : (**اللهم ؛ اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك**)[3] .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن الحسن قال : بلغني أن أبا بكر كان يقول في دعائه : (**اللهم ؛ إني أسألك الذي هو خير لي في عاقبة الأمر ، اللهم ؛ اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلىٰ من جنات النعيم**)[4] .

وأخرج عن عرفجة قال : قال أبو بكر : (**من استطاع أن يبكي . . فليبك ، وإلا . . فليتباكَ**)[5] .

وأخرج عن عروة ، عن أبي بكر قال : (**أهلكهن الأحمران : الذهب والزعفران**)[6] .

وأخرج عن مسلم بن يسار ، عن أبي بكر قال : (**إن المسلم ليؤجر في كل**

---

(١) الزهد (ص ٩١) بنحوه .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣١٤٦٦) عن مرداس عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (٤١٥٦) من كلام مرداس .

(٣) أخرجه ابن بشران في « أماليه » (٥٥٥) .

(٤) الزهد (ص١١٢) .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٥٢٣) وعزاه لأحمد في « الزهد » .

(٦) لم نقف عليه في مطبوع « الزهد » ، وأخرجه مسدد ؛ كما في « المطالب العالية » (٢٢٥٢) .

شيء ؛ حتىٰ في النكبة وانقطاع شسعه ، والبضاعة تكون في كمه ، فيفقدها ، فيفزع لها ، فيجدها في ضبنه)[1] .

وأخرج عن ميمون بن مهران قال : أُتي أبو بكر بغراب وافر الجناحين ، فقلبه ثم قال : (ما صيد من صيد ، ولا عضدت من شجرة . . إلا بما ضيعت من التسبيح)[2] .

وأخرج البخاري في « الأدب » وعبد الله بن أحمد في زوائد « الزهد » عن الصُّنابحي : أنه سمع أبا بكر يقول : (إن دعاء الأخ لأخيه في الله يُستجاب)[3] .

وأخرج عبد الله في زوائد « الزهد » عن عبيد بن عمير ، عن لبيد الشاعر : أنه قدم علىٰ أبي بكر فقال : [من الطويل]

أَلاَ كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

فقال : (صدقت) ، فقال :

وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فقال : (كذبت ؛ عند الله نعيم لا يزول) ، فلما ولىٰ . . قال أبو بكر : (ربما قال الشاعرُ الكلمةَ من الحكمة)[4] .

فصل
في كلماته الدالة علىٰ شدة خوفه من ربه

أخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال : دخل أبو بكر حائطاً ؛ وإذا بدبسي في ظل شجرة ، فتنفس الصعداء ثم قال : (طوبىٰ لك يا طير ؛ تأكل من الشجر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلىٰ غير حساب ، يا ليت أبا بكر مثلك)[5] .

---

(١) الزهد (ص١٠٩) ، وضبنه : حضنه .

(٢) الزهد (ص١١٠) .

(٣) الأدب المفرد (٦٢٤) ، والزهد لأحمد (ص١١١) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٩٣٢) وعزاه لأحمد في « الزهد » ، والبيت في « ديوان لبيد » (ص ١٤٥) .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٠١) وعزاه لأبي أحمد الحاكم .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن أبي عمران الجَوْني قال : قال أبو بكر الصديق : (لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعي قال : كان أبو بكر إذا مُدح.. قال : (اللهم ؛ أنت أعلم مني بنفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم ؛ اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون)[2] .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن مجاهد قال : (كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة.. كأنه عود من الخشوع ، قال : وحُدِّثتُ أن أبا بكر كان كذلك)[3] .

وأخرج عن الحسن قال : قال أبو بكر : (والله ؛ لوددتُ أني كنت هـٰذه الشجرة تُؤكل وتُعضد)[4] .

وأخرج عن قتادة قال : بلغني أن أبا بكر قال : (وددتُ أني خضرة تأكلني الدواب)[5] .

وأخرج عن ضمرة بن حبيب قال : حضرت الوفاة ابناً لأبي بكر الصديق ، فجعل الفتىٰ يلحظ إلىٰ وسادة ، فلما توفي.. قالوا لأبي بكر : رأينا ابنك يلحظ إلىٰ وسادة !! فدفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة ، فضرب أبو بكر بيده على الأخرىٰ يُرجِّع ويقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فلان ؛ ما أحسب جلدك يتسع لها)[6] .

وأخرج عن ثابت البناني : أن أبا بكر كان يتمثل[7] :

---

(١) الزهد (ص١٠٨) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٢) .
(٣) لم نقف عليه في مطبوع « الزهد » ، وأخرجه البيهقي في « السنن » (٢/ ٢٨٠) .
(٤) الزهد (ص١١٢) .
(٥) الزهد (ص١١٢) .
(٦) الزهد (ص١١٣) .
(٧) الزهد (ص١١٣) ، وقد أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٣٧٢) وروايته :
(مجزوء الرمل)
لا تـــزل تنعـــي حبيبـــاً أبـــداً حتـــىٰ تكـــونـــه =

لا تزال تنعي حبيباً حتىٰ تكونه وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه

وأخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال : لم يكن أحدٌ بعد النبي صلى الله عليه وسلم أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحدٌ بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم نجد لها في كتاب الله أصلاً ، ولا في السنة أثراً ، فقال : (أجتهد رأيي ، فإن يكن صواباً . . فمن الله ، وإن يكن خطأ . . فمنِّي وأستغفر الله)[1] .

فَصْلٌ
فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال : رأت عائشة رضي الله عنها كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار ، فقصتها علىٰ أبي بكر وكان من أعبر الناس ، فقال : (إن صدقت رؤياك . . ليدفنن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثاً) ، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا عائشة ؛ هٰذا خير أقمارك)[2] .

وأخرج أيضاً عن عمرو بن شرحبيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتني أُردفتُ غنمَ سودٍ ، ثم أردفتْها غنمٌ بيضٌ حتىٰ ما ترى السود فيها » فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ أما الغنم السود : فإنها العرب يُسلمون ويكثرون ، والغنم البيض : الأعاجم يسلمون حتىٰ لا ترى العرب فيهم من كثرتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذلِكَ عبرَها المَلَكُ سَحَراً »[3] .

وله عن ابن أبي ليلىٰ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رَأيتُني علىٰ بئرٍ أَنزِعُ فيها ، فورَدَتني غنمٌ سودٌ ، ثم ردفتها غنمٌ عُفْر » فقال أبو بكر : دعني أعبرها . . . فذكر نحوه[4] .

= ولقد يرجو الفتى الرجا والموت دونه

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٢ـ ١٦٣) .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (٥٥٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٦/ ٣٣٦ـ ٣٣٧) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣١١١٩) .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال : (كان أعبر هٰذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر)[1] .

وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال : رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها علىٰ أبي بكر فقال : « رأيتُ كأنِّي استَبَقْتُ أنا وأنت درجة ، فسبقتُك بمرقاتَينِ ونصف » قال : يا رسول الله ؛ يقبضك الله إلىٰ مغفرة ورحمة ، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً[2] .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن أبي قلابة : أن رجلاً قال لأبي بكر الصديق : رأيت في النوم أني أبول دماً ، قال : (أنت رجل تأتي امرأتك وهي حائض ، فاستغفرِ الله ولا تعد)[3] .

فائدة ١٧٢

[في قيادة عمرو بن العاصي لسريةٍ فيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهم]

أخرج البيهقي في « الدلائل » عن عبد الله بن بريدة قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي في سرية فيهم أبو بكر وعمر ، فلما انتهوا إلىٰ مكان الحرب . . أمرهم عمرو ألا ينوروا ناراً ، فغضب عمر ، فهمَّ أن يأتيه ، فنهاه أبو بكر وأخبره : أنه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلا لعلمه بالحرب ، فهدأ عنه)[4] .

وأخرج البيهقي من طريق أبي معشر عن بعض مشيختهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنِّي لأؤمِّر الرجلَ على القومِ فيهم مَن هو خيرٌ منه ؛ لأنه أيقظُ عيناً وأبصرُ بالحرب »[5] .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١١٨) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٦٢) .
(٣) مصنف عبد الرزاق (١٢٧٠) .
(٤) دلائل النبوة (٤/ ٤٠٠) .
(٥) دلائل النبوة (٤/ ٤٠٠) .

فَصْلٌ
[في أدبه وذكائه رضي الله عنه]

أخرج خليفة بن خياط ، وأحمد ابن حنبل ، وابن عساكر عن يزيد ابن الأصم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « **أَنا أَكبرُ أو أنتَ ؟** » قال : أنت أكبر وأكرم ، وأنا أسن منك ، مرسل غريب جداً[1] ، فإن صح . . عُدَّ هـٰذا الجواب من فرط ذكائه وأدبه ، **والمشهور** : أن هـٰذا الجواب للعباس[2] .

وقد وقع أيضاً لسعيد بن يربوع ، أخرجه الطبراني ؛ **ولفظه** : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « **أَيُّنا أكبرُ ؟** » قال : **أنت أكبر وأخير مني ، وأنا أقدم**[3] .

وأخرج أبو نعيم : أن أبا بكر قيل له : يا خليفة رسول الله ؛ ألا تستعمل أهل بدر ؟ قال : (**إني أرىٰ مكانهم ؛ ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا**)[4] .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن إسماعيل بن محمد : أن أبا بكر قسم قسماً فسوَّىٰ فيه بين الناس ، فقال له عمر : (**تسوي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس ؟**) فقال أبو بكر : (**إنما الدنيا بلاغ ، وخير البلاغ أوسعه ، وإنما فضلهم في أجورهم**)[5] .

فَصْلٌ
[في صيامه وفي نقش خاتمه رضي الله عنه]

أخرج أحمد في « الزهد » عن أبي بكر بن حفص قال : (**بلغني أن أبا بكر كان يصوم الصيف ويفطر الشتاء**)[6] .

---

(١) تاريخ خليفة (ص١٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٥) من طريق أحمد ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٠٥) وعزاه لأحمد في « تاريخه » .

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢٠) .

(٣) المعجم الكبير (٦/ ٦٦) .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٧) .

(٥) الزهد (ص ١١٠) .

(٦) الزهد (ص١١٢) .

وأخرج ابن سعد عن حبان الصائغ قال : (كان نقش خاتم أبي بكر : **نعم القادر الله**)[1] .

فائدة

[في أربعةٍ أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم مع أبنائهم رضي الله عنهم]

أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة قال : (**لا نعلم أربعة أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأبناءهم إلا هٰؤلاء الأربعة** : أبو قحافة ، وابنه أبو بكر الصديق ، وابنه عبد الرحمٰن ، وأبو عتيق بن عبد الرحمٰن ، واسمه : محمد)[2] .

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (**ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبي بكر**)[3] .

فائدة

[في أن أبا بكر رضي الله عنه كان أسن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم]

أخرج ابن سعد والبزار بسند حسن عن أنس قال : (**كان أسنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم** : أبو بكر الصديق ، وسهيل بن عمرو ابن بيضاء)[4] .

فائدة

[في ضياع الأمانة]

أخرج البيهقي في « الدلائل » عن أسماء بنت أبي بكر قالت : (لما كان عام

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٣) .

(٢) المعجم الكبير (١/ ٥٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٤) من طريق ابن منده ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٧٤٣٠) وعزاه لابن منده .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٦) ، ومسند البزار (٧٤٦٥) .

الفتح . . خرجت ابنةٌ لأبي قحافة ، فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من وَرِق ، فاقتطعه إنسان من عنقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد . . قام أبو بكر فقال : أنشد بالله والإسلام طوق أختي ، فوالله ما أجابه أحد ، ثم قال : الثانية فما أجابه أحد ، فقال : يا أخية ؛ احتسبي طوقك ، فوالله ؛ إن الأمانة اليوم في الناس لقليل)[1] .

فائدة ١٧٧

[فيمن كان فرد زمانه في فنه]

رأيت بخط الحافظ الذهبي : من كان فرد زمانه في فنه :

أبو بكر الصديق : في النسب ، عمر بن الخطاب : في القوة في أمر الله ، عثمان بن عفان : في الحياء ، علي : في القضاء .

أبي بن كعب : في القراءة ، زيد بن ثابت : في الفرائض ، أبو عبيدة ابن الجراح : في الأمانة ، ابن عباس : في التفسير ، أبو ذر : في صدق اللهجة ، خالد بن الوليد : في الشجاعة .

الحسن البصري : في التذكير ، وهب بن منبِّه : في القصص ، ابن سيرين : في التعبير ، نافع : في القراءة ، أبو حنيفة : في الفقه ، ابن إسحاق : في المغازي ، مقاتل : في التأويل ، الكلبي : في قصص القرآن .

الخليل : في العروض ، فضيل بن عياض : في العبادة ، سيبويه : في النحو ، مالك : في العلم ، الشافعي : في فقه الحديث ، أبو عبيد : في الغريب ، علي ابن المديني : في العلل ، يحيى بن معين : في الرجال ، أبو تمام : في الشعر ، أحمد ابن حنبل : في السنة ، البخاري : في نقد الصحيح ، الجنيد : في التصوف ، محمد بن نصر المروزي : في الاختلاف .

الجبائي : في الاعتزال ، الأشعري : في الكلام ، محمد بن زكريا الرازي :

---

(١) دلائل النبوة (٥/ ٩٥ـ ٩٦) .

في الطب ، أبو معشر : في النجوم ، إبراهيم الكرماني : في التعبير ، ابن نُباتة : في الخطب ، أبو الفرج الأصبهاني : في المحاضرة ، أبو القاسم الطبراني : في العوالي ، ابن حزم : في الظاهر ، أبو الحسن البكري : في الكذب .

الحريري : في مقاماته ، ابن منده : في سعة الرحلة ، المتنبي : في الشعر ، الموصلي : في الغناء ، الصولي : في الشطرنج ، الخطيب البغدادي : في سرعة القراءة ، علي بن هلال : في الخط ، عطاء السليمي : في الخوف ، القاضي الفاضل : في الإنشاء ، الأصمعي : في النوادر ، أشعب : في الطمع ، معبد : في الغناء ، ابن سينا : في الفلسفة[1] .

---

(١) وزاد الدميري في « مختصر شرح لامية العجم » (ص١٠٤ـ١٢٨) : (ابن الكلبي الصغير : في النسب ، أبو الحسن المدائني : في الأخبار ، أبو عبيدة : في الشعوبية ، محمد بن جرير الطبري : في علوم الأثر ، عبد الرزاق : في ارتحال الناس إليه ، إياس : في التفرس ، عبد الحميد : في الوفاء والكتابة ، أبو مسلم الخراساني : في علو الهمة والحزم ، عمارة : في التيه ، الفضل بن يحيىٰ : في الجود ، جعفر بن يحيىٰ : في التوقيع ، المأمون : في حب العفو ، عمرو بن العاصي : في الدهاء ، الوليد : في شرب الخمر ، أبو موسى الأشعري : في سلامة الباطن ، العماد الكاتب : في الجناس ، ابن الجوزي : في الوعظ ، ابن زيدون : في سعة العبارة ، ابن القِرِّية : في البلاغة ، الجاحظ : في الأدب والبيان ، البديع الهمذاني : في الحفظ ، أبو نواس : في المجون والخلاعة ، ابن حجاج : في سخف الألفاظ ، الزمخشري : في تعاطي العربية ، النسفي : في الجدل ، جرير : في الهجاء ، حماد الراوية : في شعر العرب ، معاوية : في الحلم ، الفارابي : في نقل كلام القدماء ومعرفة تفسيره ، حنين بن إسحاق : في ترجمة اليوناني إلى العربي ، ثابت بن قرة الصابىء : في تهذيب ما نقل عن الرياضي إلى العربي ، الإمام الفخر : في الاطلاع على العلوم ، السيف الآمدي : في التحقيق ، النصير الطوسي : في المجسطي ، ابن الهيثم : في الرياضي ، الكاتبي : في المنطق ، أبو العلاء المعري : في الاطلاع على اللغة ، أبو العيناء : في الأجوبة المسكتة ، مزبِّد : في البخل ، القاضي أحمد بن دُؤَاد : في المروءة وحسن التقاضي ، ابن المعتز : في التشبيه ، ابن الرومي : في التطير ، الغزالي : في الجمع بين المعقول والمنقول ، أبو الوليد ابن رشد : في تلخيص كتب الأقدمين الفلسفية والطبية ، محيي الدين بن عربي : في علم التصوف) .

عمر بن الخطاب
رضي الله عنه
[١٣ ـ ٢٣هـ][١]

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن قُرْط بن رَزاحِ بن عدي بن كعب بن لؤي ، أمير المؤمنين ، أبو حفص القرشي العدوي الفاروق .

أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، قاله الذهبي[٢] .

وقال النووي : (ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ؛ فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم . . بعثوه سفيراً ـ أي : رسولاً ـ وإذا نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر . . بعثوه منافراً أو مفاخراً ، وأسلم قديماً بعد أربعين رجلاً ، وإحدىٰ عشرة امرأة ، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل : بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدىٰ عشرة امرأة ، فما هو إلا أن أسلم ، فظهر الإسلام بمكة ، وفرح به المسلمون .

قال : وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً .

روىٰ عنه : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، وسعد ، وابن عوف ، وابن مسعود ،

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٢٦٥) ، و« تاريخ الطبري » (٣/ ٤٢٨) ، و« تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣) ، و« المنتظم » (٤/ ٤٣١) ، و« أسد الغابة » (٤/ ١٤٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ٢٥٣) ، و« الإصابة » (٢/ ٥١١) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ١٣٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣/ ٢٥٣) .

وأبو ذر ، وعمرو بن عَبَسة ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأنس ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاصي ، وأبو موسى الأشعري ، والبراء بن عازب ، وأبو سعيد الخدري ، وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم)[1] .

أقول : وأنا أُلخِّص هنا فصولاً فيها جملة من الفوائد تتعلق بترجمته .

فصل
في الأخبار الواردة في إسلامه

أخرج الترمذي عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **اللهمَّ ؛ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هـٰذين الرجلينِ إليك : بعمرَ بن الخطابِ ، أو بأبي جَهلِ بن هشامٍ** »[2] ، وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود[3] ، وأنس[4] رضي الله عنهم .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **اللهمَّ ؛ أعز الإسلام بعمر** »[5] .

وأخرج الحاكم عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **اللهمَّ ؛ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بن الخطابِ خاصة** »[6] ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » من حديث أبي بكر الصديق[7] ، وفي « الكبير » من حديث ثوبان[8] .

وأخرج أحمد عن عمر قال : (خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٨ـ ١١) .
(٢) سنن الترمذي (٣٦٨١) .
(٣) المعجم الكبير (١٠/ ١٥٩) .
(٤) المعجم الأوسط (١٨٦٠) .
(٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٨٣) .
(٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٨٣) .
(٧) المعجم الأوسط (٦٤٥٣) .
(٨) المعجم الكبير (٢/ ٩٧) .

وسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح « سورة الحاقة » ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن ، فقلت : هـٰذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ. . . ﴾ الآياتِ ، فوقع في قلبي الإسلام كل موقع)[1] .

وأخرج ابن أبي شيبة عن جابر قال : (كان أول إسلام عمر : أن عمر قال : ضرب أختي المخاض ليلاً ، فخرجت من البيت ، فدخلت في أستار الكعبة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر وعليه تُبَّان ، فصلىٰ ما شاء الله ثم انصرف ، فسمعت شيئاً لم أسمع مثله ، فخرج فاتبعته ، فقال : « من هـٰذا ؟ » قلت : عمر ، قال : « يا عمر ؛ ما تدعني ليلاً ولا نهاراً » فخشيت أن يدعو عليَّ ، فقلت : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : « يا عمر ؛ أسرَّه » فقلت : لا والذي بعثك بالحق ؛ لأعلننَّه كما أعلنت الشرك)[2] .

[قصة عمر مع ختنه وأخته رضي الله عنهم]

وأخرج ابن سعد ، وأبو يعلىٰ ، والحاكم ، والبيهقي في « الدلائل » عن أنس رضي الله عنه قال : (خرج عمر متقلداً السيف ، فلقيه رجل من بني زهرة ، فقال له : أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً ؟ فقال : ما أراك إلا قد صبوت ؟ قال : أفلا أدلك على العجب ؛ إن ختنك وأختك قد صبَوَا وتركا دينك !!

فمشىٰ عمر فأتاهما وعندهما خبَّاب ، فلما سمع بحسِّ عمر . . توارىٰ في البيت ، فدخل فقال : ما هـٰذه الهَيْنَمة ؟ وكانوا يقرؤون « طه » قالا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما ؟! فقال له ختنه : يا عمر ؛ إن كان الحق في غير دينك ؟ فوثب عليه عمر فوطئه وطئاً شديداً ، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها ، فنفَحَها نفحة بيده ، فدمي وجهها ، فقالت وهي غضبىٰ :

---

(١) مسند أحمد (١٧/١) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩ـ٣٧) ، والتُّبَّان : سراويلُ صغير يستر العورة المغلظة .

وإن كان الحق في غير دينك ؟ إني أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقال عمر : أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه ـ وكان عمر يقرأ الكتاب ـ فقالت أخته : إنك رجس ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ : ﴿طه . . .﴾ حتى انتهىٰ إلىٰ : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ فقال عمر : دلوني علىٰ محمد ، فلما سمع خبَّاب قول عمر . . خرج فقال : أبشر يا عمر ؛ فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس : « اللهمَّ ؛ أعزَّ الإسلامَ بعمرِ بن الخطابِ ، أو بعمرِو بنِ هشامٍ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتىٰ أتى الدار وعلىٰ بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة : هـٰذا عمر ، إن يرد الله به خيراً . . يسلم ، وإن يرد غير ذلك . . يكن قتله علينا هيناً ، قال : والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يُوحَىٰ إليه ، فخرج حتىٰ أتىٰ عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : « ما أنتَ بمُنتهٍ يا عمرُ حتىٰ يُنزل الله بكَ من الخِزي والنَّكال ما أنزلَ بالوليدِ بن المغيرة ؟! » فقال عمر : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك عبده ورسوله)[1] .

وأخرج البزار ، والطبراني[2] ، وأبو نعيم في « الحلية » ، والبيهقي في « الدلائل » عن أسلم قال : قال لنا عمر : (كنت أشدَّ الناس علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة . . إذ لقيني رجل ، فقال : عجباً لك يا بن الخطاب ، إنك تزعم أنك وأنك وقد دخل عليك الأمر في بيتك !! قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت ، فرجعت مغضباً حتىٰ قرعت الباب ، قيل : من هـٰذا ؟ قلت : عمر ، فتبادروا فاختفوا مني وقد كانوا يقرؤون صحيفةً بين أيديهم تركوها أو نسوها ، فقامت أختي تفتح

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/٢٤٨ـ ٢٤٩) ، ومسند أبي يعلىٰ ؛ كما في « المطالب العالية » (٤٢٣٠) ، ومستدرك الحاكم (٤/٥٩) ، ودلائل النبوة (٢/٢١٩ـ ٢٢٠) .

(٢) في (ب) : (والطبراني في « الكبير ») .

الباب ، فقلت : يا عدوة نفسها ؛ أصبوت ؟ وضربتها بشيء في يدي على رأسها ، فسال الدم وبكت ، فقالت : **يا بن الخطاب ؛ ما كنت فاعلاً . . فافعل ؛ فقد صبوت .**

قال : ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلى الصحيفة ، فقلت : ما هذا ؟ ناولينيها ، قالت : **لستَ من أهلها ، أنت لا تطهر من الجنابة** ، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، **فما زلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها** ؛ فإذا فيها : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى . . ذعرت منه** ، فألقيت الصحيفة ، ثم رجعتُ إلى نفسي فتناولتها ؛ فإذا فيها : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فذعرت ، فقرأت إلى : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، **فخرجوا إليَّ متبادرين وكبروا** ، وقالوا : أبشر ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال : « **اللهمَّ ؛ أعزَّ دينكَ بأحبِّ الرجلينِ إليك** : إما أبو جهلٍ وإما عمرُ » ودَلُّوني على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت بأسفل الصفا .

فخرجت حتى قرعت الباب ، فقالوا : من ؟ قلت : **ابن الخطاب** ، وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فما اجترأ أحد يفتح الباب** ؛ حتى قال صلى الله عليه وسلم : « **افتحوا له** » ففتحوا لي ، فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيا بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « **خَلُّوا عنه** » ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه ، ثم قال : « **أَسْلِم يا بنَ الخطابِ ، اللهمَّ اهدِه** » فتشهدتُ ، **فكبر المسلمون تكبيرة سُمعت بفجاج مكة** ، وكانوا مستخفين ، فلم أشأ أن أرى رجلاً يَضْرب ويُضْرب . . إلا رأيته ولا يصيبني من ذلك شيء ، **فجئت خالي** ـ وكان شريفاً ـ **فقرعت عليه الباب** ، فقال : **من هذا ؟** قلت : ابن الخطاب وقد صبوت ، قال : **لا تفعل ، ثم دخل وأجاف الباب دوني** ، فقلت : ما هذا بشيء ، فذهبت إلى رجل من عظماء قريش ، فناديته فخرج إلي ، فقلت له مثل مقالتي لخالي ، وقال لي مثل ما قال خالي ، **فدخل وأجاف الباب دوني** ، فقلت : **ما هذا بشيء ، إن المسلمين يُضربون وأنا لا أُضرب ! !**

فقال لي رجل : **أتحب أن يعلم بإسلامك ؟** قلت : نعم ، قال : **فإذا جلس**

الناس في الحِجْر . . فأْتِ فلاناً ـ لرجل لم يكن يكتم السر ـ فقل له فيما بينك وبينه : إني قد صبوت ؛ فإنه قلَّ ما يكتم السر ، فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر ، فقلت فيما بيني وبينه : إني قد صبوت ، قال : أَوَقد فعلت ؟ قلت : نعم ، فنادىٰ بأعلىٰ صوته : إن ابن الخطاب قد صبأ ، فبادروا إلي ، فما زلت أضربهم ويضربوني ، واجتمع عليَّ الناس ، قال خالي : ما هٰذه الجماعة ؟ قيل : عمر قد صبأ ، فقام على الحجر فأشار بكمه : ألا إني قد أجرتُ ابن أختي ، فتكشفوا عني ، فكنت لا أشاء أن أرىٰ رجلاً من المسلمين يضرب ويضرب إلا رأيته ، فقلت : ما هٰذا بشيء حتىٰ يصيبني ، فأتيت خالي فقلت : جوارك رَدٌّ عليك ، فما زلت أَضرِب وأُضرَب حتىٰ أعز الله الإسلام)[1] .

[سبب تسميته بالفاروق رضي الله عنه]

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » ، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (سألت عمر رضي الله عنه : لأي شيء سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، فخرجت إلى المسجد ، فأسرع أبو جهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ، فأُخبر حمزة ، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلىٰ حلقة قريش التي فيها أبو جهل ، فاتكأ علىٰ قوسه مقابل أبي جهل ، فنظر إليه ، فعرف أبو جهل الشر في وجهه ، فقال : ما لك يا أبا عمارة ؟ فرفع القوس فضرب بها أخدعيه فقطعه ، فسالت الدماء ، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، فانطلق حمزة فأسلم .

وخرجتُ بعده بثلاثة أيام ؛ فإذا فلان المخزومي ، فقلت : أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد ؟ قال : إن فعلت . . فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني .

قلت : ومن هو ؟ قال : أختك وختَنُك ، فانطلقت فوجدت همهمة ،

(١) مسند البزار (٢٧٩) ، وحلية الأولياء (١/ ٤١) ، ودلائل النبوة (٢/ ٢١٦ـ٢١٧) .

فدخلت فقلت : ما هٰذا ؟ فما زال الكلام بيننا حتىٰ أخذت برأس ختني فضربته وأدميته ، فقامت إليَّ أختي فأخذَتْ برأسي وقالت : قد كان ذلك علىٰ رغم أنفك .

فاستحييتُ حين رأيت الدماء ، فجلست وقلت : أروني هٰذا الكتاب ، فقالت : إنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقمت فاغتسلت ، فأخرجوا إليَّ صحيفة فيها : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قلت : أسماء طيبة طاهرة ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فتعظمت في صدري وقلت : من هٰذا فرَّت قريش ؟! فأسلمت ، وقلت : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فإنه في دار الأرقم .

فأتيت فضربت الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر ، قال : عمر ؟ افتحوا له الباب ، فإن أقبل . . قَبِلْنا منه ، وإن أدبر . . قتلناه ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج ، فتشهَّد عمر ، فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد .

قلت : يا رسول الله ؛ ألسنا على الحق ؟ قال : « بَلَىٰ » ، قلت : ففيم الاختفاء ؟ فخرجنا صفين : أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر ؛ حتىٰ دخلنا المسجد ، فنظرَتْ قريش إلي وإلىٰ حمزة فأصابتهم كآبة شديدة ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ ، وفرق بين الحق والباطل)[1] .

وأخرج ابن سعد ، عن ذكوان قال : قلت لعائشة : من سمىٰ عمر الفاروق ؟ قالت : (النبي صلى الله عليه وسلم)[2] .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما أسلم عمر . . نزل جبريل فقال : يا محمد ؛ لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر)[3] .

وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩ـ ٣٠) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٥٣) وعزاه لأبي نعيم في « الدلائل » .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥١) .

(٣) سنن ابن ماجه (١٠٣) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨٤) .

أسلم عمر . . قال المشركون : **قد انتصف القوم اليوم منا** ، وأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾)[1] .

وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : **(ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)**[2] .

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : **(كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمامته رحمة** ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي في البيت حتىٰ أسلم عمر، فلما أسلم . . قاتلهم حتىٰ تركونا فصلينا)[3] .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال : **(لما أسلم عمر . . كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً** ، فلما قُتل عمر . . كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً)[4] .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **(أول من جهر بالإسلام** : عمر بن الخطاب) ، إسناده حسن[5] .

وأخرج ابن سعد عن صهيب قال : **(لما أسلم عمر رضي الله عنه . . ظهر الإسلام ، ودعا إليه علانية** ، وجلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به)[6] .

وأخرج ابن سعد عن أسلم مولىٰ عمر قال : **(أسلم عمر في ذي الحجة ، السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة)**[7] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع مسند البزار ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٨٢) ، و« المستدرك » (٣/ ٨٥) .

(٢) صحيح البخاري (٣٨٦٣) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٠) ، والمعجم الكبير (٩/ ١٦٥) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٤٦) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨٤) .

(٥) المعجم الكبير (١١/ ١٦) . وفي المطبوع : (إسناد صحيح حسن) ، وانظر « مجمع الزوائد » (٩/ ٦٣) .

(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٤٩) .

(٧) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٠) .



في هجرته

أخرج ابن عساكر عن علي قال : (ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب ؛ فإنه لما همَّ بالهجرة . . تقلَّد سيفه ، وتنكَّب قوسه ، وانتضىٰ في يده أسهماً ، وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلىٰ ركعتين عند المقام ، ثم أتىٰ حلقهم واحدة واحدة ، فقال : شاهَت الوجوه ، من أراد أن تثكله أمه ، وييتم ولده ، وترمل زوجته . . فليلقني وراء هـٰذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد)[١] .

وأخرج عن البراء رضي الله عنه قال : (أول من قدم علينا من المهاجرين : مصعب بن عمير ، ثم ابن أم مكتوم ، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، فقلنا : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو علىٰ أثري ، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه معه)[٢] .

قال النووي : (شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان ممن ثبت معه يوم أحد)[٣] .

فصل

في الأحاديث الواردة في فضله
غير ما تقدم في ترجمة الصديق رضي الله عنه

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَينا أَنا نائمٌ . . رَأيتُني في الجنةِ ؛ فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلىٰ جانبِ قَصرٍ ، فقلت : لمَن هـٰذا القصرُ ؟ قالوا : لعمرَ ، فذكرتُ غَيرتَك فولَّيتُ مُدبراً » فبكَىٰ وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟![٤] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٥١_٥٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/ ٣٨٠) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٣) .

(٤) صحيح البخاري (٣٤٧٦) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٥) .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بَينا أنا نائمٌ . . شربتُ ـ يعني اللبنَ ـ حتىٰ أنظر إلى الرِّيِّ يجري في أَظفاري ، ثم ناولتُه عمرَ » قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « العلمَ »[1] .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَينا أَنا نائمٌ . . رأيتُ الناسَ عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُص ؛ فمنها ما يبلغُ الثُّدِيَّ ، ومنها ما يبلغُ دون ذلك ، وعُرِض عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ يجرُّه » قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « الدينَ »[2] .

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنَ الخطابِ ؛ والذي نفسي بيَدِه ؛ ما لقيكَ الشيطانُ سَالِكاً فَجّاً قطُّ . . إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ »[3] .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كانَ فيما قبلَكُم من الأُممِ ناسٌ مُحدَّثون ، فإن يَكن في أُمتي أحدٌ . . فإنَّه عمرُ » أي : ملهمون[4] .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ جعَلَ الحقَّ علىٰ لسانِ عمرَ وقلبِهِ » قال ابن عمر : وما نزَلَ بالناسِ أمرٌ قطُّ فقالوا وقال . . إلاَّ نزَلَ القرآنُ علىٰ نحو ما قال عمر[5] .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانَ بَعدي نبيٌّ . . لكانَ عمرَ بنَ الخطابِ »[6] .

---

(١) صحيح البخاري (٨٢) ، وصحيح مسلم (٢٣٩١) .
(٢) صحيح البخاري (٢٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٠) ، والثُّدِيّ : جمع ثدي .
(٣) صحيح البخاري (٤٩٢٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٦) .
(٤) صحيح البخاري (٣٢٨٢) .
(٥) سنن الترمذي (٣٦٨٢) .
(٦) سنن الترمذي (٣٦٨٦) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨٥) .

وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري[١] ، وعصمة بن مالك[٢] ، وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر[٣] .

[وُضع الحق علىٰ لسان عمر رضي الله عنه]

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنِّي لأنظرُ إلىٰ شَياطين الجنِّ والإنسِ قد فَرُّوا من عمرَ** »[٤] .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أُبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أولُ مَن يصافحُه الحقُّ عمرُ ، وأولُ من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة** »[٥] .

وأخرج ابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إنَّ اللهَ وَضَعَ الحقَّ علىٰ لسانِ عمرَ يقولُ به** »[٦] .

وأخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ الله جعَلَ الحقَّ علىٰ لسانِ عمرَ وقلبِه** »[٧] .

وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب[٨] ، وبلال[٩] ، ومعاوية بن أبي سفيان[١٠] ، وعائشة[١١] رضي الله عنهم ، وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر[١٢] .

---

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٧١) وعزاه للطبراني في « الأوسط » ولم نقف عليه في مطبوع « الأوسط » .
(٢) المعجم الكبير (١٧/ ١٨٠) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٤/ ١١٦) .
(٤) سنن الترمذي (٣٦٩١) .
(٥) سنن ابن ماجه (١٠٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨٤) .
(٦) سنن ابن ماجه (١٠٨) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨٦ ـ ٨٧) ، وأخرجه أبو داوود (٢٩٦٢) .
(٧) مسند أحمد (٢/ ٤٠١) ، ومسند البزار (٧٦٢١) .
(٨) المعجم الأوسط (٦٦٩٢) .
(٩) المعجم الكبير (١/ ٣٥٤) .
(١٠) المعجم الكبير (١٩/ ٣١٢) .
(١١) المعجم الأوسط (٩١٣٧) .
(١٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ١٠٣) .

وأخرج ابن منيع في « مسنده » عن علي رضي الله عنه قال : (كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر)[١] .

وأخرج البزار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمرُ سِراجُ أهلِ الجنةِ »[٢] .

وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة[٣] ، والصَّعب بن جَثَّامة[٤] .

وأخرج البزار عن قدامة بن مظعون ، عن عمه عثمان بن مظعون قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هـٰذا غلَقُ الفتنةِ ـ وأشار بيده إلىٰ عمر ـ لا يزالُ بينكم وبينَ الفتنةِ بابٌ شديدُ الغلقِ ما عاشَ هـٰذا بينَ أَظهُرِكُم »[٥] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أقرىء عمرَ السلامَ ، وأَخبره أن غضَبَه عزٌّ ، ورضاه حُكم »[٦] .

[فرار الشياطين من سيدنا عمر رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الشيطانَ يفرَقُ من عمرَ »[٧] .

وأخرج أحمد من حديث بريدة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الشيطانَ ليفرَقُ منك يا عمرُ »[٨] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

---

(١) أحمد بن منيع ؛ كما في « المطالب العالية » (٣٨٨٣) .
(٢) لم نقف عليه في مطبوع « مسند البزار » ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٨٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٤/ ١٦٧) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٤/ ١٦٧) .
(٥) لم نقف عليه في مطبوع « مسند البزار » ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٨٥) .
(٦) المعجم الأوسط (٦٢٩٧) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٤/ ٨٢) .
(٨) مسند أحمد (٥/ ٣٥٣) .

صلى الله عليه وسلم : « **ما في السماءِ ملَكٌ . . إلاَّ وهو يوقِّر عمرَ ، ولا في الأرضِ شَيطانٌ . . إلاَّ وهو يفرَقُ من عمرَ** »[1] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ الله باهَىٰ بأهلِ عرفَةَ عامَّة ، وباهَىٰ بعمرَ خاصَّةً** »[2] .

وأخرج في « الكبير » مثله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[3] .

وأخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الحقُّ بَعدي مع عمرَ حيثُ كانَ** »[4] .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنه قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بينا أنا نائمٌ . . رأيتُني علىٰ قَلِيب عليها دلوٌ ، فنَزَعت منها ما شاءَ اللهُ** ، ثم أَخذَها أبو بكرٍ ، فنَزَع ذَنوباً أو ذَنوبين وفي نزعِه ضعفٌ والله يغفرُ له ، **ثم جاء عمرُ فاستقَىٰ فاستحالَت في يدِه غرباً** ، فلم أرَ عَبقرياً من الناسِ يَفرِي فَرْيَه حتىٰ رَوي الناسُ وضَربوا بعَطَنٍ »[5] .

قال النووي في « تهذيبه » : (قال العلماء : **هٰذا إشارة إلىٰ خلافة أبي بكر وعمر ، وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمن عمر**)[6] .

وأخرج الطبراني عن سَديسة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ الشيطانَ لم يلْقَ عمرَ منذ أسلَمَ . . إلاَّ خرَّ لوجهِهِ** »[7] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٨٥) .
(٢) المعجم الأوسط (١٢٥١) .
(٣) المعجم الكبير (١١/ ١٨٢) .
(٤) المعجم الكبير (١٨/ ٢٨٠) ، ومسند الفردوس (٤١٤٧) .
(٥) صحيح البخاري (٧٠٢٠) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٣) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه أيضاً البخاري (٧٠٢١) ، ومسلم (٢٣٩٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٧) .
(٧) المعجم الكبير (٢٤/ ٣٠٥) ، وسديسة : بفتح السين ، وقيل : بضمها .

وأخرجه الدارقطني في « الأفراد » من طريق سَديسة عن حفصة[1] .

وأخرج الطبراني عن أبيٍّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قالَ لي جبريلُ : لِيَبْكِ الإسلامُ علىٰ موتِ عمرَ »[2] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن أبغَضَ عمرَ . . فقد أبغَضَني ، ومَن أحبَّ عمرَ . . فقد أحبَّني ، وإنَّ اللهَ باهَىٰ بالناسِ عشيةَ عرفةَ عامَّةً ، وباهَىٰ بعمرَ خاصَّةً ، وإنه لم يَبعث اللهُ نبيّاً . . إلاَّ كانَ في أُمَّته محدَّث ، وإن يَكن في أُمَّتي منهم أحدٌ . . فهو عمرُ » قالوا : يا رسول الله ؛ كيف محدَّث ؟ قال : « تتكَلَّمُ الملائكةُ علىٰ لسانهِ » إسناده حسن[3] .

فصل
في أقوال الصحابة والسلف فيه

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (ما علىٰ ظهر الأرض رجل أحبَّ إليَّ من عمر) أخرجه ابن عساكر[4] .

وقيل لأبي بكر في مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال : (أقول له : وليت عليهم خيرهم) أخرجه ابن سعد[5] .

وقال علي رضي الله عنه : (إذا ذُكر الصالحون . . فحيهلا بعمر ، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر) أخرجه الطبراني في « الأوسط »[6] .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : (ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/٨٦) من طريق الدارقطني ، وانظر « أطراف الغرائب والأفراد » (٥٧٨٤) .

(٢) المعجم الكبير (١/٦٧) .

(٣) المعجم الأوسط (٦٧٢٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٤/٢٤٧) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٤) .

(٦) المعجم الأوسط (٥٥٤٩) .

عليه وسلم من حين قُبض أجَدَّ ولا أجود من عمر) أخرجه ابن سعد[1] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفة . . لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم) أخرجه الطبراني في « الكبير » والحاكم[2] .

وقال حذيفة رضي الله عنه : (كأن علم الناس كان مدسوساً في جُحر مع عمر)[3] .

وقال حذيفة : (والله ؛ ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر رضي الله عنه)[4] .

وقالت عائشة رضي الله عنها وذكرت عمر : (كان والله أحوذياً نسيج وحده)[5] .

وقال معاوية رضي الله عنه : (أما أبو بكر . . فلم يُرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر . . فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن . . فتمرَّغنا فيها ظهراً لبطن) أخرجه الزبير بن بكار في « الموفقيات » .

وقال جابر رضي الله عنه : (دخل عليٌّ علىٰ عمر وهو مسجّىً ، فقال : رحمة الله عليك ، ما من أحد أحب إليَّ أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم من هـٰذا المسجَّىٰ) أخرجه الحاكم[6] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (إذا ذكر الصالحون . . فحيهلا بعمر ؛ إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله تعالىٰ) أخرجه الطبراني والحاكم[7] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٢) .
(٢) المعجم الكبير (٩/ ١٦٢) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨٦) .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٢٦٨٥) .
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٣٢) .
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٨٢١٠) ، والأحوذي : المنقطع القرين .
(٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٩٣ـ ٩٤) .
(٧) المعجم الكبير (٩/ ١٦٣) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٩٣) .

وسئل ابن عباس عن أبي بكر فقال : (كان كالخير كله) ، وسئل عن عمر فقال : (كان كالطير الحذر الذي يرىٰ أن له بكل طريق شَرَكاً يأخذه) ، وسئل عن علي ، فقال : (ملىء عزماً وحزماً وعلماً ونجدة) أخرجه في « الطيوريات »[1] .

وأخرج الطبراني عن عُمير بن ربيعة : أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : (كيف تجد نعتي ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ، قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم يكون البلاء)[2] .

وأخرج أحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (فضَل عمر بن الخطاب الناسَ بأربع : بذكر الأسرىٰ يوم بدر ؛ أمَرَ بقتلهم ، فأنزل الله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ . . . ﴾ الآيةَ ، وبذكر الحجاب ؛ أمَرَ نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن ، فقالت له زينب : وإنك علينا يا بن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا . . . ﴾ الآيةَ ، وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهمَّ ؛ أيِّد الإسلامَ بعمرَ » ، وبرأيه في أبي بكر ؛ كان أول من بايعه)[3] .

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : (كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر ، فلما أصيب . . بثت)[4] .

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال : (أبطأ خبر عمر علىٰ أبي موسىٰ ، فأتى امرأة في بطنها شيطان ، فسألها عنه فقالت : حتىٰ يجيء شيطاني ، فجاء فسألته عنه فقال : تركته مؤتزراً بكساء يهنأ إبل الصدقة ، وذاك رجل لا يراه شيطان . . إلا خرَّ لمنخريه ، الملك بين عينيه ، وروح القدس ينطق بلسانه)[5] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٨٦) .

(٢) المعجم الكبير (١/ ٨٤) .

(٣) مسند أحمد (١/ ٤٥٦) ، ومسند البزار (١٧٤٨) ، والمعجم الكبير (٩/ ١٦٧) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٤/ ٨٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٤/ ٨٩) .

فصل

[في أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما مقدَّمان في الخلافة علىٰ غيرهما]

قال سفيان الثوري : (من زعم أن علياً كان أحق بالولاية من أبي بكر وعمر . . فقد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار)[١] .

وقال شريك : (ليس يقدِّم علياً علىٰ أبي بكر وعمر أحد فيه خير)[٢] .

وقال أبو أسامة : (تدرون من أبو بكر وعمر ؟ هما أبوا الإسلام وأمه)[٣] .

وقال جعفر الصادق : (أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير)[٤] .

فصل

في موافقات عمر رضي الله عنه

قد وصلها بعضهم إلىٰ أكثر من عشرين[٥] .

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال : (كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن)[٦] .

وأخرج ابن عساكر عن علي قال : (إن في القرآن لرأياً من رأي عمر)[٧] .

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً : « ما قالَ الناسُ في شيءٍ وقالَ فيه عمرُ . . إلاَّ جاءَ القرآنُ بنحوِ ما يقولُ عمرُ »[٨] .

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٦٣٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٨٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٨٦) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٨٧) .

(٥) جمعها الإمام السيوطي في منظومة وسماها « قطف الثمر في موافقات عمر » ، وهي ضمن كتابه « الحاوي للفتاوي » (١/ ٣٧٧ـ ٣٧٨) .

(٦) أورده المصنف في « الدر المنثور » (١/ ٢٩٠) وعزاه لابن مردويه .

(٧) تاريخ دمشق (٤٤/ ٩٥) .

(٨) تاريخ دمشق (٤٤/ ١٠٤) .

[وافقت ربي في ثلاث]

١ ـ ٣ ـ وأخرج الشيخان عن عمر قال : (وافقت ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله ؛ لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىً ، فنزلت : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ ، وقلت : يا رسول الله ؛ يدخل علىٰ نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم عليه في الغيرة ، فقلت : عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك)[1] .

٤ ـ وأخرج مسلم عن عمر قال : (وافقت ربي في ثلاث : في الحجاب ، وفي أسارىٰ بدر ، وفي مقام إبراهيم)[2] ، ففي هـٰذا الحديث خصلة رابعة .

٥ ـ وفي « التهذيب » للمزي : (نزل القرآن بموافقته : في أسرىٰ بدر ، وفي الحجاب ، وفي مقام إبراهيم ، وفي تحريم الخمر)[3] .

فزاد خصلة خامسة ، وحديثها في « السنن » و« مستدرك الحاكم » أنه قال : (اللهمَّ ؛ بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً)[4] .

[وافقت ربي في أربع]

٦ ـ وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن أنس قال : قال عمر : (وافقت ربي في أربع : نزلت هـٰذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ . . . ﴾ الآيَةَ ، فلما نزلت . . قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾)[5] .

---

(١) صحيح البخاري (٤٠٢) ، وهـٰذا لفظ البخاري ، وعند مسلم هو اللفظ الآتي بعده .

(٢) صحيح مسلم (٢٣٩٩) .

(٣) تهذيب الكمال (٢١/ ٣٢٤) .

(٤) سنن أبي داوود (٣٦٧٠) ، وسنن الترمذي (٣٠٤٩) ، وسنن النسائي (٨/ ٢٨٦) ، ومستدرك الحاكم (٢/ ٢٧٨) .

(٥) أورده ابن كثير في « تفسيره » (٧/ ٢٤٢) بسند ابن أبي حاتم .

فزاد في هـٰذا الحديث خصلة سادسة ، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في « التفسير المسند »[1] .

[موافقته في قصة عبد الله بن أبي]

ثم رأيت في كتاب « فضائل الإمامين » لأبي عبد الله الشيباني قال : وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً ، فذكر هـٰذه الستة وزاد :

٧ ـ قصة عبد الله ابن أبي ، قلت : حديثها في « الصحيح » عنه قال : (لما توفي عبد الله بن أبي . . دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فقمت حتىٰ وقفت في صدره فقلت : يا رسول الله ؛ أعلىٰ عدو الله ابن أبيٍّ القائل يوم كذا وكذا ؟! فوالله ؛ ما كان إلا يسيراً حتىٰ نزلت : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا . . . ﴾) الآية[2] .

[موافقته في قضايا شتىٰ]

٨ ـ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ . . . ﴾ الآيَةَ .

٩ ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ . . . ﴾ الآيةَ .

قلت : هما مع آية المائدة خصلة واحدة ، والثلاثة في الحديث السابق .

١٠ ـ لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم . . قال عمر : (سواء عليهم) فأنزل الله ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ . . . ﴾ الآيةَ .

قلت : أخرجه الطبراني عن ابن عباس[3] .

١١ ـ لما استشار صلى الله عليه وسلم الصحابة في الخروج إلىٰ بدر . . أشار عمر بالخروج ، فنزلت : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ . . . ﴾ الآيةَ .

١٢ ـ لما استشار الصحابة في قصة الإفك . . قال عمر : من زوجكها

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٩٤) وعزاه للطبراني ، وهو عند الطبراني في « الكبير » (١١/ ٤٣٨) .
(٢) صحيح البخاري (١٣٦٦) ، وصحيح مسلم (٢٤٠٠) .
(٣) المعجم الكبير (١١/ ٤٣٨) .

يا رسول الله ؟ قال : « الله » قال : أفتظن أن ربك دلس عليك فيها ؟ سبحانك هٰذا بهتان عظيم ، فنزلت كذلك .

١٣ ـ قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك محرَّماً في أول الإسلام ، فنزل : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ . . . ﴾ الآيةَ .

قلت : أخرجه أحمد في « مسنده »[١] .

١٤ ـ قوله : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ . . . ﴾ الآيةَ .

قلت : أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة ، وأقربها للموافقة : ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ : أن يهودياً لقي عمر فقال : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا ، فقال عمر : (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) فنزلت علىٰ لسان عمر[٢] .

١٥ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . ﴾ الآيةَ .

قلت : أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال : اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضىٰ بينهما ، فقال الذي قضىٰ عليه : ردنا إلىٰ عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه ، فقال الرجل : قضىٰ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ هـٰذا ، فقال : ردنا إلىٰ عمر ، فقال : أكذاك ؟! قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتىٰ أخرج إليكما ، فخرج إليهما مشتملاً علىٰ سيفه فضرب الذي قال : ردنا إلىٰ عمر ، فقتله ، وأدبر الآخر ، فقال : يا رسول الله ؛ قتل عمر والله صاحبي ، فقال : « ما كنت أظن أن يجترىء عمر علىٰ قتل مؤمن » ، فأنزل الله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . ﴾ الآيةَ ، فأهدر دم الرجل ، وبرىء عمر من قتله[٣] .

وله شاهد موصول أوردته في « التفسير المسند »[٤] .

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٢٤٦) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩٦١) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٦٠) .

(٤) الدر المنثور (٢/ ٥٨٥) وعزاه لدُحيم عن ضمرة .

١٦ ـ **الاستئذان في الدخول** ؛ وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائماً ، فقال : (اللهم ؛ حرم الدخول) فنزلت آية الاستئذان .

١٧ ـ قوله في اليهود : (إنهم قوم بُهُت) .

١٨ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ .

قلت : أخرج قصتها ابن عساكر في « تاريخه » عن جابر بن عبد الله ، وهي في « أسباب النزول »[1] .

١٩ ـ رفع تلاوة (الشيخ والشيخة إذا زنيا . . .) الآية[2] .

٢٠ ـ قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان : أفي القوم فلان ؟ : (ألا نجيبه ؟) فوافقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : أخرج قصته أحمد في « مسنده »[3] .

قال : ويضم إلىٰ هـٰذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب « الرد على الجهمية » من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله : أن كعب الأحبار قال : (**ويل لملك الأرض من ملك السماء** ، فقال عمر : **إلا من حاسب نفسه** ، فقال كعب : والذي نفسي بيده ؛ إنها في التوراة لتابعتها ، **فخر عمر ساجداً**)[4] .

ثم رأيت في « الكامل » لابن عدي من طريق عبد الله بن نافع ـ وهو ضعيف ـ

---

(١) تاريخ دمشق (٢٢٩/٤٠) ، لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٥١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥٣) .

(٣) مسند أحمد (٢٨٧/١) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما نصر الله تبارك وتعالىٰ في موطن كما نصر يوم أحد ، قال : فأنكرنا ذلك !! فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالىٰ . . . فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : اعلُ هبلُ ـ مرتين ، يعني آلهته ـ أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : يا رسول الله ؛ ألا أجيبه ؟ قال : « بلىٰ » قال : فلما قال : اعلُ هبلُ ، قال عمر : الله أعلىٰ وأجلُّ ، قال : فقال أبو سفيان : يا بن الخطاب ؛ إنه قد أنعمتْ عينُها ، فعادِ عنها ، أو فعالِ عنها ، فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هـٰذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهـٰذا أبو بكر ، وهأنا ذا عمر ، قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، قال : فقال عمر : لا سواءً ؛ قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار . . . إلخ .

(٤) الرد على الجهمية (٨٩) .

عن أبيه ، عن ابن عمر : أن بلالاً كان يقول إذا أذَّن : أشهد أن لا إلـه إلا الله حي على الصلاة ، فقال له عمر : **قل في أثرها : أشهد أن محمداً رسول الله** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قُل كَما قالَ عُمر** »[1] .

فَصْلٌ
في كرامات عمر
[يا سارية الجبل]

أخرج البيهقي ، وأبو نعيم كلاهما في « دلائل النبوة » ، واللالكائي في « شرح السنة » ، والديرعاقولي في « فوائده » ، وابن الأعرابي في « كرامات الأولياء » ، والخطيب في « رواة مالك » عن نافع ، عن ابن عمر قال : (وجَّه عمر جيشاً ورأَّس عليهم رجلاً يدعىٰ سارية ، فبينما عمر يخطب . . جعل ينادي : **يا ساريةُ ؛ الجبلَ** ، ثلاثاً ، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هُزمنا ، **فبينا نحن كذلك . . إذ سمعنا صوتاً ينادي : يا ساريةُ ؛ الجبلَ** ، ثلاثاً ، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله ، قال : قيل لعمر : **إنك كنت تصيح بذلك**)[2] ، قال ابن حجر في « الإصابة » : (إسناده حسن)[3] .

وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر قال : (كان عمر يخطب يوم الجمعة ، فعرض في خطبته أن قال : **يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، من استرعى الذئب . . ظلم** ، فالتفت الناس بعضهم إلىٰ بعض ، فقال لهم علي : **ليخرجن مما قال** ، فلما فرغ . . سألوه ، فقال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه . . قاتلوا من وجه واحد ، وإن جازوا . . هلكوا ، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه ، قال : **فجاء البشير بعد شهر** ،

---

(١) الكامل (٤/ ١٦٥) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٧٠) ، واعتقاد أهل السنة (٢٥٣٧) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٨٨) وعزاه للديرعاقولي ولابن الأعرابي .

(٣) الإصابة (٢/ ٣) .

فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم ، قال : فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا)[1] .

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن عمرو بن الحارث قال : (بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال : يا ساريَ ؛ الجبل ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم أقبل علىٰ خطبته ، فقال بعض الحاضرين : لقد جن ، إنه لمجنون ، فدخل عليه عبد الرحمـٰن بن عوف وكان يطمئن إليه ، فقال : إنك لتجعل لهم علىٰ نفسك مقالاً بيّناً ، أنت تخطب إذ أنت تصيح يا ساريَ ؛ الجبلَ ، أي شيء هـٰذا ؟

قال : إني والله ؛ ما ملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤتَون من بين أيديهم ومن خلفهم ، فلم أملك أن قلت : يا ساريَ الجبلَ ؛ ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلىٰ أن جاء رسول سارية بكتابه : إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم ، حتىٰ إذا حضرت الجمعة . . سمعنا منادياً ينادي : يا ساريَ الجبل ، مرتين ، فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتىٰ هزمهم الله وقتلهم ، فقال أولـٰئك الذين طعنوا عليه : دعوا هـٰذا الرجل ؛ فإنه مصنوع له)[2] .

[أدرك أهلك فقد احترقوا]

وأخرج أبو القاسم بن بشران في « فوائده » من طريق موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : (قال عمر بن الخطاب لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن ؟ قال : من الحُرَقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : الحرة ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لظىٰ ، فقال عمر : أدرك أهلك ؛ فقد احترقوا ، فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا)[3] .

وأخرج مالك في « الموطأ » عن يحيى بن سعيد نحوه[4] ، وأخرجه ابن دريد

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٨٩) وعزاه لابن مردويه .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٩٠) وعزاه لأبي نعيم في « الدلائل » .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٩٨٢) وعزاه لابن بشران في « أماليه » .

(٤) الموطأ (١٧٩٠) .

في « الأخبار المنثورة » ، وابن الكلبي في « الجامع » وغيرهم[1] .

[رسالة سيدنا عمر رضي الله عنه إلىٰ نيل مصر]

وقال أبو الشيخ في كتاب « العظمة » : حدثنا أبو الطيب ، حدثنا علي بن داوود ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدثه قال : (لما فُتحت مصر . . أُتي عمرو بن العاصي حين دخل يوم من أشهر العجم ، فقالوا : أيها الأمير ؛ إن لنيلنا هـٰذا سُنَّة لا يجري إلا بها ، قال : وما ذاك ؟

قال : إذا كان إحدىٰ عشرة ليلة تخلو من هـٰذا الشهر . . عمدنا إلىٰ جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هـٰذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هـٰذا لا يكون أبداً في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتىٰ هموا بالجلاء ، فلما رأىٰ ذلك عمرو . . كتب إلىٰ عمر بن الخطاب بذلك .

فكتب له : أن قد أصبت بالذي فعلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة في داخل كتابه ، وكتب إلىٰ عمرو : إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلىٰ عمرو بن العاصي . . أخذ البطاقة ، ففتحها ؛ فإذا فيها :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل أهل مصر ، أما بعد : فإن كنت تجري من قِبَلِك . . فلا تجر ، وإن كان الله يجريك . . فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك .

فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالىٰ ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى اليوم)[2] .

---

(١) انظر « الإصابة » (١/ ٢٦٣) .

(٢) العظمة (٩٣٧) ، وأبو الطيب : هو أحمد بن روح الشعراني .

وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال : (إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيَكذِبُه الكذبة فيقول : احبس هـٰذه ، ثم يحدثه بالحديث فيقول : احبس هـٰذه ، فيقول له : كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتني أن أحبسه)[1] .

وأخرج عن الحسن قال : (إنْ كان أحدٌ يعرف الكذبَ إذا حُدث به أنه كذب . . فهو عمر بن الخطاب)[2] .

وأخرج البيهقي في « الدلائل » عن أبي عَذَبة[3] الحمصي قال[4] : أخبر عمر : (أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم ، فخرج غضبان ، فصلىٰ فسها في صلاته ، فلما سلم قال : اللهم ؛ إنهم قد لبَّسوا عليَّ فالبس عليهم ، وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية : لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم) .

قلت : أشار به إلى الحجاج ، قال ابن لهيعة : (وما وُلِد الحجاج يومئذ)[5] .

فصل
في نُبذ من سيرته

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب عمر ، فمرت جارية فقالوا : سُرِّية أمير المؤمنين ، فقال : (ما هي لأمير المؤمنين بسُرِّية ولا تحل له ؛ إنها من مال الله) .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨١) .

(٣) في (ج ، د ، هـ ، ط) : (أبي هدبة) ، وفي (ب) : (أبي عبد الله) ، وفي (أ) : بياض ، وانظر « الميزان » (٤/ ٥٥١) .

(٤) في (ج ، د ، هـ ، و) : (وأخرج عن شريح بن عبيد عمن حدثه قال : أخبر عمر) . انظر « تاريخ دمشق » (١٢/ ١٦٨) .

(٥) دلائل النبوة (٦/ ٤٨٧ـ ٤٨٨) .

فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالىٰ ؟ قال : (إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حُلتين : حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما أحج به وأعتمر ، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين)[1] .

وقال خزيمة بن ثابت : (كان عمر إذا استعمل عاملاً . . كتب له واشترط عليه : ألا يركب بِرذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فإن فعل . . فقد حلت عليه العقوبة)[2] .

[زهده في المطعم والملبس]

وقال عكرمة بن خالد وغيره : إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر فقالوا : (لو أكلت طعاماً طيباً . . كان أقوىٰ لك على الحق ؟ قال : أكلُّكم علىٰ هـٰذا الرأي ؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمت نصحكم ؛ ولـٰكني تركت صاحبيَّ علىٰ جادة ، فإن تركت جادتهما . . لم أدركهما في المنزل ، قال : وأصاب الناس سنة ، فما أكل عامئذٍ سمناً ولا سميناً)[3] .

وقال ابن أبي مليكة : كلم عتبة بن فَرْقد عمر في طعامه ، فقال : (ويحك !! آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها ؟!)[4] .

وقال الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً ، فقال : (ما هـٰذا ؟ قال : قَرِمنا إليه ، قال : أوكلما قرمت إلىٰ شيء . . أكلته ؟! كفىٰ بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهىٰ)[5] .

وقال أسلم : قال عمر : (لقد خطر علىٰ قلبي شهوة السمك الطري ، قال : فرحل يرفأُ راحلته ، وسار أربعاً مقبلاً ومدبراً ، واشترىٰ مِكتلاً ، فجاء به ، وعمد إلى الراحلة فغسلها ، فأتىٰ عمر فقال : انطلق حتىٰ أنظر إلى الراحلة ، فنظر

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٦) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٢٧٦) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩١) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩٦) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٠٠) ، والقَرَم : شدة الشهوة إلى اللحم .

وقال : نسيت أن تغسل هـٰذا العرق الذي تحت أذنها ، عذبت بهيمة في شهوة عمر ، لا والله ؛ لا يذوق عمر مكتلك)[1] .

وقال قتادة : (كان عمر يلبس ـ وهو خليفة ـ جبةً من صوف مرقوعة بعضها بأدم ، ويطوف في الأسواق علىٰ عاتقه الدرة يؤدِّب الناس بها ، ويمر بالنكث والنوىٰ فيلقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به)[2] .

وقال أنس : (رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه)[3] .

وقال أبو عثمان النهدي : (رأيت علىٰ عمر إزاراً مرقوعاً بأدم)[4] .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : (حججت مع عمر ، فما ضرب فسطاطاً ولا خباء ، كان يلقي الكساء والنطع على الشجرة ويستظل تحته)[5] .

[تهذيبه لنفسه]

وقال عبد الله بن عيسىٰ : (كان في وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء)[6] .

وقال الحسن : (كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتىٰ يعاد منها أياماً)[7] .

وقال أنس : (دخلت حائطاً ، فسمعت عمر يقول وبيني وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ؟! بخ ، والله لتتقينَّ الله بنيَّ الخطاب أو ليعذِّبنك)[8] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٠١) ، ويرفأ : هو مولىٰ عمر وحاجبه ، والمِكْتَل : هو ما يعمل من الخوص ، يحمل فيه التمر وغيره .

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٠٣) ، والنكث : الخيط الخلق من صوف أو شعر أو وبر .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٤) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٠٣) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٤) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٠٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ٢٦٩) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٩) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٠٥) .

(٦) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (٣١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٠٨) .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٥٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٠٩) .

(٨) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٢) ، وأخرجه مالك في « الموطأ » (١٨٣٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣١٠) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : (يا ليتني هٰذه التبنة ؛ ليتني لم أكُ شيئاً ، ليت أمي لم تلدني !!)[1] .

وقال عبيد الله بن عمر بن حفص : حمل عمر بن الخطاب قِربةً علىٰ عنقه ، فقيل له في ذلك ، فقال : (إن نفسي أعجبتني فأردت أن أُذلَّها)[2] .

وقال محمد بن سيرين : قدم صهر لعمر بن الخطاب عليه ، فطلب أن يعطيه من بيت المال ، فانتهره عمر وقال : (أردتَ أن ألقى الله ملكاً خائناً ؟) ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم[3] .

وقال النخعي : (كان عمر يتجر وهو خليفة)[4] .

وقال أنس : تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة ، وكان قد حرَّم علىٰ نفسه السمن ، فنقر بطنه بإصبعه وقال : (إنه ليس عندنا غيره حتىٰ يحيا الناس)[5] .

وقال سفيان بن عيينة : قال عمر بن الخطاب : (أحب الناس إلي : من رفع إلي عيوبي)[6] .

وقال أسلم : (رأيت عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس ، ويأخذ بيده الأخرىٰ أذنه ثم ينزو علىٰ متن الفرس)[7] .

وقال ابن عمر : (ما رأيت عمر غضب قط : فذُكر الله عنده ، أو خوف ، أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن . . إلا وقف عما كان يريد)[8] .

وقال بلال لأسلم : (كيف تجدون عمر ؟ فقال : خير الناس ، إلا أنه إذا

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٣٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٦٢١) .
(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣١٨) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٣) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٣١) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٨) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٤٥) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٩١) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٤٧) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٣) .
(٧) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٣) .
(٨) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣١٠) .

غضب.. فهو أمر عظيم ، فقال بلال : **لو كنت عنده إذا غضب.. قرأت عليه القرآن حتىٰ يذهب غضبه)**[١] .

وقال الأحوص بن حكيم عن أبيه : أُتي عمر بلحم فيه سمن ، فأبىٰ أن يأكلهما ، وقال : (**كل واحد منهما أدم**)[٢] ، أخرج هٰذه الآثار كلها ابن سعد .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال عمر : (**هَانَ شيء أُصلح به قوماً أن أبدلهم أميراً مكان أمير**)[٣] .

فَصْلٌ
في صفته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد والحاكم عن زِرٍّ قال : (خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد ، **فرأيت عمر يمشي حافياً ، شيخاً أصلع آدم ، أعسر يسر** ، طوالاً مشرفاً على الناس كأنه علىٰ دابة) .

قال الواقدي : (**لا يعرف عندنا : أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة ؛ فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت**)[٤] .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر : أنه وصف عمر فقال : (**رجل أبيض تعلوه حمرة ، طوال أصلع أشيب**)[٥] .

وأخرج عن عبيد بن عمير قال : (**كان عمر يفوق الناس طولاً**)[٦] .

وأخرج عن سلمة بن الأكوع قال : (**كان عمر رجلاً أيسر**)[٧] يعني : يعتمل بيديه جميعاً .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٨٢) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٩٧) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٦٤) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠١) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨١) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠١) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٢) .
(٧) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٢) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العُطاردي قال : (**كان عمر رجلاً طويلاً ، جسيماً ، أصلع شديد الصلع ، أبيض شديد الحمرة ، في عارضيه خفة ، سَبَلَته كبيرة ، وفي أطرافها صُهبة**)[1] .

وفي « تاريخ ابن عساكر » من طرق : (**أن أمَّ عمر بن الخطاب حَنْتمةُ بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل بن هشام ، فكان أبو جهل خاله**)[2] .

فَصْلٌ
في خلافته رضي الله عنه

ولي الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة .

قال الزهري : (**استخلف عمر يوم توفي أبو بكر** ؛ وهو يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من جمادى الآخرة) أخرجه الحاكم[3] .

[كثرة الفتوحات في عهده]

فقام بالأمر أتم قيام ، وكثرت الفتوح في أيامه .

ففي سنة أربع عشرة : فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة ، وحِمص وبَعْلبكُّ صلحاً ، والبصرة والأُبُلَّة كلاهما عنوة .

وفيها : جمع عمر الناس علىٰ صلاة التراويح ، قاله العسكري في « الأوائل »[4] .

وفي سنة خمس عشرة : فتحت الأردن كلها عنوة ، إلا طبرية ؛ فإنها فتحت صلحاً .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/١٧) ، السبلة : مقدم اللحية وما انحدر منها على الصدر ، والصهبة : الشقرة .
(٢) تاريخ دمشق (٤٤/٩) .
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٨٠ ـ ٨١) .
(٤) الأوائل (ص ١٠٥) .

وفيها : كانت وقعة اليرموك والقادسية .

قال ابن جرير : (وفيها : مصَّر سعد الكوفة)[1] .

وفيها : فرَضَ عمر الفروض ، ودوَّن الدواوين ، وأعطى العطاء على السابقة[2] .

* * *

وفي سنة ست عشرة : فتحت الأهواز والمدائن ، وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرىٰ ؛ وهي أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك في صفر .

وفيها : كانت وقعة جَلُولاء ، وهُزِم فيها يَزْدَجِرد بن كسرىٰ وتقهقر إلى الري .

وفيها : فُتحت تكريت .

وفيها : سار عمر ففتح بيت المقدس ، وخطب بالجابية خطبته المشهورة .

وفيها : فتحت قِنَّسرين عنوة ، وحلب وأنطاكِيَة ومَنِبج صلحاً ، وسَرُوج عنوة .

وفيها : فتحت قَرْقيسِياء صلحاً .

وفيها : في ربيع الأول : كتب التاريخ من الهجرة بمشورة علي .

* * *

وفي سنة سبع عشرة : زاد عمر في المسجد النبوي .

[استسقاء سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنهما]

وفيها : كان القحط بالحجاز ، وسمي عام الرمادة ، واستسقىٰ عمر للناس بالعباس .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٨) .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٦١٣) ، والمراد بـ(السابقة) : السبق إلى الإسلام .

أخرج ابن سعد عن نيار الأسلمي : (أن عمر لما خرج يستسقي . . خرج وعليه بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١] .

وأخرج عن ابن أبي عون قال : أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها وقال : (اللهم ؛ إنا نستشفع إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المَحْل ، وأن تسقينا الغيث) فلم يبرحوا حتىٰ سقوا ، وأطبقت السماء عليهم أياماً[٢] .

وفيها : فتحت الأهواز صلحاً .

وفي سنة ثمان عشرة : فتحت جُنْدَيسابور صلحاً ، وحُلوان عنوة .

وفيها : كان طاعون عَمْواس .

وفيها : فتحت الرُّها وسُمَيساط عنوة ، وحرَّان ونَصِيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل : صلحاً ، والمَوصل ونواحيها عنوة .

وفي سنة تسع عشرة : فتحت قَيْسارية عنوة[٣] .

وفي سنة عشرين : فتحت مصر عنوة ، وقيل : مصر كلها صلح إلا الإسكندرية فعنوة ، وقال علي بن رباح : المغرب كله عنوة .

وفيها : فتحت تُسْتَر[٤] .

وفيها : هلك قيصر عظيم الروم .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٩٨) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٩٩) .

(٣) كذا في « تاريخ الإسلام » (٣/ ١٨٧) . وعند الطبري (٣/ ٦٠٣) ، وابن الأثير في « الكامل » (٢/ ٣٤٤) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٥٣) : (أن فتح قيسارية كان سنة « ١٥هـ ») .

(٤) كذا في « تاريخ الإسلام » (٣/ ١٩٨) . وعند الطبري (٤/ ٧٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤/ ٢٣٢) ، وابن الأثير في « الكامل » (٢/ ٣٨٨) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٨٦) : (أن الفتح كان سنة « ١٧هـ ») ، وقال الطبري : (وقال بعضهم : فتحت سنة « ١٦هـ » ، وبعضهم يقول : في سنة « ١٩هـ ») .

وفيها : أجلىٰ عمر اليهود عن خيبر وعن نجران ، وقسم خيبر ووادي القرىٰ .

وفي سنة إحدىٰ وعشرين : فتحت الإسكندرية عنوة ، ونهاوند عنوة[1] ، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة ، وبرقة وغيرها .

وفي سنة اثنتين وعشرين : فتحت أذربيجان عنوة ، وقيل : صلحاً ، والدِّينَوَر عنوة ، وماه سندان[2] عنوة ، وهَمَذان عنوة ، وأَطْرابُلُس المغرب ، والري وعسكر وقُومِس .

وفي سنة ثلاث وعشرين : كان فتح كِرْمان وسِجِسْتان ومَكْران من بلاد الجبل ، وأَصبهان ونواحيها .

وفي آخرها : كانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً .

قال سعيد بن المسيب : لما نفر عمر من مِنىً . . أناخَ بالأبطحِ ، ثم استلقىٰ ورفَعَ يديه إلى السماء ثم قال : (اللهمَّ ؛ كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط) فما انسلخ ذو الحجة حتىٰ قُتل . أخرجه الحاكم[3] .

وقال أبو صالح السمان : قال كعب لعمر : أجدُك في التوراة تقتل شهيداً ؟ قال : (وأنَّىٰ لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟!)[4] .

---

(١) كذا في « تاريخ الإسلام » (٣/ ٢٧٥) . وفي « مرآة الجنان » (١/ ٧٧) ، و« العبر » (١/ ٢٦) : (أنها كانت في سنة « ٢٢هـ ») . وجاء في « العبر » : (صلحاً) .
(٢) في « معجم البلدان » (٥/ ٤١) : (ماسَبَذان) .
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٩١ـ ٩٢) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٠٣) .

وقال أسلم : قال عمر : (اللهمَّ ؛ ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك) أخرجه البخاري[1] .

وقال مَعدان بن أبي طلحة : خطب عمر فقال : (رأيت كأن ديكاً نقرني نقرةً أو نقرتين ، وإني لا أراه إلا حضور أجلي ، وإن قوماً يأمرونني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ؛ فإن عجل بي أمر . . فالخلافة شورىٰ بين هـٰؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ) أخرجه الحاكم[2] .

[قصة غلام المغيرة واستشهاد سيدنا عمر]

وقال الزهري : (كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة ، حتىٰ كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صَنَعاً ، ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقول : إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ؛ إنه حداد نقاش نجار ، فأذن له أن يرسل به إليه ، وضرب عليه المغيرة مئة درهم في الشهر .

فجاء إلىٰ عمر يشتكي شدة الخراج ، فقال : ما خراجك بكثير ، فانصرف ساخطاً يتذمر ، فلبث عمر ليالي ، ثم دعاه فقال : ألم أخبر أنك تقول : لو أشاء . . لصنعت رحىً تطحن بالريح ، فالتفت إلىٰ عمر عابساً وقال : لأصنعنَّ لك رحىً يتحدث الناس بها .

فلما ولَّىٰ . . قال عمر لأصحابه : أوعدني العبد آنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة علىٰ خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه ، فكَمَن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس ، فلم يزل هناك حتىٰ خرج عمر يوقظ الناس للصلاة ، فلما دنا منه . . طعنه ثلاث طعنات) أخرجه ابن سعد[3] .

---

(١) صحيح البخاري (١٨٩٠) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٩٠ـ ٩١) مختصراً ، وهو عند مسلم (٥٦٧) بتمامه ، وانظر « الصواعق المحرقة » (١/ ٣٠٣ـ٣٠٤) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٢٠) .

وقال عمرو بن ميمون الأودي : (إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً ؛ مات منهم ستة ، فألقىٰ عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتم فيه . . قتل نفسه)[1] .

وقال أبو رافع : (كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن المغيرة قد أثقل عليَّ ، فكلمه .

فقال : أحسن إلىٰ مولاك ـ ومن نية عمر : أن يكلم المغيرة فيه ـ فغضب وقال : يسع الناسَ كلهم عدلُه غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً وشحذه وسمَّه .

وكان عمر يقول : أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه في الصف ، وضربه في كتفه وفي خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه ، فمات منهم ستة ، وحُمل عمر إلىٰ أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلىٰ عبد الرحمـٰن بن عوف بالناس بأقصر سورتين ، وأُتي عمر بنبيذ فشربه ، فخرج من جرحه ، فلم يتبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس . . فقد قتلت .

فجعل الناس يثنون عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله ؛ وددت أني خرجت منها كفافاً ؛ لا علي ولا لي ، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي .

وأثنىٰ عليه ابن عباس ، فقال : لو أن لي طلاع الأرض ذهباً . . لافتديت به من هول المُطَّلع ، وقد جعلتها شورىٰ في : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمـٰن بن عوف ، وسعد ، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس ، وأجَّل الستة ثلاثاً) أخرجه الحاكم[2] .

وقال ابن عباس : (كان أبو لؤلؤة مجوسياً) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٤٠٨) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٩١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ٢٧٧ـ٢٧٨) .

وقال عمرو بن ميمون : (قال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدَّعي الإسلام ، ثم قال لابنه : يا عبد الله ؛ انظر ما عليَّ من الدَّين ، فحسبوه فوجدوه ستةً وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وفَّىٰ مال آل عمر . . فأدِّهِ من أموالهم ، وإلا . . فاسأل في بني عدي ، فإن لم تفِ أموالهم . . فاسأل في قريش ، اذهب إلىٰ أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها ، فقالت : كنت أريده ـ تعني المكان ـ لنفسي ، ولأوثرنه اليوم علىٰ نفسي ، فأتىٰ عبد الله فقال : قد أذنت ، فحمد الله تعالىٰ .

وقيل له : أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرىٰ أحداً أحق بهٰذا الأمر من هٰؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . . . فسمى الستة وقال : يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء ؛ فإن أصابت الإمرة سعداً . . فهو ذاك ، وإلا . . فليستعن به أيكم ما أُمِّر ؛ فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة .

ثم قال : أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً في مثل ذلك من الوصية .

فلما توفي . . خرجنا به نمشي ، فسلَّم عبد الله بن عمر وقال : عمر يستأذن ، فقالت عائشة : أدخلوه ، فأُدخل فوُضِع هناك مع صاحبيه ، فلما فرغوا من دفنه ورجعوا . . اجتمع هٰؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمٰن بن عوف : اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمري إلىٰ علي ، وقال سعد : قد جعلت أمري إلىٰ عبد الرحمٰن ، وقال طلحة : قد جعلت أمري إلىٰ عثمان .

قال : فخلا هٰؤلاء الثلاثة ، فقال عبد الرحمٰن : أنا لا أريدها ، فأيكما يبرأ من هٰذا الأمر ونجعله إليه والله عليه والإسلام . . لينظرن أفضلهم في نفسه ، وليحرصن علىٰ صلاح الأمة ، فسكت الشيخان علي وعثمان .

فقال عبد الرحمٰن : اجعلوه إليَّ والله عليَّ ؛ لا آلوكم عن أفضلكم ؟

قالا : نعم ، فخلا بعلي وقال : لك من القدم في الإسلام والقرابة من

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت ، الله عليك لئن أمرتك . . لتعدلن ، ولئن أمرت عليك . . لتسمعن ولتطيعن ؟ قال : نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك ، فلما أخذ ميثاقهما . . بايع عثمان ، وبايعه علي)[1] .

وفي « مسند أحمد » عن عمر أنه قال : إن أدركني أجلي وأبو عبيدة ابن الجراح حيّ . . استخلفته ؛ فإن سألني ربي : لِمَ استخلفته ؟ قلت : سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ لكلِّ نبيٍّ أميناً ، وأَميني أبو عُبيدة ابنُ الجرَّاحِ » فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة . . استخلفت معاذ بن جبل ؛ فإن سألني ربي : لِمَ استخلفته ؟ قلت : سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّه يُحشر يومَ القيامةِ بين يَدَي العلماءِ نَبْذَة »[2] ، وقد ماتا في خلافته .

وفي « المسند » أيضاً عن أبي رافع : أنه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف فقال : (قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً ، ولو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هـٰذا الأمر إليه . . لوثقت به : سالم مولىٰ أبي حذيفة ، وأبو عبيدة ابن الجراح)[3] .

[موته ، ومن صلىٰ عليه ، ونقش خاتمه]

أصيب عمر يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ست وستون سنة ، وقيل : إحدىٰ وستون ، وقيل : ستون ، ورجحه الواقدي ، وقيل : تسع وخمسون ، وقيل : خمس أو أربع وخمسون ، وصلىٰ عليه صهيب في المسجد .

وفي « تهذيب المزي » : (كان نقش خاتم عمر : كفىٰ بالموت واعظاً)[4] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٣١٢ـ ٣١٥) ، واللفظ من « تاريخ الإسلام » (٣/ ٢٧٨ـ ٢٧٩) .

(٢) مسند أحمد (١/ ١٨) .

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٠) .

(٤) تهذيب الكمال (٢١/ ٣٢٣) .

وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر : (**اليوم وَهَى الإسلام**)[١] .

وأخرج عن عبد الرحمٰن بن يسار قال : (**شهدت موت عمر بن الخطاب ، فانكسفت الشمس يومئذ**) ، رجاله ثقات[٢] .

فَصْلٌ
في أوليات عمر

قال العسكري : (**هو أول من سمي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سَن قيام شهر رمضان ، وأول من عسَّ بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة ، وأول من نهىٰ عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز علىٰ أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة ، وأول من احتبس صدقة في الإسلام ، وأول من أعال الفرائض ، وأول من أخذ زكاة الخيل**[٣] ، **وأول من قال : « أطال الله بقاءك » قاله لعلي ، وأول من قال : « أيَّدك الله » ، قاله لعلي**) هـٰذا آخر ما ذكره العسكري[٤] .

وقال النووي في « تهذيبه » : (**هو أول من اتخذ الدرة**)[٥] ، وكذا ذكره ابن سعد في « الطبقات » قال : ولقد قيل بعده : **لَدرة عمر أهيب من سيفكم** .

قال : (**وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار ، وأول من مصر الأمصار** : الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل)[٦] .

---

(١) المعجم الكبير (٢٥/ ٨٦) .
(٢) المعجم الكبير (١/ ٧١) .
(٣) الأوائل (ص ١٠٣ـ ١٢٢) .
(٤) الأوائل (ص ٢٩٥ـ ٢٩٨) .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٠) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٦٢ـ ٢٦٣) .

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال : مر علي بن أبي طالب على المساجد في رمضان وفيها القناديل فقال : (نوَّر الله علىٰ عمر في قبره كما نوَّر علينا مساجدنا)[1] .

فصل

[في أعماله رضي الله عنه]

قال ابن سعد : (اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق والسويق ، والتمر والزبيب ، وما يحتاج إليه ؛ يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به ، وهدم المسجد النبوي وزاد فيه ، ووسعه وفرشه بالحصباء ، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام ، وأخرج أهل نجران إلى الكوفة ، وهو الذي أخر مقام إبراهيم إلىٰ موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت)[2] .

فصل

في نُبذ من أخباره وقضاياه

[من سماه أمير المؤمنين رضي الله عنه]

أخرج البخاري في « الأدب » ، والعسكري في « الأوائل » ، والطبراني في « الكبير » ، والحاكم من طريق ابن شهاب : أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة : لأي شيء كان يكتب : من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر ، ثم كان عمر كتب أولاً من خليفة أبي بكر ، فمَنْ أولُ من كتب : من أمير المؤمنين ؟

فقال : حدثتني الشِّفَاء ـ وكانت من المهاجرات ـ : أن أبا بكر كان يكتب : من خليفة رسول الله ، وعمر : من خليفة خليفة رسول الله ، حتىٰ كتب عمر إلىٰ

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٠) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٦٣ـ ٢٦٤) .

عامل العراق : أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه : لبيد بن ربيعة ، وعدي بن حاتم ، فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاصي ، فقالا : استأذن لنا علىٰ أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، فدخل عليه عمرو فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لك في هٰذا الاسم ؟ لتخرجن مما قلت ، فأخبره وقال : أنت الأمير ، ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ)[1] .

وقال النووي في « تهذيبه » : (سماه بهٰذا الاسم : عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا إليه من العراق ، وقيل : سماه به المغيرة بن شعبة ، وقيل : إن عمر قال للناس : « أنتم المؤمنون وأنا أميركم » فسُمِّي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها)[2] .

وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قُرَّة قال : (كان يكتب : من أبي بكر خليفة رسول الله ، فلما كان عمر بن الخطاب . . أرادوا أن يقولوا : خليفة خليفة رسول الله ، قال عمر : هٰذا يطول : قالوا : لا ؛ ولٰكنا أَمَّرناك علينا فأنت أميرنا ، قال : نعم ، أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فكتب : أمير المؤمنين)[3] .

وأخرج البخاري في « تاريخه » عن ابن المسيب قال : (أول من كتب التاريخ : عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي)[4] .

وأخرج السلفي في « الطيوريات » بسند صحيح عن ابن عمر ، عن عمر : أنه أراد أن يكتب السنن ، فاستخار الله شهراً ، فأصبح وقد عزم له ، ثم قال : (إني

---

(١) الأدب المفرد (١٠٢٣) ، والأوائل (ص ١٠٣ـ ١٠٤) ، والمعجم الكبير (١/ ٦٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٨١ ـ ٨٢) .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٦) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٩٧) .
(٤) التاريخ الكبير (١/ ٩) .

ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله)[1] .

وأخرج ابن سعد عن شداد قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : (اللهمَّ ؛ إني شديد فليني ، وإني ضعيف فقوني ، وإني بخيل فسخني)[2] .

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر أنه قال : (إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم من ماله ؛ إن أيسرت . . استعففت ، وإن افتقرت . . أكلت بالمعروف ؛ فإن أيسرت . . قضيت)[3] .

وأخرج ابن سعد عن عمران : (أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج . . أتىٰ صاحب بيت المال فاستقرضه ، فربما أعسر ، فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه)[4] .

وأخرج ابن سعد عن ابن للبراء بن معرور : أن عمر خرج يوماً حتىٰ أتى المنبر وكان قد اشتكىٰ شكوىٰ ، فنُعت له العسل وفي بيت المال عُكَّة فقال : (إن أذنتم لي فيها . . أخذتها ، وإلا . . فهي عليَّ حرام) فأذنوا له[5] .

وأخرج عن سالم بن عبد الله : (أن عمر كان يدخل يده في دَبَرَة البعير ويقول : إني لخائف أن أسأل عما بك)[6] .

وأخرج عن ابن عمر قال : (كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء . . تقدم إلىٰ أهله ، فقال : لا أعلمنَّ أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه . . إلا أضعفت عليه العقوبة)[7] .

وروينا من غير وجه : أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة

---

(١) أخرجه الخطيب في « تقييد العلم » (ص٤٩ ـ ٥٠) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٥) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٦) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٧) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٧) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٦٧) ، والدبرة : جراحة تحدث للبعير من الرحل أو غيره .
(٧) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٦٩) .

وكان يفعل ذلك كثيراً ؛ إذ مر بامرأة من نساء العرب مُغلَقاً عليها بابها وهي تقول : [من الطويل]

تَطَاولَ هـٰذا الليلُ تَسري كَواكِبُه ... وأرَّقنــي أنْ لا ضَجيــعَ أُلاعِبُــه
فَـوالله لـولا اللهُ تُخشـىٰ عَـواقِبُـه ... لزعزع من هـٰذا السَّريرِ جَوانِبُه
ولكنَّنـي أَخشـىٰ رَقيبـاً مُـوكَّـلاً ... بـأنفُسنـا لا يفتـرُ الـدَّهـر كـاتِبُـه
مخـافـةُ ربِّـي والحيـاءُ يصـدُّنـي ... وأُكـرِمُ بعلـي أن تُنـال مـراكِبُـه

فكتب إلىٰ عماله بالغزو : (ألا يجمر أحد أكثر من أربعة أشهر)[1] .

[الفرق بين الخليفة والملك]

وأخرج ابن سعد عن زاذان ، عن سلمان : (أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته في غير حقه . . فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر عمر)[2] .

وأخرج عن سفيان بن أبي العَوجاء[3] قال : قال عمر بن الخطاب : (والله ؛ ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؛ فإن كنت ملكاً . . فهـٰذا أمر عظيم) .

فقال قائل : يا أمير المؤمنين ؛ إن بينهما فرقاً ، قال : (ما هو ؟) ، قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ، ولا يضعه إلا في حق ، وأنت بحمد الله كذلك ، والملك يَعسِف الناس ؛ فيأخذ من هـٰذا ويعطي هـٰذا ، فسكت عمر[4] .

وأخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ركب عمر فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه ، فرأىٰ أهل نجران بفخذه شامة سوداء ، فقالوا : هـٰذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا)[5] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٢٥٩٣) ، وسعيد بن منصور في « السنن » (٢٤٦٣) ، وابن أبي الدنيا في « العيال » (٤٩٤) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٩/ ٢٩) ، بألفاظ مختلفة ، والتجمير : أن يجمع الغزاة في الثغر ولا يؤذن لهم في القفول إلىٰ أهاليهم .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٥) .
(٣) في النسخ : (العرجاء) ، والتصويب من المصادر .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٥) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٣) .

وأخرج عن سعد الجاري : أن كعب الأحبار قال لعمر : (إنا لنجدك في كتاب الله علىٰ باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت . . لم يزالوا يقتحمون فيها إلىٰ يوم القيامة)[1] .

وأخرج عن أبي معشر قال : حدثنا أشياخنا : أن عمر قال : (إن هـٰذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها ، وباللين الذي لا وهن فيه)[2] .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن حكيم بن عمير قال : كتب عمر بن الخطاب : (ألا لا يجلدنَّ أميرُ جيشٍ ولا سرية أحداً الحد حتىٰ يطلع الدرب ؛ لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار)[3] .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن الشعبي قال : (كتب قيصر إلىٰ عمر بن الخطاب : إن رسلي أتتني من قبلك ، فزعمت أن قِبَلكم شجرة ليست بخليقة بشيء من الخير[4] ، تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تشقق مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم ، وزاداً للمسافر ، فإن تكن رسلي صدقتني . . فلا أدري هـٰذه الشجرة إلا من شجر الجنة .

فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ قيصر ملك الروم ، إن رسلك قد صدقوك ، هـٰذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله علىٰ مريم حين نفست بعيسى ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسىٰ إلـٰهاً من دون الله ؛ فإن ﴿ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ . . . ﴾ الآيَةَ)[5] .

[سياسته رضي الله عنه مع عماله وأمرائه]

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر : (أن عمر أمر عمَّاله فكتبوا أموالهم ؛ منهم

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٧ـ٣٠٨) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣١٩) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٦٤) .
(٤) في (أ ، ج) : (الشجر) .
(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٧٢٢) .

سعد بن أبي وقاص، فشاطرهم عمر أموالهم ؛ فأخذ نصفاً ، وأعطاهم نصفاً)[1] .

وأخرج عن الشعبي : (أن عمر كان إذا استعمل عاملاً . . كتب ماله)[2] .

وأخرج عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف قال : (مكث عمر زماناً لا يأكل من المال شيئاً حتىٰ دخلت عليه في ذلك خصاصة ، فأرسل إلىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم فقال : قد شغلت نفسي في هـٰذا الأمر ، فما يصلح لي منه ؟ فقال علي : غداء وعشاء ، فأخذ بذلك عمر)[3] .

وأخرج عن ابن عمر : (أن عمر أنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، فقال : يا عبد الله ؛ أسرفنا في هـٰذا المال)[4] .

[امرأة تشكو زوجها]

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن قتادة والشعبي قال : (جاءت عمرَ امرأةٌ فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنتِ الثناء علىٰ زوجك ، فقال كعب بن سُور : لقد شكت ، فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب ، قال : فإذ قد فهمت ذلك . . فاقضِ بينهما ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أحل الله له من النساء أربعاً ؛ فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة)[5] .

[قصة المرأة التي تأخر عنها زوجها]

وأخرج عن ابن جريج قال : (أخبرني مَن أصدِّق : أن عمر بينا هو يطوف سمع امرأة تقول : [من الطويل]

تَطَاول هـٰذا الليلُ واسودَّ جانبُه ... وأرَّقنـي أنْ لا حبيـب أُلاعِبُـه

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٦) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٦) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٦) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٨٧) .
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٨٧) عن الشعبي ، و(١٢٥٨٨) عن قتادة .

فَلـولا حـذارُ الله لا شـيءَ مثلـه　　لزعزعَ من هٰذا السَّريرِ جَوانِبُه

فقال عمر : وما لَكِ ؟ قالت : أغربت زوجي منذ أشهر ، وقد اشتقت إليه ، قال : أردتِ سوءاً ؟ قالت : معاذ الله ، قال : فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه ، فبعث إليه ، ثم دخل علىٰ حفصة فقال : إني سائلكِ عن أمر قد أهمني فأفرجيه عني ؛ في كم تشتاق المرأة إلىٰ زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت ، قال : فإن الله لا يستحيي من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ؛ وإلا . . فأربعة أشهر ، فكتب عمر : ألاَّ تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر)[1] .

[رجل يشكو لسيدنا عمر رضي الله عنه ما يلقىٰ من النساء]

وأخرج عن جابر بن عبد الله : أنه جاء إلىٰ عمر يشكو إليه ما يلقىٰ من النساء ، فقال عمر : (إنا لنجد ذلك ؛ حتىٰ إني لأريد الحاجة فتقول لي : ما تذهب إلا إلىٰ فتيات بني فلان تنظر إليهن ، فقال له عبد الله بن مسعود : أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خلق سارة ، فقيل له : إنها خلقت من ضلع ، فالبسها علىٰ ما كان فيها ، ما لم تر عليها خربة في دينها ؟!)[2] .

وأخرج عن عكرمة بن خالد قال : (دخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجَّل ولبس ثياباً حساناً ، فضربه عمر بالدرة حتىٰ أبكاه ، فقالت له حفصة : لِمَ ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه ، فأحببت أن أصغرها إليه)[3] .

وأخرج عن معمر ، عن ليث بن أبي سُليم : أن عمر بن الخطاب قال : (لا تسموا الحكم ولا أبا الحكم ؛ فإن الله هو الحكم ، ولا تسموا الطريق السكة)[4] .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن الضحاك قال : قال أبو بكر :

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٩٣) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٣٢٧٢) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٩٥٤٨) .

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٩٨٥٩) ، وقد قيل : إنه لا سكة إلا سكك الجنة .

(والله ؛ لوددت أني كنت شجرة إلىٰ جانب الطريق ، فمر عليَّ بعير فأخذني ، فأدخلني فاه ، فلاكني ثم ازدردني ، ثم أخرجني بعراً ولم أكن بشراً) ، فقال عمر : (يا ليتني كنت كبش أهلي ، سمَّنوني ما بدا لهم ، حتىٰ إذا كنت كأسمن ما يكون . . زارهم بعض من يحبون ، فذبحوني لهم ، فجعلوا بعضي شواء ، وبعضي قديداً ، ثم أكلوني ولم أكن بشراً)[1] .

[انزل عن منبر أبي]

وأخرج ابن عساكر عن أبي البَخْتَري قال : (كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر ، فقام إليه الحسين بن علي فقال : انزل عن منبر أبي ، فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، من أمرك بهـٰذا ؟ فقام علي ، فقال : ما أمره بهـٰذا أحد ، أما لأوجعنك يا غُدَر ، فقال : لا توجع ابن أخي فقد صدق : منبر أبيه) ، إسناده صحيح[2] .

وأخرج الخطيب في « الرواة عن مالك » من طريقه عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمـٰن وسعيد بن المسيب : (أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعان في المسألة بينهما حتىٰ يقول الناظر إليهما : لا يجتمعان أبداً ، فما يفترقان إلا علىٰ أحسنه وأجمله)[3] .

وأخرج[4] ابن سعد عن الحسن قال : أول خطبة خطبها عمر : حمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : (أما بعد : فقد ابتليت بكم وابتليتم بي ، وخلفت فيكم بعد صاحبي ، فمن كان بحضرتنا . . باشرناه بأنفسنا ، ومن غاب عنا . . ولَّيناه أهل القوة والأمانة ، فمن يحسن . . نزده حسناً ، ومن يسيء . . نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم)[5] .

---

(١) شعب الإيمان (٧٨٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٠٧) ، وأبو البختري : هو سعيد بن فيروز .
(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٩٥١٣) وعزاه للخطيب في « رواة مالك » .
(٤) من هنا بدأ السقط في (د ، هـ) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٥٥) .

[إنشاؤه للديوان رضي الله عنه]

وأخرج عن جُبير بن الحُويرث : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال له علي : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئاً .

وقال عثمان : أرىٰ مالاً كثيراً يسع الناس ، وإن لم يحصَوا حتىٰ تعرف من أخذ ممن لم يأخذ . . خشيتَ أن ينتشر الأمر .

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين ؛ قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دوَّنوا ديواناً ، وجندوا جنوداً ، فدَوِّنْ ديواناً وجنِّد جنوداً .

فأخذ بقوله ، فدعا عَقيل بن أبي طالب ، ومَخْرمة بن نوفل ، وجُبير بن مطعم ـ وكانوا من نسَّاب قريش ـ فقال : اكتبوا الناس علىٰ منازلهم ، فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه عمر . . قال : ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، حتىٰ تضعوا عمر حيث وضعه الله)[1] .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : (دوَّن عمر الديوان في المحرم سنة عشرين)[2] .

وأخرج عن الحسن قال : (كتب عمر إلىٰ حذيفة : أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم ، فكتب إليه : إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير ، فكتب إليه عمر : إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقسمه بينهم)[3] .

وأخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم قال : (بينما عمر واقف علىٰ جبال عرفة . . سمع رجلاً يصرخ يقول : يا خليفة يا خليفة ، فسمعه رجل آخر وهم يعتافون ، فقال : ما لك فك الله لهواتك ؟ فأقبلتُ على الرجل فصحتُ عليه .

قال جبير : فإني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها ؛ إذ جاءت حصاة

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٥) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٦) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٨ـ ٢٧٩) ، وإلىٰ هنا ينتهي السقط في (د ، هـ) .

عائرة[1] فنقفت رأس عمر ففصدت ، فسمعت رجلاً من الجبل يقول : أُشْعِرت ورب الكعبة ، لا يقف عمر هـٰذا الموقف بعد العام أبداً . قال جبير : فإذا هو الذي صرخ فينا بالأمس ، فاشتد ذلك علي)[2] .

[نعي الجن لسيدنا عمر رضي الله عنه]

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صَدَرنا عن عرفة . . مررت بالمَحَصَّب ، فسمعت رجلاً على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ؟ فسمعت رجلاً آخر يقول : هـٰهنا كان أمير المؤمنين ، فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال : [من الطويل]

عليكَ سَلامٌ من إمامٍ وبارَكَت ... يدُ الله في ذاكَ الأديمِ الممزَّقِ

فمَن يسعَ أو يَرْكب جَناحَي نعامةٍ ... ليُدرِك ما قدَّمتَ بالأمسِ يُسبقِ

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدَها ... بوائقَ في أكمامها لم تُفتَّقِ

فلم يحرك ذاك الراكب ولم يدر من هو ، فكنا نتحدث أنه من الجن ، فقدم عمر من تلك الحجة ، فطعن فمات)[3] .

وأخرج عن عبد الرحمـٰن بن أبزىٰ ، عن عمر أنه قال : (هـٰذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء)[4] .

وأخرج عن النخعي : أن رجلاً قال لعمر : ألا تستخلف عبد الله بن عمر ؟ فقال : (قاتلك الله !! والله ؛ ما أردت الله بهـٰذا ، أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته ؟!)[5] .

---

(١) في غير (د) : (غائرة) ، والعائرة : التي لا يعرف لها رام .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٨ـ ٣٠٩) ، ويعتافون : يقومون بالعِيافة ، وهي زجر الطير .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٠٩) ونسبت هـٰذه الأبيات للشماخ وغيره ، انظر « ديوان الشماخ » (٤٤٨ـ ٤٤٩) ، وانظر تخريجها فيه .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣١٧) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣١٨) .

وأخرج عن شداد بن أوس ، عن كعب قال : (كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه . . ذكرنا عمر ، وإذا ذكرنا عمر . . ذكرناه ، وكان إلىٰ جنبه نبي يوحىٰ إليه ، فأوحى الله إلى النبي أن يقول له : اعهد عهدك واكتب إليَّ وصيتك ؛ فإنك ميت إلىٰ ثلاثة أيام ، فأخبره النبي بذلك ، فلما كان اليوم الثالث . . وقع بين الجَدْرِ وبين السرير ، ثم جأر إلىٰ ربه ، فقال : اللهم ؛ إن كنت تعلم أني كنت أعدل في الحكم ، وإذا اختلفت الأمور . . اتبعت هداك ، وكنت وكنت . . . فزد في عمري حتىٰ يكبر طفلي ، وتربو أمتي ، فأوحى الله إلى النبي : أنه قد قال كذا وكذا وقد صدق ، وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة ، ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته ، فلما طُعن عمر . . قال كعب : لئن سأل عمر ربه . . ليبقينه الله ، فأخبر بذلك عمر فقال : اللهمَّ ؛ اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم)[١] .

وأخرج عن سليمان بن يسار : (أن الجن ناحت علىٰ عمر)[٢] .

وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال : سُمع صوت بجبل تَبالة حين قُتل عمر رضي الله عنه : [من الطويل]

لِيَبْكِ على الإسلامِ مَن كان باكياً فقد أَوشَكوا صَرْعَىٰ وما قَدُمَ العهدُ

وأدبـرَتِ الـدنيـا وأدبـرَ خيـرُهـا وقد مَلَّها مَن كـان يوقنُ بـالوعـدِ[٣]

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال : قال عمر لابنه : (اقصدوا في كفني ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير . . أبدلني ما هو خير منه ، وإن كنت علىٰ غير ذلك . . سلبني فأسرع سلبي ، واقصدوا في حفرتي ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير . . أوسع لي فيها مد بصري ، وإن كنت علىٰ غير ذلك . . ضيقها عليَّ حتىٰ تختلف أضلاعي ، ولا تخرج معي امرأة ، ولا تزكوني بما ليس فيَّ ؛ فإن الله هو أعلم بي ، فإذا خرجتم . . فأسرعوا بي المشي ؛ فإنه إن كان لي عند الله

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٢٨) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٤٧) .
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٩٤) ، وفي الشعر إقواء .

خير . . قدمتموني إلىٰ ما هو خير لي ، وإن كنت علىٰ غير ذلك . . ألقيتم عن رقابكم شراً تحملونه)[1] .

فَصْلٌ
[في رؤية سيدنا عمر رضي الله عنه في المنام]

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس : أن العباس قال : (سألت الله حولاً بعدما مات عمر أن يُرِيَنِيهِ في المنام ، فرأيته بعد حول وهو يسلت العرق عن جبينه ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ؛ ما شأنك ؟ فقال : هـٰذا أوان فرغت ، وإن كاد عرش عمر ليهد لولا أني لقيت رؤوفاً رحيماً)[2] .

وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم : (أن عبد الله بن عمرو بن العاصي رأىٰ عمر في المنام فقال له : كيف صنعت ؟ قال : متىٰ فارقتكم ؟ قال : منذ اثنتي عشرة سنة ، قال : إنما انفلتُّ الآن من الحساب)[3] .

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : سمعت رجلاً من الأنصار يقول : (دعوت الله أن يريني عمر في النوم ، فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبينه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت ، ولولا رحمة ربي . . لهلكتُ)[4] .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : رَثَت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمرَ رضي الله عنه ، فقالت : [من الخفيف]

عيــنُ جــودي بعَبْــرة ونَحيــبِ ... لا تمَلِّـي علـى الإمـامِ الصَّليـبِ
فجَعَتْنِـي المَنـون بـالفـارسِ المعـ ... ـلـم يـومَ الهِيـاجِ والتَّـأنيـبِ
عصمةُ الدين والمُعين على الدَّهـ ... ـر وغيـثُ المَلهـوفِ والمَكـروبِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٤٤٦) من طريق ابن أبي الدنيا ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٠٣٥) وعزاه لابن أبي الدنيا في « القبور » .

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٨٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٨٣) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٤٩) .

قُل لأهلِ الضَّراءِ والبُؤسِ موتوا   إذ سَقَتْنا المنونُ كأسَ شعوبِ[1]

فَصْلٌ
[فيمن مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام عمر رضي الله عنه من الأعلام : عُتبة بن غَزْوان ، والعلاء بن الحضرمي ، وقيس بن السَّكَن ، وأبو قحافة والد الصديق ، وسعد بن عبادة ، وسهيل بن عمرو ، وابن أم مكتوم المؤذن ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وعبد الرحمٰن أخو الزبير بن العوام ، وقيس بن أبي صعصعة أحد من جمع القرآن ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه أبو سفيان ، ومارية أم السيد إبراهيم ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشُرحبيل ابن حَسَنة ، والفضل بن العباس ، وأبو جندل بن سهيل ، وأبو مالك الأشعري ، وصفوان بن المُعطَّل ، وأُبي بن كعب ، وبلال المؤذن ، وأُسَيد بن الحُضَير ، والبراء بن مالك أخو أنس ، وزينب بنت جحش ، وعياض بن غُنم ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وخالد بن الوليد ، والجارود سيد بني عبد القيس ، والنعمان بن مُقرِّن ، وقتادة بن النعمان ، والأقرع بن حابس ، وسودة بنت زَمْعة ، وعُويم بن ساعدة ، وغيلان الثقفي ، وأبو محجن الثقفي ، وخلائق آخرون من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٩٤) .

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه

[٢٣ـ ٣٥هـ][1]

عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي ، أبو عمرو ، ويقال : أبو عبد الله ، وأبو ليلىٰ .

ولد في السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديماً ؛ وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة الأولىٰ والثانية .

وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر ، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب له بسهمه وأجره ، فهو معدود في البدريين بذلك .

وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة[2] ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أختها أم كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة .

قال العلماء : ولا يُعرَف أحد تزوج بنتي نبي غيره ؛ ولذلك سمي : ذا النورين ، فهو من السابقين الأولين ، وأول المهاجرين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، بل قال ابن عباد : (لم يجمع القرآن من الخلفاء : إلا هو والمأمون)[3] .

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٥٣) ، و« تاريخ الطبري » (٤/ ٢٤٢) ، و« تاريخ دمشق » (٣٩/ ٣) ، و« المنتظم » (٤/ ٣٣٤) ، و« أسد الغابة » (٣/ ٥٨٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ٤٦٧) ، و« الإصابة » (٢/ ٤٥٥) .

(٢) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٥٣) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٩٠) ، ولا تعارض بين هٰذا القول وبين القول بأن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن ؛ لأن المراد : أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن بين =

وقال ابن سعد : (استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوته إلىٰ ذات الرقاع وإلىٰ غطفان)[1] .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث وستة وأربعون حديثاً .

روىٰ عنه : زيد بن خالد الجهني ، وابن الزبير ، والسائب بن يزيد ، وأنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو أمامة الباهلي ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن مغفل ، وأبو قتادة ، وأبو هريرة ، وآخرون من الصحابة رضي الله عنهم ، وخلائق من التابعين .

أخرج ابن سعد عن عبد الرحمـٰن بن حاطب قال : (ما رأيت أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثاً ولا أحسن من عثمان بن عفان ، إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث)[2] .

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : (كان أعلمهم بالمناسك : عثمان ، وبعده ابن عمر)[3] .

[سبب تسميته بذي النورين رضي الله عنه]

وأخرج البيهقي في « سننه » عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي قال : (قال لي خالي حسين الجعفي : تدري لِمَ سُمي عثمان ذا النورين ؟ قلت : لا ، قال : لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلىٰ أن تقوم الساعة غير عثمان ؛ فلذلك سمي ذا النورين)[4] .

وأخرج أبو نعيم عن الحسن قال : (إنما سمي عثمان ذا النورين ؛ لأنه لا يعلم أحد أغلق بابه على ابنتي نبي غيره)[5] .

= لوحين ، ونسخه في قطع الأديم ، وأن سيدنا عثمان رضي الله عنه جمع المسلمين علىٰ ترتيب السور .

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٣) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٣ـ ٥٤) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٧) .

(٤) السنن الكبرىٰ (٧/ ٧٣) .

(٥) معرفة الصحابة (٢٣٨) .

وأخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب : أنه سئل عن عثمان فقال : (ذاك امرؤ يدعىٰ في الملأ الأعلىٰ ذا النورين ؛ كان خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه)[1] .

وأخرج الماليني بسند فيه ضعف عن سهل بن سعد قال : (قيل لعثمان : ذو النورين ؛ لأنه ينتقل من منزل إلىٰ منزل في الجنة ، فتبرق له برقتين ؛ فلذلك قيل له ذلك)[2] .

قال ابن سعد : (كان يكنىٰ في الجاهلية : أبا عمرو ، فلما كان الإسلام.. ولدت له رقيةُ عبدَ الله فاكتنىٰ به)[3] .

وأمه : أروىٰ بنت كُريز [ابن ربيعة][4] بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها : أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم[5] ، توءمة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأم عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم[6] .

قال ابن إسحاق : (وكان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر ، وعلي ، وزيد بن حارثة)[7] .

[بعض صفاته الخَلْقية رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر من طرق : (أن عثمان كان رجلاً ربعة ؛ ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه ، أبيض مشرباً صفرة ، بوجهه نكتات جدري ، كبير اللحية ، عظيم الكراديس[8] ، بعيد ما بين المنكبين ، خَدْل الساقين[9] ، طويل

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٧) من طريق خيثمة بن سليمان ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٦٩٨) ، وابن حجر في « الإصابة » (٢/ ٤٥٥) ، وعزواه إلىٰ خيثمة في « فضائل الصحابة » .

(٢) انظر « فيض القدير » (٤/ ٣٠٢) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥١) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من « الطبقات » .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥١) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٩/ ٦) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٩/ ١٠) من طريق ابن إسحاق .

(٨) الكراديس : رؤوس العظام ؛ أي : ضخم الأعضاء .

(٩) الخدل : الممتلىء العظيم ؛ أي : عظيم الساقين .

الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، جعد الرأس ، أضلع[1] ، أحسن الناس ثغراً ، جمته أسفل من أذنيه ، يخضب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب)[2] .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازني قال : (رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثىٰ أحسن وجهاً منه)[3] .

وأخرج عن موسى بن طلحة قال : (كان عثمان بن عفان أجمل الناس)[4] .

وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ منزل عثمان بصحفة فيها لحم ، فدخلت ؛ فإذا رقية رضي الله عنها جالسة ، فجعلت مرةً أنظر إلىٰ وجه رقية ، ومرةً أنظر إلىٰ وجه عثمان ، فلما رجعت . . سألني النبي صلى الله عليه وسلم قال لي : « دخَلْتَ عليهما » ؟ قلت : نعم ، قال : « فهَل رأيتَ زَوجاً أحسَنَ منهما » ؟ قلت : لا يا رسول الله[5] .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : (لما أسلم عثمان بن عفان . . أخذه عمه الحكم بن أبي العاصي بن أمية فأوثقه رباطاً ، وقال : ترغب عن ملة آبائك إلىٰ دين محدث ؟! والله ؛ لا أحلك أبداً حتىٰ تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله ؛ لا أدعه أبداً ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته في دينه . . تركه)[6] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن أنس قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله : عثمان بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صَحبهما اللهُ ، إنَّ عثمانَ لأولُ مَن هاجَرَ إلى الله بأَهلِه بعدَ لُوطٍ »[7] .

وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما زوج النبي صلى الله

---

(١) الأضلع : الشديد الغليظ .

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ١٧) ، وقال الطبراني (١/ ٧٦) : (وهٰذا كان قبل نزول الحجاب) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٣) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢١) .

(٦) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٢) .

(٧) مسند أبي يعلىٰ ؛ كما في « إتحاف الخيرة المهرة » (٦٦٢٧) عن قتادة ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩/ ٣٠) من طريق أبي يعلىٰ .

عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان . . قال لها : « إنَّ بعلَكِ أَشبَه الناسِ بجدِّك إبراهيمَ وأبيكِ محمدٍ »[1] .

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّا نُشبِّه عثمانَ بأَبينا إبراهيمَ »[2] .

فَصْلٌ
في الأحاديث الواردة في فضله غير ما تقدم

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : « أَلاَ أَسْتَحي مِن رجلٍ تَستَحِي منه الملائكةُ ؟! »[3] .

وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمـٰن السلمي : أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال : أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ألستم تعلمون : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن جهَّزَ جيشَ العُسرَةِ . . فله الجنةُ » فجهزتهم ؟!

ألستم تعلمون : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن حَفَر بئرَ رُومةَ . . فله الجنة » فحفرتها ؟! فصدقوه بما قال[4] .

[ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم]

وأخرج الترمذي عن عبد الرحمـٰن بن خَبَّاب قال : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث علىٰ جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : يا رسول الله ؛ عليَّ مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال

---

(١) الكامل (٥/ ١٣٤) .
(٢) الكامل (٥/ ١٣٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٩/ ٢٨) .
(٣) صحيح مسلم (٢٤٠١) ، وهو من أفراد مسلم ، انظر « الجمع بين الصحيحين » (٣٤٠٤) ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٠٣) .
(٤) صحيح البخاري (٢٧٧٨) .

عثمان : يا رسول الله ؛ علي مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يا رسول الله ؛ علي ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « ما علىٰ عثمانَ ما عمِلَ بعدَ هـٰذه »[1] .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الرحمـٰن بن سَمُرة قال : جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلِّبها وهو يقول : « ما ضَرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليومِ » مرتين[2] .

وأخرج الترمذي عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان . . كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عثمانَ في حَاجَةِ اللهِ وحاجَةِ رسولِه » فضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[3] .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال : « يقتل فيها هـٰذا مظلوماً » لعثمان[4] .

وأخرج الترمذي ، والحاكم وصححه ، وابن ماجه عن مرَّة بن كعب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقرَّبها ، فمر رجل مقنع في ثوب فقال : « هـٰذا يومئذٍ على الهُدَىٰ » فقمت إليه ؛ فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت إليه بوجهي فقلت : هـٰذا ؟ قال : « نعم »[5] .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٠٠) ، والأحلاس : جمع حِلْس ، وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة ، والأقتاب : جمع قَتَب ، وهو رحل صغير علىٰ قدر السنام .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٠١) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٠٢) .

(٣) سنن الترمذي (٣٧٠٢) .

(٤) سنن الترمذي (٣٧٠٨) .

(٥) سنن الترمذي (٣٧٠٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٠٢) ، وسنن ابن ماجه (١١١) .

وسلم قال : « يا عثمانُ ؛ إنه لعلَّ اللهَ يُقمِّصُك قَميصاً ، فإنْ أَرادوكَ علىٰ خَلعِه . . فلا تَخلَعْه »[١] .

وأخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه)[٢] .

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال : (اشترىٰ عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بيعَ الخَلَق : حيث حفر بئر رومة ، وحيث جهز جيش العسرة)[٣] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عثمانُ مِن أَشبَهِ أَصحابي بي خَلْقاً »[٤] .

وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال : لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زَوِّجوا عثمانَ ؛ لو كان لي ثالثةٌ . . لزوجته ، وما زوَّجتُه إلاَّ بالوَحي من اللهِ »[٥] .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان : « لو أنَّ لي أَربعين ابنةً . . زوجتكَ واحدةً بعد واحدةٍ ؛ حتىٰ لا يَبقىٰ منهنَّ واحدةٌ »[٦] .

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مرَّ بي عثمانُ وعِندي مَلَك مِن المَلائكةِ ، فقال : شهيدٌ يقتلُه قَومه ، إنَّا نَستَحي منه »[٧] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٠٥) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٩٩ـ ١٠٠) .
(٢) الترمذي (٣٧١١) .
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ١٠٧) ، وفي مطبوع « مستدرك الحاكم » : (بيع الحق) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٩٧) .
(٥) المعجم الكبير (١٧/ ١٨٤) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٢) .
(٧) تاريخ دمشق (٣٩/ ٩٣ـ ٩٤) .

الملائكةَ لَتسْتحي من عثمانَ كما تَستحي من اللهِ ورَسولهِ »[1] .

وأخرج ابن عساكر عن الحسن : أنه ذُكر عنده حياء عثمان فقال : (إن كان ليكون جوف البيت والباب عليه مغلق ، فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء ، فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه)[2] .

فَصْلٌ
في خلافته رضي الله عنه

بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال ، فروي : أن الناس كانوا يجتمعون في تلك الأيام إلىٰ عبد الرحمـٰن بن عوف يشاورونه ويناجونه ، فلا يخلو به رجل ذو رأي . . فيعدل بعثمان أحداً ، ولما جلس عبد الرحمـٰن للمبايعة . . حمد الله وأثنىٰ عليه ، وقال في كلامه : (إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان) أخرجه ابن عساكر عن المسور بن مَخْرمة[3] .

وفي رواية : (أما بعد : يا علي ؛ فإني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلنَّ علىٰ نفسك سبيلاً ، ثم أخذ بيد عثمان فقال : نبايعك علىٰ سنة الله ، وسنة رسوله ، وسنة الخليفتين بعده) فبايعه عبد الرحمـٰن ، وبايعه المهاجرون والأنصار[4] .

وأخرج ابن سعد عن أنس قال : (أرسل عمر إلىٰ أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال : كن في خمسين من الأنصار مع هـٰؤلاء النفر أصحاب الشورىٰ ؛ فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت ، فقم علىٰ ذلك الباب بأصحابك ، فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتىٰ يؤمِّروا أحدهم)[5] .

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٦٩٤٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٣٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ١٩٢) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ١٩٣) ، وأصله في « صحيح البخاري » (٧٢٠٧) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٣٧ـ٣٣٨) .

وفي « مسند أحمد » عن أبي وائل قال : قلت لعبد الرحمـٰن بن عوف : (كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً ؟ قال : ما ذنبي ؟ قد بدأت بعلي فقلت : أبايعك علىٰ كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر ؟ فقال : فيما استطعتُ ، ثم عرضت ذلك علىٰ عثمان ، فقال : نعم)[1] .

ويروىٰ : أن عبد الرحمـٰن قال لعثمان خلوة : (إن لم أبايعك . . فمن تشير عليَّ ؟ قال : عليٌّ ، وقال لعلي : إن لم أبايعك . . فمن تشير عليَّ ؟ قال : عثمانُ ، ثم دعا الزبير فقال : إن لم أبايعك . . فمن تشير عليَّ ؟ قال : علي أو عثمان ، ثم دعا سعداً فقال : إن لم أبايعك . . فمن تشير عليَّ ؟ فأما أنا وأنت فلا نريدها ، فقال : عثمان ، ثم استشار عبدُ الرحمـٰن الأعيان فرأىٰ هوىٰ أكثرهم في عثمان)[2] .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه قال لما بويع عثمان : (أمَّرنا خير من بقي ولم نألُ)[3] .

ففي هـٰذه السنة من خلافته : فتحت الري ، وكانت فتحت وانتقضت[4] .

وفيها : أصاب الناس رعاف كثير ، فقيل لها : سنة الرعاف[5] ، وأصاب عثمان رعاف حتىٰ تخلف عن الحج وأوصىٰ[6] .

وفيها : فتح من الروم حصون كثيرة[7] .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٧٥) .

(٢) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٤/ ٢٣٧) ، والنقل عن « تاريخ الإسلام » (٣/ ٣٠٤ـ٣٠٥) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٩) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ٩٧) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٤/ ١٥٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ٣٠٧) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ١٢١) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٧) ، والبداية والنهاية (٧/ ١٥٠) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٧١٧) .

(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٨) ، وتاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٩) .

وفيها : ولّىٰ عثمان الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعزل المغيرة[1] .

وفي سنة خمس وعشرين : عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، وولّى الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وهو صحابي أخو عثمان لأمه ، فكان هـٰذا مما نقم عليه ؛ لأنه آثر أقاربه بالولايات ، وقيل : (إن الوليد صلىٰ بهم الصبح أربعاً وهو سكران ، ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟)[2] .

وفي سنة ست وعشرين : زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه ، واشترىٰ أماكن للزيادة[3] .

وفيها : فتحت سابور[4] .

وفي سنة سبع وعشرين : غزا معاوية قُبْرُس[5] ، فركب البحر بالجيوش ، وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت مِلْحان الأنصارية ، فصرعت عن بغلتها فماتت شهيدة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بهـٰذا الجيش ، ودعا لها بأن تكون منهم[6] ، فدفنت بقُبرس .

وفيها : فتحت أَرَّجَان ودَارَابْجِرْد[7] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣/ ٣١١) ، وهـٰذه القصة أخرجها أبو يعلىٰ (٥٠٤) عن حضين بن المنذر رحمه الله تعالىٰ .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٥١) ، وتاريخ الإسلام (٣/ ٣١٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٣١٥) .

(٥) كذا في « مرآة الجنان » (١/ ٨٣) ، و« العبر » (١/ ٢٩) . وفي « تاريخ الطبري » (٤/ ٢٥٨) ، و« المنتظم » (٤/ ٣٦٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ٣٢٣) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ١٥٣) : (أنها كانت في سنة « ٢٨هـ ») .

(٦) والخبر عند البخاري (٢٨٧٨) ، ومسلم (١٩١٢) من حديثها رضي الله عنها .

(٧) تاريخ الإسلام (٣/ ٣١٨) ، والعبر (١/ ٢٩) ، وفيهما فتحت صلحاً .

وفيها : عزل عثمان عمرو بن العاصي عن مصر ، وولّىٰ عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فغزا إفريقية فافتتحها سهلاً وجبلاً ، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار ، وقيل : ثلاثة آلاف دينار[1] ، ثم فتحت الأندلس في هـٰذا العام[2] .

لطيفة

[في تهيب سيدنا عمر رضي الله عنه الغزو في البحر]

كان معاوية يلح علىٰ عمر بن الخطاب في غزوة قبرس وركوب البحر لها ، فكتب عمر إلىٰ عمرو بن العاصي : (أن صِفْ لي البحر وراكبه ، فكتب إليه : **إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ؛ إن ركد . .** حرق القلوب ، **وإن تحرك . .** أراع العقول ، تزاد فيه العقول قلة والسيئات كثرة ، **وهم فيه كدود علىٰ عود ؛** إن مال . . غرق ، وإن نجا . . برق ، فلما قرأ عمر الكتاب . . كتب إلىٰ معاوية : والله ؛ **لا أحمل فيه مسلماً أبداً**) .

قال ابن جرير : (**فغزا معاوية قبرس في أيام عثمان** ، فصالحه أهلها على الجزية)[3] .

وفي سنة تسع وعشرين : فتحت إصطخر عنوة وفَسَا وغير ذلك[4] .

وفيها : زاد عثمان في مسجد المدينة ووسَّعه ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل عُمُده من حجارة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومئة ذراع ، وعرضه خمسين ومئة ذراع[5] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ٣١٨) ، و« العبر » (١/ ٢٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٢٠) .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٦٢) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٢٥ ، ٣٢٧) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٢٧) .

وفي سنة ثلاثين : فتحت جُور وبلاد كثيرة من أرض خراسان[1] ، وفتحت نيسابور صلحاً ، وقيل : عنوة ، وطوس وسَرْخَس كلاهما صلحاً ، وكذا مرو وبيهق[2] .

ولما فتحت هـٰذه البلاد الواسعة . . كثر الخراج علىٰ عثمان ، وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ له الخزائن وأدرَّ الأرزاق ، وكان يأمر للرجل بمئة ألف بدرة ، في كل بدرة أربعة آلاف أوقية[3] .

وفي سنة إحدىٰ وثلاثين . . . .[4] .

وفي سنة خمس وثلاثين : كان مقتل عثمان .

[قصة استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه]

قال الزهري : (ولي عثمان اثنتي عشرة سنة ؛ يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً ، وإنه لأحب إلىٰ قريش من عمر بن الخطاب ؛ لأن عمر كان شديداً عليهم ، فلما وليهم عثمان . . لان لهم ووصلهم ، ثم توانىٰ في أمرهم ، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر ، وكتب لمروان بخُمس إفريقية ، وأعطىٰ أقرباءه المال ، وتأوَّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، وقال : « إن أبا بكر وعمر

---

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٢٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣١) ، وفي مطبوعه : (وافية) ، والبدرة : كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا ، ويختلف باختلاف العهود .

(٤) في (أ ، ب) بياض ، وجاء في هامش (ب) : (هنا سقط ينظر) ، وجاء في « تاريخ الإسلام » (٣/ ٣٦٤) : (قال خليفة : أحرم عبد الله بن عامر من نيسابور ، واستخلف قيس بن الهيثم وغيره علىٰ خراسان ، وقيل : إن ذلك كان في السنة الماضية .
وفيها : غزوة الأساود ، فغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر في البحر ، وسار فيه إلىٰ ناحية مصِّيصة) .

تركا من ذلك ما هو لهما ، وإني أخذته فقسمته في أقربائي » فأنكر الناس عليه ذلك) أخرجه ابن سعد[1] .

وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري قال : (قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ؟ ما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولِمَ خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : قتل عثمان مظلوماً ، ومن قتله . . كان ظالماً ، ومن خذله . . كان معذوراً .

قلت : وكيف كان ذلك ؟! قال : إن عثمان لما ولي . . كره ولايته نفرٌ من الصحابة ؛ لأن عثمان كان يحب قومه ، فولي الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً مما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة ، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمان يُستعتب فيهم فلا يعزلهم .

فلما كان في الست الأواخر . . استأثر بني عمه ؛ فولاهم وما أشرك معهم ، وأمرهم بتقوى الله ، ولَّىٰ عبد الله ابن أبي سرح مصر ، فمكث عليها سنين ، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلىٰ عبد الله بن مسعود ، وأبي ذر ، وعمار بن ياسر ، فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم قد حَنِقت علىٰ عثمان[2] لحال عمار بن ياسر .

وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح ، فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه ، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتىٰ عثمان فقتله ، فخرج من أهل مصر سبع مئة رجل ، فنزلوا المسجد ، وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٦٠) ، وقال القاضي ابن العربي في « العواصم » (ص ١١١) : (لا تصح) .
(٢) حنقت : اغتاظت .

فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد ، وأرسلت عائشة رضي الله عنها إليه فقالت : تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وسألوك عزل هـٰذا الرجل فأبيت ؟! فهـٰذا قد قتل منهم رجلاً فأَنصِفْهُم من عاملك .

ودخل عليه علي بن أبي طالب فقال : إنما يسألونك رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم ، واقضِ بينهم ، فإن وجب عليه حق . . فأنصفهم منه .

فقال لهم : اختاروا رجلاً أولِّيه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر ، فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر ، فكتب عهده وولاَّه ، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح .

فخرج محمد ومن معه ، فلما كان علىٰ مسيرة ثلاث من المدينة . . إذا هم بغلام أسود علىٰ بعير يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يُطلَب أو يَطْلُب ، فقال له أصحاب محمد : ما قصتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب ، فقال لهم : أنا غلام أمير المؤمنين وجَّهني إلىٰ عامل مصر .

فقال له رجل : هـٰذا عامل مصر ، قال : ليس هـٰذا أريد ، وأُخبر بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه رجلاً ، فأخذه فجاء به إليه ، فقال : غلام من أنت ؟ فأقبل مرة يقول : أنا غلام أمير المؤمنين ، ومرة يقول : أنا غلام مروان ، حتىٰ عرفه رجل أنه لعثمان .

فقال له محمد : إلىٰ من أُرسلت ؟ قال : إلىٰ عامل مصر ، قال : بماذا ؟ قال : برسالة ، قال : معك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً ، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة ؛ فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح .

فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك الكتاب بمحضر منهم ؛ فإذا فيه : إذا أتاك محمد وفلان وفلان . . فاحتل في قتلهم ، وأبطل كتابه ، وقر علىٰ عملك حتىٰ يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء إليَّ يتظلم

منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالىٰ .

فلما قرؤوا الكتاب . . فزعوا وأزمعوا ، فرجعوا إلى المدينة ، وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ، ودفع الكتاب إلىٰ رجل منهم ، وقدموا المدينة ، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم فضُّوا الكتاب بمحضر منهم ، وأخبروهم بقصة الغلام ، وأقرؤوهم الكتاب ، فلم يبقَ أحد من أهل المدينة . . إلا حنق علىٰ عثمان .

وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب محمد فلحقوا بمنازلهم ، ما منهم أحد إلا وهو مغتمٌّ لما قرؤوا الكتاب ، وحاصر الناس عثمان ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم .

فلما رأىٰ ذلك علي . . بعث إلىٰ طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري ، ثم دخل علىٰ عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال له علي : هـٰذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت هـٰذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله ؛ ما كتب هـٰذا الكتاب ، ولا أمر به ، ولا علم به .

قال له علي : فالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف بالله ؛ ما كتبت هـٰذا الكتاب ولا أمرت به ، ولا وجهت هـٰذا الغلام إلىٰ مصر قط .

وأما الخط . . فعرفوا أنه خط مروان ، وشكُّوا في أمر عثمان ، وسألوه أن يدفع إليهم مروان ، فأبىٰ وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً ، وشكُّوا في أمره ، وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل ، إلا أن قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان ، حتىٰ نبحثه ونعرف حال الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد بغير حق ؟! فإن يكن عثمان كتبه . . عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه علىٰ لسان عثمان . . نظرنا ما يكون منا في أمر مروان .

ولزموا بيوتهم ، وأبىٰ عثمان أن يخرج إليهم مروان ، وخشي عليه القتل ،

وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس فقال : أفيكم علي ؟ فقالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فسكت ثم قال : ألا أحد يبلغ فيسقينا ماء ، فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه ، وجُرح في سببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتىٰ وصل الماء إليه .

فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله ، فقال : إنما أردنا منه مروان ، فأما قتل عثمان . . فلا ، وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتىٰ تقوما علىٰ باب عثمان ، فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، وبعث عدة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا علىٰ عثمان ، ويسألونه إخراج مروان .

فلما رأىٰ ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتىٰ خضب الحسن بالدماء علىٰ بابه ، وأصاب مروان سهم وهو في الدار ، وخضب محمد بن طلحة ، وشج قَنْبر مولىٰ علي . . فخشي محمد بن أبي بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة ، فأخذ بيد الرجلين فقال لهما : إن جاءت بنو هاشم ، فرأوا الدماء علىٰ وجه الحسن . . كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد ، ولـٰكن مروا بنا حتىٰ نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد .

فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان ، ولا يعلم أحد ممن كان معه ؛ لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ، ولم يكن معه إلا امرأته ، فقال لهما محمد : مكانكما ؛ فإن معه امرأته حتىٰ أبدأكما بالدخول ، فإذا أنا ضبطته . . فادخلا فتوجآه حتىٰ تقتلاه ، فدخل محمد فأخذ بلحيته ، فقال له عثمان : والله ؛ لو رآك أبوك . . لساءه مكانك مني ، فتراخت يده ، ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتىٰ قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها ؛ لما كان في الدار من الجلبة ، وصعدت امرأته إلى الناس ، فقالت : إن أمير المؤمنين قد قتل ، فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً .

وبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة ، فخرجوا وقد

ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان ، فوجدوه مقتولاً ، فاسترجعوا ، وقال علي لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟! ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ، وخرج وهو غضبان حتىٰ أتىٰ منزله ، وجاء الناس يهرعون إليه ، فقالوا له : نبايعك فمُدَّ يدك ؛ فلا بد من أمير .

فقال علي رضي الله عنه : ليس ذلك إليكم ؛ إنما ذلك إلىٰ أهل بدر ، فمن رضي به أهل بدر . . فهو خليفة ، فلم يبقَ أحد من أهل بدر . . إلا أتىٰ علياً فقالوا : ما نرىٰ أحداً أحق بها منك ، مد يدك نبايعك ، فبايعوه .

وهرب مروان وولده ، وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري ، دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر ، وأخبرت علياً والناس ما صنع محمد ، فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان ، فقال محمد : لم تكذب ، قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فذكر لي أبي ، فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالىٰ ، والله ؛ ما قتلته ولا أمسكته ، فقالت امرأته : صدق ولـٰكنه أدخلهما)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن كنانة مولىٰ صفية وغيره قالوا : (قتل عثمانَ رجلٌ من أهل مصر أزرق أشقر يقال له : حمار)[2] .

[شروط من حاصر سيدنا عثمان رضي الله عنه ورفضه لها]

وأخرج أحمد عن المغيرة بن شعبة : أنه دخل علىٰ عثمان وهو محصور فقال : (إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترىٰ ، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن :

ـ إما أن تخرج فتقاتلهم ؛ فإن معك عدداً وقوة ، وأنت على الحق وهم على الباطل .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤١٥ـ ٤١٩) ، وقد ردها القاضي ابن العربي في « العواصم » (ص ١١٧ـ ١٤٦) فتأمله .

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٠٨) .

ـ وإما أن تخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه ، فتقعد علىٰ رواحلك فتلحق بمكة ؛ فإنهم لن يستحلوك وأنت بها .

ـ وإما أن تلحق بالشام ؛ فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية .

فقال عثمان رضي الله عنه : أمَّا أن أخرج فأقاتل . . فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء ، وأمَّا أن أخرج إلىٰ مكة . . فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يلحدُ رجلٌ من قريشٍ بمكةَ يكونُ عليه نصفُ عذابِ العالَمِ » فلن أكون أنا ، وأمَّا أن ألحق بالشام . . فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

[ادخرت عند ربي عشراً]

وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال : دخلت علىٰ عثمان وهو محصور فقال : (لقد اختبأت عند ربي عشراً : إني لرابع أربعة في الإسلام ، وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ، ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرىٰ ، وما تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني علىٰ فرجي منذ بايعت بها حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت . . إلا وأنا أعتق فيها رقبة ، إلا ألا تكون عندي فأعتقها بعد ذلك ، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولقد جمعت القرآن علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

[مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه أول الفتن]

وكان قتل عثمان في أوسط أيام التشريق ، من سنة خمس وثلاثين ، وقيل : قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حُشِّ كوكب بالبقيع ، وهو أول من دفن به ، وقيل : كان قتله يوم

---

(١) مسند أحمد (١/ ٦٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٧ـ٢٨) .

الأربعاء ، وقيل : يوم الاثنين ، وقيل : لست بقين من ذي الحجة .

وكان له يوم قتل اثنتان وثمانون سنة ، وقيل : إحدىٰ وثمانون سنة ، وقيل : أربع وثمانون ، وقيل : ست وثمانون ، وقيل : ثمان أو تسع وثمانون ، وقيل : تسعون[1] .

قال قتادة : (**صلىٰ عليه الزبير ودفنه ، وكان أوصىٰ إليه**)[2] .

وأخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس مرفوعاً : « **إنَّ للهِ سَيفاً مَغموداً في غِمْدِه ما دامَ عثمانُ حيّاً ، فإذا قُتل عثمانُ . . جُرِّد ذلك السيفُ فلم يُغمد إلىٰ يومِ القيامة** » تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير[3] .

وأخرج ابن عساكر عن يزيد بن أبي حبيب قال : (**بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلىٰ عثمان عامتهم جُنوا**)[4] .

وأخرج عن حذيفة قال : (**أول الفتن : قتل عثمان ، وآخر الفتن : خروج الدجال ، والذي نفسي بيده ؛ لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان . . إلا تبع الدجال إن أدركه** ، وإن لم يدركه . . آمن به في قبره)[5] .

وأخرج عن ابن عباس قال : (**لو لم يطلب الناس بدم عثمان . . لرُموا بالحجارة من السماء**)[6] .

وأخرج عن الحسن قال : قتل عثمان وعلي غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : (**اللهم ؛ إني لم أرض ولم أُمالِ**)[7] .

وأخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عباد قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : (**اللهم ؛ إني أبرأ إليك من دم عثمان** ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ،

---

(١) انظر هٰذه الأقوال في « تاريخ دمشق » (٣٩/ ٥١٣) وما بعدها .
(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٧٤) .
(٣) الكامل (٥/ ١٤٨) ، وتاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٤) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٦) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٧) .
(٦) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٧) .
(٧) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٩) .

وأنكرت نفسي ، وجاؤوني للبيعة ، فقلت : والله ؛ إني لأستحيي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان ، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما رجع الناس فسألوني البيعة . . قلت : اللهم ؛ إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت ؛ فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فكأنما صدع قلبي ، وقلت : اللهم ؛ خذ مني لعثمان حتىٰ ترضىٰ)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي خَلْدة الحنفي قال : سمعت علياً يقول : (إن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان ، ولا والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ ما قتلت ، ولا مالأت ، ولقد نهيت فعصوني)[2] .

وأخرج عن سمرة قال : (إن الإسلام كان في حصن حصين ، وإنهم ثَلَموا في الإسلام ثَلْمة بقتلهم عثمان لا تسد إلىٰ يوم القيامة ، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة ، فأخرجوها ولم تعد فيهم)[3] .

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : (لم تُفقَد الخيلُ البُلق في المغازي والجيوش حتىٰ قتل عثمان ، ولم يُختَلف في الأهِلَّة حتىٰ قتل عثمان ، ولم تُرَ هـٰذه الحمرة التي في آفاق السماء حتىٰ قتل الحسين)[4] .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن حميد بن هلال قال : (كان عبد الله بن سلام يدخل علىٰ محاصري عثمان فيقول : لا تقتلوه ، فوالله ؛ لا يقتله رجل منكم . . إلا لقي الله أجذم لا يد له ، وإن سيف الله لم يزل مغموداً ، وإنكم والله ؛ لئن قتلتموه . . ليسلنَّه الله ثم لا يغمده عنكم أبداً ، وما قتل نبي قط . . إلا قتل به سبعون ألفاً ، ولا خليفة . . إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً قبل أن يجتمعوا)[5] .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمـٰن بن مهدي قال : (خصلتان لعثمان ليستا

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٩٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٥٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٨٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٩٣) .
(٥) مصنف عبد الرزاق (٢٠٩٦٣) .

لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما : صبره نفسه حتىٰ قتل ، وجمعه الناس على المصحف)[1] .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال : [من الطويل]

فكفَّ يديه ثم أغلقَ بابَه ... وأيقنَ أنَّ الله ليسَ بغافلِ

وقال لأهلِ الدَّار لا تقتلوهُمُ ... عَفا الله عن كلِّ امرىءٍ لم يقاتلِ

فكيفَ رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوةَ والبغضاءَ بعد التَّواصلِ

وكيفَ رأيتَ الخير أدبرَ بعده ... عن الناس إدبارَ الرِّياحِ الجوافلِ[2]

فصل

[في خلق سيدنا عثمان رضي الله عنه وذكر نقش خاتمه]

أخرج ابن سعد عن موسى بن طلحة قال : (رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران ، فيجلس على المنبر ، فيؤذن المؤذن وهو يتحدث : يسأل الناس عن أسعارهم وعن أخبارهم وعن مرضاهم)[3] .

وأخرج عن عبد الله الرومي قال : (كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه ، فقيل له : لو أمرت بعض الخدم فكفوك ، قال : لا ؛ الليل لهم يستريحون فيه)[4] .

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : (كان نقش خاتم عثمان : آمنت بالذي خلق فسوَّىٰ)[5] .

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عمر : (أن جهجاه الغفاري قام إلىٰ

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٥٠) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ١٠٥ـ ١٠٦) والأبيات في « ديوانه » (ص٩١ـ ٩٢) ، وريح جافلة : سريعة الهبوب .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٦) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٦) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٠٩) .

عثمان وهو يخطب ، فأخذ العصا من يده فكسرها علىٰ ركبته ، **فما حال الحول . . حتىٰ أرسل الله في رجله الآكلة ، فمات منها)**[١] .

فصل
في أوليات عثمان رضي الله عنه

قال العسكري في « الأوائل » : (هو أول من أقطع القطائع ، وأول من حمى الحمىٰ ، وأول من خفض صوته بالتكبير ، وأول من خلّق المسجد ، وأول من أمر بالأذان الأول في الجمعة ، وأول من رزق المؤذنين ، وأول من أرتج عليه في الخطبة فقال : « أيها الناس ؛ إن أول مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش . . تأتكم الخطبة علىٰ وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله » أخرجه ابن سعد[٢] .

وأول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة ، وأول من فوَّض إلى الناس إخراج زكاتهم[٣] ، وأول من ولي الخلافة في حياة أمه ، وأول من اتخذ صاحب شرطة[٤] ، وأول من اتخذ المقصورة في المسجد ؛ خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر) ، هـٰذا ما ذكره العسكري[٥] .

قال : **(وأول ما وقع الاختلاف بين الأمة فخطأ بعضهم بعضاً في زمانه في أشياء نقموها عليه ، وكانوا قبل ذلك يختلفون في الفقه ولا يخطىء بعضهم بعضاً)**[٦] .

قلت : بقي من أوائله : أنه أول من هاجر إلى الله بأهله من هـٰذه الأمة كما تقدم[٧] ، وأول من جمع الناس علىٰ حرف واحد في القراءة .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٩/ ٣٣٠) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٥٩) .
(٣) الأوائل (ص ١٢٢ـ١٢٦) .
(٤) الأوائل (ص ١٣٥ـ١٣٨) .
(٥) الأوائل (ص ١٦٣ـ١٦٤) ، وفيه : (أن أول من عمل المقصورة مروان بن الحكم) .
(٦) الأوائل (ص ١٢٦) .
(٧) تقدم (ص ٢٦٢) .

وأخرج ابن عساكر عن حكيم بن عباد بن حنيف قال : (أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهىٰ سمن الناس : طيران الحمام ، والرمي على الجُلاَهِقات ، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان من خلافته ، فقصها وكسر الجُلاَهِقات)[1] .

فصل

[فيمن مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام عثمان من الأعلام : سراقة بن مالك بن جُعْشم ، وجَبَّار بن صخر ، وحاطب بن أبي بَلْتعة ، وعياض بن زهير ، وأبو أسيد الساعدي ، وأوس بن الصامت ، والحارث بن نوفل ، وعبد الله بن حذافة ، وزيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت ، ولبيد الشاعر[2] ، والمسيب والد سعيد[3] ، ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح ، ومَعبد بن العباس ، ومُعَيقِيب بن أبي فاطمة الدوسي ، وأبو لبابة بن عبد المنذر[4] ، ونُعيم بن مسعود الأشجعي ، وآخرون من الصحابة .

ومن غير الصحابة : الحطيئة الشاعر ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٢٨) ، والجلاهقات : قوس البندق .

(٢) هو : لبيد بن ربيعة ، أبو عقيل .

(٣) هو : المسيب بن حَزْن بن أبي وهب .

(٤) اختلف في اسمه ، فقيل : اسمه بشير ، وقيل : رفاعة .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه
[٣٥ ـ ٤٠ هـ][1]

علي بن أبي طالب ؛ واسمه : عبد مناف بن عبد المطلب ؛ واسمه : شيبة بن هاشم ؛ واسمه : عمرو بن عبد مناف ؛ واسمه : المغيرة بن قصي ؛ واسمه : زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

أبو الحسن ، وأبو تراب ، كنَّاه بها النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ، وقد أسلمت وهاجرت .

وعلي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة ، وصهره علىٰ فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد العلماء الربانيين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، والخطباء المعروفين ، وأحد من جمع القرآن ؛ عرضه : علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعرض عليه : أبو الأسود الدؤلي ، وأبو عبد الرحمـٰن السلمي ، وعبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ .

وهو أول خليفة من بني هاشم ، وأبو السبطين ، أسلم قديماً ، بل قال ابن

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ١٧) ، و« تاريخ الطبري » (٥/ ١٤٣) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٦١) ، و« المنتظم » (٥/ ٦٢) ، و« الكامل في التاريخ » (٣/ ١٩٠) ، و« أسد الغابة » (٤/ ٩١) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ٣٣٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ٦٢١) ، و« تذكرة الحفاظ » (١/ ١٠) ، و« الإصابة » (٢/ ٥٠١) .

(٢) انظر ما سيأتي قريباً (ص ٢٨٤) .

عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة : (إنه أول من أسلم) ، ونقل بعضهم الإجماع عليه .

وأخرج أبو يعلىٰ عن علي رضي الله عنه قال : (بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وأسلمت يوم الثلاثاء)[1] .

وكان عمره حين أسلم عشر سنين ، وقيل : تسع ، وقيل : ثمان ، وقيل دون ذلك[2] .

قال الحسن بن زيد بن الحسن : (ولم يعبد الأوثان قط ؛ لصغره) أخرجه ابن سعد[3] .

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . . أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً ؛ حتىٰ يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يلحقه بأهله ، ففعل ذلك .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً وسائر المشاهد إلا تبوك ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة .

وله في جميع المشاهد آثار مشهورة ، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة .

وقال سعيد بن المسيب : (أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة)[4] .

[حمله باب خيبر من كراماته رضي الله عنه]

وثبت في « الصحيحين » : (أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية يوم خيبر ، وأخبر أن الفتح يكون علىٰ يديه)[5] .

وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة .

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٤٤٦) .

(٢) انظر هٰذه الأقوال في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٢٥ـ٢٦) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٠) .

(٤) أخرجه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٤/ ١٠٦) .

(٥) سيأتي تخريجه (٢٨٥) .

وكان عليٌّ شيخاً أصلع ، كثير الشعر ، ربعة إلى القصر أقرب ، عظيم البطن ، عظيم اللحية جداً ، قد ملأت ما بين منكبيه ، بيضاء كأنها قطن ، آدم شديد الأدمة .

قال جابر بن عبد الله : (حمل عليٌّ الباب علىٰ ظهره يوم خيبر حتىٰ صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وإنهم جروه بعد ذلك ، فلم يحمله إلا أربعون رجلاً) أخرجه ابن عساكر[1] .

وأخرج ابن إسحاق في « المغازي » وابن عساكر عن أبي رافع : (أن علياً تناول باباً عند الحصن حصن خيبر ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتىٰ فتح الله علينا ثم ألقاه ، فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه)[2] .

[قصة تكنيته بأبي تراب رضي الله عنه]

وروى البخاري في « الأدب » عن سهل بن سعد قال : إنْ كانت أحب أسماء علي رضي الله عنه إليه لأبو تراب ، وإن كان ليفرح أن يدعىٰ بها ، وما سماه أبا تراب إلا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ غاضب يوماً فاطمة ، فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد ، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وقد امتلأ ظهره تراباً ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن ظهره ويقول : « اجلسْ أَبا تُراب »[3] .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة حديث وستة وثمانون حديثاً .

روىٰ عنه : بنوه الثلاثة : الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو موسىٰ ، وأبو سعيد ،

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ١١١) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٢/ ١١٠) من طريق ابن إسحاق .

(٣) الأدب المفرد (٨٥٢) ، وهو في « الصحيح » (٦٢٠٤) .

وزيد بن أرقم ، وجابر بن عبد الله ، وأبو أمامة ، وأبو هريرة ، وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

فَصْلٌ
في الأحاديث الواردة في فضله

قال أحمد ابن حنبل : (ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه) أخرجه الحاكم[1] .

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ؛ تخلفني في النساء والصبيان ؟! فقال : « **أَمَا تَرضَىٰ أن تكونَ منِّي بمَنزِلَة هارونَ مِن موسَىٰ ؛ غيرَ أنَّه لا نبيَّ بَعدِي ؟** »[2] .

وأخرجه أحمد والبزار من حديث أبي سعيد الخدري[3] ، والطبراني من حديث أسماء بنت عُميس[4] ، وأم سلمة[5] ، وحُبْشي بن جُنادة[6] ، وابن عمر[7] ، وابن عباس[8] ، وجابر بن سَمُرة[9] ، وعلي[10] ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم[11] .

وأخرجا عن سهل بن سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « **لأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غَداً رجلاً يَفتحُ اللهُ علىٰ يَديه ؛ يُحبُّ اللهَ ورسولَه ،**

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٠٧) ، واللفظ من « تاريخ الإسلام » (٣/ ٦٣٨) .
(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٦) ، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) .
(٣) مسند أحمد (٣/ ٣٢) .
(٤) المعجم الكبير (٢٤/ ١٤٦) .
(٥) المعجم الكبير (٢٣/ ٣٧٧) .
(٦) المعجم الكبير (٤/ ١٧) .
(٧) المعجم الأوسط (١٤٦٥) .
(٨) المعجم الكبير (١١/ ٧٤) .
(٩) المعجم الكبير (٢/ ١٤٧) .
(١٠) المعجم الأوسط (٤٢٤٨) .
(١١) المعجم الكبير (٥/ ٢٠٣) .

ويُحبُّه اللهُ ورسولُه » فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ؟ فلما أصبح الناس . . غدوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أينَ عليٌّ بنُ أَبي طالبٍ ؟ » فقيل : هو يشتكي عينيه ، قال : « فَأرسِلُوا إليه » فأُتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له ، فبرأ حتىٰ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية[1] .

يدوكون : أي : يخوضون ويتحدثون .

وقد أخرج هٰذا الحديث الطبراني من حديث ابن عمر[2] ، وعلي[3] ، وابن أبي ليلىٰ[4] ، وعمران بن حصين[5] ، والبزار من حديث ابن عباس[6] .

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هٰذه الآية : ﴿ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ . . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللهمَّ ؛ هَؤلاءِ أَهلِي »[7] .

[دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي رضي الله عنه]

وأخرج الترمذي عن أبي سَرِيحة أو زيد بن أرقم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن كنتُ مَولاهُ . . فعليٌّ مَولاهُ »[8] .

وأخرجه أحمد عن علي[9] ، وأبي أيوب الأنصاري[10] ، وزيد بن أرقم[11] ،

(١) صحيح البخاري (٣٧٠١) ، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) .
(٢) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١٢٦) وعزاه للطبراني .
(٣) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٥٤) وعزاه للبزار ، وهو عند البزار في « مسنده » (٤٩٦) .
(٤) المعجم الكبير (٧/ ٧٧) ، وهو عبد الرحمٰن بن أبي ليلىٰ .
(٥) المعجم الكبير (١٨/ ٢٣٦) .
(٦) مسند البزار (٥١٤٠) .
(٧) صحيح مسلم (٢٤٠٤/ ٣٢) .
(٨) سنن الترمذي (٣٧١٣) ، وأبو سريحة : هو حذيفة بن أَسِيد ، صحابي رضي الله عنه .
(٩) مسند أحمد (١/ ٨٤) .
(١٠) مسند أحمد (٥/ ٤١٩) .
(١١) مسند أحمد (٤/ ٣٦٨) .

وعمرو ذي مر[١] ، وأبو يعلىٰ عن أبي هريرة[٢] ، والطبراني عن ابن عمر[٣] ، ومالك بن الحويرث[٤] ، وحُبْشي بن جُنادة[٥] ، وجرير[٦] ، وسعد بن أبي وقاص[٧] ، وأبي سعيد الخدري[٨] ، وأنس[٩] ، والبزار عن ابن عباس[١٠] ، وعمارة[١١] ، وبريدة[١٢] ، وفي أكثرها زيادة : « **اللهمَّ ؛ وَالِ مَن وَالاهُ ، وعَادِ مَن عَادَاهُ** » .

ولأحمد عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد بالله كل امرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خُم ما قال . . لما قام ، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **مَن كنتُ مَولاه . . فعليٌّ مَولاه ، اللهمَّ ؛ والِ مَن والاهُ ، وعادِ مَن عَادَاهُ** »[١٣] .

[أربعة يحبهم الله ورسوله]

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ اللهَ أَمَرني بحبِّ أربعةٍ ، وأخبرني أنه يُحبُّهم** » قيل : يا رسول الله ؛ سمِّهم لنا ، قال : « **عليٌّ منهم ـ يقول ذلك ثلاثاً ـ وأبو ذر ، والمِقداد ، وسَلمان** »[١٤] .

---

(١) مسند أحمد (١/١١٨) .
(٢) مسند أبي يعلىٰ (٦٤٢٣) .
(٣) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/١٠٩) وعزاه للطبراني .
(٤) المعجم الكبير (١٩/٢٩١) .
(٥) المعجم الكبير (٤/١٦) .
(٦) المعجم الكبير (٢/٣٥٧) .
(٧) لم نقف عليه في مطبوع الطبراني ، وأخرجه ابن ماجه (١٢١) .
(٨) المعجم الأوسط (٨٤٣٤) .
(٩) المعجم الأوسط (٢٢٥٤) .
(١٠) أورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٩٠٨) .
(١١) أورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٩٠٧) .
(١٢) مسند البزار (٤٣٥٢) .
(١٣) مسند أحمد (٤/٣٧٠) .
(١٤) سنن الترمذي (٣٧١٨) ، ومستدرك الحاكم (٣/١٣٠) .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حُبْشي بن جُنادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عليٌّ منِّي وأنا مِن عليٍّ** »[1] .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال : آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء علي تدمع عيناه ، فقال : يا رسول الله ؛ آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنتَ أَخِي في الدُّنيا والآخِرَةِ** »[2] .

وأخرج مسلم عن علي قال : (**والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ؛ إنه لعهد النبي الأمي إليَّ ألاَّ يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق**)[3] .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : (**كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً**)[4] .

وأخرجه البزار والطبراني في « الأوسط » عن جابر بن عبد الله[5] .

وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أَنا مَدينةُ العِلم وعليٌّ بَابُها** »[6] هٰذا حديث حسن على الصواب ، لا صحيح كما قال الحاكم ، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي ، وقد بينت حاله في « التعقبات على الموضوعات »[7] .

وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ اليمن فقلت : يا رسول الله ؛ بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء ، فضرب صدري بيده ثم قال : « **اللهمَّ ؛ اهدِ قلبَه ، وثبِّتْ لِسَانَه** »

---

(١) سنن الترمذي (٣٧١٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨١٤٧) ، وسنن ابن ماجه (١١٩) .
(٢) سنن الترمذي (٣٧٢٠) .
(٣) صحيح مسلم (٧٨) .
(٤) سنن الترمذي (٣٧١٧) .
(٥) المعجم الأوسط (٢١٢٥) .
(٦) سنن الترمذي (٣٧٢٣) ، ولفظه : « أنا دار الحكمة وعلي بابها » ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
(٧) التعقبات على الموضوعات (ص ٥٦) .

فوالذي فلق الحبة ؛ ما شككت في قضاء بين اثنين[1] .

وأخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له : ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ؟ قال : (إني كنتُ إذا سألتُه . . أنبأني ، وإذا سكتُّ . . ابتدأني)[2] .

[تقدمه بالقضاء والعلم علىٰ غيره رضي الله عنه]

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : (علي أقضانا)[3] .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كنا نتحدث أن أقضىٰ أهل المدينة علي)[4] .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : (إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا . . لا نعدوها)[5] .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : (كان عمر بن الخطاب يتعوَّذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن)[6] .

وأخرج عنه قال : (لم يكن أحد من الصحابة يقول : سلوني إلا علي)[7] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : (أفرض أهل المدينة وأقضاها : علي بن أبي طالب)[8] .

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٣٥) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٢) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٣) .

(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ١٣٥) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٢) .

(٦) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٣) .

(٧) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٢) ، ولفظه : (سلوني عن كتاب الله ؛ فإنه ليس من آية . . إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، في سهل أم في جبل) ، وأخرجه بلفظه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٦٩٤٨) .

(٨) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٠٥) .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها : أن علياً ذُكر عندها فقالت : (أما إنه أعلم من بقي بالسنة)[1] .

وقال مسروق : (انتهىٰ علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ : عمر ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود)[2] .

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة : (كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم ، وكان له السِّطَة في العشيرة ، والقدم في الإسلام ، والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه في السنة ، والنجدة في الحرب ، والجود في المال)[3] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناسُ مِن شَجَرٍ شَتَّىٰ ، وأنا وعليٌّ مِن شَجَرةٍ واحدةٍ »[4] .

[ما نزل فيه من القرآن وما خُص به رضي الله عنه]

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : (ما أنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها ، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان ، وما ذكر علياً إلا بخير)[5] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (ما نزل في أحد من كتاب الله تعالىٰ ما نزل في علي)[6] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (نزلت في علي ثلاث مئة آية)[7] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٠٧ـ٤٠٨) .
(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٦٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ٦٣٨) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤١٧) ، وعنده : (والجودة في الماعون) .
(٤) المعجم الأوسط (٤١٥٠) .
(٥) المعجم الكبير (١١/ ٢٦٤) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٥٠٢٥) .
(٦) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٦٣) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٦٤) .

وأخرج البزار عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : « لا يحلُّ لأحَدٍ أن يُجنِبَ في هـٰذا المسجدِ غَيري وغَيرُك »[1] .

وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب.. لم يجترىء أحد أن يكلمه إلا علي)[2] .

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « النَّظَرُ إلىٰ عليٍّ عبادةٌ » ، إسناده حسن[3] .

وأخرجه الطبراني والحاكم أيضاً من حديث عِمران بن حُصين[4] .

وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي بكر الصديق[5] ، وعثمان بن عفان[6] ، ومعاذ بن جبل[7] ، وأنس[8] ، وثوبان[9] ، وجابر بن عبد الله[10] ، وعائشة رضي الله عنهم[11] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس قال : (كانت لعلي ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هـٰذه الأمة)[12] .

وأخرج أبو يعلىٰ عن أبي هريرة قال : (قال عمر بن الخطاب : لقد أعطي عليٌّ ثلاث خصال ؛ لأن تكون لي خصلة منها.. أحب إليَّ من أن أُعطىٰ حمر

(١) مسند البزار (١١٩٧) .
(٢) المعجم الأوسط (٤٣١٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٣٠) .
(٣) المعجم الكبير (١٠/ ٧٦) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٤١ـ ١٤٢) .
(٤) المعجم الكبير (١٨/ ١٠٩) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٤١) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٠) .
(٦) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٠) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٢) .
(٨) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٥) .
(٩) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٥) .
(١٠) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٥) .
(١١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٥) .
(١٢) المعجم الأوسط (٨٤٣٢) .

النعم ، قيل : وما هي ؟ قال : تزويجه ابنته ، وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر)[1] ، وروىٰ أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه[2] .

وأخرج أحمد وأبو يعلىٰ بسند صحيح عن علي قال : (ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهي ، وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية)[3] .

وأخرج أبو يعلىٰ والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن آذَىٰ علياً . . فقد آذَانِي »[4] .

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن أحبَّ علياً . . فقد أَحَبَّني ، ومَن أَحَبَّني . . فقد أحبَّ الله ، ومَن أبغَضَ علياً . . فقد أبْغَضَني ، ومن أبْغَضَني . . فقد أبغَضَ اللهَ »[5] .

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن سَبَّ علياً . . فقد سَبَّني »[6] .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « إنَّك تُقاتل علىٰ تأويلِ القرآن كما قَاتلتُ علىٰ تَنزيلِه »[7] .

[يهلك فيك اثنان]

وأخرج البزار وأبو يعلىٰ والحاكم عن علي قال : دعاني رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ١٢٠) من طريق أبي يعلىٰ ، وهو عند أبي يعلىٰ (٥٦٠١) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، إلا أن فيه : (وغلق الأبواب غير بابه) .

(٢) مسند أحمد (٢/ ٢٦) .

(٣) مسند أحمد (١/ ٧٨) ، ومسند أبي يعلىٰ (٥٩٣) .

(٤) مسند أبي يعلىٰ (٧٧٠) ، ومسند البزار (١١٦٦) .

(٥) المعجم الكبير (٢٣/ ٣٨٠) .

(٦) مسند أحمد (٦/ ٣٢٣) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٢١) .

(٧) مسند أحمد (٣/ ٣٣) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٢٢ـ ١٢٣) .

عليه وسلم فقال : « إنَّ فيك مثلاً من عيسىٰ : أبغَضَتْه اليهودُ حتىٰ بَهَتوا أمَّه ، وأحبَّتْه النَّصارىٰ حتىٰ أنزَلوه بالمنزلِ الذي ليسَ به » ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان : محب مفرط يفرطني بما ليس فيَّ ، ومبغض يحمله شنآني علىٰ أن يبهتني[١] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » و« الصغير » عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عليٌّ مع القرآنِ ، والقرآنُ مع عليٍّ ، لا يَفترِقان حتىٰ يَرِدا عليَّ الحوضَ »[٢] .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « أشْقَى الناسِ رجلان : أُحَيمِر ثَمود الذي عَقَر الناقةَ ، والذي يَضرِبُك يا عليُّ علىٰ هٰذه ـ يعني : قرنَه ـ حتىٰ تَبتلَّ منه هٰذه » يعني : لحيتَه[٣] ، وقد ورد ذلك من حديث علي[٤] ، وصهيب[٥] ، وجابر بن سمرة[٦] وغيرهم .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال : اشتكى الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال : « لا تشكوا علياً ، فوَالله ؛ إنَّه لأخْشَنُ في ذاتِ اللهِ ، أو في سَبيلِ اللهِ »[٧] .

فصل
[في مبايعته رضي الله عنه]

قال ابن سعد : بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة ، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم ، ويقال : إن طلحة والزبير بايعا كارهين

(١) مسند البزار (٧٥٨) ، ومسند أبي يعلىٰ (٥٣٤) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٢٣) .
(٢) المعجم الأوسط (٤٨٨٠) ، والصغير (٧٢٠) .
(٣) مسند أحمد (٤/ ٢٦٣) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٤٠ـ ١٤١) .
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٥٤٨) .
(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٥٤٦) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٥٥٠) .
(٧) مستدرك الحاكم (٣/ ١٣٤) .

غير طائعين ، ثم خرجا إلىٰ مكة وعائشة رضي الله عنها بها ، فأخذاها وخرجا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان .

وبلغ ذلك علياً ، فخرج إلى العراق ، فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم ؛ وهي وقعة الجمل ، وكانت في جمادى الآخرة ، سنة ست وثلاثين ، وقُتل بها طلحة والزبير وغيرهما ، وبلغت القتلىٰ ثلاثة عشر ألفاً ، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ، ثم انصرف إلى الكوفة .

ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام ، فبلغ علياً فسار إليه ، فالتقوا بصِفِّين ، في صفر ، سنة سبع وثلاثين ، ودام القتال بها أياماً ، فرفع أهل الشام المصاحف ، يدعون إلىٰ ما فيها مكيدة من عمرو بن العاصي ، فكره الناس الحرب ، وتداعوا إلى الصلح ، وحكَّموا الحكمين ؛ فحكَّم علي : أبا موسى الأشعري ، وحكَّم معاوية : عمرو بن العاصي ، وكتبوا بينهم كتاباً علىٰ أن يوافوا رأس الحول بأَذْرُح ، فينظروا في أمر الأمة .

فافترق الناس ، ورجع معاوية إلى الشام ، وعلي إلى الكوفة ، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، وعسكروا بحَرُوْراء ، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم ، فرجع منهم قوم كثير ، وثبت قوم ، وساروا إلى النَّهْروان فعرضوا للسبيل ، فسار إليهم علي فقتلهم بالنَّهْروان ، وقتل منهم ذا الثُّدَيَّة ؛ وذلك سنة ثمان وثلاثين .

واجتمع الناس بأَذْرُح في شعبان من هـٰذه السنة ، وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة ، فقدَّم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه ، فتكلم فخلع علياً ، وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له ، فتفرق الناس علىٰ هـٰذا[1] .

وصار علي في خلاف من أصحابه حتىٰ صار يعضُّ علىٰ إصبعه ، ويقول : (أُعصىٰ ويطاع معاوية ؟!) .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٩ـ ٣٠) ، ومدار هـٰذه القصة علىأبي مخنف لوط بن يحيى وأبي جناب الكلبي ، وهما متهمان بالوضع . وللمزيد انظر « العواصم » (ص ١٧٠) .

[تآمر ثلاثة من الخوارج علىٰ أمراء المسلمين]

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج : عبد الرحمـٰن بن مُلْجِم المرادي ، والبُرَك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بُكير التميمي ، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هـٰؤلاء الثلاثة : علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاصي ، ويريحوا العباد منهم ، فقال ابن مُلْجِم : أنا لكم بعلي ، وقال البُرَك : أنا لكم بمعاوية ، وقال عمرو بن بكير : أنا أكفيكم عمرو بن العاصي ، فتعاهدوا علىٰ ذلك ، واتعدوا ليلة سبع عشرة من رمضان .

ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه ، فقدم ابن مُلْجِم الكوفة ، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون إلىٰ ليلة الجمعة ، سابع عشر رمضان ، سنة أربعين ، فاستيقظ عليٌّ سحراً فقال لابنه الحسن : (رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ؛ ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟[1] فقال لي : « ادع الله عليهم » ، فقلت : اللهم ؛ أَبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شراً لهم مني) .

ودخل ابن النبَّاح المؤذن علىٰ ذلك فقال : الصلاة ، فخرج من الباب ينادي : (أيها الناس ؛ الصلاة الصلاة) ، فاعترضه ابن مُلْجِم فضربه بالسيف ، فأصاب جبهته إلىٰ قرنه ، ووصل إلىٰ دماغه ، فشدَّ عليه الناس من كل جانب فأُمسك وأُوثق .

وأقام عليٌّ الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، وغسَّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، وصلىٰ عليه الحسن ، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً ، ثم قطعت أطراف ابن ملجم ، وجعل في قَوْصرة ، وأحرقوه بالنار .

هـٰذا كله كلام ابن سعد[2] ، وقد أحسن في تلخيصه هـٰذه الوقائع ، ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره ؛ لأن هـٰذا هو اللائق بهـٰذا المقام ، قال

---

(١) الأود : العوج ، واللدد : الخصومة الشديدة .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٣ـ ٣٨) .

صلى الله عليه وسلم : « إذا ذُكر أَصحابي . . فَأمسِكُوا »[١] وقال : « بحسب أصحابي القتل »[٢] .

وفي « المستدرك » عن السُّدي قال : كان عبد الرحمٰن بن مُلْجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها : قَطَام ، فنكحها ، وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقَتْل عليٍّ ، وفي ذلك قال الفرزدق : [من الطويل]

فلم أرَ مَهْراً ساقَه ذو سَمَاحةٍ كمَهرِ قَطَامِ بيِّنٍ غيرِ مُعجمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقيْنة وضربُ عليٍّ بالحُسامِ المصمِّمِ
فلا مهرَ أغلىٰ من عليٍّ وإن عَلا ولا فتكَ إلا دونَ فتكِ ابن مُلجمِ[٣]

قال أبو بكر بن عياش : (عُمِّي قبرُ عليٍّ ؛ لئلا تنبشه الخوارج)[٤] .

وقال شريك[٥] : (نقله الحسن ابنه إلى المدينة)[٦] .

وقال المبرد : عن محمد بن حبيب : (أولُ من حُوِّل من قبر إلىٰ قبرٍ : عليٌّ رضي الله عنه)[٧] .

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال : (لما قتل علي بن أبي طالب . . حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً . . إذ ندَّ الجمل الذي هو عليه ، فلم يدر أين ذهب ، ولم يقدر عليه ، قال : فلذلك يقول أهل العراق : هو في السحاب)[٨] .

وقال غيره : (إن البعير وقع في بلاد طيء ، فأخذوه فدفنوه) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢/ ٩٦) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٧٢) من حديث سيدنا طارق بن شهاب رضي الله عنه .
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ١٤٣ـ ١٤٤) ، وهٰذه الأبيات في « تاريخ الطبري » (٥/ ١٥٠) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ٣٤١) لابن أبي مياس المرادي .
(٤) انظر « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٥٦٥ـ٥٦٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٣/ ٦٥١) .
(٥) من هنا بدأ السقط في (د) .
(٦) تاريخ الإسلام (٣/ ٦٥١) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٥٦٦) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٦٦) .
(٨) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٥/ ٣٦٧) لابن منظور .

وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة ، وقيل : أربع وستون ، وقيل : خمس وستون ، وقيل : سبع وخمسون ، وقيل : ثمان وخمسون ، وكان له تسع عشرة سُرِّية .

فَصْلٌ
في نبذ من أخبار علي وقضاياه وكلماته

قال سعيد بن منصور في « سننه » : حدثنا هُشيم ، حدثنا حجَّاج ، حدثني شيخ من فَزَارة : سمعت علياً يقول : (الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عما نزل به من أمر دينه ؛ إن معاوية كتب إليَّ يسألني عن الخنثىٰ ، فكتبت إليه : أن يورثه من قِبَل مَباله)[1] ، وقال : حدثنا هُشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن علي مثله[2] .

[قصة توليته رضي الله عنه وما جرىٰ من أحداث]

وأخرج ابن عساكر عن الحسن قال : لما قدم علي البصرة . . قام إليه ابن الكَوَّاء وقيس بن عباد فقالا له : ألا تخبرنا عن مسيرك هـٰذا الذي سرت فيه تتولىٰ على الأمة تضرب بعضهم ببعض ؟ أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك ؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون علىٰ ما سمعت .

فقال : (أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك . . فلا والله ؛ إن كنت أول من صدَّق به . . فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك . . ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان علىٰ منبره ، ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلا بردي هـٰذا ، ولـٰكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُقتل قتلاً ، ولم يمت فجأة ، مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلي

---

(١) سنن سعيد بن منصور (١٢٥) .
(٢) سنن سعيد بن منصور (١٢٦) .

بالناس وهو يرىٰ مكاني ، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرىٰ مكاني ، ولقد أرادت امرأةٌ من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبىٰ وغضب ، وقال : « أَنتنَّ صَوَاحبُ يوسفَ ، مُرُوا أَبا بكرٍ يصلِّي بالناسِ » .

فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم . . نظرنا في أمورنا ، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي[1] أمير الدين[2] ، وقوام الدين ، فبايعنا أبا بكر ، وكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا علىٰ بعض ولم نقطع منه البراءة ، فأديت إلىٰ أبي بكر حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قبض . . ولاها عمر ، فأخذ بسنة صاحبه وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ، لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا علىٰ بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديت إلىٰ عمر حقه ، وعرفت طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قبض . . تذكرت في نفسي قرابتي ، وسابقتي وسالفتي وفضلي ، وأنا أظن ألا يعدل بي ، ولـٰكن خشي ألا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة منه . . لآثر بها ولده ، فبرىء منها إلىٰ رهط من قريش ستة أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرهط . . تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظن ألا يعدلوا بي ، فأخذ عبد الرحمـٰن مواثيقنا علىٰ أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم أخذ بيد ابن عفان ، فضرب بيده علىٰ يده فنظرت في أمري ؛ فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، وإذا ميثاقي قد أُخذ لغيري ، فبايعنا عثمان ، فأديت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما أصيب . . نظرت في أمري ؛ فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله

---

(١) في غير (ج) : (هو) .
(٢) في (ب ، د ، و) : (أمين) .

صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهٰذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين وأهل هٰذين المصرين ، فوثب فيها من ليس مثلي ، ولا قرابته كقرابتي ، ولا علمه كعلمي ، ولا سابقته كسابقتي ، وكنت أحق بها منه)[1] .

[بعضٌ من كراماته رضي الله عنه]

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : (عرض لعلي رجلان في خصومة ، فجلس في أصل جدار ، فقال له رجل : الجدار يقع ؟! فقال علي : امضِ ؛ كفىٰ بالله حارساً ، فقضىٰ بينهما ، فقام ثم سقط الجدار)[2] .

وفي « الطيوريات » بسنده إلىٰ جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رجل لعلي بن أبي طالب : نسمعك تقول في الخطبة : اللهم ؛ أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين ؛ فمن هم ؟ فاغرورقت عيناه ، فقال : (هم حبيباي أبو بكر وعمر ، إماما الهدىٰ ، وشيخا الإسلام ، ورجلا قريش ، والمقتدىٰ بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من اقتدىٰ بهما . . عُصم ، ومن اتبع آثارهما . . هدي الصراط المستقيم ، ومن تمسَّك بهما . . فهو من حزب الله) .

وأخرج عبد الرزاق عن حُجْر المَدَري قال : (قال لي علي بن أبي طالب : كيف بك إذا أُمرت أن تلعنني ؟ قلت : وكائن ذلك ؟ قال : نعم ، قلت : فكيف أصنع ؟ قال : الْعَنِّي ، ولا تبرأ مني ، قال : فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج ـ وكان أميراً على اليمن ـ أن ألعن علياً ، فقلت : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً ، فالعنوه لعنه الله ، فما فطن لها إلا رجل)[3] .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » ، وأبو نعيم في « الدلائل » عن زاذان : (أن

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٤١ـ ٤٤٤) وقد جمع المصنف هنا بين روايتين لهٰذا الخبر .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٤٧١) وعزاه لأبي نعيم في « الدلائل » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ٣١٠) من طريق عبد الرزاق .

علياً حدَّث بحديث فكذبه رجل ، فقال له علي : أدعو عليك إن كنت كاذباً ؟ قال : ادع ، فدعا عليه ، فلم يبرح حتىٰ ذهب بصره)[1] .

[قصة الأرغفة الثمانية ودقة قضائه رضي الله عنه]

وأخرج عن زرٍّ بن حُبيش قال : (جلس رجلان يتغديان : مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضعا الغداء بين أيديهما . . مرَّ بهما رجل فسلَّم ، فقالا : اجلس للغداء ، فجلس وأكل معهما ، واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل ، وطرح إليهما ثمانية دراهم ، وقال : خذاها عوضاً مما أكلت لكما ، ونلته من طعامكما ، فتنازعا .

فقال صاحب الخمسة الأرغفة : لي خمسة دراهم ولك ثلاثة ، وقال صاحب الأرغفة الثلاثة : لا أرضىٰ إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين .

فارتفعا إلىٰ أمير المؤمنين علي ، فقصَّا عليه قصتهما ، فقال لصاحب الثلاثة : قد عرض عليك صاحبك ما عرض ، وخبزه أكثر من خبزك فارضَ بالثلاثة .

فقال : والله ؛ لا رضيت عنه إلا بمرِّ الحق ، فقال علي رضي الله عنه : ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد ، وله سبعة دراهم .

فقال الرجل : سبحان الله !! قال : هو ذلك ، قال : فعرفني الوجه في مر الحق حتىٰ أقبله .

فقال علي : أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ؟ ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل ، فتحملون في أكلكم على السواء ، قال : فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنما لك تسعة أثلاث ، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث ، وله خمسة عشر ثلثاً ، أكل منها ثمانية وبقي سبعة ، وأكل لك واحداً من تسعة ، فلك واحد بواحدك ، وله سبعة ، فقال الرجل : رضيت الآن)[2] .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن عطاء قال : (أُتي عليٌّ برجلٍ وشهد

---

(١) المعجم الأوسط (١٧٩١) .

(٢) أورده المزي في « تهذيب الكمال » (٢٠/٤٨٦) .

عليه رجلان أنه سرق ، فأخذ في شيء من أمور الناس وتهدَّد شهود الزور ، وقال : (لا أُوتىٰ بشاهد زور . . إلا فعلت به كذا وكذا) ثم طلب الشاهدين فلم يجدهما ، فخلىٰ سبيله[1] .

[اضرب ظلَّه]

وقال عبد الرزاق في « المصنف » : حدثنا الثوري عن سليمان الشيباني ، عن رجل ، عن علي : أنه أتي برجل فقيل له : (زعم هـٰذا أنه احتلم بأمي ؟ فقال : اذهب فأقمه في الشمس فاضرب ظله)[2] .

[نقش خاتمه رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه : (أن خاتم علي بن أبي طالب كان من وَرِق نقشُه : نِعْمَ القادرُ الله)[3] .

وأخرج عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : (كان نقش خاتم علي : الملك لله)[4] .

وأخرج عن المدائني قال : (لما دخل علي الكوفة . . دخل عليه رجل من حكماء العرب ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد زِنْتَ الخلافة وما زانتك ، ورفعتَها وما رفعتك ، وهي كانت أحوج إليك منك إليها)[5] .

وأخرج عن مجمِّع : (أن علياً كان يكنس بيت المال ، ثم يصلي فيه ؛ رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين)[6] .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٢٦) .
(٢) مصنف عبد الرزاق (١١٤٢٦) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٤٥) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٤٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٤٥) .
(٦) تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٧٨) .

[وضعه رضي الله عنه لأسس النحو]

وقال أبو القاسم الزجاجي في « أماليه » : حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري ، حدثنا أبو حاتم السجستاني ، حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، حدثنا سعيد بن مسلم الباهلي ، حدثنا أبي ، عن جدي ، عن أبي الأسود الدؤلي ـ أو قال : عن جدي أبي الأسود ـ عن أبيه قال : (دخلت علىٰ أمير المؤمنين عَلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فرأيته مطرقاً مفكراً ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟!

قال : إني سمعت ببلدكم هٰذا لحناً ، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هٰذا . . أحييتنا وبقيت فينا هٰذه اللغة .

ثم أتيته بعد ثلاث فألقىٰ إليَّ صحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام كله : اسم وفعل وحرف ، فالاسم : ما أنبأ عن المسمىٰ ، والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمىٰ ، والحرف : ما أنبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل .

ثم قال لي : تتبعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود : أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر .

قال أبو الأسود : فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه ، فكان من ذلك حروف النصب ، فذكرت منها : إن وأن وليت ولعل وكأن ، ولم أذكر لكن ، فقال لي : لِمَ تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها منها ، فقال : بلىٰ هي منها ، فزدها فيها)[1] .

[بعض حكمه ونصحه رضي الله عنه لحملة القرآن]

وأخرج ابن عساكر عن ربيعة بن ناجد قال : قال علي : (كونوا في الناس كالنحلة في الطير ؛ إنه ليس في الطير شيء . . إلا وهو يستضعفها ، ولو يعلم

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٩٤٥٦) وعزاه لأبي القاسم الزجاجي في « أماليه » .

الطير ما في أجوافها من البركة . . لم يفعلوا ذلك بها ، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم ، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ؛ فإن للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب)[١] .

وأخرج عن علي قال : (كونوا بقَبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ؛ فإنه لن يقل عمل مع التقوىٰ ، وكيف يقل عمل يتقبل ؟!)[٢] .

وأخرج عن يحيى بن جعدة قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (يا حملة القرآن ؛ اعملوا به ، فإنما العالم : من علم ثم عمل بما علم ، ووافق عِلمه عَمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف عَملهم عِلمهم ، يجلسون حلقاً ، فيباهي بعضهم بعضاً ، حتىٰ إن الرجل يغضب علىٰ جليسه أن يجلس إلىٰ غيره ويدعه ، أولـٰئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله)[٣] .

وأخرج عن علي قال : (التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ، ولا وحشة أشد من العجب)[٤] .

وأخرج عن الحارث قال : (جاء رجل إلىٰ علي رضي الله عنه فقال : أخبرني عن القدر ، فقال : طريق مظلم لا تسلكه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : بحر عميق لا تَلِجه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : سر الله قد خفي عليك فلا تفشه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : يا أيها السائل ؛ إن الله خلقك لما شاء أو لما شئت ؟ قال : بل لما شاء ، قال : فيستعملك فيما شاء)[٥] .

وأخرج عن علي قال : (إن للنكبات نهايات ، لا بد لأحد إذا نُكب . . من أن ينتهي إليها ، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة . . أن ينام لها حتىٰ تنقضي مدتها ؛

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٤٢/٥١١) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٩) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٩) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٢ـ٥١٣) .

فإن في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها)[1] .

وأخرج عن علي أنه قيل له : (ما السخاء ؟ قال : ما كان منه ابتداء ، فأما ما كان عن مسألة . . فحياء وتكرم)[2] .

وأخرج عن علي : (أنه أتاه رجل فأثنىٰ عليه فأطراه ، وكان قد بلغه عنه قبل ذلك ، فقال له علي : إني لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك)[3] .

وأخرج عن علي قال : (جزاء المعصية : الوهن في العبادة ، والضيق في المعيشة ، والتَّعَس في اللذة ، قيل : وما التَّعَس في اللذة ؟ قال : لا ينال شهوة حلالاً . . إلا جاءه ما ينغصه إياها)[4] .

وأخرج عن علي بن ربيعة : (أن رجلاً قال لعلي : ثبَّتك الله ، وكان يبغضه ، قال : علىٰ صدرك)[5] .

[ذكر شيء من شعره رضي الله عنه]

وأخرج عن الشعبي قال : (كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي أشعر الثلاثة)[6] .

وأخرج عن نبيط الأشجعي قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : [من الوافر]

إذا اشتمَلَتْ على اليأسِ القلوبُ ... وضاقَ لما به الصدرُ الرَّحيبُ

وأَوطَنتِ المكارهُ واطمَأنَّتْ ... وأرْسَتْ في أَماكِنِها الخطوبُ

ولم يرَ لانكشافِ الضرِّ وجهٌ ... ولا أَغنىٰ بحيلتِه الأَريبُ

أَتاك علىٰ قنوطٍ منك غوثٌ ... يجيءُ به القريبُ المستجيبُ

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٤) .
(٢) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٨) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٨) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٩) .
(٦) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٠) .

وكــلُّ الحــادثـاتِ إذا تَنـاهــتْ فمــوصــولٌ بهـا الفـرجُ القــريــبُ[1]

وأخرج عن الشعبي قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل وكره له صحبة رجل : [من الهزج]

فــلا تَصحَــبْ أَخَــا الجهــلِ وإيَّــــــــاك وإيَّــــــــاهُ
فكــم مِــن جــاهِــلٍ أَردَىٰ حَليمـــــاً حيــــنَ آخَـــاهُ
يُقــاسُ المــرءُ بــالمــرءِ إذا [مــا] هــو مــاشــاهُ[2]
وللشـــيءِ مِـــنَ الشـــيءِ مقـــاييـــسٌ وأشبـــاهُ
وللقلـــبِ علـــى القلـــبِ دليـــلٌ حيـــنَ يلقـــاهُ[3]

وأخرج عن المبرد قال : كان مكتوباً علىٰ سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه : [من البسيط]

للناسِ حرصٌ على الدنيا بتدبيرِ وصَفْوُهـا لـك ممـزوجٌ بتكـديـرِ
لم يُرزقوها بعقلٍ عندما قُسمت لٰكنهـم رُزقـوهـا بـالمقـاديـرِ
كـم مِـن أديـبٍ لَبيـبٍ لا تُساعـدهُ ومـائـقٍ نـالَ دنيـاهُ بتقصيـرِ
لو كان عن قوّة أو عن مغالَبَةٍ طـارَ البـزاةُ بـأرزاقِ العصـافيـرِ[4]

وأخرج عن حمزة بن حبيب الزيات قال : كان علي بن أبي طالب يقول : [من المتقارب]

فــلا تفــشِ ســرَّك إلا إليــك فــإنَّ لكــل نصيــحٍ نصيحــا
فــإنِّــي رأيــتُ غُــواة الــرِّجـا لِ لا يــدَعُــون أديمــاً صحيحــا[5]

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٣ـ٥٢٤) .
(٢) ما بين معقوفين زيادة من « تاريخ دمشق » .
(٣) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٥ـ٥٢٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٨) .

[احفظ عني أربعاً وأربعاً]

وأخرج عن عقبة بن أبي الصهباء قال : (لما ضرب ابن مُلجم علياً . . دخل عليه الحسن وهو باك ، فقال له علي : يا بني ؛ احفظ عني أربعاً وأربعاً ، قال : وما هن يا أبتِ ؟

قال : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق .

قال : فالأربع الأخر ؟ قال : إياك ومصاحبة الأحمق ؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب ؛ فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل ؛ فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر ؛ فإنه يبيعك بالتافه)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن علي : أنه أتاه يهودي فقال له : (متىٰ كان ربنا ؟) فتمعَّر وجه علي ، فقال : (لم يكن فكان ، هو كان ولا كينونة ، كان بلا كيف ، كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية) فأسلم اليهودي[2] .

[قضاء شريح لليهودي علىٰ أمير المؤمنين]

وأخرج الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة ، عن شريح القاضي قال : (لما توجه علي إلىٰ صفين . . افتقد درعاً له ، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة . . أصاب الدرع مع يهودي ، فقال لليهودي : الدرع درعي لم أبع ولم أهب .

فقال اليهودي : درعي وفي يدي ، فقال : نصير إلى القاضي ، فتقدَّم عليٌّ فجلس إلىٰ جنب شريح وقال : لولا أن خصمي يهودي . . لاستويت معه في

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٦١ـ ٥٦٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٧/ ٢٣٧) .

المجلس ؛ ولـٰكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَصغروهم من حيثُ أصغَرَهم الله » .

فقال شريح : قل يا أمير المؤمنين ، فقال : نعم ؛ هـٰذه الدرع التي في يد هـٰذا اليهودي درعي ، لم أبع ولم أهب ، فقال شريح : أَيش تقول يا يهودي ؟ قال : درعي وفي يدي .

فقال شريح : ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي ، فقال شريح : شهادة الابن لا تجوز للأب ، فقال علي : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؟! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ » فقال اليهودي : أمير المؤمنين قدَّمَني إلىٰ قاضيه ، وقاضيه قضىٰ عليه ، أشهد أن هـٰذا هو الحق ، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعك)[1] .

فَصْل

[في كلامه رضي الله عنه في تفسير القرآن]

وأما كلامه في تفسير القرآن . . فكثير ، وهو مستوفىً في كتابنا « التفسير المسند » بأسانيده .

وقد أخرج ابن سعد عن علي قال : (والله ؛ ما نزلت آية . . إلا وقد علمت فيمَ نزلت ، وأين نزلت ، وعلىٰ من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً ناطقاً)[2] .

وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال : قال علي رضي الله عنه : (سلوني عن كتاب الله ؛ فإنه ليس من آية . . إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل)[3] .

---

(١) أخرجه وكيع في « أخبار القضاة » (٢/ ٢٠٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ١٤٠) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٢) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٢) ، وتاريخ دمشق (٤٢/ ٣٩٨) .

وأخرج ابن أبي داوود عن محمد بن سيرين قال : (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أبطأ علي عن بيعة أبي بكر ، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت إمارتي ؟ فقال : لا ؛ ولـٰكن آليت لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتىٰ أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه علىٰ تنزيله ، قال محمد : لو أصيب ذلك الكتاب . . كان فيه العلم)[1] .

فَصْلٌ
في نبذ من كلماته الوجيزة المختصرة البديعة

قال علي رضي الله عنه : (الحزم سوء الظن) أخرجه أبو الشيخ ابن حيان[2] .

وقال : (القريب : من قرَّبته المودة وإن بعد نسبه ، والبعيد : من بعدته العداوة وإن قرب نسبه ، ولا شيء أقرب من يد إلىٰ جسد ؛ وإن اليد إذا فسدت . . قطعت ، وإذا قطعت . . حُسمت) أخرجه أبو نعيم[3] .

[خمسٌ خذوهنَّ عني]

وقال : (خمس خذوهن عني : لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ، ولا يرجو إلا ربه ، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ إذا ذهب الصبر . . ذهب الإيمان ، وإذا ذهب الرأس . . ذهب الجسد) أخرجه سعيد بن منصور في « سننه »[4] .

وقال : (الفقيه كل الفقيه : من لم يقنِّط الناس من رحمة الله ، ولم يرخِّص

---

(١) كتاب المصاحف (٣١) ، واللفظ من « تاريخ الإسلام » (٣/ ٦٣٧) .
(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧١٥٤) وعزاه لأبي الشيخ في « الثواب » .
(٣) تاريخ أصبهان (١/ ١٣٦) .
(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٧١٨) .

لهم في معاصي الله ، ولم يؤمِّنهم عذاب الله ، ولم يدَعِ القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره ؛ إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فَهْم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها) أخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن »[1] .

وقال : (وأبردها على الكبد إذا سئلتُ عما لا أعلم أن أقول : الله أعلم) أخرجه ابن عساكر[2] .

وقال : (من أراد أن ينصف الناس من نفسه . . فليحب لهم ما يحب لنفسه) أخرجه ابن عساكر[3] .

[سبعٌ من الشيطان]

وقال : (سبع من الشيطان : شدة الغضب ، وشدة العطاس ، وشدة التثاؤب ، والقيء ، والرعاف ، والنجوىٰ ، والنوم عند الذكر)[4] .

وقال : (كلوا الرمان بشحمه ؛ فإنه دباغ المعدة) أخرجه عبد الله[5] بن أحمد في « زوائد المسند »[6] .

وقال : (قراءتك على العالم وقراءة العالم عليك سواء) أخرجه الحاكم في « التاريخ »[7] .

وقال : (يأتي على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الأمة) أخرجه سعيد بن منصور[8] .

---

(١) فضائل القرآن (٦٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٧) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٢٩٠) .

(٥) إلىٰ هنا انتهى السقط في (د) .

(٦) مسند أحمد (٥/٣٨٢) .

(٧) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٢٣٦) .

(٨) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٣٥) .

[رثاء أبي الأسود لسيدنا علي رضي الله عنه]

ولأبي الأسود الدؤلي يرثي علياً رضي الله عنه : [من الوافر]

أَلاَ يا عينُ ويحكِ أَسعدينا ... أَلا تَبكي أميرَ المؤمنينا

أتبكي أم كلثوم عليه ... بعَبْرَتها وقد رأَتِ اليقينا

أَلاَ قل للخوارجِ حيثُ كانوا ... فلا قرَّت عيونُ الحاسدينا

أفي شهرِ الصيامِ فجَعْتمونا ... بخيرِ الناسِ طُرّاً أجمعينا

قتَلْتُم خيرَ مَن ركب المَطايا ... وذلَّلها ومَن ركب السَّفينا

ومن لبِسَ النِّعال ومَن حَذَاها ... ومَن قرأ المثاني والمبينا

وكلُّ مناقبِ الخيرات فيه ... وحبُّ رسولِ ربِّ العالمينا

لقد علِمَتْ قريشٌ حيث كانتْ ... بأنَّك خيرهم حَسَباً ودينا

إذا استقبلتَ وجهَ أبي حسينٍ ... رأيتَ البدرَ فوقَ الناظرينا

وكنَّا قبلَ مقتلِه بخيرٍ ... نَرىٰ مَوْلىٰ رسولِ الله فينا

يقيمُ الحقَّ لا يَرْتابُ فيه ... ويعدِلُ في العِدَىٰ والأقربينا

وليس بكاتِمٍ عِلْماً لديهِ ... ولم يُخلَقْ من المتجبِّرينا

كأنَّ الناسَ إذ فقَدُوا عليّاً ... نَعامٌ حارَ في بلدٍ سِنينا

فلا تشمَتْ معاويةُ بنَ صخرٍ ... فإنَّ بقيةَ الخلفاءِ فينا[1]

فصل

[فيمن مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام علي رضي الله عنه من الأعلام موتاً وقتلاً : حذيفة بن اليمان ، والزبير بن العوام ، وطلحة[2] ، وزيد بن صُوحان ، وسلمان الفارسي ،

---

(١) الأبيات في « أسد الغابة » (٤/١٣٣) ، وانظر « ديوانه » (ص١٥٢ و٢٩٢ و٤٤٨) ، وفي (أ) و(د) : (والمئينا) .

(٢) هو : سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وهند بن أبي هالة ، وأويس القَرَني ، وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر ، وسهل بن حنيف ، وصهيب الرومي ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ، وتميم الداري ، وخَوَّات بن جبير ، وشُرحبيل ابن السِّمْط ، وأبو مسعود البدري ، وصفوان بن عَسَّال ، وعمرو بن عَبَسَة ، وهشام بن حكيم ، وأبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وآخرون .

خلافة الحسن بن عليّ بن أبي طالب
رضي الله عنهما
[ستة أشهر][1]

أبو محمد ، سِبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته ، وآخر الخلفاء بنصه[2] .

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال : (الحسن والحسين : اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سمَّت العرب بهما في الجاهلية)[3] .

ولد الحسن رضي الله عنه في نصف رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ، وروىٰ عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث .

روىٰ عنه : عائشة رضي الله عنها ، وخلائق من التابعين ؛ منهم : ابنه الحسن ، وأبو الحَوْراء ربيعة بن شيبان[4] ، والشعبي[5] ، وأبو وائل[6] .

[شبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض فضائله رضي الله عنه]

وكان شبيهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، سماه النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٦/ ٣٥٢) ، و« مروج الذهب » (٣/ ١٨١) ، و« مقاتل الطالبيين » (ص ٤٦) ، و« المنتظم » (٥/ ٢٢٥) ، و« الكامل » (٣/ ٤٦٠) ، و« أسد الغابة » (٢/ ١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤/ ٣٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٢٤٥) ، و« الإصابة » (١/ ٣٢٧) .

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون بعد ذلك الملك » أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٢١) ، والترمذي (٢٢٢٦) ، قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٨/ ١٧) : وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي .

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٥٧) .

(٤) في النسخ : (سنان) ، والصواب المثبت ، وانظر « تقريب التهذيب » (ص ١٤٧) ، والله أعلم .

(٥) هو : عامر بن شراحيل .

(٦) هو : شقيق بن سلمة .

الحسن ، وعَقَّ عنه يوم سابعه ، وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة ، وهو خامس أهل الكساء[1] .

قال العسكري : (لم يكن هٰذا الاسم يعرف في الجاهلية)[2] .

وقال المفضل : (إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتىٰ سمىٰ بهما النبي صلى الله عليه وسلم ابنيه)[3] .

وأخرج البخاري عن أنس قال : (لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي)[4] .

وأخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن علىٰ عاتقه وهو يقول : « اللهمَّ ؛ إنِّي أُحبُّه فأَحِبّه »[5] .

وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلىٰ جنبه ينظر إلى الناس مرةً وإليه مرةً يقول : « إنَّ ابني هٰذا سيدٌ ؛ ولعلَّ الله أن يُصلحَ به بينَ فِئَتين من المُسلمينَ »[6] .

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هُما رَيحانَتَاي مِن الدُّنيا »[7] يعني : الحسن والحسين .

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله

---

(١) والمراد بهم : ما أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٢٩٢) ، والترمذي (٣٧٨٧) عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : نزلت هٰذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلّله بكساء ثم قال : « اللهم ؛ هٰؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : « أنت علىٰ مكانك وأنت إلىٰ خير » .

(٢) أورده ابن الأثير في « أسد الغابة » (٢/ ١١) ، والإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٣٩٢) .

(٣) أورده ابن الأثير في « أسد الغابة » (٢/ ١٥) .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٥٢) .

(٥) صحيح البخاري (٣٧٤٩) ، وصحيح مسلم (٢٤٢٢) .

(٦) صحيح البخاري (٢٧٠٤) .

(٧) صحيح البخاري (٣٧٥٣) .

صلى الله عليه وسلم : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ »[1] .

وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وحسن وحسين علىٰ وركيه فقال : « هَـٰذان ابْنَاي وابْنَا ابْنَتِي ، اللهمَّ ؛ إنِّي أحبُّهما فأَحِبّهما ، وأَحِبَّ من يُحبُّهما »[2] .

وأخرج عن أنس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحَسنُ والحُسَينُ »[3] .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن علىٰ رقبته ، فلقيه رجل فقال : نِعمَ المركب ركبت يا غلام !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونعِمَ الرَّاكِبُ هو »[4] .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال : (أشبهُ أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم إليه : الحسن بن علي ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال : ظهره ـ فما ينزله حتىٰ يكون هو الذي ينزل ، ولقد رأيته وهو راكع ، فيفرج له بين رجليه حتىٰ يخرج من الجانب الآخر)[5] .

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمـٰن قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي ، فإذا رأى الصبي حمرة اللسان . . يهش إليه)[6] .

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأقمر قال : قام الحسن بن علي يخطب ، فقام رجل من أزد شنوءة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول : « مَن أحبَّني . . فليُحِبّه ، وليُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ » ولولا

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٦٨) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٦٦ـ ١٦٧) .
(٢) سنن الترمذي (٣٧٦٩) .
(٣) سنن الترمذي (٣٧٧٢) .
(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ١٧٠) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٥٩) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٥٩) .

كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما حدثت به أحداً[1] .

كان الحسن رضي الله عنه له مناقب كثيرة : سيداً حليماً ، ذا سكينة ووقار وحشمة ، جواداً ممدَّحاً ، يكره الفتن والسيف ، تزوج كثيراً ، وكان يجيز الرجل الواحد بمئة ألف[2] .

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عُمير قال : (لقد حج الحسن خمساً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لَتقاد معه)[3] .

وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال : (ما تكلم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلم . . أَلاَّ يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمةَ فحشٍ قط إلا مرة ؛ فإنه كان بين الحسين وعمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض ، فعرض الحسين أمراً لم يرضه عمرو ، فقال الحسن : فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، قال : فهٰذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط)[4] .

[حلمه رضي الله عنه علىٰ مروان وهو أمير]

وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال : (كان مروان أميراً علينا ، فكان يسب علياً كل جمعة على المنبر ، وحسن يسمع فلا يرد شيئاً ، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له : بعليٍّ وبعلي وبعلي وبك وبك وبك ، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها : من أبوك ؟ فتقول : أمي الفرس ، فقال له الحسن : ارجع إليه فقل له : إني والله ؛ لا أمحو عنك شيئاً مما قلت بأن أسبك ، ولٰكن موعدي وموعدك الله ؛ فإن كنت صادقاً . . جزاك الله بصدقك ، وإن كنت كاذباً . . فالله أشد نقمة)[5] .

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٧٣ـ ١٧٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ٣٦ـ ٣٧) .

(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ١٦٩) .

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٦٨) .

(٥) لم نقف عليه في مطبوع « الطبقات » ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/ ٢٤٣) من طريق ابن سعد .

وأخرج ابن سعد عن رزيق بن سوَّار قال : (كان بين الحسن وبين مروان كلام ، فأقبل عليه مروان ، فجعل يغلظ له ، وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن : ويحك ؛ أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج ؟! أف لك !! فسكت مروان)[١] .

وأخرج ابن سعد عن أشعث بن سوَّار ، عن رجل قال : (جلس رجل إلى الحسن فقال : إنك جلست إلينا علىٰ حين قيام منا ، أفتأذن ؟)[٢] .

وأخرج ابن سعد عن علي بن زيد بن جدعان قال : (خرج الحسن من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتىٰ إن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ، ويعطي خفاً ويمسك خفاً)[٣] .

[كثرة زواجه وطلاقه لتكثير نسله رضي الله عنه]

وأخرج ابن سعد عن علي بن الحسين قال : (كان الحسن مطلاقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة . . إلا وهي تحبه ، وأحصن تسعين امرأة)[٤] .

وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : (كان الحسن يتزوج ويطلق ، حتىٰ خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل)[٥] .

وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال علي : (يا أهل الكوفة ؛ لا تزوجوا الحسن ؛ فإنه رجل مطلاق) ، فقال رجل من همدان : والله لنزوجنه ؛ فما رضي . . أمسك ، وما كره . . طلق[٦] .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن حسن قال : (كان الحسن رجلاً كثير نكاح

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٦٩) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٦٨) .
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٧٤) .
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٧٥) .
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٧٥) .
(٦) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٧٥) .

النساء ، وكُنَّ قلما يحظين عنده ، وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن جويرية بن أسماء قال : (لما مات الحسن . . بكىٰ مروان في جنازته ، فقال له حسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟! فقال : إني كنت أفعل ذلك إلىٰ أحلمَ من هـٰذا ، وأشار بيده إلى الجبل)[2] .

وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال : (قيل للحسن بن علي : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلي من الغنىٰ ، والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر !! أما أنا أقول : من اتكل علىٰ حسن اختيار الله له . . لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له ، وهـٰذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضا)[3] .

[نزوله عن الخلافة رضي الله عنه وتحقيق المعجزة]

ولي الحسن رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة ، فأقام فيها ستة أشهر وأياماً ، ثم سار إليه معاوية والأمر إلى الله ، فأرسل إليه الحسن : يبذل له تسليم الأمر إليه علىٰ أن تكون له الخلافة من بعده ، وعلىٰ ألا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه ، وعلىٰ أن يقضي عنه ديونه .

فأجابه معاوية إلىٰ ما طلب ، فاصطلحا علىٰ ذلك ، فظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم : « يُصلِحُ الله به بينَ فئتينِ من المُسلمينَ » ونزل له عن الخلافة .

وقد استدل البلقيني بنزوله عن الخلافة التي هي أعظم المناصب : علىٰ جواز النزول عن الوظائف .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٣٨٦) .
(٢) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٢) .
(٣) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٣) .

وكان نزوله عنها في سنة إحدىٰ وأربعين ، في شهر ربيع الأول ، وقيل : الآخر ، وقيل : في جمادى الأولىٰ ، فكان أصحابه يقولون له : يا عار المؤمنين ، فيقول : (العار خير من النار) .

وقال له رجل : (السلام عليك يا مُذل المؤمنين ، فقال : لست بمذل المؤمنين ؛ ولـٰكني كرهت أن أقتلكم على الملك)[1] .

ثم ارتحل الحسن عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها .

وأخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال : (قلت للحسن : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ؟ فقال : قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت ، تركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أبتزها بأتياس أهل الحجاز)[2] .

[وفاة الحسن رضي الله عنه]

توفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموماً ، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، دس إليها يزيد بن معاوية أن تسمه ويتزوجها ، ففعلت ، فلما مات الحسن . . بعثت إلىٰ يزيد تسأله الوفاء بما وعدها ، فقال : إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا ؟!

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين ، وقيل : في خامس ربيع الأول سنة خمسين ، وقيل : سنة إحدىٰ وخمسين ، وجهد به أخوه أن يخبره من سقاه فلم يخبره ، وقال : (الله أشد نقمة إن كان الذي أظن ، وإلا . . فلا يقتل بي ـ والله ـ بريء) .

وأخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : رأى الحسن كأن بين عينيه مكتوباً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فاستبشر به أهل بيته ، فقصُّوها علىٰ سعيد بن

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٥ـ٦) .

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ١٧٠) .

المسيب ، فقال : (إن صدقت رؤياه . . فقل ما بقي من أجله ، فما بقي إلا أياماً حتىٰ مات)[1] .

[كرامة لمن رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق]

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال : أضاق الحسن بن علي ، وكان عطاؤه في كل سنة مئة ألف ، فحبسها عنه معاوية في إحدى السنين ، فأضاق إضاقة شديدة ، قال : فدعوت بدواة لأكتب إلىٰ معاوية لأذكره نفسي ، ثم أمسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : « كيف أنت يا حسن ؟ » فقلت : بخير يا أبت ، وشكوت إليه تأخر المال عني ، فقال : « أدعوت بدواة لتكتب إلىٰ مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟! » فقلت : نعم يا رسول الله ، فكيف أصنع ؟

فقال : « قل : اللهم ؛ اقذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائي عمن سواك حتىٰ لا أرجو أحداً غيرك ، اللهم ؛ وما ضعفت عنه قوتي ، وقصر عنه عملي ، ولم تنته إليه رغبتي ، ولم تبلغه مسألتي ، ولم يجر علىٰ لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين . . فخصني به يا رب العالمين » .

قال : فوالله ؛ ما ألححت به أسبوعاً حتىٰ بعث إليَّ معاوية بألف ألف وخمس مئة ألف ، فقلت : الحمد لله الذي لا ينسىٰ من ذَكَره ، ولا يخيب من دعاه .

فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال : « يا حسن ؛ كيف أنت ؟ » فقلت : بخير يا رسول الله ، وحدثته حديثي ، فقال : « يا بني ؛ هٰكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق »[2] .

[نصحه لأخيه الحسين وتثبيت الحسين له رضي الله عنهما]

وفي « الطيوريات » عن سليم بن عيسىٰ قارىء أهل الكوفة قال : (لما

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٨٦) .
(٢) تاريخ دمشق (١٣/ ١٦٧) من طريق البيهقي .

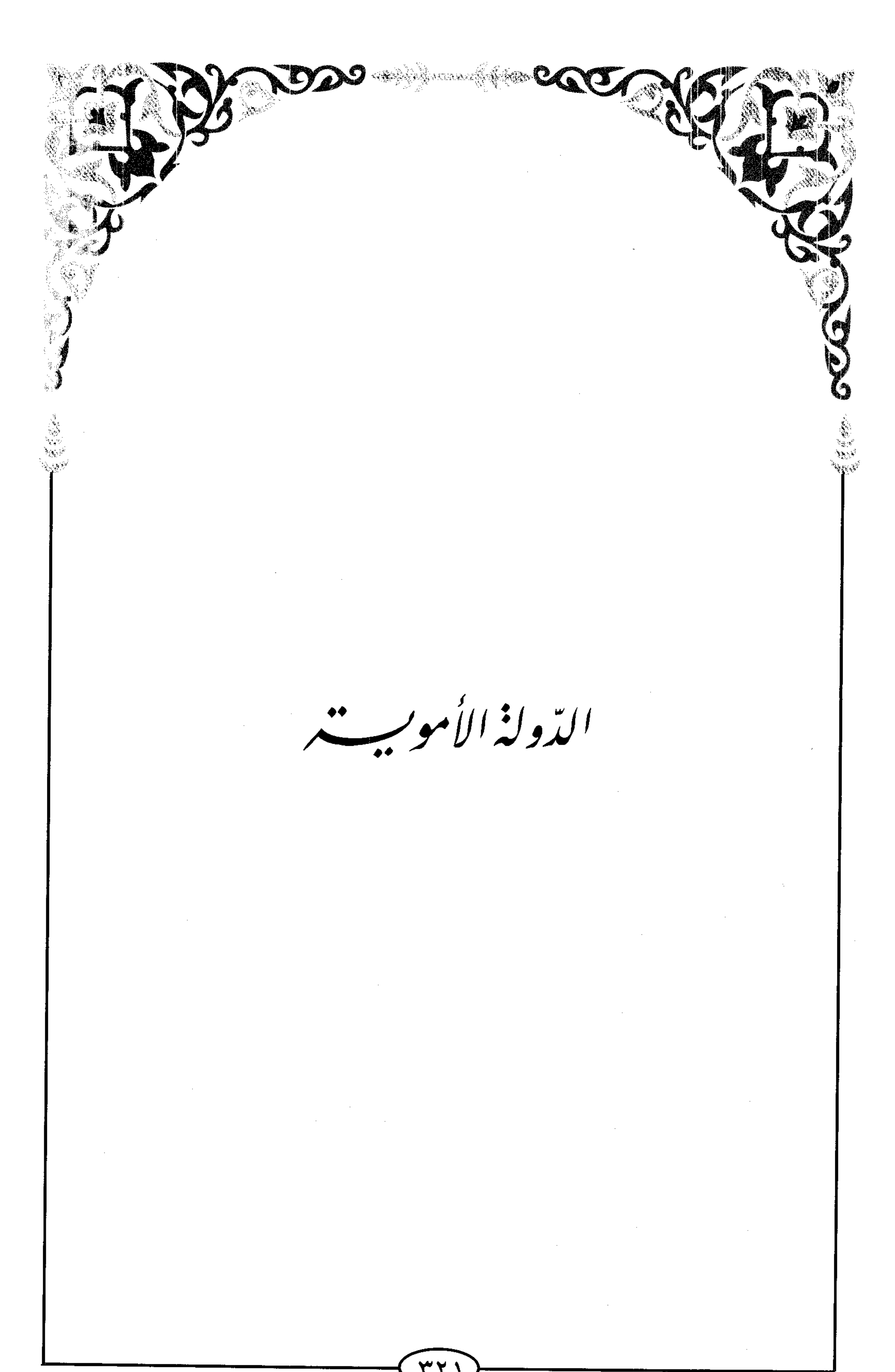
حضرت الحسن الوفاة . . جزع ، فقال له الحسين : يا أخي ؛ ما هـٰذا الجزع ؟! إنك ترد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىٰ علي ؛ وهما أبواك ، وعلىٰ خديجة وفاطمة ؛ وهما أماك ، وعلى القاسم والطاهر ؛ وهما خالاك ، وعلىٰ حمزة وجعفر ؛ وهما عماك .

فقال له الحسن : أَي أخي ؛ إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرىٰ خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط)[1] .

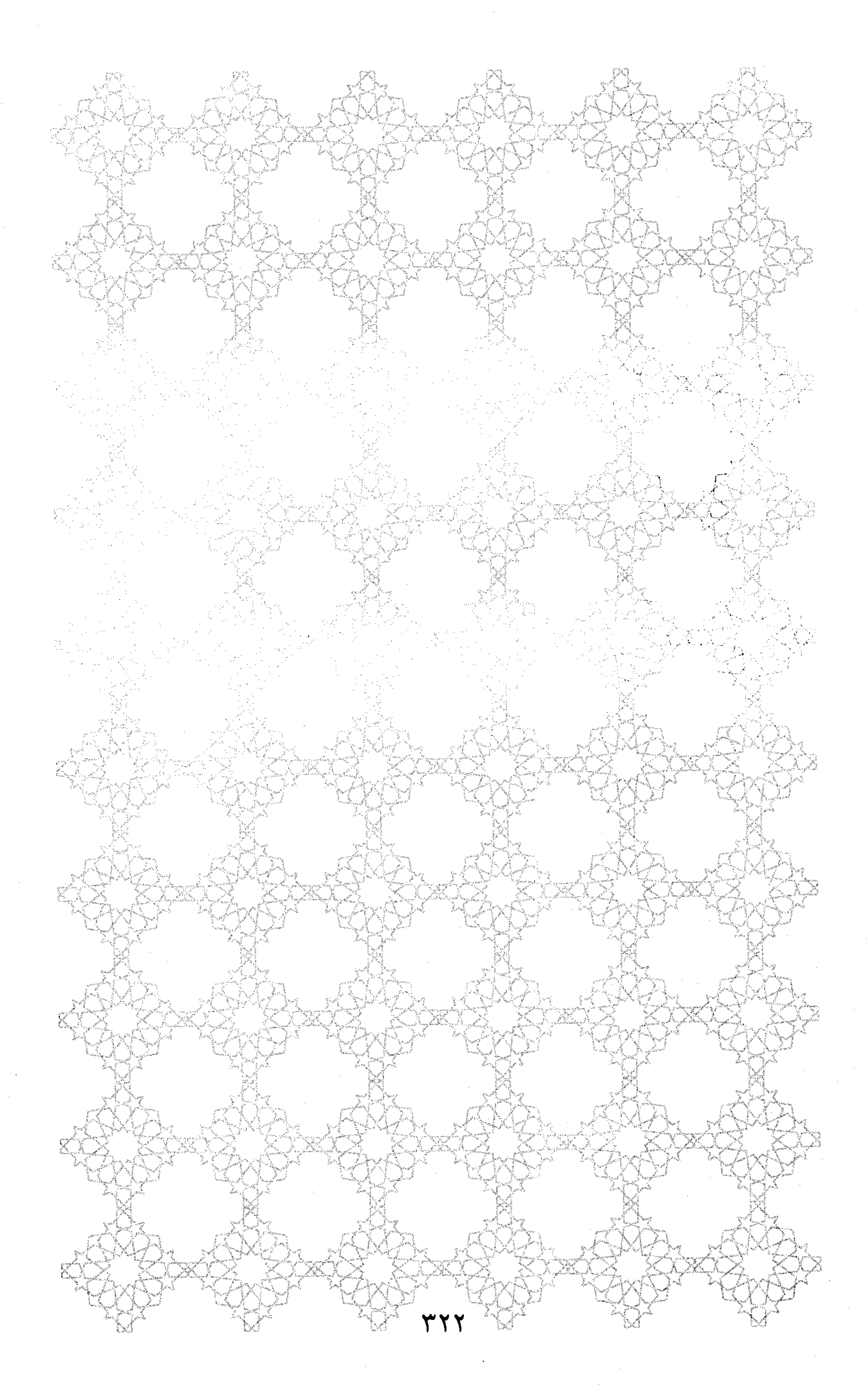
قال ابن عبد البر : وروينا من وجوه : (أنه لما احتضر . . قال لأخيه : يا أخي ؛ إن أباك استشرف لهـٰذا الأمر فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، ثم استشرف لها ، فصُرفت عنه إلىٰ عمر ، ثم لم يشكَّ وقت الشورىٰ أنها لا تعدوه ، فصُرفت عنه إلىٰ عثمان ، فلما قتل عثمان . . بويع ، ثم نوزع حتىٰ جرَّد السيف فما صفت له ، وإني والله ؛ ما أرىٰ أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة ، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت إلىٰ عائشة رضي الله عنها أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : نعم ، فإذا مت . . فاطلب ذلك إليها ، وما أظن القوم إلا سيمنعونك ، فإن فعلوا . . فلا تراجعهم ، فلما مات . . أتى الحسين عائشة رضي الله عنها ، فقالت : نعم وكرامة ، فمنعهم مروان ، فلبس الحسين ومن معه السلاح حتىٰ ردَّه أبو هريرة ، ثم دفن في البقيع إلىٰ جنب أمه رضي الله عنهما)[2] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٢٨٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٤/ ٤٠) .



الدّولة الأمويّة



خلافة معاوية بن أبي سفيان
رضي الله عنهما
[٤١ـ٦٠هـ][1]

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قصي الأموي ، أبو عبد الرحمـٰن .

أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه ، وكان أحد الكُتَّاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث وثلاثة وستون حديثاً .

روىٰ عنه من الصحابة : ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبو الدرداء[2] ، وجرير البَجَلي ، والنعمان بن بشير وغيرهم .

ومن التابعين : ابن المسيب ، وحميد بن عبد الرحمـٰن وغيرهما .

[وصفه وما ورد في فضله رضي الله عنه]

وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم ، وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت .

أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمـٰن بن أبي عُميرة الصحابي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية : « اللهمَّ ؛ اجعَلْه هَادِياً مَهْدِياً »[3] .

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٦/ ١٥) ، و« تاريخ الطبري » (٥/ ٣٢٣) ، و« مروج الذهب » (٣/ ١٨٨) ، و« معرفة الصحابة » لأبي نعيم (٥/ ٢٤٩٦) ، و« تاريخ بغداد » (١/ ٢٠٧) ، و« تاريخ دمشق » (٥٩/ ٥٥) ، و« المنتظم » (٥/ ١٨٥) ، و« الكامل في التاريخ » (٤/ ٥) ، و« أسد الغابة » (٥/ ٢٠٩) ، و« تهذيب الكمال » (٢٨/ ١٧٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤/ ٣٠٦) ، و« البداية والنهاية » (٨/ ١١٧) ، و« الإصابة » (٣/ ٤١٢) .

(٢) اسمه : عويمر بن زيد بن قيس .

(٣) سنن الترمذي (٣٨٤٢) .

وأخرج أحمد في « مسنده » عن العرباض بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمَّ ؛ علِّم معاويةَ الكتابَ والحسابَ ، وقِهِ العذابَ »[1] .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » ، والطبراني في « الكبير » عن عبد الملك بن عُمير قال : قال معاوية : ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاويةُ ؛ إذا ملَكْتَ . . فأحْسِن »[2] .

وكان معاوية رجلاً طويلاً أبيض ، جميلاً مهيباً .

وكان عمر ينظر إليه فيقول : (هـٰذا كسرى العرب)[3] .

وعن علي قال : (لا تكرهوا إمرة معاوية ؛ فإنكم لو فقدتموه . . لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها)[4] .

وقال المقبري : (تعجبون من دهاء هرقل وكسرىٰ وتدعون معاوية ؟!)[5] .

وكان يضرب بحلمه المثل ، وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية .

قال ابن عون : (كان الرجل يقول لمعاوية : والله ؛ لتستقيمن بنا يا معاوية ، أو لنقوِّمنك ، فيقول : بماذا ؟ فيقولون : بالخشب ، فيقول : إذن نستقيم)[6] .

وقال قبيصة بن جابر : (صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ، ولا أبطأ جهلاً ، ولا أبعد أناة منه)[7] .

ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام . . سار معاوية مع أخيه يزيد بن

---

(١) مسند أحمد (٤/ ١٢٧) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٣٥٨) ، والمعجم الكبير (١٩/ ٣٦١) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١١٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٣١١) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١٥٢) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٣١١) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١١٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٣١١) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١٨٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٣١٥) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١٨٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٣١٥) .

أبي سفيان ، فلما مات يزيد . . استخلفه علىٰ دمشق ، فأقره عمر ، ثم أقره عثمان وجمع له الشام كله ، فأقام أميراً عشرين سنة ، وخليفة عشرين سنة .

قال كعب الأحبار : (لن يملك أحد هٰذه الأمة ما ملك معاوية)[١] .

قال الذهبي : (توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية ، قال : وصدق كعب فيما نقله ؛ فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض ، بخلاف غيره ممن بعده ؛ فإنه كان لهم مخالف ، وخرج عن أمرهم بعض الممالك)[٢] .

خرج معاوية علىٰ علي ـ كما تقدم ـ وتسمىٰ بالخلافة[٣] ، ثم خرج على الحسن ، فنزل له الحسن عن الخلافة ، فاستقر فيها من ربيع الآخر أو جمادى الأولىٰ ، سنة إحدىٰ وأربعين ، فسُمِّي هٰذا العام : عام الجماعة ؛ لاجتماع الأمة فيه علىٰ خليفة واحد .

وفيه : ولَّىٰ معاوية مروان بن الحكم المدينة[٤] .

وفي سنة ثلاث وأربعين : فتحت الرُّخَّج وغيرها من بلاد سِجِسْتان ، ووَدَّان من برقة ، وكُورا[٥] من بلاد السودان .

وفيها : استلحق معاوية زياد ابن أبيه[٦] ، وهي أول قضية غير فيها حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، ذكره الثعالبي وغيره .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١٧٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٣١٤) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ٣١٥) .
(٣) انظر ما تقدم (ص ٢٩٤) .
(٤) كذا في « تاريخ الإسلام » (٤/ ٨) ، وفي « تاريخ الطبري » (٥/ ١٧٢) ، و« البداية والنهاية » (٨/ ٢٥) : أنه كان في سنة (٤٢هـ) .
(٥) كذا في (أ ، ب ، د ، هـ ، و) ، وفي (ج) : (كور) . وجاء في « معجم البلدان » (٤/ ٤٨٦) : (أن التي افتتحها عقبة بن عامر هي « كُوَار » قال : هي إقليم من بلاد السودان جنوب فزان) ، وانظر « فتوح مصر » (ص ٣٣١) .
(٦) جاء خبر الاستلحاق عند الطبري (٥/ ٢١٤) ، وفي « المنتظم » (٥/ ٢١٠) ، و« الكامل في التاريخ » (٣/ ٢٩٩) ، و« البداية والنهاية » (٨/ ٢٩) : (أنه في سنة « ٤٤هـ ») .

وفي سنة خمس وأربعين : فتحت القِيقان .

* * *

وفي سنة خمسين : فتحت قُهُستان عنوة[1] .

وفيها : دعا معاوية أهل الشام إلى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد فبايعوه[2] ، وهو أول من عهد بالخلافة لابنه ، وأول من عهد بها في صحته .

ثم إنه كتب إلىٰ مروان بالمدينة أن يأخذ البيعة له ، فخطب مروان فقال : (إن أمير المؤمنين رأىٰ أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنَّة أبي بكر وعمر) .

فقام عبد الرحمـٰن بن أبي بكر الصديق فقال : (بل سنة كسرىٰ وقيصر ، إن أبا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما ولا في أحد من أهل بيتهما) .

[أخذ البيعة ليزيد]

ثم حج معاوية سنة إحدىٰ وخمسين ، وأخذ البيعة لابنه ، فبعث إلى ابن عمر فتشهد وقال : (أما بعد : يا بن عمر ؛ إنك كنت تحدثني أنك لا تحب تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير ، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، أو تسعىٰ في فساد ذات بينهم) .

فحمد ابن عمر الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : (أما بعد : فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ، ليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ؛ ولـٰكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار ، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين ولم أكن لأفعل ، إنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا علىٰ أمر . . فإنما أنا رجل منهم) ، فقال : (يرحمك الله) فخرج ابن عمر .

ثم أرسل إلى ابن أبي بكر ، فتشهد ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه

---

(١) كذا في « تاريخ الإسلام » (٤/ ٢١) ، وجاء خبر فتحها عند الطبري (٥/ ٢٨٦) ، و« المنتظم » (٥/ ٢٤٣) ، و« الكامل » (٣/ ٣٣٨) في سنة (٥١هـ) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ١٤٧) ، وجاء خبر البيعة عند الطبري (٥/ ٣٠١) ، و« المنتظم » (٥/ ٢٨٥) ، و« الكامل » (٣/ ٣٤٩) ، و« البداية والنهاية » (٨/ ٨٢) في سنة (٥٦هـ) .

وقال : (إنك والله ؛ لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله ، وإنا والله لا نفعل ، والله ؛ لتردَّنَّ هـٰذا الأمر شورىٰ في المسلمين ، أو لنفرقنها عليك جذعة) ثم وثب ومضىٰ .

فقال معاوية : (اللهم ؛ اكفنيه بما شئت ، ثم قال : علىٰ رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن علىٰ أهل الشام ؛ فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتىٰ أخبر العشية أنك قد بايعت ، ثم كن بعد علىٰ ما بدا لك من أمرك) .

ثم أرسل إلى ابن الزبير ، فقال : (يا بن الزبير ؛ إنما أنت ثعلب رواغ ، كلما خرج من جُحر . . دخل آخر ، وإنك عمدت إلىٰ هـٰذين الرجلين ، فنفخت في مناخرهما ، وحملتهما علىٰ غير رأيهما) .

فقال ابن الزبير : (إن كنت قد مللت الإمارة . . فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه ، أرأيت إذا بايعتُ ابنك معك . . لأيكما نسمع ونطيع ؟ لا نجمع البيعة لكما أبداً) ثم راح .

وصعد معاوية المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : (إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار ، زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد ، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له) .

فقال أهل الشام : والله ؛ لا نرضىٰ حتىٰ يبايعوا له علىٰ رؤوس الأشهاد ، وإلا . . ضربنا أعناقهم .

فقال : (سبحان الله !! ما أسرع الناس إلىٰ قريش بالشر !! لا أسمع هـٰذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم) ثم نزل .

فقال الناس : بايع ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير ، وهم يقولون : لا والله [ما بايعنا] ، فيقول الناس : بلىٰ ، وارتحل معاوية ، فلحق بالشام[١] .

وعن ابن المنكدر قال : (قال ابن عمر حين بويع يزيد : إن كان خيراً . . رضينا ، وإن كان بلاء . . صبرنا)[٢] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤/١٤٨ـ ١٥٠) وما بين معقوفين زيادة منه .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٤/ ١٧٠) .

[قصة أم معاوية وزواجها بأبي سفيان رضي الله عنهم]

وأخرج الخرائطي في « الهواتف » عن حميد بن وهب قال : (كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا البيت ذات يوم ، فقام الفاكه وهند فيه ، ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته ، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه ، فلما رأى المرأة . . ولىٰ هارباً ، فأبصره الفاكه ، فانتهىٰ إليها فضربها برجله ، وقال : من هٰذا الذي كان عندك ؟ .

قالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتىٰ أنبهتني ، فقال لها : اِلحقي بأهلك ، وتكلم فيها الناس .

فخلا بها أبوها فقال لها : يا بنية ؛ إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بذاك ؛ فإن يكن الرجل صادقاً . . دسّيت إليه من يقتله فتنقطع عنا القالة ، وإن يكن كاذباً . . حاكمته إلىٰ بعض كهان اليمن .

قال : فحلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية أنه كاذب عليها .

فقال عتبة للفاكه : إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فحاكمني إلىٰ بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن ، فلما شارفوا البلاد . . تنكرت حال هند وتغير وجهها .

فقال لها أبوها : يا بنية ؛ إني قد أرىٰ ما بك من تغير الحال ؛ وما ذاك إلا لمكروه عندك ؟! قالت : لا والله يا أبتاه ؛ وما ذاك لمكروه ، ولٰكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ، فلا آمنه أن يسمني بسيما تكون عليَّ سبة في العرب .

فقال لها : إني سوف أختبره لك قبل أن ينظر في أمرك ، فصفر لفرسه حتىٰ أدلىٰ ، ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير ، وصبَّحوا الكاهن ، فنحر لهم وأكرمهم .

فلما تغدوا . . قال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر ، وقد خبأت لك خبئاً أختبرك

به ، فانظر ما هو ؟ قال : برة في كمرة ، قال : أريد أبين من هـٰذا ، قال : حبة من بر في إحليل مهر .

فقال عتبة : صدقت ، انظر في أمر هـٰؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول : انهضي حتىٰ دنا من هند فضرب كتفها وقال : انهضي غير وسخاء ولا زانية ، ولتلدِنَّ ملكاً يقال له : معاوية .

فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فنثرت يدها من يده وقالت : إليك ، فالله ؛ لأحرصن أن يكون ذلك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فجاءت بمعاوية)[1] .

[وفاة سيدنا معاوية ووصيته رضي الله عنه]

مات معاوية في رجب سنة ستين ، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير ، وقيل : إنه عاش سبعاً وسبعين سنة .

وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلامة أظفاره ، فأوصىٰ أن تجعل في فمه وعينيه ، وقال : (افعلوا ذلك ، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين)[2] .

فصل
في نبذ من أخباره

أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن سعيد بن جُمهان قال : (قلت لسفينة : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم ؟ قال : كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوك من أشد الملوك ، وأول الملوك معاوية)[3] .

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن إبراهيم بن سويد الأرمني قال : (قلت لأحمد ابن حنبل : من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، قلت :

---

(١) هواتف الجنان (ص ٧٤ـ٧٦) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ٢٢٩) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١٥٧) ، وأخرجه الترمذي (٢٢٢٦) .

فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي)[1] .

وأخرج السلفي في « الطيوريات » عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال : (سألت أبي عن علي ومعاوية ، فقال : اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ، ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا ، فجاؤوا إلىٰ رجل قد حاربه وقاتله فأطْرَوه كياداً منهم له) .

[محاورة جارية بن قدامة لسيدنا معاوية رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عُمير قال : (قدم جاريةُ بن قدامة السعدي علىٰ معاوية ، فقال : من أنت ؟ قال : جارية بن قدامة ، قال : وما عسيت أن تكون ؟ هل أنت إلا نحلة ؟ قال : لا تفعل ؛ فقد شبهتني بها حامية اللسعة ، حلوة البساق ، والله ؛ ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب ، وما أمية إلا تصغير أمة)[2] .

وأخرج عن الفضل بن سويد قال : (وفد جارية بن قدامة علىٰ معاوية ، فقال له معاوية : أنت الساعي مع علي بن أبي طالب ، والموقد النار في شعلك ، تجوس قرىً عربية تسفك دماءهم ؟

قال جارية : يا معاوية ؛ دع عنك علياً ، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ، ولا غششناه منذ نصحناه[3] .

قال : ويحك يا جارية !! ما كان أهونك علىٰ أهلك إذ سموك جارية .

قال : أنت يا معاوية كنت أهون علىٰ أهلك ؛ إذ سموك معاوية ، قال : لا أم لك .

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/١٣٨) من طريق البيهقي ، وزاد في آخره : (ورحم الله معاوية ، قال البيهقي : هـٰكذا وجدته في الكتاب وعليه « صح » يعني دعاءه) .

(٢) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٥/ ٣٦٥) لابن منظور ، وأورده المزي في « تهذيب الكمال » (٤/ ٤٨٢) .

(٣) في (ج) : (صحبناه) .

قال : أم ما ولدتني ، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا !!
قال : إنك لتهددني ؟!

قال : إنك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ، ولٰكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق ، فإن وفيت لنا . . وفينا لك ، وإن ترغب إلىٰ غير ذلك . . فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً ، وأدرعاً شداداً ، وأسنة حداداً ؛ فإن بسطت إلينا فتراً من غدر . . دلفنا إليك بباع من خَتْر .

قال معاوية : لا أكثر الله في الناس أمثالك)[1] .

وأخرج عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي : أنه دخل علىٰ معاوية ، فقال له معاوية : ألست من قتلة عثمان ؟ قال : لا ، ولٰكني ممن حضره فلم ينصره ، قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فقال معاوية : أما لقد كان حقه واجباً عليهم أن ينصروه ، قال : فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام ؟ فقال معاوية : أما طلبي بدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل ثم قال : أنت وعثمان كما قال الشاعر : [من البسيط]

لا أَلفينَّك بعد الموتِ تندُبُني وفي حَياتيَ ما زوَّدتني زادي[2]

[أولياته رضي الله عنه]

وقال الشعبي : (أول من خطب الناس قاعداً : معاوية ؛ وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه) أخرجه ابن أبي شيبة[3] .

وقال الزهري : (أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد : معاوية) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه »[4] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٥/ ٣٦٥) لابن منظور ، وأورده المزي في « تهذيب الكمال » (٤/ ٤٨٢) ، والختر : الغدر .
(٢) تاريخ دمشق (٢٦/ ١١٦) ، والبيت لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص١٨٧) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٥٢٣٦) ، واللفظ من « تاريخ دمشق » (٥٩/ ٢٠٢) .
(٤) مصنف عبد الرزاق (٥٦٤٦) .

وقال سعيد بن المسيب : (أول من أحدث الأذان في العيد : معاوية) أخرجه ابن أبي شيبة[١] .

وقال : (أول من نقص التكبير : معاوية) أخرجه ....[٢] .

وفي « الأوائل » للعسكري قال : (معاوية أول من وضع البريد في الإسلام[٣] ، وأول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته[٤] ، وأول من عبثت به رعيته[٥] ، وأول من قيل له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله[٦] ، وأول من اتخذ ديوان الخاتم ، وولاه عبيد الله بن أوس الغساني ، وسلم إليه الخاتم ، وعلىٰ فصِّه : لكل عمل ثواب ، واستمر ذلك في الخلفاء العباسيين إلىٰ آخر وقت ، وسبب اتخاذه له : أنه أمر لرجل بمئة ألف ، ففك الكتاب وجعله مئتي ألف ، فلما رفع الحساب إلىٰ معاوية . . أنكر ذلك ، واتخذ ديوان الخاتم من يومئذ[٧] ، وهو أول من اتخذ المقصورة بالجامع[٨] ، وأول من أَذِن في تجريد الكعبة ، وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئاً فوق شيء .

وأخرج الزبير بن بكار في « الموفقيات » عن ابن أخي الزهري قال : (قلت للزهري : من أول من استحلف في البيعة ؟ قال : معاوية استحلفهم بالله ، فلما كان عبد الملك بن مروان . . استحلفهم بالطلاق والعتاق) .

وأخرج العسكري في كتاب « الأوائل » عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال : (قدم معاوية مكة أو المدينة ، فأتى المسجد ، فقعد في حلقةٍ فيها : ابن عمر ، وابن عباس ، وعبد الرحمـٰن بن أبي بكر ، فأقبلوا عليه وأعرض ابن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٩٠٥) .
(٢) كذا في النسخ بياض ، والخبر أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/٢٠٣) .
(٣) الأوائل (ص ١٦٢) .
(٤) الأوائل (ص ١٦٨) .
(٥) الأوائل (ص ١٦٤) .
(٦) الأوائل (ص ١٦٦) .
(٧) الأوائل (ص ٦٩ـ ٧٠) .
(٨) الأوائل (ص ١٦٣) .

عباس ، فقال : وأنا أحق بهـٰذا الأمر من هـٰذا المعرض وابن عمه .

فقال ابن عباس : ولم ؟ التقدم في الإسلام ، أم سابقة مع رسول الله ، أم قرابة منه ؟

قال : لا ؛ ولـٰكن ابن عم المقتول ، قال : فهـٰذا أحق به ـ يريد ابن أبي بكر ـ قال : إن أباه مات موتاً ؟ قال : فهـٰذا أحق به ـ يريد ابن عمر ـ قال : إن أباه قتله كافر ، قال : فذاك أدحض لحجتك أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه)[١] .

[معاتبته للأنصار وردهم عليه رضي الله عنهم]

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : قدم معاوية المدينة فلقيه أبو قتادة الأنصاري ، فقال معاوية : تلقَّاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار ؟

قال : لم يكن لنا دواب ، قال : فأين النواضح ؟ قال : عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر .

ثم قال أبو قتادة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا : « إنَّكم سَتَرون بَعدِي أَثَرة » قال معاوية : فما أمَرَكم ؟ قال : أمرنا أن نصبر ، قال : فاصبروا ، فبلغ ذلك عبد الرحمـٰن بن حسان بن ثابت فقال : [من الوافر]

ألا أَبلِـغ مُعـاويـةَ بـنَ حـربٍ ... أميـرَ المـؤمنيـن نَثَـا كَـلامِـي[٢]
فـإنَّـا صَـابِـرُون ومُنظِـروكـم ... إلـىٰ يـومِ التَّغـابُـن والخِصـامِ[٣]

[سياسة سيدنا معاوية رضي الله عنه]

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن جبلة بن سُحيم قال : دخلت علىٰ معاوية بن أبي سفيان وهو في خلافته وفي عنقه حبل وصبي يقوده ، فقلت :

---

(١) الأوائل (ص ٣١) .
(٢) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٣) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٩٩٠٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/٢٩٦) .

يا أمير المؤمنين ؛ أتفعل هـٰذا ؟ قال : يا لكع !! اسكت ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن كان له صَبيٌّ . . فَلَيَتصابَ له » ، قال ابن عساكر : غريب جداً[1] .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن الشعبي قال : دخل شاب من قريش علىٰ معاوية فأغلظ له ، فقال له : (يا بن أخي ؛ أنهاك عن السلطان ، إن السلطان يغضب غضب الصبي ، ويأخذ أخذ الأسد)[2] .

وأخرج عن الشعبي قال : (قال زياد : استعملت رجلاً فكثر خراجه ، فخشي أن أعاقبه ففر إلىٰ معاوية ، فكتبت إليه : إن هـٰذا أدب سوء لمن قبلي .

فكتب إلي : أنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس سياسة واحدة : أن نلين جميعاً فيمرح الناس في المعصية ، ولا أن نشد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ؛ ولـٰكن تكون للشدة والفظاظة ، وأكون أنا للين والرأفة)[3] .

وأخرج عن الشعبي قال : سمعت معاوية يقول : (ما تفرقت أمة قط إلا ظهر أهل الباطل علىٰ أهل الحق ، إلا هـٰذه الأمة)[4] .

[ثلاثة أبيات بثلاث مئة ألف]

وفي « الطيوريات » عن سليمان المخزومي قال : (أذن معاوية للناس إذناً عاماً ، فلما احتفل المجلس . . قال : أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه ، فسكتوا ، ثم طلع عبد الله بن الزبير فقال : هـٰذا مِقْولُ العرب وعلاَّمتها ، أبا خبيب .

قال : مَهْيَم ؟ قال : أنشِدْني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه ، قال : بثلاث مئة ألف .

---

(١) العيال (٢٣٤) ، ولم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٥/ ٣٧٤) لابن منظور .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١٩٤) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١٩٥) .
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١٩٦) .

قال : وتساوي ؟ قال : أنت بالخيار وأنت واف كاف ، قال : هات ، فأنشده للأفوه الأودي : [من الوافر]

بلَـوْت النـاس قَـرْنـاً بعـد قَـرْن فلـــم أرَ غيـــر ختَّـــالٍ وقـــالِ

قال : صدق هِيه ، قال :

ولم أر في الخطوبِ أشدَّ وقعاً وأصعـبَ مـن مُعـاداة الـرجـالِ

قال : صدق هِيه ، قال :

وذقـــتُ مَـــرارة الأشيـــاء طُـــرّاً فمـــا طعـــمٌ أمـــرَّ مـــن الســـؤالِ

قال : صدق ، ثم أمر له بثلاث مئة ألف)[1] .

[خطبة مروان بالمدينة لاستخلاف يزيد]

وأخرج البخاري ، والنسائي ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » واللفظ له من طرق : أن مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قِبَل معاوية فقال : (إن الله قد أرىٰ أمير المؤمنين في ولده يزيد رأياً حسناً ، وإن يستخلفه . . فقد استخلف أبو بكر وعمر ـ وفي لفظ : سنة أبي بكر وعمر ـ فقال عبد الرحمـٰن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر ، إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ، ولا أحد من أهل بيته ، ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده .

فقال مروان : ألست الذي قال لوالديه : أف لكما ؟! فقال عبد الرحمـٰن : ألست ابن اللعين الذي لعن أباك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟!

فقالت عائشة رضي الله عنها : كذب مروان ، ما فيه نزلت ؛ ولـٰكن نزلت في فلان بن فلان ، ولـٰكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروانُ في صلبه ؛ فمروان يفيض من لعنة الله)[2] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٨/١٩٨) ، والجريري في « الجليس الصالح » (٣/٣٤٧ـ ٣٤٨) ، والأبيات في « ديوانه » (ص١٠٤) ، ومَهْيَم : كلمة يستفهم بها ، معناها : ما حالك وما شأنك ؟ .
(٢) البخاري (٤٨٢٧) ، والنسائي (١١٤٩١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن عروة قال : قال معاوية : (لا حلم إلا التجارب)[1] .

[دهاة العرب أربعة وكذا قضاتها]

وأخرج ابن عساكر عن الشعبي قال : (دهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو بن العاصي ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد ، فأما معاوية. . فللحلم والأناة ، وأما عمرو. . فللمعضلات ، وأما المغيرة. . فللمبادهة ، وأما زياد. . فللكبير والصغير)[2] .

وأخرج أيضاً عنه قال : (كان القضاة أربعة والدهاة أربعة ، فأما القضاة : فعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأما الدهاة : فمعاوية ، وعمرو بن العاصي ، والمغيرة ، وزياد)[3] .

[صحبة الرجال]

وأخرج عن قَبيصة بن جابر قال : (صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أقرأ لكتاب الله ، ولا أفقه في دين الله منه ، وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطىٰ لجزيل مال عن غير مسألة منه ، وصحبت معاوية فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ، ولا أبطأ جهلاً ، ولا أبعد أناة منه ، وصحبت عمرو بن العاصي فما رأيت رجلاً أنصع طرفاً ، ولا أحلم جليساً منه ، وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر . . لخرج من أبوابها كلها)[4] .

[من الأجوبة المسكتة]

وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال : أن عقيل بن أبي طالب سأل علياً

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٦١٣٦) .
(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ١٨٢) ، وزياد : هو المعروف بزياد ابن أبيه .
(٣) تاريخ دمشق (١٩/ ١٨٢) .
(٤) تاريخ دمشق (١٩/ ١٨٢ـ١٨٣) .

فقال : (إني محتاج وإني فقير فأعطني ، قال : اصبر حتىٰ يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألحَّ عليه ، فقال لرجل : خذ بيده فانطلق به إلىٰ حوانيت أهل السوق فقل : دق هٰذه الأقفال ، وخذ ما في هٰذه الحوانيت .

قال : تريد أن تتخذني سارقاً ؟! قال : وأنت تريد أن تتخذني سارقاً أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم ؟!

قال : لآتين معاوية ، قال : أنت وذاك ، فأتىٰ معاوية فسأله فأعطاه مئة ألف ، ثم قال : اصعد المنبر ؛ فاذكر ما أولاك علي وما أوليتك ، فصعد فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إني أخبركم أني أردت علياً علىٰ دينه فاختار دينه ، وأني أردت معاوية علىٰ دينه فاختارني علىٰ دينه)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن عقيلاً دخل علىٰ معاوية ، فقال معاوية : (هٰذا عقيل وعمه أبو لهب ، فقال عقيل : هٰذا معاوية وعمته حمالة الحطب)[2] .

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال : (دخل خُريم بن فَاتِك علىٰ معاوية ومئزره مشمَّر ، وكان حسن الساقين ، فقال معاوية : لو كانت هاتان الساقان لامرأة ، فقال خُريم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين)[3] .

[من مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام معاوية من الأعلام : صفوان بن أمية ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وصفية ، وميمونة ، وسودة ، وجويرية ، وعائشة أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ، ولبيد الشاعر ، وعثمان بن طلحة الحَجَبي ، وعمرو بن العاصي ، وعبد الله بن سلام الحَبر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ، وأبو بكرة ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شعبة ، وجرير البَجَلي ،

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٢١ـ ٢٢) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٢٣) .
(٣) تاريخ دمشق (١٦/ ٣٥٣) .

وأبو أيوب الأنصاري ، وعمران بن حُصين ، وسعيد بن زيد ، وأبو قتادة الأنصاري ، وفَضَالة بن عبيد ، وعبد الرحمـٰن بن أبي بكر الصديق ، وجُبير بن مُطْعِم ، وأسامة بن زيد ، وثوبان ، وعمرو بن حزم ، وحسان بن ثابت ، وحكيم بن حزام ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو اليَسَر ، وقُثَم بن العباس ، وأخوه عبيد الله ، وعقبة بن عامر ، وأبو هريرة[1] في سنة تسع وخمسين ـ وكان يدعو : (اللهم ؛ إني أعوذ بك من رأس الستين ، وإمارة الصبيان)[2] فاستجيب له ـ وخلائق آخرون رضي الله عنهم .

---

(١) اسمه : عبد الرحمـٰن بن صخر ، وقيل غير ذلك علىٰ أقوال كثيرة .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٦) نحوه ، والطبراني في « الأوسط » (١٤١٩) .

خلافة يزيد بن معاوية

[٦٠ـ ٦٣هـ][1]

أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمس أو ست وعشرين ، وكان ضخماً كثير اللحم ، كثير الشعر ، وأمه : ميسون بنت بَحْدل الكلبية .

روىٰ عن أبيه ، وعنه : ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان .

جعله أبوه ولي عهده ، وأكره الناس علىٰ ذلك ، كما تقدم[2] .

قال الحسن البصري : (أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاصي يوم أشار علىٰ معاوية برفع المصاحف ، فحملت وقال : أين القراء ؟ فحكَّم الخوارج ، فلا يزال هـٰذا التحكيم إلىٰ يوم القيامة .

والمغيرة بن شعبة ؛ فإنه كان عامل معاوية على الكوفة ، فكتب إليه معاوية : إذا قرأت كتابي هـٰذا . . فأقبل معزولاً ، فأبطأ عنه ، فلما ورد عليه . . قال : ما أبطأ بك ؟ قال : أمر كنتُ أوطئه وأهيئه ، قال : وما هو ؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك ، قال : أوفعلت ؟ قال : نعم ، قال : ارجع إلىٰ عملك ، فلما خرج . . قال له أصحابه : ما وراءك ؟ قال : وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلىٰ يوم القيامة ، قال الحسن : فمِن أجل ذلك بايع هـٰؤلاء لأبنائهم ، ولولا ذلك . . لكانت شورىٰ إلىٰ يوم القيامة)[3] .

وقال ابن سيرين : (وفد عمرو بن حزم إلىٰ معاوية فقال له : أذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمن تستخلف عليها ، فقال : نصحت وقلت

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٥/ ٤٩٩) ، و« مروج الذهب » (٣/ ٢٦٢) ، و« تاريخ دمشق » (٦٥/ ٣٩٤) ، و« المنتظم » (٥/ ٣٢٢) ، و« الكامل » (٤/ ١٢٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٥/ ٢٦٩) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٣٢٧) ، و« مرآة الجنان » (١/ ١٣٩) ، و« البداية والنهاية » (٨/ ٢٢٦) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٣٢٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٢) .

برأيك ؛ وإنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم ، وابني أحق)[1] .

وقال عطية بن قيس : خطب معاوية فقال : (اللهم ؛ إن كنتُ إنما عهدتُ ليزيد لما رأيتُ من فضله . . فبلِّغه ما أمَّلت وأعنه ، وإن كنتُ إنما حملني حب الوالد لولده ، وإنه ليس لما صنعتُ به أهلاً . . فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك) ، فلما مات معاوية . . بايعه أهل الشام ، ثم بعث إلىٰ أهل المدينة من يأخذ له البيعة ، فأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعا ، وخرجا من ليلتهما إلىٰ مكة .

[خروج سيدنا الحسين رضي الله عنه إلى العراق]

فأما ابن الزبير . . فلم يبايع ولا دعا إلىٰ نفسه ، وأما الحسين . . فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبىٰ ، فلما بويع يزيد . . أقام علىٰ ما هو مهموماً يجمع الإقامة مرة ، ويريد المسير إليهم أخرىٰ ، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج ، وكان ابن عباس يقول له : (لا تفعل)[2] .

وقال له ابن عمر : (لا تخرج ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ولا تنالها ـ يعني الدنيا ـ فاعتنقه وبكىٰ وودَّعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بالخروج ، ولعمري ؛ لقد رأىٰ في أبيه وأخيه عبرة)[3] .

وكلَّمه في ذلك أيضاً جابر بن عبد الله ، وأبو سعيد ، وأبو واقد الليثي وغيرهم ، فلم يطع أحداً منهم ، وصمَّم على المسير إلى العراق ، فقال له ابن عباس : (والله ؛ إني لأظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان) فلم يقبل منه ، فبكى ابن عباس وقال : (أقررت عين ابن الزبير) .

ولما رأى ابن عباس عبد الله بن الزبير . . قال له : (قد أتىٰ ما أحببت ؛ هـٰذا

---

(١) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٢) .
(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ٧) .
(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ٨) .

الحسين يخرج ويتركك والحجاز) ثم تمثل : [من الرجز]

يـــا لـــك مـــن قنبـــرة بمعمـــر   خـلا لك الجـو فبيضـي واصفـري

ونقري ما شئت أن تنقري[1]

[خذلان أهل العراق واستشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه]

وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالاً ونساء وصبياناً ، فكتب يزيد إلىٰ واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله ، فوجه إليه جيشاً أربعة آلاف عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله ، فلما أرهقه السلاح . . عرض عليهم الاستسلام والرجوع ، أو المضي إلىٰ يزيد فيضع يده في يده ، فأبوا إلا قتله ، فقتل وجيء برأسه في طست حتىٰ وضع بين يدي ابن زياد ، لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضاً .

وكان قتله بكربلاء ، وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل معه ستة عشر رجلاً من آل بيته[2] .

ولما قتل الحسين . . مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة ، والكواكب يضرب بعضها بعضاً[3] .

وكان قتله يوم عاشوراء ، [قتل بكربلاء ، وتعرف أيضاً بالطَّفِّ ، قتله سنان بن أنس النخعي وهو جد شريك القاضي ، ويقال : بل قتله رجل من مذحج ، وقيل : بل قتله شِمْر بن ذي الجوشن وكان أبرص ، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير ، جز رأسه وأتىٰ به عبيد الله بن زياد وقال : [من الرجز]

أَوْقِـــر ركـــابـــي فضـــةً أو ذهبـــا   إنـــي قتلـــتُ الملـــك المحجَّبـــا

(١) الرجز لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص١٢٦) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٢١١/١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/٥) .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٢٢٧/١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (١٥/٥) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١١٤/٣) من حديث عيسى بن الحارث الكندي .

قتلـــتُ خيـر النـــاسِ أمَّــاً وأبــا وخيـــرهـــم إذ ينسبـــون نسبـــا

وقال يحيى بن معين : (أهل الكوفة يقولون : إن الذي قتل الحسين عمر بن سعد بن أبي وقاص ، قال يحيىٰ : كان إبراهيم بن سعد يروي فيه حديثاً أنه لم يقتله عمر بن سعد)[1] .

قال أبو عمر بن عبد البر : (إنما ينسب قتل الحسين إلىٰ عمر بن سعد ؛ لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلىٰ قتال الحسين ، وأمَّر عليهم عمر بن سعد ، ووعده أن يوليه إن ظفر بالحسين وقتله ، وكان في تلك الخيل ـ والله أعلم ـ قوم من بني مضر من اليمن ، والله أعلم)][2] .

وكسفت الشمس ذلك اليوم ، واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ، ثم لا زالت الحمرة ترىٰ فيها بعد ذلك ولم تكن ترىٰ فيها قبله .

وقيل : إنه لم يُقلب حجر ببيت المقدس يومئذ . . إلا وجد تحته دم عبيط ، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ، ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها النيران ، وطبخوها فصارت مثل العلقم ، وتكلم رجل في الحسين بكلمة ، فرماه الله بكوكبين من السماء ، فطمس بصره[3] .

[قصر الإمارة والرؤوس]

قال الثعالبي : (روت الرواة من غير وجه عن عبد الملك بن عمير الليثي قال : رأيت في هـٰذا القصر ـ وأشار إلىٰ قصر الإمارة بالكوفة ـ رأسَ الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد علىٰ ترس ، ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك ، فحدثت بهـٰذا الحديث عبد الملك فتطير منه ، وفارق مكانه)[4] .

---

(١) أورده ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ١٨٤) .
(٢) ما بين معقوفين زيادة من (ب) ، وليست في باقي النسخ ، وانظر « الاستيعاب » (ص ١٨٤) .
(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ١٥ـ١٦) .
(٤) لطائف المعارف (ص ١٤٢) .

[موت سيدنا الحسين ونوح الجن عليه رضي الله عنه]

وأخرج الترمذي عن سلمىٰ قالت : دخلت علىٰ أم سلمة وهي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وعلىٰ رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : « شهدت قتل الحسين آنفاً »[1] .

وأخرج البيهقي في « الدلائل » عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف النهار أشعث أغبر ، وبيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، ما هـٰذا ؟ قال : « هـٰذا دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم » فأُحصي ذلك اليوم فوجدوه قُتل يومئذ[2] .

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن أم سلمة قالت : (سمعت الجن تبكي علىٰ حسين وتنوح عليه)[3] .

وأخرج ثعلب في « أماليه » عن أبي جناب الكلبي قال : أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها : بلغني أنكم تسمعون نَوح الجن ؟ قال : ما تلقىٰ أحداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك ، قلت : فأخبرني ما سمعت أنت ؟ قال : سمعتهم يقولون : [من مجزوء الكامل]

مسَــحَ الــرســولُ جبينَــه ... فلــه بــريــقٌ فــي الخــدودِ
أبــوَاه مــن عَلْيــا قُــريـ ... ـشَ وجــدُّه خيــر الجــدودِ[4]

ولما قتل الحسين وبنو أبيه. . بعث ابن زياد برؤوسهم إلىٰ يزيد ، فسُرَّ بقتلهم أولاً ، ثم ندم لما مقته المسلمون علىٰ ذلك ، وأبغضه الناس ، وحُقَّ لهم أن يبغضوه[5] .

أخرج أبو يعلىٰ في « مسنده » بسند ضعيف عن أبي عبيدة قال : قال

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٧١) .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤٧١) ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٢٨٣) .
(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ١٧) .
(٤) مجالس ثعلب (٢/ ٣٣٩) .
(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٥/ ٢٠) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَزَالُ أمرُ أمَّتي قَائِماً بالقِسْطِ حتىٰ يكونَ أولَ من يَثْلِمُه رجلٌ من بني أمية يقال له : يزيد »[١] .

وأخرج الروياني في « مسنده » عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَولُ مَن يبدِّل سُنَّتي رجلٌ من بني أميةَ يقال له : يزيد »[٢] .

وقال نوفل بن أبي الفرات : (كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر رجل يزيد ، فقال : قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فقال : تقول : أمير المؤمنين ؟! وأُمر به فضُرب عشرين سوطاً)[٣] .

[خروج أهل المدينة علىٰ يزيد ووقعة الحرة]

وفي سنة ثلاث وستين : بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه ، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ، ثم المسير إلىٰ مكة لقتال ابن الزبير ، فجاؤوا ، وكانت وقعة الحرة علىٰ باب طيبة ، وما أدراك ما وقعة الحرة ؟! ذكرها الحسن مرة فقال : (والله ؛ ما كاد ينجو منهم أحد ، قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ، ونهبت المدينة ، وافتض فيها ألف عذراء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٤] .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أَخافَ أهلَ المدينةِ . أَخافَهُ اللهُ ، وعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أَجمعينَ » رواه مسلم[٥] .

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٨٧١) .

(٢) المستدرك الساقط من « مسند الروياني » (٢٥٣) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٧٠٢٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/ ٢٥٠) من حديث سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ١٨٠) و(٥/ ٢٧٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٦) .

(٥) لم نقف عليه عند مسلم بهٰذا اللفظ ؛ ولفظ مسلم (١٣٨٦) : عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أهل هٰذه البلدة بسوء ـ يعني المدينة ـ . . أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » ، ولفظ المتن أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٥٥) من حديث سيدنا السائب بن خلاد رضي الله عنه .

وكان سبب خلع أهل المدينة له : أن يزيد أسرف في المعاصي .

أخرج الواقدي من طرق : أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل قال : (والله ؛ ما خرجنا علىٰ يزيد . . حتىٰ خفنا أن نرمىٰ بالحجارة من السماء : أن رجلاً ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة ؟!)[1] .

قال الذهبي : (ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات . . اشتد عليه الناس ، وخرج عليه غير واحد ، ولم يبارك الله في عمره)[2] .

[محاصرة سيدنا ابن الزبير وموت يزيد]

وسار جيش الحرة إلىٰ مكة لقتال ابن الزبير ، فمات أمير الجيش بالطريق ، فاستخلف عليهم أميراً ، وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير ، وقاتلوه ورموه بالمنجنيق ؛ وذلك في صفر سنة أربع وستين .

واحترقت من شرارة من نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدي به إسماعيل وكانا في السقف ، وأهلك الله يزيد في نصف ربيع الأول من هٰذا العام ، فجاء الخبر بوفاته والقتال مستمر ، فنادى ابن الزبير : (يا أهل الشام ؛ إن طاغيتكم قد هلك) ، فانفلوا وذلوا وتخطفهم الناس .

ودعا ابن الزبير إلىٰ بيعة نفسه وتسمىٰ بالخلافة ، وأما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد ، ولم تطل مدته كما سيأتي[3] .

ومن شعر يزيد : [من المديد]

آبَ هٰذا الهمُّ فاكتنعا ... وأَمَرَّ النومُ فامتنعا[4]

راعياً للنجمِ أرقبُه ... فإذا ما كوكبٌ طَلَعا

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٧/ ٧٠) ، وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ٣٠) .

(٣) انظر ما سيأتي قريباً (ص ٣٤٧) .

(٤) اكتنع الليل : حضر ودنا .

حـــامَ حتـــىٰ إنَّنــي لأرىٰ ... أنــه بـــالغـــور قـــد وقَعَـــا
ولهـــا بـــالمـــاطِـــرُون إذا ... أكـــلَ النمـــلُ الـــذي جمَعَـــا
نـــزهـــةٌ حتـــىٰ إذا بلَغَـــت ... نـــزَلَـــت مـــن جِلَّـــقٍ بِيَعـــا
فـــي قِبـــاب وسْـــط دَسْكـــرة ... حـــولهـــا الـــزيتـــون قـــد ينعـــا[1]

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال : (أبو بكر الصديق أصبتم اسمه ، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ، ابن عفان ذو النورين قتل مظلوماً يؤتىٰ كفلين من الرحمة ، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدسة ، والسفاح وسلام ، ومنصور وجابر ، والمهدي والأمين ، وأمير الغضب . . كلهم من بني كعب بن لؤي ، كلهم صالح لا يوجد مثله)[2] ، قال الذهبي : (له طرق عن ابن عمرو ، ولم يرفعه أحد)[3] .

وأخرج الواقدي عن أبي جعفر الباقر قال : (أول من كسا الكعبة الديباج : يزيد بن معاوية)[4] .

[من مات في عهده]

مات في أيام يزيد من الأعلام سوى الذين قتلوا مع الحسين وفي وقعة الحرة : أم سلمة أم المؤمنين ، وخالد بن عُرْفُطة ، وجَرْهد الأسلمي ، وجابر بن عَتِيك ، وبريدة بن الحُصَيب ، ومسلمة بن مخلد ، وعلقمة بن قيس النَّخَعي الفقيه ، ومسروق ، والمِسور بن مَخْرَمة ، وغيرهم رضي الله عنهم .

وعدة المقتولين بالحرة من قريش والأنصار : ثلاث مئة وستة رجال .

---

(١) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت ، والأبيات في « ديوانه » (ص٨٦ـ ٨٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥/ ٢٧٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٦٥/ ٤٠٩) ؛ وفيه : (وأمير العصب) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٢) .

(٤) انظر « فتح الباري » (٣/ ٤٥٩) .

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

[٦٤هـ][1]

أبو عبد الرحمٰن ، ويقال : أبو يزيد ، ويقال : أبو ليلىٰ ، استخلف بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكان شاباً صالحاً .

ولما استخلف . . كان مريضاً ، فاستمر مريضاً إلىٰ أن مات ، ولم يخرج إلى الناس ، ولا فعل شيئاً من الأمور ، ولا صلىٰ بالناس .

وكانت مدة خلافته أربعين يوماً ، وقيل : شهرين ، وقيل : ثلاثة أشهر .

ومات وله إحدىٰ وعشرون سنة ، وقيل : عشرون .

ولما احتضر . . قيل له : ألا تستخلف ؟ قال : ما أصبت من حلاوتها ، فلِمَ أتحمل مرارتها ؟!

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٥/٥٠٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥٩/٢٩٦) ، و« المنتظم » (٦/٣٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٥/٢٥٠) ، و« البداية والنهاية » (٨/٢٣٧) .

خلافة ابن الزبير
رضي الله عنه

[٦٤ ـ ٧٣هـ][1]

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، كنيته أبو بكر ، وقيل : أبو خُبيب ـ بضم الخاء المعجمة ـ وقيل : أبو بكير ، صحابي بن صحابي .

أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمه : أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، وأم أبيه : صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولد بالمدينة بعد عشرين شهراً من الهجرة ، وقيل : في السنة الأولىٰ ، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً ؛ لأن اليهود كانوا يقولون : سحرناهم فلا يولد لهم ولد ، فحنَّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكَها ، وسماه عبد الله ، وكنَّاه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته .

وكان صوَّاماً قوَّاماً طويل الصلاة ، وَصُولاً للرحم ، عظيم الشجاعة ، قسم الدهر ثلاث ليال : ليلة يصلي قائماً حتى الصباح ، وليلة راكعاً ، وليلة ساجداً حتى الصباح .

روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون حديثاً .

رَوىٰ عنه : أخوه عروة ، وابن أبي مليكة[2] ، وعباس بن سهل ، وثابت

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٦/ ٤٧٣) ، و« الاستيعاب » (ص ٣٩٩) ، و« تاريخ دمشق » (٢٨/ ١٤٠) ، و« أسد الغابة » (٣/ ٢٤٥) ، و« تهذيب الكمال » (١٤/ ٥٠٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٥/ ٤٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٣٦٣) ، و« البداية والنهاية » (٨/ ٣٣٢) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٠١) .

(٢) هو : عبد الله .

البُناني[1] ، وعطاء[2] ، وعَبيدة السَّلْماني[3] ، وخلائق آخرون .

[البيعة لسيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]

وكان ممن أبى البيعة ليزيد بن معاوية ، وفرَّ إلىٰ مكة ولم يدع إلىٰ نفسه ، لـٰكن لم يبايع ، فوجد عليه يزيد وجداً شديداً ، فلما مات يزيد . . بويع له بالخلافة ، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وجدَّد عمارة الكعبة ، فجعل لها بابين علىٰ قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها ستة أذرع من الحجر ؛ لِمَا حدثته خالته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ومصر ؛ فإنه بويع بهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدته ، فلما مات . . أطاع أهلهما ابن الزبير وبايعوه ، ثم خرج مروان بن الحكم ، فغلب على الشام ثم مصر ، واستمر إلىٰ أن مات سنة خمس وستين ، وقد عهد إلى ابنه عبد الملك .

والأصح كما قال الذهبي : أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين ، بل هو باغٍ خارجٌ على ابن الزبير ، ولا عهده إلى ابنه بصحيح ، وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير .

وأما ابن الزبير . . فإنه استمر بمكة خليفة إلىٰ أن تغلب عبد الملك ، فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً ، فحصره بمكة أشهراً ورمىٰ عليه بالمنجنيق ، وخذل ابنَ الزبير أصحابُه ، وتسللوا إلى الحجاج ، فظفر به ثم قتله وصلبه ؛ وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولىٰ ـ وقيل : الآخرة ـ سنة ثلاث وسبعين .

---

(١) هو : ثابت بن أسلم .
(٢) هو : عطاء بن أبي رباح .
(٣) هو : عبيدة بن عمرو .
(٤) وهو ما أخرجه البخاري (١٥٨٦) ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة ؛ لولا أن قومك حديثو عهد بشرك . . لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ، وجعلت لها بابين ، باباً شرقياً وباباً غربياً ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر ؛ فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة » .

أخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال : (إني لفوق أبي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير ، فنزلت صاعقة كأني أنظر إليها تدور كأنها خمار أحمر قد حرقت أصحاب المنجنيق نحواً من خمسين رجلاً)[1] .

وكان ابن الزبير فارس قريش في زمانه ، له المواقف المشهودة[2] .

[ذكر شيء من فضائل سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما]

أخرج أبو يعلىٰ في « مسنده » عن ابن الزبير : أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم ، فلما فرغ . . قال له : « يا عبدَ اللهِ ؛ اذهَبْ بهـٰذا الدم فأَهْرِقه حيثُ لا يَرَاك أحدٌ » فلما ذهب . . شربه ، فلما رجع قال : « ما صنَعْت بالدَّم » ؟ قال : عمدت إلىٰ أخفىٰ موضع علمت فجعلته فيه ، قال : « لعلكَ شَربته » قال : نعم ، قال : « ويلٌ للناسِ منكَ ، وويلٌ لكَ من الناسِ » فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم[3] .

وأخرج عن نَوْف البكَالي قال : (إني لأجد في كتاب الله المنزل : أن ابن الزبير فارس الخلفاء)[4] .

وقال عمرو بن دينار : (ما رأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير)[5] .

وكان يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت إليه[6] .

وقال مجاهد : (ما كان باب من العبادة يعجز الناس عنه إلا تكلفه ابن الزبير ،

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ٤٣٦) .

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ كما في « المطالب العالية » (٣٨٢١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨/ ١٦٣) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨/ ١٦٦) .

(٥) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٦٩) .

(٦) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٢) .

ولقد جاء سيل طبق البيت ، فجعل يطوف سباحة)[1] .

وقال عثمان بن طلحة : (كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة : لا شجاعة ، ولا عبادة ، ولا بلاغة)[2] .

وكان صيتاً ، إذا خطب . . تجاوب الجبلان[3] .

وأخرج ابن عساكر عن عروة : أن النابغة الجعدي أنشد عبد الله بن الزبير : [من الطويل]

حَكَيتَ لنا الصديقَ لما وليتَنَا وعثمانَ والفاروقَ فارْتَاحَ معدمُ

وسوَّيت بين الناسِ في الحقِّ فاستَوَىٰ فعادَ صباحاً حالِكُ اللونِ أَسْحمُ[4]

وأخرج عن هشام بن عروة وخبيب قالا : (أول من كسا الكعبة الديباج : عبد الله بن الزبير ، وكان كسوتها المسوح والأنطاع)[5] .

وأخرج عن عمر بن قيس قال : (كان لابن الزبير مئة غلام ، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرىٰ ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه . . قلت : هـٰذا رجل لم يردِ الله طرفة عين ، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته . . قلت : هـٰذا رجل لم يردِ الدنيا طرفة عين)[6] .

وأخرج عن هشام بن عروة قال : (كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير : السيفُ ، فكان لا يضعه من فيه ، فكان أبوه إذا سمع ذلك منه يقول : أما والله ؛ ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام)[7] .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٨) ، وتاريخ الإسلام (٥/ ٤٤٠) .
(٢) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٩) ، وتاريخ الإسلام (٥/ ٤٤٠) .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٩) ، وتاريخ الإسلام (٥/ ٤٤٠) عن عبد الواحد بن أيمن .
(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩١) ، والبيتان في « ديوانه » (ص١٥١ـ١٥٢) .
(٥) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢١٣ـ٢١٤) .
(٦) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢١٥) .
(٧) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٢) .

[قصة إنَّ وراكبها]

وأخرج عن أبي عبيدة قال : جاء عبد الله بن الزبير الأسدي إلىٰ عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن بيني وبينك رحماً من قبل فلانة .

فقال ابن الزبير : نعم ؛ هـٰذا كما ذكرت ، وإن فكرت في هـٰذا . . أصبت الناس بأسرهم يرجعون إلىٰ أب واحد وإلىٰ أم واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن نفقتي نفدت .

قال : ما كنت ضمنت لأهلك أنها تكفيك إلىٰ أن ترجع إليهم .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ فإن ناقتي قد نقبت .

قال : أنجد بها برد خفها ، وارقعها بسبت ، واخصفها بهُلْب ، وسر عليها البردين .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما جئتك مستحملاً ولم آتك مستوصفاً ، لعن الله ناقة حملتني إليك .

فقال ابن الزبير : إنَّ وراكبها[1] ، فخرج الأسدي وأنشأ يقول : [من الوافر]

أرى الحاجات عند أبي خُبيب نُكِدْنَ ولا أميةَ في البلادِ
من الأعياصِ أو من آل حَرْب أغرَّ كغرَّةِ الفرسِ الجوادِ
وقلتُ لصُحبتي أدنوا رِكابي أُفارقُ بطنَ مكةَ في سوادِ
وما لي حين أقطعُ ذاتِ عرْقٍ إلى ابن الكاهليَّةِ من مَعَادِ[2]

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن الزهري قال : (لم يحمل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس إلى المدينة قط ولا يوم بدر ، وحمل إلىٰ أبي بكر رأس فكره ذلك ، وأول من حملت إليه الرؤوس : عبد الله بن الزبير)[3] .

---

(١) أي : نعم وراكبها ، واستدل بها النحاة علىٰ أن حرف (إن) حرف جواب بمعنىٰ (نعم) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٦١) ، والأبيات في « ديوانه » (ص١٤٧) ، وقوله : (نكدن) أي : منعن ، وفي النسخ : (تكدن ، يكدن) غير (أ) ففيها : (تكون) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٩٧٠٢) .

وفي أيام ابن الزبير كان خروج المختار الكذاب[1] الذي ادعى النبوة ، فجهز ابن الزبير لقتاله إلىٰ أن ظفر به في سنة سبع وستين وقتله ، لعنه الله .

[من مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام ابن الزبير من الأعلام : أُسيد بن ظُهير ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، والنعمان بن بشير ، وسليمان بن صُرَد ، وجابر بن سَمُرة ، وزيد بن أرقم ، وعدي بن حاتم ، وابن عباس ، وأبو واقد الليثي ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو الأسود الدؤلي ، وآخرون .

(١) هو : المختار بن أبي عبيد الثقفي ، انظر « تاريخ الإسلام » (٥/ ٢٢٦) .

خلافة عبد الملك بن مروان

[٧٣ ـ ٨٦ هـ][١]

ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أبو الوليد، ولد سنة ست وعشرين، بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته ، وبقي متغلباً علىٰ مصر والشام ، ثم غلب على العراق وما والاها إلىٰ أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، فصحت خلافته من يومئذ ، واستوثق له الأمر .

ففي هٰذا العام : هدم الحجاج الكعبة وأعادها علىٰ ما هي عليه الآن[٢] ، ودس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة فمرض منها ومات .

وفي سنة أربع وسبعين : سار الحجاج إلى المدينة وأخذ يتعنت أهلها ، ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وختمهم في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك ؛ كأنس وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٣] .

وفي سنة خمس وسبعين : حج بالناس عبد الملك الخليفة ، وسيّرَ الحجاجَ أميراً على العراق .

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ٢٢١) ، و« تاريخ الطبري » (٦/ ٤١٨) ، و« مروج الذهب » (٣/ ٢٩١) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ٣٨٨) ، و« الكامل في التاريخ » (٤/ ١٩٣) ، و« تهذيب الكمال » (١٨/ ٤٠٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٦/ ١٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٤٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩/ ٢٠٨) ، و« البداية والنهاية » (٩/ ٦١) .

(٢) كذا في « تاريخ الإسلام » (٥/ ٣١٥) . وفي « الكامل » (٣/ ٤١٢) ، و« البداية والنهاية » (٩/ ٢) : (أنه سنة « ٧٤هـ ») .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٥/ ٤٦٦) .

وفي سنة سبع وسبعين : فتحت هِرَقْلة ، وهدم عبد العزيز بن مروان جامع مصر وزيد فيه من جهاته الأربع .

وفي سنة اثنتين وثمانين : فتح حصن سِنَان من ناحية المَصِّيْصة ، وكانت غزوة أرمينية ، وصُِنْهاجة بالمغرب .

وفي سنة ثلاث وثمانين : بنيت مدينة واسط ، بناها الحجاج .

وفي سنة أربع وثمانين : فتحت المَصِّيْصة وأَوْرَبة من المغرب .

وفي سنة خمس وثمانين : بنيت مدينة [دَبيل][1] ، ومدينة بَرْذَعة ، بناهما عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي .

وفي سنة ست وثمانين : فتح حصن بولق ، وحصن الأخرم .

وفيها : كان طاعون الفتيات ، وسمي بذلك : لأنه بدأ في النساء .

وفيها : مات الخليفة عبد الملك في شوال ، وخلَّف سبعة عشر ولداً .

[من فضائل وصفات عبد الملك بن مروان]

قال أحمد بن عبد الله العجلي : (كان عبد الملك أبخر الفم ، وإنه ولد لستة أشهر)[2] .

---

(١) في النسخ : (أردبيل) ، ولعل الصواب ما أثبت ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٦/ ٢٣) ، وهي مدينة في أرمينية ، والله أعلم .

(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ١٤٢) .

وقال ابن سعد : (كان عابداً ناسكاً بالمدينة قبل الخلافة)[1] .

وقال يحيى الغساني : (كان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلىٰ أم الدرداء ، فقالت له مرة : بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطِّلاء بعد النسك والعبادة ، قال : إي والله ؛ والدماء قد شربتها)[2] .

وقال نافع : (لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان)[3] .

وقال أبو الزناد : (فقهاء المدينة : سعيد بن المسيب ، وعبد الملك بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وقَبيصة بن ذؤيب)[4] .

وقال ابن عمر : (ولد الناس أبناء ، وولد مروان أباً)[5] .

وقال عبادة بن نُسي : قيل لابن عمر : إنكم معشر أشياخ قريش يوشك أن تنقرضوا ، فمن نسأل بعدكم ؟ فقال : (إن لمروان ابناً فقيهاً فاسألوه)[6] .

وقال سحيم مولىٰ أبي هريرة : (دخل عبد الملك وهو شاب علىٰ أبي هريرة رضي الله عنه ، فقال أبو هريرة : هـٰذا يملك العرب)[7] .

وقال عبدة بن رياح الغساني : قالت أم الدرداء لعبد الملك : (ما زلت أتخيل هـٰذا الأمر فيك منذ رأيتك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : ما رأيت أحسن منك مُحدِّثاً ، ولا أعلم منك مستمعاً)[8] .

وقال الشعبي : (ما جالست أحداً . إلا وجدت لي عليه الفضل

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٧/ ٢٣١) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥١) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤٢) ، الطِّلاء : ما طبخ من عصير العنب حتىٰ صار على الثلث وذهب ثلثاه .

(٣) تاريخ دمشق (٣٧/ ١١٩) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٨ـ١٣٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٠) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢١) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٩) .

(٦) تاريخ الإسلام (٦/ ١٣٨) .

(٧) تاريخ الإسلام (٦/ ١٣٨) .

(٨) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٩) .

إلا عبد الملك بن مروان ؛ فإني ما ذاكرته حديثاً . . إلا زادني فيه ، ولا شعراً . . إلا زادني فيه)[1] .

وقال الذهبي : (سمع عبد الملك من : عثمان ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وأم سلمة ، وبريرة ، وابن عمر ، ومعاوية .

روىٰ عنه : عروة ، وخالد بن مَعْدان ، ورجاء بن حَيْوة ، والزهري ، ويونس بن ميسرة ، وربيعة بن يزيد ، وإسماعيل بن عبيد الله ، وحَريز بن عثمان ، وطائفة)[2] .

وقال بكر بن عبد الله المزني : (أسلم يهودي اسمه يوسف ، وكان قرأ الكتب ، فمر بدار مروان فقال : ويل لأمة محمد من أهل هٰذه الدار !! فقلت له : إلىٰ متىٰ ؟ قال : حتىٰ تجيء رايات سود من قبل خراسان .

وكان صديقاً لعبد الملك بن مروان ، فضرب يوماً علىٰ منكبه وقال : اتق الله في أمة محمد إذا ملكتهم ، فقال : دعني ويحك !! ما شأني وشأن ذلك ؟ فقال : اتق الله في أمرهم .

قال : وجهز يزيد جيشاً إلىٰ أهل مكة ، فقال عبد الملك : أعوذ بالله ، أيبعث إلىٰ حرم الله ؟! فضرب يوسف منكبه وقال : جيشك إليهم أعظم)[3] .

وقال يحيى الغساني : (لما نزل مسلم بن عقبة المدينة . . دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلست إلىٰ جنب عبد الملك ، فقال لي عبد الملك : أمن هٰذا الجيش أنت ؟ قلت : نعم .

قال : ثكلتك أمك !! أتدري إلىٰ من تسير ؟ إلىٰ أول مولود ولد في الإسلام ، وإلى ابن حَواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى ابن ذات النطاقين ، وإلىٰ من حنَّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما والله ؛ إن جئته نهاراً . . وجدته

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٤) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٩) .
(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ١٣٧ـ١٣٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٧) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤٠) .

صائماً ، ولئن جئته ليلاً . . لتجدنه قائماً ، فلو أن أهل الأرض أطبقوا علىٰ قتله . . لأكبهم الله جميعاً في النار .

فلما صارت الخلافة إلىٰ عبد الملك . . وجَّهنا مع الحجاج حتىٰ قتلناه)[1] .

وقال ابن أبي عائشة : (أفضى الأمر إلىٰ عبد الملك والمصحف في حِجْره ، فأطبقه وقال : هـٰذا آخر العهد بك)[2] .

[ذكر أوليات عبد الملك بن مروان]

وقال مالك : (سمعت يحيى بن سعيد يقول : أول من صلىٰ في المسجد ما بين الظهر والعصر : عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، كانوا إذا صلى الإمام الظهر . . قاموا فصلوا إلى العصر ، فقيل لسعيد بن المسيب : لو قمنا فصلينا كما يصلي هـٰؤلاء ؟ فقال سعيد : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ؛ وإنما العبادة التفكر في أمر الله ، والورع عن محارم الله)[3] .

وقال مصعب بن عبد الله : (أول من سمي في الإسلام عبد الملك : عبد الملك بن مروان)[4] .

وقال يحيى بن بكير : (سمعت مالكاً يقول : أول من ضرب الدنانير : عبد الملك ، وكتب عليها القرآن)[5] .

وقال مصعب : (كتب عبد الملك على الدنانير : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وفي الوجه الآخر : لا إلـٰه إلا الله ، وطوقه بطوق فضة ، وكتب فيه : ضرب بمدينة كذا ، وكتب خارج الطوق : محمد رسول الله ، أرسله بالهدىٰ ودين الحق)[6] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ١٤٠) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٤) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٧/ ١١٣) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٣٨) .

(٥) تاريخ الإسلام (٦/ ١٤١) .

(٦) تاريخ الإسلام (٦/ ١٤١) .

وفي « الأوائل » للعسكري بسنده : (كان عبد الملك أول من كتب في صدور الطوامير : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ ، فكتب ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم فاتركوه ، وإلا . . أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون ؟ فعظم ذلك علىٰ عبد الملك ، فأرسل إلىٰ خالد بن يزيد بن معاوية فشاوره ، فقال : حرم دنانيرهم واضرب للناس سككاً فيها ذكر الله وذكر رسوله ، ولا تعفهم مما يكرهون في الطوامير ، فضرب الدنانير سنة خمس وسبعين .

قال العسكري : (أول خليفة بخل : عبد الملك ، وكان يسمىٰ رشح الحجارة ؛ لبخله ، ويكنىٰ أبا الذِّبَّان ؛ لبخره)[١] .

قال : (وهو أول من غدر في الإسلام[٢] ، وأول من نهىٰ عن الكلام بحضرة الخلفاء[٣] ، وأول من نهىٰ عن الأمر بالمعروف)[٤] .

ثم أخرج بسنده عن ابن الكلبي قال : (كان مروان بن الحكم ولّى العهد عمرو بن سعيد بن العاصي بعد ابنه ، فقتله عبد الملك ، وكان قتله أول غدر في الإسلام) ، فقال بعضهم : [من البسيط]

يا قومُ لا تُغلبوا عن رأيكم فلقد ... جرَّبتمُ الغدرَ من أبناءِ مَروانا
أمسَوا وقد قَتلوا عَمْراً وما رَشَدوا ... يَدعون غدراً بعهدِ الله كَيسانا
يُقتِّلون الرجالَ البُزل ضاحيةً ... لكي يولُّوا أمورَ الناس وِلدَانا
تَلاعبوا بكتابِ الله واتَّخذوا ... هَواهُمُ في معاصي الله قُربانا[٥]

وأخرج بإسناد فيه الكُديمي ـ وهو متهم بالكذب ـ عن ابن جريج ، عن أبيه قال : خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل ابن الزبير عام حج سنة خمس

---

(١) الأوائل (ص١٧٢) ، والطوامير : الصحائف .
(٢) الأوائل (ص ١٦٢) .
(٣) الأوائل (ص ١٧١) .
(٤) الأوائل (ص ١٧٠) .
(٥) الأوائل (ص ١٦٩) .

وسبعين ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : (أما بعد : فلست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ؛ يعني معاوية ، ولا الخليفة المأفون ـ يعني يزيد ـ ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هٰذه الأموال ، ألا وإني لا أداوي أدواء هٰذه الأمة إلا بالسيف حتىٰ تستقيم لي قناتكم ، تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم ؟! فلن تزدادوا إلا عقوبة حتىٰ يحكم السيف بيننا وبينكم .

هٰذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته ، وموضعه موضعه ، قال برأسه هٰكذا ، فقلنا بأسيافنا هٰكذا ، ألا وإنا نحمل لكم كل شيء ، إلا وثوباً علىٰ منبر ، أو نَصْب راية ، ألا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله ؛ لا يفعل أحد فعله . . إلا جعلتها في عنقه ، والله ؛ لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هٰذا . . إلا ضربت عنقه) ثم نزل[1] .

ثم قال العسكري : (وعبد الملك أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية ، وأول من رفع يديه على المنبر)[2] .

قلت : فتمت له عشرة أوائل ؛ منها خمسة مذمومة .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » بسنده عن محمد بن سيرين قال : (أول من أحدث الأذان في الفطر والأضحىٰ : بنو مروان ؛ فإما أن يكون عبد الملك ، أو أحداً من أولاده)[3] .

وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال : (أخبرني غير واحد : أن أول من كسا الكعبة الديباج : عبد الملك بن مروان ، وإن من أدرك ذلك من الفقهاء قالوا : أصاب ، ما نعلم لها من كسوة أوفق منه)[4] .

---

(١) الأوائل (ص١٧٠ـ ١٧١) .

(٢) الأوائل (ص١٧٥) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١٤٥) .

(٤) مصنف عبد الرزاق (٩٠٨٥) .

وقال يوسف بن الماجِشُون : (كان عبد الملك إذا قعد للحكم . . قيم علىٰ رأسه بالسيوف)[1] .

وقال الأصمعي : (قيل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ؛ عجل عليك الشيب ؟ فقال : وكيف لا ؛ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة ؟!)[2] .

وقال محمد بن حرب الزيادي : (قيل لعبد الملك بن مروان : من أفضل الناس ؟ قال : من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة)[3] .

[أعفني من أربع وقل ما شئت]

وقال ابن عائشة : (كان عبد الملك إذا دخل عليه رجل من أفق من الآفاق . . قال : أعفني من أربع ، وقل بعدها ما شئت : لا تكذبني ؛ فإن الكذوب لا رأي له ، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه ؛ فإن فيما أسألك عنه شغلاً ، ولا تطرني ؛ فإني أعلم بنفسي منك ، ولا تحملني على الرعية ؛ فإني إلى الرفق بهم أحوج)[4] .

[احتضار عبد الملك ووصيته]

وقال المدائني : (لما أيقن عبد الملك بالموت . . قال : والله ؛ لوددت أني كنت منذ ولدت إلىٰ يومي هـٰذا حمالاً .

ثم أوصىٰ بنيه بتقوى الله ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف ، وقال : كونوا بني أم بررة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف مناراً ؛ فإن الحرب لم تُدْنِ منيةً قبل وقتها ، وإن المعروف يبقىٰ أجره وذكره ، واحلولوا في مرارة ، ولينوا في

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٠) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤١) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٩) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤١) .
(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ١٤٢) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٢) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤١) .

شدة ، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني : [من الكامل]

إنَّ القـداح إذا اجتمعـن فـرامَهـا ... بـالكسـر ذو حَنَـق وبَطْـش أيِّـدِ
عزَّت فلم تكسر وإن هي بُددت ... فـالكسـرُ والتـوهيـن للمتبـدِّدِ

يا وليد ؛ اتق الله فيما أخلفك فيه . . . إلىٰ أن قال : وانظر الحجاج فأكرمه ؛ فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد ، ويدك علىٰ من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، وأنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا مت إلى البيعة ، فمن قال برأسه هـٰكذا . . فقل بسيفك هـٰكذا)[1] .

وقال غيره : (لما احتضر عبد الملك . . دخل عليه ابنه الوليد ، فتمثل : [من الكامل]

كـم عـائـدٍ رجـلاً وليـس يَعـوده ... إلا ليعلـمَ هـل يَـراه يمـوتُ

فبكى الوليد ، فقال : ما هـٰذا ؟! أتحن حنين الأمة ؟! إذا مت . . فشمر وأتزر ، والبس جلد النمر ، وضع سيفك علىٰ عاتقك ، فمن أبدىٰ ذات نفسه . . فاضرب عنقه ، ومن سكت . . مات بدائه)[2] .

قلت : لو لم يكن من مساوىء عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة ، يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً ، وشتماً وحبساً ، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصىٰ فضلاً عن غيرهم ، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً ، يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه .

ومن شعر عبد الملك : [من الطويل]

لَعمري لقد عُمِّرت في الدهر بُرهةً ... ودانَت لي الدنيا بوقْعِ البَوَاترِ
فأضحى الذي قد كان مما يَسرُّني ... كلَمْحٍ مضىٰ في المُزمناتِ الغَوَابرِ
فيا ليتني لم أُعْنَ في الملك ساعةً ... ولم أَلْهُ في اللذاتِ عيشَ نواضرِ
وكنتُ كذي طِمرين عاش ببُلغَةٍ ... من الدهرِ حتىٰ زارَ ضنْكَ المقابرِ[3]

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/١٤٣ـ ١٤٤) .
(٢) تاريخ الإسلام (٦/١٤٣) .
(٣) الأبيات في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ١٥٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٦/ ١٤٢) ، وهي عند ابن عساكر في « التاريخ » (٥٩/ ٢١٨) و« البداية والنهاية » (٨/ ١٤١) لسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

[شدة تصبر عبد الملك بن مروان]

وفي « تاريخ ابن عساكر » : عن إبراهيم بن عدي قال : (رأيت عبد الملك بن مروان وأتته أمور أربعة في ليلة ، فما تنكر ولا تغير وجهه : قتل عبيد الله بن زياد بالعراق ، وقتل حبيش بن دَلَجة بالحجاز ، وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد إلىٰ دمشق)[١] .

وفيه عن الأصمعي قال : (أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القِرِّيَّة)[٢] .

[قسمة تركةٍ والنصيب دينار واحد]

وأسند السلفي في « الطيوريات » : (أن عبد الملك بن مروان خرج يوماً فلقيته امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما شأنك ؟ قالت : توفي أخي وترك ست مئة دينار ، فدُفع إلي من ميراثه دينار واحد ، فقيل : هٰذا حقك ، فعُمي الأمر فيها علىٰ عبد الملك ، فأرسل إلى الشعبي فسأله ، فقال : نعم ، هٰذا توفي وترك ابنتين فلهما الثلثان أربع مئة ، وأُمّاً فلها السدس مئة ، وزوجة فلها الثمن خمسة وسبعون ، واثني عشر أخاً فلهم أربعة وعشرون ، وبقي لهٰذه دينار) .

[ميزات في الجواري]

وقال ابن أبي شيبة في « المصنف » : حدثنا أبو سفيان الحِميَري ، حدثنا خالد بن محمد القرشي قال : (قال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ . . فليتخذها بربرية ، ومن أراد أن يتخذها للولد . . فليتخذها فارسية ، ومن أراد أن يتخذها للخدمة . . فليتخذها رومية)[٣] .

---

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٥٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٤/ ٢٠٣) ، وابن القرية اسمه : أيوب .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٣٥٦) ، وأبو سفيان : هو سعيد بن يحيىٰ .

[الأخطل هو شاعر بني أمية]

وقال أبو عبيدة[1] : (لما أنشد الأخطل كلمته لعبد الملك التي يقول فيها : [من البسيط]

شمسُ العداوةِ حتىٰ يُستقاد لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَروا

قال : خذ بيده يا غلام فأخرجه ، ثم ألقِ عليه من الخلع ما يغمره ، ثم قال : إن لكل قوم شاعراً ، وإن شاعر بني أمية الأخطل)[2] .

وقال الأصمعي : دخل الأخطل علىٰ عبد الملك فقال : ويحك ! صف لي السكر ، قال : أوله لذة ، وآخره صداع ، وبين ذلك ساعة لا أصف لك مبلغها ، فقال : ما مبلغها ؟ قال : لَمُلكك يا أمير المؤمنين أهون علي من شسع نعلي ، وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

إذا ما نَديمي عَلَّني ثم عَلَّني   ثلاثَ زجاجاتٍ لهن هديرُ
خرجتُ أجرُّ الذيلَ مني كأنني   عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

قال الثعالبي : (كان عبد الملك يقول : ولدت في رمضان ، وفطمت في رمضان ، وختمت القرآن في رمضان ، وبلغت الحلم في رمضان ، ووليت في رمضان ، وأتتني الخلافة في رمضان ، وأخشىٰ أن أموت في رمضان ، فلما دخل شوال وأمن . . مات) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام عبد الملك من الأعلام : ابن عمر ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأبو سعيد بن المعلَّىٰ ، وأبو سعيد الخدري ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، والعِرْباض بن سارية ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن

---

(١) في (د ، هـ) : (أبو عبيد) ، وفي مطبوع « تاريخ دمشق » : (ابن عبيدة) ، وهو عمر بن شَبَّة بن عبيدة بن زيد ، أبو زيد النحوي ، ولعله الصواب .

(٢) تاريخ دمشق (٤٨/ ١١٢) ، والبيت في « ديوانه » (ص٩٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٨/ ١١٢ـ١١٣) ، والبيتان في « ديوانه » (ص١٠٤) .

جعفر بن أبي طالب ، والسَّائب بن يزيد ، وأسلم مولىٰ عمر ، وأبو إدريس الخولاني ، وشريح القاضي ، وأبان بن عثمان بن عفان ، والأعشى الشاعر ، وأيوب بن القِرِّيَّة الذي يضرب به المثل في الفصاحة ، وخالد بن يزيد بن معاوية ، وزِرُّ بن حُبيش ، وسِنان بن سلمة بن المُحبِّق ، وسويد بن غَفَلة ، وأبو وائل ، وطارق بن شهاب ، ومحمد ابن الحنفية ، وعبد الله بن شدَّاد بن الهاد ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وعتبة بن النُّدَّر ، وعمرو بن حُريث ، وعمرو بن سلمة الجَرْمي ، وآخرون .

خلافة الوليد بن عبد الملك

[٨٦ـ ٩٦هـ][١]

أبو العباس ، قال العيشي[٢] : (كان أبواه يترفانه ، فشبَّ بلا أدب) .

قال روح بن زِنْباع : (دخلت يوماً علىٰ عبد الملك وهو مهموم فقال : فكرت فيمن أُوليه أمر العرب ، فلم أجده ، فقلت : أين أنت عن الوليد ؟ قال : إنه لا يحسن النحو ، فسمع ذلك الوليد ، فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو ، وجلس معهم في بيت ستة أشهر ، ثم خرج وهو أجهل مما كان ، فقال عبد الملك : أما إنه قد أعذر)[٣] .

وقال أبو الزناد : (كان الوليد لحاناً ، قال علىٰ منبر المسجد النبوي : يا أهلُ المدينةَ)[٤] .

وقال أبو عكرمة الضبي : قرأ الوليد على المنبر : (يا ليتُها كانت القاضية) وتحت المنبر عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان : وددتها والله[٥] ، وكان الوليد جباراً ظالماً .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن ابن شَوْذَب قال : (قال عمر بن

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٦/ ٤٩٥) ، و« مروج الذهب » (٣/ ٣٦٥) ، و« تاريخ دمشق » (٦٣/ ١٦٤) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٢٥٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٦/ ٤٩٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٣٨٥) ، و« البداية والنهاية » (٩/ ١٦١) .

(٢) في بعض مطبوعات « تاريخ الخلفاء » : (الشعبي) !! والخبر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ١٦٧) من حديث ابن عائشة عن أبيه ، وابن عائشة هو : عبيد الله بن محمد بن حفص ، يقال له : ابن عائشة ، والعائشي ، والعيشي . انظر « تقريب التهذيب » (ص٣١٥) ، وفي مطبوع « تاريخ الإسلام » (٦/ ٤٩٧) : (العتبي) !!

(٣) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٦٩) .

(٤) في (أ) و(هـ) : (يا هل) ، والخبر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ١٧٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٨) .

عبد العزيز : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيَّان[1] بالحجاز ، وقرَّة بن شَريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جوراً)[2] .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن إبراهيم أبي زرعة : أن الوليد قال له : أيحاسب الخليفة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أأنت أكرم على الله أم داوود ؟ إن الله جمع له النبوة والخلافة ثم توعَّده في كتابه فقال : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ . . . ﴾ الآيةَ[3] .

لـٰكنه أقام الجهاد في أيامه ، وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة ، وكان مع ذلك يختن الأيتام ، ويرتب لهم المؤدبين ، ويرتب للزمنىٰ من يخدمهم ، وللأضراء من يقودهم ، وعمر المسجد النبوي ووسعه ، ورزق الفقهاء والفقراء والضعفاء ، وحرم عليهم سؤال الناس ، وفرض لهم ما يكفيهم ، وضبط الأمور أتم ضبط .

وقال ابن أبي عَبْلة : (رحم الله الوليد ، وأين مثل الوليد ؟! افتتح الهند والأندلس ، وبنىٰ مسجد دمشق ، وكان يعطيني قصاع الفضة أقسمها علىٰ قراء مسجد بيت المقدس)[4] .

ولي الوليد الخلافة بعهدٍ من أبيه ، في شوال ، سنة ست وثمانين .

ففي سنة سبع وثمانين : شرع في بناء جامع دمشق ، وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه .

وفيها : فتحت بِيكَند وبُخارىٰ وسَرْدانِية وممطورة وقُميقم وبحيرة الفرسان عنوة .

---

(١) في (أ) : (جنادة) ، وفي بقية النسخ : (جبارة) ، والمثبت من « حلية الأولياء » (٥/ ٣٠٩) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٩/ ٣٦٠ـ ٣٦١) ولعله الصواب ، والله أعلم .
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٣٠٩) .
(٣) أورده ابن كثير في « تفسيره » (٤/ ٤١) بسند ابن أبي حاتم .
(٤) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٦) ، وابن أبي عبلة : هو إبراهيم .

وفيها : حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فوقف يوم النحر غلطاً ، وتألم لذلك .

* * *

وفي سنة ثمان وثمانين : فتحت جُرثومة وطُوانة .

* * *

وفي سنة تسع وثمانين : فتحت جزيرتا مَيُورْقة ومَنُورْقة .

* * *

وفي سنة إحدىٰ وتسعين : فتحت نَسَف وكَشُّ وشُومان ومدائن وحصون من بحر أذربيجان .

* * *

وفي سنة اثنتين وتسعين : فتح إقليم الأندلس بأسره ، ومدينة أرمائيل وقنزبور[1] .

* * *

وفي سنة ثلاث وتسعين : فتحت الدَّيْبُل وغيرها ، ثم الكيرج وبرهم[2] ، وبَاجَة والبيضاء ، وخُوَارزم وسَمَرقند والسُّغْد .

* * *

وفي سنة أربع وتسعين : فتحت كابُل وفَرْغانة ، والشاش وسندرة وغيرها .

* * *

وفي سنة خمس وتسعين : فتحت المُوْلْتان ومدينة الباب .

* * *

---

(١) في النسخ : (قتربون) ، والتصويب من المصادر .
(٢) في (أ) : (براهم) ، وفي « تاريخ الإسلام » (٦/٢٥٨) : (وبرَّهما) ، وفي « تاريخ خليفة » (ص ٣٠٥) : (مدينة برهما) .

وفي سنة ست وتسعين : فتحت طويس[1] وغيرها .

وفيها : مات الخليفة الوليد ، في نصف جمادى الآخرة ، وله إحدىٰ وخمسون سنة .

قال الذهبي : (عاش الجهاد في أيامه ، وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب)[2] .

قال عمر بن عبد العزيز : (لما وضعت الوليد في لحده ؛ إذا هو يركض في أكفانه)[3] . يعني : ضرب الأرض برجله .

ومن كلام الوليد : (لولا أن الله ذكر آل لوط في القرآن . . ما ظننت أن أحداً يفعل هـٰذا)[4] .

[من مات في عهده]

مات في أيام الوليد من الأعلام : عتبة بن عَبد السلمي ، والمِقْدام بن مَعْدي كَرِب ، وعبد الله بن بُسْر المازني ، وعبد الله بن أبي أوفىٰ ، وأبو العالية ، وجابر بن زيد ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، والسائب بن يزيد ، والسائب بن خلاَّد ، وخُبيب بن عبد الله بن الزبير ، وبلال بن أبي الدرداء ، وسعيد بن المسيَّب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمـٰن ، وأبو بكر بن عبد الرحمـٰن ، وسعيد بن جبير شهيداً ؛ قتله الحجاج لعنه الله ، وإبراهيم النَّخَعي ، ومُطَرِّف ، وإبراهيم بن عبد الرحمـٰن بن عوف ، والعجَّاج الشاعر ، وآخرون .

---

(١) في (ب ، جـ) : (طوس) ، وفي « تاريخ الإسلام » (٦/ ٢٦٤) : (طوبس) ، وفي « تاريخ خليفة » (ص ٣١٣) ، وفي « تاريخ الطبري » (٦/ ٤٩٢) : (طولس) ، والله أعلم .

(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٥٠٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٨١) .

(٤) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٨) .

خلافة سليمان بن عبد الملك

[٩٦-٩٩هـ][(١)]

أبو أيوب ، كان من خيار ملوك بني أمية ، ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه ، في جمادى الآخرة ، سنة ست وتسعين .

روىٰ قليلاً عن أبيه وعبد الرحمـٰن بن هنيدة ، روىٰ عنه : ابنه عبد الواحد والزهري .

وكان فصيحاً مفوهاً ، مؤثراً للعدل ، محباً للغزو ، ومولده سنة ستين .

ومن محاسنه : أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير ، فكان يمتثل أوامره في الخير ، فعزل عمال الحجاج ، وأخرج من كان في سجن العراق ، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها ، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير .

قال ابن سيرين : (يرحم الله سليمان ؛ افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها ، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز)[(٢)] .

وكان سليمان ينهىٰ عن الغناء ، وكان من الأكلة المذكورين ؛ أكل في مجلس سبعين رمانة وخروفاً وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي[(٣)] .

قال يحيى الغساني : (نظر سليمان في المرآة فأعجبه شبابه وجماله ، فقال : كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وكان أبو بكر صدّيقاً ، وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حييّاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٦/ ٥٠٥) ، و« المنتظم » (٧/ ١٣) ، و« الكامل » (٥/ ١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٦/ ٣٧٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٢٧) ، و« الوافي بالوفيات » (١٥/ ٤٠٠) ، و« البداية والنهاية » (٩/ ١٧٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٩) . والمكوك : مكيال قديم يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد ، قيل : يسع صاعاً ونصفاً .

سائساً ، وكان الوليد جبَّاراً ، وأنا الملك الشاب ، فما دار عليه الشهر حتىٰ مات)[1] .

وكانت وفاته يوم الجمعة ، عاشر صفر ، سنة تسع وتسعين .

وفتح في أيامه : جُرجان ، وحصن الحديد ، وسردا وشتىٰ[2] ، وطَبَرِسْتان ومدينة الصقالبة .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأعلام : قيس بن أبي حازم ، ومحمود بن لبيد ، والحسن بن الحسن بن علي ، وكريب مولى ابن عباس ، وعبد الرحمـٰن بن الأسود النَّخَعي ، وآخرون .

[نصيحة رجاء لسليمان باستخلاف عمر بن عبد العزيز]

قال عبد الرحمـٰن بن حسان الكِنَاني : مات سليمان غازياً بدَابِق ، فلما مرض . . قال لرجاء بن حَيْوة : من لهـٰذا الأمر بعدي ، أستخلف ابني ؟ قال : ابنك غائب .

قال : فابني الآخر ؟ قال : صغير ، قال : فمن ترىٰ ؟ قال : أرىٰ أن تستخلف عمر بن عبد العزيز .

قال : أتخوف إخوتي لا يرضون ؟ قال : فولِّه عمر ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، وتكتب كتاباً وتختم عليه ، وتدعوهم إلىٰ بيعته مختوماً ، قال : لقد رأيت .

فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد ، ودفعه إلىٰ رجاء ، وقال : اخرج إلى

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٨٠) .

(٢) في تاريخ الإسلام (٦/ ٢٦٦) : (سَرْدَوْسَل وشتىٰ بنواحي الروم) ، وأغلب الظن أن تكون (شتىٰ) فعل بمعنىٰ قضى الشتاء ، كما يتبين من مراجعة المصادر ، انظر « تاريخ دمشق » (٥٨/ ٣٢) ، و« تاريخ خليفة » (ص ٣١٤) .

الناس ، فليبايعوا علىٰ ما فيه مختوماً ، فخرج فقال : إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هـٰذا الكتاب ، قالوا : ومن فيه ؟ قال : هو مختوم ؛ لا تُخبَروا بمن فيه حتىٰ يموت أمير المؤمنين .

قالوا : لا نبايع ، فرجع إليه فأخبره ، فقال : انطلق إلىٰ صاحب الشرطة والحرس ، فاجمع الناس ومُرْهم بالبيعة ؛ فمن أبىٰ . . فاضرب عنقه ، ففعل فبايعوا .

قال رجاء : فبينا أنا راجع . . إذا هشام ، فقال لي : يا رجاء ؛ قد علمت موقعك منا ، وأن أمير المؤمنين قد صنع شيئاً ما أدري ما هو ، وإني تخوفت أن يكون قد أزالها عني ، فإن يكن قد عدلها عني . . فأعلمني ما دام في الأمر نَفَس حتىٰ أنظر ؟

فقلت : سبحان الله !! يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه ؟! لا يكون ذا أبداً .

ثم لقيت عمر بن عبد العزيز ، فقال لي : يا رجاء ؛ إنه قد وقع في نفسي أمرٌ كبيرٌ من هـٰذا الرجل ، أتخوَّف أن يكون قد جعلها إليَّ ، ولست أقوم بهـٰذا الشأن ، فأعلمني ما دام في الأمر نَفَس ؛ لعلي أتخلص منه ما دام حياً .

قلت : سبحان الله !! يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه ؟!

ثم مات سليمان وفتح الكتاب ؛ فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ، فتغيَّرَتْ وجوه بني عبد الملك ، فلما سمعوا : وبعده يزيد بن عبد الملك . . تراجعوا ، فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة ، فعُقر به ، فلم يستطع النهوض حتىٰ أخذوا بضَبْعيه[1] ، فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه ، فجلس طويلاً لا يتكلم ، فقال رجاء : ألا تقومون إلىٰ أمير المؤمنين فتبايعوه ؟ فبايعوه ، ومدَّ يده إليهم .

ثم قام فحمد الله تعالىٰ ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إني لست بقاضٍ ولـٰكني منفذ ، ولست بمبتدعٍ ولـٰكني متبع ، وإن من حولكم من الأمصار والمدن

---

(١) الضبع : ما بين الإبط إلىٰ نصف العضُد من أعلاها .

إن هم أطاعوا كما أطعتم . . فأنا واليكم ، وإن هم أبوا . . فلست لكم بوالٍ .

ثم نزل ، فأتاه صاحب المراكب ، فقال : ما هٰذا ؟ قال : مركب الخليفة ، قال : لا حاجة لي فيه ، ائتوني بدابتي ، فأتوه بدابته وانطلق إلىٰ منزله ، ثم دعا بدواة وكتب بيده إلىٰ عمال الأمصار .

قال رجاء : (كنت أظن أنه سيضعف ؛ فلما رأيت صنعه في الكتاب . . علمت أنه سيقوىٰ)[1] .

[مشادَّة بين مروان وسليمان وتدخل عمر بن عبد العزيز]

يروىٰ : (أن مروان بن عبد الملك وقع بينه وبين سليمان في خلافته كلام ، فقال له سليمان : يا بن اللخناء ، ففتح مروان فاه ليجيبه ، فأمسك عمر بن عبد العزيز بفيه وقال : أنشدك الله ؛ إمامك وأخوك وله السن ، فسكت وقال : قتلتني والله ؛ لقد زدت في جوفي أحر من النار ، فما أمسىٰ حتىٰ مات)[2] .

وأخرج ابن أبي الدنيا ، عن زياد بن عثمان : أنه دخل علىٰ سليمان بن عبد الملك لما مات ابنه أيوب ، فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ إن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة كان يقول : من أحب البقاء . . فليوطن نفسه على المصائب)[3] .

---

(١) ريخ الإسلام (٦/ ٣٨٢) .
(٢) تاريخ دمشق (٥٧/ ٣١١) .
(٣) الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان (٢١) .

خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان

[٩٩ـ١٠١هـ][1]

الخليفة الصالح ، أبو حفص ، خامس الخلفاء الراشدين .

قال سفيان الثوري : (**الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز**) أخرجه أبو داوود في « سننه »[2] .

ولد عمر بحُلْوان قرية بمصر ، وأبوه أمير عليها سنة إحدىٰ ـ وقيل : ثلاث ـ وستين ، وأمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

وكان بوجه عمر شجة ؛ ضربته دابة في جبهته وهو غلام ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : (**إن كنتَ أشجَّ بني أمية .. إنك لسعيد**) أخرجه ابن عساكر[3] .

وكان عمر بن الخطاب يقول : (**من ولدي رجلٌ بوجهه شجَّةٌ يملأ الأرض عدلاً**) أخرجه الترمذي في « تاريخه » ، فصدق ظن أبيه فيه[4] .

وأخرج ابن سعد : أن عمر بن الخطاب قال : (**ليت شعري !! من ذو الشين من ولدي ؛ الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ؟**)[5] .

وأخرج عن ابن عمر قال : (**كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتىٰ يلي رجل من**

---

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ٣٢٤) ، و« تاريخ الطبري » (٦/ ٥٦٥) ، و« مروج الذهب » (٤/ ١٦) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ٢٥٣) ، و« تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٢٦) و« المنتظم » (٧/ ٣١) ، و« تهذيب الكمال » (٢١/ ٤٣٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٧/ ١٨٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٣٠) ، و« تذكرة الحفاظ » (١/ ١١٨) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٢/ ٥٠٦) ، و« مرآة الجنان » (١/ ٩٦) ، و« البداية والنهاية » (٩/ ١٩٢) .

(٢) سنن أبي داوود (٤٦٣١) .

(٣) تاريخ دمشق (١١/ ١٥٢) .

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٢٥) .

(٥) الطبقات الكبرىٰ (٧/ ٣٢٥) .

آل عمر ، يعمل بمثل عمل عمر) فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة ، وكانوا يرون أنه هو ، حتىٰ جاء الله بعمر بن عبد العزيز[1] .

روىٰ عمر بن عبد العزيز عن أبيه ، وأنس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وابن قَارِظ ، ويوسف بن عبد الله بن سَلاَم ، وعامر بن سعد ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبي بكر بن عبد الرحمـٰن ، والربيع بن سَبْرَة ، وطائفة .

روىٰ عنه : الزهري ، ومحمد بن المنكدر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومَسلمة بن عبد الملك ، ورجاء بن حَيْوة ، وخلائق كثيرون .

[نشأة عمر بن عبد العزيز وصلاحه]

جمع القرآن وهو صغير ، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدَّب بها ، فكان يختلف إلىٰ عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، فلما توفي أبوه . . طلبه عبد الملك إلىٰ دمشق ، وزوَّجه ابنته فاطمة .

وكان قبل الخلافة علىٰ قدم الصلاح أيضاً ، إلا أنه كان يبالغ في التنعم ، فكان الذين يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في التنعم ، والاختيال في المشية[2] .

فلما ولي الوليد الخلافة . . أمَّر عمر على المدينة ، فوليها من سنة ست وثمانين إلىٰ سنة ثلاث وتسعين ، وعزل فقدم الشام .

ثم إن الوليد عزم علىٰ أن يخلع أخاه سليمان من العهد ، وأن يعهد إلىٰ ولده ، فأطاعه كثير من الأشراف طوعاً وكرهاً ، فامتنع عمر بن عبد العزيز ، وقال : (لسليمان في أعناقنا بيعة) وصمَّم ، فطيَّن عليه الوليد ، ثم شُفع فيه بعد ثلاث ، فأدركوه وقد مالت عنقه[3] ، فعرفها له سليمان ، فعهد إليه بالخلافة .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٧/ ٣٢٥) ، وانظر « كنز العمال » (٣٧٨٤٦) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٣٨) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٧٠) ، وفيه : (فطين عليه البيت) .

قال زيد بن أسلم : عن أنس رضي الله عنه : (ما صليت وراء إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاةً برسول الله صلى الله عليه وسلم من هٰذا الفتىٰ) يعني : عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة .

قال زيد بن أسلم : (فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود) ، له طرق عن أنس أخرجه البيهقي في « سننه » وغيره[1] .

وسئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال : (هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أُمةً وحده)[2] .

وقال ميمون بن مهران : (كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة)[3] .

وأخرج أبو نعيم بسند صحيح عن رياح بن عبيدة قال : (خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكىء علىٰ يده ، فقلت في نفسي : إن هٰذا الشيخ جافٍ !! فلما صلىٰ ودخل . . لحقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ؛ من الشيخ الذي كان يتكىء علىٰ يدك ؟

قال : يا رياح ؛ رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً ؛ ذاك أخي الخضر ، أتاني فأعلمني أني سألي أمر هٰذه الأمة ، وأني سأعدل فيها)[4] .

وأخرج أيضاً عن أبي هاشم : أن رجلاً جاء إلىٰ عمر بن عبد العزيز فقال : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس ، فقال لك : « يا عمر ؛ إذا عملت . . فاعمل بعمل هٰذين » لأبي بكر وعمر ، فاستحلف له عمر : بالله لرأيتَ هٰذا ؟ فحلف له ، فبكىٰ)[5] .

---

(١) السنن الكبرىٰ (٢/ ١١٠) ، ومسند أحمد (٣/ ٢٢٥) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٤) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٣٩) .
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٤) .
(٥) حلية الأولياء (٥/ ٣٣٨) .

[مبايعة سيدنا عمر بن عبد العزيز وخلافته]

بويع بالخلافة بعهدٍ من سليمان ، في صفر ، سنة تسع وتسعين كما تقدم[1] ، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة الصديق رضي الله عنه ، ملأ فيها الأرض عدلاً ، وردَّ المظالم ، وسنَّ السنن الحسنة .

ولما قرىء كتاب العهد باسمه.. عُقر وقال : (والله ؛ إن هـٰذا الأمر ما سألته الله قط) ، وقدَّم إليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبىٰ ، وقال : (ائتوني ببغلتي) .

قال الحكم بن عمر : (شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها ، قال : ابعث بها إلىٰ أمصار الشام يبيعونها فيمن يزيد ، واجعل أثمانها في مال الله ، تكفيني بغلتي هـٰذه الشهباء)[2] .

وقال عمر بن ذر : (لما رجع عمر من جنازة سليمان.. قال له مولاه : ما لي أراك مغتماً ؟ قال : لمثل ما أنا فيه فليُغتم ؛ ليس أحد من الأمة.. إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إليَّ فيه ، ولا طالبه مني)[3] .

وعن عمرو بن مهاجر وغيره : (أن عمر لما استخلف.. قام في الناس ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإني لست بقاض ولـٰكني منفذ ، ولست بمبتدع ولـٰكني متبع ، ولست بخير من أحدكم ولـٰكني أثقلكم حملاً ؛ إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[4] .

وعن الزهري قال : (كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ سالم بن عبد الله يكتب إليه

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٣٧١) .
(٢) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٦٦) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٦٧ـ١٦٨) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٧١) ، والبداية والنهاية (٩/ ١٩٩) .

بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات ، فكتب إليه بالذي سأل ، وكتب إليه : إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك .. كنت عند الله خيراً من عمر)[١] .

وعن حماد : (أن عمر لما استُخلف .. بكىٰ ، فقال : يا أبا فلان ؛ أتخشىٰ علي ؟ قال : كيف حبك للدرهم ؟ قال : لا أحبه ، قال : لا تخف ؛ فإن الله سيعينك)[٢] .

[سياسته في الخلافة والعودة إلىٰ سيرة الراشدين]

وعن مغيرة قال : (جمع عمر حين استخلف بني مروان فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ؛ ينفق منها ، ويعول منها علىٰ صغير بني هاشم ، ويزوج منها أيمهم ، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبىٰ ، فكانت كذلك حياة أبي بكر ، ثم عمر ، ثم أقطعها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ، فرأيت أمراً منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أني قد رددتها علىٰ ما كانت علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٣] .

وعن الليث قال : (لما ولي عمر .. بدأ بلحمته وأهل بيته ؛ فأخذ ما بأيديهم ، وسمَّىٰ أموالهم مظالم)[٤] .

وقال أسماء بن عبيد : (دخل عنبسة بن سعيد بن العاصي علىٰ عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا منعتناها ، ولي عيال وضيعة ، أفتأذن لي أن أخرج إلىٰ ضيعتي لما يصلح عيالي ؟ فقال عمر : أحبُّكم من كفانا مؤنته ، ثم قال له : أكثر ذكر الموت ؛ فإن

---

(١) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٧٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٧٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٧٩) .
(٤) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٨٠) .

كنت في ضيق من العيش . . وسَّعه عليك ، وإن كنت في سعة من العيش . . ضيَّقه عليك)[1] .

وقال فرات بن السائب : (قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله : اختاري : إما أن تردِّي حليك إلىٰ بيت المال ، وإما أن تأذني لي في فراقك ؛ فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد ؟

قالت : لا ؛ بل أختارك عليه وعلىٰ أضعافه ، فأمر به فحُمل حتىٰ وُضع في بيت مال المسلمين ، فلما مات عمر واستخلف يزيد . . قال لفاطمة : إن شئتِ رددته إليك ؟ قالت : لا والله ؛ لا أطيب به نفساً في حياته وأرجع فيه بعد موته)[2] .

وقال عبد العزيز : (كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا قد خربت ؛ فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمُّها به . . فعل ؟ فكتب إليه عمر : إذا قرأت كتابي هـٰذا . . فحصِّنها بالعدل ، ونقِ طرقها من الظلم ؛ فإنه مرمتها ، والسلام)[3] .

وقال إبراهيم السَّكوني : (قال عمر بن عبد العزيز : ما كذبت منذ علمت أن الكذب شَينٌ علىٰ أهله)[4] .

[شهادة الناس في سيدنا عمر بن عبد العزيز]

وقال قيس بن حَبْتر : (مثل عمر في بني أمية . . مثل مؤمن آل فرعون)[5] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٨٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٠٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٠٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٣٩١) من طريق محمد بن عبد العزيز ، عن ابن عائشة عبيد الله بن محمد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤٣) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤٣) .

وقال ميمون بن مهران : (إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي ، وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز)[١] .

وقال وهب بن منبه : (إن كان في هـٰذه الأمة مهدي . . فهو عمر بن عبد العزيز)[٢] .

وقال محمد بن فضالة : (مرَّ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز براهب في الجزيرة ، فنزل إليه الراهب ولم ينزل لأحدٍ قبله ، وقال : أتدري لِمَ نزلت إليك ؟ قال : لا ، قال : لحق أبيك ، إنا نجده من أئمة العدل بموضع رجب من الأشهر الحرم ، ففسَّره أيوب بن سويد : ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم : أبو بكر وعمر وعثمان ، ورجب منفرد منها : عمر بن عبد العزيز)[٣] .

وقال حسن القصَّاب[٤] : (رأيت الذئاب ترعىٰ مع الغنم بالبادية في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقلت : سبحان الله !! ذئب في غنم لا يضرها ، فقال الراعي : إذا صلح الرأس . . فليس على الجسد بأس)[٥] .

وقال مالك بن دينار : (لما ولي عمر بن عبد العزيز . . قالت رعاء الشاء : من هـٰذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدل ؟! كفت الذئاب عن شائنا)[٦] .

وقال موسى بن أعين : (كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاء والذئب ترعىٰ في مكان واحد ، فبينا نحن ذات ليلة . . إذ عرض الذئب للشاة ، فقلت : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك ، فحسبوا فوجدوه مات تلك الليلة)[٧] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٣٩) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٤) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٥) .
(٤) كذا في النسخ ، وفي مصادر التخريج : (جسر القاصب) .
(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٢٣) .
(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٧٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/ ٥٥٥) .
(٧) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٧٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٥) .

وقال الوليد بن مسلم : (بلغنا أن رجلاً كان بخراسان قال : أتاني آتٍ في المنام فقال : إذا قام أشج بني مروان . . فانطلق فبايعه ؛ فإنه إمام عدل ، فجعلت أسأل كلما قام خليفة ، حتىٰ قام عمر بن عبد العزيز ، فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فارتحلت إليه فبايعته)[1] .

وعن حبيب بن هند الأسلمي قال : (قال لي سعيد بن المسيب : إنما الخلفاء ثلاثة : أبو بكر وعمر وعمر ، قلت : هـٰذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما ؛ فمن عمر ؟ قال : إن عشتَ . . أدركته ، وإن متَّ . . كان بعدك) ، قلت : ومات ابن المسيب قبل خلافة عمر[2] .

وقال ابن عون : (كان ابن سيرين إذا سُئل عن الطِّلاء . . قال : نهىٰ عنه إمام الهدىٰ) يعني : عمر بن عبد العزيز[3] .

وقال الحسن : (إن كان مهدي . . فعمر بن عبد العزيز ، وإلا . . فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم)[4] .

[ذكر شيء من زهده وفضائله]

وقال مالك بن دينار : (الناس يقولون : مالك زاهد ؛ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، الذي أتته الدنيا فتركها)[5] .

وقال يونس بن أبي شبيب : (شهدت عمر بن عبد العزيز وإن حجزة إزاره لغائبة في عكنه ، ثم رأيته بعد ما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها . . لفعلت)[6] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/ ١٨٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٨٨) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٩٠) ، والطلاء : ما طُبخ من عصير العنب حتىٰ صار على الثلث ، وذهب ثلثاه .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٨٦) .

(٥) أخرجه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٤٩) .

(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٧٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٧) ، والعكنة : الطي في البطن من السمن .

وقال ولده عبد العزيز : (سألني أبو جعفر المنصور : كم كانت غلة أبيك حين أفضت الخلافة إليه ؟ قلت : أربعين ألف دينار ، قال : فكم كانت حين توفي ؟ قلت : أربع مئة دينار ، ولو بقي . . لنقصت)[1] .

وقال مسلمة بن عبد الملك : (دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه ؛ فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : ألا تغسلين قميصه ؟ قالت : والله ؛ ما له قميص غيره)[2] .

وقال أبو أمية الخصي غلام عمر : (دخلت يوماً إلىٰ مولاتي فغدتني عدساً ، فقلت : كل يوم عدس ؟! فقالت : يا بني ؛ هـٰذا طعام مولاك أمير المؤمنين) .

قال : (ودخل عمر الحمام يوماً فاطلىٰ ، فولي عانته بيده)[3] .

قال : (ولما احتضر . . بعثني بدينار إلىٰ أهل الدير فقال : إن بعتموني موضع قبري ؛ وإلا . . تحولت عنكم ، فأتيتهم فقالوا : لولا أنا نكره أن يتحول عنا . . ما قبلناه)[4] .

وقال عون بن المعمر : (دخل عمر على امرأته ، فقال : يا فاطمة ؛ عندك درهم أشتري به عنباً ؟ قالت : لا ، قالت : وأنت أمير المؤمنين لا تقدر علىٰ درهم تشتري به عنباً ؟! قال : هـٰذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في جهنم)[5] .

وقالت فاطمة امرأته : (ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتىٰ قبضه)[6] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٧) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١١) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/ ٣٦٠) .
(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) .
(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١٤) .
(٦) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١٥) .

[بكاء جواريه]

وقال سهل بن صدقة : (لما استخلف عمر . . سُمع في منزله بكاء ، فسألوا عن ذلك ، فقالوا : إن عمر خيَّر جواريه ، فقال : قد نزل بي أمر قد شغلني عنكم ، فمن أحب أن أعتقه . . أعتقته ، ومن أحب أن أمسكه . . أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء ، فبكين إياساً منه)[1] .

وقالت فاطمة امرأته : (كان عمر إذا دخل البيت . . ألقىٰ نفسه في مسجده ، فلا يزال يبكي ويدعو حتىٰ تغلبه عيناه ، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع)[2] .

وقال الوليد بن أبي السائب : (ما رأيت أحداً قط أخوف من عمر)[3] .

وقال سعيد بن سويد : (صلىٰ عمر بالناس الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله قد أعطاك فلو لبست ؟ فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند القدرة)[4] .

وقال ميمون بن مهران : (سمعت عمر يقول : لو أقمت فيكم خمسين عاماً . . ما استكملت فيكم العدل ؛ إني لأريد الأمر فأخاف ألا تحمله قلوبكم ، فأخرج معه طمعاً من الدنيا ، فإن أنكَرَت قلوبكم هـٰذا . . سكنت إلىٰ هـٰذا)[5] .

وقال إبراهيم بن ميسرة : (قلت لطاووس : هو المهدي ـ يعني : عمر بن عبد العزيز ـ قال : هو مهدي ، وليس به ؛ إنه لم يستكمل العدل كله)[6] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٦٨) ، والضمير في (عنكم) هـٰكذا في الأصول بالتذكير ، وجاء في « الحلية » و« تاريخ دمشق » : (عنكن) وهو الأولىٰ ، والله أعلم .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٦) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٠٧) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٨١) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٥/ ١٨٩) .

وقال عمر بن أسيد : (والله ؛ ما مات عمر حتىٰ جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : اجعلوا هـٰذا حيث ترون ، فما يبرح حتىٰ يرجع بماله كله ، قد أغنىٰ عمر الناس)[1] .

وقال جويرية : (دخلنا علىٰ فاطمة بنة علي بن أبي طالب ، فأثنت علىٰ عمر بن عبد العزيز وقالت : لو كان بقي لنا . . ما احتجنا بعد إلىٰ أحد)[2] .

وقال عطاء بن أبي رباح : (حدثتني فاطمة امرأة عمر : أنها دخلت عليه وهو في مصلاَّه تسيل دموعه علىٰ لحيته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ألشيء حدث ؟

قال : يا فاطمة ؛ إني تقلدت من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أسودها وأحمرها ، فتفكرت في : الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ، فخشيت ألا تثبت لي حجة فبكيت)[3] .

[كيف أوليكم ديني ؟]

وقال الأوزاعي : (إن عمر بن عبد العزيز كان جالساً في بيته وعنده أشراف بني أمية ، فقال : تحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً ؟ فقال رجل منهم : لِمَ تعرض علينا ما لا تفعله ؟!

قال : ترون بساطي هـٰذا ؟ إني لأعلم أنه يصير إلىٰ بلىً وفناء ، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم ، فكيف أوليكم ديني ، أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم ؟! هيهات لكم هيهات !!

فقالوا له : لِمَ ؟ أما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ قال : ما أنتم وأقصىٰ رجل من

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٥/ ١٩٥) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٥/ ١٩٦) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٥/ ١٩٦ـ١٩٧) .

المسلمين عندي في هـٰذا الأمر إلا سواء ، إلا رجل من المسلمين حبسه عني طول شقَّته)[١] .

وقال حميد[٢] : (أملىٰ عليَّ الحسن رسالةً إلىٰ عمر بن عبد العزيز فأبلغ ، ثم شكا الحاجة والعيال ، فأمر بعطائه)[٣] .

وقال الأوزاعي : (كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلاً . . حبسه ثلاثة أيام ، ثم عاقبه ؛ كراهة أن يعجل في أول غضبه)[٤] .

وقال جويرية بن أسماء : (قال عمر بن العزيز : إن نفسي نفسٌ توَّاقة ؛ لم تُعطَ من الدنيا شيئاً . . إلا تاقت إلىٰ ما هو أفضل منه ، فلما أعطيت ما لا شيء فوقه من الدنيا . . تاقت نفسي إلىٰ ما هو أفضل منه) يعني : الجنة[٥] .

وقال عمرو بن مهاجر : (كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين)[٦] .

وقال يوسف بن يعقوب الكاهلي : (كان عمر يلبس الفروة الكَبَل ، وكان سراج بيته علىٰ ثلاث قصبات فوقهن طين)[٧] .

وقال عطاء الخراساني : (أمر عمر غلامه أن يسخن له ماء ، فانطلق فسخَّن قمقماً في مطبخ العامة ، فأمره عمر أن يأخذ بدرهم حطباً يضعه في المطبخ)[٨] .

وقال عمرو بن مهاجر : (كان عمر يسرج عليه الشمعة ما كان في حوائج المسلمين ، فإذا فرغ من حوائجهم . . أطفأها ثم أسرج عليه سراجه)[٩] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٥/ ١٩٩) .
(٢) في مطبوع « تاريخ دمشق » : (حنبل) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٠١) .
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٤٠٦) .
(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٠٨) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١٢) .
(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١٤) ، والكَبَل : القصير .
(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١٤) .
(٩) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١٦) .

وقال الحكم بن عمر : (كان للخليفة ثلاث مئة حرسي ، وثلاث مئة شرطي ، فقال عمر للحرس : إن لي عنكم بالقَدَر حاجزاً ، وبالأجل حارساً ، من أقام منكم . . فله عشرة دنانير ، ومن شاء . . فليلحق بأهله)[1] .

[الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم هدية ولنا رشوة]

وقال عمرو بن مهاجر : (اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحاً ، فأهدىٰ إليه رجلٌ من أهل بيته تفاحاً ، فقال : ما أطيب ريحه وأحسنه !! ارفعه يا غلام ـ للذي أتىٰ به ـ وأقرىء فلاناً السلام وقل له : إن هديتك وقعت عندنا بحيث تحب ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ؟! فقال : ويحك !! إن الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية ، وهي لنا اليوم رشوة)[2] .

[مواعظه ونصحه وتواضعه]

وقال إبراهيم بن ميسرة : (ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب أحداً في خلافته ، غير رجل واحد تناول من معاوية ، فضربه ثلاثة أسواط)[3] .

وقال الأوزاعي : (لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة . . كلّموه في ذلك ، فقال : لن يتسع مالي لكم ، وأما هٰذا المال . . فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصىٰ بَرْك الغِمَاد)[4] .

وقال أبو عمر : (كتب عمر بن عبد العزيز : بردِّ أحكامٍ من أحكام الحجاج مخالفة لأحكام الناس)[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٧/ ٢٠٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٢٠) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٧٤) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧١) ، وبرك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧٠) .

وقال يحيى الغساني : (لما ولاَّني عمر بن عبد العزيز الموصل . . قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقةً ونقباً ، فكتبت إليه أعلمه حال البلد ، وأسأله : آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة ؟ أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السُّنَّة ؟ فكتب إليَّ : أنِ خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة ؛ فإن لم يصلحهم الحق . . فلا أصلحهم الله .

قال يحيىٰ : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل . . حتىٰ كانت من أصلح البلاد ، وأقله سرقة ونقباً)[1] .

وقال رجاء بن حَيْوة : (سمرت ليلة عند عمر ، فعشي السراج ، وإلىٰ جانبه وصيف ، قلت : ألا أنبهه ؟ قال : لا ، قلت : أفلا أقوم ؟ قال : ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه ، فقام إلىٰ بطة الزيت ، وأصلح السراج ثم رجع ، وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز)[2] .

وقال نعيم كاتبه : (قال عمر : إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة)[3] .

وقال مكحول : (لو حلفت . . لصدقت ؛ ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز !!)[4] .

وقال سعيد بن أبي عروبة : (كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت . . اضطربت أوصاله)[5] .

وقال عطاء : (كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون ، حتىٰ كأن بين أيديهم جنازة)[6] .

وقال عبيد الله بن العيزار : (خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام علىٰ منبر من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧١) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٢٦) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٢٩) .
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٧) .
(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣١٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٤١) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٩) .

طين ، فقال : أيها الناس ؛ أصلحوا أسراركم.. تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم.. تكفوا دنياكم ، واعلموا : أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي لَمُعرق له في الموت ، والسلام عليكم)[1] .

وقال وهيب بن الورد : (اجتمع بنو مروان إلىٰ باب عمر بن عبد العزيز ، فقالوا لابنه عبد الملك : قل لأبيك : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا ، وإن أباك قد حرمنا ما في يديه ، فدخل علىٰ أبيه فأخبره ، فقال له : قل لهم : إن أبي يقول لكم : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾)[2] .

وقال الأوزاعي : (قال عمر بن عبد العزيز : خذوا من الرأي ما يصدق من كان قبلكم ، ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم ؛ فإنهم خيرٌ منكم وأعلم)[3] .

وقيل : قدم جرير فطال مقامه بباب عمر بن عبد العزيز ولم يلتفت إليه ، فكتب إلىٰ عون بن عبد الله وكان خصيصاً بعمر : [من البسيط]

يا أيها القارىء المُرخي عمامتَه ... هـٰذا زمانُك إنِّي قد مَضَىٰ زَمَنِي

أبلغ خليفَتَنا إن كنتَ لاقِيَه ... أنِّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ[4]

وقال جويرية بن أسماء : لما استخلف عمر بن عبد العزيز.. جاءه بلال بن أبي بردة فهنأه وقال : من كانت الخلافة شرفته.. فقد شرَّفتَها ، ومن كانت زانته.. فقد زِنْتَها ، وأنت كما قال مالك بن أسماء[5] : [من الخفيف]

وتَزيدين طَيِّبَ الطيبِ طِيباً ... إن تَمسِّيه أين مثلُك أينا

وإذا الدرُّ زانَ حُسنَ وجوهٍ ... كان للدرِّ حُسنُ وجهكِ زينا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ٨١) ، ومعرق : أي يصير له عرق فيه ؛ يعني : أصيلاً .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٧) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣١٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٦٦) ، والبيتان في « ديوانه » (ص٤٨٦) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٥١٠) .

وقال جعونة : (لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز . . جعل عمر يثني عليه ، فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ؛ لو بقي . . كنت تعهد إليه ؟ قال : لا ، قال : ولِمَ وأنت تثني عليه ؟ قال : أخاف أن يكون زُيِّن في عيني منه ما زين في عين الوالد من ولده)[1] .

وقال غسان : عن رجل من الأزد : (قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله وإيثاره . . تخف عنك المؤنة ، وتحسن لك من الله المعونة)[2] .

وقال أبو عمرو : (دخلتِ ابنة أسامة بن زيد علىٰ عمر بن عبد العزيز ، فقام لها ومشىٰ إليها ، ثم أجلسها في مجلسه وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلا قضاها)[3] .

وقال الحجاج بن عنبسة : (اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا علىٰ أمير المؤمنين فعطفناه علينا ، فدخلوا ، فتكلم رجل منهم فمزح ، فنظر إليه عمر ، فوصل له رجل كلامه بالمزاح .

فقال : لهٰذا اجتمعتم ؟! لأخس الحديث ولما يورث الضغائن ؟! إذا اجتمعتم . . فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعديتم ذلك . . ففي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن تعديتم ذلك . . فعليكم بمعاني الحديث)[4] .

وقال إياس بن معاوية بن قرَّة : (ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صنَاع حسن الصنعة ، ليست له أداة يعمل بها) يعني : لا يجد من يعينه[5] .

وقال عمر بن حفص : (قال لي عمر بن عبد العزيز : إذا سمعت كلمة من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٥٢) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٦٧) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٠/ ٨) .
(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧٢) .
(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧٤) .

امرىء مسلم . . فلا تحملها علىٰ شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير)[1] .

[قصة صاحب الحرس مع سيدنا عمر بن عبد العزيز]

وقال يحيى الغساني : (كان عمر ينهىٰ سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : ضمنهم الحبس حتىٰ يُحْدِثوا توبة ، فأُتي سليمان بحروري ، فقال له سليمان : هيه ، فقال الحروري : وماذا أقول يا فاسق بن الفاسق ، فقال سليمان : عليَّ بعمر بن عبد العزيز .

فلما جاء . . قال : اسمع مقالة هـٰذا ، فأعادها الحروري ، فقال سليمان لعمر : ماذا ترىٰ عليه ؟ فسكت ، قال : عزمت عليك ؛ لتخبرني ماذا ترىٰ عليه ؟

قال : أرىٰ عليه أن تشتمه كما شتمك ، قال : ليس إلا [ذا] ؟! فأمر به سليمان فضُربت عنقه ، وخرج عمر ، فأدركه خالد صاحب الحرس ، فقال : يا عمر ؛ كيف تقول لأمير المؤمنين : ما أرىٰ عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ؟! والله ؛ لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك .

قال : ولو أمرك . . فعلت ؟ قال : إي والله .

فلما أفضت الخلافة إلىٰ عمر . . جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس ، فقال عمر : يا خالد ؛ ضع هـٰذا السيف عنك ، وقال : اللهم ؛ إني قد وضعت لك خالداً فلا ترفعه أبداً ، ثم نظر في وجوه الحرس ، فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري ، فقال : يا عمرو ؛ والله لتعلمن أن ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ؛ ولـٰكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألاّ يراك أحد ، فرأيتك تحسن الصلاة ، وأنت رجل من الأنصار ، خذ هـٰذا السيف ؛ فقد وليتك حرسي)[2] .

وقال شعيب : (حدثت أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل علىٰ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧٨) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٧٩ـ ٢٨٠) ، وما بين معقوفين زيادة منه .

أبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال : رأيتَ بدعة فلم تُمتها ، أو سنة فلم تُحيها ؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، يا بني ؛ إن قومك قد شدوا هـٰذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتىٰ أردتُ مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم . . لم آمن أن يَفتقوا عليَّ فتقاً يكثر فيه الدماء ، والله ؛ لزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يراق في سببي محجمة من دم ، أوما ترضىٰ ألا يأتي علىٰ أبيك يوم من أيام الدنيا . . إلا وهو يُميت فيه بدعة ، ويُحيي فيه سنة ؟!)[1] .

وقال معمر : (قال عمر بن عبد العزيز : قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع)[2] .

وقال أرطاة بن المنذر : (قيل لعمر بن عبد العزيز : لو اتخذت حرساً ، واحترزت في طعامك وشرابك ؟ فقال : اللهم ؛ إن كنت تعلم أني أخاف شيئاً دون يوم القيامة . . فلا تؤمن خوفي)[3] .

[من خطب سيدنا عمر ونهجه في ذلك]

وقال عدي بن الفضل : (سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال : اتقوا الله أيها الناس ، وأجملوا في الطلب ؛ فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبل ، أو حضيض أرض . . يأته)[4] .

وقال أزهر : (رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وعليه قميص مرقوع)[5] .

وقال عبد الله بن العلاء : (سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب في الجمع بخطبة واحدة يرددها ، يفتتحها بسبع كلمات : الحمد لله نحمده ، ونستعينه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٨٣) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٩٠) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٩٢) .
(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٩٦) .
(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٩٧) .

ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله . . فلا مضل له ، ومن يضلل . . فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله . . فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله . . فقد غوىٰ .

ثم يوصي بتقوى الله ، ويتكلم ، ثم يختم خطبته الأخيرة بقراءة هـٰؤلاء الآيات : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ إلىٰ تمام العشر)[1] .

وقال حاجب بن خليفة البُرْجُمي : (شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة ، فقال في خطبته : ألا إن ما سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه . . فهو دِينٌ نأخذ به ، وننتهي إليه ، وما سن سواهما . . فإنا نرجئه)[2] .

أسند جميع ما قدمته أبو نعيم في « الحلية » .

وأخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : (دخلنا علىٰ عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يُسلِّمون عليه ويقولون : تقبَّل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين ، فيرد عليهم ولا ينكر عليهم)[3] .

قلت : هـٰذا أصلٌ حسنٌ للتهنئة بالعيد والعام والشهر .

[من وصاياه لعماله]

وأخرج عن جَعْونَةَ قال : (ولّىٰ عمر بن عبد العزيز عمرو بن قيس السكوني الصائفة ، فقال : اقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، ولا تكن في أولهم فتقتل ، ولا في آخرهم فتفشل ، ولـٰكن كن وسطاً حيث يُرىٰ مكانك ، ويسمع صوتك)[4] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٠٢) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٩٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٦/ ٤٣٦) .
(٤) تاريخ دمشق (١١/ ٢٤٤) .

وأخرج عن السائب بن محمد قال : (كتب الجراح بن عبد الله إلىٰ عمر بن عبد العزيز : إن أهل خراسان قومٌ ساءت رعيتهم ، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ؛ فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك ؟

فكتب إليه عمر : أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم ، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ؛ فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم ، والسلام)[1] .

وأخرج عن أمية بن يزيد القرشي قال : (كان عمر بن عبد العزيز إذا أملىٰ عليَّ كتابه . . قال : اللهم ؛ إني أعوذ بك من شر لساني)[2] .

وأخرج عن صالح بن جبير قال : (ربما كلمتُ عمر بن عبد العزيز في الشيء فيغضب ، فأذكر أن في الكتاب مكتوباً : اتق غضبة الملك الشاب ، فأرفق به حتىٰ يذهب غضبه ، فيقول لي بعد ذلك : لا يمنعك يا صالح ما ترىٰ منا أن تراجعنا في الأمر إذا رأيته)[3] .

وأخرج عن عبد الحليم بن محمد المخزومي قال : (قدم جرير بن الخطَفَىٰ علىٰ عمر بن عبد العزيز ، فذهب ليقول ، فنهاه عمر ، فقال : إنما أذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فاذكر ، فقال : [من الكامل]

إنَّ الـذي ابتَعَـث النبـيَّ محمـداً ... جعـلَ الخـلافـةَ لـلأميـرِ العـادلِ
ردَّ المظــالِــمَ حقَّهــا بيقينِهــا ... عـن جَـورها وأقـامَ ميلَ المـائـلِ
إنِّـي لأرجـو منـكَ خيـراً عـاجـلاً ... والنفـسُ مُغـرمـة بحـبِّ العـاجـلِ

فقال له عمر : ما أجد لك في كتاب الله حقاً !! قال : بلىٰ يا أمير المؤمنين ؛ إنني ابن سبيل ، فأمر له من خاصة ماله بخمسين ديناراً)[4] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (١/ ٧٦٠) لابن منظور .
(٢) تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٢٣/ ٣٢٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٤/ ٤٥ـ ٤٦) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٣٣١) .

وفي « الطيوريات » : (أن حريز بن عثمان الرحبي دخل مع أبيه علىٰ عمر بن عبد العزيز ، فسأله عمر عن حال ابنه ، ثم قال له : علِّمه الفقه الأكبر ، قال : وما الفقه الأكبر ؟ قال : القناعة وكف الأذىٰ) .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن محمد بن كعب القرظي قال : (دعاني عمر بن عبد العزيز فقال : صِفْ لي العدل ، فقلت : بخ !! سألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس علىٰ قدر ذنوبهم ؛ وعلىٰ قدر أجسادهم ، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتعدَّىٰ فتكون من العادين)[1] .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن الزهري : (أن عمر بن عبد العزيز كان يتوضأ مما مسته النار ؛ حتىٰ كان يتوضأ من السُّكَّر)[2] .

وأخرج عن وهيب : (أن عمر بن عبد العزيز قال : من عَدَّ كلامه من عمله . . قلَّ كلامه)[3] .

وقال الذهبي : (أظهر غيلان القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فاستتابه عمر ، فقال : لقد كنت ضالاً فهديتني ، فقال عمر : اللهم ؛ إن كان صادقاً ؛ وإلا . . فاصلبه واقطع يديه ورجليه ، فنفذت فيه دعوته ، فأُخذ في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقطعت أربعته ، وصُلب بدمشق في القدر)[4] .

وقال غيره : (كان بنو أمية يَسبُّون عليَّ بن أبي طالب في الخطبة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز . . أبطله ، وكتب إلىٰ نوابه بإبطاله ، وقرأ مكانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . . . ﴾ الآيَة ، فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن)[5] .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٢٦٣٦) ، وفيه : (متعدياً) بدل (فتعدىٰ) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٦٧١) ، وهو من حديث الزهري عن سالم عن ابن عمر ، وفعل عمر هـٰذا أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١١٤٦) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٩٧٩٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٧/٤٤١) .

(٥) الكامل (٤/٩٨) .

وقال القالي في « أماليه » : حدثنا أبو بكر بن الأنباري ، حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبيد قال : قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته[1] : [من مجزوء الكامل]

انْـهَ الفـؤادَ عـن الصِّبـا ... وعـن انقيـادٍ للهـوَىٰ
فلعمـرُ ربِّـك إن فـي ... شيـبِ المَفـارقِ والجَلـىٰ
لـكَ واعظـاً لـو كنـتَ تَتّـ ... ـعـظُ اتِّعـاظَ ذوي النُّهـىٰ
حتَّـىٰ مَتَـىٰ لا تَـرعَـوِي ... وإلـىٰ مَتَـىٰ وإلـىٰ مَتَـىٰ
مـا بعـدَ أن سُميـت كَهْـ ... ـلاً واستُلبـت اسـمَ الفتَـىٰ
بَلِـي الشبـابُ وأنـتَ إنْ ... عُمِّـرتَ رهـنٌ للبلَـىٰ
وكَفَـىٰ بـذلـك زَاجـراً ... للمـرءِ عـن غَـيٍّ كَفَـىٰ

فائدة
[الصلع في الخلفاء]

قال الثعالبي في « لطائف المعارف » : (كان عمر أصلع ، وعثمان وعلي ومروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز ، ثم انقطع الصلع عن الخلفاء)[2] .

فائدة
[امرأة حفَّها الخلفاء]

قال الزبير بن بكار : (قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز : [من الكامل]

بنـتُ الخليفـةِ والخليفـةُ جـدُّهـا ... أختُ الخلائفِ والخليفةُ زوجُها

قال : فلم تكن امرأة تستحق هـٰذا البيت إلىٰ يومنا هـٰذا غيرها)[3] .

قلت : وإلىٰ يومنا هـٰذا .

---

(١) أمالي القالي (٢/ ٤٥) .
(٢) لطائف المعارف (ص١١٥) .
(٣) الموفقيات (٢٠٩) ، والبيت لوضاح اليمن في « ديوانه » (ص٨٢) .

قال أيوب : (قيل لعمر بن عبد العزيز : **لو أتيت المدينة ؛ فإن متَّ . . دُفنتَ في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : والله ؛ لأن** يعذبني الله بكل عذاب إلا النار . . أحب إلي من أن يعلم الله مني أني أراني لذلك الموضع أهلاً)[1] .

وقال الوليد بن هشام : (قيل لعمر في مرضه : **ألا تتداوىٰ ؟ فقال : لقد علمت الساعة التي سُقِيتُ فيها** ، ولو كان شفائي أن أمسح شحمة أذني ، أو أُوتىٰ بطيبٍ فأرفعه إلىٰ أنفي . . ما فعلت)[2] .

وقال عبيد بن حسان : (لما احتُضر عمر بن عبد العزيز . . قال : **اخرجوا عني** ، فقعد مسلمة وفاطمة على الباب ، فسمعوه يقول : **مرحباً بهـٰذه الوجوه ، ليست بوجوهِ إنسٍ ولا جان** ، ثم قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ . . . ﴾ الآيَةَ ، ثم هدأ الصوت ، فدخلوا فوجدوه قد قبض)[3] .

وقال هشام : (لما جاء نعي عمر بن عبد العزيز . . قال الحسن البصري : **مات خير الناس**)[4] .

وقال خالد الرَّبَعي : (**إنا نجد في التوراة** : أن السماوات والأرض تبكي علىٰ عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً)[5] .

وقال يوسف بن ماهَك : (بينا نحن نسوي التراب علىٰ قبر عمر بن عبد العزيز . . إذ سقط علينا كتاب رق من السماء فيه : **بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار**)[6] .

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٣٣٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٥٣) .
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٣٤٣) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٤٩) .
(٣) حلية الأولياء (٥/ ٣٣٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٥٥) .
(٤) أخرجه أحمد في « الزهد » (ص٢٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٦١) .
(٥) حلية الأولياء (٥/ ٣٤٢) ، وأخرجه ابن الأعرابي في « معجمه » (١٥٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٦٠) ، وعندهما : (أربعين سنة) .
(٦) حلية الأولياء (٥/ ٣٣٧) .

[وصيته وعهده لمن بعده]

وقال قتادة : (كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ ولي العهد من بعده :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلىٰ يزيد بن عبد الملك ، سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو .

أما بعد : فإني كتبت وأنا دَنِفٌ من وجعي ، وقد علمتُ أني مسؤول عما وُلِّيتُ ، يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً ، فإن يرضَ عني . . فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وإن سخط عليَّ . . فيا ويح نفسي إلامَ أصير ؟!

أسأل الله الذي لا إلـٰه إلا هو أن يجيرني من النار برحمته ، وأن يمنَّ عليَّ برضوانه والجنة ، فعليك بتقوى الله ، والرعية الرعية ؛ فإنك لن تبقىٰ بعدي إلا قليلاً والسلام)[1] .

أسند هـٰذا كله أبو نعيم في « الحلية » .

توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بدير سِمعان ـ بكسر السين ـ من أعمال حمص ، لعشر بقين ـ وقيل : لخمس بقين ـ من رجب ، سنة إحدىٰ ومئة ، وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وكانت وفاته بالسم ، كانت بنو أمية قد تبرموا به ؛ لكونه شدَّد عليهم ، وانتزع من أيديهم كثيراً مما غصبوه ، وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم .

قال مجاهد : (قال لي عمر بن عبد العزيز : ما يقول الناس فيَّ ؟ قلت : يقولون : مسحور ، قال : ما أنا بمسحور ، وإني لأعلم الساعة التي سقيت فيها ، ثم دعا غلاماً له فقال : ويحك !! ما حملك علىٰ أن تسقيني السم ؟!

قال : ألف دينار أُعطيتها ، وعلىٰ أن أُعتق ، قال : هاتها ، قال : فجاء بها ،

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٧٤) .

فألقاها في بيت المال وقال : اذهب حيث لا يراك أحد)[1] .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : أبو أمامة بن سهل بن حُنيف ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسالم بن أبي الجعد ، وبشر بن سعيد ، وأبو عثمان النهدي ، وأبو الضحىٰ .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٥٠) .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

[١٠١ـ١٠٥هـ][١]

أبو خالد الأموي الدمشقي ، ولد سنة إحدىٰ وسبعين ، وولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهدٍ من أخيه سليمان ؛ كما تقدم[٢] .

وقال عبد الرحمـٰن بن زيد بن أسلم : (لما ولي يزيد . . قال : سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز ، فأُتي بأربعين شيخاً فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب !!)[٣] .

وقال ابن الماجِشُون : (لما مات عمر بن عبد العزيز . . قال يزيد : والله ؛ ما عمر بأحوج إلى الله مني ، فأقام أربعين يوماً يسير بسيرة عمر ، ثم عدل عن ذلك)[٤] .

وقال سليم بن بشير : (كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ يزيد بن عبد الملك حين احتضر : سلام عليك ، أما بعد : فإني لا أراني إلا لما بي ، فالله في أمة محمد ؛ فإنك تَدَعُ الدنيا لمن لا يحمدك ، وتفضي إلىٰ من لا يعذرك ، والسلام)[٥] .

وفي سنة اثنتين : خرج يزيد بن المهلب على الخلافة ، فوجَّه إليه مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، فهزم يزيد وقتل ، وذلك بالعَقْر موضع بقرب كربلاء .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٧/ ٢١) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٣٠) ، و« تاريخ دمشق » (٦٥/ ٣٠٠) ، و« المنتظم » (٧/ ٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٧/ ٢٧٩) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٣٢٢) ، و« البداية والنهاية » (٩/ ٢٣١) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٣٧١) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/ ٣٠٤) .

(٤) تاريخ دمشق (٦٥/ ٣٠٨) .

(٥) تاريخ دمشق (٦٥/ ٣٠٦) .

قال الكلبي : (نشأت وهم يقولون : ضحَّىٰ بنو أمية يوم كربلاء بالدِّين ، ويوم العَقْر بالكرم) .

مات يزيد في أواخر شعبان ، سنة خمس ومئة .

[من مات في عهده]

وممن مات في خلافته من الأعلام : الضحاك بن مزاحم ، وعدي بن أرطاة ، وأبو المتوكل الناجي ، وعطاء بن يسار ، ومجاهد ، ويحيى بن وثَّاب مقرىء الكوفة ، وخالد بن معدان ، والشعبي عالم العراق ، وعبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت ، وأبو قلابة الجَرْمي ، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، وآخرون .

خلافة هشام بن عبد الملك

[١٠٥ـ ١٢٥هـ][(١)]

أبو الوليد ، ولد سنة نيف وسبعين ، واستخلف بعهد من أخيه يزيد .

قال مصعب الزبيري : (رأىٰ عبد الملك في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات ، فسأل سعيد بن المسيب فقال : يملك من ولده لصلبه أربعة ، فكان آخرهم هشام)[(٢)] .

وكان هشام حازماً عاقلاً ، كان لا يدخل بيت ماله مالاً حتىٰ يشهد أربعون قسامة : لقد أخذ من حقه ، ولقد أعطىٰ لكل ذي حق حقه .

وقال الأصمعي : (أسمع رجل مرة هشاماً كلاماً ، فقال له : يا هـٰذا ؛ ليس لك أن تسمع خليفتك) .

قال : وغضب مرة علىٰ رجل ، فقال : (والله ؛ لقد هممت أن أضربك سوطاً) .

وقال سَحْبل بن محمد : (ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من هشام)[(٣)] .

وعن هشام أنه قال : (ما بقي شيء من لذات الدنيا . . إلا وقد نلته إلا شيء واحد ؛ أخ أرفع مؤنة التحفظ فيما بيني وبينه)[(٤)] .

وقال الشافعي : (لما بنىٰ هشام الرصافة بقِنَّسرين . . أحب أن يخلو يوماً

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٧/ ٢٥) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٤١) ، و« المنتظم » (٧/ ١٠٧) ، و« الكامل » (٥/ ١٢٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/ ٢٨٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٧/ ٤١٧) .

(٢) نسب قريش (ص١٦٣) ، وفيه : (فدس من يسأل سعيد بن المسيب) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٢٠) .

(٤) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٢٧٤١) .

لا يأتيه فيه غم ، فما انتصف النهار حتىٰ أتته ريشة بدم من بعض الثغور ، فأُوصلت إليه فقال : ولا يوماً واحداً !!)

وقيل : إن هـٰذا البيت له ولم يحفظ له سواه : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تعصِ الهَوَىٰ قادَكَ الهَوَىٰ ... إلـىٰ بعـضِ مـا فيـه عليـكَ مقـالُ

مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومئة .

وفي سنة سبع من أيامه : فتحت قيصرية[1] الروم بالسيف .

وفي سنة ثمان : فتحت خنجرة علىٰ يد البطَّال الشجاع المشهور[2] .

وفي سنة اثنتي عشرة : فتحت خَرْشنة في ناحية مَلَطْية .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : سالم بن عبد الله بن عمر ، وطاووس ، وسليمان بن يسار ، وعكرمة مولى ابن عباس ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وكُثيِّر عزة الشاعر ، ومحمد بن كعب القُرَظي ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابي آخرهم موتاً ، وجرير ، والفرزدق ، وعطية العوفي ، ومعاوية بن قرة ، ومكحول ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو جعفر الباقر ، ووهب بن منبِّه ، وسكينة بنت الحسين ، والأعرج ، وقتادة ، ونافع مولى ابن عمر ، وابن عامر مقرىء الشام ، وابن كثير مقرىء مكة ، وثابت البُنَاني ، ومالك بن دينار ، وابن محيصن المقرىء ، وابن شهاب الزهري ، وخلائق آخرون .

---

(١) ويقال لها : قيسارية .

(٢) هو : عبد الله أبو محمد ، ويقال : أبو يحيى . انظر « تاريخ الإسلام » (٧/ ٤٠٦) .

ومن أخبار هشام

[الحكمة في مخاطبة السلطان]

أخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : (أراد هشام بن عبد الملك أن يوليني خراج مصر فأبيت ، فغضب حتى اختلج وجهه ، وكان في عينيه الحول ، فنظر إلي نظراً منكراً وقال : لَتلينَّ طائعاً أو لتَلينَّ كارهاً ، فأمسكت عن الكلام حتىٰ سكن غضبه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أتكلم ؟ قال : نعم .

قلت : إن الله تعالىٰ قال في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا . . . ﴾ الآية ، فوالله يا أمير المؤمنين ؛ ما غضب عليهن إذ أبين ، ولا أكرههن إذ كرهن ، وما أنا بحقيق أن تغضب عليَّ إن أبيت ، ولا تكرهني إذ كرهت ، فضحك وأعفاني)(١) .

[موعظة خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك]

وأخرج عن خالد بن صفوان قال : (وفدت علىٰ هشام بن عبد الملك فقال : هات يا بن صفوان ، قلت : إن ملكاً من الملوك خرج متنزهاً إلى الخَوَرْنَق ، وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة ، فنظر وقال لجلسائه : لمن هٰذا ؟ قالوا : للملك .

قال : فهل رأيتم أحداً أُعطي مثل ما أعطيت ؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة ، فقال : إنك قد سألت عن أمر ، فتأذن لي بالجواب ؟ قال : نعم .

قال : أرأيت ما أنت فيه ، أشيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائل عنك إلىٰ غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذا هو .

قال : فتعجب بشيء يسير لا تكون فيه إلا قليلاً ، وتنقل عنه طويلاً ، فيكون عليك حساباً ؟!

قال : ويحك !! فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ وأخذته قشعريرة ، قال : إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله تعالىٰ علىٰ ما ساءك وسرك ، وإما أن تنخلع

---

(١) تاريخ دمشق (٦/ ٤٣٧) .

من ملكك وتضع تاجك ، وتلقي عنك أطمارك وتعبد ربك ؟

قال : إني مفكر الليلة وأوافيك السحر ، فلما كان السحر . . قرع عليه بابه ، فقال : إني اخترت هـٰذا الجبل وفلوات الأرض ، وقد لبست علي أمساحي ، فإن كنت لي رفيقاً . . لا تخالف ، فلزما الجبل حتىٰ ماتا .

وفيه يقول عدي بن زيد بن الحمار : [من الخفيف]

أيهـا الشَّـامـتُ المعيِّـر بـالـدَّهْـ ـــر أأنــت المبـرَّأُ المَـوفـورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ مِن الأيّـ ـــام بـل أنـتَ جـاهـلٌ مغـرورُ

مَـن رأيـت المَنـون خلَّـدن أم مَـنْ ذا عليــه مِـــن أن يُضـــام خفيـرُ

أين كِسرَىٰ كِسرَى الملوكِ أبو سَا ســـانَ أم أيـــنَ قبلــه ســابــورُ

وبَنـو الأصفـرِ الكـرامُ ملـوكُ الـ ـــرُّوم لــم يبــقَ منهُــمُ مــذكــورُ

وأَخُــو الحُضْــر إذ بنـاه وإذ دِجْـ ـلــة تُجبَــىٰ إليــه والخــابــورُ

شــادَه مَـــرْمـــراً وجلَّلـــه كلـ ـســاً فللطيــر فـــي ذُراه وُكـــورُ

لـم تَهَبـه ريـبُ المَنـون فبـادَ الـ ـملــك عنــه فبــابــه مهجــورُ

وتــذكَّــر ربَّ الخَــوَرْنَــق إذ أَشْـ ـــرف يــومــاً وللهُــدىٰ تــذكيــرُ

ســـرَّه مـــالُـــه وكثــرةُ مــا يَمْـ ـلــكُ والبحــرُ معـرض والسـديـرُ

فــارْعَــوىٰ قلبُــه وقــال ومــا غِبْـ ـطـة حـي إلـى الممـات يصيـرُ

ثـم بعـد الفـلاحِ والمُلـك والأمـ ـــة وارَتْهـــم هنـــاك القبـــورُ

ثـــم صـــاروا كـــأنهـــم ورَق جَـ ـــفَّ فـألْـوَت بـه الصَّبـا والـدَّبـورُ

قال : فبكىٰ هشام حتى اخضلت لحيته ، وأمر بأبنيته وطي فرشه ، ولزم قصره ، فأقبلت الموالي والحشم علىٰ خالد بن صفوان وقالوا : ماذا أردت إلىٰ أمير المؤمنين ؟ أفسدت عليه لذته ؟ فقال : إليكم عني ؛ فإني عاهدت الله ألا أخلو بملك . . إلا ذكرته الله تعالىٰ)[1] .

(١) تاريخ دمشق (١٦/٩٨ـ٩٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٨٧ ـ ٩٠) .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

[١٢٥ـ١٢٦هـ][١]

الخليفة الفاسق ، أبو العباس ، ولد سنة تسعين ، فلما احتضر أبوه.. لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي ، فعقد لأخيه هشام ، وجعل هـٰذا ولي العهد من بعد هشام ، فتسلم الأمر عند موت هشام ، في ربيع الآخر ، سنة خمس وعشرين ومئة .

وكان فاسقاً شريباً للخمر ، منتهكاً حرمات الله ، أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة ، فمقته الناس لفسقه ، وخرجوا عليه ، فقُتل في جمادى الآخرة ، سنة ست وعشرين .

وعنه : أنه لما حوصر.. قال : (ألم أزد في أعطياتكم ؟! ألم أرفع عنكم المؤن ؟! ألم أعط فقراءكم ؟! فقالوا : ما ننقم عليك في أنفسنا ؛ لـٰكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله[٢] .

ولما قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص.. نصبه علىٰ رمح ، فنظر إليه أخوه سليمان بن يزيد فقال : بعداً له ، أشهد أنه كان شروباً للخمر ، ماجناً فاسقاً ، ولقد راودني علىٰ نفسي)[٣] .

وقال المعافى الجريري : (جمعت شيئاً من أخبار الوليد ، ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقه وسخافته ، وما صرح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله) .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٠٨/٧) ، و« مروج الذهب » (٤٩/٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣١٩/٦٣) ، و« المنتظم » (٢٤٦/٧) ، و« الكامل » (٢٩٩/٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٨٧/٨) ، و« البداية والنهاية » (٦/١٠) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٣٣٩/٦٣) .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٣٤٤/٦٣) .

وقال الذهبي : (لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة ، بل اشتهر بالخمر والتلوط ، فخرجوا عليه لذلك)[1] .

وذكر الوليد مرة عند المهدي ، فقال رجل : (كان زنديقاً ، فقال المهدي : مه ، خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق)[2] .

وقال مروان بن أبي حفصة : (كان الوليد من أجمل الناس، وأشدهم وأشعرهم) .

وقال أبو الزناد : (كان الزهري يقدح أبداً عند هشام في الوليد ويعيبه ويقول : ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ، ولو بقي الزهري إلىٰ أن يملك الوليد . . لفتك به)[3] .

وقال الضحاك بن عثمان : أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده ، فقال الوليد[4] : [من الطويل]

كفرتَ يداً من مُنعم لو شكرتَها ... جَزَاكَ بها الرحمـٰنُ ذو الفضلِ والمنِّ
رأيتُك تَبني جاهداً في قَطيعتي ... ولو كنتَ ذا حزمٍ لهدَّمت ما تَبني
أراكَ على الباقين تَجني ضغينةً ... فيا وَيحهم إن متَّ من شرِّ ما تَجني
كأنِّي بهم يوماً وأكثرُ قِيلهم ... ألا ليتَ أنَّا حين يا ليتَ لا تُغني

وقال حمَّاد الراوية : (كنت يوماً عند الوليد ، فدخل عليه منجمان فقالا : نظرنا فيما أمرتنا فوجدناك تملك سبع سنين ، قال حماد : فأردت أن أخدعه ، فقلت : كذبا ونحن أعلم بالآثار وضروب العلم ، وقد نظرنا في هـٰذا فوجدناك تملك أربعين سنة ، فأطرق ثم قال : لا ، ما قالا يكسرني ، ولا ما قلت يغرني ، والله ؛ لأجبين هـٰذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ، ولأصرفنه في حقه صرف من يموت الغد)[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٩٤) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٣٥) .
(٣) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٨٩) ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٤٣٨) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٦٣/ ٣٢٧) .
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٢٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٨٥ ـ ٨٦) .
(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٣١) .

وقد ورد في « مسند أحمد » حديث : « لَيَكونَنَّ في هـٰذه الأمةِ رجلٌ يقالُ له : الوليدُ ، لهوَ أشدُّ علىٰ هـٰذه الأمةِ من فرعونَ لقومهِ »[١] .

وقال ابن فضل الله في « المسالك » : (الوليد بن يزيد ، الجبار العنيد ، لقباً ما عداه ، ولَقَماً[٢] سلكه فما هداه ، فرعون ذلك العصر الذاهب ، والدهر المملوء بالمعائب ، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار ، ويرديهم العار ، وبئس الورد المورود ، والمرد[٣] المردي في ذلك الموقف المشهود ، رشق المصحف بالسهام ، وفسق ولم يخف الآثام)[٤] .

وأخرج الصولي عن سعيد بن سليم قال : (أنشد ابن ميادة الوليد بن يزيد شعره الذي يقول فيه : [من الطويل]

فضلتم قريشاً غير آل محمد ... وغير بني مروان أهل الفضائل

فقال له الوليد : أراك قد قدمت علينا آل محمد ؟! فقال ابن ميادة : ما أراه يجوز غير ذلك !!)[٥] .

وابن ميادة هـٰذا هو القائل في الوليد أيضاً من قصيدة طويلة[٦] : [من الطويل]

هممتُ بقولٍ صادقٍ أن أقولَه ... وإنِّي علىٰ رغم العداةِ لقائلُه

رأيتُ الوليدَ بن اليزيدِ مُباركاً ... شديداً بأعباءِ الخلافَةِ كاهلُه

---

(١) مسند أحمد (١/ ١٨) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) اللقم : الطريق .

(٣) كذا في (ج ، د ، هـ) ، وفي (أ ، ب) : (المورد) ، وفي « المسالك » : (البرد) .

(٤) مسالك الأبصار (٢٤/ ٤٣٢) .

(٥) وابن ميادة هو : الرماح بن أبرد ، والبيت في « ديوانه » (ص٢٠٧) .

(٦) البيتان في « ديوانه » (ص ١٩٢) .

خلافة يزيد الناقص

[١٢٦ هـ][١]

أبو خالد بن الوليد بن عبد الملك ، لُقب بالناقص ؛ لكونه نقص الجند من أعطياتهم ، وثب على الخلافة ، وقتل ابن عمه الوليد وتملك .

وأمه : شاهفرند بنت فيروز بن يَزْدَجِرْد ، وأم فيروز : بنت شِيْرَوَيْه بن كسرىٰ ، وأم شِيْرَوَيْه : بنت خاقان ملك الترك ، وأم أم فيروز : بنت قيصر عظيم الروم ؛ فلهٰذا قال يزيد يفتخر[٢] : [من الرجز]

أنا ابن كسرىٰ وأبي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

قال الثعالبي : (هو أعرق الناس في الملك والخلافة من كلا طرفيه)[٣] .

ولما قتل يزيد الوليدَ . . قام خطيباً ، فقال : (أما بعد : إني والله ؛ ما خرجت أَشَراً ولا بَطَراً ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ؛ ولٰكن خرجت غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلىٰ كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حين درست معالم الهدىٰ ، وطفىء نور أهل التقوىٰ ، وظهر الجبار المستحل للحرمة ، والراكب البدعة ، فلما رأيت ذلك . . أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم علىٰ كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلىٰ ما هو عليه فيجيبه ، فاستخرت الله في أمري ، ودعوت من أجابني من أهلي وأهل ولايتي ، فأراح الله منه البلاد والعباد ولاية من الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٧/ ٢٦١) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٥٨) ، و« تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٤٩) ، و« المنتظم » (٧/ ٢٦٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/ ٣١١) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٢٥٧) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ١٦) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » (١٠/ ١٦) .

(٣) لطائف المعارف (ص ٦٤) .

أيها الناس ؛ إن لكم عندي إن وليت أموركم . . ألا أضع لبنة علىٰ لبنة ، ولا حجراً علىٰ حجر ، ولا أنقل مالاً من بلد حتىٰ أسد ثغره ، وأقسم بين مصالحه ما تقوون به ؛ فإن فضل فضل . . رددته إلى البلد الذي يليه حتىٰ تستقيم المعيشة ، وتكونوا فيه سواء ، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم . . فأنا لكم ، وإن ملت . . فلا بيعة لي عليكم ، وإن رأيتم أحداً أقوىٰ مني عليها فأردتم بيعته . . فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته ، وأستغفر الله لي ولكم)[١] .

وقال عثمان بن أبي العاتكة : (أول من خرج بالسلاح في العيد : يزيد بن الوليد ، خرج يومئذ بين صفين من الخيل عليهم السلاح من باب الحصن إلى المصلىٰ)[٢] .

وعن أبي عثمان الليثي : (قال يزيد الناقص : يا بني أمية ؛ إياكم والغناء ؛ فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل المسكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين . . فجنبوه النساء ؛ فإن الغناء داعية الزنا)[٣] .

وقال ابن عبد الحكم : (سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : لما ولي يزيد بن الوليد . . دعا الناس إلى القدر ، وحملهم عليه ، وقرب أصحاب غَيلان) .

ولم يمتع يزيد بالخلافة ، بل مات من عامه في سابع ذي الحجة ، فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة ، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة ، وقيل : ستاً وأربعين سنة ، ويقال : إنه مات بالطاعون .

---

(١) تاريخ الإسلام (٨/٣١١ـ٣١٢) ، وأخرجه خليفة بن الخياط في « تاريخه » (ص ١٠٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/٣١٢) .

(٣) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/١٦) وعزاه لابن أبي الدنيا .

خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

[١٢٦هـ] [١]

أبو إسحاق ، بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص ، فقيل : إنه عهد إليه ، وقيل : لا .

قال برد بن سنان : (حضرت يزيد بن الوليد وقد احتضر ، فأتاه قطن فقال : أنا رسول من وراء بابك ، يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم ، فغضب وقال : أنا أولي إبراهيم ؟! ثم قال : يا أبا العلاء ؛ إلىٰ من ترىٰ أعهد ؟ قلت : أمرٌ نهيتك عن الدخول فيه ، فلا أشير عليك في آخره ، قال : وأُغمي عليه حتىٰ حسبته قد مات ، فقعد قطن فافتعل كتاباً بالعهد علىٰ لسان يزيد ودعا ناساً ، فاستشهدهم عليه ، ولا والله ما عهد يزيد شيئاً)[٢] .

ومكث إبراهيم في الخلافة سبعين ليلة ، ثم خلع ، خرج عليه مروان بن محمد وبويع ، فهرب إبراهيم ، ثم جاء وخلع نفسه من الأمر ، وسلمه إلىٰ مروان ، وبايع طائعاً .

وعاش إبراهيم بعد ذلك إلىٰ سنة اثنتين وثلاثين ، فقُتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح .

وفي « تاريخ ابن عساكر » : (سمع إبراهيم : من الزهري ، وحكىٰ عن : عمه هشام ، حكىٰ عنه : ابنه يعقوب)[٣] .

وأمه : أم ولد ، وهو أخو : مروان الحمار لأمه .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٧/ ٢٩٩) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٥٨) ، و« تاريخ دمشق » (٧/ ٢٤٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/ ٣٤) ، و« الوافي بالوفيات » (٦/ ١٦٣) وحكم (٧٠) ليلةً .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٢٤٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٧/ ٢٤٧) .

وكان خلعه يوم الاثنين ، لأربع عشرة خلت من صفر ، سنة سبع وعشرين ومئة .

وقال المدائني : (لم يتم لإبراهيم أمر ؛ كان قوم يسلمون عليه بالخلافة ، وقوم يسلمون عليه بالإمرة ، وأبىٰ قوم أن يبايعوا له) .

وقال بعض شعرائهم[1] : [من الطويل]

نُبَايِعُ إبراهيمَ في كل جمعةٍ ... أَلا إن أمراً أنتَ وَالِيه ضائعُ

وقال غيره : (كان نقش خاتمه : إبراهيم يثق بالله)[2] .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٢٤٨) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٢٤٩) .

خلافة مروان الحمار

[١٢٧ـ ١٣٢هـ][1]

آخر خلفاء بني أمية ، أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم .

ويلقب بالجعدي نسبة إلىٰ مؤدبه الجعد بن درهم ، وبالحمار ؛ لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه .

كان يصل السُّرىٰ بالسير ، ويصبر علىٰ مكاره الحرب[2] .

ويقال في المثل : فلان أصبر من حمار في الحروب ؛ فلذلك لقب به ، وقيل : لأن العرب تسمي كل مئة سنة حماراً ، فلما قارب ملك بني أمية مئة سنة . . لقبوا مروان بالحمار لذلك .

ولد مروان بالجزيرة ، وأبوه متوليها ، سنة اثنتين وسبعين ، وأمه : أم ولد .

وولي قبل الخلافة ولايات جليلة ، وافتتح قُونِيَة سنة خمس ومئة .

وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والرُّجْلة[3] والدهاء والعسف ، فلما قُتل الوليد ، وبلغه ذلك وهو علىٰ أرمينية . . دعا إلىٰ بيعة من رضيه المسلمون فبايعوه ، فلما بلغه موت يزيد . . أنفق الخزائن ، وسار فحارب إبراهيم فهزمه ، وبويع مروان ؛ وذلك في نصف صفر سنة سبع وعشرين ، واستوثق له الأمر ، فأول ما فعل : أمر بنبش يزيد الناقص ، فأخرجه من قبره وصلبه ؛ لكونه قتل الوليد[4] .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٧/ ٣١١) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٧١) ، و« تاريخ دمشق » (٥٧/ ٣١٩) ، و« المنتظم » (٧/ ٢٧٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/ ٥٣٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٤٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٥٣٤) .

(٣) الرُّجْلة : القوة على المشي .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٨/ ٥٣٥) .

ثم إنه لم يتهن بالخلافة ؛ لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلىٰ سنة اثنتين وثلاثين ، فخرج عليه بنو العباس ؛ وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح ، فسار لحربهم ، فالتقى الجمعان بقرب الموصل ، فانكسر مروان ، فرجع إلى الشام ، فتبعه عبد الله ، ففر مروان إلىٰ مصر ، فتبعه صالح أخو عبد الله ، فالتقيا بقرية بوصير ، فقُتل مروان بها في ذي الحجة من السنة .

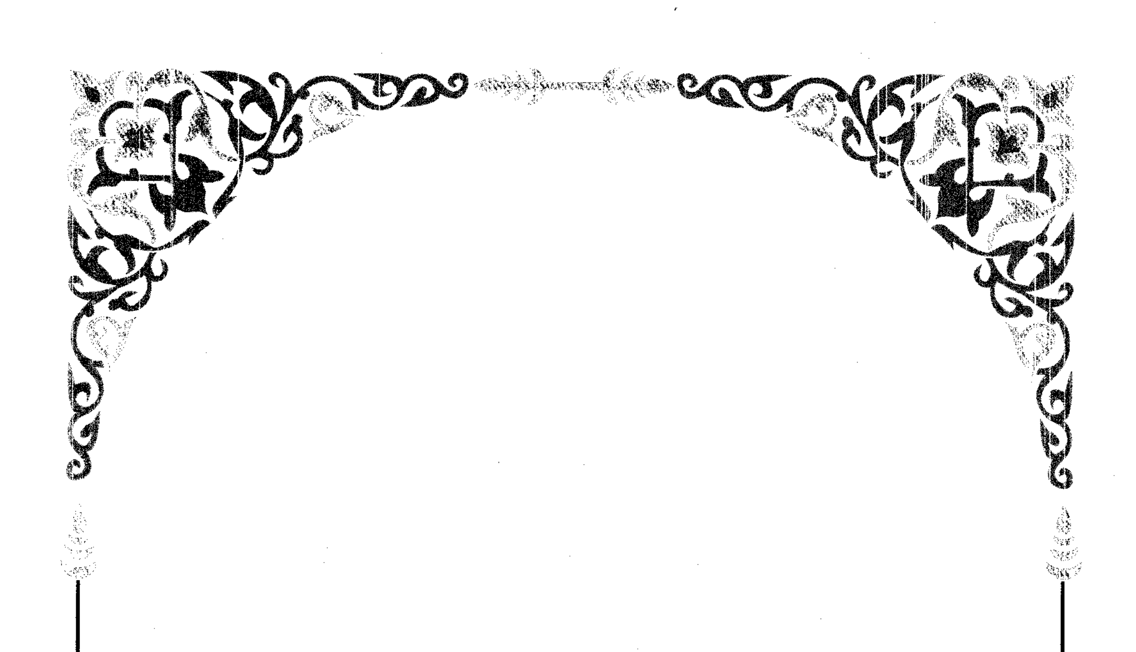
[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : السُّدي الكبير ، ومالك بن دينار الزاهد ، وعاصم بن أبي النَّجود المقرىء ، ويزيد بن أبي حبيب ، وشيبة بن نِصَاح المقرىء ، ومحمد بن المنكدر ، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرىء المدينة ، وأيوب السَّخْتِياني ، وأبو الزناد ، وهمَّام بن منبِّه ، وواصل بن عطاء المعتزلي .

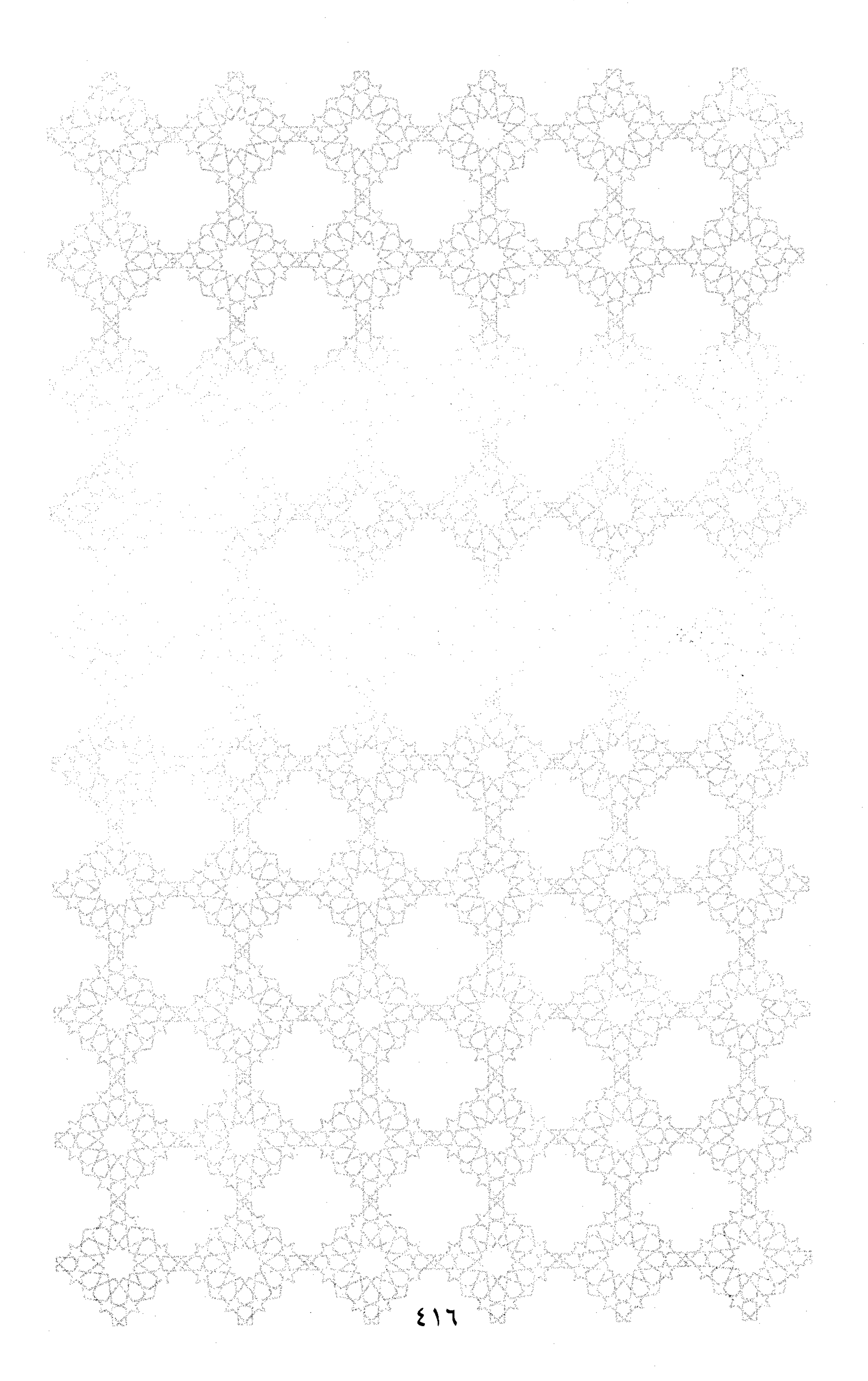
[من عجائب الدهر لسان مروان في فم هر]

وأخرج الصولي عن محمد بن صالح قال : (لما قُتل مروان الحمار . . قطع رأسه ووجه به إلىٰ عبد الله بن علي ، فنظر إليه وعزل ، فجاءت هرة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه ، فقال عبد الله بن علي : لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هر . . لكفانا ذلك !!) .





الدّولة العبّاسيّة



خلافة السفّاح
أوّل خلفاء بني العبّاس

[١٣٢-١٣٦هـ][1]

أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن هاشم .

ولد سنة ثمان ومئة ، وقيل : سنة أربع بالحُميمة من ناحية البلقاء ، ونشأ بها ، وبويع بالكوفة ، وأمه : رائطة الحارثية .

حدث عن : أخيه إبراهيم بن محمد الإمام ، وروىٰ عنه : عمه عيسى بن علي ، وكان أصغر من أخيه المنصور .

أخرج أحمد في « مسنده » عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخرجُ رجلٌ من أهلِ بَيتي عندَ انْقِطَاعٍ من الزَّمانِ وظهورٍ من الفِتَنِ يقال له : السَّفَّاح ، فيكون إعطاؤه المالَ حَثْياً »[2] .

وقال عبيد الله العيشي : قال أبي : (سمعت الأشياخ يقولون : والله ؛ لقد أفضت الخلافة إلىٰ بني العباس وما في الأرض أحدٌ أكثر قارئاً للقرآن ، ولا أفضل عابداً ، ولا ناسكاً منهم)[3] .

قال ابن جرير الطبري : (كان بدء أمر بني العباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول إلىٰ ولده ، فلم يزل ولده يتوقَّعون ذلك)[4] .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٧/ ٤٧٠) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٩٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ٤٦) ، و« تاريخ دمشق » (٣٢/ ٢٧٦) ، و« المنتظم » (٧/ ٣٠٥) ، و« الكامل » (٥/ ٤٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/ ٤٦٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٧٧) ، و« الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٧٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٥٨) .

(٢) مسند أحمد (٣/ ٨٠) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٠٨) .

(٤) تاريخ الطبري (٧/ ٤٢١) .

وعن رِشْدِين بن كُريب : أن أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية خرج إلى الشام ، فلقي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فقال : (يا بن عم ؛ إن عندي علماً أريد أن أنبذه إليك فلا تُطلِعَنَّ عليه أحداً ، إن هٰذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم ، قال : قد علمته ، فلا يسمعنه منك أحد)[1] .

وروى المدائني عن جماعة : أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال : (لنا ثلاثة أوقات : موت يزيد بن معاوية ، ورأس المئة ، وفتق بإفريقية ، فعند ذلك تدعو لنا دعاة ، ثم تقبل أنصارنا من المشرق ، حتىٰ ترد خيولهم المغرب) .

فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ، ونقضت البربر . . بعث محمد الإمام رجلاً إلىٰ خراسان ، وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمي أحداً ، ثم وجه أبا مسلم الخراساني وغيره ، وكتب إلى النقباء فقبلوا كتبه ، ثم لم ينشب أن مات محمد ، فعهد إلى ابنه إبراهيم ، فبلغ خبره مروان فسجنه ثم قتله ، فعهد إلىٰ أخيه عبد الله ؛ وهو السفاح ، فاجتمع إليه شيعتهم ، وبويع بالخلافة بالكوفة ، في ثالث ربيع الأول ، سنة اثنتين وثلاثين ومئة .

[أول خطبة جمعة للسفاح بالكوفة]

وصلىٰ بالناس الجمعة ، وقال في الخطبة : (الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ، فكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه ، والقوَّام به والذَّابين عنه .

ثم ذكر قرابتهم في آيات القرآن . . . إلىٰ أن قال : فلما قبض الله نبيه . . قام بالأمر أصحابه إلىٰ أن وثب بنو حرب ومروان ، فجاروا واستأثروا ، فأملى الله لهم حيناً ، حتىٰ آسفوه فانتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقَّنا ؛ ليمنَّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله .

---

(١) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٧/ ٤٢١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٨/ ٣٣٦) .

يا أهل الكوفة ؛ أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا لم تفتروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدت في أعطياتكم مئةً مئةً فاستعدوا ؛ فأنا السفاح المبيح ، والثائر المُبير)[1] .

وكان عيسى بن علي إذا ذكر خروجهم من الحُميمة يريدون الكوفة . . يقول : (إن أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم يطلبون ما طلبنا . . لَعظيمةٌ هممهم ، شديدة قلوبهم !!)[2] .

ولما بلغ مروان مبايعة السفاح . . خرج لقتاله ، فانكسر كما تقدم ثم قُتل[3] ، وقُتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم ما لا يحصىٰ من الخلائق ، وتوطدت له الممالك إلا أقصى المغرب .

قال الذهبي : (بدولته تفرقت الجماعة ، وخرج عن الطاعة ما بين تاهَرْت وطُبْنَة إلىٰ بلاد السودان وجميع مملكة الأندلس ، وخرج بهـٰذه البلاد من تغلَّب عليها ، واستمر ذلك)[4] .

مات السفاح بالجدري ، في ذي الحجة ، سنة ست وثلاثين ومئة ، وكان قد عهد لأخيه أبي جعفر ، وكان في سنة أربع وثلاثين قد انتقل إلى الأنبار ، وصيَّرها دار الخلافة .

ومن أخبار السفاح

قال الصولي : (من كلامه : إذا عظمت القدرة . . قلَّتِ الشهوة ، وقلَّ تبرعٌ إلا ومعه حق مضاع .

وقال : إن من أدنياء الناس ووضعائهم : من عدَّ البخل حزماً ، والحلم ذلاً .

وقال : إذا كان الحلم مفسدة . . كان العفو معجزة ، والصبر حسن إلا علىٰ

---

(١) تاريخ الإسلام (٨/ ٣٣٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٣٣٧) .

(٣) انظر ما تقدم قريباً (ص ٤١٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٨/ ٤٦٦ـ ٤٦٧) .

ما أوتغ الدين[1] ، وأوهن السلطان ، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة) .

قال الصولي : (وكان السفاح أسخى الناس ، ما وعد عدة قط فأخرها عن وقتها ، ولا قام من مجلسه حتىٰ يقضيها ، وقال له عبد الله بن حسن مرة : سمعت بألف ألف درهم وما رأيتها قط ، فأمر بها فأحضرت ، وأمر بحملها معه إلىٰ منزله) .

قال : (وكان نقش خاتمه : الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وقل ما يروىٰ له من الشعر .

[شدة ذكائه وسرعة جوابه]

وقال سعيد بن مسلم الباهلي : (دخل عبد الله بن حسن على السفاح مرة والمجلس غاص ببني هاشم والشيعة ووجوه الناس ، ومعه مصحف ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أعطنا حقَّنا الذي جعله الله لنا في هـٰذا المصحف .

فقال له : إن علياً جدك كان خيراً مني وأعدل ، وَلِي هـٰذا الأمر فأعطىٰ جديك الحسن والحسين ـ وكانا خيراً منك ـ شيئاً ، وكان الواجب أن أعطيك مثله ؟ فإن كنتُ فعلت . . فقد أنصفتك ، وإن كنتُ زدتك . . فما هـٰذا جزائي منك ، فانصرف ولم يحر جواباً ، وعجب الناس من جواب السفاح)[2] .

قال المؤرخون : (في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام ، وسقط اسم العرب من الديوان ، وأدخل الأتراك في الديوان ، واستولت الدَّيلم ، ثم الأتراك ، وصارت لهم دولة عظيمة ، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام ، وصار بكل قطرٍ قائمٌ يأخذ الناس بالعسف ، ويملكهم بالقهر .

قالوا : وكان السفاح سريعاً إلىٰ سفك الدماء ، فاتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب ، وكان مع ذلك جواداً بالمال)[3] .

---

(١) وأوتغ دينه : أفسده .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٤٦٧ـ٤٦٨) .

(٣) انظر « السلوك لمعرفة دول الملوك » (١/ ١١٥) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : زيد بن أسلم ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وربيعة الرأي فقيه أهل المدينة ، وعبد الملك بن عُمير ، ويحيى بن أبي إسحاق الحضرمي ، وعبد الحميد الكاتب المشهور ؛ قُتل ببوصير مع مروان ، ومنصور بن المعتمر ، وهمَّام بن منبِّه .

خلافة المنصور

[١٣٧-١٥٨هـ][1]

أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه : سلامة البربرية أم ولد ، ولد سنة خمس وتسعين ، وأدرك جده ولم يرو عنه ، وروىٰ عن : أبيه وعن عطاء بن يسار ، وعنه : ولده المهدي .

وبويع بالخلافة بعهد من أخيه ، وكان فحل بني العباس هيبةً وشجاعةً ، وحزماً ورأياً وجبروتاً ، جمَّاعاً للمال ، تاركاً للَّهو واللعب ، كامل العقل ، جيد المشاركة في العلم والأدب ، فقيه النفس .

قَتَل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه ؛ وهو الذي ضرب أبا حنيفة رحمه الله على القضاء ، ثم سجنه فمات بعد أيام ، وقيل : إنه قتله بالسم لكونه أفتىٰ بالخروج عليه .

وكان فصيحاً بليغاً ، مفوَّهاً خليقاً للإمارة ، وكان غاية في الحرص والبخل ، فلقب أبا الدوانيق ؛ لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات .

أخرج الخطيب عن الضحاك عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « منَّا السفَّاحُ ، ومنَّا المنصور ، ومنَّا المهدي » ، قال الذهبي : منكر منقطع[2] .

وأخرج الخطيب وابن عساكر وغيرهما من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨/٥٩) ، و« مروج الذهب » (٤/١٢٨) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/٥٣) ، و« تاريخ دمشق » (٣٢/٢٩٨) ، و« المنتظم » (٧/٣٤٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/٤٦٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/٨٣) ، و« الوافي بالوفيات » (١٧/٣٧٤) ، و« البداية والنهاية » (١٠/١٢١) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١/٦٢-٦٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/٤٦٧) .

عباس قال : (منا السفاح ، ومنا المنصور ، ومنا المهدي) ، قال الذهبي : إسناده صالح[1] .

وأخرج ابن عساكر من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن محمد بن جابر ، عن الأعمش ، عن أبي الوَدَّاك ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « منَّا القائمُ ، ومنَّا المنصورُ ، ومنَّا السفَّاحُ ، ومنَّا المهديُّ ، فأما القائمُ . . فتَأتِيه الخلافةُ ولم يُهراق فيها مِحجمة من دم ، وأما المنصورُ . . فلا تردُّ له رايةٌ ، وأما السفَّاحُ . . فهو يسفَحُ المالَ والدمَ ، وأَما المهديُّ . . فيَملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً »[2] .

وعن المنصور قال : (رأيت كأني في الحرم ، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وبابها مفتوح ، فنادىٰ مناد : أين عبد الله ؟ فقام أخي أبو العباس حتىٰ صار على الدرجة فأُدخل ، فما لبث أن خرج ومعه قناة عليها لواءٌ أسودُ ؛ قدر أربعة أذرع ، ثم نودي : أين عبد الله ؟ فقمت إلى الدرجة فأُصعدتُ ؛ وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال ، فعَقَد لي وأوصاني بأمته وعمَّمني بعمامة ، فكان كورها ثلاثة وعشرين ، وقال : « خذها إليك أبا الخلفاء إلىٰ يوم القيامة »)[3] .

تولى المنصور الخلافة في أول سنة سبع وثلاثين ، فأول ما فعل : أن قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم ، وممهد مملكتهم ! !

وفي سنة ثمان وثلاثين ومئة : دخل عبد الرحمـٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي إلى الأندلس ، واستولىٰ عليها وامتدت أيامه ، وبقيت الأندلس في يد أولاده إلىٰ بعد الأربع مئة ، وكان عبد الرحمـٰن هـٰذا من أهل العلم والعدل ، وأمه : بربرية .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٨) ، وتاريخ دمشق (٣٢/ ٢٨٠) ، ومستدرك الحاكم (٤/ ٥١٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/ ٤٦٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٠١ـ ٣٠٢) . وأبو الودَّاك : هو جبر بن نوف .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٠٥ـ ٣٠٦) .

قال أبو المظفر الأَبِيوَردي : فكانوا يقولون : ملك الدنيا ابنا بربريتين : المنصور ، وعبد الرحمـٰن بن معاوية .

وفي سنة أربعين : شرع في بناء مدينة بغداد .

وفي سنة إحدىٰ وأربعين : كان ظهور الرِّيوَنْدية القائلين بالتناسخ ، فقتلهم المنصور .

وفيها : فتحت طبرستان .

[بدء تدوين الحديث والفقه والتفسير]

قال الذهبي : (في سنة ثلاث وأربعين : شرع علماء الإسلام في هـٰذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير ؛ فصنف ابن جريج بمكة ، ومالك « الموطأ » بالمدينة ، والأوزاعي بالشام ، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، ومعْمَر باليمن ، وسفيان الثوري بالكوفة ، وصنف ابن إسحاق « المغازي » ، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي ، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ، ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هـٰذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم ، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة)(١) .

وفي سنة خمس وأربعين : كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فظفر بهما المنصور ، فقتلهما وجماعةً كثيرةً من آل البيت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) تاريخ الإسلام (٩/ ١٣) .

وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبلُ شيئاً واحداً ، وآذى المنصور خلقاً من العلماء ممن خرج معهما ، أو أمر بالخروج ؛ قتلاً وضرباً وغير ذلك ، منهم : أبو حنيفة ، وعبد الحميد بن جعفر ، وابن عجلان .

وممن أفتىٰ بجواز الخروج مع محمد على المنصور : مالك بن أنس ، وقيل له : إن في أعناقنا بيعة للمنصور ؟! فقال : (إنما بايعتم مكرهين ، وليس علىٰ مكره يمين)[1] .

وفي سنة ست وأربعين : كانت غزوة قُبرس .

وفي سنة سبع وأربعين : خلع المنصور عمه عيسى بن موسىٰ من ولاية العهد ، وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور ، وكان عيسىٰ هو الذي حارب له الأخوين وظفر بهما ، فكافأه بأن خلعه مكرهاً ، وعهد إلىٰ ولده المهدي[2] .

وفي سنة ثمان وأربعين : توطدت الممالك كلها للمنصور ، وعظمت هيبته في النفوس ، ودانت له الأمصار ، ولم يبق خارجاً عنه سوىٰ جزيرة الأندلس فقط ؛ فإنها غلب عليها عبد الرحمـٰن بن معاوية الأموي المرواني ، لـٰكنه لم يتلقب بأمير المؤمنين بل بالأمير فقط ، وكذلك بنوه .

وفي سنة تسع وأربعين : فرغ من بناء بغداد .

وفي سنة خمسين : خرجت الجيوش الخراسانيّة عن الطّاعة مع الأمير

(١) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٧/ ٥٦٠) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٩) .

أُسنادسيس ، واستولىٰ علىٰ أكثر خراسان ، وعظم الخطب ، واستفحل الشَّرُّ ، واشتدَّ على المنصور الأمر ، وبلغ ضريبة الجيش الخراساني ثلاث مئة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فعمل معهم أجثم المَرْوَزي مصافّاً ، فَقُتل أجثم واستبيح عسكره ، فتجهَّز لحربهم حازم بن خزيمة في جيش عَرَمْرَم يسدّ الفضاء ، فالتقى الجمعان ، وصبر الفريقان ، وكانت موقعة مشهورة ، يقال : قُتل [منهم] فيها سبعون ألفاً ، وانهزم أُسنادسيس ، فالتجأ إلىٰ جبل ، وأمر الأمير حازم في العام الآتي بالأسْرَىٰ فضُربت أعناقهم ، وكانوا أربعة عشر ألفاً ، ثم حاصروا أُسنادسيس مدّة ، ثم سلّم نفسه ، فقيّدوه وأطلقوا أجناده ، وكان عددهم ثلاثين ألفاً . انتهىٰ[1] .

وفي سنة إحدىٰ وخمسين : بنى الرصافة وشيَّدها .

وفي سنة ثلاث وخمسين : ألزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال ، فكانوا يعملونها بالقصب والورق ويلبسونها السواد ، فقال أبو دلامة : [من الطويل]

وكنَّا نرجِّي من إمام زيادةً فزاد الإمامُ المصطفىٰ في القلانسِ
تَراها علىٰ هامِ الرجالِ كأنَّها دنانُ يهودٍ جُلِّلت بالبرانسِ[2]

وفي سنة ثمان وخمسين : أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير ، فحُبسا وتخوف الناس أن يقتلهما المنصور إذا ورد الحج ، فلم يوصله الله مكة سالماً ، بل قدم مريضاً ، ومات ، وكفاهما الله شره ، وكانت وفاته بالبطن في ذي الحجة ، ودُفن بين الحُجون وبئر ميمون[3] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٩/ ٥٣) ، وفيه : أستاذسيس ، وخازم بن خزيمة .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٤٢ ـ ٤٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/ ٣٥٦) ، وأبو دلامة : هو زند بن الجون ، والبيتان في « ديوانه » (ص٦٠) .
(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٦٥) ، و« تاريخ دمشق » (٣٢/ ٣٤٦) .

وقال سلم الخاسر[1] : [من الكامل]

قَفَلَ الحجيجُ وخلَّفوا ابنَ محمدٍ رَهْناً بمكةَ في الضَّريحِ المُلحدِ
شَهدوا المناسِكَ كلَّها وإمامُهم تحتَ الصفائحِ مُحرماً لم يشهدِ

ومن أخبار المنصور

أخرج ابن عساكر بسنده : (أن أبا جعفر المنصور كان يرحل في طلب العلم قبل الخلافة ، فبينا هو يدخل منزلاً من المنازل.. قبض عليه صاحب الرصد فقال : زن درهمين قبل أن تدخل ، قال : خل عني ؛ فإني رجل من بني هاشم ، قال : زن درهمين ، قال : خل عني ؛ فإني من بني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : زن درهمين ، قال : خل عني ؛ فإني رجل قارىء لكتاب الله تعالىٰ ، قال : زن درهمين ، قال : خل عني ؛ فإني رجل عالم بالفقه والفرائض ، قال : زن درهمين ، فلما أعياه أمره.. وزن الدرهمين ، ولزم جمع المال والتدنق فيه ، فلُقِّبَ بأبي الدوانيق)[2] .

[الخلفاء أربعة والملوك أربعة]

وأخرج عن الربيع بن يونس الحاجب قال : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والملوك أربعة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وأنا[3] .

وأخرج عن مالك بن أنس قال : (دخلت علىٰ أبي جعفر المنصور ، فقال : من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : أبو بكر وعمر ، قال : أصبت ، وذلك رأي أمير المؤمنين)[4] .

---

(١) البيتان في « أنساب الأشراف » (٤/ ٣٦٨) بلا نسبة .
(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٠٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٠٩) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٠٩) .

[خطبة المنصور في عرفة]

وأخرج عن إسماعيل الفِهْري قال : سمعت المنصور في يوم عرفة علىٰ منبر عرفة يقول في خطبته : (أيها الناس ؛ إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ورشده ، وخازنه علىٰ فيئه ، أقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلاً ، إذا شاء أن يفتحني لإعطائكم ، وإذا شاء أن يقفلني عليه . . أقفلني ، فارغبوا إلى الله .

أيها الناس ؛ وسلوه في هٰذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلَمَكم به في كتابه ؛ إذ يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ : أن يوفقني للصواب ، ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل ؛ فإنه سميع مجيب)[١] .

وأخرجه الصولي ، وزاد في أوله : أن سبب هٰذه الخطبة : أن الناس بخَّلوه ، وزاد في آخره : فقال بعض الناس : (أحال أمير المؤمنين بالمنع علىٰ ربه) .

وأخرج عن الأصمعي وغيره : أن المنصور صعد المنبر فقال : (الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ اذكر من أنت في ذكره ، فقال : مرحباً مرحباً ، لقد ذكرت جليلاً ، وخوفت عظيماً ، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له : اتق الله . . أخذته العزة بالإثم ، والموعظة منا بدت ، ومن عندنا خرجت ، وأنت يا قائلها ؛ فأحلف بالله ما اللهَ أردتَ بها ، وإنما أردت أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، فأهون بها من قائلها واهْتَبَلْها الله ويلك أني غفرتها[٢] ، وإياكم معشر الناس وأمثالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فعاد إلىٰ خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس[٣] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١١) .

(٢) في مطبوع « تاريخ الإسلام » (٩/ ٤٦٨) : (واهتبلها من الله) ، واهتبلها : أي : اغتنمها ، يقال : اهتبلت غفلته ؛ أي : اغتنمتها .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٢) .

[نصيحة المنصور لابنه المهدي]

وأخرج من طرق : أن المنصور قال لابنه المهدي : (يا أبا عبد الله ؛ الخليفة لا يصلحه إلا التقوىٰ ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو : أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً : من ظلم من هو دونه)[1] .

وقال : (لا تبرمنّ أمراً حتىٰ تفكر فيه ؛ فإن فكرة العاقل مرآته تريه قبيحه وحسنه)[2] .

وقال : (أي بني ؛ استدم النعمة بالشكر ، والمقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألُّف ، والنصر بالتواضع والرحمة للناس[3] .

[مَنْ عفا أجرُه على الله]

وأخرج عن مبارك بن فَضالة قال : كنا عند المنصور ، فدعا برجل ودعا بالسيف ، فقال المبارك : (يا أمير المؤمنين ؛ سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كانَ يومُ القيامةِ . . قامَ مُنادٍ مِن عندِ الله يُنادي : لِيَقُم الذينَ أجرُهم على الله ، فلا يقومُ إلاَّ مَن عَفا » فقال المنصور : خلوا سبيله)[4] .

وأخرج عن الأصمعي قال : (أُتي المنصور برجلٍ يعاقبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضىٰ لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين ، فعفا عنه)[5] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٥) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٦) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٩) .

[لا يجمع الله علينا حشفاً وسوء كيل]

وأخرج عن الأصمعي قال : (لقي المنصور أعرابياً بالشام فقال : احمد الله يا أعرابي ؛ الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت ، قال : إن الله لم يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ؛ ولايتكم والطاعون)[1] .

[موعظة بعض الزهاد للمنصور]

وأخرج عن محمد بن منصور البغدادي قال : (قام بعض الزهاد بين يدي المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده ، فأفحم المنصور وأمر له بمال ، فقال : لو احتجت إلىٰ مالك . . ما وعظتك)[2] .

[أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني]

وأخرج عن عبد السلام بن حرب : (أن المنصور بعث إلىٰ عمرو بن عبيد ، فجاءه ، فأمر له بمال ، فأبىٰ أن يقبله ، فقال المنصور : والله ؛ لتقبلنه ، فقال : والله ؛ لا أقبله .

فقال له المهدي : قد حلف أمير المؤمنين ؟ فقال : أمير المؤمنين أقوىٰ علىٰ كفارة اليمين من عمك .

فقال له المنصور : سل حاجتك ؟ قال : أسألك ألا تدعوني حتىٰ آتيك ، ولا تعطيني حتىٰ أسألك .

فقال : علمتَ أني جعلت هـٰذا ولي عهدي ؟ فقال : يأتيه الأمر يوم يأتيه وأنت مشغول)[3] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢١) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢٤ـ ٣٢٥) .

[القاضي يرد الخليفة إلى الحق]

وأخرج عن عبد الله بن صالح قال : (كتب المنصور إلىٰ سوَّار بن عبد الله قاضي البصرة : انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد ، وفلان التاجر : فادفعها إلى القائد .

فكتب إليه سوَّار : إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر ؛ فلست أخرجها من يده إلا ببينة .

فكتب إليه المنصور : والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لتدفعنها إلى القائد .

فكتب إليه سوَّار : والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق ، فلما جاءه الكتاب . . قال : ملأتُها والله عدلاً ؛ صار قضاتي تردني إلى الحق)[1] .

[قد شمَّتك في نفسي]

وأخرج من وجه آخر : (أن المنصور وُشي إليه بسَوَّار فاستقدمه ، فعطس المنصور فلم يشمته سَوَّار ، فقال : ما يمنعك من التشميت ؟ قال : لأنك لم تحمدِ الله .

فقال : حمدت في نفسي ، قال : قد شمتك في نفسي ، قال : ارجع إلىٰ عملك ؛ فإنك إذا لم تحابني . . لم تحاب غيري)[2] .

[استدعاء القاضي للخليفة والحكم عليه]

وأخرج عن نُمير المدني قال : (قدم المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطَّلْحي علىٰ قضائه وأنا كاتبه ، فاستعدى الجمَّالون على المنصور في شيء ، فأمرني أن أكتب إليه كتاباً بحضوره وإنصافهم ، فاستعفيت فلم يعفني ، فكتبت

---

(١) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢٥ـ٣٢٦) .

الكتاب ثم ختمته ، وقال : والله ؛ لا يمضي به غيرك ، فمضيت به إلى الربيع ، فدخل عليه ثم خرج ، فقال للناس : إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد دُعيت إلىٰ مجلس الحكم ، فلا يقومَنَّ معي أحد .

ثم جاء هو والربيع ، فلم يقم له القاضي ، بل حل رداءه واحتبىٰ به ، ثم دعا بالخصوم ، فادَّعوا ، فقضىٰ لهم على الخليفة ، فلما فرغ . . قال له المنصور : جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء ؛ قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار)[1] .

وأخرج عن محمد بن حفص العجلي قال : (ولد لأبي دُلامة ابنةٌ ، فغدا على المنصور فأخبره وأنشد : [من البسيط]

لو كانَ يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قـومٌ لقيـل اقعُـدوا يـا آلَ عبـاسِ
ثم ارتقُوا في شعاعِ الشمسِ كلُّكم إلـى السمـاءِ فـأنتـم أكـرمُ النـاسِ

ثم أخرجَ أبو دُلامة خريطةً ، فقال المنصور : ما هٰذه ؟ قال : أجعل فيها ما تأمر لي به ، فقال : املؤوها له دراهم ، فوسعت ألفي درهم)[2] .

[التحديث بالإسناد أعلىٰ لذات الدنيا عند المنصور]

وأخرج عن محمد بن سلام الجُمحي قال : (قيل للمنصور : هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله ؟ قال : بقيت خصلة ؛ أن أقعد في مَصطبة وحولي أصحاب الحديث ، يقول المستملي : من ذكرتَ رحمك الله ؟

قال : فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر ، فقال : لستم بهم ؛ إنما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، بُرُد الآفاق ، ونقلة الحديث)[3] .

وأخرج عن عبد الصمد بن علي : أنه قال للمنصور : (لقد هجمت بالعقوبة حتىٰ كأنك لم تسمع بالعفو ؟! قال : لأن بني مروان لم تَبلَ رِممهم ، وآل

---

(١) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢٨ـ ٣٢٩) ، والبيتان في « ديوانه » (ص٥٦) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٢٩ـ ٣٣٠) .

أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقةً واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة)[1] .

وأخرج عن يونس بن حبيب قال : (كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى المنصور : يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه ، وأبلغ في كتابه ، فوقع المنصور في القصة : إن الغنىٰ والبلاغة إذا اجتمعتا في رجل . . أبطرتاه ، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فاكتف بالبلاغة)[2] .

وأخرج عن محمد بن سلاَّم قال : رأت جارية للمنصور قميصه مرقوعاً ، فقالت : خليفة وقميصه مرقوع ؟! فقال : ويحكِ !! أما سمعتِ قول ابن هَرْمَة[3] : [من الكامل]

قد يُدرك الشرفَ الفتىٰ ورداؤه خَلَقٌ وجيبُ قميصِه مرقوعُ

[الحادي وبخل المنصور]

وقال العسكري في « الأوائل » : (كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله ، رأىٰ بعضهم عليه قميصاً مرقوعاً فقال : سبحان من ابتلىٰ أبا جعفر بالفقر في ملكه !!

وحدا به سلم الحادي ، فطرب حتىٰ كاد يسقط من الراحلة ، فأجازه بنصف درهم .

فقال : لقد حدوتُ بهشام فأجازني بعشرة آلاف ، فقال : ما كان له أن يعطيك ذلك من بيت المال ، يا ربيع ؛ وكِّل به من يقبضها منه ، فما زالوا به حتىٰ تركه علىٰ أن يحدو به ذهاباً وإياباً بغير شيء)[4] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٣٠ـ ٣٣١) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٣٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٣٨) ، والبيت في « ديوانه » (ص١٤٣) .
(٤) الأوائل (ص١٧٣) .

[قصة ابن هرمة وشدة رغبته في الخمر]

وفي كتاب « الأوائل » للعسكري : (كان ابن هَرْمَة شديد الرغبة في الخمر ، فدخل على المنصور فأنشده : [من الطويل]

له لحظاتٌ من حِفافَي سريرهِ إذا كرَّها فيها عقاب ونائلُ
فأمُّ الذي أمَّنتَ آمنةُ الرَّدىٰ وأمُّ الذي حاولتَ بالثُّكل ثاكلُ

فأعجب به المنصور وقال : ما حاجتك ؟ قال : تكتب إلىٰ عاملك بالمدينة : ألاَّ يحدَّني إذا وجدني سكران ، فقال : لا أُعطِّل حداً من حدود الله ، قال : تحتال لي ؟ فكتب إلىٰ عامله : من أتاك بابن هرمة سكران . . فاجلده مئة ، واجلد ابن هرمة ثمانين .

فكان العون إذا مرَّ به وهو سكران . . يقول : من يشتري مئة بثمانين ؟! ويتركه ويمضي)[1] .

قال : (وأعطاه المنصور في هـٰذه المرة عشرة آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم ؛ احتفظ بها ؛ فليس لك عندنا مثلها ، فقال : إني ألقاك على الصراط بها بختمة الجِهْبِذ)[2] .

ومن شعر المنصور ـ وشعره قليل[3] ـ : [من الطويل]

إذا كنتَ ذا رأي فكُن ذا عَزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرأي أن تَتردَّدا
ولا تُمهلِ الأعداءَ يوماً بقُدرةٍ وبَادِرهم أن يَملكوا مثلها غَدا

[موعظة ابن أنعُم الإفريقي للمنصور]

وقال عبد الرحمـٰن بن زياد بن أَنْعُم الإفريقي : (كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور قبل الخلافة ، فأدخلني منزله ، فقدَّم إليَّ طعاماً لا لحم فيه ،

---

(١) الأوائل (ص٣٢) ، والبيتان في « ديوانه » (ص١٦٨) ، وفي (ب) : (فأما . . . وأما . . .) .
(٢) الأوائل (ص١٧٣) ، والجهبذ : النقّاد الخبير ، أراد أنه لا يفكّ ختم الصرّة .
(٣) البيتان في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣٣٨) .

ثم قال : يا جارية ؛ عندك حلواء ؟ قالت : لا ، قال : ولا التمر ؟ قالت : لا ، فاستلقىٰ وقرأ : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ. . . ﴾ الآية .

فلما ولي الخلافة. . وفدتُ إليه ، فقال : كيف سلطاني من سلطان بني أمية ؟ قلت : ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئاً . . إلا رأيته في سلطانك .

فقال : إنَّا لا نجد الأعوان ؟ قلت : قال عمر بن عبد العزيز : إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها ؛ فإن كان براً . . أتوه ببرهم ، وإن كان فاجراً . . أتوه بفجورهم ، فأطرق)[1] .

ومن كلام المنصور : (الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاث خلال : إفشاء السر ، والتعرض للحُرَم ، والقدح في الملك) أسنده الصولي .

وقال : (إذا مدَّ عدوك إليك يده . . فاقطعها إن أمكنك ، وإلا . . فقبلها) أسنده أيضاً .

[قصة تظهر ذكاء المنصور]

وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : (مما يؤثر من ذكاء المنصور : أنه دخل المدينة فقال للربيع : اطلب لي رجلاً يعرِّفني دور الناس ، فجاءه رجل فجعل يعرفه الدور ، إلا أنه لا يبتدئه حتىٰ يسأله المنصور ، فلما فارقه . . أمر له بألف درهم ، فطالب الرجلُ الربيعَ بها ، فقال : ما قال لي شيئاً وسيركب ، فذَكِّرْهُ .

فركب مرة أخرىٰ ، فجعل يعرفه ولا يرىٰ موضعاً للكلام ، فلما أراد أن يفارقه . . قال الرجل مبتدئاً : وهـٰذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأحوص[2] : [من الكامل]

يـا بيـت عـاتكـة الـذي أتغـزل حَـذَر العِـدَىٰ وبـه الفـؤادُ مـوكَّـلُ

---

(١) تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٥٢ـ٣٥٣) .

(٢) البيت والذي يليه من قصيدة في « ديوان الأحوص » (ص١٥٢ـ١٦١) .

فأنكر المنصور ابتداءه ، فأمرَّ القصيدة علىٰ قلبه ؛ فإذا فيها :

وأُراك تفعـلُ مـا تَقـول وبعضهـم مَـذِق اللسـانِ يقـولُ مـا لا يفعـلُ

فعلم أنه يريد الاقتضاء ، فضحك وقال : ويلك يا ربيع ! أعطه ألف درهم) .

وأسند الصولي عن إسحاق الموصلي قال : (لم يكن المنصور يظهر لندمائه بشرب ولا غناء ، بل يجلس وبينه وبين الندماء ستارة بينهم وبينها عشرون ذراعاً ، وبينها وبينه كذلك ، وأول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس : المهدي) .

وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : قال المنصور لقُثَم بن العباس بن عبد الله بن العباس ـ وكان عامله على اليمامة والبحرين ـ : (ما القُثَم ؟ ومن أي شيء أخذ ؟ فقال : لا أدري ، فقال : اسمك اسم هاشمي لا تعرفه ؟! أنت والله جاهل ، قال : فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يُفيدنيه ؟ قال : القاثم : الذي يزل بعد الأكل ، ويقثم الأشياء : يأخذها ويثلمها) .

[لِمَ خلق الله الذباب ؟]

وروي : (أن المنصور ألح عليه ذباب ، فطلب مقاتل بن سليمان فسأله : لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبارين)[1] .

[من أوليات المنصور]

وقال محمد بن علي الخراساني : (المنصور أول خليفة قرَّب المنجمين ، وعمل بأحكام النجوم) .

وأول خليفة ترجمت له الكتب السُّريانية والأعجمية بالعربية ؛ ككتاب « كليلة ودمنة » ، و« إقليدس » .

وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب ، وكثر ذلك بعده حتىٰ زالت رئاسة العرب وقيادتها .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٦٠/ ١١٣) .

وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي ، وكان قبل ذلك أمرهم واحداً[١] .

أحاديث من رواية المنصور

قال الصولي : (كان المنصور أعلم الناس بالحديث والأنساب ، مشهوراً بطلبه) .

قال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو محمد الجوهري ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الشِّخير ، حدثنا أحمد بن إسحاق أبو بكر المُلْحَمي ، حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الأَنْطَرْطُوسي ، حدثني محمد بن إبراهيم السُّلَمي ، عن المأمون ، عن الرشيد ، عن المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : **(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخَتَّم في يَمينه)**[٢] .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن زكريا اللؤلؤي ، حدثنا جَهْم بن السبَّاق الرِّياحي ، حدثني بشر بن المفضَّل ، سمعت الرشيد يقول : سمعت المهدي يقول : سمعت المنصور يقول : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« مَثَل أَهلِ بَيتي . . مَثَل سفينةِ نوحٍ ، مَن رَكِب فيها . . نَجَا ، ومَن تأخَّر عنها . . هَلَك »**[٣] .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن موسىٰ ، حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، حدثنا أبو سفيان الحِميري ، سمعت المهدي يقول : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إذا أَمَّرنا أَميراً وفَرَضنا له فَرْضاً : فَما أَصابَ من شيءٍ . . فَهو غُلولٌ »**[٤] .

---

(١) انظر « مروج الذهب » (٥/ ٢١١) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٢٩٨ـ٢٩٩) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « الإنباه علىٰ قبائل الرواة » (ص ٤١) .

(٤) أخرج الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٠٦) ، وأبو داوود في « سننه » (٢٩٤٣) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه نحوه .

وقال الصولي : حدثنا جَبَلَة بن محمد ، حدثنا أبي ، عن يحيى بن حمزة الحضرمي ، عن أبيه قال : ولأني المهدي القضاء فقال : اصلب في الحكم ؛ فإن أبي حدثني ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقولُ الله : وعزَّتي وجَلالِي ؛ لأَنتقِمَنَّ من الظَّالِمِ في عاجِلِه وآجِلِه ، ولأنتَقِمنَّ ممَّن رَأَىٰ مَظلوماً يَقدِرُ أن ينصرَه فلم يَفعلْ »[1] .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن العباس بن الفرج ، حدثني أبي ، عن الأصمعي ، حدثني جعفر بن سليمان ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ سببٍ ونَسَبٍ يَنقطعُ يومَ القيامةِ إلا سَببِي ونَسَبي »[2] .

وقال الصولي : حدثنا أبو إسحاق محمد بن هارون بن عيسىٰ ، حدثنا الحسن بن عبيد الله [بن] الخصيب[3] ، حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثني المأمون ، عن الرشيد ، عن المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : (لا تسافروا في محاق الشهر ، ولا إذا كان القمر في العقرب)[4] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المنصور من الأعلام : ابن المقفع ، وسهيل بن أبي صالح ، والعلاء بن عبد الرحمٰن ، وخالد بن يزيد المصري الفقيه ، وداوود بن أبي هند ، وأبو حازم سلمة بن دينار الأعرج ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، ويونس بن عبيد ، وسليمان الأحول ، وموسى بن عقبة صاحب

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٦) .
(٢) أخرجه القزويني في « التدوين في أخبار قزوين » (٢/ ٢٤٤ـ ٢٤٥) .
(٣) في (أ) : (الحصي) ، وفي (ب ، جـ ، هـ ، و) : (الحصيني) ، وفي (د ، ط) : (الحصيبي) ، ولعل الصواب ما أثبت ، انظر « لسان الميزان » (٣/ ٦٦ ، ١٨٥) .
(٤) أورده السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١٢٨٩) .

المغازي ، وعمرو بن عبيد المعتزلي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، والكلبي ، وابن إسحاق ، وجعفر بن محمد الصادق ، والأعمش ، وشِبْل بن عبَّاد مقرىء مكة ، ومحمد بن عجلان المدني الفقيه ، ومحمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلىٰ ، وابن جريج ، وأبو حنيفة ، وحجاج بن أَرْطاة ، وحماد الراوية ، ورؤبة الشاعر ، والجُريري ، وسليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، وابن شُبْرُمة الضبي ، ومقاتل بن حيان ، ومقاتل بن سليمان ، وهشام بن عروة ، وأبو عمرو بن العلاء ، وأشعب الطمع ، وحمزة بن حبيب الزيات ، والأوزاعي ، وخلائق آخرون .

خلافة المهدي

[١٥٨ـ١٦٩هـ][1]

أبو عبد الله محمد بن المنصور ، ولد بإيذَج سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل : سنة ست وعشرين ، وأمه : أم موسىٰ بنت منصور الحِميرية .

وكان جواداً ممدَّحاً ، مليح الشكل ، مُحبَّباً إلى الرعية ، حسن الاعتقاد ، تتبع الزنادقة وأفنىٰ منهم خلقاً كثيراً ، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين .

روى الحديث عن أبيه ، وعن مبارك بن فَضَالة ، حدَّث عنه : يحيى بن حمزة ، وجعفر بن سليمان الضُبَعي ، ومحمد بن عبد الله الرَّقاشي ، وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحِمْيري ، قال الذهبي : (وما علمت قيل فيه جرحاً ولا تعديلاً)[2] .

وأخرج ابن عدي من حديث عثمان مرفوعاً : « المهديُّ من ولدِ العباس عمِّي » تفرَّد به محمد بن الوليد مولىٰ بني هاشم ، وكان يضع الحديث[3] ، وأورد الذهبي هنا حديث ابن مسعود مرفوعاً : « المَهديُّ يُواطِىء اسمُه اسْمِي ، واسمُ أَبِيه اسمَ أَبي » أخرجه أبو داوود والترمذي وصححه[4] .

ولما شبَّ المهدي . . أمَّره أبوه علىٰ طبرستان وما والاها ، وتأدَّب وجالس العلماء وتميز .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨/ ١٦٨) ، و« مروج الذهب » (٤/ ١٦٥) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٣٩١) ، و« تاريخ دمشق » (٥٣/ ٤١١) ، و« المنتظم » (٨/ ٢٠٥) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/ ٤٣٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٣٥) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « الكامل » ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٤١٤) من طريق الدارقطني ، وهو عند الدارقطني في « الأفراد » ؛ كما في « أطراف الغرائب والأفراد » (٢١١) .

(٤) سنن أبي داوود (٤٢٨٤) ، وسنن الترمذي (٢٢٣٠) ، وليس عندهما لفظ المهدي . انظر « تاريخ الإسلام » (١٠/ ٤٣٦) .

[أول خطبة للمهدي بعد توليه الخلافة]

ثم إن أباه عهد إليه ، فلما مات . . بويع بالخلافة ، ووصل الخبر إليه ببغداد ، فخطب الناس فقال : (إن أمير المؤمنين عبدٌ دُعي فأجاب ، وأُمر فأطاع ، واغرورقت عيناه ، فقال : قد بكىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة ؛ ولقد فارقت عظيماً ، وقُلدت جسيماً ، فعند الله أحتسب أمير المؤمنين ، وبه أستعين علىٰ خلافة المسلمين .

أيها الناس ؛ أسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا . . نهبكم العافية ، وتحمدوا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم ، وطوى الإصر عنكم ، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً ذلك ، والله ؛ لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم)[1] .

قال نِفطوَيْه : (لما حصلت الخزائن في يد المهدي . . أخذ في رد المظالم ، فأخرج أكثر الذخائر ففرقها ، وبر أهله ومواليه)[2] .

وقال غيره : أول من هنأ المهدي بالخلافة وعزَّاه بأبيه : أبو دُلامة فقال[3] : [من الكامل]

عينـايَ واحـدةٌ تُـرىٰ مسـرورةً ... بـأميرهـا جَـذْلـىٰ وأُخـرىٰ تـذرِفُ
تَبكـي وتضحـكُ تـارةً ويسـوءُهـا ... مـا أنكـرَتْ ويسـرُّهـا مـا تعـرفُ
فيسـوءُهـا مـوتُ الخليفـةِ مُحـرمـاً ... ويسـرُّهـا أن قـامَ هـٰذا الأَرْأفُ
ما إن رأيتُ كما رأيتُ ولا أرىٰ ... شعـراً أُسـرِّحـه وآخـر أنتِـفُ
هلـكَ الخليفـةُ يـا لـديـن محمـدٍ ... وأتـاكـمُ مـن بعـدِهِ مـن يَخلُـفُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٤١٩ و٤٢٠) وفرق هـٰذه الخطبة في خبرين .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥٣/ ٤٢١) من طريق نفطويه ، عن أبي العباس المنصوري ، ونفطويه : هو إبراهيم بن محمد بن عرفة .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (٥/ ٣٩٢) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥٣/ ٤١٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٦٤) .

أَهـدىٰ لهـٰذا اللهُ فضـلَ خـلافـةٍ   ولـذاكَ جنـاتِ النعيـمِ تُـزخـرَفُ

وفي سنة تسع وخمسين : بايع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي ، ثم من بعده لهارون الرشيد وَلَدَيْه .

وفي سنة ستين : فتحت باربد من الهند عنوة[١] .

وفيها : حج المهدي فأنهىٰ إليه حجبة الكعبة : أنهم يخافون هدمها ؛ لكثرة ما عليها من الأستار ، فأمر بها فجُردت واقتصر علىٰ كسوة المهدي ، وحُمل إلى المهدي الثلج إلىٰ مكة ، قال الذهبي : (ولم يتهيأ ذلك لملك قط)[٢] .

وفي سنة إحدىٰ وستين : أمر المهدي بعمارة طريق مكة ، وبنىٰ بها قصوراً وعمل البرك ، وأمر بترك المقاصير التي في جوامع الإسلام ، وقصَّر المنابر ، وصيرها علىٰ مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] .

وفي سنة ثلاث وستين وما بعدها : كثرت الفتوح بالروم .

وفي سنة ست وستين : تحول المهدي إلىٰ قصر السلام ، وأمر فأقيم له البريد من المدينة النبوية ومن اليمن ومكة إلى الحضرة بغالاً وإبلاً ، قال الذهبي : (وهو أول ما عمل البريد من الحجاز إلى العراق)[٤] .

---

(١) في النسخ : (إربد) ، والمثبت من « تاريخ الطبري » (٨/ ١٢٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/ ٣٧١) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ١٣١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٩/ ٣٧١) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ١٣٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/ ٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٥) .

وفيها وفيما بعدها : جدَّ المهديُّ في تتبع الزنادقة وإبادتهم ، والبحث عنهم في الآفاق ، وقتل على التهمة .

وفي سنة سبع وستين : أمر بالزيادة الكبرىٰ في المسجد الحرام ، وأدخل في ذلك دوراً كثيرة .

وفي سنة تسع وستين : مات المهدي ؛ ساق خلف صيد ، فاقتحم الصيد خربة ، وتبعه الفرس ، فدق ظهره في بابها فمات لوقته ؛ وذلك لثمان بقين من المحرم ، وقيل : إنه مات مسموماً ، وقال سَلْم الخاسر يرثيه : [من الوافر]

وباكيةٍ على المهدي عَبرَىٰ	كأنَّ بها وما جُنت جُنونا
وقد خَمَشت مَحاسِنَها وأبدَتْ	غَدائرَها وأظهرتِ القُرونا
لئن بلِيَ الخليفةُ بعد عزٍّ	لقد أَبقىٰ مساعِيَ ما بَلينا
سلامُ الله عدَّةَ كلِّ يوم	على المَهدي حين ثَوىٰ رَهينا
تَركنا الدينَ والدُّنيا جَميعاً	بحيثُ ثَوىٰ أميرُ المُؤمنينا

ومن أخبار المهدي

قال الصولي : لما عقد المهدي العهد لولده موسىٰ . . قال مروان بن أبي حفصة[١] : [من الكامل]

عُقِدَتْ لمُوسىٰ بالرَّصَافة بيعةٌ	شدَّ الإلٰهُ بها عُرى الإسلامِ
موسى الذي عَرَفت قريشٌ فَضله	ولها فضيلتُها على الأقوامِ
بمحمَّدٍ بعدَ النبيِّ محمَّدٍ	حَيِيَ الحلالُ وماتَ كلُّ حرامِ
مهديُّ أُمته الذي أمسَتْ به	للذلِّ آمنةً وللإعدامِ
موسىٰ وليُّ عَصَا الخلافةِ بعدَه	جفَّت بذاكَ مواقِعُ الأقلامِ

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص١٢٣) .

وقال آخر[1] : [من الكامل]

يـا بـنَ الخليفـةِ إنَّ أمـةَ أحمـدٍ ... تـاقَـتْ إليـك بطـاعـةٍ أَهـواؤُهـا
ولَتَمـلأن الأرضَ عـدلاً كـالـذي ... كـانَـت تُحـدث أمـةً علمـاؤُهـا
حتـىٰ تمنَّـىٰ لـو تَـرىٰ أمـواتُهـا ... من عدلِ حُكمك ما ترىٰ أَحياؤُها
فعلـىٰ أبيـكَ اليـومَ بهجـةُ مُلكهـا ... وغَـداً عليـك إزارُهـا ورداؤُهـا

[مكافأة من قالت : يا عصبة رسول الله صلى الله عليه وسلم]

وأسند الصولي : (أن امرأة اعترضت المهدي فقالت : يا عصبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ انظر في حاجتي ، فقال المهدي : ما سمعتها من أحد قط ؛ اقضوا حاجتها ، وأعطوها عشرة آلاف درهم !!)[2] .

[الشيخ لا يترك أخلاقه]

وقال قريش الختلي : (رُفع صالح بن عبد القدوس البصري إلى المهدي في الزندقة ، فأراد قتله ، فقال : أتوب إلى الله تعالىٰ ، وأنشده لنفسه : [من السريع]

مـا يبلـغُ الأعـداءُ مـن جـاهـلٍ ... مـا يبلـغُ الجـاهـلُ مـن نفسِـه
والشيـخُ لا يتـركُ أخـلاقَـه ... حتـىٰ يُـوارىٰ فـي ثَـرىٰ رمسِـه

فصرفه ، فلما قرب من الخروج . . رده فقال : ألم تقل : والشيخ لا يترك أخلاقه ؟ قال : بلىٰ ، قال : فكذلك أنت لا تدع أخلاقك حتىٰ تموت ، ثم أمر بقتله)[3] .

---

(١) الأبيات في « ربيع الأبرار » (٤/ ٤١٠) لرجل من بني تميم .
(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٩٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٤٣٩) من طريق الصولي .
(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٩/ ٣٠٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/ ٢٧٠) ، والبيتان في « ديوانه » (ص١٤٢) .

[أشهد أن قفاك قفا كذاب]

وقال زهير : (قدم على المهدي بعشرة محدثين ؛ منهم : فرج بن فَضَالة ، وغياث بن إبراهيم ، وكان المهدي يحب الحَمَام ، فلما دخل غياث . . قيل له : حَدِّثْ أمير المؤمنين ، فحدثه : عن فلان ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « لا سَبَق إلاَّ في حَافرٍ أو نصل » ، وزاد فيه : « أو جناح » فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم ، فلما قام . . قال : أشهد أن قفاك قفا كذاب ؛ وإنما استجْلَبتَ ذلك ، ثم أمر بالحمام فذُبحت)[1] .

[لا بد من ثلاث]

وروي : (أن شريكاً دخل على المهدي فقال له : لا بد من ثلاث : إما أن تلي القضاء ، أو تؤدب ولدي وتحدثهم ، أو تأكل عندي أكلة ، ففكر ساعة ، ثم قال : الأكلة أخفُّ عليَّ ، فأمر المهدي بعمل ألوان من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك ، فأكل ، فقال الطباخ : لا يفلح بعدها !! قال : فحدَّثهم بعد ذلك ، وعلَّمهم العلم ، وولي القضاء)[2] .

[هكذا يطلب العلم]

وأخرج البغوي في « الجعديات » عن حمدان الأصبهاني قال : (كنت عند شريك ، فأتاه ابن المهدي ، فاستند وسأل عن حديث ، فلم يلتفت شريك ، ثم أعاد فعاد ، فقال : كأنك تستخف بأولاد الخلفاء ؟! قال : لا ؛ ولٰكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه ، فجثا علىٰ ركبتيه ثم سأله ، فقال شريك : هٰكذا يطلب العلم) .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٢/ ٣٢٣ـ ٣٢٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ٤٢٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (١١/ ١٧٤) .

ومن شعر المهدي ـ أنشده الصولي ـ : [من مجزوء الرمل]

مـــا يكـــفُّ النَّـــاس عنَّـــا مـــا يَمَـــلُّ النـــاسُ منَّـــا
إنَّمـــــا هِمَّتهـــــم أن يَنبُشـــوا مـــا قـــد دفنَّـــا
لـــو سكنَّـــا بـــاطـــنَ الأر ض لكـــانُـــوا حيـــثُ كنَّـــا
وهـــمُ إن كَـــاشَفُـــونـــا فـــي الهَـــوىٰ يـــومـــاً مجنَّـــا

[المهدي والجارية]

وأسند الصولي عن محمد بن عمارة قال : كان للمهدي جارية شغف بها وهي كذلك ، إلاَّ أنها تتحاماه كثيراً ، فدس إليها من عرف ما في نفسها ، فقالت : أخاف أن يملني ويدعني فأموت ، فقال المهدي في ذلك : [من مجزوء الرمل]

ظَفِـــرَتْ بـــالقلـــبِ منِّـــي غـــادةٌ مثـــلُ الهـــلالِ
كلَّمـــا صـــحَّ لهـــا ودِّ يَ جـــاءَت بـــاعتـــلالِ
لا لحُـــبِّ الهَجْـــر منِّـــي والتَّنـــائـــي عـــن وِصَـــالـــي
بَـــل لإبقـــاء علـــىٰ حبِّـــي لهـــا خـــوفَ المـــلالِ

وله في نديمه عمر بن بزيع : [من مجزوء الرمل]

ربِّ تمِّـــم لـــي نَعيمـــي بـــأَبـــي حفـــصٍ نَـــديمـــي
إنَّمـــا لـــذةُ عَيشـــي فـــي غنـــاءٍ وكـــرومِ
وجَـــوار عَطـــراتٍ وسمـــاعٍ ونعيـــمِ

قلت : شعر المهدي أرق وألطف من شعر أبيه وأولاده بكثير .

[استحياء الجارية]

وأسند الصولي عن ابن أبي كريمة قال : دخل المهدي إلىٰ حجرة جارية علىٰ غفلة ، فوجدها وقد نزعت ثيابها وأرادت لبس غيرها ، فلما رأته.. غطت

بيدها ، فقصرت كفها عنه ، فضحك وقال : [من مجزوء الرمل]

أبصـــرَتْ عَينـــي لحينِـــي مَنظـــراً يجلـــبُ شَينـــي

ثم خرج فرأىٰ بشاراً فأخبره وقال : أجز ، فقال بشار[1] :

سَتـــرتـــه إذ رَأَتْنِـــي بيـــنَ طـــيِّ العُكنتيـــن
فبَـــدَا لـــي منـــه فَضـــلٌ لـــم يَســـع فـــي الـــرَّاحتيـــن

وأسند عن إسحاق الموصلي قال : (كان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء ؛ تشبهاً بالمنصور نحواً من سنة ، ثم ظهر لهم ، فأشير عليه أن يحتجب ، فقال : إنما اللذة مع مشاهدتها) .

[من استعان بخائن كان شريكه]

وأسند عن مهدي بن سابق قال : (صاح رجل بالمهدي وهو في موكبه : [من الكامل]

قـل للخليفـةِ حـاتـمٌ لـك خـائـنٌ فَخَـفِ الإلـٰهَ وأَعفِنَـا مـن حـاتـمِ
إن العفيـفَ إذا استعـانَ بخـائـنٍ كان العفيفُ شريكَه في المأثمِ

فقال المهدي : يعزل كل عامل لنا يدعىٰ حاتماً) .

[سماحة أخلاق المهدي]

وأسند عن أبي عبيدة قال : (كان المهدي يصلي بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها ، فأقيمت الصلاة يوماً ، فقال أعرابي : لستُ علىٰ طهر ؛ وقد رغبت في الصلاة خلفك ، فأمر هـٰؤلاء بانتظاري .

فقال : انتظروه ، ودخل المحراب فوقف إلىٰ أن قيل : قد جاء الرجل ، فكبَّر ، فعجب الناس من سماحة أخلاقه) .

---

(١) البيتان في « ديوانه » (٤/ ٢٢٧) .

[إذعان المهدي عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم]

وأسند عن إبراهيم بن نافع : (أن قوماً من أهل البصرة تنازعوا إليه في نهر من أنهار البصرة ، فقال : إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين ، فما لم يقع له ابتياع منها . . يعود ثمنه علىٰ كافتهم وفي مصلحتهم ، فلا سبيل لأحد عليه .

فقال القوم : هـٰذا النهر لنا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قال : « مَن أحيا أَرضاً ميتةً . . فهي له »[1] وهـٰذه موات .

فوثب المهدي عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتىٰ ألصق خده بالتراب ، وقال : سمعت لما قال وأطعت ، ثم عاد وقال : بقي أن تكون هـٰذه الأرض مواتاً حتىٰ لا أعرض فيها ، وكيف تكون مواتاً والماء محيط بها من جوانبها ؟! فإن أقاموا البينة علىٰ هـٰذا . . سلمت) .

وأسند عن الأصمعي قال : (سمعت المهدي علىٰ منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنَّىٰ بملائكته فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ . . . ﴾ الآيَةَ ، آثره بها من بين الرسل ؛ إذ خصكم بها من بين الأمم) .

قلت : وهو أول من قال ذلك في الخطبة ، وقد استنَّها الخطباء إلى اليوم .

ولما مات . . قال أبو العتاهية وقد عُلقت المُسُوح علىٰ قباب حرمه[2] : [من مجزوء الرمل]

رُحْـنَ فـي الـمـوشـىٰ وأصبحـ	ـن عليهـنَّ المُسُـوحُ
كـلُّ نَطَّـاح مِـنَ الـدَّهـ	ـرِ لـه يـومٌ نَطـوحُ
لسـتَ بـالبـاقـي ولـو عُمـ	ـرتَ مـا عُمِّـر نـوحُ
نُـح علـىٰ نفسِـك يـا مِسـ	ـكيـنُ إن كنـتَ تنـوحُ

ذكر أحاديث من رواية المهدي

قال الصولي : حدثني أحمد بن محمد بن صالح التمَّار ، حدثنا يحيى بن

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٣٣٨) .

(٢) ديوان أبي العتاهية (ص ٧١) .

محمد القرشي ، حدثنا أحمد بن هشام ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمـٰن بن مسلم المدائني وهو ثقة صدوق ، قال : سمعت المهدي يخطب فقال : حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة من العصر إلىٰ مغيربان الشمس ، حفظها من حفظها ، ونسيها من نسيها ، فقال : « أَلاَ إِنَّ الدنيا حلوةٌ خَضِرةٌ. . . » الحديث بطوله[١] .

وقال الصولي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم القزاز ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثني أبو يعقوب بن حفص الخطابي ، سمعت المهدي يقول : حدثني أبي عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه : أن وفداً من العجم قدموا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحفوا لحاهم وأعفوا شواربهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خَالِفوهم ؛ أَعفُوا لِحاكُم ، وأَحفُوا شَوارِبَكُم » .

وإحفاء الشارب : أخذ ما سقط على الشفة منه ، ووضع المهدي يده علىٰ أعلىٰ شفته .

وقال منصور بن مزاحم ومحمد بن يحيى بن حمزة : عن يحيى بن حمزة قال : صلىٰ بنا المهدي المغرب فجهر بـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما هـٰذا ؟ قال : حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : (أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾) فقلت للمهدي : نأثره عنك ؟ قال : نعم .

قال الذهبي : (هـٰذا إسناد متصل ، لـٰكن ما علمت أحداً احتج بالمهدي ولا بأبيه في الأحكام ، تفرد به محمد بن الوليد مولىٰ بني هاشم ، وقال ابن عدي : كان يضع الحديث)[٢] .

قلت : لم ينفرد به ، بل وجدتُ له متابعاً .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/ ١٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٣٦) .

[من مات في عهده]

مات في أيام المهدي من الأعلام : شعبة ، وابن أبي ذئب ، وسفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم الزاهد ، وداوود الطائي الزاهد ، وبشار بن برد أول شعراء المحدثين ، وحماد بن سلمة ، وإبراهيم بن طهمان ، والخليل بن أحمد صاحب العروض .

خلافة الهادي

[١٦٩ـ ١٧٠هـ][1]

أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ، وأمه : أم ولد بربرية ، اسمها : الخَيزُران ، ولد بالري سنة سبع وأربعين ومئة ، وبويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه .

قال الخطيب : (ولم يل الخلافة قبله أحد في سِنِّه)[2] .

فأقام فيها سنة وأشهراً ، وكان أبوه أوصاه بقتل الزنادقة ، فجدَّ في أمرهم ، وقتل منهم خلقاً ، وكان يسمىٰ موسىٰ أَطبِق ؛ لأن شفته العليا كانت تقلص ، فكان أبوه وكَّل به في صغره خادماً ، كلما رآه مفتوح الفم . . قال : موسىٰ أطبق ، فيفيق علىٰ نفسه ويضم شفتيه ، فشهر بذلك .

قال الذهبي : (وكان يتناول المسكر ويلعب ، ويركب حماراً فارهاً ، ولا يقيم أبهة الخلافة ، وكان مع ذلك فصيحاً قادراً على الكلام ، أديباً تعلوه هيبة ، وله سطوة وشهامة)[3] .

وقال غيره : كان جباراً ، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة والقسي المُوتَرَة ، فاتبعه عماله به في ذلك ، وكثر السلاح في عصره .

[موت الهادي وسببه]

مات في ربيع الآخر سنة سبعين ومئة ، واختلف في سبب موته :

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٠٥) ، و« مروج الذهب » (٤/ ١٨٣) ، و« تاريخ بغداد » (١٣/ ٢١) ، و« المنتظم » (٨/ ٣٠٥) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/ ٤٧٨) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ١٧٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ١٥٩) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٨٠) .

فقيل : إنه دفع نديماً له من جرف علىٰ أصول قصب قد قطع ، فتعلق النديم به فوقعا ، فدخلت قصبة في مخرجه ، فماتا جميعاً[1] .

وقيل : أصابته قرحة في جوفه[2] .

وقيل : سمَّته أمه الخَيزُران لَمَّا عزم علىٰ قتل الرشيد ليعهد إلىٰ ولده[3] .

وقيل : كانت أمه حاكمة مستبدة بالأمور الكبار ، وكانت المواكب تغدو إلىٰ بابها ، فزجرهم عن ذلك ، وكلَّمها بكلام فجٍّ ، وقال : لئن وقف ببابك أمير . . لأضربنَّ عنقه ؛ أَمَا لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكرك ، أو سبحة ؟! فقامت ما تعقل من الغضب ، فقيل : إنه بعث إليها بطعام مسموم ، فأطعمت منه كلباً فانتثر ، فعملت علىٰ قتله لما وعك ؛ بأن غموا وجهه ببساط جلسوا علىٰ جوانبه[4] ، وخلف سبعة بنين .

ومن شعر الهادي في أخيه هارون لما امتنع من خلع نفسه[5] : [من الطويل]

نصحتُ لهارونٍ فردَّ نَصيحَتِي ... وكلُّ امرىءٍ لا يَقبلُ النصحَ نادمُ
وأَدعوهُ للأمرِ المؤلِّف بيننا ... فيبعدُ عنه وهو في ذاكَ ظالمُ
ولولا انتظَارِي منه يوماً إلىٰ غدٍ ... لعادَ إلىٰ ما قُلته وهو راغمُ

ومن أخبار الهادي

أخرج الخطيب عن الفضل قال : (غضب الهادي علىٰ رجل ، فكُلِّم فيه فرضي عنه ، فذهب يعتذر ، فقال له الهادي : إن الرضا قد كفاك مؤنة الاعتذار)[6] .

---

(١) تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٨٠) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٠٥) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٠٦) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٠٥ـ٢٠٦) .
(٥) الأبيات في « معجم الشعراء » (ص ٣٤١) .
(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣) .

وأخرج عن عبد الله بن مصعب قال : (دخل مروان بن أبي حفصة على الهادي فأنشده مديحاً له ، حتىٰ إذا بلغ قوله : [من الطويل]

تشـابَـه يـومـا بـأسِـه ونـوالِـه فمـا أحـدٌ يَـدري لأيِّهمـا الفضـلُ

فقال له الهادي : أيما أحب إليك : ثلاثون ألفاً معجلة ، أو مئة ألف تدور في الديوان ؟ قال : تُعجل الثلاثون ألفاً ، وتدور المئة ألف ، قال : بل يعجلان لك جميعاً ، فحمل له ذلك)[1] .

[فَائِدَة]

[في ذكر من ولدت خليفتين]

وقال الصولي : (لا تُعرف امرأة ولدت خليفتين إلا الخَيزُران : أم الهادي والرشيد ، وولّادة بنت العباس العبسية زوج عبد الملك بن مروان ؛ ولدت : الوليد وسليمان ، وشاهين بنت فيروز بن يَزْدَجِرْد بن كسرىٰ ؛ ولدت للوليد بن عبد الملك : يزيد الناقص وإبراهيم ، ووليا الخلافة) .

قلت : يزاد علىٰ ذلك : باي خاتون سرية المتوكل الأخير ؛ ولدت : العباس وحمزة ، ووليا الخلافة ، وكزل سُريته أيضاً ؛ ولدت : داوود وسليمان ، ووليَاها .

ثم قال الصولي : (لا يعرف خليفة ركب البريد إلا الهادي من جرجان إلىٰ بغداد ، قال : وكان نقش خاتمه : الله ثقة موسىٰ وبه يؤمن) .

قال الصولي : ولسَلْم الخاسر في الهادي يمدحه[2] : [من منهوك الرجز]

مـــوسَـــى المَطَـــر غيـــثٌ بَكَـــر
ثـــمَّ انْهَمَـــرْ أَلْـــوَى المِـــرَرْ
كـــم اعْتَسَـــرْ [ثـــمَّ اتَّسَـــرْ]
وكَـــمْ قَـــدَرْ ثـــمَّ غفـــرْ

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣ـ ٢٤) ، والبيت في « ديوانه » (ص١٠٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص٩٩) .

عـــــــدلُ السِّيَــــــرْ	بَــــاقـــــي الأَثَــــرْ
خيـــــــرٌ وشَـــــرْ	نفـــــعٌ وضَــــــرْ
خيــــــرُ البشَــــرْ	فـــــرعُ مُضَــــــرْ
بـــــــدرٌ بَــــدَرْ	لمَـــــن نَظَــــــرْ
هــــــو الـــــوَزَرْ	لمَـــــن حَضَـــــر
والمُفتخــــــــــــر	لمـــــن غَبَــــــرْ

قال : (وهٰذا علىٰ جزء جزء مستفعلن مستفعلن ، وهو أول من عمله ، ولم نسمع لمن قبله شعراً علىٰ جزء جزء) .

[تواضع الهادي ومعرفته قدر النبي صلى الله عليه وسلم]

وأسند الصولي عن سعيد بن سلم قال : (إني لأرجو أن يغفر الله للهادي بشيء رأيته منه ؛ حضرته يوماً وأبو الخطاب السعدي ينشده قصيدة في مدحه . . . إلىٰ أن قال : [من البسيط]

يا خيرَ مَن عَقَدت كفَّاه حُجزَتَه	وخيـرَ مَـن قلَّـدتـه أمـرَهـا مضـرُ

فقال له الهادي : إلا من ؟ وَيْلك !! قال سعيد : ولم يكن استثنىٰ في شعره ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنما يعني من أهل هٰذا الزمان ، فأفكر الشاعر فقال :

إلا النبـــيَّ رســـولَ الله إنَّ لـــه	فضـلاً وأنـتَ بـذاكَ الفضـلِ تَفتخـرُ

فقال : الآن أصبت وأحسنت ، وأمر له بخمسين ألف درهم) .

وقال المدائني : (عزَّى الهادي رجلاً في ابن له ، فقال : سرَّكَ وهو فتنةٌ وبليةٌ ، ويحزنك وهو ثواب ورحمة ؟!) .

وقال الصولي : قال سَلْم الخاسر في الهادي جامعاً بين الهناء والعزاء[1] : [من الطويل]

لقد قامَ مُوسىٰ بالخلافةِ والهُدَىٰ	ومـاتَ أميـرُ المـؤمنيـن محمـدُ
فمـاتَ الـذي غـمَّ البـريـةَ فقـدُهُ	وقـامَ الـذي يَكفيـك مَـن يتفقَّـدُ

---

(١) البيتان في « ديوانه » (ص٩٦) .

وقال مروان بن أبي حفصة كذلك[1] : [من الطويل]

لقَد أصبَحَتْ تَختالُ في كلِّ بلدَةٍ   بقبـرِ أميـرِ المـؤمنيـنَ المقـابـرُ
ولـو لـم تسكّـن بـابنِه بعدَ موتـهِ   لمـا بـرِحَـت تَبكـي عليـه المنـابـرُ
ولو لم يَقم مُوسىٰ عليها لرَجَّعت   حنيناً كما حنَّ الصَّفايا العشائرُ

حديث من رواية الهادي

قال الصولي : حدثني محمد بن زكريا ـ هو الغَلاَبي ـ حدثني محمد بن عبد الرحمـٰن المكي ، حدثنا قَسْورة بن السَّكَن الفِهري ، حدثنا المطَّلب بن عكَّاشة المري قال : قدمنا على الهادي شهوداً علىٰ رجل شتم قريشاً ، وتخطىٰ إلىٰ ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه فقهاء زمانه ، وأحضر الرجل فشهدنا عليه ، فتغير وجه الهادي ، ثم نكس رأسه ، ثم رفعه ، فقال : سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور ، عن أبيه محمد ، عن أبيه علي ، عن أبيه عبد الله بن عباس قال : (من أراد هوان قريش . . أهانه الله) وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتىٰ تخطيت إلىٰ ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، اضربوا عنقه ، أخرجه الخطيب من طريق الصولي[2] .

والحديث هـٰكذا في هـٰذه الرواية موقوف ، وقد ورد مرفوعاً من وجه آخر[3] .

[من مات في عهده]

مات في أيام الهادي من الأعلام : نافع قارىء أهل المدينة ، وغيره[4] .

---

(١) البيت الأول والثاني في « ديوانه » (ص٥٨ـ ٥٩) .
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣) وسقط من إسناده (قسورة بن السكن) ؛ وفيه : (المزني) بدل : (المري) .
(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (١/ ١٠٣) ، والترمذي (٣٩٠٥) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ١٧١) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .
(٤) وممن مات في أيامه : الحسين بن علي ، والربيع بن يونس ، ومحمد بن مسلم أبو سعيد المؤدب ، والحسن بن محمد بن عبد الله .

/

خلافة الرشيد هارون

[١٧٠ـ ١٩٣هـ][١]

أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ، ليلة السبت ، لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول ، سنة سبعين ومئة .

قال الصولي : (وفي هٰذه الليلة : ولد له عبد الله المأمون ، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة ، وقام خليفة ، وولد خليفة إلا هٰذه الليلة ، وكان يكنىٰ أبا موسىٰ ، فتكنىٰ بأبي جعفر) .

حدث عن أبيه ، وجده ، ومبارك بن فَضَالة .

روىٰ عنه : ابنه المأمون وغيره .

وكان من أَميَزِ الخلفاء ، وأجل ملوك الدنيا ، وكان كثير الغزو والحج ؛ كما قال فيه أبو المعالي الكلابي[٢] : [من الوافر]

فَمَـن يَطلـب لقـاءَكَ أو يُـرِده ... فبـالحَـرَمين أو أقصَـى الثُّغـورِ

ففـي أرضِ العـدوِّ علـىٰ طِمِـرٍّ ... وفـي أرضِ البـريَّـة فـوقَ كُـور

مولده بالري حين كان أبوه أميراً عليها وعلىٰ خراسان ، في سنة ثمان وأربعين ومئة ، وأمه : أم ولد ؛ تسمىٰ : الخَيزُران ، وهي أم الهادي ، وفيها يقول مروان ابن أبي حفصة[٣] : [من الكامل]

يـا خَيـزُران هَنَـاكِ ثـم هَنَـاكِ ... أمسَـىٰ يسـوسُ العـالميـن ابنـاكِ

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨/ ٣٤٢) ، و« مروج الذهب » (٤/ ١٩٦) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/ ٥) ، و« المنتظم » (٨/ ٣٢٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٤٢٣) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٢٢٥) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٢١٣) .

(٢) في (ب ، هـ ، و) : (أبو المعلىٰ) ، وفي (ج) : (أبو العلاء) ، انظر « تاريخ بغداد » (١٤/ ٦) ، والطمرُّ : الفرس المستعد للوثب والعدو .

(٣) ديوان مروان ابن أبي حفصة (ص ٩٢) .

[من فضائل الرشيد ومآثره]

وكان أبيض ، طويلاً جميلاً ، مليحاً فصيحاً ، له نظر في العلم والأدب .

وكان يصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلىٰ أن مات ، لا يتركها إلا لعلة ، ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم .

وكان يحب العلم وأهله ، ويعظم حرمات الإسلام ، ويبغض المراء في الدين ، والكلام في معارضة النص .

وبلغه عن بشر المَرِيسي القول بخلق القرآن فقال : (لئن ظفرت به . . لأضربن عنقه) .

وكان يبكي علىٰ نفسه وعلىٰ إسرافه وذنوبه ، سيما إذا وُعظ .

وكان يحب المديح ، ويجيز عليه الأموال الجزيلة ، وله شعر .

دخل عليه مرةً ابنُ السماك الواعظ ، فبالغ في احترامه ، فقال له ابن السماك : (تواضعك في شرفك . . أشرف من شرفك) ثم وعظه فأبكاه[1] .

وكان يأتي بنفسه إلىٰ بيت الفضيل بن عياض[2] .

قال عبد الرزاق : كنت مع الفضيل بمكة ، فمر هارون ، فقال فضيل : (الناس يكرهون هـٰذا ، وما في الأرض أعز عليَّ منه ، لو مات . . لرأيت أموراً عظاماً)[3] .

قال أبو معاوية الضرير : (ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد . . إلا قال : صلى الله علىٰ سيدي) .

وحدثته بحديثه صلى الله عليه وسلم : « ووَدِدتُ أنِّي أقاتِلُ في سبيلِ الله فأُقتَل ، ثم أَحيا فأُقتَل » فبكىٰ حتى انتحب[4] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٣١) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٢٨٧) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٢٧) .
(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ١٢) .
(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٧) .

[دفاعه عن الحديث النبوي وإجلاله للعلم]

وحدثته يوماً حديث : (« احتَجَّ آدمُ وموسىٰ » وعنده رجل من وجوه قريش ، فقال القرشي : فأين لقيه ؟ فغضب الرشيد وقال : النطع والسيف ؛ زنديق يطعن في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ؟! قال أبو معاوية : فما زلت أُسكِّنه وأقول : يا أمير المؤمنين ؛ كانت منه بادرة ، حتىٰ سكن)[١] .

وعن أبي معاوية أيضاً قال : (أكلت مع الرشيد يوماً ، ثم صبَّ علىٰ يديَّ رجلٌ لا أعرفه[٢] ، ثم قال الرشيد : تدري من يصب عليك ؟ قلت : لا ، قال : أنا ؛ إجلالاً للعلم)[٣] .

وقال منصور بن عمار : (ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة : الفضيل بن عياض ، والرشيد ، وآخر)[٤] .

وقال عبيد الله القَوارِيري : (لما لقي الرشيد الفضيل . . قال له : يا حسن الوجه ؛ أنت المسؤول عن هـٰذه الأمة ، حدثنا ليث عن مجاهد : ﴿ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ قال : الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا ، فجعل هارون يبكي ويشهق)[٥] .

[عزاؤه بابن المبارك وكرمه وأعطياته]

ومن محاسنه : أنه لما بلغه موت ابن المبارك . . جلس للعزاء ، وأمر الأعيان أن يعزُّوه في ابن المبارك .

قال نِفْطَويه : (كان الرشيد يقتفي آثار جده أبي جعفر إلا في الحرص ؛ فإنه لم ير خليفة قبله أعطىٰ منه ، أعطىٰ مرة سفيان بن عيينة مئة ألف ، وأجاز إسحاق

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/٧) .
(٢) لأن أبا معاوية كان ضريراً ، فقام الخليفة بصب الماء عليه ؛ إجلالاً لعلمه وهو لا يدري !!
(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/٨) .
(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/٨) ، وسمى الثالث : أبا عبد الرحمـٰن الزاهد .
(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/٨) .

المَوصلي مرة بمئتي ألف ، وأجاز مروان بن أبي حفصة مرة علىٰ قصيدة خمسة آلاف دينار ، وخلعةً وفرساً من مراكبه ، وعشرةً من رقيق الروم) .

وقال الأصمعي : (قال لي الرشيد : يا أصمعي ؛ ما أغفلك عنا وأجفاك لنا ! قلت : والله يا أمير المؤمنين ؛ ما ألاقتني بلاد بعدك حتىٰ أتيتك ، فسكت ، فلما تفرق الناس . . قال : ما ألاقتني ؟ قلت : [من الكامل]

كفَّاك كفٌّ ما تُليقُ بدرهمٍ جُوداً وأخرَىٰ تُعطِ بالسيفِ الدَّما

فقال : أحسنت ، وهٰكذا فكن ، وَقِّرنا في الملأ ، وعلِّمنا في الخلاء ، وأمر لي بخمسة آلاف دينار)[1] .

وفي « مروج المسعودي » قال : رام الرشيد أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القُلْزم مما يلي الفَرَما ، فقال له يحيى بن خالد البَرْمكي : كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام ، وتدخل مراكبهم إلى الحجاز ؟! فتركه[2] .

[ما اجتمع للرشيد ولم يجتمع لغيره]

وقال الجاحظ : (اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره : وزراؤه : البرامكة ، وقاضيه : أبو يوسف ، وشاعره : مروان بن أبي حفصة ، ونديمه : العباس بن محمد عم أبيه ، وحاجبه : الفضل بن الربيع أنبه الناس وأعظمهم ، ومغنيه : إبراهيم المَوصلي ، وزوجته : زُبيدة)[3] .

وقال غيره : (كانت أيام الرشيد كلها خيراً ، كأنها من حسنها أعراس) .

وقال الذهبي : (أخبار الرشيد يطول شرحها ، ومحاسنه جمة ، وله أخبار في اللَّهو واللذات المحظورة والغناء ، سامحه الله)[4] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٩/١٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٢٩/١٣) ، وألاقتني : أمسكتني .
(٢) مروج الذهب (٤١١/٢) .
(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/١٤) .
(٤) تاريخ الإسلام (٤٣٠/١٣) .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأئمة الأعلام : مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، والقاسم بن معن ، ومسلم بن خالد الزنجي ، ونوح الجامع ، والحافظ أبو عوانة اليَشْكري ، وإبراهيم بن سعد الزهري ، وأبو إسحاق الفزاري ، وإبراهيم بن أبي يحيىٰ شيخ الشافعي ، وأسد الكوفي من كبار أصحاب أبي حنيفة ، وإسماعيل بن عياش ، وبشر بن المُفضَّل ، وجرير بن عبد الحميد ، وزياد البَكَّائي ، وسليم المقرىء صاحب حمزة ، وسيبويه إمام العربية ، وضَيغم الزاهد ، وعبد الله العمري الزاهد ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن إدريس الكوفي ، وعبد العزيز بن أبي حازم ، والدَّراوَرْدي ، والكسائي شيخ القراء والنحاة ، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ؛ كلاهما في يوم ، وعلي بن مُسْهِر ، وغُنْجار ، وعيسى بن يونس السبيعي ، والفضيل بن عياض ، وابن السمَّاك الواعظ ، ومروان بن أبي حفصة الشاعر ، والمعافَى بن عمران الموصلي ، ومُعتمِر بن سليمان ، والمفضَّل بن فَضَالة قاضي مصر ، وموسى الكاظم ، وموسى بن ربيعة أبو الحكم المصري أحد الأولياء ، والنعمان بن عبد السلام الأصبهاني ، وهُشيم ، ويحيى بن أبي زائدة ، ويزيد بن زُريع ، ويونس بن حبيب النحوي ، ويعقوب بن عبد الرحمـٰن قارىء المدينة ، وصعصعة بن سلام عالم الأندلس أحد أصحاب مالك ، وعبد الرحمـٰن بن القاسم أكبر أصحاب مالك ، والعباس بن الأحنف الشاعر المشهور ، وأبو بكر ابن عياش المقرىء ، ويوسف ابن الماجِشُون ، وخلائق آخرون كبار .

ومن الحوادث في أيامه

في سنة خمس وسبعين : افترىٰ عبد الله بن مصعب الزُّبَيري علىٰ يحيى بن عبد الله بن حسن العلوي : أنه طلب إليه أن يخرج معه على الرشيد ، فباهله يحيىٰ بحضرة الرشيد وشبك يده في يده ، وقال : قل : اللهم ؛ إن كنتَ تعلم أن يحيىٰ لم يَدْعُني إلى الخلاف والخروج علىٰ أمير المؤمنين هـٰذا . . فكلني إلىٰ حولي

وقوتي ، وأسحتني بعذاب من عندك ، آمين رب العالمين ، فتلجلج الزُّبَيري وقالها ، ثم قال يحيىٰ مثل ذلك وقاما ، فمات الزبيري ليومه[1] .

وفي سنة ست وسبعين : فتحت مدينة دبسة علىٰ يد الأمير عبد الرحمـٰن بن عبد الملك بن صالح العباسي[2] .

وفي سنة تسع وسبعين : اعتمر الرشيد في رمضان ، ودام علىٰ إحرامه إلىٰ أن حج ، ومشىٰ من مكة إلىٰ عرفات .

وفي سنة ثمانين : كانت الزلزلة العظمىٰ ، سقط منها رأس منارة الإسكندرية .

وفي سنة إحدىٰ وثمانين : فتح حصن الصفصاف عنوة ، هو الفاتح له .

وفي سنة ثلاث وثمانين : خرج الخَزَر علىٰ أرمينية ، فأوقعوا بأهل الإسلام ، وسفكوا وسبوا أزيد من مئة ألف نسمة ، وجرىٰ على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله مثله .

[كتاب نقفور والرد عليه]

وفي سنة سبع وثمانين : أتاه كتاب من ملك الروم نقفور بنقض الهدنة التي كانت عقدت بين المسلمين وبين الملكة ريني ملكة الروم .

وصورة الكتاب : (من نقفور ملك الروم إلىٰ هارون ملك العرب ، أما بعد :

---

(١) الخبر عند الطبري في « تاريخه » (٨/ ٢٤٨ـ ٢٤٩) في سنة (١٧٦هـ) .
(٢) العبر (١/ ٢٦٨) .

فإن الملكة التي كانت قبلي كانت أقامتك مقام الرُّخِّ[1] ، وأقامت نفسها مقام البيذق ، فحمَلَت إليك من أموالها أحمالاً ؛ وذلك لضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي . . فاردد ما حصل قِبَلك من أموالها ، وإلا . . فالسيف بيننا وبينك) .

فلما قرأ الرشيد الكتاب . . استشاط غضباً حتىٰ لم يتمكَّن أحدٌ أن ينظر إلىٰ وجهه دون أن يخاطبه ، وتفرق جلساؤه من الخوف ، واستعجم الرأي على الوزير ، فدعا الرشيد بدواة وكتب علىٰ ظهر كتابه :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من هارون أمير المؤمنين إلىٰ نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه .

ثم سار ليومه ، فلم يزل حتىٰ نازل مدينة هرقل ، وكانت غزوة مشهودة وفتحاً مبيناً ، فطلب النقفور الموادعة ، والتزم بخراج يحمله كل سنة ، فأجيب ، فلما رجع الرشيد إلى الرقة . . نقض الكلب العهد ؛ لإياسه من كرة الرشيد في البَرْد ، فلم يجسر أحد أن يبلغ الرشيد نقضه ، بل قال عبد الله بن يوسف التيمي : [من الكامل]

نقَضَ الذي أعطيتَه نقفورُ فعليه دائرةُ البوارِ تدورُ
أبشرْ أميرَ المؤمنينَ فإنَّه غُنْمٌ أتاكَ به الإلٰه كبيرُ

وقال أبو العتاهية أبياتاً ، وعرضت على الرشيد ، فقال : أوقد فعلها ؟! فكر راجعاً في مشقة شديدة حتىٰ أناخ بفنائه فلم يبرح حتىٰ بلغ مراده ، وحاز جهاده .

وفي ذلك يقول أبو العتاهية[2] : [من الوافر]

ألا بادت هِرقلةُ بالخرابِ من الملكِ الموفَّق للصَّوابِ
غَدَا هارونُ يَرعدُ بالمَنَايا ويبرقُ بالمذكَّرة القِضابِ
ورايـاتٍ يحلُّ النصرُ فيها تمرُّ كأنَّها قطعُ السحابِ

---

(١) الرُّخ : قطعة من قطع الشطرنج حرة الحركة .

(٢) الخبر في « تاريخ الطبري » (٨/٣٠٧ ـ ٣١٠) ، وأبيات أبي العتاهية في « ديوانه » (ص٤١) ، وفيهما : (نادت) بدل (بادت) .

وفي سنة تسع وثمانين : فادى الروم حتىٰ لم يبقَ بممالكهم في الأسر مسلم .

وفي سنة تسعين : فتح هرقلة ، وبث جيوشه بأرض الروم ، فافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ، وافتتح يزيد بن مخلد مَلَقونِيَة ، وسار حميد بن مَعيوف إلىٰ قبرس فهدم وحرق وسبىٰ من أهلها ستة عشر ألفاً .

[مرض الرشيد وعلته وبيان ذكائه وفراسته]

وفي سنة اثنتين وتسعين : توجه الرشيد نحو خراسان ، فذكر محمد بن الصباح الطبري : أن أباه شيع الرشيد إلى النهروان ، فجعل يحادثه في الطريق . . . إلىٰ أن قال : (يا صباح ؛ لا أحسبك تراني بعدها ، فقلت : بل يردك الله سالماً ، ثم قال : ولا أحسبك تدري ما أجد ؟ فقلت : لا والله ، فقال : تعال حتىٰ أريك ، وانحرف عن الطريق وأومأ إلى الخواص فتنحوا ، ثم قال : أمانة الله يا صباح ، أن تكتم عليَّ وكشف عن بطنه ؛ فإذا عصابة حرير حوالي بطنه ، فقال : هـٰذه علة أكتمها الناس كلهم ، ولكل واحد من ولدي عليَّ رقيب ؛ فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين ـ ونسيت الثالث ـ ما منهم أحد . . إلا وهو يحصي أنفاسي ، ويعدُّ أيامي ، ويستطيل دهري ؛ فإن أردت أن تعرف ذلك . . فالساعة أدعو ببرذون فيجيئون به أعجف ؛ ليزيد في علتي ، ثم دعا ببرذون ، فجاؤوا به كما وصف ، فنظر إليَّ ، ثم ركبه وودعني ، وسار إلىٰ جرجان ، ثم رحل منها في صفر ، سنة ثلاث وتسعين وهو عليل إلىٰ طوس ، فلم يزل بها إلىٰ أن مات)[1] .

[ولاية العهد بين أبناء الرشيد]

وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين ، ولقَّبه

---

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٣٣٨) .

الأمين ، وله يومئذ خمس سنين ؛ لحرص أمه زبيدة علىٰ ذلك[1] .

قال الذهبي : (فكان هـٰذا أول وهن جرىٰ في دولة الإسلام من حيث الإمامة ، ثم بايع لابنه عبد الله من بعد الأمين في سنة اثنتين وثمانين ، ولقَّبه المأمون ، وولاه ممالك خراسان بأسرها ، ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين في سنة ست وثمانين ، ولقَّبه المؤتمن ، وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي .

فلما قسم الدنيا بين هـٰؤلاء الثلاثة . . قال بعض العقلاء : قد ألقىٰ بأسهم بينهم، وغائلة ذلك تضر بالرعية، وقالت الشعراء في البيعة المدائح[2] ، ثم إنه علق نسخة البيعة في البيت العتيق ، وفي ذلك يقول إبراهيم الموصلي[3] : [من مجزوء الكامل]

خيـــــرُ الأمـــــورِ مَغَبَّـــــةً ... وأحـــقُّ أمـــرٍ بـــالتمـــامِ
أمـــرٌ قَضَـــىٰ أحكـــامَـــه الـ ... ـــرَّحمـٰـن فـــي البيـــتِ الحـــرامِ

وقال عبد الملك بن صالح في ذلك[4] : [من البسيط]

حبُّ الخليفـةِ حـبٌّ لا يـدينُ لـه ... عاصي الإلـٰهِ وشَارٍ يُلقحُ الفِتَنا
اللهُ قلَّـــد هـــارونـــاً سِيـــاسَتَـــه ... لمَّا اصطَفَاه فأَحيا الدينَ والسنَنَا
وقلَّـــد الأرضَ هـــارونُ لـــرأفَتِـــه ... بنـا أَمينـاً ومـأمـونـاً ومـؤتمنـا

قال بعضهم : وقد زوى الرشيد الخلافة عن ولده المعتصم ؛ لكونه أمياً ، فساقها الله إليه وجعل الخلفاء بعده كلهم من ذريته ، ولم يجعل من نسل غيره من أولاد الرشيد خليفة .

وقال سَلْم الخاسر في العهد للأمين : [من الكامل]

قُـل للمنـازلِ بـالكثيـبِ الأَعْفَـرِ ... أسقيتِ غاديةَ السحابِ المُمطِرِ
قـد بـايـعَ الثقـلانِ مهـديَّ الهُـدىٰ ... لمحمـدِ بـنِ زُبيـدة ابنـةِ جعفـرِ

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٤٠) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٧٥ـ٢٧٦) .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٢٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٢/ ٢١) .
(٤) تاريخ الطبري (٨/ ٢٧٦) .

قــد وفَّــق الله الخليفــةَ إذ بَنَــىٰ بيــتَ الخــلافــةِ للهجَــان الأزهــرِ
فهــو الخليفــةُ عــن أبيــهِ وجــدِّهِ شهِــدَا عليــه بمنظــرٍ وبمخبَــرِ

فحَشَت زبيدة فاه جوهراً ، باعه بعشرين ألف دينار[1] .

فَصْلٌ

في نبذ من أخبار الرشيد
عفا الله عنه

أخرج السلفي في « الطيوريات » بسنده عن ابن المبارك قال : (لما أفضت الخلافة إلى الرشيد . . وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي ، فأرادها علىٰ نفسها ، فقالت : لا أصلح لك ، إن أباك قد أطاف بي ، فشغف بها ، فأرسل إلىٰ أبي يوسف فسأله : أعندك في هـٰذا شيء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أوكلما ادعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدق ؟! لا تصدقها ؛ فإنها ليست بمأمونة) .

قال ابن المبارك : (فلم أدر ممن أعجب ؛ من هـٰذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه ، أو من هـٰذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أو من هـٰذا فقيه الأرض وقاضيها قال : اهتك حرمة أبيك ، واقضِ شهوتك ، وصيِّرْهُ في رقبتي ؟!) .

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن يوسف قال : قال الرشيد لأبي يوسف : (إني اشتريتُ جاريةً وأريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء ، فهل عندك حيلة ؟ قال : نعم ؛ تهبها لبعض ولدك ، ثم تتزوجها .

[ذكاء أبي يوسف القاضي]

وأخرج عن إسحاق بن راهويه قال : (دعا الرشيد أبا يوسف ليلاً فأفتاه ، فأمر له بمئة ألف درهم ، فقال أبو يوسف : إن رأىٰ أمير المؤمنين . . أمر بتعجيلها قبل

---

(١) تاريخ الإسلام (١١/ ١٤٤) ، والأبيات في « ديوانه » (ص١٠٠) .

الصبح ؟ فقال : عجِّلوها ، فقال بعض من عنده : إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة ؟ فقال أبو يوسف : قد كانت الدروب مغلقةً حين دعا بي ، ففُتحت !!) .

[رؤيا فيها بشارة للرشيد]

وأسند الصولي : عن يعقوب بن جعفر قال : (خرج الرشيد في السنة التي ولي الخلافة فيها حتىٰ غزا أطراف الروم ، وانصرف في شعبان ، فحج بالناس آخر السنة ، وفرَّق بالحرمين مالاً كثيراً ، وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال له : « إن هـٰذا الأمر صائرٌ إليك في هـٰذا الشهر ؛ فاغزُ وحج ، ووسِّع علىٰ أهل الحرمين » ففعل هـٰذا كله) .

[الخليفة الرشيد والشعر]

وأسند عن معاوية بن صالح ، عن أبيه قال : أول شعر قاله الرشيد : أنه حج سنة ولي الخلافة ، فدخل داراً ؛ فإذا في صدر بيتٍ منها بيتٌ من شعرٍ قد كُتب علىٰ حائط : [من الطويل]

أَلاَ يـا أميـرَ المـؤمنيـنَ أمـا تَـرَىٰ فـدَيْتُـك هجـرانَ الحبيـبِ كَبيـرا

فدعا بدواة وكتب تحته بخطه : [من الطويل]

بلَىٰ والهَدايا المُشْعَرات وما مَشَىٰ بمكـةَ مَـرقـوع الأظـلِّ حَسِيـرا

وأخرج عن سعيد بن سلم قال : كان فهم الرشيد فهم العلماء ، أنشده العُمَاني في صفة فرس : [من الرجز]

كـأن أُذْنيـه إذا تشـوفـا قـادمـة أو قلمـاً محـرفـا

فقال الرشيد : دع (كأن) وقل : (تخال أذنيه) حتىٰ يستوي الشعر[1] .

وأخرج عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال : حلف الرشيد ألاّ يدخل

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٥/ ٢٧٠) ، والعماني : هو محمد بن ذؤيب بن محمد ، أبو العباس .

إلىٰ جارية له أياماً ، وكان يحبها ، فمضت الأيام ولم تسترضه فقال : [من الرمل]

صــدَّ عنِّــي إذ رَآنــي مُفتتَــنْ ... وأطــالَ الصبــرَ لمــا أن فَطَــنْ
كـانَ مَمْلـوكـي فـأَضْحَىٰ مَـالِكـي ... إنَّ هـٰذا مـن أَعـاجيـبِ الـزَّمـنْ

ثم أحضر أبا العتاهية فقال : أجزهما ، فقال[1] : [من الرمل]

عِــزَّةُ الحــبِّ أَرَتــه ذِلَّتــي ... فــي هَــواه ولــه وجــهٌ حســنْ
فلهـٰـذا صِـرتُ مَملـوكـاً لـه ... ولهـٰـذا شـاعَ مـا بـي وعَلَـنْ

[محاورة بين الخليفة الرشيد وزنديق]

وأخرج ابن عساكر عن ابن علية قال : (أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لِمَ تضرب عنقي ؟ قال : أريح العباد منك ، قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كلها ما فيها حرف نطق به ؟! قال : فأين أنت يا عدو الله من : أبي إسحاق الفزاري ، وعبد الله بن المبارك ينخلانها ، فيخرجانها حرفاً حرفاً ؟!)[2] .

[محبة الرشيد لآل البيت]

وأخرج الصولي عن إسحاق الهاشمي قال : (كنا عند الرشيد فقال : بلغني أن العامة يظنون بي بغض علي بن أبي طالب ، ووالله ؛ ما أحب أحداً حبي له ، ولـٰكن هـٰؤلاء أشد الناس بغضاً لنا وطعناً علينا ، وسعياً في فساد ملكنا بعد أخذنا بثأرهم ، ومساهمتنا إياهم ما حويناه ؛ حتىٰ إنهم لأميل إلىٰ بني أمية منهم إلينا ، فأما ولده لصلبه . . فهم سادة الأهل ، والسابقون إلى الفضل ، ولقد حدثني أبي المهدي ، عن أبيه المنصور ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحسن والحسين : « مَن

---

(١) البيتان في « ديوانه » (ص٢٧١) .
(٢) تاريخ دمشق (٧/ ١٢٧) .

أحبَّهما.. فقد أَحبَّني ، ومَن أَبغضَهُما.. فقد أَبْغَضني » ، وسمعه يقول : « فاطمةُ سيدةُ نسَاءِ العالمِينَ غيرَ مريمَ بنةِ عِمرَان وآسيةَ بنةِ مُزاحِم ») .

[مِلْكٌ قيمته شربة ماء]

روي : (أن ابن السمَّاك دخل على الرشيد يوماً ، فاستسقىٰ ، فأتي بكوز ، فلما أخذه.. قال : علىٰ رسلك يا أمير المؤمنين ؛ لو مُنعت هـٰذه الشربة.. بكم كنت تشتريها ؟

قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب هنأك الله ، فلما شربها.. قال : أسألك لو مُنعت خروجها من بدنك.. بماذا كنت تشتري خروجها ؟ قال : بجميع ملكي ، قال : إن ملكاً قيمته شربة ماء لجدير ألا ينافس فيه ، فبكىٰ هارون)[1] .

[موعظة شيبان للرشيد]

وقال ابن الجوزي : (قال الرشيد لشيبان : عظني ، قال : لأن تصحب من يخوِّفك حتىٰ يدركك الأمن.. خيرٌ لك من أن تصحب من يؤمِّنك حتىٰ يدركك الخوف .

فقال الرشيد : فَسِّرْ لي هـٰذا ، قال : من يقول لك : أنت مسؤول عن الرعية فاتقِ الله.. أنصحُ لك ممن يقول : أنتم أهل بيت مغفور لكم ، وأنتم قرابة نبيكم ، فبكى الرشيد حتىٰ رحمه من حوله)[2] .

وفي كتاب « الأوراق » للصولي بسنده : (لما ولي الرشيد الخلافة ، واستوزر يحيى بن خالد.. قال إبراهيم الموصلي[3] : [من الطويل]

أَلَم ترَ أن الشمسَ كانت مريضةً ... فلمَّا أَتَىٰ هارونُ أشرَقَ نورُها
تَلَبَّسَتِ الدُّنيا جمالاً بملكِه ... فهارونُ وَاليها ويَحيىٰ وزيرُها

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٣٥٧) .
(٢) المنتظم (١٠/ ٢٨٥) .
(٣) البيتان في « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٣٣) .

فأعطاه مئة ألف درهم ، وأعطاه يحيىٰ خمسين ألفاً) .

ولداوود بن رَزِين الواسطي فيه[1] : [من الطويل]

بهارونَ لاحَ النورُ في كلِّ بلدةٍ ... وقامَ به في عدلِ سيرتِه النهجُ
إمامٌ بذاتِ الله أصبحَ شغلُه ... فأكثرُ ما يُعنىٰ به الغزوُ والحجُّ
تضيقُ عيون الخلقِ عن نورِ وَجهِهِ ... إذا ما بَدَا للناسِ منظرُه البلجُ
تفسحتِ الآمالُ في جودِ كفِّه ... وأَعطى الذي يَرجوه فوقَ الذي يَرجو

[من ارتحل من الخلفاء للسماع]

وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله : (ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد ؛ فإنه رحل بولديه : الأمين والمأمون لسماع « الموطأ » علىٰ مالك رحمه الله ، قال : وكان أصل « الموطأ » بسماع الرشيد في خزانة المصريين .

قال : ثم رحل لسماعه السلطان صلاح الدين بن أيوب إلى الإسكندرية ، فسمعه علىٰ أبي طاهر بن عوف ، ولا أعلم لهما ثالثاً !!) .

ولمنصور النَّمَري فيه : [من الكامل]

جعلَ القرانَ إمامَه ودليلَه ... لما تَخيَّره القرانُ إماما

وله فيه من قصيدة[2] : [من البسيط]

إنَّ المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ ... أحلَّك الله منها حيث تجتمعُ

فيقال : إنه أجازه عليها بمئة ألف .

---

(١) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٨/ ٢٣٤) ، ولفظ البيت الرابع :
وإنَّ أمينَ اللهِ هارونَ ذا النَّدىٰ ... يُنيلُ الذي يَرجوه أضعافَ ما يرجُو
(٢) البيت في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

وقال الحسين بن فهم : كان الرشيد يقول : مِنْ أحبِّ ما مُدِحتُ به إليَّ : [من البسيط]

أبــو أميــنٍ ومَــأمــونٍ ومُــؤتمــنٍ أكـرِمْ بـه والـداً بـرّاً ومـا وَلَـدا

وقال إسحاق الموصلي : (دخلت على الرشيد فأنشدته : [من الطويل]

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقْصِري فـذلـكَ شـيءٌ مـا إليـه سبيـلُ
أرى الناسَ خُلاَّنَ الجوادِ ولا أرىٰ بَخيـلاً لـه فـي العـالميـنَ خليـلُ
وإنِّي رأيتُ البخلَ يُزري بأهلِه فـأُكْـرِمُ نفسـي أن يقـالَ بخيـلُ
ومِن خيرِ حَالاتِ الفَتَىٰ لو علمْتِهِ إذا نـالَ شيئـاً أن يكـونَ يُنيـلُ
عطائي عطاءُ المكثرينَ تكرُّماً ومَـالـي كمـا قـد تعلميـنَ قليـلُ
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَم الغِنَىٰ ورَأيُ أميـرِ المـؤمنيـنَ جميـلُ

فقال : لا ، كيف إن شاء الله ، يا فضل ؛ أعطه مئة ألف درهم ، لله دَرُّ أبياتٍ يأتينا بها ، ما أجود أصولها وأحسن فصولها !! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ كلامك أحسن من شعري ، فقال : يا فضل ؛ أعطه مئة ألف أخرىٰ)[1] .

وفي « الطيوريات » بسنده إلىٰ إسحاق الموصلي قال : قال أبو العتاهية لأبي نُوَاس : البيت الذي مدحت به الرشيد لوددت أني كنت سبقتك إليه[2] : [من الكامل]

قـد كنـتُ خِفتُـك ثـم أمَّننـي مِـن أن أخـافَـك خـوفُـك اللهَ

[من أوليات الرشيد وشعره]

وقال محمد بن علي الخراساني : (الرشيد أول خليفة لعب بالصَّوالِجَة والكرة ، ورمى النشاب في البُرْجاس ، وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس)[3] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (١٤/ ١٠) .
(٢) أخرج الخبر ابن عساكر في « تاريخه » (١٣/ ٤٢٠) ، والبيت في « ديوانه » (ص٤٥٩) .
(٣) مروج الذهب (٥/ ٢١٢) ، والبرجاس : غرض في الهواء علىٰ رأس رمح ونحوه يرمىٰ به .

وقال الصولي : (هو أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات) .

ومن شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة ـ أورده الصولي ـ : [من السريع]

قَاسَيتُ أَوجاعاً وأَحزانا لمَّا استخصَّ الموتُ هَيلانَا
فارقتُ عَيشي حِين فارقتُها فما أُبالي كيفَ ما كَانا
كانَت هي الدُّنيا فلما ثَوَت في قَبرِها فارَقْتُ دُنيانا
قد كَثُر الناسُ ولٰكنَّني لستُ أَرىٰ بعدَكِ إنسانا
واللهِ لا أنساكِ ما حرَّكَت ريحٌ بأعلىٰ نجدٍ أغصانا

وله أيضاً ـ أنشده الصولي ـ : [من السريع]

يا ربَّةَ المنزلِ بالفِرْك وربَّةَ السلطانِ والمُلْك
ترفَّقي باللهِ في قَتلِنا لسْنَا من الدَّيلم والتُّرْك

[وفاة هارون الرشيد]

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ، ودُفن بها في ثالث جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وله خمس وأربعون سنة ، وصلىٰ عليه ابنه صالح ، رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة .

قال الصولي : (خلف الرشيد : مئة ألف ألف دينار ، ومن الأثاث والجواهر والوَرِق والدواب ما قيمته : مئة ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار) .

وقال غيره : (غلط جبريل بن بَخْتيشوع على الرشيد في علته في علاجٍ عالجه به كان سبب منيته ، فهمَّ أن يفصل أعضاءه ، فقال : أنظرني إلىٰ غد ؛ فإنك تصبح في عافية ، فمات ذلك اليوم) .

وقيل : إن الرشيد رأىٰ مناماً أنه يموت بطوس ، فبكىٰ وقال : احفروا لي قبراً ، فحفر له ثم حمل في قبة علىٰ جمل ، وسيق به حتىٰ نظر إلى القبر ، فقال : يا بن آدم ؛ تصير إلىٰ هـٰذا !! وأمَرَ قوماً فنزلوا فختموا فيه ختمة ، وهو في محفَّةٍ علىٰ شفير القبر .

ولما مات . . بويع لولده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد ، فأتاه الخبر ،

فصلىٰ بالناس الجمعة ، وخطب ونعى الرشيد إلى الناس ، وبايعوه ، وأخذ رجاء الخادم البُرْد والقضيب والخاتم ، وسار على البريد في اثني عشر يوماً من مرو حتىٰ قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة ، فدفع ذلك إلى الأمين .

ولأبي الشِّيص يرثي الرشيد[1] : [من مجزوء الرمل]

غَربت في الشَّرقِ شمسٌ ... فلها عَيني تَدمَع
ما رَأينا قطُّ شَمساً ... غَرَبت من حيثُ تَطلع

وقال أبو نُواس جامعاً بين العزاء والهناء[2] : [من المنسرح]

جَرَت جَوارٍ بالسَّعد والنَّحسِ ... فنحنُ في مأتمٍ وفي عرسِ
القلبُ يَبكي والعينُ ضاحكةٌ ... فنحنُ في وحشَةٍ وفي أُنسِ
يُضحكنا القائمُ الأمينُ ويُبـ ... ـكينا وفاةُ الإمام بالأمسِ
بَدران بدرٌ أضحَىٰ ببغدادَ في الـ ... ـخُلدِ وبدرٌ بطوسَ في الرَّمسِ

ومما[3] رواه الرشيد من الحديث

قال الصولي : حدثنا عبد الرحمـٰن بن خلف ، حدثني جدي الحصين بن سليمان الضبِّي : سمعت الرشيد يخطب ، فقال في خطبته : حدثني مبارك بن فَضَالة ، عن الحسن ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمرَةٍ » .

حدثني محمد بن علي عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَظِّفوا أَفواهَكُم ؛ فإنَّها طُرُق القُرآنِ » .

---

(١) البيتان في ديوانه (ص ٨٤) .
(٢) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٨/ ٣٦٤) منسوبة لأبي نواس ، ونسبها ابن المعتز في « طبقات الشعراء » (ص٧٥) لأبي الشيص ، وهي في ديوانه (ص ٦٨ـ ٦٩) .
(٣) من هنا بدأ السقط من (ج) .

خلافة الأمين

[١٩٣ـ١٩٨هـ][1]

محمد أبو عبد الله بن الرشيد ، كان ولي عهد أبيه ، فولي الخلافة بعده ، وكان من أحسن الشباب صورة ، أبيض طويلاً جميلاً ، ذا قوة مفرطة ، وبطش وشجاعة ومعرفة ، يقال : إنه قتل مرة أسداً بيديه ، وله فصاحة وبلاغة ، وأدب وفضيلة ؛ لـٰكن كان سيىء التدبير ، كثير التبذير ، ضعيف الرأي ، أرعن لا يصلح للإمارة .

فأول ما بويع بالخلافة : أمر ثاني يوم ببناء ميدان جِوارَ قصر المنصور للعب بالكرة .

[عزل القاسم وجعل العهد لموسى بن الأمين]

ثم في سنة أربع وتسعين : عزل أخاه القاسم عما كان الرشيد ولاَّه ، ووقعت الوحشة بينه وبين أخيه المأمون ، فقيل : إن الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون . . لم يُبقِ عليه ، فأغرى الأمين به ، وحثَّه علىٰ خلعه ، وأن يولي العهد لابنه موسىٰ .

ولما بلغ المأمون عزل أخيه القاسم . . قطع البريدية عن الأمين ، وأسقط اسمه من الطراز والضرب .

ثم إن الأمين أرسل إليه يطلب منه : أن يقدم موسىٰ علىٰ نفسه ، ويذكر أنه قد سماه : الناطق بالحق ، فردَّ المأمون ذلك وأباه ، وخامر الرسول معه وبايعه بالخلافة سراً ، ثم كان يكتب إليه بالأخبار ويناصحه من العراق .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨/ ٤٧٨) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٢٦١) ، و« تاريخ بغداد » (٣/ ٣٣٦) ، و« المنتظم » (٩/ ٢١٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٣٨٠) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٢٤١) .

ولما رجع وأخبر الأمين بامتناع المأمون . . أسقط اسمه من ولاية العهد ، وطلب الكتاب الذي كتبه الرشيد وجعله بالكعبة فأحضروه ومزَّقه ، وقويت الوحشة .

[نصيحة أولي الرأي للأمين بعدم نقض العهد]

ونصح الأمينَ أولو الرأي ، وقال له خزيمة بن خازم[1] : (يا أمير المؤمنين ؛ لن ينصحك من كذبك ، ولن يغشك من صدقك ، لا تجرىء القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم علىٰ نكث العهد فينكثوا بيعتك وعهدك ؛ فإن الغادر مغلول ، والناكث مخذول ، فلم ينتصح ، وأخذ يستميل القواد بالعطاء)[2] .

وبايع بولاية العهد لابنه موسىٰ ؛ ولقبه : (الناطق بالحق) وهو إذ ذاك طفل رضيع ، فقال بعض الشعراء في ذلك[3] : [من المتقارب]

أضاعَ الخلافةَ غشُّ الوَزيرْ	وفسقُ الأميرِ وجهلُ المشيرْ
ففضلٌ وزيرٌ وبكرٌ مُشيرْ	يُريدان ما فيه حتفُ الأميرْ
لواطُ الخليفةِ أُعجوبةٌ	وأعجبُ منه حلاق الوَزيرْ
فهٰذا يدوسُ وهٰذا يُداسْ	كذاكَ لَعمري خلافُ الأمورْ
فلو يَستعفَّان هٰذا بِذاك	لكانا بعُرضةِ أمرٍ ستيرْ
وأعجبُ مِن ذا وذا أنَّنا	نُبايع للطفلِ فينا الصغيرْ
ومَن ليسَ يُحسن غسلَ اسْتِه	ولم يخلُ من بولِه حِجرُ ظِئْرْ
وما ذاكَ إلاَّ بفضلٍ وبكرٍ	يُريدان طَمسَ الكتابِ المنيرْ
وما ذانِ لولا انْقلابُ الزَّما	ن في العِير هٰذان أم في النفيرْ[4]

ولما تيقَّن المأمون خلعه . . تسمىٰ بإمام المؤمنين ، وكوتب بذلك .

---

(١) في النسخ : (خازم بن خزيمة) ، وانظر ترجمته في « تاريخ بغداد » (٨/ ٣٤١) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٣/ ١٩ـ ٢١) ، وانظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

(٣) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٨/ ٣٩٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٢٣ـ ٢٤) بغير نسبة ، ونسبت في « مروج الذهب » (٤/ ٢٧١) لعلي بن أبي طالب الأعمىٰ .

(٤) إلىٰ هنا انتهى السقط من (ج) .

[قتال ابن ماهان لجند المأمون]

وولَّى الأمين علي بن عيسى بن مَاهَان بلاد الجبال : همذان ونَهاوند ، وقُم وأصبهان ، في سنة خمس وتسعين ، فخرج علي بن عيسىٰ من بغداد في نصف جمادى الآخرة ومعه الجيش لقتال المأمون أربعون ألفاً ، في هيئة لم يُرَ مثلها ، وأخذ معه قيدَ فضة ليقيد به المأمون بزعمه .

فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف ، فكانت الغلبة له ، وذُبح علي ، وهُزم جيشه ، وحُملت رأسه إلى المأمون ، فطِيفَ بها في خراسان ، وسُلِّم على المأمون بالخلافة .

وجاء الخبر إلى الأمين وهو يتصيد السمك ، فقال للذي أخبره : (ويلك !! دعني ؛ فإن كوثراً قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً بعد)[1] .

[حصار بغداد وخوف أهلها]

وقال عبد الله بن صالح الجَرْمي : لما قتل علي . . أرجف الناس ببغداد إرجافاً شديداً ، وندم الأمين علىٰ خلعه أخاه ، وطمع الأمراء فيه ، وشغبوا جندهم بطلب الأرزاق من الأمين ، واستمر القتال بينه وبين أخيه ، وبقي أمر الأمين كل يوم في إدبار ؛ لانهماكه في اللعب والجهل ، وأمر المأمون في ازدياد إلىٰ أن بايعه أهل الحرمين وأكثر البلاد بالعراق .

وفسد الحال على الأمين جداً ، وتلف أمر العسكر ، ونفدت خزائنه ، وساءت حال الناس بسبب ذلك ، وعظم الشر ، وكثر الخراب والهدم من القتال ورمي المجانيق والنفط ؛ حتىٰ درست محاسن بغداد ، وعملت فيها المراثي ، ومن جملة ما قيل في بغداد[2] : [من الوافر]

بكيتُ دَماً علىٰ بغدادَ لمَّا ... فقدتُ غَضَارة العيشِ الأَنيقِ
أَصابَتْها من الحسَّاد عينٌ ... فأَفنَت أَهلَها بالمنجنيقِ

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٣٩٠ـ٣٩٥) .

(٢) البيتان من قصيدة أوردها الطبري في « تاريخه » (٨/ ٤٥٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٥٠) .

ودام حصار بغداد خمسة عشر شهراً ، ولحق غالبُ العباسيين وأركانُ الدولة بجند المأمون ، ولم يبقَ مع الأمين يقاتل عنه إلا غوغاء بغداد والحَرافشة ، إلىٰ أن استهلت سنة ثمان وتسعين : فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسراً ، فخرج الأمين بأمه وأهله من القصر إلىٰ مدينة المنصور ، وتفرق عامة جنده وغلمانه ، وقلَّ عليهم القوت والماء .

[سمر الأمين وشربه وتطيره وموته]

قال محمد بن راشد : (أخبرني إبراهيم بن المهدي : أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور ، قال : فطلبني ليلة فأتيت ، فقال : ما ترىٰ طيب هـٰذه الليلة وحسن القمر وضوءه في الماء ، فهل لك في الشراب ؟ فقلت : شأنك ، فشربنا ، ثم دعا بجارية اسمها ضعف ، فتطيرت من اسمها ، فأمرها أن تغني ، فغنت بشعر النابغة الجعدي[1] : [من الطويل]

كليبٌ لَعمري كانَ أكثرَ نَاصِراً ... وأيسرَ ذَنباً منكَ ضُرِّجَ بالدمِ

فتطير بذلك ، وقال : غني غير هـٰذا ، فغنت : [من البسيط]

أَبكىٰ فِراقهمُ عَيني فأرَّقها ... إن التفرُّقَ للأحبابِ بكَّاءُ
ما زالَ يَعدو عليهم رَيبُ دهرهمُ ... حتىٰ تَفَانَوا وريبُ الدهرِ عدَّاء
فاليومَ أبكيهمُ جَهدي وأندبُهم ... حتىٰ أَؤوبَ وما في مُقلتِي ماءُ

فقال لها : لعنكِ الله ، أما تعرفين غير هـٰذا ؟! فقالت : ظننت أنك تحب هـٰذا ، ثم غنت : [من المنسرح]

أَمَا وربِّ السكونِ والحَرَكِ ... إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ
ما اختلفَ الليلُ والنَّهار ولا ... دارَتْ نجومُ السماءِ في الفَلَكِ
إلا لنقلِ السلطانِ عن مَلِكٍ ... قد زالَ سُلطانه إلىٰ مَلِكِ
ومُلكُ ذي العرشِ دائمٌ أَبَداً ... ليسَ بفانٍ ولا بمشتَرَكِ

---

(١) البيت في « ديوانه » (ص١٦٦) .

فقال لها : قومي لعنك الله ، فقامت فعثرت في قدح بلَّور له قيمة فكسرته ، فقال : ويحك يا إبراهيم !! أما ترىٰ ؟! والله ؛ ما أظن أمري إلا قد قرب ، فقلت : بل يطيل الله عمرك ، ويعز ملكك ، فسمعت صوتاً من دجلة : ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ فوثب محمد مغتماً ، وقتل بعد ليلة أو ليلتين ؛ أُخذ وحبس في موضع ، ثم أُدخل عليه قوم من العجم ليلاً فضربوه بالسيف ، ثم ذبحوه من قفاه ، وذهبوا برأسه إلىٰ طاهر ، فنصبها علىٰ حائط بستان ، ونودي : هٰذا رأس المخلوع محمد ، وجُرَّتْ جثته بحبل ، ثم بعث طاهر بالرأس والبرد والقضيب والمصلىٰ ـ وهو من سعف مبطن ـ إلى المأمون)[1] .

واشتد على المأمون قتل أخيه ، وكان يحب أن يرسل إليه حياً ؛ ليرىٰ فيه رأيه ، فحقد ذلك علىٰ طاهر بن الحسين ، وأهمله نسياً منسياً إلىٰ أن مات طريداً بعيداً .

وصدق قول الأمين ؛ فإنه كان كتب بخطه رقعةً إلىٰ طاهر بن الحسين لما انتدب لحربه فيها : (يا طاهر ؛ ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف ، فانظر لنفسك أو دع) ، يلوح بأبي مسلم وأمثاله الذين بذلوا نفوسهم في النصح لهم ، فكان مآلهم إلى القتل منهم .

[مما قيل في قتل الأمين]

ولإبراهيم بن المهدي في قتل الأمين[2] : [من السريع]

عُوجَا بمَغْنىٰ طَلَلٍ داثرِ ... بالخُلْد ذاتِ الصخرِ والآجُرِ
والمَرمَرِ المسنونِ يُطلَىٰ به ... والبابِ بابِ الذهبِ النَّاضرِ
وأَبلِغَا عنِّي مقالاً إلى الـ ... ـمَولىٰ عن المَأمورِ والآمرِ
قُولا له يا بن وليِّ الهُدَىٰ ... طهِّر بلادَ الله مِن طاهرِ

(١) تاريخ الإسلام (١٣/ ٦٢) .
(٢) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٨/ ٤٨٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٣) .

لـــم يَكفِـــه أن حـــزَّ أوداجَـــه ذبــحَ الهَــدايــا بمُــدَى الجــازرِ
حتــىٰ أتَــىٰ تُسحــبُ أوصــالُــه فــي شَطَــنٍ يَفنــىٰ بــه الشــائــرُ[1]
قــد بَــرَد المــوتُ علــىٰ جفنِـه فطــرفُـــه منكسِـــرُ النَّـــاظـــرِ

ومما قيل فيه[2] : [من الرمل]

لِـــمْ نُبكِّيـــكَ لمَـــاذا للطـــرَبْ يــا أَبــا مُــوســىٰ وتَــرْويــجِ اللَّعِــبْ
ولتَــرْكِ الخَمــسِ فــي أَوقــاتِهــا حَــرَصــاً منــك علــىٰ مــاءِ العِنَــبْ
وشَنِيـــفٍ أَنـــا لا أَبكـــي لـــهُ وعلــىٰ كــوثــرَ لا أَخشــى العَطَــبْ
لـــم تَكـــن تصلُـــحُ للمُلـــكِ ولا تُعطِـك الطـاعـةَ بـالمُلـكِ العَـرَبْ
لِـــمْ نُبكِّيـــك لمَـــا عَـــرَّضتنـــا للمَجـــانيـــق وطَـــوراً للسَّلَـــبْ

ولخزيمة بن الحسن علىٰ لسان زبيدة قصيدة يقول فيها[3] : [من الطويل]

أَتَــىٰ طــاهــرٌ لا طهَّــر الله طــاهِــراً فمــا طــاهــرٌ فيمــا أَتَــىٰ بمطهَّــرِ
فأخرَجَني مكشوفةَ الوجهِ حاسِراً وأَنْهَــبَ أَمــوالــي وأحْــرَقَ آدري[4]
يعــزُّ علــىٰ هــارونَ مــا قــد لقيتُــه وما مرَّ بي من ناقصِ الخَلْق أعورِ
تــذكَّــر أميــرَ المــؤمنيــن قــرابَتِــي فــديتُــك مــن ذي حُــرمــة متــذكِّــرِ

[إسراف الأمين في بذل الأموال]

قال ابن جرير : (لما ملك الأمين . . ابتاعَ الخصيانَ ، وغالىٰ بهم ، وصيَّرهم لخلوته ، ورفض النساء والجواري)[5] .

وقال غيره : (لما ملك . . وجَّه إلى البلدان في طلب الملهين ، وأجرىٰ لهم الأرزاق ، واقتنى الوحوش والسباع والطيور ، واحتجب عن أهل بيته وامرأته ،

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « تاريخ الطبري » (٨/ ٤٨٩) : (يفني مدى السائر) .
(٢) الأبيات من قصيدة في « تاريخ الطبري » (٨/ ٥٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٤) .
(٣) الأبيات من قصيدة ذكرها الطبري في « تاريخه » (٨/ ٥٠٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٤) .
(٤) في « تاريخ الطبري » : (أدؤري) .
(٥) تاريخ الطبري (٨/ ٥٠٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٥) .

واستخف بهم ، ومحق ما في بيوت الأموال ، وضيع الجواهر والنفائس ، وبنىٰ عدة قصور للهو في أماكن)[١] .

وأجاز مرة من غنىٰ له : [من الطويل]

هجرتُك حتىٰ قلتِ لا يعرفُ القِلَىٰ وزُرتُك حتىٰ قلتِ ليس له صبرُ

بملء زورقه ذهباً[٢] .

وعمل خمس حراقات علىٰ خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق في عملها أموالاً ، فقال أبو نواس[٣] : [من الخفيف]

سخَّـــر الله لــلأميــنِ مَطَــايــا لــم تُسخَّـر لصاحـبِ المِحـرَابِ
فــإذا مــا ركــابــه سِــرنَ بــرّاً سارَ في الماءِ رَاكباً ليثَ غابِ
أســداً بــاسِطــاً ذِراعَيــه يَهــوِي أهـرَتَ الشـدقِ كـالِـحَ الأنيـابِ[٤]

قال الصولي : (حدثنا أبو العَيْناء ، حدثنا محمد بن عمرو الرومي قال : خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه ، فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه ، ثم قال : [من مجزوء الرمل]

ضَـــربُـــوا قـــرَّةَ عَينِـــي ومِـــنَ أجلِـــي ضَـــربُـــوه
أخـــــــذَ الله لِقَلبــــــي مِـــن أُنـــاس أَحـــرقـــوه

ولم يقدر علىٰ زيادة ، فأحضر عبد الله بن أيوب التيمي الشاعر فقال له : قل عليهما ، فقال :

مـــا لِمَـــن أَهـــوىٰ شبيـــهٌ فَبِـــه الـــدُّنيـــا تَتيـــهُ
وَصْلُـــه حلـــوٌ ولٰكـــنْ هَجْـــرُه مـــرٌّ كَـــريـــهُ

---

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٥) .
(٢) تاريخ الطبري (٨/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) ، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٥ ـ ٦٦) .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٥٠٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٥) ، والحراقات : جمع حرَّاقة ، وهي سفن خفيفة فيها مرامي النيران يرمىٰ بها العدو .
(٤) أهرت : واسع الشدق .

مَــن رأى النَّــاس لــه الفَضْـ ـــلَ عليهـــم حَســـدوهُ
مثـــلُ مـــا قـــد حَســـد القَـــا ئـــمَ بـــالمُلـــكِ أَخـــوهُ

فأوقر له ثلاث بغال دراهم)[1] .

فلما قُتل الأمين . . جاء التيمي إلى المأمون ، وامتدحه فلم يأذن له ، فالتجأ إلى الفضل بن سهل فأوصله إلى المأمون ، فلما سلم عليه . . قال : (هيه يا تيمي :

مثـــل مـــا قـــد حســـد القـــا ئـــم بـــالملـــك أخـــوه

فقال التيمي : [من مجزوء الرمل]

نُصِـر المـأمـونُ عبـدُ اللّٰـ ـــه لمَّـــا ظَلَمـــوهُ
نَقَـض العهـدَ الـذي قـدْ كـانَ قِـدْمـاً أَكَّـدوهُ
لـــم يُعـــاملـــه أخـــوهُ بـــالـــذي أَوصَـــىٰ أبـــوهُ

فعفا عنه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم)[2] .

وقيل : إن سليمان بن منصور رفع إلى الأمين : أن أبا نواس هجاه ، فقال : يا عم ؛ أقتله بعد قوله[3] : [من الكامل]

أُهـدي الثنـاءَ إلـى الأمينِ محمـدٍ مـا بَعـدَه بتجـارةٍ متـربَّـصُ
صَدَقَ الثناءُ على الأمينِ محمدٍ ومِـن الثَّنـاء تكـذُّبٌ وتَخـرُّصُ
قد ينقصُ البدرُ المنيرُ إذا استوَىٰ وبهـاءُ نـورِ محمـدٍ مـا ينقـصُ
وإذا بنو المنصورِ عُدَّ خِصَالُهم فمحمـدٌ يـاقـوتُهـا المتخلَّـصُ

قال أحمد ابن حنبل : (إني لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره علىٰ إسماعيل ابن علية ؛ فإنه أدخل عليه فقال له : يا بن الفاعلة ؛ أنت الذي تقول : كلام الله مخلوق ؟)[4] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٣٩) من طريق الصولي .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٢ـ٢٢٣) من طريق الصولي .
(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٤٠) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٤٢٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١١٢) .

[فَائِدَةٌ]

[فيمن ولي وهو هاشمي ابن هاشمية]

قال المسعودي : (ما ولي الخلافة إلىٰ وقتنا هـٰذا هاشمي ابن هاشمية : سوىٰ علي بن أبي طالب ، وابنه الحسن ، والأمين ؛ فإن أمه : زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، واسمها : أمة العزيز ، وزبيدة : لقبٌ لها)[1] .

وقال إسحاق الموصلي : (اجتمعَتْ في الأمين خصائل لم تكن في غيره : كان أحسن الناس وجهاً وأسخاهم ، وأشرف الخلفاء أباً وأماً ، حسن الأدب ، عالماً بالشعر ، لـٰكن غلب عليه الهوىٰ واللعب ، وكان مع سخائه بالمال بخيلاً بالطعام جداً) .

وقال أبو الحسن الأحمر : (كنت ربما أُنسيتُ البيت الذي يستشهد به في النحو ، فينشدنيه الأمين ، وما رأيت في أولاد الملوك أذكىٰ منه ومن المأمون) .

كان قتله في المحرم : سنة ثمان وتسعين ومئة ، وله سبع وعشرون سنة .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأعلام : إسماعيل ابن علية ، وغندر ، وشقيق البلخي الزاهد ، وأبو معاوية الضرير ، ومُؤَرِّج السدوسي ، وعبد الله بن كثير المقرىء ، وأبو نُواس الشاعر ، وعبد الله بن وهب صاحب مالك ، ووَرْش المقرىء ، ووكيع ، وآخرون .

وقال علي بن محمد النوفلي وغيره : (لم يُدعَ : للسفاح ، ولا للمنصور ، ولا للمهدي ، ولا للهادي ، ولا للرشيد على المنابر بأوصافهم ، ولا كُتبتْ في كتبهم حتىٰ ولي الأمين ، فدُعِيَ له بالأمين على المنابر ، وكتب عنه : من عبد الله محمد الأمين أمير المؤمنين) .

---

(١) مروج الذهب (٤/ ٢٧٠) ، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٨٢) .

وكذا قال العسكري في « الأوائل » : (أول من دعي له بلقبه على المنابر : الأمين)[1] .

[من شعر الأمين]

ومن شعر الأمين يخاطب أخاه المأمون ويعيره بأمه ، لما بلغه عنه أنه يعدد مثالبه ، ويفضل نفسه عليه ـ أنشده الصولي ـ : [من الكامل]

لا تفخرنَّ عليك بعدُ بقيةٌ ... والفخرُ يكملُ للفتى المُتكاملِ
وإذا تَطاولتِ الرِّجالُ بَفضلِها ... فاربَع فإنَّك لستَ بالمتطاوِلِ
أعطاكَ جدك ما هَويت وإنَّما ... تلقىٰ خلاف هَواك عند مراجلِ
تَعلو المنابرَ كلَّ يوم آملاً ... ما لستَ من بعدي إليه بواصلِ
فتَعيبُ مَن يَعلو عليك بفضلِهِ ... وتُعيد في حقِّي مقالَ الباطلِ

قلت : هٰذا نظمٌ عالٍ ، فإن كان له . . فهو أحسن من نظم أخيه وأبيه .

قال الصولي : ومما رواه جماعة له في خادمه كوثر ، وقد سقاه وهو علىٰ بساط نرجس ، والبدر قد طلع ، وقد رواه بعضهم للحسين بن الضحاك الخليع وكان نديمه لا يفارقه[2] : [من الخفيف]

وصفَ البدرُ حسنَ وجهك حتىٰ ... خلتُ أني أراكَ وما أراكا
وإذا ما تنفَّسَ النِّرجسُ الغَـ ... ـضّ توهمتُه نسيمَ ثناكا
خُدَعٌ للمُنىٰ تعلِّلني فيـ ... ـك بإشراقِ ذا ونكهةِ ذاكا
لأقيمنَّ ما حييتُ على الشُّكـ ... ـرِ لهٰذا وذاكَ ؛ إذ حَكَياكا

وله في خادمه كوثر أيضاً[3] : [من مجزوء الرمل]

ما يُريدُ الناس مِن صَـ ... ـبّ بمن يَهوىٰ كئيب

---

(١) الأوائل (ص ١٨٣) .

(٢) الأبيات في « الأغاني » (٧/ ١٨٧) ، وفيه : (وما أراك أراكا) ، وفي (أ ، ب ، د) : (أراك أو ما أراكا) ، والمثبت وإن كان فيه شكل إلا أنه أوفق بالمعنىٰ .

(٣) الأبيات في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٤٢) ، و« تاريخ دمشق » (٥٦/ ٢٢١) من طريق الصولي .

كَـــوثـــرٌ دِينـــي ودُنيـــا   ي وسُقمـــــي وطَبيبـــــي
أعجـــزُ النـــاسِ الـــذي يَلْـــ   ـحـــىٰ مُحبـــاً فـــي حبيـــبِ

وله لما يئس من الملك وعلا عليه طاهر :   [من مجزوء الرجز]

يـــا نفـــسُ قـــد حـــقَّ الحَـــذَرْ   أيـــنَ المفـــرُّ مـــن القـــدَرْ
كـــلُّ امـــرىءٍ ممـــا يَخَـــا   فُ ويـــرتجيـــهِ علـــىٰ خطَـــرْ
مَـــن يَـــرتشِـــفْ صفْـــوَ الـــزَّمـا   نِ يَغَـــصَّ يـــومـــاً بـــالكـــدَرْ

[رسالة الأمين إلىٰ طاهر بن الحسين]

وأسند الصولي : أن الأمين قال لكاتبه : (اكتب : من عبد الله محمد أمير المؤمنين إلىٰ طاهر بن الحسين ، سلام عليك ، أما بعد : فإن الأمر قد خرج بيني وبين أخي إلىٰ هتك الستور وكشف الحرم ، ولست آمن أن يطمع في هـٰذا الأمر السحيق البعيد ؛ لشتات أُلفتنا ، واختلاف كَلِمتنا ، وقد رضيت أن تكتب إليَّ أماناً ؛ لأخرج إلىٰ أخي ، فإن تفضَّل عليَّ . . فأهل ذلك ، وإن قتلني . . فمروءة كسرت مروءة ، وصمصامة قطعت صمصامة ، ولأن يفترسني السبع أحب إليَّ من أن ينبحني الكلب !! فأبىٰ طاهر عليه) .

وأسند عن إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال : (كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحان به ، ويقول : كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم إلى البدو حتىٰ يتفصحوا ، وأنتم أولىٰ بالفصاحة منهم) .

[حديث واحد من رواية الأمين]

قال الصولي : ولا نعرف للأمين رواية في الحديث إلا هـٰذا الحديث الواحد : حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال : رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بني هاشم فيهم بعض أولاد المتوكل ، فسألوه عن الأمين وأدبه ، فوصف الحسينُ أدباً كثيراً ، قيل : فالفقه ؟ قال : كان المأمون أفقه منه ، قيل : فالحديث ؟ قال : ما سمعت منه حديثاً إلا مرة ؛ فإنه نُعِي إليه غلام له مات بمكة ، فقال :

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن ماتَ مُحرماً . . حُشِر مُلبياً »[١] .

[امرأتان تعلقت الخلفاء بهما]

قال الثعالبي في « لطائف المعارف » : (كان أبو العيناء يقول : لو نشرت زبيدة ضفائرها . . ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد ؛ فإن المنصور : جدُّها ، السفاح : أخو جدِّها ، المهديُّ : عمها ، الرشيد : زوجها ، الأمين : ابنها ، المأمون والمعتصم : ابنا زوجها ، والواثق والمتوكل : ابنا ابن زوجها ، وأما ولاة العهود . . فكثيرة .

ونظيرتها من بني أمية : عاتكة بنت يزيد بن معاوية ؛ يزيد : أبوها ، ومعاوية : جدها ، ومعاوية بن يزيد : أخوها ، ومروان بن الحكم : حموها ، وعبد الملك : زوجها ، ويزيد : ابنها ، والوليد بن يزيد : ابن ابنها ، والوليد وهشام وسليمان : بنو زوجها ، ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد : ابنا ابن زوجها)[٢] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٣٨) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٨١ ـ ٨٢) ، دون قوله : (والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها ، وأما ولاة العهود . . فكثيرة) .

خلافة المأمون

[١٩٨ـ٢١٨هـ][1]

عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، ولد سنة سبعين ومئة ، في ليلة الجمعة ، منتصف ربيع الأول ؛ وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه ، وأمه : أم ولد ، اسمها : مراجل ، ماتت في نفاسها به ، وقرأ العلم في صغره .

وسمع الحديث من أبيه ، وهُشيم ، وعبَّاد بن العوام ، ويوسف بن عطية ، وأبي معاوية الضرير ، وإسماعيل ابن علية ، وحَجاج الأعور وطبقتهم .

وأدَّبه اليزيدي[2] ، وجمع له الفقهاء من الآفاق ، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر . . عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن .

روىٰ عنه : ولده الفضل ، ويحيى بن أَكْثم ، وجعفر بن أبي عثمان الطَّيالسي ، والأمير عبد الله بن طاهر ، وأحمد بن الحارث الشيعي ، ودِعْبل الخُزاعي ، وآخرون .

وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً ، وحلماً وعلماً ، ورأياً ودهاء ، وهيبة وشجاعة ، وسؤدداً وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ، ولم يلِ الخلافة من بني العباس أعلم منه ، وكان فصيحاً مفوَّهاً .

وكان يقول : (معاوية بعَمْره ، وعبد الملك بحَجَّاجه ، وأنا بنفسي)[3] .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨/٦٤٦) ، و« مروج الذهب » (٤/٢٩٩) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/١٨٣) ، و« المنتظم » (١٠/٤٩) ، و« تاريخ دمشق » (٣٣/٢٧٥) ، و« تاريخ الإسلام » (١٥/٢٢٥) ، و« الوافي بالوفيات » (١٧/٥٥٦) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٢٧٤) .

(٢) هو : يحيى بن المبارك ، أبو محمد ، شيخ القراء .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٩٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٣٠٦) .

وكان يقال : (لبني العباس : فاتحة ، وواسطة ، وخاتمة ؛ فالفاتحة : السفاح ، والواسطة : المأمون ، والخاتمة : المعتضد) .

وقيل : (إنه ختم في بعض الرمضانات ثلاثاً وثلاثين ختمة) .

وكان معروفاً بالتشيع ، وقد حمله ذلك علىٰ خلع أخيه المؤتمن ، والعهد بالخلافة إلىٰ علي الرضا ؛ كما سنذكره[1] .

قال أبو معشر المنجم : (كان المأمون أمَّاراً بالعدل ، فقيه النفس ، يعدُّ من كبار العلماء)[2] .

وعن الرشيد قال : (إني لأعرف في عبد الله : حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع - يعني : نفسه - . . لنسبته ؛ وقد قدمت محمداً عليه وإني لأعلم أنه منقادٌ إلىٰ هواه ، مبذرٌ لما حوته يده ، يشاركه في رأيه الإماء والنساء ، ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه . . لقدمت عبد الله عليه)[3] .

استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه : سنة ثمان وتسعين وهو بخراسان ، واكتنىٰ بأبي جعفر .

قال الصولي : (وكانوا يحبون هـٰذه الكنية ؛ لأنها كنية المنصور ، وكان لها في نفوسهم جلالة وتفاؤل بطول عمر من كني بها ؛ كالمنصور والرشيد) .

ففي هـٰذه السنة : . . . .[4] .

---

(١) انظر ما سيأتي (ص ٤٨٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٩) .

(٤) بياض في النسخ ، وجاء في « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٥٥ـ ٦٧) : (وفي هـٰذه السنة ـ ثمان وتسعين ومئة ـ : استولىٰ طاهر بن الحسين علي بغداد ، وأسر الأمين ، وفيها : قتل ، وفيها : وثب الجند بطاهر ، وفيها : استولىٰ محمد بن صالح بن بَيْهس الكلابي علىٰ دمشق ، وفيها : استعمل المأمونُ الحسنَ بن سهل علىٰ ما افتتحه طاهر بن الحسين من كُوَر الجبال والعراق ، والحجاز واليمن) .

[خلع المؤتمن وتولية علي الرضا والخلاف في ذلك]

وفي سنة إحدىٰ ومئتين : خلع أخاه المؤتمن من العهد ، وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حمله علىٰ ذلك : إفراطه في التشيع ، حتىٰ قيل : إنه همَّ أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه ، وهو الذي لقبه : الرضا ، وضرب الدراهم باسمه ، وزوَّجه ابنته ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة ، فاشتد ذلك علىٰ بني العباس جداً ، وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن المهدي ، ولقب : المبارك ، فجهز المأمون لقتاله ، وجرت أمور وحروب .

وسار المأمون إلىٰ نحو العراق ، فلم ينشب علي الرضا أن مات في سنة ثلاث ، فكتب المأمون إلىٰ أهل بغداد يعلمهم أنهم إنما نقموا عليه بيعته لعلي وقد مات ، فردوا جوابه أغلظ جواب ، فسار المأمون ، وبلغ إبراهيم بن المهدي تسلل الناس من عهده ، فاختفىٰ في ذي الحجة ، فكانت أيامه سنتين إلا أياماً ، وبقي في اختفائه مدة ثمان سنين .

ووصل المأمون بغداد في صفر ، سنة أربع ، فكلمه العباسيون وغيرهم في العود إلىٰ لبس السواد وترك الخضرة ، فتوقف ، ثم أجاب إلىٰ ذلك .

وأسند الصولي : (أن بعض آل بيته قالت له : إنك علىٰ بر أولاد علي بن أبي طالب والأمر فيك . . أقدر منك علىٰ برهم والأمر فيهم !! فقال : إنما فعلتُ ما فعلتُ ؛ لأن أبا بكر لما ولي . . لم يولِّ أحداً من بني هاشم شيئاً ، ثم عمر ، ثم عثمان كذلك ، ثم ولي علي : فولَّىٰ عبد الله بن عباس البصرة ، وعبيد الله اليمن ، ومعبداً مكة ، وقُثَم البحرين ، وما ترك أحداً منهم حتىٰ ولاه شيئاً ، فكانت هـٰذه في أعناقنا حتىٰ كافأته في ولده بما فعلت)[1] .

[زواج المأمون ببوران]

وفي سنة عشر : تزوج المأمون ببُورَان بنت الحسن بن سهل ، وبلغ جهازها :

---

(١) أورده في « مروج الذهب » (٥/ ٢٢٦) عن الصولي .

[أربعين تكة مجوهرة ، وعشرة من صناديق جوهر من اللآلىء واليواقيت][1] ، وقام أبوها بخلع القواد وكلفتهم مدة سبعة عشر يوماً ، وكتب رقاعاً فيها أسماء ضياع له ونثرها على القواد والعباسيين ؛ فمن وقعت في يده رقعة باسم ضيعة . . تسلمها ، ونثر صينية ملأىٰ جوهراً بين يدي المأمون عندما زفت إليه[2] .

وفي سنة إحدىٰ عشرة : أمر المأمون بأن ينادىٰ : (برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، وأن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب)[3] .

وفي سنة اثنتي عشرة : أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافاً إلىٰ تفضيل علي علىٰ أبي بكر وعمر ، فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتتن ، ولم يلتئم له من ذلك ما أراد ، فكف عنه إلىٰ سنة ثمان عشرة[4] .

وفي سنة خمس عشرة : سار المأمون إلىٰ غزو الروم ، ففتح حصن قُرَّة عنوة ، وحصن ماجدة ، ثم سار إلىٰ دمشق .

ثم عاد في سنة ست عشرة إلى الروم وافتتح عدة حصون ، ثم عاد إلىٰ دمشق ، ثم توجه إلىٰ مصر ودخلها ، فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين ، ثم عاد في سنة سبع عشرة إلىٰ دمشق والروم[5] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من (و) ، وفي (ط) : (جهازها ألوفاً كثيرة) ، وفي باقي النسخ بياض .
(٢) تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٩ـ ٣٠) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٥/ ٥) .
(٤) تاريخ الإسلام (١٥/ ٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (١٥/ ١٥) .

[امتحان الناس بالقول بخلق القرآن]

وفي سنة ثمان عشرة : امتحن الناس بالقول بخلق القرآن ، فكتب إلىٰ نائبه علىٰ بغداد : إسحاق بن إبراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتاباً يقول فيه : وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهورَ الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ؛ ممن لا نظر له ولا رويّة ، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه . . أهلُ جهالة بالله وعمىً عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه ، وقصور : أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ؛ وذلك أنهم ساووا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا علىٰ : أنه قديم لم يخلقه الله ويخترعه ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فكل ما جعله الله . . فقد خلقه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها ، وقال تعالىٰ : ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ والله محكم كتابه ومفصله ؛ فهو خالقه ومبتدعه .

ثم انتسبوا إلى السنة ، وأنهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك ، وغروا به الجهال ؛ حتىٰ مال قوم من أهل السَّمت الكاذب والتخشع لغير الله إلىٰ موافقتهم ، فنزعوا الحق إلىٰ باطلهم ، واتخذوا دون الله وَلِيجة إلىٰ ضلالهم . . . إلىٰ أن قال :

فرأىٰ أمير المؤمنين أن أولـٰئك شر الأمة ؛ المنقوصون من التوحيد حظاً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل علىٰ أعدائه من أهل دين الله ، وأحق أن يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته ولا يوثق به . . من عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالتوحيد ، وكان عما سوىٰ ذلك أعمىٰ وأضل سبيلاً ، ولَعمر أمير المؤمنين إن أكذب الناس : من كذب على الله ووحيه ، وتخرص الباطل ولم يعرف الله حقيقة معرفته .

فاجمع مَن بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا ، وامتحنهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله وإحداثه ، وأعلمهم أني غير مستعين في عملي ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه .

فإذا أقروا بذلك ووافقوا . . فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود[1] ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك .

[السبعة الذين طلبهم المأمون ليمتحنهم]

وكتب المأمون إليه أيضاً في إشخاص سبعة أنفس ؛ وهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، ويحيى بن مَعين ، وأبو خَيْثمة ، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون ، وإسماعيل بن داوود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي ، فأُشخصوا إليه ، فامتحنهم بخلق القرآن ، فأجابوه فردهم من الرقة إلىٰ بغداد .

وسبب طلبهم : أنهم توقفوا أولاً ، ثم أجابوه تقية .

وكتب إلىٰ إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ، ويخبرهم بما أجاب به هٰؤلاء السبعة ، ففعل ذلك ، فأجابه طائفة وامتنع آخرون ، فكان يحيى بن معين وغيره يقولون : (أجبنا خوفاً من السيف) .

[كتاب المأمون إلىٰ إسحاق ليختبر علماء سماهم له]

ثم كتب المأمون كتاباً آخر من جنس الأول إلىٰ إسحاق ، وأمره بإحضار من امتنع ، فأحضر جماعة منهم : أحمد ابن حنبل ، وبشر بن الوليد الكِندي ، وأبو حسان الزيادي ، وعلي بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، وعلي بن الجعد ، وسجَّادة ، والذيال بن الهيثم ، وقتيبة بن سعيد ، وسعدويه الواسطي ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهرش ، وابن علية الأكبر ، ومحمد بن نوح العجلي ، ويحيى بن عبد الرحمٰن العمري ، وأبو نصر التمَّار ، وأبو معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، وغيرهم .

وعرض عليهم كتاب المأمون فعرضوا ووروا ، ولم يجيبوا ولم ينكروا ، فقال

---

(١) النص : الاستقصاء .

لبشر بن الوليد : ما تقول ؟ قال : قد عرَّفتُ أمير المؤمنين غير مرة ، قال : وإن ؛ فقد تجدَّد من أمير المؤمنين كتاب ، قال : أقول : كلام الله ، قال : لم أسألك عن هـٰذا ، أمخلوق هو ؟ قال : ما أُحسن غير ما قلتُ لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه .

ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول ؟ قال : القرآن كلام الله ، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، وأجاب أبو حسان الزيادي بنحو من ذلك .

ثم قال لأحمد ابن حنبل : ما تقول ؟ قال : كلام الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد علىٰ هـٰذا ، ثم امتحن الباقين ، وكتب بجواباتهم .

وقال ابن البكاء الأكبر : أقول : القرآن مجعول ومحدث ؛ لورود النص بذلك ، فقال له إسحاق بن إبراهيم : والمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول : مخلوق ، ثم وجه بجواباتهم إلى المأمون .

فورد عليه كتاب المأمون : بلغنا ما أجاب به متصنعة أهل القبلة ، وملتمسو الرئاسة فيما ليسوا له بأهل ، فمن لم يجب أنه مخلوق . . فامنعه من الفتوىٰ والرواية .

ويقول في الكتاب : فأما ما قال بشر . . فقد كذب ، لم يكن جرىٰ بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك عهد ؛ أكثر من إخبار أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص ، والقول بأن القرآن مخلوق ، فادع به إليك ؛ فإن تاب . . فأشهر أمره ، وإن أصر علىٰ شركه ودفع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده . . فاضرب عنقه ، وابعث إلينا برأسه .

وكذلك إبراهيم بن المهدي . . فامتحنه ؛ فإن أجاب ، وإلا . . فاضرب عنقه .

وأما علي بن أبي مقاتل . . فقل له : ألست القائل لأمير المؤمنين : إنك تحلل وتحرم ؟!

وأما الذيال . . فأعلمه : أنه كان في الطعام الذي كان سرقه من الأنبار ما يشغله .

وأما أحمد بن يزيد أبو العوام وقوله : إنه لا يحسن الجواب في القرآن . . فأعلمه : أنه صبي في عقله لا في سنه ، جاهل سيحسن الجواب إذا أُدِّب ، ثم إن لم يفعل . . كان السيف من وراء ذلك .

وأما أحمد ابن حنبل . . فأعلمه : أن أمير المؤمنين قد عرف فحوىٰ مقالته ، واستدل علىٰ جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم . . فأعلمه : أنه لم يخفَ علىٰ أمير المؤمنين ما كان فيه بمصر ، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة ؛ يعني : في ولايته القضاء .

وأما الزيادي . . فأعلمه : أنه كان منتحلاً ولاء دعي ، فأنكر أبو حسان أن يكون مولىً لزياد ابن أبيه ، وإنما قيل له : الزيادي لأمر من الأمور .

قال : وأما أبو نصر التمار . . فإن أمير المؤمنين شبَّه خساسة عقله بخساسة متجره .

وأما ابن نوح وابن حاتم . . فأعلمهم : أنهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد ، وإن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله إلا لإربائهم وما نزل به كتاب الله في أمثالهم . . لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركاً ، وصاروا للنصارىٰ شبهاً ؟!

وأما ابن شجاع . . فأعلمه : أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذي كان استحله من مال الأمير علي بن هشام .

وأما سعدويه الواسطي . . فقل له : قبح الله رجلاً بلغ به التصنع للحديث والحرص على الرئاسة فيه أن يتمنىٰ وقت المحنة .

وأما المعروف بسجادة ، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من العلماء القول بأن القرآن مخلوق . . فأعلمه : أن في شغله وإعداد النوىٰ وحكِّه لإصلاح سجادته وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيىٰ وغيره ما أذهله عن التوحيد .

وأما القواريري . . ففيما يكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات : ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه .

وأما يحيى العمري : فإن كان من ولد عمر بن الخطاب . . فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم : فإنه لو كان مقتدياً بمن مضىٰ من سلفه . . لم ينتحل النحلة التي حُكيت عنه ، وإنه بعدُ صبي يحتاج إلىٰ أن يعلم .

وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف : بأبي مسهر بعد أن نصَّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن ، فحمحم عنها ولَجْلَجَ فيها ، حتىٰ دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقر ذميماً فانْصِصه عن إقراره ، فإن كان مقيماً عليه . . فأشهر ذلك وأظهره .

ومن لم يرجع عن شركه ممن سمَّيت بعد بشر وابن المهدي . . فاحملهم موثقين إلىٰ عسكر أمير المؤمنين ليسألهم؛ فإن لم يرجعوا . . احملهم على السيف .

قال : فأجابوا كلهم عند ذلك إلا أحمد ابن حنبل وسجادة ومحمد بن نوح والقواريري ، فأمر بهم إسحاق فقُيِّدوا ، ثم سألهم من الغد وهم في القيود ، فأجاب سجادة ، ثم عاودهم ثالثاً ، فأجاب القواريري ، ووجَّه بأحمد ابن حنبل ومحمد بن نوح إلى الروم .

ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا إنما أجابوا مكرهين ، فغضب وأمر بإحضارهم إليه ، فحملوا إليه ، فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم إليه ، ولطف الله وفرج[1] .

[مرض المأمون ووفاته]

وأما المأمون . . فمرض بالروم ، فلما اشتد مرضه . . طلب ابنَه العباس ؛ ليقدم عليه وهو يظن أنه لا يدركه ، فأتاه وهو مجهود ، وقد نفذت الكتب إلى البلدان فيها : من عبد الله المأمون وأخيه أبي إسحاق الخليفة من بعده بهـٰذا النص ، فقيل : إن ذلك وقع بأمر المأمون ، وقيل : بل كتبوا ذلك وقت غشي أصابه[2] .

---

(١) انظر الخبر بطوله في « تاريخ الطبري » (٨/ ٦٣١ـ ٦٤٥) ، و« تاريخ الإسلام » (١٥/ ٢٠ـ ٢٥) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨/ ٦٤٥) .

وماتَ المأمون يوم الخميس ، لاثنتي عشرة بقيت من رجب ، سنة ثمان عشرة بالبَذَنْدُون من أدنى الروم ، ونقل إلىٰ طَرَسُوس فدفن بها .

[اشتهىٰ سمكة ولم يذقها]

قال المسعودي : (كان نزل علىٰ عين البَذَنْدُون ، فأعجبه بردها وصفاؤها ، وطيب الموضع وكثرة الخضرة ، فرأىٰ فيها سمكة كأنها الفضة فأعجبته ، فلم يقدر أحدٌ يسبح في العين لشدة بردها ، فجعل لمن يخرجها سيفاً ، فنزل فرَّاش فاصطادها وطلع ، فاضطربت وفرت إلى الماء ، فتنضح صدر المأمون ونحره وابتل ثوبه ، ثم نزل الفراش ثانية فأخذها ، فقال المأمون : تقلى الساعة ، ثم أخذته رعدة ، فغُطي باللحف وهو يرتعد ويصيح ، فأوقدت حوله نار ، ثم أتي بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله ، ثم أفاق المأمون من غمرته ، فسأل عن تفسير المكان بالعربي ؟ فقيل : مد رجليك ، فتطير به .

ثم سأل عن اسم البقعة ، فقيل : الرقة ، وكان فيما عمل من مولده أنه يموت بالرقة ، فكان يتجنب نزول الرقة ؛ فلما سمع هـٰذا من الروم . . عرف وأيس ، وقال : يا من لا يزول ملكه ؛ ارحم من قد زال ملكه .

ولما وردت وفاته بغداد . . قال أبو سعيد المخزومي : [من الخفيف]

هَل رأيتَ النجومَ أَغْنَت عن المَأْ ... مـون أو عـن ملكـه المَـأْسُـوسِ

خلَّفـوه بعـرصَتَـي طَـرَسـوسٍ ... مثـل مـا خلَّفـوا أبـاه بطُـوسِ)[1]

[تباعد قبري الأب والابن ، وكذا أولاد العباس]

قال الثعالبي : (لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبراً من الرشيد والمأمون .

قال : وكذلك خمسة من أولاد العباس تباعدت قبورهم أشد تباعد ، ولم ير

---

(١) مروج الذهب (٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) .

الناس مثلهم : فقبر عبد الله : بالطائف ، وعبيد الله : بالمدينة ، والفضل : بالشام ، وقُثَم : بسمرقند ، ومَعبد : بإفريقية)[1] .

فصل
في نُبذٍ من أخبار المأمون

قال نفطويه : حدثنا حامد بن العباس بن الوزير قال : (كنا بين يدي المأمون فعطس ، فلم نشمته ، فقال : لِمَ لا تشمتونني ؟ قلنا : أجللناك يا أمير المؤمنين ، قال : لستُ من الملوك التي تتجالُّ عن الدعاء) .

[شهادة مؤدب المأمون]

وأخرج ابن عساكر عن أبي محمد اليزيدي قال : (كنت أؤدب المأمون ، فأتيته يوماً وهو داخل ، فوجهت إليه بعض الخدم يعلمه بمكاني فأبطأ ، ثم وجهت إليه آخر فأبطأ ، فقلت : إن هـٰذا الفتىٰ ربما تشاغل بالبطالة ؟ فقيل : أجل ؛ ومع هـٰذا : إنه إذا فارقك . . تعرَّم علىٰ خدمه ، ولقوا منه أذىً شديداً ، فقوِّمه بالأدب .

فلما خرج . . أمرت بحمله فضربته سبع درر ، قال : فإنه ليدلك عينيه بالبكاء ؛ إذ قيل : هـٰذا جعفر بن يحيىٰ قد أقبل ، فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء ، وجمع ثيابه ، وقام إلىٰ فَرْشِهِ فقعد متربعاً ، ثم قال : ليدخل ، فدخل ، فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه ، فأقبل عليه بوجهه ، وحدَّثه حتىٰ أضحكه ، ثم خرج .

فجئت فقلت : لقد خفت أن تشكوني إلىٰ جعفر ؟ فقال لي : يا أبا محمد ؛ ما كنت أطلع الرشيد علىٰ هـٰذه ، فكيف بجعفر : أني أحتاج إلىٰ أدب ؟!)[2] .

---

(١) لطائف المعارف (ص ١١٥ـ١١٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٨٤) ، وتعرم : اشتد .

[سرور الرشيد بشعر ابنه المأمون]

وأخرج عن عبد الله بن محمد التيمي قال : (أراد الرشيد سفراً ، فأمر الناس أن يتأهبوا لذلك ، وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع ، فمضى الأسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا إلى المأمون فسألوه أن يستعلم ذلك ، ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر ، فكتب إليه المأمون : [من المنسرح]

يـا خيـرَ مَـن دبَّـت المطـيُّ بـه ... ومَــن تَقَــدَّىٰ بســرجِـه فــرسُ

هـل غـايـة فـي المسيـرِ نعـرفُهـا ... أم أَمـرُنـا فـي المسيـرِ ملتبـسُ

مـا علـمُ هـٰـذا إلاَّ إلـىٰ مَلِـكٍ ... مِـن نُـورِه فـي الظـلام نَقتبـسُ

إن سـرتَ سـارَ الـرشـادُ متَّبعـاً ... وإن تَقِـفْ فـالـرشـاد محتبـسُ

فقرأها الرشيد فسر بها ، ووقَّع فيها : يا بني ؛ ما أنت والشعر أرفع حالات الدني ، وأقل حالات السري)[١] .

تقدىٰ ؛ أي : استمر .

وأخرج عن الأصمعي قال : (كان نقش خاتم المأمون : عبد الله بن عبيد الله)[٢] .

وأخرج عن محمد بن عباد قال : (لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان والمأمون)[٣] .

قلت : وقد رددتُ هـٰذا الحصر فيما تقدم[٤] .

[شدة ذكاء المأمون]

وأخرج عن ابن عيينة قال : (جمع المأمون العلماء ، وجلس للناس ، فجاءت امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ مات أخي ، وخلَّف ست مئة

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٨٥) ، والسري : الشريف .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٨٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٨٨) .

(٤) تقدم (ص ٩٥) .

دينار ، أعطوني ديناراً ، وقالوا : هـٰذا نصيبك ! !

قال : فحسب المأمون ، ثم كسر الفريضة ، ثم قال لها : هـٰذا نصيبك .

فقال له العلماء : كيف علمت يا أمير المؤمنين ؟ فقال لها : هـٰذا الرجل خلف ابنتين ؟ قالت : نعم ، قال : فلهن الثلثان أربع مئة ، وخلف والدة فلها السدس مئة ، وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون ، بالله ألك اثنا عشر أخاً ؟ قالت : نعم ، قال : أصابهم ديناران ديناران ، وأصابك دينار)[1] .

[معرفة المأمون بالطب وفوائد الأغذية]

وأخرج عن محمد بن حفص الأنماطي قال : (تغدينا مع المأمون في يوم عيد ، فوضع علىٰ مائدته أكثر من ثلاث مئة لون ، قال : فكلما وضع لون . . نظر المأمون إليه فقال : هـٰذا نافع لكذا ، ضار لكذا ؛ فمن كان منكم صاحب بلغم . . فليجتنب هـٰذا ، ومن كان منكم صاحب صفراء . . فليأكل من هـٰذا ، ومن غلبت عليه السوداء . . فلا يعرض لهـٰذا ، ومن قصد قلة الغذاء . . فليقتصر علىٰ هـٰذا .

فقال له يحيى بن أَكْثم : يا أمير المؤمنين ؛ إن خضنا في الطب . . كنت جالينوس في معرفته ، أو في النجوم . . كنت هِرْمس في حسابه ، أو في الفقه . . كنت علي بن أبي طالب في علمه ، أو ذكر السخاء . . كنت حاتم طيىء في صفته ، أو صدق الحديث . . فأنت أبو ذر في لهجته ، أو الكرم . . فأنت كعب بن مامَة في فعاله ، أو الوفاء . . فأنت السَّمَوءل بن عَادِياء في وفائه ، فسُرَّ بهـٰذا الكلام ، وقال : إن الإنسان إنما فضِّل بعقله ؛ ولولا ذلك . . لم يكن لحم أطيب من لحم ، ولا دم أطيب من دم)[2] .

[بعد نظر المأمون وفراسته]

وأخرج عن يحيى بن أَكْثم قال : (ما رأيت أكمل من المأمون ؛ بتُّ عنده ليلة

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩٠ـ ٢٩١) ، وقد تقدم هـٰذا الخبر بعينه عن الشعبي (ص ٣٦٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩١) .

فانتبه ، فقال : يا يحيى ؛ انظر أيش عند رجلي ؟ فنظرتُ فلم أَرَ شيئاً .

فقال : شمعة ، فتبادر الفراشون ، فقال : انظروا ، فنظروا ؛ فإذا تحت فراشه حيةٌ بطوله فقتلوها .

فقلت : قد انضاف إلىٰ كمال أمير المؤمنين علم الغيب ؟! فقال : معاذ الله ؛ ولـٰكن هتف بي هاتف الساعة وأنا نائم فقال : [من مجزوء الكامل]

يـــا راقـــدَ الليـــلِ انتبَـــه   إنَّ الخطـــوبَ لهـــا سُـــرَىٰ
ثقـــةُ الفَتَـــىٰ بـــزمـــانِـــه   ثقـــةٌ محلَّلَـــةُ العُـــرَىٰ

فانتبهت ، فعلمت أن قد حدث أمر ؛ إما قريب وإما بعيد ، فتأملت ما قرب فكان ما رأيت)[1] .

[علمه بالشعر]

وأخرج عن عمارة بن عقيل قال : قال لي ابن أبي حفصة الشاعر : أعلمتَ أن المأمون لا يبصر الشعر ؟ فقلت : من ذا يكون أفرس منه ؟! والله ؛ إنا لننشد أول البيت فيسبق إلىٰ آخره من غير أن يكون سمعه ؛ قال : إني أنشدته بيتاً أجدْتُ فيه ، فلم أره تحرك له !! وهو هـٰذا فاسمعه[2] : [من البسيط]

أَضحىٰ إمامُ الهُدَى المأمون مُشتغلاً   بـالـدينِ والناسُ بـالـدنيا مَشاغيلُ

فقلت له : ما زدت علىٰ أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها سبحة ، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها وهو المطوق لها ؟! ألا قلت كمـا قال عمك في الوليد : [من الطويل]

فلا هو في الدُّنيا مضيعٌ نَصيبَهُ   ولا عَرَض الدنيا عن الدِّين شاغلُه[3]

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩٢) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص١١٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩٢ـ٢٩٣) ، والبيت في « ديوان جرير » (ص٣٤٩) .

[قبّح الله من لا أدب له]

قال ابن عساكر : (أخبرنا أبو العز بن كَادِش ، أخبرنا محمد بن الحسين ، أخبرنا المعافَى بن زكريا ، حدثنا محمد بن محمود بن أبي الأزهر الخُزاعي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني النَّضر بن شُميل قال : دخلت على المأمون بمرو وعلي أَطمار ، فقال لي : يا نضر ؛ أتدخل علىٰ أمير المؤمنين في مثل هٰذه الثياب ؟!

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هٰذه الأخلاق ، قال : لا ، ولٰكنك تتقشف ، فتجارَينا الحديث .

فقال المأمون : حدثني هشيم بن بشير ، عن مُجالد ، عن الشَّعبي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تَزوَّجَ الرجلُ المرأةَ لدِينها وجَمالها . . كانَ فيه سَدادٌ من عَوَزٍ » .

قلت : صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم ، حدثني عَوف الأعرابي ، عن الحسن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تَزوَّج الرجلُ المرأةَ لدِينها وجَمالِها . . كانَ فيه سِدادٌ من عَوَز » وكان المأمون متكئاً فاستوىٰ جالساً ، وقال : السَّداد : لحنٌ يا نضر ؟

قلت : نعم هٰهنا ؛ وإنما لَحَن هشيم وكان لحاناً ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد : القصد في السبيل ، والسِّداد : البُلغة ؛ وكلُّ ما سددت به شيئاً . . فهو سِداد .

قال : أفتعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم ؛ هٰذا العَرْجي من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول[1] : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتىً أَضاعوا ... ليومِ كَريهةٍ وسِدَادِ ثَغرِ

فأطرق المأمون ملياً ثم قال: قبَّح الله من لا أدب له ، ثم قال : أنشدني يا نضر

---

(١) البيت في « ديوان العرجي » (ص٣٤) .

أخلَبَ بيت للعرب ، قلت : قول ابن بِيْض في الحكم بن مروان[1] : [من المنسرح]

تقـولُ لـي والعيـونُ هَـاجِعـةٌ ... أَقِـم علينـا يـومـاً فلـم أُقِـمِ

أيَّ الـوجـوهِ انتَجَعْـتَ قلـتُ لهـا ... لأيِّ وجـهٍ إلا إلـى الحكَـمِ

متـىٰ يَقُـل حـاجِبـاً سُـرادِقُـه ... هـٰذا ابـنُ بيض بـالبـابِ يَبتسِـمِ

قـد كنـتُ أسلمـتُ فيـك مُقتبـلاً ... هَيهـات أدخـل أعطنـي سَلَمـي

أسلمت : أسلفت ، مقتبلاً : آخذاً قبيلاً ؛ أي : كفيلاً .

قال : أنشدني أنصف بيت قالته العرب ، قلت : قول ابن أبي عروبة المديني[2] : [من الكامل]

إنِّـي وإن كـانَ ابـنُ عمـي عـاتبـاً ... لَمـزاحـمٌ مـن خَلفِـه ووَرائـهِ

ومفيـدُه نَصـري وإن كـانَ امـرأً ... مُتـزحـزِحـاً فـي أرضـهِ وسَمـائـهِ

وأكـونُ والـي سـرِّه وأصـونُـه ... حتـىٰ يحـنَّ إلـيَّ وقـتَ أدائـهِ

وإذا الحـوادثُ أَجْحَفـت بسَـوامِـه ... قُـرِنَـت صحيحتُنـا إلـىٰ جربـائـهِ

وإذا دَعـا بـاسـمٍ ليَـركَـب مَـركبـاً ... صَعبـاً قعـدتُ لـه علـىٰ سَيسـائـهِ

وإذا أَتَـىٰ مـن وجهـه بطَـريقـةٍ ... لـم أَطلـع فيمـا وراءَ خِبَـائـهِ

وإذا ارتَدَىٰ ثوباً جَميلاً لم أقلْ ... يـا ليـتَ أن علـيَّ حسـنَ ردائـهِ

قال : أنشدني أقنع بيت للعرب ، فأنشدته قول ابن عَبْدل[3] : [من المنسرح]

إنِّـي امـرؤٌ لـم أزَلْ وذاك مـن اللّـ ... ـه أديبـاً أُعلِّـمُ الأدَبـا

أُقيـم بـالـدارِ مـا اطمـأنَّ بـيَ الـدَّ ... ار وإن كنـتُ نـازِحـاً طَـرَبـا

لا أَجتـري خُلَّـةَ الصَّـديـق ولا ... أُتبـعُ نفسـي شيئـاً إذا ذَهَبـا

أطلبُ ما يطلبُ الكريمُ من الـ ... ـرزق بنفسـي وأُجمـل الطَّلبـا

---

(١) هو : حمزة بن بيض ، مات سنة (١١٦هـ) ، والأبيات في « معجم الأدباء » (٧/ ١٧٩) .

(٢) الأبيات في مصادر التخريج ، وهي في « ديوان الحماسة » شرح التبريزي (٤/ ٢١٣) لهذيل بن فسجعة البولاني ، وفيه : (من وجهة بطريقة) ، والبيتان الأول والثاني في « معجم الشعراء » (ص٨٤) لعمرو بن النبيت البحتري ، وفي « الأشباه والنظائر » (١/ ٩) للغَطَمَّش الضبي .

(٣) الأبيات في « الأغاني » (١٦/ ٢٢٨ـ٢٢٩) .

إنِّـي رأيـتُ الفتَـى الكـريـمَ إذا رغَّبْتَـــه فـــي صَنيعـــةٍ رَغِبـــا
والعبـدُ لا يطلـبُ العـلاء ولا يعطيـــكَ شيئـــاً إلا إذا رَهِبـــا
مثـلُ الحمـارِ المـوقَّع السوء لا يحســـنُ شيئـــاً إلا إذا ضُـــربِـــا
ولـم أَجـد عـروةَ العـلائقِ إلا الـ ـــديـن لمـــا اختبـرتُ والحَسَبـا
قـد يُـرْزَقُ الخـافِضُ المقيـمُ ومـا شـــدَّ بعِيـــسٍ رَحْـــلاً ولا قَتَبـــا
ويُحْـرَمُ الـرِّزقَ ذو المطيـةِ والـر حـــلِ ومَـــن لا يَـــزال مُغتَـــرِبـــا

قال : أحسنت يا نضر ، وأخذ القرطاس فكتب شيئاً لا أدري ما هو ، ثم قال : كيف تقول : أفعَل من التراب ؟ قلت : أَترِب ، قال : ومن الطين ؟ قلت : طِن ، قال : فالكتاب ماذا ؟ قلت : مُترَب مَطِين ، قال : هـٰذه أحسن من الأولىٰ ، فكتب لي بخمسين ألف درهم .

ثم أمر الخادم أن يوصلني إلى الفضل بن سهل ، فمضيت معه ، فلما قرأ الكتاب . . قال : يا نضر ؛ لحَّنت أميرَ المؤمنين ؟! قلت : كلا ؛ ولـٰكن هشيم لحانة ، فتبع أمير المؤمنين لفظه ، فأمر لي من عنده بثلاثين ألفاً ، فخرجت إلىٰ منزلي بثمانين ألفاً)[1] .

[ما المراد ببنات طارق ؟]

وأخرج الخطيب عن محمد بن زياد الأعرابي قال : (بعث إليَّ المأمون ، فصرت إليه وهو في بستانٍ يمشي مع يحيى بن أَكْثم ، فرأيتهما مولِّيين فجلست ، فلما أقبلا . . قمت فسلمت عليه بالخلافة ، فسمعته يقول ليحيىٰ : يا أبا محمد ؛ ما أحسن أدبه !! رآنا مولِّيين فجلس ، ثم رآنا مقبلين فقام ، ثم ردَّ عليَّ السلام ، فقال : أخبرني عن قول هند بنت عتبة : [من الرجز]

نحـــــن بنـــــات طـــــارق نمشـــــي علـــــى النمـــــارق

مشي القطا المهارق

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩٣ـ٢٩٧) ، والمنتظم (١٠/ ١٢٤) .

مَن طارق هٰذا ؟ فنظرت في نسبها فلم أجده ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما أعرفه في نسبها ، فقال : إنما أرادت النجم ، وانتسبت إليه ؛ لحسنها من قول الله : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ فقلت : فائدة يا أمير المؤمنين !!

فقال : أنا بؤبؤ هٰذا الأمر وابن بؤبئهِ[1] ، ثم دحا إليَّ بعنبرة كان يقلبها في يده بعتها بخمسة آلاف درهم)[2] .

وأخرج عن أبي عباد قال : (كان المأمون أحد ملوك الأرض ، وكان يجب له هٰذا الاسم على الحقيقة)[3] .

[قوة حجته وفرط ذكائه]

وأخرج عن ابن أبي دُؤَاد ، قال : (دخل رجل من الخوارج على المأمون ، فقال له المأمون : ما حملك علىٰ خلافنا ؟ قال : آية في كتاب الله ، قال : وما هي ؟ قال : قوله تعالىٰ : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال : ألك علم بأنها منزلة ؟ قال : نعم ، قال : وما دليلك ؟ قال : إجماع الأمة ، قال : فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل.. فارض بإجماعهم في التأويل ، قال : صدقت ، السلام عليك يا أمير المؤمنين)[4] .

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن منصور قال : (قال المأمون : من علامة الشريف : أن يظلِم مَن فوقه ، ويظلمه من هو دونه)[5] .

[العفو عند المقدرة]

وأخرج عن سعيد بن مسلم قال : (قال المأمون : لوددت أن أهل الجرائم

---

(١) في « تاريخ بغداد » : (وأنت بؤبؤه) ، والبؤبؤ : العالم ، انظر « توضيح المشتبه » (٩/ ٢٦٧ـ٢٦٨) .
(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٤) .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠) ، وفي مطبوعه : (أبي عبادة) .
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٦) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٠) .

عرفوا رأيي في العفو ؛ ليذهب عنهم الخوف ، ويخلص السرور إلىٰ قلوبهم)[1] .

وأخرج عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال : (وقف رجلٌ بين يدي المأمون قد جنىٰ جناية ، فقال له : والله ؛ لأقتلنك ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تأنَّ عليَّ . . فإن الرفق نصف العفو ، قال : وكيف وقد حلفت لأقتلنك ؟ فقال : لأن تلقى الله حانثاً . . خير من أن تلقاه قاتلاً ، فخلىٰ سبيله)[2] .

وأخرج الخطيب عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح قال : (بتُّ عند المأمون ليلة ، فنام القيم الذي كان يصلح السراج ، فقام المأمون وأصلحه ، وسمعته يقول : ربما أكون في المتوضأ ، فيشتمني الخدام ويفترون علي ، ولا يدرون أني أسمع ، فأعفو عنهم)[3] .

وأخرج الصولي عن عبد الله بن البواب قال : (كان المأمون يحلم حتىٰ يغيظنا ، وجلس مرة يستاك علىٰ دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه ، فمرَّ ملاحٌ وهو يقول : أتظنون أن هـٰذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه ؟! قال : فوالله ؛ ما زاد علىٰ أن تبسم ، وقال لنا : ما الحيلة عندكم حتىٰ أنبل في عين هـٰذا الرجل الجليل ؟)[4] .

وأخرج الخطيب عن يحيى بن أَكْثم قال : (ما رأيت أكرم من المأمون ؛ بت عنده ليلة فأخذه سعال ، فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتىٰ لا أنتبه) .

وكان يقول : (أول العدل : أن يعدل الرجل في بطانته ، ثم الذين يلونهم حتىٰ يبلغ إلى الطبقة السفلىٰ)[5] .

وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن خالد البرمكي قال : (قال لي المأمون : يا

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١١) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١١) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٩) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٣١٢) من طريق الصولي .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٧ـ١٨٨) .

يحيى ؛ اغتنم قضاء حوائج الناس ؛ فإن الفلك أدور ، والدهر أجور من أن يترك لأحد حالاً ، أو يبقي لأحد نعمة)[1] .

وأخرج عن عبد الله بن محمد الزهري قال: (قال المأمون : غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة؛ لأن غلبة القدرة تزول بزوالها، وغلبة الحجة لا يزيلها شيء)[2].

وأخرج عن العتبي قال : (سمعت المأمون يقول : من لم يحمدك علىٰ حسن النية . . لم يشكرك علىٰ جميل الفعل)[3] .

[مراتب القبح]

وأخرج عن أبي العالية قال : (سمعت المأمون يقول : ما أقبح اللجاجة بالسلطان ، وأقبحُ من ذلك الضجر من القضاة قبل التفهم ، وأقبحُ منه سخافة الفقهاء بالدين ، وأقبحُ منه البخل بالأغنياء ، والمزاح بالشيوخ ، والكسل بالشباب ، والجبن بالمقاتل)[4] .

وأخرج عن علي بن عبد الرحيم المروزي قال : (قال المأمون : أظلم الناس لنفسه : من يتقرب إلىٰ من يبعده ، ويتواضع لمن لا يكرمه ، ويَقبل مدح من لا يعرفه)[5] .

وأخرج عن مُخارق قال : (أنشدت المأمون قول أبي العتاهية[6] : [من الطويل]

وإنِّي لمحتاجٌ إلىٰ ظلِّ صاحبٍ يـروقُ ويَصفـو إن كَـدَرتُ عليـه

قال لي : أعد ، فأعدت سبع مرات ، فقال لي : يا مخارق ؛ خذ مني الخلافة وأعطني هـٰذا الصاحب)[7] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٥) من طريق الخطيب ، وهو عنده في « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٨٦) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٦) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٦) .
(٦) البيت في « ديوانه » (٢٧٥) .
(٧) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٧) .

وأخرج عن هُدبة بن خالد قال : (حضرت غداء المأمون ، فلما رفعت المائدة . . جعلت ألتقط ما في الأرض ، فنظر إلي المأمون ، فقال : أما شبعت ؟ قلت : بلىٰ ؛ ولـٰكن حدثني حمَّاد بن سلمة ، عن ثابت البُنَاني ، عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن أكَلَ ما تحتَ مَائدَتِهِ . . أَمِنَ من الفَقْرِ » فأمر لي بألف دينار)[١] .

[ذكاء الفقير وكرم المأمون]

وأخرج عن الحسن بن عَبْدوس الصفَّار قال : (لما تزوج المأمون بُوران بنت الحسن بن سهل . . أهدى الناس إلى الحسن ، فأهدىٰ له رجل فقير مِزوَدَين : في أحدهما ملح ، وفي الآخر أُشنان ، وكتب إليه : جُعِلت فداك ، خفة البضاعة قصرت ببعد الهمة ، وكرهت أن تطوىٰ صحيفة أهل البر ولا ذكر لي فيها ، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليُمنه وبركته ، وبالمختوم به لطيبه ونظافته ، فأخذ الحسن المِزودين ، ودخل بهما على المأمون ، فاستحسن ذلك ، وأمر بهما ففرغا وملئا دنانير)[٢] .

وأخرج الصولي عن محمد بن القاسم قال : (سمعت المأمون يقول : أنا والله ؛ ألذ العفو حتىٰ أخاف ألا أؤجر عليه ، ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو . . لتقربوا إلي بالذنوب) .

[المأمون والجارية]

وأخرج الخطيب عن منصور البرمكي قال : كان للرشيد جارية ، وكان المأمون يهواها ، فبينما هي تصب على الرشيد من إبريق معها والمأمون خلفه . . إذ أشار إليها بقبلة ، فزبرته بحاجبها ، وأبطأت عن الصب ، فنظر إليها هارون فقال : ما هـٰذا ؟ فتلكأت عليه ، فقال : إن لم تخبريني . . لأقتلنك .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٨) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣٢٠) .

فقالت : أشار إليَّ عبد الله بقبلة ، فالتفت إليه وإذا هو قد نزل به من الحياء والرعب ما رحمه منه ، فاعتنقه وقال : أتحبها ؟ قال : نعم ، قال : قم فادخل بها في تلك القبة ، فقام ، فلما خرج . . قال له : قل في هـٰذا شعراً فقال : [من المجتث]

ظبــيٌ كَنَيْــت بطَــرْفــي عـــن الضَّميـــر إليـــهِ
قَبَّلتـــه مـــن بعيـــدٍ فـــاعتَـــلَّ مـــن شَفتيـــهِ
وردَّ أحســـــــــنَ ردٍّ بـــالكَسْـــر مـــن حـــاجِبَيـــهِ
فمـــا بـــرِحـــتُ مَكـــانـــي حتـــىٰ قَـــدَرتُ عليـــهِ[(١)]

وأخرج ابن عساكر عن أبي خليفة الفضل بن الحُباب قال : سمعت بعض النخاسين يقول : عرضتُ على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدبة شطرنجية ، فساومْتُه في ثمنها بألفي دينار ، فقال المأمون : إن هي أجازت بيتاً أقوله ببيت من عندها . . اشتريتها بما تقول وزدتك ، فأنشد المأمون : [من البسيط]

مـاذا تَقـوليـنَ فيمَـن شفَّـهُ أرَقٌ مِن جَهْدِ حُبِّك حتىٰ صارَ حَيرانا ؟

فأجازته :

إذا وَجَـدنـا مُحِبّـاً قـد أضـرَّ بـه داءُ الصَّبـابَـةِ أَوْلَينـاه إِحسـانَـا[(٢)]

[أين عادة أمير المؤمنين في العفو ؟]

وأخرج الصولي عن الحسين الخليع قال : (لما غضب عليَّ المأمون ، ومنعني رزقاً لي . . عملت قصيدة أمتدحه بها ، ودفعتها إلىٰ من أوصلها إليه ؛ وأولها : [من الطويل]

أَجرني فإنِّي قد ظمئتُ إلى الوعدِ متىٰ تُنجز الوعدَ المؤكَّد بالعهدِ
أُعيذك من خُلف الملوكِ وقد ترَىٰ تَقطُّع أَنفاسي عليك من الوجْدِ

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٣٢٨ـ ٣٢٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣٣٠) .

أَيبخلُ فردُ الحسنِ عني بنائلٍ قليلٍ وقد أفردتُه بهوىً فردِ

إلىٰ أن قال :

رأَى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبادِه فملَّكه واللهُ أعلمُ بالعبدِ

ألا إنَّما المأمونُ للناسِ عِصمةٌ مفرِّقةٌ بين الضلالةِ والرُّشْدِ

فقال المأمون : قد أحسن إلا أنه القائل : [من الطويل]

أَعيناي جودَا وابكيا لي مُحمداً ولا تدخِرا دمعاً عليه وأَسْعِدا

فلا تمَّت الأشياءُ بعد محمدٍ ولا زالَ شملُ الملكِ فيه مبدَّدا

ولا فَرِح المأمونُ بالملكِ بعدَه ولا زالَ في الدنيا طَريداً مشرَّدا

هـٰذا بذاك ، ولا شيء له عندنا ، فقال له الحاجب : فأين عادة أمير المؤمنين في العفو ؟ فقال : أما هـٰذا . . فنعم ؛ فأمر له بجائزة ، وردَّ رزقه عليه)[١] .

وأخرج عن حماد بن إسحاق[٢] قال : (لما قدم المأمون بغداد . . جلس للمظالم كل يوم أحد إلى الظهر) .

[المأمون والشطرنج]

وأخرج عن محمد بن العباس قال : (كان المأمون يحب لعب الشطرنج شديداً ، ويقول : هو يشحذ الذهن ، واقترح فيها أشياء ، وكان يقول : لا أسمعنَّ أحداً يقول : تعال حتىٰ نلعب ؛ ولـٰكن يقول : نتزاول أو نتناقل ، ولم يكن حاذقاً بها) .

وكان يقول : (أنا أدبر الدنيا فأتسع لذلك ، وأضيق عن تدبير شبرين في شبرين) .

---

(١) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٤) .

(٢) في (ب ، ط) : (عن علية حماد بن إسحاق) .

[حلم المأمون علىٰ من هجاه]

وأخرج عن ابن أبي سعيد قال : (هجا دِعْبل المأمون فقال[1] : [من الكامل]

إنِّي من القومِ الذينَ سُيوفُهم قتلَتْ أخاكَ وشرَّفتكَ بمقعدِ
شَادُوا بذِكْرِكَ بعد طولِ خُمولِه واستَنْقذُوك من الحَضيضِ الأوْهَدِ

فلما سمعها المأمون . . لم يزد علىٰ أن قال : ما أقل حياء دِعْبل !! متىٰ كنت خاملاً وقد نشأت في حجر الخلفاء ؟! ولم يعاقبه) .

وأخرج من طرق عدة : (أن المأمون كان يشرب النبيذ) .

وأخرج عن الجاحظ قال : (كان أصحاب المأمون يزعمون أن لونه لون واحد : وجهه وجسده سوىٰ ساقيه ؛ فإنهما صفراوان كأنهما طليتا بالزعفران)[2] .

وأخرج عن إسحاق الموصلي قال : (قال المأمون : ألذُّ الغناء : ما طرب له السامع ، خطأً كان أو صواباً) .

[قصة مولاة المأمون وابن حامد]

وأخرج عن علي بن الحسين قال : (كان محمد بن حامد واقفاً علىٰ رأس المأمون وهو يشرب ، فاندفعت عَرِيب فغنت بشعر النابغة الجعدي : [من الطويل]

كحاشيةِ البُرْد اليَماني المسَهَّمِ

فأنكر المأمون ألا تكون ابتدأت بشيء ، فأمسك القوم ، فقال : نُفيت من الرشيد ؛ لئن لم أصدق عن هٰذا . . لأقرنن بالضرب الوجيع عليه ، ثم لأعاقبنَّ عليه أشد العقوبة ، ولئن صُدقت . . لأبلِّغن الصادق أمله .

فقال محمد بن حامد : أنا يا سيدي ، أومأتُ إليها بقبلة ، فقال : الآن جاء

---

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ١٢٣) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٨٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٢٨٣ـ ٢٨٤) من طريق الصولي .

الحق ، صدقت ، أتحب أن أزوجك بها ؟ قال : نعم .

فقال المأمون : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله الطيبين ، لقد زوجت محمد بن حامد عَرِيب مولاتي ، ومهرتها عنه أربع مئة درهم علىٰ بركة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، خذ بيدها ، فقامت معه .

فصار المعتصم إلى الدهليز ، فقال : الدلالة ، قال : لك ذاك .

قال : دلالتي أن تغنيني الليلة ، فلم تزل تغنيه إلى السحر ، وابن حامد على الباب ، ثم خرجت فأخذت بيده ومضت معه)[١] .

وأخرج عن ابن أبي دُؤَاد قال : (أهدىٰ ملك الروم إلى المأمون هديةً فيها مئتا رطل مسك ، ومئتا جلد سَمُّور ، فقال : أضعفوها له ؛ ليعلم عز الإسلام) .

وأخرج عن إبراهيم بن الحسن قال : (قال المدائني للمأمون : إن معاوية قال : بنو هاشم أسود وأحدّاء ، ونحن أكثر سيداً ، فقال المأمون : إنه قد أقرَّ وادعىٰ ، فهو في ادعائه خصم ، وفي إقراره مخصوم) .

[لولا حمقهما لبقيت جائعاً]

وأخرج عن ابن أبي أسامة قال : (حدثني بعض أصحابنا : أن أحمد بن أبي خالد قرأ القصص يوماً على المأمون فقال : فلان الثريدي ـ وهو اليزيدي ـ فضحك المأمون وقال : يا غلام ؛ هات طعاماً لأبي العباس ، فإنه أصبح جائعاً ، فاستحيا وقال : ما أنا بجائع ؛ ولـٰكن صاحب القصة أحمق نقط الياء بنقط الثاء ، فقال : عليَّ[٢] ذلك ؟ فجاءه بطعام ، فأكل حتى انتهىٰ .

ثم عاد فمر بقصة فلان الحمصي فقال : الخبيصي ، فضحك المأمون وقال : يا غلام ؛ جامة فيها خبيص ، فقال : إن صاحب القصة كان أحمق فتح الميم فصارت كأنها سنتان[٣] ، فضحك وقال : لولا حمقهما . . لبقيت جائعاً) .

---

(١) انظر « نهاية الأرب » (٥/ ٩٩) ، وصدر البيت : (رمىٰ ضرع نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ) .
(٢) هـٰكذا ضبطت في (هـ) ، وفي (أ) : (عفا) .
(٣) هـٰكذا هي في جميع النسخ ، ولعل الصواب : (سنان) ، والله أعلم .

وأخرج عن أبي عباد قال : (ما أظن الله خلق نفساً هي أنبل من نفس المأمون ولا أكرم) .

[شره أحمد بن أبي خالد]

وكان قد عرف شَرَه أحمد بن أبي خالد ، فكان إذا وجَّهه في حاجة . . غدَّاه قبل أن يرسله .

ورفع إليه في قصة : (إن رأىٰ أمير المؤمنين أن يجري على ابن أبي خالد نزلاً ؛ فإنه يعين الظالم بأكلة ، فأجرىٰ عليه المأمون ألف درهم كل يوم لمائدته)[1] .

وكان مع هٰذا يشره إلىٰ طعام الناس ، فقال دِعْبل الشاعر[2] : [من المتقارب]

شَكَــرنــا الخليفــةَ إجــراءَهُ ... علــى ابــنِ أبــي خــالــدٍ نُــزْلــهُ
فكــفَّ أذاهُ عــن المُسلميــن ... وصيَّــر فــي بيتِــه شغلَــهُ

وأخرج عن ابن أبي دُؤَاد قال : (سمعت المأمون يقول لرجل : إنما هو عذر أو يمين ، وقد وهبتهما لك ، ولا تزال تُسيء وأُحسن ، وتُذنب وأغفر حتىٰ يكون العفو هو الذي يصلحك) .

وأخرج عن الجاحظ قال : (قال ثُمامة بن أَشْرس : ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيى البرمكي والمأمون)[3] .

[محاورة بين المأمون ومن ادعى النبوة]

وأخرج السِّلَفي في « الطيوريات » عن حفص المدائني قال : (أتي المأمون

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (٨/ ١٧٧) ، وزاد : (لئلا يشره إلىٰ طعام الناس ، ويمد عينيه إلىٰ هدية تأتيه) .
(٢) البيتان في ديوانه (ص ٢٣١) ، والأبيات في « الوافي بالوفيات » (٨/ ١٧٧) .
(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٥٢) .

بأسود قد ادعى النبوة وقال : أنا موسى بن عمران !! فقال له المأمون : إن موسىٰ أخرج يده من جيبه بيضاء ، فأخرجْ يدك بيضاء حتىٰ أؤمن بك ، فقال الأسود : إنما جعل ذلك لموسىٰ لما قال فرعون : أنا ربكم الأعلىٰ ، فقل أنت كما قال فرعون حتىٰ أخرج يدي بيضاء ، وإلا . . لم تبيض) .

وأخرج أيضاً : (أن المأمون قال : ما انفتق عليَّ فتق . . إلا وجدت سببه جور العمال) .

[مناظرة بين المأمون ورجل]

وأخرج عن يحيى بن أَكْثم قال : (كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فجاء رجل ؛ عليه ثياب قد شمرها ، ونعله في يده ، فوقف علىٰ طرف البساط وقال : السلام عليكم ، فردَّ عليه المأمون ، فقال : أخبرني عن هٰذا المجلس الذي أنت فيه ؛ جلسته باجتماع الأمة أم بالمغالبة والقهر ؟

قال : لا بهٰذا ولا بهٰذا ؛ بل كان يتولىٰ أمر المسلمين من عقد لي ولأخي ، فلما صار الأمر إلي . . علمت أني محتاجٌ إلى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب على الرضا بي ، فرأيت أني متىٰ خليت الأمر . . اضطرب حبل الإسلام ، ومرج أمرهم ، وتنازعوا ، وبطل الجهاد والحج ، وانقطعت السبل ، فقمت حياطة للمسلمين إلىٰ أن يجمعوا علىٰ رجل يرضون به ، فأُسلِّم إليه الأمر ، فمتى اتفقوا علىٰ رجل . . خرجت له من الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، وذهب) .

[سرعة حفظ المأمون]

وأخرج عن محمد بن المنذر الكندي قال : (حج الرشيد فدخل الكوفة ، فطلب المحدثين ، فلم يتخلَّفْ إلا عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس ، فبعث إليهما الأمين والمأمون ، فحدثهما ابن إدريس بمئة حديث ، فقال المأمون : يا

عم ؛ أتأذن لي أن أعيدها من حفظي ، قال : نعم افعل ، فأعادها ، فعجب من حفظه)[1] .

وقال بعضهم : (استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس) .

هٰكذا ذكره الذهبي مختصراً[2] .

وقال الفاكهي : (أول من كسا الكعبة الديباج الأبيض : المأمون ، واستمر ذلك بعده إلىٰ أيام الخليفة الناصر ، إلا أن محمود بن سُبُكْتِكِين كساها في خلال هٰذه المدة ديباجاً أصفر)[3] .

ومن كلام المأمون : (لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال)[4] .

وقال : (أعيت الحيلة في الأمر : إذا أقبل أن يدبر ، وإذا أدبر أن يقبل)[5] .

وقال : (أحسن المجالس ما نظر فيه إلى الناس)[6] .

وقال : (الناس ثلاثة : فمنهم : مثل الغذاء لا بد منه علىٰ كل حال ، ومنهم : كالدواء يحتاج إليه في حال المرض ، ومنهم : كالداء مكروه علىٰ كل حال)[7] .

[رجل أعيا المأمون جوابه]

وقال : (ما أعياني جواب أحد مثل ما أعياني جواب رجلٍ من أهل الكوفة ؛ قدَّمه أهلها يشتكي عاملهم ، فقلت : كذبتَ ، بل هو رجلٌ عادل ، فقال : صدق أمير المؤمنين وكذبتُ أنا ؛ قد خصصتنا به في هٰذه المدة دون باقي البلاد ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤١) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٢) .
(٣) انظر « فتح الباري » (٣/ ٤٦٠) .
(٤) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٨) .
(٦) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٨) .
(٧) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٧) .

فاستعمله علىٰ بلد آخر ؛ ليشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي شملنا ، فقلت : قم في غير حفظ الله ، قد عزلته عنكم)[1] .

ومن شعر المأمون[2] : [من المتقارب]

لسانـي كَتُـوم لأسـرَارِكُـم ... ودَمعـي نَمـومٌ لسـرِّي مُـذيـع
فَلـولا دُمـوعِـي كَتمـتُ الهَـوَىٰ ... ولولا الهَوَىٰ لم يَكن لي دُموع

وله في الشطرنج[3] : [من البسيط]

أرضٌ مـربَّعـة حمـراءُ مـن أَدَم ... ما بين إلفَيْن مَعروفين بالكَرَم
تَذاكرا الحربَ فاحْتَالا لها حِيَلاً ... من غيرِ أن يأثَما فيها بسَفكِ دم
هٰذا يُغِير علىٰ هٰذا وذَاك علىٰ ... هٰذا يُغِير وعينُ الحَزْم لم تَنَم
فانظرْ إلىٰ فِطَنٍ جالَت بمعرفةٍ ... في عَسكرين بلا طَبلٍ ولا عَلَمِ

وأخرج الصولي عن محمد بن عمرو قال : دخل أصرم بن حميد على المأمون وعنده المعتصم ، فقال : يا أصرم ؛ صفني وأخي ولا تفضل واحداً منا علىٰ صاحبه ، فأنشد بعد قليل : [من الوافر]

رأيـتُ سفينـةً تَجـري ببحـرٍ ... إلـىٰ بَحـريـن دُونهمـا البحـورُ
إلـىٰ مَلكَيْـن ضَـوءُهمـا جميعـاً ... سـواء حـارَ دونهمـا البصيـرُ
كِـلاَ المَلكيـن يُشبـه ذاك هٰـذا ... وذا هٰـذا وذاك وذا أميـرُ
فـإن يـكُ ذا كَـذاك وذاكَ هٰـذا ... فلـي فـي ذا وذاك معـاً سـرورُ
رِواق المجـدِ ممـدودٌ علـىٰ ذا ... وهٰـذا وجهـه بـدرٌ منيـرُ

ذكر أحاديث من رواية المأمون

قال البيهقي : (سمعت الإمام أبا عبد الله الحاكم قال : سمعت أبا أحمد

---

(١) تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٦) .
(٢) البيتان في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٣٣٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٥/ ٢٣٧) .
(٣) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (١٥/ ٢٣٥) ، ونسبت في « ربيع الأبرار » (٥/ ٧١) لعلي بن الجهم ، وهي في « ديوانه » (ص ٢٠٣) .

الصيرفي : سمعت جعفر بن أبي عثمان الطيالسي يقول : صليت العصر في الرصافة خلف المأمون في المقصورة يوم عرفة ، فلما سلم . . كبر الناس ، فرأيت المأمون خلف الدرابزين وهو يقول : لا يا غوغاء ، لا يا غوغاء ، غداً سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يوم الأضحىٰ . . حضرت الصلاة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، حدثنا هشيم بن بشير ، أخبرنا ابن شُبْرُمة ، عن الشَّعبي ، عن البراء بن عازب ، عن أبي بردة بن نِيَار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذبَحَ قبلَ أن يُصلِّي . . فإنَّما هو لحمٌ قدَّمَه ، ومَن ذَبَح بعد أن يُصلِّي . . فقد أصابَ السنةَ » الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، اللهم ؛ أصلحني واستصلحني ، وأصلح علىٰ يدي .

قال الحاكم : هٰذا حديث لم نكتبه إلا عن أبي أحمد ، وهو عندنا ثقة مأمون ، ولم يزل في القلب منه حتىٰ ذاكرت به أبا الحسن الدارقطني ، فقال : هٰذه الرواية عندنا صحيحة عن جعفر ، فقلت : هل من متابع فيه لشيخنا أبي أحمد ؟ فقال : نعم ، ثم قال : حدثني الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات ، حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الرحمٰن الرُّوذْباري ، حدثنا محمد بن عبد الملك التاريخي ، قال الدارقطني : وما فيهم إلا ثقة مأمون ، حدثنا جعفر الطيالسي ، حدثنا يحيى بن مَعين قال : سمعت المأمون . . . فذكر الخطبة والحديث)[1] .

وقال الصولي : (حدثنا جعفر الطيالسي ، حدثنا يحيى بن معين ، قال : خطبنا المأمون ببغداد يوم الجمعة ووافق يوم عرفة ، فلما سلم . . كبر الناس ، فأنكر التكبير ، ثم وثب حتىٰ أخذ بخشب المقصورة وقال : يا غوغاء ؛ ما هٰذا التكبير في غير أيامه ؟ حدثنا هُشيم ، عن مُجالد ، عن الشَّعبي ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يلبِّي حتىٰ رمَىٰ جمرةَ العقبةِ ، والتكبيرُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ٢٧٦ـ ٢٧٧) من طريق البيهقي .

في غد ظهراً عند انقضاء التلبية إن شاء الله تعالىٰ) .

وقال الصولي : (حدثنا أبو القاسم البغوي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال : كنا عند المأمون ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلقُ عباد الله ، فأحبُّ عبادِ الله إلى الله عز وجل أنفعُهم لعيالِه » فصاح المأمون وقال : اسكت ، أنا أعلم بالحديث منك ، حدثنيه يوسف بن عطية الصفَّار ، عن ثابت ، عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الخلقُ عيالُ الله ، فأحبُّ عبادِ الله إلى الله أنفعُهم لعيالِه » أخرجه من هـٰذا الطريق ابن عساكر ، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في « مسنده » وغيره من طرق عن يوسف بن عطية[1] .

وقال الصولي : (حدثنا المسبِّح بن حاتم العُكْلي ، حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال : سمعت المأمون يخطب . . . فذكر في خطبته الحياء فوصفه ومدحه ، ثم قال : أخبرنا هُشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، عن أبي بكرة وعمران بن حصين قالا : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « الحياءُ من الإيمانِ ، والإيمانُ في الجنةِ ، والبَذَاء من الجَفاءِ ، والجَفَاءُ في النارِ » أخرجه ابن عساكر من طريق يحيى بن أَكْثَم عن المأمون)[2] .

[عقد المأمون مجلساً للتحديث]

وقال الحاكم : (أخبرنا محمد بن أحمد بن تميم ، حدثنا الحسين بن فَهْم ، حدثنا يحيى بن أَكْثم القاضي قال : قال لي المأمون يوماً : يا يحيىٰ ؛ إني أريد أن أحدث ، فقلت : ومن أولىٰ بهـٰذا من أمير المؤمنين ؟! فقال : ضعوا لي منبراً ، فصعد وحدث ، فأول حديث حدثنا به : عن هُشيم ، عن أبي الجَهْم ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « امرؤُ القيسِ صاحبُ لواءِ الشُّعراءِ إلى النارِ » .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣/٢٧٨) ، ومسند أبي يعلىٰ (٣٣١٥) ، ومسند البزار (٦٩٤٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٣/٢٧٨) مختصراً .

ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثاً ، ثم نزل ، فقال لي : يا يحيىٰ ؛ كيف رأيت مجلسنا ؟ قلت : أجلَّ مجلس يا أمير المؤمنين ، تُفقه الخاصة والعامة ، فقال : لا وحياتك؛ ما رأيت لكم حلاوة، إنما المجلس لأصحاب الخُلْقان والمحابر)[1] .

وقال الخطيب : (حدثنا أبو الحسن علي بن القاسم الشاهد ، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان ، حدثنا الحسين بن عبيد الله الأبزاري ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : لما فتح المأمون مصر . . قال له قائل : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي كفاك أمر عدوك ، وأدان لك العراقين والشامات ومصر ، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له : ويحك !! إلا أنه بقيت لي خَلَّة ؛ وهو أن أجلس في مجلس ومستمل يجيء[2] فيقول : مَن ذكرت رضي الله عنك ؟ فأقول : حدثنا الحمَّادان ـ حماد بن سلمة وحماد بن زيد ـ قالا : حدثنا ثابت البُنَاني ، عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن عالَ ابنتَيْنِ أو ثلاثاً ، أو أختَيْنِ أو ثلاثاً حتىٰ يَمُتن أو يموتَ عنهنَّ . . كان معي كهاتَيْنِ في الجنةِ » وأشار بالمسبحة والوسطىٰ)[3] .

قال الخطيب : (في هٰذا الخبر غلط فاحش ، ويشبه أن يكون المأمون رواه عن رجل عن الحمادين ؛ وذلك أن مولد المأمون سنة سبعين ومئة ، ومات حماد بن سلمة في سنة سبع وستين قبل مولده بثلاث سنين ، وأما حماد بن زيد فمات في سنة تسع وسبعين) .

[اختبار المأمون لمن ادعى الحديث]

وقال الحاكم : (حدثنا محمد بن يعقوب بن إسماعيل الحافظ ، حدثنا

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٢٨٨ـ ٢٨٩) من طريق الحاكم ، والخلقان : جمع خَلَق ، ويقال : ثوب خَلَق ؛ أي : بال .

(٢) في النسخ عدا (هـ) : (ويستملي يجيء) ، وفيها : (ويستملي يحيىٰ) ، وفي (ط) : (ومستملي تحتي) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٢٨٩) من طريق الخطيب .

محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا محمد بن سهل بن عَسْكر ، قال : وقف المأمون يوماً للأذان ونحن وقوف بين يديه ؛ إذ تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين ؛ صاحب حديث منقطع به .

فقال له المأمون : أيْشٍ تحفظ في باب كذا ؟ فلم يذكر فيه شيئاً ، فما زال المأمون يقول : حدثنا هُشيم ، وحدثنا الحجاج ، وحدثنا فلان حتىٰ ذكر الباب .

ثم سأله عن باب ثان ، فلم يذكر فيه شيئاً ، فذكره المأمون ، ثم نظر إلىٰ أصحابه فقال : يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ، ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث ، أعطوه ثلاثة دراهم)(١) .

[سيد القوم خادمهم]

وقال ابن عساكر : (أخبرنا محمد بن إبراهيم الغزي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن السَّري التَّفْلِيسي ، أخبرنا أبو عبد الرحمـٰن السُّلَمي ، أخبرني عبيد الله بن محمد الزاهد العُكْبَري ، حدثنا عبد الله بن محمد بن مسبِّح ، حدثنا محمد بن المُغلِّس ، حدثنا محمد بن السَّري القَنْطَري ، حدثنا علي بن عبيد الله ، قال : قال يحيى بن أَكْثم : بت ليلة عند المأمون ، فانتبهت في جوف الليل وأنا عطشان فتقلبت ، فقال : يا يحيىٰ ؛ ما شأنك ؟ قلت : عطشان ، فوثب من مرقده فجاءني بكوز من ماء ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ألا دعوت بخادم ؟! ألا دعوت بغلام ؟! فقال : لا ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيِّدُ القومِ خادِمُهم »)(٢) .

وقال الخطيب : (أخبرنا الحسن بن عثمان الواعظ ، حدثنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي ، حدثني أحمد بن الحسن الكِسَائي ، حدثنا سليمان بن الفضل النَّهْرواني ، حدثني يحيى بن أَكْثم . . . فذكر نحوه ، إلا أنه

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٢٨٩ـ ٢٩٠) من طريق الحاكم .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٣١٣) .

قال : حدثني الرشيد ، حدثني المهدي ، حدثني المنصور ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : حدثني جرير بن عبد الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيِّدُ القومِ خَادِمُهم »)[1] .

وقال ابن عساكر : (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد ، أخبرنا القاضي أبو المظفر هَنَّاد بن إبراهيم النسفي ، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الغُنْجار ، أخبرنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبد الله المروَزي ، حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمـٰن الكاتب ، حدثني محمد بن قدامة بن إسماعيل صاحب النَّضْر بن شُميل ، حدثنا أبو حذيفة البخاري : سمعت المأمون أمير المؤمنين يحدث ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَوْلَى القَومِ منهم » .

قال محمد بن قدامة : فبلغ المأمون : أن أبا حذيفة حدث بهـٰذا عنه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم)[2] .

وفي أيام المأمون : (أُحصيت أولاد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ؛ ما بين ذكر وأنثىٰ ، وذلك في سنة مئتين)[3] .

[من مات في عهده]

وفي أيامه مات من الأعلام : سفيان بن عيينة ، والإمام الشافعي ، وعبد الرحمـٰن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القَطَّان ، ويونس بن بُكير راوي المغازي ، وأبو مطيع البَلْخي صاحب أبي حنيفة رحمه الله ، ومعروف الكَرْخي الزاهد ، وإسحاق بن بشر صاحب كتاب « المبتدأ » ، وإسحاق بن الفرات قاضي مصر من أجلة أصحاب مالك ، وأبو عمرو الشَّيباني اللغوي ، وأشهب صاحب مالك ، والحسن بن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة ، وحمَّاد بن أسامة

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٨/ ١٨٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٣/ ٨١) .

الحافظ ، وروح بن عبادة ، وزيد بن الحُبَاب ، وأبو داوود الطيالسي ، والغازي بن قيس من أصحاب مالك ، وأبو سليمان الداراني الزاهد المشهور ، وعلي الرِّضا بن موسى الكاظم ، والفرَّاء إمام العربية ، وقتيبة بن مهران صاحب الإمالة ، وقُطْرب النحوي ، والواقدي ، وأبو عبيدة مَعْمر بن المُثنىٰ ، والنَّضْر بن شُميل ، والسيدة نفيسة ، وهشام أحد النحاة الكوفيين ، واليزيدي ، ويزيد بن هارون ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي قارىء البصرة ، وعبد الرزاق ، وأبو العتاهية الشاعر ، وأسد السنة ، وأبو عاصم النبيل ، والفريابي ، وعبد الملك بن الماجِشُون ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وأبو زيد الأنصاري صاحب العربية ، والأصمعي ، وخلائق آخرون .

خلافة المعتصم بالله

[٢١٨ـ٢٢٧هـ][١]

أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، ولد سنة ثمانين ومئة ؛ كذا قال الذهبي[٢] ، وقال الصولي : (في شعبان سنة ثمان وسبعين) .

وأمه : أم ولد من مولدات الكوفة ، اسمها : ماردة ، وكانت أحظى الناس عند الرشيد .

روىٰ عن أبيه ، وأخيه المأمون ، وروىٰ عنه : إسحاق الموصلي ، وحمدون بن إسماعيل وآخرون .

وكان ذا شجاعة وقوة وهمة ، وكان عرياً من العلم ؛ فروى الصولي عن محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن محمد الهاشمي قال : (كان مع المعتصم غلام في الكُتَّاب يتعلم معه ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد أبوه : يا محمد ؛ مات غلامك ؟ قال : نعم يا سيدي ؛ واستراح من الكُتَّاب ، فقال : وإن الكتاب ليبلغ منك هـٰذا ؟! دعوه لا تعلموه ، قال : فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة)[٣] .

وقال الذهبي : (كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم ، لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن)[٤] .

[المثمن لقب المعتصم]

وقال نفطويه والصولي : (للمعتصم مناقب ، وكان يقال له : المثمَّن ؛ لأنه

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/ ١١٨) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٣٤٤) ، و« تاريخ بغداد » (٣/ ٣٤٢) ، و« المنتظم » (١١/ ٢٥) ، و« تاريخ الإسلام » (١٦/ ٣٩٠) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٢٩٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٩٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٩٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٩٤) .

ثامن الخلفاء من بني العباس ، والثامن من ولد العباس ، وثامن أولاد الرشيد ، وملك سنة ثمان عشرة ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، ومولده سنة ثمان وسبعين ، وعاش ثمان وأربعين سنة ، وفتح ثمانية فتوح ، وقتل ثمانية أعداء ، وخلف ثمانية أولاد ذكور ، ومن الإناث كذلك ، ومات لثمان بقين من ربيع الأول)[1] .

وله محاسن وكلمات فصيحة ، وشعر لا بأس به ، غير أنه إذا غضب.. لا يبالي من قتل .

[الأسنة والأسنان لا تؤثر بالمعتصم]

وقال ابن أبي دُؤَاد : (كان المعتصم يخرج ساعده إليَّ ويقول : يا أبا عبد الله ؛ عضَّ ساعدي بأكثر قوتك ، فأمتنع ، فيقول : إنه لا يضرني ، فأروم ذلك ؛ فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان)[2] .

وقال نفطويه : (كان من أشد الناس بطشاً ، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره)[3] .

وقال غيره : (هو أول الخلفاء أدخل الأتراك الديوان) .

وكان يتشبه بملوك الأعاجم ، ويمشي مشيهم ، وبلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً .

[هجاء دعبل للمعتصم]

قال ابن يونس : هجا دِعْبل المعتصم ثم نذر به ، فخاف وهرب حتىٰ قدم مصر ، ثم خرج إلى المغرب ، وهـٰذه الأبيات التي هجاه بها[4] : [من الطويل]

ملوكُ بَنِي العبَّاسِ في الكُتب سبعةٌ ... ولم تأتِنَا في ثامنٍ منهم الكتبُ

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١٦/ ٣٩٤) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٤٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦/ ٣٩٥ـ٣٩٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٦/ ٣٩٧) .

(٤) انظر « تاريخ دمشق » (١٧/ ٢٦٤) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٤٩ـ٥١) .

كذلكَ أهلُ الكهفِ في الكَهفِ سبعةٌ غـداةَ ثَـوَوا فيـه وثـامنُهـم كلـبُ
وإنـي لأُزهـي كلبَهـم عنـك رغبـةً لأنَّـك ذو ذَنْـب وليـسَ لـه ذنـبُ
لقد ضاعَ أمرُ الناسِ حيث يَسوسُهم وَصِيف وأَشْناسٌ وقد عظُم الخَطْبُ[1]
وإنِّي لأرجو أن تُرَىٰ من مَغيبها مطالعُ شمس قد يَغصُّ بها الشَّرْبُ
وهمُّـك تـركـيٌّ عليـه مَهـانـةٌ فـأنـتَ لـه أمٌّ وأنـت لـه أبُ

بويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب ، سنة ثمان عشرة ومئتين ، فسلك ما كان المأمون ختم به عمره ؛ من امتحان الناس بخلق القرآن ، فكتب إلى البلاد بذلك ، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك ، وقاسى الناس منه مشقة في ذلك ، وقتل عليه خلقاً من العلماء ، وضرب الإمام أحمد ابن حنبل ، وكان ضربه في سنة عشرين .

[بناء مدينة سُرَّ من رأىٰ]

وفيها : تحول المعتصم من بغداد ، وبنىٰ سُرَّ مَنْ رَأَىٰ ؛ وذلك أنه اعتنىٰ باقتناء الترك ، فبعث إلىٰ سمرقند وفَرْغانة والنواحي في شرائهم ، وبذل فيهم الأموال ، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد ، ويؤذون الناس ، وضاقت بهم البلد ، فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا : إن لم تخرج عنا بجندك . . حاربناك .

قال : وكيف تحاربوني ؟ قالوا : بسهام الأسحار ، فقال : لا طاقة لي بذلك ، فكان ذلك سبب بنائه سُرَّ مَنْ رَأَىٰ ، وتحوله إليها .

[غزو المعتصم للروم وفتح عمورية]

وفي سنة ثلاث وعشرين : غزا المعتصم الروم ، فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها لخليفة ، وشتت جموعهم ، وخرب ديارهم ، وفتح عَمُّورية

---

(١) وصيف و أشناس : غلمان لأميرين تركيين في زمن المعتصم .

بالسيف ، وقتل منها ثلاثين ألفاً وسبىٰ مثلهم ، وكان لما تجهز لغزوها . . حكم المنجمون : أن ذلك طالع نحس ، وأنه يكسر ، فكان من نصره وظفره ما لم يخف ، فقال في ذلك أبو تمام قصيدته المشهورة[1] : [من البسيط]

السيفُ أصدَقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعِبِ
والعِلم في شُهبِ الأَرْماحِ لامعةٌ ... بين الخَمِيسَين لا في السبعةِ الشُّهُبِ
أين الروايةُ أم أين النجومُ وما ... صَاغُوه من زخرفٍ فيها ومن كَذِبِ
تخرُّصاً وأحاديثاً ملفَّقةً ... ليست بِنَبعٍ إذا عدَّت ولا غَرَبِ

[وفاة المعتصم]

مات المعتصم يوم الخميس ، لإحدىٰ عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ، سنة سبع وعشرين ، وكان قد ذلَّل العدو بالنواحي ، ويقال : إنه قال في مرض موته : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾[2] .

ولما احتضر . . جعل يقول : (ذهبت الحيلة فليس حيلة)[3] .

وقيل : (جعل يقول : أؤخذ من بين هـٰذا الخلق)[4] .

وقيل : (إنه قال : اللهم ؛ إنك تعلم أني أخافُك من قِبَلي ، ولا أخافُك من قِبَلك ، وأرجوك من قِبَلك ، ولا أرجوك من قِبَلي)[5] .

ومن شعره[6] : [من الرمل]

قرِّب النَّحَّام واعجَل يا غُلامْ ... واطْرَحِ السَّرج عليه واللِّجامْ
أَعْلِم الأَتْرَاكَ أنِّي خائضٌ ... لُجَّةَ الموتِ فمَن شاءَ أقامْ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/٩٦) ، والخبر في « سير أعلام النبلاء » (١٠/٣٠٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٦/١٣ـ١٤) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٦/٣٩٦) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٦/٣٩٦ـ٣٩٧) .
(٤) تاريخ الإسلام (١٦/٣٩٧) .
(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/٣٤٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦/٣٩٨) .
(٦) انظر « معجم الشعراء » (ص ٤٢٦) ، والنحام : اسم فرسه .

وكان قد عزم على المسير إلىٰ أقصى الغرب ؛ ليملك البلاد التي لم تدخل في ملك بني العباس ؛ لاستيلاء الأموي عليها .

فروى الصولي عن أحمد بن الخصيب قال : (قال لي المعتصم : إن بني أمية ملكوا وما لأحد منا ملك ، وملكنا نحن ولهم بالأندلس هـٰذا الأموي ؟! فقدِّرْ ما يحتاج إليه لمحاربته ، وشرع في ذلك ، فاشتدَّتْ علَّته ومات) .

وقال الصولي : (سمعت المغيرة بن محمد يقول : يقال : إنه لم تجتمع الملوك بباب أحد قط اجتماعها بباب المعتصم ، ولا ظفر ملك قط كظفره : أسر ملك أَذْرَبيجان ، وملك طَبَرستان ، وملك استيشاب ، وملك استاصح[1] ، وملك فَرْغانة ، وملك طَخارستان ، وملك الصُّغْد ، وملك كابُل) .

وقال الصولي : (وكان نقش خاتمه : الحمد لله الذي ليس كمثله شيء) .

ومن أخبار المعتصم
[قصر المعتصم]

أخرج الصولي عن أحمد اليزيدي قال : (لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، وجلس فيه . . دخل عليه الناس ، فعمل إسحاق الموصلي قصيدة فيه ما سمع أحدٌ بمثلها في حسنها ، إلا أنه افتتحها بقوله : [من الكامل]

يـا دارُ غيَّـرَكِ البِلَـىٰ ومحـاكِ ... يـا ليـتَ شِعـري مـا الـذي أَبْـلاكِ

فتطير المعتصم وتطير الناس ، وتغامزوا وتعجبوا ، كيف ذهب هـٰذا علىٰ إسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك ؟! وخرب المعتصم القصر بعد ذلك) .

وأخرج عن إبراهيم بن العباس قال : (كان المعتصم إذا تكلم . . بلغ ما أراد وزاد عليه) .

---

(١) في (د ، ج) : (استاحج) ، وفي (ب) : (اسباهج) ، وفي (هـ) : (اسباجح) .

وكان أول من ثرىٰ[1] الطعام ، وكثَّره حتىٰ بلغ ألف دينار في اليوم .

وأخرج عن أبي العَيناء قال : سمعت المعتصم يقول : (إذا نصر الهوىٰ . . بطل الرأي)[2] .

وأخرج عن إسحاق قال : (كان المعتصم يقول : من طلب الحق بما له وعليه . . أدركه) .

[المعتصم وغلامه عجيب]

وأخرج عن محمد بن عمر الرومي قال : (كان للمعتصم غلام يقال له : عجيب ، لم ير الناس مثله قط ، وكان مشغوفاً به ، فعمل فيه أبياتاً ، ثم دعاني وقال : قد علمت أني دون إخوتي في الأدب ؛ لحب أمير المؤمنين لي وميلي إلى اللعب وأنا حدث ، فلم أنل ما نالوا ، وقد عملت في عجيبٍ أبياتاً ، فإن كانت حسنة وإلا . . فاصدقني حتىٰ أكتمها ، ثم أنشد : [من المجتث]

لقــد رأيــتُ عَجيبــاً ... يَحكــي الغَــزَال الــرَّبيبــا
الــوجــهُ منــه كبــدرٍ ... والقــدُّ يَحكــي القَضيبــا
وإن تنــاولَ سَيفــاً ... رأيــتَ لَيثــاً حَــرِيبــا
وإن رَمَــىٰ بسهــامٍ ... كــانَ المُجيــدَ المُصيبــا
طبيــبُ مــا بــي مــن الحــبِّ ... فــلا عــدمــتُ الطَّبيبــا
إنِّــي هــويــتُ عَجيبــاً ... هــوىً أُراه عَجيبــا

فحلفت له بأيمان البيعة ؛ إنه شعر مليح من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء ، فطابت نفسه ، وأمر لي بخمسين ألف درهم) .

---

(١) في غير (ط) : (سرىٰ) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣١١) .

[الجواب ما ترىٰ لا ما تسمع]

وقال الصولي : (حدثنا عبد الواحد بن العباس الرِّياشي قال : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يُهدِّده فيه ، فلما قرىء عليه . . قال للكاتب : اكتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك ، والجواب ما ترىٰ لا ما تسمع ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار)(١) .

[فينا من يقول خيراً منه فيك]

وأخرج الصولي عن الفضل اليزيدي قال : وجَّه المعتصم إلى الشعراء ببابه : من كان منكم يحسن أن يقول فينا كما قال منصور النمري في الرشيد(٢) : [من البسيط]

إنَّ المكـارِمَ والمعـروفَ أوديـةٌ ... أحلَّـك الله منهـا حيـثُ تَجتمـعُ

مَـن لـم يَكـن بـأميـنِ الله مُعتصمـاً ... فليسَ بالصَّلوات الخمسِ يَنتفعُ

إنْ أخلَفَ القطرُ لم تَخلف فواضِلُه ... أو ضـاقَ أمـرٌ ذكـرنـاهُ فيتَّسِـعُ

فقال أبو وهيب : فينا من يقول خيراً منه فيك ، وقال(٣) : [من البسيط]

ثـلاثـةٌ تشـرقُ الـدنيـا بِبَهجتِهـا ... شمسُ الضُّحىٰ وأبو إسحاق والقمَرُ

تَحكـي أفـاعيلَـه فـي كـلِّ نـائبـةٍ ... الليثُ والغيثُ والصَّمصامةُ الذكَرُ

ولما مات . . رثاه وزيره محمد بن عبد الملك جامعاً بين العزاء والهناء فقال(٤) : [من المنسرح]

قـد قلـتُ إذ غيَّبـوك واصْطفَقَـت ... عليـك أيـدٍ بـالتُّـرب والطيـنِ

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١٦/ ٣٩٣ـ ٣٩٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

(٣) في جميع النسخ : (أبو وهيب) ، والصواب : ابن وهيب ، وهو محمد ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٧٦) ، والخبر في « الأغاني » (١٩/ ٨٠ ـ ٨١) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٤٤) ، و« تاريخ الطبري » (٩/ ١١٩) .

اذهَبْ فنِعمَ الحفيظُ كنتَ على الدُّ نيـا ونِعـمَ الظهيـرُ للـديـنِ
مـا يجبُـرُ الله أمـةً فقَـدَت مثلَـكَ إلاَّ بمثـلِ هـارونِ

حديث رواه المعتصم

قال الصولي : (حدثنا الغَلابي ، حدثنا عبد الله بن الضحاك ، حدثني هشام بن محمد ، حدثني المعتصم قال : حدثني أبي الرشيد ، عن المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلىٰ قوم من بني فلان ، يتبخترون في مشيتهم ، فعُرف الغضب في وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ فقيل : أيُّ شجرة هي يا رسول الله حتىٰ نتجنبها ؟ فقال : « ليسَتْ بشَجَرةِ نباتٍ ، إنَّما هم بنو أمية ، إذا مَلَكوا . . جَارُوا ، وإذا اؤتُمِنُوا خَانوا » وضربَ بيدِه علىٰ ظهرِ عمِّه العباس فقال : « يُخرج الله مِن ظَهرِكَ يا عم رجُلاً يكون هَلاكُهم علىٰ يَدِه »)[1] .

قلت : الحديث موضوع ، وآفته الغَلابي .

وقال ابن عساكر : (أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن أحمد ، حدثني علي بن الحسن الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن طالب البغدادي ، حدثنا ابن خلاَّد ، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر الضُّبَعي ، حدثنا إسحاق بن يحيى بن معاذ قال : كنت عند المعتصم أعوده فقلت : أنت في عافية ، فقال : كيف وقد سمعت الرشيد يحدث عن أبيه المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس مرفوعاً : « منِ احتَجَم في يومِ الخميسِ فمَرِضَ فيه . . ماتَ فيه » ؟!

قال ابن عساكر : سقط منه رجلان بين الضُّبَعي وإسحاق ، ثم أخرجه من طريق أخرىٰ عن الضُّبَعي عن أحمد بن محمد بن الليث ، عن منصور بن النضر ، عن إسحاق)[2] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٤٣) من طريق الصولي ، والغلابي : هو محمد بن زكريا .

(٢) تاريخ دمشق (٨/ ٣٠٢ـ٣٠٣) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المعتصم من الأعلام : الحُميدي شيخ البخاري ، وأبو نُعيم الفضل بن دُكَين ، وأبو غسان النَّهْدي ، وقالون المقرىء ، وخلاَّد المقرىء ، وآدم ابن أبي إياس ، وعفَّان ، والقَعْنبي ، وعَبدان المَرْوزي ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث ، وإبراهيم بن المهدي ، وسليمان بن حرب ، وعلي بن محمد المدائني ، وأبو عُبيد القاسم بن سلاَّم ، وقُرَّة بن حَبيب ، وعارم ، ومحمد بن عيسى الطبَّاع الحافظ ، وأصبغ بن الفرج الفقيه ، وسَعْدَويه الواسطي ، وأبو عمر الجَرْمي النحوي ، ومحمد بن سلاَم البِيكَندي ، وسُنَيد ، وسعيد بن كثير بن عُفير ، ويحيى بن يحيى التميمي ، وآخرون .

خلافة الواثق بالله هارون

[٢٢٧ـ ٢٣٢هـ][1]

أبو جعفر ، وقيل : أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد رومية ، اسمها : قراطيس ، ولد لعشر بقين من شعبان ، سنة ست وتسعين ومئة ، وولي الخلافة بعهد من أبيه ، بويع له في تاسع عشر ربيع الأول ، سنة سبع وعشرين .

وفي سنة ثمان وعشرين : استخلف على السلطنة أشناس التركي ، وألبسه وِشَاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً ، وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً ؛ فإن الترك إنما كثروا في أيام أبيه .

وفي سنة إحدىٰ وثلاثين : ورد كتابه إلىٰ أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في ذلك ، ثم رجع في آخر أمره[2] .

[امتحان أحمد بن نصر وقتله وإكرام الله له]

وفي هٰذه السنة : قتل أحمد بن نصر الخزاعي ، وكان من أهل الحديث ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحضره من بغداد إلىٰ سامراء مقيداً ، وسأله عن القرآن ، فقال : ليس بمخلوق ، وعن الرؤية في القيامة فقال : كذا جاءت الرواية ، وروىٰ له الحديث ، فقال الواثق له : تكذب ؟! فقال للواثق : بل تكذب أنت .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/ ١٥٠) ، و« مروج الذهب » (٤/ ٣٦٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/ ١٥) ، و« المنتظم » (١١/ ١١٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧/ ٣٧٨) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٢٢٨) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٣٠٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٧/ ٦) .

فقال : ويحك !! يُرىٰ كما يُرى المحدود المتجسم ، ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟! إنما كفرت بربٍّ هٰذه صفته ، ما تقولون فيه ؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب ، فدعا بالسيف وقال : إذا قمت إليه . . فلا يقومنَّ أحدٌ معي ؛ فإني أحتسب خطاي إلىٰ هٰذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنطع ، فأُجلس عليه وهو مقيدٌ ، ومشىٰ إليه فضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلىٰ بغداد ، فصلب بها ، وصلبت جثته في سُرَّ مَنْ رَأَىٰ[1] ، واستمر ذلك ست سنين ، إلىٰ أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه[2] .

ولما صلب . . كتب ورقة ، وعلقت في أذنه فيها : هٰذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبىٰ إلا المعاندة ، فعجله الله إلىٰ ناره[3] .

ووكل بالرأس من يحفظه ، ويصرفه عن القبلة برمح ، فذكر الموكَّل به : أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه ، فيقرأ سورة (يس) بلسان طلق ، ورويت هٰذه الحكاية من غير وجه[4] .

وفي هٰذه السنة : استفك من الروم ألف وست مئة أسير مسلم[5] ، فقال ابن أبي دُؤَاد ـ قبحه الله ـ : (من قال من الأسارىٰ : القرآن مخلوق . . خلِّصوه ، وأعطوه دينارين ، ومن امتنع . . دعوه في الأسر)[6] .

---

(١) أخرج هٰذا الخبر الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ١٧٦ـ ١٧٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٥٦ـ ٥٧) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ١٧٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٥٨) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ١٧٧ـ ١٧٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٥٧) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ١٧٨ـ ١٧٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٥٨) ، وقد ذكر المؤلف القصة في « شرح الصدور » (ص٣٩٩) وأورد رواية أخرىٰ فقال : (ومن طرقها : ما أخرجه الخطيب [٥/ ٣٨٧] عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال : كان أحمد بن نصر خالي ، فلما قُتل في المحنة وصُلب . . أُخبرتُ أن الرأس تقرأ القرآن ، فمضيت ، فبتُّ قريباً منه ، فلما هدأت العيون . . سمعت الرأس تقرأ : ﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ فاقشعرَّ جلدي) .

(٥) في المصادر : (أربعة آلاف وست مئة) .

(٦) تاريخ الطبري (٩/ ١٤١) ، وتاريخ الإسلام (١٧/ ٦) .

قال الخطيب : (كان أحمد بن أبي دُؤَاد قد استولىٰ على الواثق ، وحمله على التشدد في المحنة ، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن . ويقال : إنه رجع عنه[1] قبل موته)[2] .

[الشيخ الأزدي يقيم الحجة على الواثق وابن أبي دؤاد]

وقال غيره : (حُمل إليه رجلٌ فيمن حمل ؛ مكبلٌ بالحديد من بلاده ، فلما دخل وابن أبي دُؤَاد حاضر . . قال المقيَّد : أخبِرْني عن هٰذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه : أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس إليه ، أم شيء لم يعلمه ؟ قال ابن أبي دُؤَاد : بل علمه .

قال : فكان يسعه ألا يدعو الناس إليه ، وأنتم لا يسعكم ؟ ، قال : فبُهتوا ، وضحك الواثق ، وقام قابضاً علىٰ فمه ، ودخل بيتاً ، ومدَّ رجليه وهو يقول : وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولا يسعنا ، فأمر أن يعطىٰ ثلاث مئة دينار ، وأن يردَّ إلىٰ بلده ، ولم يمتحن أحداً بعدها ، ومقَتَ ابن أبي دُؤَاد من يومئذ)[3] .

والرجل المذكور هو : أبو عبد الرحمـٰن عبد الله بن محمد الأزدي ؛ شيخ أبي داوود والنسائي .

قال ابن أبي الدنيا : (كان الواثق أبيض تعلوه صفرة ، حسن اللحية ، في عينيه نكتة)[4] .

قال يحيى بن أَكْثم : (ما أحسن أحد إلىٰ آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ؛ ما مات وفيهم فقير)[5] .

---

(١) أي : الواثق .

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٤٣ـ ٤٤) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٢٢٩ـ ٢٣٠) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٧/ ٣٨٤) .

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ١٩) .

[من خصال الواثق الممدحة]

وقال غيره : كان الواثق وافر الأدب ، مليح الشعر ، وكان يحب خادماً أهدي إليه من مصر ، فأغضبه الواثق يوماً ، ثم إنه سمعه يقول لبعض الخدم : والله ؛ إنه ليروم أن أكلمه من أمس فما أفعل ، فقال الواثق[1] : [من البسيط]

يَا ذا الذي بِعذَابي ظلَّ مُفتخِراً ... مـا أنـتَ إلا مليـكٌ جـارَ إذ قَـدَرا

لـولا الهَـوَىٰ لتَجـارَينـا علـىٰ قَـدَرٍ ... وإن أُفِق منه يَوماً ما فسوفَ تَرَىٰ

ومن شعر الواثق في خادمه مهج : [من مجزوء الخفيف]

مَهْـــجٌ يَملِـــكُ المُهَـــجْ ... بسجـــي اللحـــظ والـــدَّعَـــجْ

حســـنُ القـــدِّ مخطَـــفٌ ... ذو دَلالٍ وذو غَنَـــــــجْ

ليـــسَ للعيـــنِ إن بَـــدَا ... عنـــه بـــاللَّحـــظِ مُنعـــرجْ

وقال الصولي : (كان الواثق يسمى المأمون الأصغر ؛ لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظمه ويقدمه علىٰ ولده ، وكان الواثق أعلم الناس بكل شيء) .

وكان شاعراً ، وكان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله أصوات وألحان عملها نحو مئة صوت ، وكان حاذقاً بضرب العود ، وكان راوية للأشعار والأخبار[2] .

وقال الفضل اليزيدي : (لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من الواثق ، فقيل له : كان أروىٰ من المأمون ؟ فقال : نعم ، كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الأوائل من النجوم والطب والمنطق ، وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً) .

وقال يزيد المهلبي : (كان الواثق كثير الأكل جداً)[3] .

وقال ابن فَهْم : (كان للواثق خوان من ذهب ، مؤلَّف من أربع قطع ، يحمل

---

(١) الخبر في « الأغاني » (٩/ ٣٣٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧/ ٣٧٩) .

(٢) انظر « الأغاني » (٩/ ٣٣٤) .

(٣) يزيد هو : ابن محمد بن مهلب مات سنة (٢٥٩هـ) ، والخبر في « مروج الذهب » (٤/ ٣٦٤) .

كل قطعة عشرون رجلاً ، وكل ما على الخوان من غضارة[1] وصحفة وسُكُرُّجة من ذهب ، فسأله ابن أبي دُوَاد ألاَّ يأكل عليه للنهي عنه ، فأمر أن يكسر ذلك ويضرب ، ويحمل إلىٰ بيت المال) .

[رؤيا الواثق وتأويلها]

وقال الحسين بن يحيىٰ : (رأى الواثق في النوم كأنه يسأل الله الجنة ، وأن قائلاً يقول له : لا يهلك على الله إلا مَن قلبه مرت ، فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك ، فلم يعرفوا معناه ، فوجه إلىٰ أبي مُحَلِّم وأحضره[2] ، فسأله عن الرؤيا والمرت .

فقال أبو مُحَلِّم : المرت : القفر الذي لا ينبت شيئاً ، فالمعنىٰ علىٰ هٰذا : لا يهلك على الله إلا من قلبه خال من الإيمان خلو المرت من النبات .

فقال له الواثق : أريد شاهداً من الشعر في المرت ، فبادر بعض من حضر فأنشده بيتاً لبني أسد : [من الطويل]

ومَـرْتِ مَـرَوْرَاةٍ يَحـارُ بهـا القَطَـا ويُصبِحُ ذو عِلْمٍ بها وهو جاهلُ

فضحك أبو مُحَلِّم ، وقال : والله لا أبرح حتىٰ أنشدك ، فأنشده للعرب مئة قافية معروفة لمئة شاعر معروف ، في كل بيت ذكر المرت ، فأمر له الواثق بمئة ألف دينار) .

وقال حمدون بن إسماعيل : (ما كان في الخلفاء أحدٌ أحلم من الواثق ، ولا أصبر علىٰ أذىً ولا خلاف منه)[3] .

وقال أحمد بن حمدون : (دخل هارون بن زياد مؤدِّب الواثق إليه ، فأكرمه إلى الغاية ، فقيل له : من هٰذا يا أمير المؤمنين الذي فعلت به هٰذا الفعل ؟

---

(١) الغضارة : أوانٍ تصنع من طين .

(٢) اسمه : محمد بن هشام .

(٣) الخبر في « الأغاني » (٢٠/٣٠٦) .

قال : هٰذا أول من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله)[1] .

ومن مديح علي بن الجَهْم فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

وَثِقَـــتْ بـــالملــكِ الـــوا ثـــقِ بـــالله النفـــوسُ
ملـــكٌ يَشقَـــىٰ بـــه المَـــا لُ ولا يَشقَـــى الجليـــسُ
أســـدٌ يضحَـــكُ عـــن شَـــدَّ اتِـــه الحـــربُ العَبُـــوسُ
أَنِـــسَ السيـــفُ بـــه واسْـ ـتَـــوحـــشَ العِلـــقُ النفيـــسُ
يـــا بنـــي العبَّـــاسِ يـــأْبَـــى اللّـ ـــــه إلاَّ أن تَـــروســـوا

[وفاة الواثق]

مات الواثق بسُرَّ مَنْ رَأَىٰ ، يوم الأربعاء ، لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين .

ولما احتضر . . جعل يردد هٰذين البيتين[3] : [من البسيط]

الموتُ فيه جميعُ الخَلْقِ مُشتركُ لا سُوقـةٌ منهـمُ يَبقـىٰ ولا ملِـكُ
ما ضرَّ أهلَ قليلٍ في تَفاقُرِهم وليسَ يُغني عن الأملاكِ ما مَلَكوا

وحكي أنه لما مات . . تُرك وحده ، واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل ، فجاء جرذون فاستل عينه فأكلها .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : مُسَدَّد ، وخلف بن هشام البزَّار المقرىء ، وإسماعيل بن سعيد الشَّالَنْجي شيخ أهل طبرستان ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو تمَّام الطَّائي الشاعر ، ومحمد بن زياد ابن الأعرابي اللغوي ،

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ١٧) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٥٠ـ ١٥١) ، و« تاريخ الطبري » (٩/ ١٥٢) .
(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (١٤/ ١٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٣٨٤ـ ٣٨٥) .

والبُوَيطي صاحب الشافعي مسجوناً مقيداً في المحنة ، وعلي بن المغيرة الأَثْرم اللغوي ، وآخرون .

[من شعر الواثق]

وأسند الصولي عن جعفر بن علي بن الرشيد قال : (كُنَّا بين يدي الواثق وقد اصطبح، فناوله خادمه مهج ورداً ونرجساً، فأنشد في ذلك بعد يوم لنفسه : [من السريع]

حيَّاك بالنَّرجسِ والوَردِ ... معتدلُ القامَةِ والقَدِّ
فألْهبَت عَيناهُ نارَ الهَوىٰ ... وزادَ في اللَّوعَةِ والوَجْدِ
أمَّلتُ بالمُلْك له قُربَه ... فصارَ مُلكي سببَ البُعدِ
ورنَّحَتْه سَكَرات الهَوىٰ ... فمَالَ بالوَصلِ إلى الصَّدِّ
إن سُئل البذلَ ثَنَىٰ عِطْفَه ... وأسبَلَ الدَّمعَ على الخَدِّ
غُرَّ بما تَجنيه أَلْحاظُه ... لا يعرفُ الإنجازَ للوَعْدِ
مَولىً تَشكَّى الظلمَ من عَبدِه ... فأَنصِفُوا المولَىٰ من العَبْدِ

قال : فأجمعوا أنه ليس لأحد من الخلفاء مثل هٰذه الأبيات) .

وقال الصولي : حدثني عبد الله بن المعتز قال : أنشدني بعض أهلنا للواثق ، وكان يهوىٰ خادمين ؛ لهٰذا يوم يخدمه فيه ، ولهٰذا يوم : [من السريع]

قَلبي قَسِيمٌ بينَ نَفسينِ ... فمَن رَأىٰ رُوحاً بجِسمَينِ
يغضبُ ذا إن جادَ ذا بالرِّضا ... فالقلبُ مشغولٌ بشَجوَينِ

وأخرج عن الحَزَنْبل قال : (غُنِّيَ في مجلس الواثق بشعر الأخطل[1] : [من البسيط]

وشادنٍ مربح بالكاس نادمني ... لا بالحَصورِ ولا فيها بسَوَّارِ

فقيل : بسوار وسآر ؟ فوجه إلى ابن الأعرابي فسأل عن ذلك ، فقال : سوار : وثاب ، يقول : لا يثب علىٰ ندمائه ، وسآر : يفضل في الكأس سؤراً ، وقد رويا جميعاً ، فأمر الواثق لابن الأعرابي بعشرين ألف درهم) .

---

(١) البيت في « ديوانه » (ص ١٤٥) .

[أيهما أشعر ؟]

وقال : (حدثني ميمون بن إبراهيم ، حدثني أحمد بن الحسين بن هشام قال : تلاحى الحسين بن الضحَّاك ومُخارِق يوماً في مجلس الواثق في أبي نُواس وأبي العتاهية ، أيهما أشعر ؟

فقال الواثق : اجعلا بينكما خطراً[1] ، فجعلا بينهما مئتي دينار ، فقال الواثق : مَن هنا مِن العلماء ؟ فقيل : أبو مُحَلِّم ، فأحضره فسُئل عن ذلك ، فقال : أبو نواس أشعر وأذهب في فنون العرب ، وأكثر افتناناً من أفانين الشعر ، فأمر الواثق بدفع الخطر إلى الحسين) .

---

(١) الخطر : الرهان .

خلافة المتوكل على الله جعفر

[٢٣٢ـ٢٤٧هـ][1]

أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد ، اسمها : شجاع ، ولد سنة خمس ـ وقيل : سبع ـ ومئتين ، وبويع له في ذي الحجة ، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين بعد الواثق ، فأظهر السُّنَّة ، ونصر أهلها ، ورفع المحنة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ؛ وذلك في سنة أربع وثلاثين ، واستقدم المحدِّثين إلىٰ سامراء ، وأجزل عطاياهم وأكرمهم ، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية .

وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرَّصَافة ، فاجتمع له نحو من ثلاثين ألف نفس ، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور ، فاجتمع إليه أيضاً نحو من ثلاثين ألف نفس .

وتوفر دعاء الخلق للمتوكل ، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له ، حتىٰ قال قائلهم : (الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه : في قتال أهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز : في رد المظالم ، والمتوكل : في إحياء السنة وإماتة التجهُّم)[2] .

وقال أبو بكر بن الخبازة في ذلك : [من الطويل]

وبعدُ فإن السنَّةَ اليومَ أَصبحَتْ ... معزَّزة حتىٰ كأن لم تُذلَّلِ
تصولُ وتَسطو إذ أُقيم مَنارُها ... وحُطَّ منارُ الإفكِ والزُّورِ من عَلِ
وولَّىٰ أَخو الإبداعِ في الدِّين هَارِباً ... إلى النار يَهوِي مُدبراً غيرَ مُقبلِ
شفَى الله منهم بالخليفةِ جَعفرٍ ... خليفتِه ذي السنَّة المتوكِّلِ

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/٢٢٢) ، و« مروج الذهب » (٥/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٧/١٦٥) ، و« المنتظم » (١١/١٧٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١٨/١٩٤) ، و« فوات الوفيات » (١/٢٩٠) ، و« البداية والنهاية » (١٠/٣٤٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٧/١٣) .

خليفـــةُ ربِّـــي وابـــنُ عـــمِّ نبيـــهِ وخيرُ بني العباسِ مَن منهم وَلِي
وجامعُ شملِ الدِّين بعدَ تشتُّتٍ وفَارِي رؤوسِ المارِقينَ بمنصلِ
أطـــالَ لنـــا ربُّ العبـــادِ بقـــاءَه سَليماً من الأهوالِ[1] غيرَ مُبدَّلِ
وبـــوَّأه بـــالنصـــرِ للـــدِّيـــن جنـــةً يُجاور في رَوضاتها خيرَ مرسَلِ

[فالج ابن أبي دؤاد ، وخبر الريح الشديدة]

وفي هٰذه السنة : أصاب ابن أبي دُؤَاد فالج صيره حجراً ملقىً ، فلا آجره الله[2] .

ومن عجائب هٰذه السنة : أنه هبت ريح بالعراق شديدة السموم لم يعهد مثلها ، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد ، وقتلت المسافرين ، ودامت خمسين يوماً ، واتصلت بهمدان فأحرقت الزرع والمواشي ، واتصلت بالموصل وسنجار ، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ، ومن المشي في الطرقات ، وأهلكت خلقاً عظيماً[3] .

وفي السنة التي قبلها : جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور ، وهلك تحتها خلق ، وامتدت إلىٰ أَنْطاكِيَة فهدمتها ، وإلى الجزيرة فأخربتها ، وإلى الموصل فيقال : هلك من أهلها خمسون ألفاً[4] .

* * *

وفي سنة خمس وثلاثين ومئتين : ألزم المتوكل النصارىٰ بلبس العسلي[5] .

(١) في غير (أ) : (الأهواء) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٧/ ١١) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٧/ ١٢ـ ١٣) .
(٤) تاريخ الإسلام (١٧/ ١١) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ١٧١) ، وتاريخ الإسلام (١٧/ ١٦) ، والعسلي : أي : الطيالسة ذات اللون العسلي .

[الأمر بهدم قبر الحسين]

وفي سنة ست وثلاثين : أمر بهدم قبر الحسين ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وحرث وبقي صحراء ، وكان المتوكل معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء[1] ، فمما قيل في ذلك[2] : [من الكامل]

تَـاللهِ إن كـانـت أميـةُ قـد أَتَـت ... قتـلَ ابـن بنـتِ نبيِّهـا مَظلـومـا

فَلَقَـد أَتَـاه بنـو أَبيـه بمثلِـه ... هـٰذا لَعمـرُكَ قبـرُه مَهـدومـا

أَسِفـوا علىٰ ألاَّ يكونوا شَارَكـوا ... فـي قَتلِـه فتَتَبَّعـوه رَمِيمـا

[إهانة قاضي مصر وحلق لحيته]

وفي سنة سبع وثلاثين : بعث إلىٰ نائب مصر أن يحلق لحية قاضي القضاة بمصر أبي بكر محمد بن أبي الليث ، وأن يضربه ويطوف به علىٰ حمار ، ففعل ونِعْم ما فعل ؛ فإنه كان ظالماً من رؤوس الجهمية ، وولى القضاء بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك بعد تمنُّع ، وأهان القاضي المعزول بضربه كل يوم عشرين سوطاً ؛ ليرد الظلامات إلىٰ أهلها[3] .

وفي هـٰذه السنة : ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت والبيادر ، ولم تزل تحرق إلىٰ ثلث الليل ، ثم كفت[4] .

وفيها : طلب من أحمد ابن حنبل المجيء إليه ، فسار إليه ولم يجتمع به ، بل دخل علىٰ ولده المعتز[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (١٧/ ١٨ـ١٩) .

(٢) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (١٧/ ١٩) ، منسوبة لابن السكِّيت ، وقيل : للبسامي علي بن أحمد .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧/ ٢٢) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٧/ ٢٣) .

(٥) تاريخ الإسلام (١٧/ ٢٤) .

وفي سنة ثمان وثلاثين : كبست الروم دمياط ، ونهبوا وأحرقوا ، وسبوا منها ست مئة امرأة ، وولوا مسرعين في البحر[1] .

وفي سنة أربعين : سمع أهل خِلاط صيحة عظيمة من جو السماء ، فمات منها خلق ، ووقع بَرَد بالعراق كبيض الدجاج ، وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب[2] .

وفي سنة إحدىٰ وأربعين : ماجت النجوم في السماء ، وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل ، وكان أمراً مزعجاً لم يعهد[3] .

[من العجائب التي وقعت]

وفي سنة اثنتين وأربعين : زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بقُومِس وأعمالها ، والري وجرجان ، ونيسابور ، وطبرستان ، وأصبهان ، وتقطعت الجبال ، وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ، ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ، ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال ، وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتىٰ أتىٰ مزارع آخرين ، ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان ، فصاح : (يا معاشر الناس ؛ اتقوا الله ، الله ، الله ، وصاح أربعين صوتاً ، ثم طار ، وجاء من الغد ففعل كذلك ، وكتب البريد بذلك ، وأشهد خمس مئة إنسان سمعوه)[4] .

وفيها : حج من البصرة إبراهيم بن مُطَهَّر الكاتب علىٰ عجلة تجرها الإبل ، وتعجب الناس من ذلك[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (١٧/ ٢٦) ، والخبر في « تاريخ الطبري » (٩/ ١٩٣ـ ١٩٤) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٧/ ٣٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧) .
(٤) الخبر في « المنتظم » (١١/ ٢٩٦) ، و« نهاية الأرب » (٢٢/ ٢١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٨/ ٧ـ ٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (١٨/ ٩) .

وفي سنة ثلاث وأربعين : قدم المتوكل إلىٰ دمشق ، فأعجبته ، وبُني له القصر بداريا ، وعزم علىٰ سكناها ، فقال يزيد بن محمد المهلبي : [من الوافر]

أظنُّ الشامَ تشمتُ بالعراقِ إذا عزَمَ الإمامُ على انطلاقِ
فإن تَدعِ العراقَ وسَاكِنيه فقد تُبْلَى المليحةُ بالطلاقِ

فبدا له ورجع بعد شهرين أو ثلاثة[1] .

[قصة قتل ابن السكيت]

وفي سنة أربع وأربعين : قتل المتوكل يعقوب بن السكِّيت الإمام في العربية ؛ فإنه ندبه إلىٰ تعليم أولاده ، فنظر المتوكل يوماً إلىٰ ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السِّكِّيت : (من أحب إليك هما أو الحسن والحسين ؟ فقال : قنبر ـ يعني : مولىٰ علي ـ خيرٌ منهما ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتىٰ مات)[2] .

وقيل : أمر بسل لسانه فمات ، وأرسل إلى ابنه بديته[3] ، وكان المتوكل ناصبياً .

وفي سنة خمس وأربعين : عمت الزلازل الدنيا ، فأخربت المدن والقلاع والقناطر ، وسقط من أنطاكية جبل في البحر ، وسمع من السماء أصوات هائلة ، وزلزلت مصر ، وسمع أهل بُلْبيس من ناحية مصر ضجة هائلة ، فمات خلق من أهل بلبيس ، وغارت عيون مكة ، فأرسل المتوكل مئة ألف دينار لإجراء الماء من عرفات إليها[4] .

[جود المتوكل على الشعراء]

وكان المتوكل جواداً ممدَّحاً ، يقال : (ما أعطىٰ خليفة شاعراً ما أعطى

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٩) ، وتاريخ الإسلام (١٨/ ١٠) .
(٢) أورده الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ١٨) .
(٣) أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٦/ ٤٠٠ـ ٤٠١) ، وانظر « بغية الوعاة » (٢/ ٣٤٩) .
(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (١٨/ ١٤ـ ١٥) .

المتوكل ، وفيه يقول مروان بن أبي الجَنُوب : [من الطويل]

فأمسك ندىً كفيك عني ولا تزد فقد خفت أن أطغىٰ وأن أتجبرا

فقال : لا أمسك حتىٰ يغرقك جودي ، وكان أجازه علىٰ قصيدة بمئة ألف وعشرين ألفاً وخمسين ثوباً)[1] .

ودخل علي بن الجَهْم عليه يوماً وبيده درتان يقلبهما ، فأنشده قصيدة له ، فدحىٰ إليه بدرةٍ فقلبها ، فقال : تستنقص بها وهي والله خير من مئة ألف ، فقال : لا ؛ ولـٰكني فكرت في أبيات أعملها آخذ بها الأخرىٰ ، فقال : قل ، فقال : [من مخلع البسيط]

بسُرَّ مَنْ رَا إمامُ عَدْلٍ تَغرِفُ من بحرِه البحارُ
يُرجَىٰ ويُخشىٰ لكلِّ خَطبٍ كأنَّه جنَّةٌ ونارُ
الملكُ فيه وفي بَنِيه ما اختلَفَ الليلُ والنهارُ
يَداه في الجودِ ضَرَّتان عليه كِلتاهما تغارُ
لم تأتِ منه اليمينُ شيئاً إلاَّ أتَتْ مثلها اليسارُ

فدحىٰ إليه بالدرة الأخرىٰ)[2] .

[فَائِدَة]

[ثمانية سُلِّم عليهم بالخلافة وكلٌّ منهم أبوه خليفة]

قال بعضهم : (سلم على المتوكل بالخلافة ثمانية كل واحد منهم أبوه خليفة : منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وموسى بن المأمون ، وأحمد بن المعتصم ، ومحمد بن الواثق ، وابنه المنتصر)[3] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ١٥٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٨/ ١٩٨) .
(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٦٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٨/ ١٩٧) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ١٢٣) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٨/ ١٩٨) .

وقال المسعودي : (لا يعلم أحدٌ متقدمٌ في جدٍّ ولا هزلٍ . . إلا وقد حظي في دولته ، ووصل إليه نصيب وافر من المال)[1] .

وكان منهمكاً في اللذات والشراب ، وكان له أربعة آلاف سرية وطىء الجميع[2] .

وقال علي بن الجَهْم : كان المتوكل مشغوفاً بقبيحة أم ولده المعتز ، لا يصبر عنها ، فوقفت له يوماً وقد كتبت علىٰ خديها بالغالية : جعفراً ، فتأمَّلها وأنشأ يقول : [من الطويل]

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جَعفرا بنفسي مخطُّ المسكِ من حيث أَثَّرا
لئن أودَعَتْ سطراً من المسكِ خدَّها لقد أَودعَتْ قلبي من الحبِّ أَسطُرا[3]

[إكرام المتوكل لذي النون المصري]

وفي كتاب « المحن » للسلمي : (أن ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر ، ومن جلة أصحاب مالك ، وأنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف ، ورماه بالزندقة ، فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده ، فتكلَّم فرضي أمره ، وكتب به إلى المتوكِّل ، فأمر بإحضاره ، فحمل على البريد ، فلما سمع كلامه . . ولع به وأحبه وأكرمه ، حتىٰ كان يقول : إذا ذكر الصالحون . . فحيهلا بذي النون)[4] .

[عهد المتوكل وقتل ولدِه له]

كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه : المنتصر ، ثم المعتز ، ثم المؤيد ، ثم إنه أراد أن يقدم المعتز لمحبته لأمه ، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبىٰ ،

---

(١) مروج الذهب (٥/ ٣٩) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٨/ ١٩٩ و٢٠٢) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٨/ ١٩٨) .
(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٥٣٤) .

فكان يحضره مجلس العامة ويحط منزلته ، ويتهدده ويشتمه ويتوعده ، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور ، فاتفق الأتراك مع المنتصر علىٰ قتل أبيه ، فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه ، فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان ؛ وذلك في خامس شوال ، سنة سبع وأربعين ومئتين .

ورئي في النوم ، فقيل له : (ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقليل من السنة أحييتها)[١] .

ولما قُتل . . رثته الشعراء ، من ذلك قول يزيد المهلبي[٢] : [من البسيط]

جـاءَتْ منيَّتُـه والعيـنُ هـاجِعَـةٌ ... هـلاَّ أَتته المَنَـايـا والقَنَـا قِصَـدُ
خليفـةٌ لـم يَنَـل مـا نَـالـه أَحـدٌ ... ولـم يُصَـغ مثلَـه روحٌ ولا جسـدُ

[وصيفة وفية للمتوكل]

وكان من حظاياه : وصيفة تسمىٰ محبوبة ، شاعرة عالمة بصنوف العلم عَوَّادة ، فلما قتل . . ضُمت إلىٰ بغا الكبير ، فأمر بها يوماً للمنادمة ، فجلست منكسرة ، فقال : (غني ، فاعتلت ، فأقسم عليها وأمر بالعود ، فوضع في حجرها ، فغنت ارتجالاً : [من مجزوء الخفيف]

أيُّ عَيـــشٍ يَلَـــذُّ لـــي ... لا أَرَىٰ فيـــه جَعفَـــرا
ملـــكٌ قـــد رأيتُـــه ... فـــي نجيـــعٍ مُعفَّـــرا
كـــلُّ مَـــن كـــانَ ذا هُيـــا ... م وسُقـــمٍ فقـــد بَـــرَا
غيـــرَ محبـــوبـــة التـــي ... لـــو تَـــرَى المـــوتَ يُشتـــرىٰ
لاشتَـــرَتْـــه بمـــا حَـــوَتْـ ... ـــه يَـــداهـــا لتُقبَـــرا
إنَّ مـــوتَ الحـــزيـــن أطـ ... ـيـــبُ مِـــن أن يُعمـــرا

فغضب بغا ، وأمر بها فسجنت ، فكان آخر العهد بها)[٣] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٧٠) .
(٢) البيتان في « مروج الذهب » (٥/ ٤١) و« تاريخ الإسلام » (١٨/ ٢٠٢) .
(٣) الخبر في « مروج الذهب » (٥/ ٤٣ـ ٤٤) ، و« تاريخ الإسلام » (١٨/ ٢٠٢ـ ٢٠٣) .

[المتوكل ووزيره عاشا معاً وماتا معاً]

ومن الغريب : أن المتوكل قال للبحتري : (قل فيَّ شعراً وفي الفتح بن خاقان ؛ فإني أحب أن يحيا معي ، ولا أفقده فيذهب عيشي ، ولا يفقدني[1] ، فقل في هٰذا المعنىٰ ، فقال : [من الخفيف]

سَيدي أنتَ كَيف أخلفتَ وَعْدي ... وتَثاقَلْتَ عن وفاءٍ بعَهْدِي

لا أَرتني الأيامُ فَقْدَكَ يا فَتْـ ... ـحُ ولا عَرَّفَتْكَ ما عشتَ فَقْدِي

أعظمُ الرُّزءِ أن تُقدَّم قَبْلي ... ومن الرُّزء أن تؤخَّر بَعْدِي

حَذَراً أن تكونَ إِلْفاً لِغَيري ... إذ تفرَّدتُ بالهَوَىٰ فيك وَحْدِي

فقتلا معاً ؛ كما تقدم)[2] .

ومن أخبار المتوكل

أخرج ابن عساكر : (أن المتوكل رأىٰ في النوم : كأنَّ سكراً سليمانياً سقط عليه من السماء ، مكتوب عليه : جعفر المتوكل على الله ، فلما بويع . . خاض الناس في تسميته ، فقال بعضهم : نسميه المنتصر ، فحدَّث المتوكل أحمد بنَ أبي دُؤَاد بما رأىٰ في منامه ، فوجده موافقاً ، فأمضىٰ وكتب به إلى الآفاق)[3] .

[تعظيم المتوكل للإمام الشافعي وتمذهبه بمذهبه]

وأخرج عن هشام بن عمار قال : (سمعت المتوكل يقول : واحسرتي علىٰ محمد بن إدريس الشافعي ؛ كنت أحب أن أكون في أيامه ، فأراه وأشاهده وأتعلم منه ؛ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول : « يا أيها الناس ؛ إن محمد بن إدريس المطلبي قد صار إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ، وخلف فيكم

---

(١) في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٢٢٦) : (ولا يفقدني فيذل) .

(٢) أخرج الخبر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٢٢٦) ، والأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٢٢ـ٥٢٣) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٨٩) لابن منظور ، وأخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٦٥) .

علماً حسناً ، فاتبعوه . . تهتدوا » ، ثم قال : اللهم ؛ ارحم محمد بن إدريس رحمة واسعة ، وسهل عليَّ حفظ مذهبه ، وانفعني بذلك)[١] .

قلت : استفدنا من هـٰذا : أن المتوكل كان متمذهباً بمذهب الشافعي ، وهو أول من تمذهب له من الخلفاء .

[نزهتك من عذاب الله]

وأخرج عن أحمد بن علي البصري قال : (وجَّه المتوكل إلىٰ أحمد بن المعذَّل وغيره من العلماء ، فجمعهم في داره ، ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعذَّل ، فقال المتوكل لعبيد الله : إن هـٰذا لا يرىٰ بيعتنا ، فقال له : بلىٰ يا أمير المؤمنين ؛ ولـٰكن في بصره سوء .

فقال أحمد بن المعذَّل : يا أمير المؤمنين ؛ ما في بصري سوء ، ولـٰكن نزهتك من عذاب الله ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَن أحب أن يتمَثَّل له الرجالُ قِياماً . فليتبوَّأ مقعَدَه من النارِ » فجاء المتوكل فجلس إلىٰ جنبه)[٢] .

وأخرج عن يزيد المُهلَّبي قال : (قال لي المتوكل : يا مهلَّبي ؛ إن الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها ، وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني)[٣] .

[جزاء الهم بالخير]

وأخرج عن عبد الأعلى بن حماد النَّرْسي قال : (دخلت على المتوكل فقال لي : يا أبا يحيىٰ ؛ ما أبطأ بك عنا ؟ منذ ثلاث لم نرك ، كنا هممنا لك بشيء فصرفناه إلىٰ غيرك .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ جزاك الله عن هـٰذا الهم خيراً ، ألا أنشدك بهـٰذا

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٨٨) لابن منظور .

(٢) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٨٨) لابن منظور .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٦٦) ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٨٩) لابن منظور .

المعنىٰ بيتين ؟ قال : بلىٰ ، فأنشدته : [من البسيط]

لأشكرنَّكَ معروفاً هَمَمْت بهِ ... إن اهتِمَامَك بالمعروفِ مَعروفُ
ولا أَلُومك إذ لم يُمضِه قدرٌ ... فالرِّزقُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ

فأمر لي بألف دينار)[1] .

[عزيت نفسي بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم]

وأخرج عن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال : دخلت على المتوكل لما توفيت أمه ، فقال : يا جعفر ؛ ربما قلت البيت الواحد ، فإذا جاوزته . . خلطتُ ، وقد قلت : [من الطويل]

تذكَّرتُ لما فرَّق الدهرُ بيننَا ... فعزَّيتُ نفسي بالنَّبي محمدِ

فأجازه بعض من حضر المجلس :

وقلتُ لها إن المَنَايا سَبيلُنا ... فمَن لم يَمُت في يومِه ماتَ في غدِ[2]

[صفة رجل أطيب عيشاً من الخليفة]

وأخرج عن الفتح بن خاقان قال : (دخلت يوماً على المتوكل فرأيته مطرقاً متفكراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما هٰذا الفكر ؟! فوالله ؛ ما علىٰ ظهر الأرض أطيب منك عيشاً ، ولا أنعم منك !!

فقال : يا فتح ؛ أطْيَب عيشاً مني : رجل له دار واسعة ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه)[3] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/ ٧٥) ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٨٩) لابن منظور .
(٢) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٦٩) .
(٣) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٩٠) لابن منظور ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٦٩) .

[الجارية الشاعرة والمتوكل]

وأخرج عن أبي العَيناء قال : أُهديت إلى المتوكل جارية شاعرة ، اسمها : فضل ، فقال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : هٰكذا زعم من باعني واشتراني ، فقال : أنشدينا شيئاً من شعرك ، فأنشدَتْه :

[من السريع]

استقبـلَ المُلْـكُ إمـامَ الهُـدىٰ ... عـامَ ثـلاثٍ وثَـلاثينَـا
خـلافـةٌ أفضَـتْ إلـىٰ جعفـرٍ ... وهـو ابـنُ سبـعٍ بعـدَ عِشـرينَـا
إنَّـا لنـرجُـو يـا إمـامَ الهُـدىٰ ... أن تَملِـكَ المُلْـكَ ثَمـانينَـا
لا قـدَّس الله امـرأً لـم يقُـل ... عنـد دُعـائـي لـكَ آمينَـا[1]

[منامان توافقا]

وأخرج عن علي بن الجَهْم قال : (أُهدي إلى المتوكل جارية يقال لها : محبوبة ، قد نشأت بالطائف ، وتعلمت الأدب ، وروت الأشعار ، فأُغري المتوكل بها ، ثم إنه غضب عليها ، ومنع جواري القصر من كلامها ، فدخلتُ عليه يوماً ، فقال لي : قد رأيت محبوبة في منامي كأني قد صالحتها وصالحتني ، فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين .

فقال : قم بنا لننظر ما هي عليه ، فقمنا حتىٰ أتينا حجرتها ؛ فإذا هي تضرب بالعود وتقول :

[من المنسرح]

أدورُ فـي القصـرِ لا أَرَىٰ أحـداً ... أَشكُـو إليـه ولا يكلِّمُنـي
حتـىٰ كـأنِّـي أتيـتُ معصيـةً ... ليسَـتْ لهـا تـوبـةٌ تخلِّصنـي
فهـل شفيـعٌ لنـا إلـىٰ ملـكٍ ... قد زارَني في الكَرَىٰ فصالَحَني
حتـىٰ إذا مـا الصَّبـاحُ لاحَ لنـا ... عـادَ إلـىٰ هجـرِه فصـارَمَنـي

فصاح المتوكل ، فخرجت إليه ، فأكبت علىٰ رجليه تقبلهما ، فقالت : يا سيدي ؛ رأيتك في ليلتي هٰذه كأنك صالحتني ، قال : وأنا والله قد رأيتك ،

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر في « المنتظم » (٥/ ٧) .

فردها إلىٰ مرتبتها ، فلما قتل المتوكل.. صارت إلىٰ بغا... وذكر الأبيات السابقة)[١] .

[مدح البحتري للمتوكل في رفعه للمحنة]

وأخرج عن علي البحتري يمدح المتوكل فيما رَفَع من المحنة ، ويهجو ابن أبي دُؤَاد : [من الوافر]

أميرَ المؤمنينَ لقد شَكَرنَا ... إلىٰ أيَّامك الغُرِّ الحِسَانِ
رددتَ الدينَ فذّاً بعدَما قد ... أَراه فِرقتَيْنِ تَخاصَمانِ
قصمتَ الظالمينَ بكلِّ أرضٍ ... فأَضحَى الظلمُ مجهولَ المكانِ
وفي سَنَة رمَتْ مُتجبِّريهم ... علىٰ قدَرٍ بداهيةٍ عَوانِ
فما أَبقت من ابن أبي دُؤَادٍ ... سِوَىٰ جسدٍ يخاطِبُ بالمَعَاني
تحيَّر فيه سابورُ بن سهلٍ ... فطاوَلَه ومنَّاه الأَماني
إذا أصحابُه اصطَحَبوا[٢] بليلٍ ... أطالوا الخوضَ في خَلْقِ القُرَانِ[٣]

[رؤيتان في وفاة المتوكل]

وأخرج عن [صالح بن] أحمد ابن حنبل قال : (سهرت ليلة ثم نمت ، فرأيت في نومي كأن رجلاً يعرج به إلى السماء ، وقائلاً يقول : [من الكامل]

ملكٌ يُقادُ إلىٰ مليكٍ عادلٍ ... مُتفضِّلٍ في العفوِ ليسَ بجائرِ

ثم أصبحنا فجاء نعي المتوكل من سُرَّ مَنْ رَأَىٰ إلىٰ بغداد)[٤] .

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٩١) لابن منظور ، وانظر ما تقدم قريباً (ص ٥٤٤) .
(٢) في (ب ، د ، هـ) : (اصطبحوا) .
(٣) في (ب) : (وأخرج عن البحتري) ، ولم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٦٩ـ ١٧٠) ، وفيه : عن أبي الغوث يحيى بن البحتري ، عن أبيه ، والأبيات في « ديوان البحتري » (٤/ ٢٢٩٠) .
(٤) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٧١) ، وما بين معقوفين زيادة منه .

وأخرج عن عمرو بن شيبان الجُهني قال : (رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل في المنام قائلاً يقول : [من البسيط]

يا نائمَ العينِ في أَقْطارِ جُثمانِ ... أَفِضْ دموعَك يا عمرو بنَ شيبانِ
أما تَرَى الفتيةَ الأرجاسَ ما فَعَلوا ... بالهاشمي وبالفتحِ بنِ خاقانِ
وافَىٰ إلى الله مَظلوماً تضِجُّ له ... أهلُ السماواتِ من مَثنىٰ ووِحْدانِ
وسوفَ يأتيكُمُ أُخرَىٰ مسوَّمَةً ... توَقَّعوها لها شأنٌ من الشَّانِ
فابكُوا علىٰ جعفرٍ وارْثُوا خليفَتَكُم ... فقد بكَاه جميعُ الإنسِ والجانِ

ثم رأيت المتوكل في النوم بعد أشهر ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقليل من السنة أحييتها ، قلت : فما تصنع هٰهنا ؟ قال : أنتظر محمداً ابني أخاصمه إلى الله)(١) .

أحاديث من رواية المتوكل

قال الخطيب : (أخبرنا أبو الحسين الأَهْوازي ، حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا محمد بن هارون الهاشمي ، حدثنا محمد بن شجاع الأحمر قال : سمعت المتوكل يحدث عن يحيى بن أَكْثم ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن موسى بن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الرحمٰن بن هلال ، عن جرير بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن حُرِم الرِّفق . . حُرِم الخيرَ » أخرجه الطبراني في « معجمه الكبير » من وجه آخر عن جرير)(٢) .

[حديث مسلسل بالجمة والآباء والخلفاء]

وقال ابن عساكر : (أخبرنا نصر بن أحمد بن مقاتل السُّوسي ، أخبرنا جدي

---

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٧١) ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٩٢ـ ٩٣) لابن منظور .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٦) ، والمعجم الكبير (٢/ ٣٤٦) ، والحديث في « صحيح مسلم » (٢٥٩٢) .

أبو محمد ، حدثنا أبو علي الحسن بن علي الأَهْوازي ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن محمد الأزدي ، حدثنا أبو الطيب محمد بن جعفر بن داران غُنْدر ، حدثنا هارون بن عبد العزيز بن أحمد العباسي ، حدثنا أحمد بن الحسن المقرىء البزار ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى الكسائي وأحمد بن زهير وإسحاق بن إبراهيم بن إسحاق قالوا : حدثنا علي بن الجَهْم قال : كنت عند المتوكل ، فتذاكروا عنده الجَمَال ، فقال : إنَّ حُسن الشَّعْر لمن الجمال ، ثم قال : حدثني المعتصم ، حدثنا المأمون ، حدثنا الرشيد ، حدثنا المهدي ، حدثنا المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه ، كأنها نظام اللؤلؤ ، وكان من أجمل الناس ، وكان أسمر رقيق اللون ، لا بالطويل ولا بالقصير ، وكان لعبد المطلب جُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه ، وكان لهاشم جُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه) .

قال علي بن الجهم : وكان للمتوكل جُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه ، وقال لنا المتوكل : كان للمعتصم جُمَّة ، وكذلك للمأمون والرشيد والمهدي والمنصور ، ولأبيه محمد ولجده علي ولأبيه عبد الله بن عباس .

قلت : هـٰذا الحديث مسلسل من ثلاثة أوجه : بذكر الجمة ، وبالآباء ، وبالخلفاء ؛ ففي إسناده ست خلفاء .

[من مات في عهده]

مات في أيام خلافة المتوكل من الأعلام : أبو ثور ، والإمام أحمد ابن حنبل ، وإبراهيم بن المنذر الحِزامي ، وإسحاق بن راهويه ، وإسحاق النديم ، ورَوح المقرىء ، وزهير بن حرب ، وسُحْنون ، وسليمان الشاذَكُوني ، وأبو مسعود العسكري ، وأبو جعفر النُّفَيلي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأخوه ، وديك الجن الشاعر ، وعبد الملك بن حبيب إمام المالكية ، وعبد العزيز بن يحيى الغول أحد أصحاب الشافعي ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، وعلي بن المَديني ، ومحمد بن عبد الله بن نُمير ، ويحيى بن مَعين ، ويحيى ابن بُكير ، ويحيى بن

يحيىٰ ، ويوسف الأزرق المقرىء ، وبشر بن الوليد الكندي المالكي ، وابن أبي دُؤَاد ذاك الكلب لا رحمه الله ، وأبو الهُذَيل العلاَّف شيخ الاعتزال ورأس أهل الضلال ، وجعفر بن حرب من كبار المعتزلة ، وابن كُلاَّب المتكلم ، والقاضي يحيى بن أَكْثم ، والحارث المُحاسبي ، وحرملة صاحب الشافعي ، وابن السِّكِّيت ، وأحمد بن مَنِيع ، وذو النون المصري الزاهد ، وأبو تراب النَّخْشَبي ، وأبو عمر الدُّوري المقرىء ، ودِعْبِل الشاعر ، وأبو عثمان المازني النحوي ، وخلائق آخرون .

خلافة المنتصر بالله محمد

[٢٤٧-٢٤٨هـ][١]

أبو جعفر ، وقيل : أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد رومية ، اسمها : حبشية ، وكان مليح الوجه ، أسمر ، أعين ، أقنىٰ ، ربعة جسيماً بطيناً ، مليحاً مهيباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير ، قليل الظلم ، محسناً إلى العلويين ، وَصُولاً لهم ، أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين ، وردَّ علىٰ آل الحسين فَدَك ، فقال يزيد المهلبي في ذلك[٢] : [من الكامل]

ولقد بـرَرْت الطـالبيـةَ بعـدَمـا ذُمُّـوا زمـانـاً بعـدَهـا وزَمـانـا

وردَدْت ألفـةَ هـاشـمٍ فـرأيتَهـم بعـدَ العـداوةِ بينهـم[٣] إخـوانـا

بويع له بعد قتل أبيه في شوال ، سنة سبع وأربعين ، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده ، وأظهر العدل والإنصاف في الرعية ، فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له ، وكان كريماً حليماً .

ومن كلامه : (لذة العفو أعذب من لذة التشفي، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام)[٤] .

ولما ولي . . صار يسب الأتراك ، ويقول : هٰؤلاء قتلة الخلفاء ، فعملوا عليه ، وهموا به ، فعجزوا عنه ؛ لأنه كان مهيباً شجاعاً ، فطناً متحرِّزاً ، فتحيلوا إلىٰ أن دسوا إلىٰ طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه ، فأشار بفصده ، ثم فصده بريشة مسمومة فمات .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/ ٢٥١) ، و« مروج الذهب » (٥/ ٤٦) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ١١٩) ، و« المنتظم » (١١/ ٣٥٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٨/ ٤١٦) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٣٥٢) .

(٢) هو : يزيد بن محمد بن المهلب ، مات سنة (٢٥٩هـ) ، والبيتان في « تاريخ الإسلام » (١٨/ ٤١٩) .

(٣) في النسخ : (منهم) ، والمثبت من « تاريخ الإسلام » .

(٤) انظر « مروج الذهب » (٥/ ٥٣) .

ويقال : إن ابن طيفور نسي ومرض ، فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضاً .

قيل : بل سم في كُمَّثراة ، وقيل : مات بالخوانيق[1] .

ولما احتضر. . قال : (يا أماه ؛ ذهبت مني الدنيا والآخرة ، عاجلت أبي فعُوجلت)[2] .

مات في خامس ربيع الآخر ، سنة ثمان وأربعين ، عن ست وعشرين سنة ، أو دونها ، فلم يمتَّع بالخلافة إلا أشهراً معدودة دون الستة أشهر .

وقيل : إنه جلس للهو ، فرأىٰ في بعض البسط دائرةً فيها فارس وعليه تاج ، وحوله كتابة فارسية ، فطلب من يقرأ ذلك ، فأُحضر رجل فنظره فقطَّب ، فقال : (ما هٰذه ؟ قال : لا معنىٰ لها ، فألح عليه ، فقال : أنا شِيرَوَيْه بن كسرى بن هرمز ، قتلت أبي فلم أمتع بالملك إلا ستة أشهر ، فتغير وجه المنتصر)[3] .

وفي « لطائف المعارف » للثعالبي : (أعرق الخلفاء في الخلافة : المنتصر ؛ فإنه هو وآباؤه الخمسة خلفاء ، وكذلك أخواه المعتز والمعتمد)[4] .

قلت : أعرق منه : المستعصم الذي قتله التتار ، فإن آباءه الثمانية خلفاء .

[من قتل أباه لم يمتع بملكه]

قال الثعالبي : (ومن العجائب : أن أعرق الأكاسرة في الملك ـ وهو شِيرَوَيْه ـ قتل أباه فلم يعش بعده إلا ستة أشهر ، وأعرق الخلفاء في الخلافة وهو المنتصر قتل أباه فلم يمتع بعده سوىٰ ستة أشهر)[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (١٨/ ٤١٧ـ ٤١٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٨/ ٤١٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٨/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٢٠ـ ١٢١) .
(٤) لطائف المعارف (ص٦٣ـ ٦٤) وليس فيه ذكر المعتمد .
(٥) لطائف المعارف (ص٦٤) .

خلافة المستعين بالله

[٢٤٨ـ ٢٥٢هـ][1]

أبو العباس ، أحمد بن المعتصم بن الرشيد ، وهو أخو المتوكل ، ولد سنة إحدىٰ وعشرين ومئتين ، وأمه : أم ولد ، اسمها : مخارق .

وكان مليحاً أبيض ، بوجهه أثر الجدري ، ألثغ ، ولما مات المنتصر . . اجتمع القواد وتشاوروا ، وقالوا : متىٰ وليتم أحداً من ولد المتوكل . . لا يبقىٰ منا باقية .

فقالوا : ما لها إلا أحمد بن المعتصم ولد أستاذنا ، فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة ، واستمر إلىٰ أول سنة إحدىٰ وخمسين ، فتنكر له الأتراك لما قتل وصيفٌ وبُغا بَاغِراً التركي الذي فتك بالمتوكل ، ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر ، حتىٰ قيل في ذلك[2] : [من مجزوء الرجز]

خليفةٌ في قفَصٍ بينَ وَصِيفٍ وبُغَا
يقولُ ما قَالا لَهُ كَمَا تَقُولُ البَبغَا

ولما تنكر له الأتراك . . خاف وانحدر من سامراء إلىٰ بغداد ، فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له ، ويسألونه الرجوع فامتنع ، فقصدوا الحبس ، وأخرجوا المعتز بالله ، وبايعوه وخلعوا المستعين .

ثم جهز المعتز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين ، واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين ، فوقعت بينهما وقعات ، ودام القتال أشهراً ، وكثر القتل ، وغلت

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/ ٢٥٦) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٨٤) ، و« وفيات الأعيان » (١/ ٤٧٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/ ٥٤) ، و« فوات الوفيات » (١/ ١٤٠) ، و« البداية والنهاية » (١١/ ٢) .

(٢) البيتان في « مروج الذهب » (٥/ ٥٩) بلا نسبة ، ونسب البيتان في « ربيع الأبرار » (٥/ ٤٥٥) لجنيد الكاتب الملقب : باذنجانة .

الأسعار ، وعظم البلاء ، وانحل أمر المستعين ، فسعوا في الصلح علىٰ خلع المستعين ، وقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة .

فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين ، وأشهد عليه القضاة وغيرهم ، وأحدر إلىٰ واسط ، فأقام بها تسعة أشهر محبوساً ، موكلاً به أمير ، ثم رد إلىٰ سامراء .

وأرسل المعتز إلىٰ أحمد بن طولون : أن يذهب إلى المستعين فيقتله ، فقال : (والله ؛ لا أقتل أولاد الخلفاء) .

فندب له سعيد الحاجب ، فذبحه ثالث شوال من السنة ، وله إحدىٰ وثلاثون سنة .

وكان أخبارياً فاضلاً أديباً[1] ، وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة ، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار ، وصغر القلانس وكانت قبله طوالاً[2] .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : عبد بن حُميد ، وأبو الطاهر بن السَّرْح ، والحارث بن مِسكين ، والبَزِّي المقرىء ، وأبو حاتم السِّجِسْتاني ، والجاحظ ، وآخرون .

* * *

---

(١) تاريخ الإسلام (١٩/ ٥٥-٥٦) .
(٢) مروج الذهب (٥/ ٩٠) .

خلافة المعتز بالله محمد

[٢٥٢ـ٢٥٥هـ][1]

وقيل : الزبير ، أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، وأمه : أم ولد رومية ، تسمىٰ : قبيحة .

وبويع له عند خلع المستعين في سنة اثنتين وخمسين ، وله تسع عشرة سنة ، ولم يلِ الخلافة قبله أحدٌ أصغرَ منه .

وكان بديع الحسن ، قال علي بن حرب أحد شيوخ المعتز[2] في الحديث : (ما رأيت خليفة أحسن منه)[3] .

وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب ، وكان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة[4] .

وأول سنة تولىٰ مات أشناس ؛ الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة ، وخلَّف خمس مئة ألف دينار ، فأخذها المعتز ، وخلع خلعة الملك علىٰ محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقلَّده سيفين ، ثم عزله وخلع خلعة الملك علىٰ أخيه ـ أعني أخا المعتز أبا أحمد[5] ـ وتوجه بتاج من ذهب ، وقلنسوة مجوهرة ، ووشاحين مجوهرين ، وقلَّده سيفين ، ثم عزله من عامه ونفاه إلىٰ واسط ، وخلع علىٰ بغا الشَّرَابي ، وألبسه تاج الملك ، فخرج على المعتز بعد سنة ، فقُتل وجيء إليه برأسه .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/ ٣٨٨) ، و« مروج الذهب » (٥/ ٧٨) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ١٢١) ، و« المنتظم » (١٢/ ٤٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٩/ ٢٨٠) ، و« فوات الوفيات » (٣/ ٣١٩) ، و« البداية والنهاية » (١١/ ١٠) .

(٢) في (أ) و(د) و(هـ) : (ابن المعتز) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٨١) .

(٤) مروج الذهب (٥/ ٩٠) .

(٥) اسمه : محمد ، وقيل : طلحة بن المتوكل على الله جعفر .

[قتل المعتز أخاه المؤيد]

وفي رجب من هٰذه السنة : خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد ، وضربه وقيَّده ، فمات بعد أيام ، فخشي المعتز أن يتحدث عنه : أنه قتله ، أو احتال عليه ، فأحضر القضاة حتىٰ شاهدوه وليس به أثر[1] .

[عزل المعتز وتدبير موته]

وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك ، فاتفق أن جماعة من كبارهم أتوه وقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخاف منه ، فطلب من أمه مالاً لينفقه فيهم ، فأبت عليه ، وشحَّت نفسها ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء .

فاجتمع الأتراك حينئذٍ علىٰ خلعه ، ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا ، فلبسوا السلاح ، وجاؤوا إلىٰ دار الخلافة ، فبعثوا إلى المعتز : أن اخرج إلينا ، فبعث يقول : قد شربت دواء وأنا ضعيف .

فهجم عليه جماعة ، وجروا برجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون : اخلع نفسك .

ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم أحضروا من بغداد إلىٰ دار الخلافة ـ وهي يومئذ سامراء ـ محمد بن الواثق ، وكان المعتز قد أبعده إلىٰ بغداد ، فسلَّم المعتز إليه الخلافة وبايعه .

ثم إن الملأ أخذوا المعتز بعد خمس ليالٍ من خلعه ، فأدخلوه الحمام ، فلما تغسَّل . . عطش ، فمنعوه الماء ، ثم أخرج وهو ميت عطشاً ، فسقوه ماء بثلج ، فشربه وسقط ميتاً ، وذلك في شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين[2] .

---

(١) تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٨١) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٨١ـ ٢٨٢) .

[شحُّ قبيحة أم المعتز]

واختفت أمه قبيحة ، ثم ظهرت في رمضان ، وأعطت صالح بن وصيف مالاً عظيماً ؛ من ذلك : ألف ألف دينار وثلاث مئة ألف دينار ، وسَفَط فيه : مكوك زمرد ، وسَفَط فيه : مكوك لؤلؤ حب كبار ، وكَيْلَجة ياقوت أحمر ، وغير ذلك ، فقُوِّمتِ الأسفاط : بألفي ألف دينار .

فلما رأى ابن وصيف ذلك . . قال : قبحها الله !! عرَّضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار ؛ وعندها هـٰذا ؟! فأخذ الجميع ونفاها إلىٰ مكة ، فبقيت بها إلىٰ أن تولَّى المعتمد ، فردها إلىٰ سامراء ، وماتت سنة أربع وستين[١] .

[من مات في عهده]

مات في أيام المعتز من الأعلام : سري السَّقَطي الزاهد ، وهارون بن سعيد الأَيْلي ، والدَّارمي صاحب « المسند » ، والعُتْبي صاحب « المسائل العتبية » في مذهب مالك ، وآخرون .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٩/ ٣٩٣ـ٣٩٦) .

خلافة المهتدي بالله

[٢٥٥ـ٢٥٦هـ][١]

الخليفة الصالح ، محمد أبو إسحاق ، وقيل : أبو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد ؛ تسمىٰ : وردة ، ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومئتين .

وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب ، سنة خمس وخمسين ومئتين ، وما قَبِل بيعته أحد حتىٰ أُتي بالمعتز ، فقام المهتدي له ، وسلَّم عليه بالخلافة ، وجلس بين يديه ، فجيء بالشهود ، فشهدوا على المعتز : أنه عاجز عن الخلافة ، فاعترف بذلك ، ومد يده فبايع المهتدي ، فارتفع حينئذٍ المهتدي إلىٰ صدر المجلس[٢] .

وكان المهتدي أسمر رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعاً متعبداً ، عادلاً قوياً في أمر الله ، بطلاً شجاعاً ؛ لـٰكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً[٣] .

قال الخطيب : (لم يزل صائماً منذ ولي إلىٰ أن قُتل)[٤] .

[زهد المهتدي وتشبهه بعمر بن عبد العزيز]

وقال هاشم بن القاسم : (كنت بحضرة المهتدي عشية في رمضان ، فوثبت لأنصرف ، فقال لي : اجلس ، فجلست ، وتقدَّم فصلىٰ بنا ، ثم دعا بالطعام ، فأُحضر طبق خلاف ، وعليه رغيف من الخبز النقي ، وفيه آنية فيها ملح وخل

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٩/٤٥٦) ، و« مروج الذهب » (٥/٩٢) ، و« تاريخ بغداد » (٣/٣٤٧) ، و« المنتظم » (١٢/٨١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٩/٣٢٦) ، و« فوات الوفيات » (٤/٥٠) ، و« البداية والنهاية » (١١/١٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩/٣٢٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩/٣٢٧) .

(٤) تاريخ بغداد (٣/٣٤٩) .

وزيت ، فدعاني إلى الأكل ، فابتدأت آكل ظاناً أنه سيؤتىٰ بطعام ، فنظر إليَّ وقال : ألم تك صائماً ؟ قلت : بلىٰ .

قال : أفلستَ عازماً على الصوم ؟ فقلت : كيف لا وهو رمضان ، فقال : فكُلْ واستوفِ ؛ فليس هـٰهنا من الطعام غير ما ترىٰ .

فعجبت ثم قلت : ولِمَ يا أمير المؤمنين ؛ قد أسبغ الله نعمته عليك ؟!

فقال : إن الأمر لعلىٰ ما وصفت ؛ ولـٰكني فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز ، وكان من التقلل والتقشف علىٰ ما بلغك ، فغرت علىٰ بني هاشم ، فأخذتُ نفسي بما رأيت)[1] .

[تعظيم المهتدي للإمام أحمد]

وقال جعفر بن عبد الواحد : (ذاكرت المهتدي بشيء ، فقلت له : كان أحمد ابن حنبل يقول به ، ولـٰكنه كان يخالف ـ أشيرُ إلىٰ من مضىٰ من آبائه ـ فقال : رحم الله أحمد ابن حنبل ، والله ؛ لو جاز لي أن أتبرأ من أبي . . لتبرأتُ منه ، ثم قال لي : تكلَّمْ بالحق وقل به ؛ فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني)[2] .

[من سيرة المهتدي الصالحة]

وقال نفطويه : (حدثني بعض الهاشميين : أنه وجد للمهتدي سَفَط فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلي فيه ، وكان قد اطَّرح الملاهي ، وحرَّم الغناء ، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم ، وكان شديد الإشراف علىٰ أمر الدواوين ، يجلس بنفسه ويجلس الكُتَّاب بين يديه فيعملون الحساب ، وكان لا يخل بالجلوس الاثنين والخميس)[3] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٤٩ـ ٣٥٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩/ ٣٢٧) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣٥٠) .

وضرب جماعة من الرؤساء ، ونفىٰ جعفر بن محمود إلىٰ بغداد ، وكره مكانه ؛ لأنه نسب عنده إلى الرفض(١) .

[فتنة موسى بن بغا وقتل صالح بن وصيف]

وقدم موسى بن بغا من الري يريد سامراء لقتل صالح بن وصيف بدم المعتز وأَخْذِ أموال أمه ومعه جيشه ، فصاحت العامة على ابن وصيف : يا فرعون ؛ قد جاءك موسىٰ ، فطلب موسى بن بغا الإذن على المهتدي ، فلم يأذن له ، فهجم بمن معه عليه وهو جالس في دار العدل ، فأقاموه وحملوه علىٰ فرس ضعيفة ، وانتهبوا القصر ، وأدخلوا المهتدي إلىٰ دار ناجور(٢) ، وهو يقول : يا موسى ، اتق الله ، ويحك ما تريد ؟

قال : والله ؛ ما نريد إلا خيراً ، فاحلف لنا ألا تمالىء صالح بن وصيف ، فحلف لهم ، فبايعوه حينئذ .

ثم طلبوا صالحاً ليناظروه علىٰ أفعاله ، فاختفىٰ ، وندبهم المهتدي إلى الصلح ، فاتهموه أنه يدري مكانه ، فجرىٰ في ذلك كلام ، ثم تكلموا في خلعه .

فخرج إليهم المهتدي من الغد متقلداً بسيفه ، فقال : قد بلغني شأنكم ، ولست كمن تقدمني ؛ مثل : المستعين والمعتز ، والله ؛ ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط ، وقد أوصيت ، وهـٰذا سيفي ، والله ؛ لأضربن به ما استمسكت قائمته بيدي ، أما دين ؟! أما حياء ؟! أما رِعَة ؟! كم يكون الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ؟! ثم قال : ما أعلم علم صالح ، فرضوا وانفضوا(٣) .

ونادىٰ موسى بن بغا : من جاء بصالح . . فله عشرة آلاف دينار ، فلم يظفر به أحد ، واتفق أن بعض الغلمان دخل زقاقاً وقت الحر ، فرأىٰ باباً مفتوحاً فدخل ،

---

(١) تاريخ الإسلام (١٩/ ٣٢٨) .

(٢) كذا في نسخنا ، وهـٰكذا ضبطه صاحب « مرآة الجنان » (١/ ٢٧٨) بالنون والجيم ، وجاء في « تاريخ الطبري » : (ياجور) بالياء والجيم .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩/ ١٧ـ١٩) ، والرعة : من الورع .

فمشىٰ في دهليز مظلم ، فرأىٰ صالحاً نائماً ، فعرفه وليس عنده أحد ، فجاء إلىٰ موسىٰ فأخبره ، فبعث جماعة فأخذوه وقطعت رأسه وطيف بها ، وتألم المهتدي لذلك في الباطن .

[قتل المهتدي وقصة ذلك]

ثم رحل موسىٰ ومعه باكباك[1] إلى السن في طلب مساور ، فكتب المهتدي إلىٰ باكباك : أن يقتل موسىٰ ومفلحاً أحد أمراء الأتراك أيضاً ، أو يمسكهما ؛ ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم ، فأوقف باكباك موسىٰ علىٰ كتابه وقال : إني لست أفرح بهـٰذا ، وإنما هـٰذا يعمل علينا كلنا .

فأجمعوا علىٰ قتل المهتدي ، وساروا إليه ، فقاتل عن المهتدي المغاربة والفراغنة والأشروسنية ، وقتل من الأتراك في يوم أربعة آلاف ، ودام القتال إلىٰ أن هزم جيش الخليفة وأمسك هو ، فعصر علىٰ خصيتيه فمات ؛ وذلك في رجب سنة ست وخمسين .

فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً ، وكان لما قامت الأتراك عليه . . ثار العوام وكتبوا رقاعاً وألقوها في المساجد : (يا معشر المسلمين ؛ ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضيّ ، المضاهي لعمر بن عبد العزيز أن ينصره الله علىٰ عدوه)[2] .

---

(١) في (أ ، ب ، هـ) في هـٰذا الموضع وفي الموضعين اللاحقين : (باكبال) ، وفي (ج ، د) : (باكيال) ، وفي « تاريخ الطبري » : (بايكباك) ، والمثبت من « تاج العروس » مادة : (بكك) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩/١٩ـ ٢١) ، وانظر الخبر مطولاً في « تاريخ الطبري » (٩/ ٤٤٠ـ ٤٦٠) .

خلافة المعتمد على الله

[٢٥٦ـ٢٧٩][1]

أبو العباس ، وقيل : أبو جعفر ، أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة تسع وعشرين ومئتين ، وأمه : رومية ، اسمها : فتيان .

ولما قتل المهتدي . . كان المعتمد محبوساً بالجَوْسَق ، فأخرجوه وبايعوه ، ثم إنه استعمل أخاه : الموفق طلحة على المشرق ، وصير ابنه جعفراً ولي عهده ، وولاه مصر والمغرب ، ولقبه : المفوِّض إلى الله .

وانهمك المعتمد في اللهو واللذات ، واشتغل عن الرعية ، فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة[2] .

وفي أيامه : دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها ، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا ، وجرىٰ بينهم وبين عسكره عدة وقعات ، وأمير عسكره في أكثرها : الموفق أخوه .

وأعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق ، فمات خلق لا يحصون ، ثم أعقبه هدات وزلازل ، فمات تحت الردم ألوف من الناس .

واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد : سنة ست وخمسين إلىٰ سنة سبعين ، فقُتل فيها رأس الزنج لعنه الله ؛ واسمه : بهبود ، وكان ادعىٰ : أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة ، وأنه يطلع على المغيبات[3] .

وذكر الصولي : (أنه قَتَل من المسلمين : ألف ألف وخمس مئة ألف آدمي ،

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١٠/ ٢٩) ، و« مروج الذهب » (٥/ ١٠٧) ، و« تاريخ بغداد » (٤/ ٦٠) ، و« المنتظم » (١٢/ ١٠٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٢٤٧) ، و« فوات الوفيات » (١/ ٧٢) ، و« البداية والنهاية » (١١/ ٦٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٤ و٢٧ـ٢٨) .

وقتل في يوم واحد بالبصرة : ثلاث مئة ألف ، وكان له منبر في مدينته ، يصعد عليه ، ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم .

وكان ينادىٰ على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة ، وكان عند الواحد من الزنج : العشرة من العلويات يطؤهن ويستخدمهن)[1] .

ولما قُتل هٰذا الخبيث . . دُخل برأسه بغداد علىٰ رمح ، وعملت قباب الزينة ، وضج الناس بالدعاء للموفق ، ومدحه الشعراء ، وكان يوماً مشهوداً ، وأمن الناس وتراجعوا إلى المدن التي أخذها ، وهي كثيرة ؛ كواسط ورامهرمز .

وفي سنة ستين من أيامه : وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق ، وبلغ كُرُّ الحنطة ببغداد مئة وخمسين ديناراً[2] .

وفيها : أخذت الروم بلد لؤلؤة[3] .

وفي سنة إحدىٰ وستين : بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض إلى الله جعفر ، ثم من بعده لأخيه الموفق طلحة ، وولّىٰ ولده المغرب والشام والجزيرة وأرمينية ، وولّىٰ أخاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وأصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند ، وعقد لكل منهما لواءين : أبيض وأسود ، وشرط إن حدث به حدث . . أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ ، وكتب العهد ونفذه مع قاضي القضاة ابن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة[4] .

---

(١) انظر « العبر » (٢/ ٤٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٣٦ـ٣٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٥١٠) ، وتاريخ الإسلام (١٩/ ٣١) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٥١١) ، وتاريخ الإسلام (١٩/ ٣٢) .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٥١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٦ـ٧) .

وفي سنة ست وستين : وصلت عساكر الروم إلىٰ ديار بكر ، ففتكوا ، وهرب أهل الجزيرة والموصل[1] .

وفيها : وثبت الأعراب علىٰ كسوة الكعبة فانتهبوها[2] .

* * *

وفي سنة سبع وستين : استولىٰ أحمد بن عبد الله الخُجُسْتاني علىٰ خراسان وكَرْمان وسجستان ، وعزم علىٰ قصد العراق ، وضرب السكة باسمه ، وعلى الوجه الآخر اسم المعتمد ـ وهـٰذا محل الغرابة ـ ثم إنه في آخر السنة قتله غلمانه ، فكفى الله شره[3] .

[الخلاف بين المعتمد وأخيه الموفق والحجر على المعتمد]

وفي سنة تسع وستين : اشتد تخيل المعتمد من أخيه الموفق ؛ فإنه كان خرج عليه في سنة أربع وستين ، ثم اصطلحا ، فلما اشتد تخيله منه هـٰذا العام . . كاتب المعتمد أحمد بن طولون نائبه بمصر ، واتفقا علىٰ أمر ، فخرج ابن طولون حتىٰ قدم دمشق ، وخرج المعتمد من سامراء علىٰ وجه التنزه وقَصْدُه دمشق .

فلما بلغ ذلك الموفق . . كتب إلىٰ إسحاق بن كِنْداج ليرده ، فركب ابن كِنْداج من نصيبين إلى المعتمد ، فلقيه بين الموصل والحديثة ، فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ أخوك في وجه العدو وأنت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ؟! ومتىٰ صح هـٰذا عنده . . رجع عن مقاومة الخارجي ؛ فيغلب عدوك علىٰ دار آبائك . . .) في كلمات أخر .

ثم وكَّل بالمعتمد جماعة ، ورسم علىٰ طائفة من خواصه ، ثم بعث إلى المعتمد يقول : (ما هـٰذا بمقام فارجع) ، فقال المعتمد : (فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني) ، فحلف له .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ١٨) .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٠) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٩/ ٥٩٩ـ ٦٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٢٥) .

وانحدر إلىٰ سامراء ، فتلقاه صاعد بن مَخلد كاتب الموفق ، فسلمه إسحاق إليه ، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب ، ومنعه من نزول دار الخلافة ، ووكَّل به خمس مئة رجل يمنعون من الدخول إليه .

ولما بلغ الموفق ذلك . . بعث إلىٰ إسحاق بخِلَع وأموال ، وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ، ولقَّبه : ذا السندين ، ولقَّب صاعداً : ذا الوزارتين ، وأقام صاعد في خدمة المعتمد ؛ ولـٰكن ليس للمعتمد حل ولا ربط ، وقال المعتمد في ذلك : [من الوافر]

أليسَ من العَجائبِ أنَّ مِثلي يَرَىٰ ما قلَّ مُمتنعاً عليهِ
وتُوْكَل باسمِه الدنيا جميعاً وما مِن ذاكَ شيءٌ في يَديهِ
إليه تُحمل الأموالُ طرّاً ويُمنع بعضَ ما يُجبىٰ إليه[1]

وهو أول خليفة قُهر وحُجر عليه ووُكِّل به[2] .

[خلع ابن طولون للموفق من ولاية العهد]

ثم أدخل المعتمد واسط ، ولما بلغ ابن طولون ذلك . . جمع القضاة والأعيان وقال : (قد نكث الموفق بأمير المؤمنين ، فاخلعوه من العهد) ، فخلعوه إلا القاضي بكَّار بن قتيبة ؛ فإنه قال : (أنت أوردت عليَّ كتاباً من المعتمد بولايته العهد ، فأورد عليَّ كتاباً آخر منه بخلعه .

فقال : إنه محجور عليه ومقهور ، فقال : لا أدري .

فقال ابن طولون : غرك الناس بقولهم : ما في الدنيا مثل بكار ؟! أنت شيخ قد خرفت) ، وحبسه وقيَّده ، وأخذ منه جميع عطائه من سنين ، فكان عشرة آلاف دينار ، فقيل : (إنها وجدت في بيت بكار بختمها ، وبلغ الموفق ذلك ، فأمر بلعنة ابن طولون على المنابر)[3] .

---

(١) الخبر في « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٣١ـ٣٢) ، وانظر الأبيات في « البداية والنهاية » (١١/ ٦٥) .
(٢) مروج الذهب (٥/ ١١٩) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٢ـ٣٣) .

ثم في شعبان من سنة سبعين : أُعيد المعتمد إلىٰ سامراء ، ودخل بغداد ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته ، كأنه لم يُحجَر عليه[1] .

ومات ابن طولون في هـٰذه السنة ، فولى الموفقُ ابنَه أبا العباس أعماله ، وجهَّزه إلىٰ مصر في جنود العراق ، وكان خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون أقام علىٰ ولايات أبيه بعده ، فوقع بينه وبين أبي العباس ابن الموفق وقعةٌ عظيمة ، بحيث جرت الأرض من الدماء ، وكان النصر للمصريين[2] .

وفي هـٰذه السنة : انبثق ببغداد في نهر عيسىٰ بَثْق ، فجاء الماء إلى الكَرْخ فهدم سبعة آلاف دار[3] .

وفيها : نازلت الروم طَرَسوس في مئة ألف ، فكانت النصرة للمسلمين ، وغنموا ما لا يحصىٰ ، وكان فتحاً عظيماً عديم المثل[4] .

وفيها : ظهرت دعوة المهدي عبد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين الروافض باليمن ، وأقام علىٰ ذلك إلىٰ سنة ثمان وسبعين ، فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كُتَامة ، فأعجبهم حاله ، فصحبهم إلىٰ مصر ، ورأىٰ منهم طاعة وقوة ، فصحبهم إلى المغرب ، فكان ذلك أول شأن المهدي[5] .

* * *

وفي سنة إحدىٰ وسبعين : قال الصولي : (ولي هارون بن إبراهيم الهاشمي الحسبة ، فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس ، فتعاملوا بها علىٰ كره ، ثم تركوها) .

* * *

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٦٦٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٧) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٢٠) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٦٦٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٧) ، والبَثْق : موضع انبثاق الماء من نهر ونحوه ، والمعنىٰ : انفجر موضع من نهر عيسىٰ فتدفق منه الماء .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٦٦٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٨) .

وفي سنة ثمان وسبعين : غار نيل مصر فلم يبق منه شيء ، وغلت الأسعار[1] .

وفيها : مات الموفق واستراح منه المعتمد[2] .

وفيها : ظهرت القرامطة بالكوفة ؛ وهم نوع من الملاحدة ، يدَّعون : أنه لا غسل من الجنابة ، وأن الخمر حلال ، وأن الصوم في السنة يومان : يوم النيروز ويوم المهرجان ، ويزيدون في أذانهم : وأن محمد ابن الحنفية رسول الله ، وأن الحج والقبلة إلىٰ بيت المقدس ، وأشياء أخر ، ونفق قولهم على الجهال وأهل البر ، وتعب الناس بهم[3] .

وفي سنة تسع وسبعين : ضعف أمر المعتمد جداً ؛ لتمكن أبي العباس بن الموفق من الأمور وطاعة الجيش له ، فجلس المعتمد مجلساً عاماً أشهد فيه علىٰ نفسه أنه خلع ولده المفوِّض من ولاية العهد ، وبايع لأبي العباس ، ولقَّبه : المعتضد[4] .

وأمر المعتضد في هٰذه السنة : ألا يقعد في الطريق منجم ، ولا قصاص ، واستحلف الوراقين لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل[5] .

ومات المعتمد بعد أشهر من السنة فجأة ؛ فقيل : إنه سُمَّ ، وقيل : بل نام فغُم في بساط ؛ وذلك ليلة الاثنين ، لإحدىٰ عشرة بقيت من رجب ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة ، إلا أنه كان مقهوراً مع أخيه الموفق ؛ لاستيلائه على الأمور ، ومات وهو كالمحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد أيضاً[6] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٣١) .

(٢) تاريخ الطبري (١٠/ ٢٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٣٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٣٣ـ ٢٣٤) .

(٤) تاريخ الطبري (١٠/ ٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٣٧) .

(٥) تاريخ الطبري (١٠/ ٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٣٧ـ ٢٣٨) .

(٦) تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٤٨ـ ٢٤٩) .

[من مات في عهده]

ومن مات في أيامه من الأعلام : البخاري ، ومسلم ، وأبو داوود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والربيع الجيزي ، والربيع المرادي ، والمزني ، ويونس بن عبد الأعلىٰ ، والزبير بن بكَّار ، وأبو الفضل الرِّياشي ، ومحمد بن يحيى الذُّهْلي ، وحجَّاج بن الشاعر ، والعِجْلي الحافظ ، وقاضي القضاة ابن أبي الشوارب ، والسُّوسي المقرىء ، وعمر بن شَبَّة ، وأبو زرعة الرازي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والقاضي بكار ، وداوود الظاهري ، وابن وَارة ، وبَقِي بن مَخْلد ، وابن قتيبة ، وأبو حاتم الرازي ، وآخرون .

ومن قول عبد الله بن المعتز في المعتمد يمدحه[1] : [من السريع]

يا خيرَ من تُزجَى المَطِي به ... ويُمِر حبلَ العهدِ مَوثِقُهُ
أَضحَىٰ عِنانُ المُلْك مُقْتسراً ... بِيَديكَ تَحبِسُهُ وتُطلقُهُ
فاحكُم لكَ الدنيا وسَاكِنها ... ما صابَ سهمٌ أنتَ موفقُهُ

ومن شعر المعتمد لما حُجر عليه : [من السريع]

أصبحتُ لا أملِكُ دَفعاً لما ... أُسامُ من خَسفٍ ومن ذِلَّةْ
تَمضي أمورُ الناسِ دُوني ولا ... يُشعرني في ذِكرها قلَّةْ
إذا اشتهيتُ الشيءَ ولَّوا به ... عنِّي وقالوا هٰهنا علَّةْ

قال الصولي : (كان له ورَّاق يكتب شعره بماء الذهب) .

ورثاه أبو سعيد الحسن بن سعيد النيسابوري بقوله : [من المتقارب]

لقد قرَّ طرفُ الزمانِ النَّكِدْ ... وكانَ سَخيناً كَليلاً رَمِدْ
وبُلِّغت الحادثاتُ المُنَىٰ ... بموتِ إمامِ الهُدَى المعتَمِدْ
ولم يَبقَ لي حذَرٌ بعدَه ... فدونَ المصائبِ فلتجتَهِدْ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/٣٦٦) .

خلافة المعتضد بالله أحمد

[٢٧٩-٢٨٩هـ][1]

أبو العباس ، ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد في ذي القعدة ، سنة اثنتين وأربعين ومئتين ، وقال الصولي : (في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومئتين) .

وأمه : أم ولد ، اسمها : صواب ، وقيل : حرز ، وقيل : ضرار .

وبويع له في رجب ، سنة تسع وسبعين بعد عمه المعتمد .

وكان ملكاً شجاعاً مهيباً ، ظاهر الجبروت ، وافر العقل ، شديد الوطأة ، من أفراد خلفاء بني العباس ، وكان يقدم على الأسد وحده لشجاعته ، وكان قليل الرحمة ، إذا غضب علىٰ قائد . . أمر بأن يُلقىٰ في حفيرةٍ ويُطم عليه ، وكان ذا سياسة عظيمة[2] .

[ما سفكت دماً حراماً]

قال عبد الله بن حمدون : (خرج المعتضد يتصيد ، فنزل إلىٰ جانب مقثأة وأنا معه ، فصاح الناطور ، فقال : عليَّ به ، فأُحضر فسأله ، فقال : ثلاثة غلمان نزلوا المقثأة فأخربوها ، فجيء بهم ، فضُربت أعناقهم من الغد في المقثأة .

ثم كلمني بعد مدة فقال : اصدقني فيما ينكر عليَّ الناس ؟ قلت : الدماء ، قال : والله ؛ ما سفكتُ دماً حراماً منذ وليت .

قلت : فلِمَ قتلتَ أحمد بن الطيب ؟ قال : دعاني إلى الإلحاد ، قلت :

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١٠/٨٦) ، و« مروج الذهب » (٥/١٣٧) ، و« تاريخ بغداد » (٤/٤٠٣) ، و« المنتظم » (١٢/٣٠٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢١/٦١) ، و« فوات الوفيات » (١/٧٢) ، و« البداية والنهاية » (١١/٨٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢١/٦٣) .

فالثلاثة الذين نزلوا المقثأة ؟ قال : والله ؛ ما قتلتهم ، وإنما قتلت لصوصاً قد قتلوا ، وأُوهمت أنهم هم)[١] .

[إنكار القاضي كتاباً جمع الرخص فأُحرق]

وقال إسماعيل القاضي : (دخلت على المعتضد وعلىٰ رأسه أحداث صِباح الوجوه روم ، فنظرت إليهم ، فلما أردت القيام.. قال لي : أيها القاضي ؛ والله ما حللت سراويلي علىٰ حرام قط)[٢] .

ودخلت مرة فدفع إليَّ كتاباً ، فنظرت فيه ؛ فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء ، فقلت : (مُصنِّف هـٰذا زنديق ، فقال : أمُختلَقٌ ؟ قلت : لا ؛ ولـٰكن من أباح المسكر.. لم يبح المتعة ، ومن أباح المتعة.. لم يبح الغناء ، وما من عالم إلا وله زلة ، ومن أخذ بكل زلل العلماء.. ذهب دينه ، فأمر بالكتاب فأُحرق)[٣] .

وكان المعتضد شهماً جلداً موصوفاً بالرُّجْلة ، قد لقي الحروب وعرف فضله ، فقام بالأمر أحسن قيام ، وهابه الناس ، ورهبوه أعظم رهبة ، وسكنت الفتن في أيامه ؛ لفرط هيبته[٤] .

وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء .

وكان قد أسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية .

وكان يسمىٰ السفاح الثاني ؛ لأنه جدد ملك بني العباس ، وكان قد خلق وضعف وكاد يزول ، وكان في اضطراب من وقت قتل المتوكل[٥] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢١/ ٦٣ـ ٦٤) ، والمقثأة : موضع القثاء ؛ وهو : نوع من البطيخ نباتي قريب من الخيار ، لكنه أطول .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/ ٤٠٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٦٤) .

(٣) أخرجه البيهقي في « السنن » (١٠/ ٢١١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٦٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢١/ ٦٩) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢١/ ٦٧) .

وفي ذلك يقول ابن الرومي يمدحه[1] : [من الطويل]

هنيئاً بني العباس إن إمامَكم إمامَ الهدىٰ والبأسِ والجودِ أحمدُ
كما بأبي العباسِ أُنشىء ملككُم كذا بأبي العباس أيضاً يُجددُ
إمامٌ يظلُّ الأمسُ يعمَلُ نحوه تلهُّفَ ملهوفٍ ويَشتاقه الغدُ

وقال في ذلك ابن المعتز أيضاً[2] : [من السريع]

أما تَرَىٰ مُلكَ بني هاشمٍ عادَ عَزيزاً بعدَ ما ذُلِّلا
يا طَالباً للملكِ كُن مثلَه تَستوجبِ المُلك وإلاَّ فَلا

وفي أول سنة استخلف فيها : منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ، ومنع القُصَّاص والمنجمين من القعود في الطريق ، وصلىٰ بالناس صلاة الأضحىٰ ، فكبَّر في الأولىٰ ستاً وفي الثانية واحدة ، ولم تسمع منه الخطبة .

وفي سنة ثمانين : دخل داعي المهدي إلى القيروان ، وفشا أمره ، ووقع القتال بينه وبين صاحب إفريقية ، وصار أمره في زيادة[3] .

وفيها : ورد كتاب من الدبيل أن القمر كسف في شوال ، وأن الدنيا أصبحت مظلمة إلى العصر ، فهبت ريح سوداء فدامت إلىٰ ثلث الليل ، وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة المدينة ، فكان عدة من أُخرج من تحت الردم : مئة ألف وخمسين ألفاً[4] .

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢/ ٦٦٠) .
(٢) البيتان في « ديوانه » (١/ ٣٧١) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٢٤٢ـ ٢٤٣) ، والداعي : هو الحسين بن محمد بن أحمد الشيعي ، والمهدي : هو عبيد الله ، وهو أول ملوك الدولة العبيدية .
(٤) تاريخ الطبري (١٠/ ٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٤٤) .

وفي سنة إحدىٰ وثمانين : فتحت ملورية من بلاد الروم[1] .

وفيها : غارت مياه الري وطبرستان حتىٰ أبيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم ، وقحط الناس وأكلوا الجيف[2] .

وفيها : هدم المعتضد دار الندوة بمكة ، وصيرها مسجداً إلىٰ جانب المسجد الحرام[3] .

❁ ❁ ❁

وفي سنة اثنتين وثمانين : أبطل ما يفعل في النيروز ؛ من وقيد النيران ، وصب الماء على الناس ، وأزال سُنَّة المجوس[4] .

وفيها : زُفَّت إليه قطر الندىٰ بنت خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، فدخل عليها في ربيع الأول ، وكان في جهازها أربعة آلاف تِكَّة مجوهرة ، وعشرة صناديق جوهر[5] .

❁ ❁ ❁

وفي سنة ثلاث وثمانين : كتب إلى الآفاق بأن يورث ذوو الأرحام ، وأن يبطل ديوان المواريث ، وكثر الدعاء للمعتضد[6] .

❁ ❁ ❁

وفي سنة أربع : ظهرت بمصر حمرة عظيمة ، حتىٰ كان الرجل ينظر إلىٰ وجه الرجل فيراه أحمر ، وكذا الحيطان ، فتضرَّع الناس بالدعاء إلى الله تعالىٰ ، وكانت من العصر إلى الليل[7] .

قال ابن جرير : (وفيها : عزم المعتضد علىٰ لعنة معاوية على المنابر ،

---

(١) تاريخ الطبري (١٠/ ٣٦) ، وتاريخ الإسلام (٢١/ ٥) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢١/ ٥ـ٦) ، وانظر « تاريخ الطبري » (١٠/ ٣٦) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢١/ ٧) .
(٤) تاريخ الطبري (١٠/ ٣٩) ، وتاريخ الإسلام (٢١/ ٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢١/ ٨ـ٩) ، وانظر « تاريخ الطبري » (١٠/ ٤٠) .
(٦) تاريخ الطبري (١٠/ ٤٤) ، وتاريخ الإسلام (٢١/ ١٣) .
(٧) تاريخ الطبري (١٠/ ٥٣) .

فخوَّفه عبيد الله الوزير اضطراب العامة ، فلم يلتفت ، وكتب كتاباً في ذلك : ذَكَر فيه كثيراً من مناقب علي وثَلْب معاوية ، فقال له القاضي يوسف : يا أمير المؤمنين ؛ أخاف الفتنة عند سماعه ، فقال : إن تحركت العامة . . وضعت السيف فيها ، قال : فما تصنع بالعلويين الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك ؟ وإذا سمع الناس هـٰذا من فضائل أهل البيت . . كانوا إليهم أميل ، فأمسك المعتضد عن ذلك)[١] .

وفي سنة خمس : هبت ريح صفراء بالبصرة ، ثم صارت خضراء ، ثم صارت سوداء ، وامتدَّت في الأمصار ، ووقع عقبها بَرَد وزن البردة مئة وخمسون درهماً، وقلعت الريح نحو ست مئة نخلة ، ومطرت قرية حجارة سوداً وبيضاً[٢] .

وفي سنة ست : ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي وقويت شوكته ، وهو أبو أبي طاهر سليمان الذي يأتي أنه قلع الحجر الأسود[٣] ، ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة ، وأغار على البصرة ونواحيها ، وهزم جيش الخليفة مرات[٤] .

[وفي سنة سبع : خرجت طيء على الركب العراقي ليأخذوه أيضاً ، فقاتلهم أمير الركب أبو الأغر يوماً وليلة فنصره الله ، وقتل صالح أمير العرب ، وأسر من قومه خلق كثير ، ودخل الحُجَّاج[٥] بالأسرىٰ وبالرؤوس على الرماح[٦] .

---

(١) تاريخ الطبري (١٠/ ٥٤ـ٦٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/ ١٧ـ١٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢١/ ٢٢) ، وتاريخ الطبري (١٠/ ٦٨) .
(٣) انظر ما سيأتي (ص ٥٩٢) .
(٤) تاريخ الطبري (١٠/ ٧١) ، وتاريخ الإسلام (٢١/ ٢٧ـ٢٨) .
(٥) أي : بغداد ، كما في مصادر التخريج .
(٦) أورد هـٰذا الخبر : الطبري في « تاريخه » (١٠/ ٧٤) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٢٩) ، وأبو الأغر : اسمه : خليفة بن المبارك .

وفي سنة ثمان : ظهر أبو عبد الله الشيعي بالمغرب ، فدعا قبيلة كنانة إلى الإمام المهدي ، فاستجابوا ، فهـٰذا أول ظهور العبيدية الذين صاروا ملوك ديار مصر .

* * *

وفي سنة تسع : خرج بالشام ابن زكرويه القرمطي ، وقصد أخذ دمشق ، فحاربه متوليها الأمير طغج غير مرة ، ثم قتل القرمطي[1] .

وفيها : وثبت طيء وأميرهم صالح بن مدرك ، فانتهبوا الركب العراقي ، فذهب للحُجَّاج فيه ما قيمته ألف ألف مثقال][2] .

ومن أخبار المعتضد

ما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن أبي الحسين الخَصِيبي قال : (وجه المعتضد إلى القاضي أبي خازم يقول : إن لي علىٰ فلان مالاً ، وقد بلغني أن غرماءه أثبتوا عندك ، وقد قسطت لهم من ماله ، فاجعلنا كأحدهم .

فقال أبو خازم : قل له : أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ ذاكرٌ لما قال لي وقت قلَّدني : إنه قد أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي ، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمدعٍ إلا ببينة ، فرجع إليه فأخبره .

فقال : قل له : فلان وفلان يشهدان ؛ يعني لرجلين جليلين ، فقال : يشهدان عندي وأسأل عنهما ، فإن زُكِّيا . . قبلت شهادتهما ، وإلا . . أمضيت ما قد ثبت عندي ، فامتنع أولـٰئك من الشهادة فزعاً ، ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً)[3] .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (١٠/ ٩٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٢١/ ٣٨) ، واسم ابن زكرويه : يحيىٰ .

(٢) أورد هـٰذا الخبر الطبري في « تاريخه » (١٠/ ٦٧) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٢١) في حوادث سنة (٢٨٥هـ) . وما بين معقوفين زيادة من (ب) .

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٦٣ـ ٦٤) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٨٠ ـ ٨١) ، وأبو خازم : هو عبد الحميد بن عبد العزيز .

[المعتضد وجاريته دريرة]

قال ابن حمدون النديم : (غرم المعتضد علىٰ عمارة البحيرة ستين ألف دينار ، وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته دُريرة ، فقال ابن بسام : [من مجزوء الرمل]

تـــرَكَ النـــاسَ بِحَيْـــرَةْ وتَخلَّـــىٰ فـــي البُحيـــرَةْ
قـــاعِـــداً يضـــربُ بـــالطَبْـــلِ علـــىٰ حِـــرِّ دُرَيـــرَةْ

فبلغ ذلك المعتضد ، فلم يظهر أنه بلغه ، ثم أمر بتخريب تلك العمارة)[١] .

ثم ماتت دُريرة في أيام المعتضد ، فجزع عليها جزعاً شديداً ، وقال يرثيها : [من مجزوء الرمل]

يـــا حَبيبـــاً لـــم يَكُـــن يَعْـــدلُـــه عِنـــدي حبيـــبُ
أنـــتَ عـــن عَينـــي بعيـــدٌ ومـــنَ القلـــبِ قَـــريـــبُ
ليـــسَ لـــي بعـــدَك فـــي شـــيءٍ مـــن اللَّهـــوِ نَصيـــبُ
لـــكَ مـــن قَلبـــي علـــىٰ قَلْـــبـــي وإن بِنْـــتَ رقيـــبُ
وخَيـــالٌ منـــكَ مُـــذ غِبْـــتَ خَيـــالٌ لا يَغيـــبُ
لـــو تَـــرانـــي كيـــفَ لـــي بَعْـــدك عَـــوْل ونَحيـــبُ
وفـــؤَادِي حَشْـــوه مِـــنْ حُـــرَق الحُـــزنِ لَهيـــبُ
لتَيقَّنـــتَ بـــأنّـــي فيـــكَ مَحـــزونٌ كئيـــبُ
مـــا أَرَىٰ نَفســـي وإن سَلَّـــيتَهـــا عنـــكَ تطيـــبُ
لـــي دمـــعٌ ليـــسَ يعصِيْـــنـــي وصبـــرٌ مـــا يُجيـــبُ

وقال بعضهم يمدح المعتضد ، وهي علىٰ جزء جزء : [من مشطور منهوك الرجز]

طَيـــفٌ أَلَـــمْ بِـــذِي سَلَـــمْ
بيـــنَ الخِيَـــمْ يَطـــوِي الأَكَـــمْ
جـــادَ بِفَـــمْ يَشفِـــي السَّقَـــمْ
ممـــنْ لَثَـــمْ ومُلتَـــزَمْ

---

(١) الخبر في « معجم الأدباء » (٤/ ١٨٦١) ، وابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر .

فيـــــه هَضَـــــمْ إذا يُضَــــــــــمْ

داوَى الأَلَـــــــمْ ثـــــمَّ انْصَـــــرَمْ

فلــــم أَنَــــــمْ شَـــوْقـــاً وهَــــمْ

اللَّـــــــومُ ذَمْ كـــمْ ثَــــمَّ كَــــمْ

يـــــومُ الأَصَــــمْ أحمـــــدُ لَــــمْ

كـــلُّ الثَّلَــــمْ ممـــا انْهَـــدَمْ

هـــوَ العَلَــــمْ والمُعتَصَـــــمْ

خيـــرُ النَّسَــــمْ خَـــالاً وعَـــمْ

حـــوَى الهِمَــمْ ومـــا احْتَلَــمْ

طَـــوْدٌ أَشَــــمْ سَمْـــحُ الشِّيَــمْ

جَـــلا الظُّلَــــمْ كـــالبَـــدْرِ تَــمْ

رعَـــى الـــذِّمَــمْ حَمَـــى الحَــرَمْ

فلـــم يُــؤَمْ خـــصَّ وعَـــمْ

بمـــا قَسَـــمْ لـــه النِّعَـــمْ

مـــع النِّقَـــمْ والخيـــرُ جَـــمْ

إذا ابْتَسَـــمْ والمَـــاءُ دَمْ

إذا انْتَقَــــمْ

[وفاة المعتضد ورثاؤه]

اعتل المعتضد في ربيع الآخر ، سنة تسع وثمانين علة صعبة ، وكان مزاجه قد تغير من كثرة إفراطه في الجماع ، ثم تماثل ، فقال ابن المعتز : [من المديد]

طـارَ قَلبـي بجَنَـاحِ الـوَجيـبِ جَـزَعـاً مـن حـادثـاتِ الخُطـوبِ

وحِــذَاراً أن يُشـــاكَ بســـوءٍ أسـدُ المُلْـكِ وسيـفُ الحُـروبِ

ثم انتكس ومات يوم الاثنين ، لثمان بقين منه(١) .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢١/ ٣٤) ، والبيتان في « ديوان ابن المعتز » (٢/ ٢٨٧) .

وحكى المسعودي قال : (شكُّوا في موت المعتضد ، فتقدَّم الطبيب وجسَّ نبضه ، ففتح عينيه ، ورفس الطبيب برجله ، فدحاه أذرعاً ، فمات الطبيب ، ثم مات المعتضد من ساعته)[1] .

ولما احتضر . أنشد[2] : [من الطويل]

تمتَّع من الدُّنيا فإنَّك لا تَبْقَىٰ ... وخذْ صَفوَها ما إن صَفَت ودَع الرَّنْقا[3]

ولا تأمَنَنَّ الدَّهرَ إنِّي أَمِنتُه ... فلم يُبقِ لي حَالاً ولم يَرْعَ لِيَ حقَّا

قتلتُ صناديدَ الرِّجالِ فلم أَدَعْ ... عدوّاً ولم أُمهل علىٰ ظِنَّة خَلْقا

وأخليتُ دُور الملكِ من كلِّ بازِلٍ ... وشتَّتُّهم غَرْباً ومزَّقتُهم شَرْقَا

فلما بلغتُ النَّجمَ عزّاً ورفعَةً ... ودانَتْ رقابُ الخَلْق أجمعُ لي رقَّا

رَمَاني الرَّدَىٰ سَهماً فأخمَدَ جَمْرتي ... فهٰأنَا ذا في حُفرَتي عاجلاً مُلْقَىٰ

فأفسدتُ دُنياي ودِيني سَفَاهةً ... فمَن ذا الذي منِّي بمصرعِه أَشْقَىٰ

فيا ليتَ شِعري بعدَ مَوتيَ ما أَرَىٰ ... إلىٰ نعمةٍ لله أم ناره أَلْقَىٰ

ومن شعر المعتضد[4] : [من المنسرح]

يا لاحِظي بالفتورِ والدَّعَجِ ... وقَاتِلي بالدَّلالِ والغَنَجِ

أَشكو إليكَ الذي لقيتُ من الْـ ... ـوجْدِ فهل لي إليكَ من فَرَجِ

حللْتَ بالطَّرفِ والجَمَال من النَّـ ... ـاس محل العيونِ والمُهَجِ

وله أنشد الصولي[5] : [من مجزوء الكامل]

لم يلْقَ من حَرِّ الفِرَاقِ ... أحدٌ كما أنَا منهُ لاقِ

يا سَائلي عن طَعمِهِ ... ألفيتُه مُرَّ المَذاقِ

جِسمي يذوبُ ومُقلتِي ... عَبْرَىٰ وقَلبِي ذو احتِرَاقِ

---

(١) مروج الذهب (٥/ ١٧٥) .

(٢) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٦٧ـ٦٨) .

(٣) الرَّنق : الكدر .

(٤) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٦٨) نقلاً عن الصولي .

(٥) الأبيات في كتاب « شذرات من كتب مفقودة في التاريخ » (٢/ ٤٢٢) نقلا عن كتاب « الأوراق » للصولي .

مـــا لـــي أليـــفٌ بعـــدَكُـــم ... إلا اكتِئـــابِـــي واشْتيـــاقِـــي
فـــالله يَحفظُكـــــم جميـ ... ـعـاً فـي مَقـامـي وانْطِـلاقـي

ولابن المعتز يرثيه[1] : [من البسيط]

يا دهرُ ويحكَ ما أبقيتَ لي أحَداً ... وأنـتَ والـدُ سـوءٍ تـأكـلُ الـوَلَـدَا
أستغفـرُ اللهَ بـلْ ذا كلُّـه قَـدَرٌ ... رضيـتُ بـاللهِ ربّـاً واحـداً صَمَـدَا
يا سَاكِنَ القبرِ في غبراءَ مظلمةٍ ... بـالظَّـاهـريَّـةِ مُقصَـى الـدارِ مُنفـرِدَا
أين الجيوشُ التي قد كنتَ تَسحبُها ... أين الكنوزُ التي أحصيتَها عدَدَا
أين السَّريرُ الذي قد كنتَ تَملؤه ... مهـابـةً مـن رأتـهُ عينُـه ارتعَـدَا
أين الأَعادي الأُلَىٰ ذلَّلْتَ مُصْعَبهم ... أيـن اللُّيـوثُ التي صَيَّـرتها بـدَدَا
أيـن الجيـادُ التـي حَجَّلتهـا بَـدم ... وكنَّ يحملْنَ منك الضَّيغَمَ الأسَدَا
أين الرِّماح التي غذيتها مُهَجاً ... مُذ متَّ ما ورَدَت قلباً ولا كَبدَا
أين الجِنانُ التي تَجري جَداوِلُها ... وتَستجيـبُ إليهـا الطـائـرَ الغَـرِدَا
أين الوَصائفُ كالغزلانِ رَائحةً ... يَسحَبْـن مـن حُلـلٍ مُـوشيـةٍ جُـدَدَا
أين المَلاهي وأينَ الرَّاحُ تَحسبُها ... يـاقـوتـةً كُسِيـتْ مـن فضـةٍ زَرَدا
أين الوَثوبُ إلى الأعداءِ مُبتغياً ... صلاحَ مُلْكِ بني العباسِ إذ فسَدَا
ما زلتَ تقسِرُ منهم كلَّ قَسوَرَةٍ ... وتُحبـطُ العـالـي الجبَّـارَ مُعتمِـدَا
ثـمَّ انقضيـتَ فـلا عيـنٌ ولا أثَـرٌ ... حتىٰ كأنَّكَ يوماً لم تكُن أحَدَا

[من مات في عهده]

مات في أيام المعتضد من الأعلام : ابن المواز المالكي ، وابن أبي الدنيا ، وإسماعيل القاضي ، والحارث بن أبي أسامة ، وأبو العيناء ، والمبرد ، وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفية ، والبحتري الشاعر ، وخلائق آخرون .

وخلف المعتضد من الأولاد : أربعة ذكور ، ومن البنات إحدىٰ عشرة .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢/ ٢٩٣) .

خلافة المكتفي بالله

[٢٨٩ـ٢٩٥هـ][١]

أبو محمد علي بن المعتضد ، ولد في غرة ربيع الآخر ، سنة أربع وستين ومئتين ، وأمه : تركية ، اسمها : جيجك ، وكان يضرب بحسنه المثل ، حتىٰ قال بعضهم[٢] : [من الكامل]

قايستُ بين جَمالِها وفِعَالِها ... فإذا الملاحةُ بالخيانةِ لا تَفِي
واللهِ لا كلَّمتُها ولو أنَّها ... كالشمسِ أو كالبَدرِ أو كالمُكتَفِي

وعهد له أبوه ، فبويع في مرضه يوم الجمعة بعد العصر ، لإحدىٰ عشرة بقيت من ربيع الآخر ، سنة تسع وثمانين .

قال الصولي : (وليس في الخلفاء من اسمه علي إلا هو وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا من يكنىٰ أبا محمد سوى الحسن بن علي ، والهادي ، والمكتفي) .

ولما بويع له عند موت أبيه . . كان غائباً بالرقة ، فنهض بأعباء البيعة الوزير أبو الحسين القاسم بن عبيد الله ، وكتب له ، فوافىٰ بغداد في سابع جمادى الأولىٰ ، ومر بدجلة في سمارية[٣] ، وكان يوماً عظيماً ، وسقط أبو عمر القاضي من الزحمة في الجسر ، وأُخرج سالماً .

ونزل المكتفي بدار الخلافة ، وقالت الشعراء ، وخلع على القاسم الوزير سبع

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١٠/١٣٨) ، و« مروج الذهب » (٥/١٧٦) ، و« تاريخ بغداد » (١١/٣١٦) ، و« المنتظم » (١٣/٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٢/٢٠٤) ، و« فوات الوفيات » (٣/٥) ، و« البداية والنهاية » (١١/١٠٤) .

(٢) نسب البيتان لابن السراج محمد بن السري ؛ كما في « مرآة الجنان » (١/٣٢٣) ، و« المحمدون من الشعراء » (ص ٤٧٠) ، و« وفيات الأعيان » (٤/٣٤٠) ، وقيل : هي لابن المعتز كما في « ثمار القلوب » (١/٣١٦) ، و« فوات الوفيات » (٣/٦) .

(٣) السميرية : ضرب من السفن ، والعامة تقول : سمارية .

خلع ، وهدم المطامير التي اتخذها أبوه ، وصيَّرها مساجد ، وأمر بردِّ البساتين والحوانيت التي أخذها أبوه من الناس ؛ ليعملها قصراً إلىٰ أهلها ، وسار سيرة جميلة ، فأحبه الناس ودعوا له[1] .

* * *

وفي هـٰذه السنة : زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أياماً[2] .

وفيها : هبت ريحٌ عظيمةٌ بالبصرة قلعت عامة نخلها ، ولم يسمع بمثل ذلك[3] .

[خروج ابن زكرويه القرمطي وأخيه وابن عمه وقتلهم]

وفيها : خرج يحيى بن زكرويه القرمطي ، فاستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة إلىٰ أن قُتل في سنة تسعين ، فقام عوضه أخوه الحسين ، وأظهر شامة في وجهه زعم أنها آيته ، وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه ، وزعم أن لقبه المدَّثر ، وأنه المعني في السورة ، ولقب غلاماً له المطوَّق بالنور ، وظهر على الشام وعاث وأفسد ، وتسمىٰ أمير المؤمنين المهدي ، ودعي له على المنابر ، ثم قتل الثلاثة في سنة إحدىٰ وتسعين[4] .

وفي هـٰذه السنة : فتحت أَنْطاليَة ـ باللام ـ من بلاد الروم عنوة ، وغنم منها ما لا يحصىٰ من الأموال[5] .

* * *

وفي سنة اثنتين : زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتىٰ خربت بغداد ، وبلغت الزيادة إحدىٰ وعشرين ذراعاً[6] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢١/٣٦) ، والمطامير : جمع مطمورة ؛ وهي السجن .
(٢) تاريخ الإسلام (٢١/٣٧) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢١/٣٨) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (١٠/ ٩٤ـ٩٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢١/٣٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٢/٦ـ٧) .
(٦) تاريخ الإسلام (٢٢/١٠) .

ومن شعر الصولي يمدح المكتفي ويذكر القرمطي : [من مجزوء الخفيف]

كُفِـــي المُكتفـــي الخلَيْـ ـفـةُ مـا كـانَ قـد حـذِرْ

إلىٰ أن قال :

آلَ عبَّـــاسِ أنتُـــمُ ســـادةُ النَّـــاسِ والغُـــرَرْ

حكَـــمَ اللهُ أنَّكـــمْ حُكمـــاءُ علـــى البشَـــرْ

وأُولـــو الأمـــرِ منكـــمُ صفـــوةُ الله والخِيَـــرْ

مَـــن رَأَىٰ أن مُـــؤمنـــاً مَـــن عَصَـاكُـم فقـد كَفَـرْ

أنـــزلَ الله ذَاكـــمُ قبـلُ فـــي مُحكـم السُّـوَرْ

[وفاة المكتفي]

قال الصولي : (سمعت المكتفي يقول في علته : والله ؛ ما آسىٰ إلا علىٰ سبع مئة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت إليها ، وكنت مستغنياً عنها ، أخاف أن أسأل عنها ، وإني أستغفر الله منها) .

مات المكتفي شاباً في ليلة الأحد ، لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة ، سنة خمس وتسعين ، وخلَّف ثمانية أولاد ذكور ، وثمانية إناث .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وثعلب إمام العربية ، وقُنبل المقرىء ، وأبو عبد الله البُوشَنْجي الفقيه ، والبزار صاحب « المسند » ، وأبو مسلم الكَجِّي ، والقاضي أبو خازم ، وصالح جَزَرة ، ومحمد بن نصر المَرْوَزي الإمام ، وأبو الحسين النوري شيخ الصوفية ، وأبو جعفر الترمذي شيخ الشافعية بالعراق .

[تأخر وفاة ابن أبي الدنيا إلىٰ أيام المكتفي]

ورأيت في « تاريخ نيسابور » لعبد الغافر : عن ابن أبي الدنيا قال : (لما أفضَتِ الخلافة إلى المكتفي . . كتبت إليه بيتين : [من الخفيف]

إن حــقَّ التَّــأديــبِ حــقُّ الأُبــوَّةْ عنـدَ أهـلِ الحِجَـا وأهـلِ المُـروَّةْ
وأحــقُّ الــرِّجــال أن يَحفظـوا ذا كَ ويَــرعــوه أهــلُ بيــتِ النُّبــوَّةْ

قال : فحمل إليَّ عشرة آلاف درهم)[1] .

وهٰذا يدل علىٰ تأخر ابن أبي الدنيا إلىٰ أيام المكتفي .

---

(١) انظر « المنتخب من السياق » (ص٦٤) .

خلافة المقتدر بالله

[٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ][1]

أبو الفضل ، جعفر بن المعتضد ، ولد في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومئتين ، وأمه : رومية ، وقيل : تركية ، اسمها : غريب ، وقيل : شغب ، ولما اشتدت علة المكتفي أخيه . . سأل عنه فصح عنده أنه احتلم ، فعهد إليه ، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ؛ فإنه وليها وله ثلاث عشرة سنة .

فاستصباه الوزير العباس بن الحسن ، فعمل علىٰ خلعه ، ووافقه جماعة علىٰ أن يولوا عبد الله بن المعتز ، فأجاب ابن المعتز بشرط ألا يكون فيها دم ، فبلغ المقتدر ذلك ، فأصلح حال العباس ، ودفع إليه أموالاً أرضته ، فرجع عن ذلك .

[خلع المقتدر وبيعة ابن المعتز]

وأما الباقون . . فإنهم ركبوا في العشرين من ربيع الأول ، سنة ست والمقتدر يلعب الأُكْرة ، فهرب ودخل ، وأغلقت الأبواب ، وقُتل الوزير وجماعة ، وأرسل إلى ابن المعتز ، فجاء وحضر القواد والقضاة والأعيان ، وبايعوه بالخلافة ولقبوه : الغالب بالله ، واستوزر محمد بن داوود بن الجراح ، واستقضىٰ أبا المثنىٰ أحمد بن يعقوب ، ونفذت الكتب بخلافة ابن المعتز[2] .

قال المعافَى بن زكريا الجَرِيْري : (لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز . . دخلوا علىٰ شيخنا محمد بن جرير الطبري ، فقال : ما الخبر ؟ قيل : بويع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ قيل : محمد بن داوود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : أبو المثنىٰ .

---

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٥/١٩٣) ، و« تاريخ بغداد » (٧/٢١٣) ، و« المنتظم » (١٣/٥٩) ، و« الكامل » (٦/٧٦٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٣/٦٠٣) ، و« فوات الوفيات » (١/٢٨٤) ، و« البداية والنهاية » (١١/١٦٩) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢/٢٠ـ٢٤) ، والأُكْرة : لغية في الكرة .

فأطرق ثم قال : هـٰذا أمر لا يتم ، قيل له : وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سميتم متقدمٌ في معناه ، عالي الرتبة ، والزمان مدبر ، والدنيا مولية ، وما أرىٰ هـٰذا إلا إلى اضمحلال ، وما أرىٰ لمدته طولاً)[١] .

[حبس ابن المعتز واستقامة الأمر للمقتدر]

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالانصراف إلىٰ دار محمد بن طاهر ؛ لكي ينتقل ابن المعتز إلىٰ دار الخلافة ، فأجاب ولم يكن بقي معه إلا طائفة يسيرة ، فقالوا : يا قوم ؛ نسلم هـٰذا الأمر ، ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا ؟!

فلبسوا السلاح ، وقصدوا المُخَرِّم وبه ابن المعتز ، فلما رآهم مَن حوله.. ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فانصرفوا منهزمين بلا قتال ، وهرب ابن المعتز ووزيره وقاضيه ، ووقع النهب والقتل في بغداد ، وقبض المقتدر على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه وسُلِّموا إلىٰ مُؤنس الخازن ، فقتلهم إلا أربعة ؛ منهم : القاضي أبو عمر[٢] ؛ فإنهم سلموا من القتل .

وحُبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعد ميتاً ، واستقام الأمر للمقتدر ، فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، فسار أحسن سيرة ، وكشف المظالم ، وحض المقتدر على العدل ، ففوض إليه الأمور ؛ لصغره ، واشتغل باللعب واللهو ، وأتلف الخزائن[٣] .

[خروج المهدي بالمغرب وبدء النقص على العباسيين]

وفي هـٰذه السنة : أمر المقتدر ألا يستخدم اليهود والنصارىٰ ، وأن يركبوا بالأُكُف[٤] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٢/ ٢٤ـ ٢٥) .
(٢) هو محمد بن يوسف .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٢/ ٢٥ـ ٢٧) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٢/ ٢٧) .

وفيها : غلب أمر المهدي بالمغرب ، وسُلِّم عليه بالإمامة ، ودُعي له بالخلافة ، وبسط في الناس العدل والإحسان ، فانحرفوا إليه ، وتمهدت له المغرب وعظم ملكه ، وبنى المهدية ، وهرب أمير إفريقية زيادة الله بن الأغلب إلىٰ مصر ، ثم أتى العراق ، وخرجت المغرب عن أمر بني العباس من هٰذا التاريخ[1] .

فكانت مدة ملكهم جميع الممالك الإسلامية مئة وبضعاً وستين سنة ، ومن هنا دخل النقص عليهم .

قال الذهبي : (اختل النظام كثيراً في أيام المقتدر ؛ لصغره)[2] .

وفي سنة ثلاث مئة : ساخ جبل بالدِّينَوَر في الأرض ، وخرج من تحته ماء كثير غرَّق القرىٰ[3] .

وفيها : ولدت بغلة فلواً ، فسبحان القادر علىٰ ما يشاء[4] .

وفي سنة إحدىٰ وثلاث مئة : ولي الوزارة علي بن عيسىٰ ، فسار بعفة وعدل وتقوىٰ ، وأبطل الخمور ، وأبطل من المكوس ما ارتفاعه في العام خمس مئة ألف دينار[5] .

وفيها : أعيد القاضي أبو عمر إلى القضاء[6] .

وركب المقتدر من داره إلى الشَّماسية ، وهي أول ركبة ظَهَر فيها للعامة[7] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢/ ٢٨ـ ٣٠) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٦٠٤) .
(٣) الأوراق (١/ ١٥٧) ، والمنتظم (٦/ ١١٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٢/ ٣٨) .
(٤) الأوراق (١/ ١٥٧) ، والمنتظم (٦/ ١١٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٢/ ٣٨) ، والفلوّ : المهر .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٧) .
(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٨) ، وأبو عمر : هو محمد بن يوسف .
(٧) المنتظم (٦/ ١٢١) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٨) .

وفيها : أدخل الحسين الحلاج مشهوراً علىٰ جمل إلىٰ بغداد ، فصلب حياً ، ونودي عليه : هـٰذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، ثم حبس إلىٰ أن قتل في سنة تسع ، وأشيع عنه أنه ادعى الإلـٰهية ، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف ، ويكتب إلىٰ أصحابه : (من النور الشعشعاني) ونوظر فلم يوجد عنده شيء من القرآن ولا الحديث ولا الفقه[١] .

وفيها : سار المهدي الفاطمي يريد مصر في أربعين ألفاً من البربر ، فحال النيل بينه وبينها ، فرجع إلى الإسكندرية وأفسد فيها وقتَل ، ثم رجع فسار إليه جيش المقتدر إلىٰ بَرْقة ، وجرت لهم حروب ، ثم ملك الفاطمي الإسكندرية والفيوم من هـٰذا العام[٢] .

وفي سنة اثنتين : ختن المقتدر خمسة من أولاده ، فغرم علىٰ ختانهم ست مئة ألف دينار ، وختن معهم طائفة من الأيتام ، وأحسن إليهم[٣] .

وفيها : صُلِّي العيد في جامع مصر ، ولم يكن يصلىٰ فيه العيد قبل ذلك ، فخطب بالناس علي ابن أبي شيخة من الكتاب نظراً ، وكان من غلطه أن قال : (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون)[٤] .

وفيها : أسلم الديلم علىٰ يد الحسن بن علي العلوي الأطروش ، وكانوا مجوساً[٥] .

* * *

وفي سنة أربع : وقع الخوف ببغداد من حيوان يقال له : الزَّبْزَب ، ذكر الناس : أنهم يرونه بالليل على الأسطحة ، وأنه يأكل الأطفال ، ويقطع ثدي

---

(١) المنتظم (٦/ ١٢٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٨ـ ٩) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ١١ـ ١٢) .
(٣) المنتظم (٦/ ١٢٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ١٤) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٣/ ١٧) ، وعلي : هو ابن أحمد بن أبي شيخة .
(٥) الكامل (٨/ ٨١) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ١٥ـ ١٦) .

المرأة ، فكانوا يتحارسون ويضربون بالطاسات ليهرب ، واتخذ الناس لأطفالهم مكاب ، ودام عدة ليال[1] .

وفي سنة خمس : قدمت رسل ملك الروم بهدايا وطلب عقد هدنة ، فعمل المقتدر موكباً عظيماً ، فأقام العساكر وصفهم بالسلاح ؛ وهم مئة وستون ألفاً ، من باب الشَّماسية إلىٰ دار الخلافة ، وبعدهم الخدام ؛ وهم سبعة آلاف خادم ، ويليهم الحجاب ؛ وهم سبع مئة حاجب ، وكانت الستور التي نصبت علىٰ حيطان دار الخلافة : ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج ، والبسط : اثنان وعشرون ألفاً ، وفي الحضرة : مئة سَبُعٍ في السلاسل . . . إلىٰ غير ذلك[2] .

وفي هـٰذه السنة : وردت هدايا صاحب عمان ؛ وفيها طير أسود يتكلم بالفارسية وبالهندية أفصح من الببغاء[3] .

وفي سنة ست : فتح مارستان أم المقتدر ، وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار[4] .

وفيها : صار الأمر والنهي لحرم الخليفة ولنسائه ؛ لركاكته ، وآل الأمر إلىٰ أن أمرت أم المقتدر ثمل القهرمانة أن تجلس للمظالم، وتنظر في رقاع الناس كل جمعة، فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان ، وتبرز التواقيع وعليها خطها[5] .

وفيها : عاد القائم محمد بن المهدي الفاطمي إلىٰ مصر فأخذ أكثر الصعيد[6] .

---

(١) المنتظم (٦/ ١٣٩) ، والكامل (٨/ ١٠٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٢١) ، والزبزب : دابة كالسنور ، تأخذ الصبيان من المهود ، وهو حيوان أبلق بسواد قصير اليدين والرجلين .
(٢) كتاب الأوراق (١/ ١٩٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٣) .
(٣) المنتظم (٦/ ١٤٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٤) .
(٤) المنتظم (٦/ ١٤٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٥) .
(٥) المنتظم (٦/ ١٤٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٦) .
(٦) الكامل (٨/ ١١٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٧) .

وفي سنة ثمان : غلت الأسعار ببغداد ، وشغبت العامة ؛ لكون حامد بن العباس ضمن السواد ، وجدد المظالم ، ووقع النهب ، وركب الجند فهاوشتهم العامة ، ودام القتال أياماً ، وأحرق العامة الجسر ، وفتحوا السجون ، ونهبوا الناس ، ورجموا الوزير ، واختلت أحوال الدولة العباسية جداً[١] .

وفيها : ملكت جيوش القائم الجزيرة من الفسطاط ، واشتد قلق أهل مصر ، وتأهبوا للهروب ، وجرت أمور وحروب يطول شرحها[٢] .

وفي سنة تسع : قُتل الحلاج بإفتاء القاضي أبي عمر والفقهاء والعلماء : أنه حلال الدم ، وله في أحواله السنية أخبار أفردها الناس بالتصنيف[٣] .

وفي سنة إحدىٰ عشرة : أمر المقتدر برد المواريث إلىٰ ما صيرها المعتضد من توريث ذوي الأرحام .

وفي سنة ثنتي عشرة : فتحت فَرْغانة علىٰ يد والي خراسان[٤] .

وفي سنة أربع عشرة : دخلت الروم مَلَطْية بالسيف[٥] .

وفيها : جمدت دجلة بالموصل وعبرت عليها الدواب ، وهٰذا لم يعهد[٦] .

---

(١) المنتظم (٦/ ١٥٦) ، والكامل (٨/ ١١٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٠) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣١) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٣٣ـ ٤٦) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٥٥) .
(٥) الكامل (٨/ ١٦٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٥٨) .
(٦) الكامل (٨/ ١٦٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٥٨) .

وفي سنة خمس عشرة : دخلت الروم سُمَيساط[١] ، وأخذوا من فيها وما فيها ، وضربوا الناقوس في جامعها[٢] .

وفيها : ظهرت الديلم على الري والجبال ، فقُتل خلق وذُبحت الأطفال[٣] .

وفي سنة ست عشرة : بنى القرمطي داراً سماها دار الهجرة ، وكان في هٰذه السنين قد كثر فساده ، وأخذه البلاد ، وفتكه بالمسلمين ، واشتد الخطب به ، وتمكنت هيبته من القلوب ، وكثر أتباعه ، وبث السرايا وتزلزل له الخليفة ، وهزم جيش المقتدر غير مرة ، وانقطع الحج في هٰذه السنين خوفاً من القرامطة ، ونزح أهل مكة عنها ، وقصدت الروم ناحية خِلاط ، وأخرجوا المنبر من جامعها ، وجعلوا الصليب مكانه[٤] .

[خروج مؤنس الخادم على الخليفة وما جرىٰ بينهما]

وفي سنة سبع عشرة : خرج مؤنس الخادم الملقب بالمظفر على المقتدر ؛ لكونه بلغه أنه يريد أن يولِّي إمرة الأمراء هارون بن غريب مكان مؤنس ، وركب معه سائر الجيش والأمراء والجنود ، وجاؤوا إلىٰ دار الخلافة ، فهربت خواص المقتدر ، وأخرج المقتدر بعد العشاء ـ وذلك ليلة رابع عشر المحرم ـ من داره وأمه وخالته وحرمه ، ونُهب لأمه ست مئة ألف دينار .

وأشهد علىٰ نفسه بالخلع ، وأحضر محمد بن المعتضد ، وبايعه مؤنس والأمراء ، ولقبوه : القاهر بالله ، وفوضت الوزارة إلىٰ أبي علي بن مقلة ، وذلك يوم السبت .

---

(١) في (أ) : (ضمياط) ، وفي (ج) : (دمياط) ، وفي (ب) : (صمشاط) ، وفي (و ، د ، هـ) : (صميساط) ، والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر « معجم البلدان » (٣/ ٢٥٨) .

(٢) الخبر في « المنتظم » (٦/ ٢٠٥) ، و« الكامل » (٨/ ١٦٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٣٦١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

وجلس القاهر بالله يوم الأحد ، وكتب الوزير عنه إلى البلاد ، وعمل الموكب يوم الاثنين ، فجاء العسكر يطلبون رزق البيعة ورزق سنة ، ولم يكن مؤنس حاضراً ، فارتفعت الأصوات ، فقتلوا الحاجب ، ومالوا إلىٰ دار مؤنس يطلبون المقتدر ؛ ليردوه إلى الخلافة ، فحملوه علىٰ أعناقهم من دار مؤنس إلىٰ قصر الخلافة ، وأُخذ القاهر ، فجيء به وهو يبكي ويقول : الله الله في نفسي ، فاستدناه وقبله ، وقال له : (يا أخي ؛ أنت والله لا ذنب لك ، والله ؛ لا جرىٰ عليك مني سوء أبداً ، فَطِب نفساً) وسكن الناس ، وعاد الوزير ، فكتب إلى الأقاليم بعود الخليفة إلىٰ خلافته ، وبذل المقتدر الأموال في الجند[1] .

[هجوم القرامطة على الحجيج وسرقة الحجر]

وفي هـٰذه السنة : سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي ، فوصلوا إلىٰ مكة سالمين ، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي ، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً ، وطرح القتلىٰ في بئر زمزم ، وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ، ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوماً ، ثم رحلوا وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة ، ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا ، حتىٰ أعيد في خلافة المطيع[2] .

وقيل : إنهم لما أخذوه . . هلك تحته أربعون جملاً من مكة إلىٰ هجر ، فلما أعيد . . حُمل علىٰ قعود هزيل فسمن[3] .

قال محمد بن الربيع بن سليمان : (كنت بمكة سنة القرامطة ، فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه ، فعيل صبري وقلت : يا رب ؛ ما أحلمك ! فسقط الرجل علىٰ دماغه ، فمات)[4] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧) .
(٢) المنتظم (٦/ ٢٢٢ـ ٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨٣) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٨١) .
(٤) المنتظم (٦/ ٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٨٣) .

وصعد القرمطي علىٰ باب الكعبة وهو يقول : [من الرمل]

أنـــا بـــالله وبـــالله أنـــا يخلـــق الخلـــق وأفنيهـــم أنـــا[1]

ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعدها ، وتقطع جسده بالجدري[2] .

وفي هٰذه السنة : هاجت فتنة كبرىٰ ببغداد بسبب قوله تعالىٰ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ فقالت الحنابلة : معناه : يقعده الله علىٰ عرشه ، وقال غيرهم : بل هي الشفاعة ، ودام الخصام ، واقتتلوا حتىٰ قُتل جماعة كثيرة[3] .

وفي سنة تسع عشرة : نزل القرمطي الكوفة ، وخاف أهل بغداد من دخوله إليها ، فاستغاثوا ورفعوا المصاحف ، وسبوا المقتدر[4] .

وفيها : دخلت الديلم الدِّينَوَر فسبوا وقتلوا[5] .

[خروج مؤنس ثانية وقتل المقتدر]

وفي سنة عشرين : ركب مؤنس على المقتدر ، وكان معظم جند مؤنس البربر ، فلما التقى الجمعان . . رمىٰ بربري المقتدر بحربة سقط منها إلى الأرض ، ثم ذبحه بالسيف ، وشيل رأسه علىٰ رمح ، وسلب ما عليه ، وبقي مكشوف العورة حتىٰ ستر بالحشيش ، ثم حفر له في الموضع ودفن ، وذلك يوم الأربعاء ، لثلاث بقين من شوال[6] .

وقيل : (إن وزيره أخذ له ذلك اليوم طالعاً ، فقال له المقتدر : أيُّ وقت

---

(١) العبر (٢/ ١٧٤) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٨٥) .
(٣) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٨٤) .
(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٣٩١ـ ٣٩٢) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٩١) .
(٦) المنتظم (٦/ ٢٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٩٥ـ ٣٩٦) .

هو ؟ قال : وقت الزوال ، فتطيَّر وهمَّ بالرجوع ، فأشرفت خيل مؤنس ، ونشبت الحرب .

وأما البربري الذي قتله . . فإن الناس صاحوا عليه ، فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر ، فصادفه حِمل شوك ، فزحمه إلىٰ قنار لحام فعلقه كُلَّاب[1] ، وخرج الفرس في مشواره من تحته فمات ، فحطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك)[2] .

وكان المقتدر جيد العقل ، صحيح الرأي ؛ لـٰكنه كان مؤثراً للشهوات والشرب[3] ، مبذراً ، وكان النساء غلبن عليه ، فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها ، وأعطىٰ بعض حظاياه الدرة اليتيمة ، ووزنها ثلاثة مثاقيل ، وأعطىٰ زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها ، وأتلف أموالاً كثيرة .

وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان ، غير الصقالبة والروم والسود ، وخلف اثني عشر ولداً ذكراً[4] .

[ذكر أكثر الخلفاء تولية لأولاده]

وولي الخلافة من أولاده ثلاثة : الراضي والمتقي والمطيع ، وكذلك اتفق للمتوكل وللرشيد ، وأما عبد الملك . . فولي الأمر من أولاده أربعة ، ولا نظير لذلك إلا في الملوك ، كذا قال الذهبي[5] .

قلت : في زماننا ولي الخلافة من أولاد المتوكل خمسة : المستعين العباس ، والمعتضد داوود ، والمستكفي سليمان ، والقائم حمزة ، والمستنجد يوسف ، ولا نظير لذلك .

---

(١) القِنَّار : الخشبة يعلق عليها القصاب اللحم .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٩٦ـ ٣٩٧) نقلاً عن الصولي .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٦٠٤) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٩٧ـ ٣٩٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٦٠٤ـ ٦٠٥) .

[نـادِرَة]

[فيمن اسمه جعفر من الخلفاء]

وفي « لطائف المعارف » للثعالبي : (نادرة : لم يلِ الخلافة من اسمه جعفر إلا المتوكل والمقتدر ، فقتلا جميعاً ؛ المتوكل ليلة الأربعاء ، والمقتدر يوم الأربعاء)[1] .

ومن محاسن المقتدر

ما حكاه ابن شاهين : (أن وزيره علي بن عيسىٰ أراد أن يصلح بين ابن صاعد وبين أبي بكر بن أبي داوود السجستاني ، فقال الوزير : يا أبا بكر ؛ أبو محمد أكبر منك ، فلو قمت إليه ؟ قال : لا أفعل .

فقال الوزير : أنت شيخ زيف ، فقال ابن أبي داوود : الشيخ الزيف الكذاب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال الوزير : من الكذاب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هـٰذا ، ثم قام ابن أبي داوود ، وقال : تتوهم أني أذل لك لأجل أن رزقي يصل إليَّ علىٰ يديك ، والله ؛ لا أخذت من يدك شيئاً أبداً ، فبلغ المقتدر ذلك ، فصار يزن رزقه بيده ، ويبعث به في طبق علىٰ يد الخادم)[2] .

[من مات في عهده]

مات في أيام المقتدر من الأعلام : محمد بن داوود الظاهري ، ويوسف بن يعقوب القاضي ، وابن سُريج شيخ الشافعية ، والجنيد شيخ الصوفية ، وأبو عثمان الحيري الزاهد ، وأبو بكر البَرْديجي ، وجعفر الفريابي ، وابن بسام الشاعر ، والنسائي صاحب « السنن » ، والحسن بن سفيان صاحب « السنن » ،

---

(١) لطائف المعارف (ص٨٨) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٧٠) .

والجُبَّائي شيخ المعتزلة ، ويموت بن المزرَّع النحوي ، وابن الجلاَّء شيخ الصوفية ، وأبو يعلى الموصلي صاحب « المسند » ، والأُشْناني المقرىء ، وابن سيف من كبار قراء مصر ، وأبو بكر الرُّوياني صاحب « المسند » ، وابن المنذر الإمام ، وابن جرير الطبري ، والزجاج النحوي ، وابن خزيمة ، وابن زكريا الطبيب ، والأخفش الصغير ، وبُنَان الحمال ، وأبو بكر بن أبي داوود السجستاني ، وابن السَّرَّاج النحوي ، وأبو عَوانة صاحب « الصحيح » ، وأبو القاسم البَغوي المسند ، وأبو عبيد بن حَرْبَويه ، والكعبي شيخ المعتزلة ، وأبو عمر القاضي ، وقدامة الكاتب ، وخلائق آخرون .

خلافة القاهر بالله

[٣٢٠ـ٣٢٢هـ][1]

أبو منصور ، محمد بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ، أمه : أم ولد ، اسمها : فتنة .

لما قتل المقتدر . . أحضر هو ومحمد بن المكتفي ، فسألوا ابن المكتفي أن يتولىٰ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، وعمي هـٰذا أحق به ، فكلم القاهر فأجاب ، فبويع ولقب : القاهر بالله ، كما لقب به في سنة سبع عشرة[2] .

فأول ما فَعَل أن صادر آل المقتدر وعذبهم ، وضرب أم المقتدر حتىٰ ماتت في العذاب[3] .

[احتيال القاهر على الخارجين عليه وذبحهم]

وفي سنة إحدىٰ وعشرين : شغب عليه الجند ، واتفق مؤنس وابن مقلة وآخرون علىٰ خلعه بابن المكتفي ، فتحيل القاهر عليهم إلىٰ أن أمسكهم وذبحهم ، وطين على ابن المكتفي بين حيطين .

وأما ابن مقلة . . فاختفىٰ فأحرقت داره ، ونهبت دور المخالفين ، ثم أطلق أرزاق الجند فسكنوا ، واستقام الأمر للقاهر ، وعظم في القلوب ، وزيد في ألقابه : المنتقم من أعداء دين الله ، ونقش ذلك على السكة[4] .

وفي هـٰذه السنة : أمر بتحريم القيان والخمر ، وقبض على المغنين ، ونفى

---

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٥/ ٢١٠) ، و« تاريخ بغداد » (١/ ٣٣٩) ، و« المنتظم » (١٣/ ٣٠٥) ، و« الكامل » (٨/ ٢٧٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥/ ١٧٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٩٩) .

(٣) المنتظم (٦/ ٢٥٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٩٩) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٥ـ٩) .

المخانيث ، وكسر آلات اللهو ، وأمر ببيع المغنيات من الجواري علىٰ أنهن سواذج ، وكان مع ذلك لا يصحو من السكر ، ولا يفتر عن سماع الغناء(١) .

[ظهور ابن بويه واستيلاؤه علىٰ بلاد فارس]

وفي سنة اثنتين وعشرين : ظهرت الديلم ؛ وذلك لأن أصحاب مَرْداويج دخلوا أصبهان ، وكان من قواده علي بن بويه ، فاقتطع مالاً جليلاً ، فانفرد عن مخدومه ، ثم التقىٰ هو ومحمد بن ياقوت نائب الخليفة ، فهزم محمد ، واستولى ابن بويه علىٰ فارس ، وكان بويه فقيراً صعلوكاً يصيد السمك ، رأىٰ كأنه بال فخرج من ذكره عمود نار ، ثم تشعب العمود حتىٰ ملأ الدنيا ، فعبرت : بأن أولاده يملكون الدنيا ، ويبلغ سلطانهم علىٰ قدر ما احتوت عليه النار .

فمضت السنون ، وآل أمر علي هـٰذا إلىٰ أن صار قائداً لمرداويج بن زياد الديلمي ، فأرسله يستخرج له مالاً من الكرخ ، فاستخرج خمس مئة ألف درهم ، وأتىٰ همذان ليملكها ، فغلق أهلها في وجهه الأبواب ، فقاتلهم وفتحها عنوة ، وقتل خلقاً ، ثم صار إلىٰ شيراز .

ثم إنه قل ما عنده ، فنام علىٰ ظهره فخرجت حية من سقف المجلس ، فأمر بنقضه فخرجت صناديق ملأىٰ ذهباً ، فأنفقها في جنده .

وطلب خياطاً يخيط له شيئاً ، وكان أُطرُوشاً(٢) ، فظن أنه قد سُعي به ، فقال : والله ؛ ما عندي سوى اثني عشر صندوقاً ، لا أعلم ما فيها ، فأحضرت فوجد فيها مالاً عظيماً .

وركب يوماً فساخت قوائم فرسه ، فحفروه فوجدوا فيه كنزاً ، واستولىٰ على البلاد ، وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة(٣) .

وفي هـٰذه السنة : قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل النُّوبَختي الذي قد كان أشار

---

(١) الكامل (٨/ ٢٧٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٩) .

(٢) الأُطرُوش : الأصمّ .

(٣) انظر « المنتظم » (١٣/ ٣٤٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٤/ ١٢ـ ١٤) .

بخلافة القاهر ؛ ألقاه علىٰ رأسه في بئر وطمت ؛ وذَنْبه : أنه زايد القاهر قبل الخلافة في جارية واشتراها ، فحقد عليه[1] .

[الخروج على القاهر وسمل عينيه]

وفيها : تحرك الجند عليه ؛ لأن ابن مقلة في اختفائه كان يوحشهم منه ، ويقول لهم : (إنه بنىٰ لكم المطامير ليحبسكم) وغير ذلك ، فاجتمعوا على الفتك به ، فدخلوا عليه بالسيوف فهرب ، فأدركوه وقبضوا عليه في سادس جمادى الآخرة .

وبايعوا أبا العباس محمد بن المقتدر ، ولقبوه : الراضي بالله ، ثم أرسلوا إلى القاهر الوزير والقضاة : أبا الحسين بن القاضي أبي عمر ، والحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب ، وأبا طالب بن البهلول ، فجاؤوه فقيل له : (ما تقول ؟ قال : أنا أبو منصور محمد بن المعتضد ، لي في أعناقكم بيعة وفي أعناق الناس ، ولست أبرئكم ولا أحلكم منها فقوموا ، فقاموا فقال الوزير : يخلع ولا يفكَّر فيه ، أفعاله مشهورة ، قال القاضي أبو الحسين : فدخلت على الراضي وأعدت ما جرىٰ ، وأعلمته أني أرىٰ إمامته فَرْضاً ، فقال : انصرف ودعني وإياه ، فأشار سِيما مقدم الحجرية على الراضي بسمله ، فكحله بمسمار محمىً)[2] .

قال محمود الأصبهاني : (كان سبب خلع القاهر : سوء سيرته وسفكه الدماء ، فامتنع من الخلع ، فسملوا عينيه حتىٰ سالتا علىٰ خديه)[3] .

وقال الصولي : (كان أهوج ، سفاكاً للدماء ، قبيح السيرة ، كثير التلون

---

(١) الكامل (٨/ ٢٦١) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ١٤) .
(٢) الكامل (٨/ ٢٧٩ـ٢٨١) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ١٥ ـ ١٧) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/ ١٧) .

والاستحالة ، مدمن الخمر ، ولولا جودة حاجبه سلامة . . لأهلك الحرث والنسل)[١] .

وكان قد صنع حربة يحملها ، فلا يطرحها حتىٰ يقتل بها إنساناً[٢] .

[القاهر يسأل عن أخلاق خلفاء العباسيين]

قال محمد بن علي الخراساني : (أحضرني القاهر يوماً والحربة بين يديه فقال : أسألك عن خلفاء بني العباس في أخلاقهم وشيمهم ، قلت : أما السفاح . . فكان مسارعاً إلىٰ سفك الدماء ، واتبعه عُماله علىٰ مثل ذلك ، وكان مع ذلك سمحاً وصولاً بالمال .

قال : فالمنصور ؟ قلت : كان أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد أبي طالب ، وكانوا قبله متفقين ، وهو أول خليفة قرب المنجمين ، وأول خليفة ترجمت له الكتب السُّريانية والأعجمية ؛ ككتاب « كليلة ودمنة » ، وكتاب « إقليدس » ، وكتب اليونان ، فنظر الناس فيها وتعلقوا بها ، فلما رأىٰ ذلك محمد بن إسحاق . . جمع المغازي والسير ، والمنصور أول من استعمل مواليه ، وقدَّمهم على العرب .

قال : فالمهدي ؟ قلت : كان جواداً عادلاً منصفاً ؛ ردَّ ما أخذ أبوه من الناس غصباً ، وبالغ في إتلاف الزنادقة ، وبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصىٰ .

قال : فالهادي ؟ قلت : كان جباراً متكبراً ، فسلك عماله طريقه علىٰ قِصَر أيامه .

قال : فالرشيد ؟ قلت : كان مواظباً على الغزو والحج ، وعمر القصور والبرك بطريق مكة ، وبنى الثغور ؛ كأَذِنَة وطَرَسوس والمَصِيصة ومرعش ، وعم الناسَ إحسانُه ، وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم ، وهو أول خليفة

---

(١) تاريخ الإسلام (١٧/٢٤) نقلاً عن الصولي .
(٢) انظر « مروج الذهب » (٥/ ٢١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧/٢٤) .

لعب بالصَّوالِجَة ، ورمى النشاب في البُرْجاس[1] ولعب بالشطرنج من بني العباس .

قال : فالأمين ؟ قلت : كان جواداً ، إلا أنه انهمك في لذاته ففسدت الأمور .

قال : فالمأمون ؟ قلت : غلب عليه النجوم والفلسفة ، وكان حليماً جواداً .

قال : فالمعتصم ؟ قلت : سلك طريقه ، وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بملوك الأعاجم ، واشتغل بالغزو والفتوح .

قال : فالواثق ؟ قلت : سلك طريقة أبيه .

قال : فالمتوكل ؟ قلت : خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات ، ونهىٰ عن الجدال والمناظرات والأهواء وعاقب عليها ، وأمر بقراءة الحديث وسماعه ، ونهىٰ عن القول بخلق القرآن ، فأحبه الناس .

ثم سأل عن باقي الخلفاء وأنا أجيبه بما فيهم ، فقال لي : قد سمعت كلامك وكأني مشاهد القوم ، ثم قام)[2] .

[إخفاء القاهر أمواله ومد يده للناس وموته]

وقال المسعودي : (أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه مالاً عظيماً ، فلما خلع وسُمل . . طولب بها ، فأنكر فعذب بأنواع العذاب ، فلم يقر بشيء ، فأخذه الراضي بالله فقربه وأدناه ، وقال له : قد ترىٰ مطالبة الجند بالمال ، وليس عندي شيء ، والذي عندك فليس بنافع لك ، فاعترف به ، فقال : أما إذ فعلت هٰذا . . فالمال مدفون في البستان .

وكان قد أنشأ بستاناً فيه أصناف الشجر ، حملت إليه من البلاد ، وزخرفه وعمل فيه قصراً ، وكان الراضي مغرماً بالبستان والقصر ، فقال : وفي أي مكان

---

(١) البرجاس : هدف ينصب علىٰ رمح أو سارية .

(٢) مروج الذهب (٥/٢١١ـ٢١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/١٨ ـ ١٩) .

المال منه ؟ فقال : أنا مكفوف لا أهتدي إلىٰ مكان ، فاحفر البستان تجده .

فحفر الراضي البستان وأساسات القصر ، وقلع الشجر ، فلم يجد شيئاً ، فقال له : وأين المال ؟ فقال : وهل عندي مال ؟! وإنما كان حسرتي في جلوسك في البستان وتنعمك ، فأردت أن أفجعك فيه ، فندم الراضي وحبسه ، فأقام إلىٰ سنة ثلاث وثلاثين .

ثم أطلقوه وأهملوه ، فوقف يوماً بجامع المنصور بين الصفوف وعليه مبطنة بيضاء ، وقال : تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم ، وذلك في أيام المستكفي ليشنع عليه ، فمُنع من الخروج إلىٰ أن مات سنة تسع وثلاثين ، في جمادى الأولىٰ ، عن ثلاث وخمسين سنة)[1] .

وكان له من الولد : عبد الصمد ، وأبو القاسم ، وأبو الفضل ، وعبد العزيز .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأعلام : الطحاوي شيخ الحنفية ، وابن دريد ، وأبو هاشم بن الجبائي ، وآخرون .

(١) مروج الذهب (٥/ ٢٢٦ـ٢٢٧) ، والنقل من « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٢٠) .

خلافة الراضي بالله

[٣٢٢ـ ٣٢٩هـ][1]

أبو العباس ، محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ، ولد سنة سبع وتسعين ومئتين ، وأمه : أمة رومية ، اسمها : ظلوم ، بويع له يوم خلع القاهر ، فأمر ابن مُقلة أن يكتب كتاباً فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس .

وفي هـٰذا العام من خلافته : مات مَرداويج مقدم الديلم بأصبهان ، وكان قد عظم أمره ، وتحدثوا : أنه يريد قصد بغداد ، وأنه مسالم لصاحب المجوس ، وكان يقول : (أنا أرد دولة العجم ، وأمحق دولة العرب)[2] .

وفيها : بعث علي بن بويه إلى الراضي يقاطعه على البلاد التي استولىٰ عليها بثمان مئة ألف ألف درهم كل سنة ، فبعث له لواء وخِلَعاً ، ثم أخذ ابن بويه يماطل بحمل المال[3] .

وفيها : مات المهدي صاحب المغرب ، وكانت أيامه خمساً وعشرين سنة ؛ وهو جد خلفاء المصريين الذين يسمونهم الجهلة : بالفاطميين ؛ فإن المهدي هـٰذا ادعىٰ أنه علوي ، وإنما جده مجوسي ، قال القاضي أبو بكر الباقلاني : (جد عبيد الله الملقب بالمهدي : مجوسي ، دخل عبيد الله المغرب ، وادعىٰ أنه علوي ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ، وكان باطنياً خبيثاً ، حريصاً علىٰ إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ؛ ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده

---

(١) انظر ترجمته في : « الأوراق » (٣/ ١) ، و« مروج الذهب » (٥/ ٢١٧) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ١٤٢) ، و« المنتظم » (٦/ ٣٢٤) ، و« الكامل » (٨/ ٣٦٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٢٦٧) ، و« فوات الوفيات » (٣/ ٣٢١) ، و« البداية والنهاية » (١١/ ١٩٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٢) .

علىٰ أسلوبه : أباحوا الخمور والفروج ، وأشاعوا الرفض ، وقام بالأمر بعد موت هـٰذا ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد)[1] .

وفي هـٰذه السنة : ظهر محمد بن علي الشَّلْمَغاني ، المعروف : بابن أبي العَزَاقر ، وقد شاع عنه أنه يدعي الإلـٰهية ، وأنه يحيي الموتىٰ ، فقُتل وصُلب ، وقُتل معه جماعة من أصحابه[2] .

وفيها : توفي أبو جعفر السِّجْزي أحد الحجاب ، قيل : بلغ من العمر مئة وأربعين سنة ، وحواسه جيدة[3] .

وفيها : انقطع الحج من بغداد إلىٰ سنة سبع وعشرين[4] .

وفي سنة ثلاث وعشرين : تمكَّن الراضي بالله ، وقلد ابنيه : أبا الفضل وأبا جعفر المشرق والمغرب[5] .

وفيها : كانت واقعة ابن شَنَبُوذ المشهورة ، واستتابته عن القراءة بالشاذ والمحضر الذي كتب عليه ، وذلك بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة[6] .

وفيها : في جمادى الأولىٰ : هبت ريح عظيمة ببغداد ، واسودَّتِ الدنيا ، وأظلمت من العصر إلى المغرب[7] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٢٣ و١٠٨ ـ ١٠٩) .

(٢) انظر « الكامل » (٨/ ٢٩٠ـ ٢٩٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٢٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٧) .

(٥) الكامل (٨/ ٣١١) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٨) .

(٦) الأوراق (٣/ ٦٢) ، والمنتظم (٦/ ٢٧٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٨) ، وجاء في « معرفة القراء الكبار » للإمام الذهبي (٢/ ٥٥٢ـ ٥٥٣) : (. . . كان يتبع الشواذ ، ويقرىء بها ، ويقرأ بها في المحراب مما يخالف المصحف ، وكان يجادل علىٰ ذلك ، حتىٰ أنكر الناس عليه ، فقبض عليه ، وأحضر العلماء بدار الوزير ، فأنكروا عليه ، وأشاروا بعقوبته ، فأمر بتجريده ، فضرب نحو العشر دِرر ضرباً شديداً ؛ حتىٰ أذعن بالرجوع والتوبة ، فأُعيدت عليه ثيابه واستتيب ، وقد استجيب دعاؤه ـ وكان قد دعا على الوزير بأن يقطع الله يده ـ فقُطعت يد الوزير ، وذاق الذلّ) .

(٧) المنتظم (٦/ ٢٧٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٣١) .

وفيها : في ذي القعدة : انقضَّت النجوم سائر الليل انقضاضاً عظيماً ما رُئي مثله[1] .

وفي سنة أربع وعشرين : تغلب محمد بن رائق أمير واسط ونواحيها ، وحكم على البلاد ، وبطل أمر الوزارة والدواوين ، وتولىٰ هو الجميع وكتَّابه ، وصارت الأموال تحمل إليه ، وبطلت بيوت المال ، وبقي الراضي معه صورة وليس له من الخلافة إلا الاسم[2] .

وفي سنة خمس وعشرين : اختل الأمر جداً ، وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها ، أو عامل لا يحمل مالاً ، وصاروا مثل ملوك الطوائف ، ولم يبقَ بيد الراضي غير بغداد والسواد مع كون يد ابن رائق عليه[3] .

ولما ضعف أمر الأمة في هـٰذه الأزمان ، ووهت أركان الدولة العباسية ، وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الأقاليم . . قويت همة صاحب الأندلس الأمير عبد الرحمـٰن بن محمد الأموي المرواني ، وقال : أنا أولى الناس بالخلافة ، وتسمىٰ بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، واستولىٰ علىٰ أكثر الأندلس ، وكانت له الهيبة الزائدة ، والجهاد والغزو ، والسيرة المحمودة ، استأصل المتغلبين ، وفتح سبعين حصناً ، فصار المسمون بأمير المؤمنين في الدنيا ثلاثة : العباسي ببغداد ، وهـٰذا بالأندلس ، والمهدي بالقيروان .

وفي سنة ست وعشرين : خرج بَجْكم على ابن رائق فظهر عليه ، واختفى ابن رائق ، فدخل بجكم بغداد ، فأكرمه الراضي ورفع منزلته ، ولقبه : أمير الأمراء ، وقلده إمارة بغداد وخراسان[4] .

---

(١) المنتظم (٦/ ٢٧٧) .

(٢) الكامل (٨/ ٣٢٢ـ٣٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٣٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٤٣) ، وانظر « تكملة تاريخ الطبري » (ص١٠١) .

(٤) الأوراق (٣/ ١٠٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٥١) .

وفي سنة سبع وعشرين : كتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي إلى القِرْمِطي وكان يحبه : أن يطلق طريق الحاج ويعطيه عن كل جمل خمسة دنانير ، فأذن وحج الناس ، وهي أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج[1] .

* * *

وفي سنة ثمان وعشرين : غرقت بغداد غرقاً عظيماً ، حتىٰ بلغت زيادة الماء تسعة عشر ذراعاً ، وغرق الناس والبهائم ، وانهدمت الدور[2] .

* * *

وفي سنة تسع وعشرين : اعتل الراضي ومات في ربيع الآخر ، وله إحدىٰ وثلاثون سنة ونصف ، وكان سمحاً كريماً ، أديباً شاعراً فصيحاً ، محباً للعلماء ، وله شعر مدون ، سمع الحديث من البغوي وغيره[3] .

[من فضائل الراضي]

قال الخطيب : (للراضي فضائل ؛ منها : أنه آخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الندماء ، وكانت جوائزه وأموره علىٰ ترتيب المتقدمين ، وآخر خليفة سافر بزي القدماء)[4] .

ومن شعره[5] : [من مجزوء الخفيف]

كُلُّ صَفْوٍ إلىٰ كَدَرْ ... كُلُّ أمرٍ إلىٰ حَذَرْ

ومصيرُ الشبابِ للْـ ... ـموتِ فيه أو الكَدَرْ

درَّ درُّ المَشيبِ مِنْ ... واعظٍ يُنذر البشَرْ

---

(١) المنتظم (٦/ ٢٩٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٥٥) .
(٢) المنتظم (٦/ ٣٠٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٥٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٥٩ ـ ٦٠) .
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٣) ، دون قوله : (وآخر خليفة سافر . . .) .
(٥) الأبيات في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٤٤) ، من طريق الصولي ، وهي في « الأوراق » له (٣/ ١٨٥) .

أَيُّهـــــا الآمِـــــلُ الـــــذي تـــــاهَ فـــــي لُجَّـــــةِ الغـــــرَرْ
أيـــــنَ مَـــــن كـــــانَ قبلنـــــا ذهـــــبَ الشخـــــصُ والأثَـــــرْ
ربِّ فـــــاغفـــــر لـــــيَ الخطيَّـــــةَ يـــــا خيـــــرَ مَـــــن غَفَـــــرْ

ذكر أبو الحسن بن رَزْقَويه عن إسماعيل الخُطَبي قال : (وجه إلي الراضي ليلة الفطر ، فجئت إليه فقال : يا إسماعيل ؛ قد عزمت في غد على الصلاة بالناس ، فما الذي أقول إذا انتهيت إلى الدعاء لنفسي ؟ فأطرقت ساعة ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ . . . ﴾ الآية ، فقال لي : حسبك ، ثم تبعني خادم فأعطاني أربع مئة دينار)[1] .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : نِفْطويه ، وابن مجاهد المقرىء ، وابن كاس الحنفي ، وابن أبي حاتم ، ومَبْرمان ، وابن عبد ربه صاحب « العقد » ، والإصطخري شيخ الشافعية ، وابن شَنَبُوذ ، وأبو بكر الأنباري ، وآخرون .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٦/ ٣٠٤) .

خلافة المتقي لله

[٣٢٩ـ٣٣٣هـ][1]

أبو إسحاق ، إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل .

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وأمه : أمة ، اسمها : خَلوب ، وقيل : زهرة ، ولم يغير شيئاً قط ، ولا تسرىٰ علىٰ جاريته التي كانت له .

وكان كثير الصوم والتعبد ، لم يشرب نبيذاً قط ، وكان يقول : لا أريد نديماً غير المصحف ، ولم يكن له سوى الاسم ، والتدبير لأبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب بَجْكم[2] .

وفي هٰذه السنة من ولايته : سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصور ، وكانت تاج بغداد ، ومأثرة بني العباس ، وهي من بناء المنصور ، ارتفاعها : ثمانون ذراعاً ، وتحتها إيوان ، طوله : عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وعليها تمثال فارس بيده رمح ، فإذا استقبل بوجهه . . علم أن خارجياً يظهر من تلك الجهة ، فسقط رأس هٰذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد[3] .

وفي هٰذه السنة : قُتل بَجْكم التركي ، فولي إمرة الأمراء مكانه كورتكين الديلمي[4] ، وأخذ المتقي حواصل بَجْكم التي كانت ببغداد ، وهي زيادة علىٰ ألف ألف دينار[5] .

---

(١) انظر ترجمته في : « الأوراق » (٣/ ١٨٦) ، و« مروج الذهب » (٥/ ٢٣١) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ٥١) ، و« المنتظم » (١٤/ ٣) ، و« الكامل » (٨/ ٣٦٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦/ ١٥٨) ، و« فوات الوفيات » (١/ ١٧) .

(٢) الأوراق (٣/ ١٨٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٦٠ـ ٦١) عن الصولي .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٧٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٦١ـ ٦٢) .

(٤) في (جـ) : (تورتكين) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٦٤ـ ٦٥) .

ثم في العام : ظهر ابن رائق ، فقاتل تورتكين ببغداد ، فهُزم تورتكين واختفىٰ ، وولي ابن رائق إمرة الأمراء مكانه[1] .

وفي سنة ثلاثين : كان الغلاء ببغداد ، فبلغ الكر الحنطة ثلاث مئة وستة عشر ديناراً ، واشتد القحط ، وأكلوا الميتات ، وكان قحطاً لم يُرَ ببغداد مثله أبداً[2] .

[خروج البريدي وقتال سيف الدولة له]

وفيها : خرج أبو الحسين علي بن محمد البَريدي ، فخرج لقتاله الخليفة وابن رائق ، فهُزما وهربا إلى المَوصل ، ونهبت بغداد ودار الخلافة ، فلما وصل الخليفة إلىٰ تكريت . . وجد هناك سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وأخاه الحسن ، وقُتل ابن رائق غيلة ، فولَّى الخليفة مكانه الحسن بن حمدان ، ولقبه : ناصر الدولة ، وخلع علىٰ أخيه ، ولقبه : سيف الدولة ، وعاد إلىٰ بغداد وهما معه ، فهرب البَريدي إلىٰ واسط .

ثم ورد الخبر في ذي القعدة : أن البَريدي يريد بغداد ، فاضطرب الناس ، وهرب وجوه أهل بغداد ، وخرج الخليفة ليكون مع ناصر الدولة ، وسار سيف الدولة لقتال البَريدي ، فكانت بينهما وقعة هائلة بقرب المدائن ، وهزم البَريدي ، فعاد بالويل إلىٰ واسط ، فساق سيف الدولة إلىٰ واسط ، فانهزم البَريدي إلى البصرة[3] .

وفي سنة إحدىٰ وثلاثين : وصلت الروم إلىٰ أَرْزن ومَيَّافارِقين ونَصيبين ، فقتلوا وسبوا ، ثم طلبوا منديلاً في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به

---

(1) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٦٦) .
(2) المنتظم (١٤/ ١٩) ، والكامل (٨/ ٣٧٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٦٧) .
(3) الكامل (٨/ ٣٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٧١) .

وجهه ، فارتسمت صورته فيه ، علىٰ أنهم يطلقون جميع من سبوا ، فأُرسل إليهم وأطلقوا الأسرىٰ[1] .

وفيها : هاج الأمراء بواسط علىٰ سيف الدولة ، فهرب في البريَّة يريد بغداد ، ثم سار إلى الموصل أخوه ناصر الدولة خائفاً لهروب أخيه .

[خروج توزون وسمل المتقي وما جرىٰ]

وسار من واسط توزون ، فقصد بغداد وقد هرب منه سيف الدولة إلى الموصل ، فدخل توزون بغداد في رمضان ، فخلع عليه المتقي ، وولاه أمير الأمراء .

ثم وقعت الوحشة بين المتقي وتوزون ، فأرسل توزون أبا جعفر بن شيرزاد من واسط إلىٰ بغداد ، فحكم عليها وأمر ونهىٰ .

فكاتب المتقي ابن حمدان بالقدوم عليه ، فقدم في جيش عظيم ، واستتر ابن شيرزاد ، فسار المتقي بأهله إلىٰ تكريت ، وخرج ناصر الدولة بجيش كثير من الأعراب والأكراد إلىٰ قتال توزون ، فالتقيا بعُكبرا ، فانهزم ابن حمدان والمتقي إلى الموصل .

ثم تلاقوا مرة أخرىٰ ، فانهزم ابن حمدان والخليفة إلىٰ نَصيبين ، فكتب الخليفة إلى الإخشيد صاحب مصر : أن يحضر إليه ، ثم بان له من بني حمدان الملل والضجر ، فراسل الخليفة توزون في الصلح ، فأجاب وحلف وبالغ في الأيمان .

ثم حضر الإخشيد إلى المتقي وهو بالرقة وقد بلغته مصالحة توزون ، فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ أنا عبدك وابن عبدك ، وقد عرفتَ الأتراك وفجورهم وغدرهم ، فالله الله في نفسك ، سر معي إلىٰ مصر ؛ فهي لك وتأمن علىٰ نفسك) فلم يقبل ، فرجع الإخشيد إلىٰ بلاده .

---

(١) تاريخ الإسلام (٥/٢٥) ، وانظر « المنتظم » (١٤/٢٦ـ٢٧) .

وخرج المتقي من الرقة إلىٰ بغداد في رابع محرم ، سنة ثلاث وثلاثين ، وخرج للقائه توزون ، فالتقيا بين الأنبار وهيت ، فترجل توزون ، وقبَّل الأرض ، فأمره المتقي بالركوب ، فلم يفعل ، ومشىٰ بين يديه إلى المخيم الذي ضربه له ، فلما نزل . . قبض عليه وعلى ابن مُقلة ومن معه ، ثم كحل الخليفة ، وأُدخل بغداد مسمول العينين ، وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب ، وأحضر توزون عبدَ الله بن المكتفي ، وبايعه بالخلافة ، ولقب : المستكفي بالله ، ثم بايعه المتقي المسمول ، وأشهد علىٰ نفسه بالخلع ؛ وذلك لعشر بقين من المحرم ، وقيل : من صفر[1] .

ولما كحل . . قال القاهر[2] : [من السريع]

صـرتُ وإبـراهيـمَ شَيخـي عَمَـىٰ ... لا بــدَّ للشيخيــن مــن مصــدرِ
مـــا دامَ تـــوزونُ لـــه إمـــرةٌ ... مُطــاعــةٌ فــالمِيــلُ فــي المجمَــرِ

ولم يحل الحول علىٰ توزون حتىٰ مات[3] .

وأما المتقي . . فإنه أخرج إلىٰ جزيرة مقابل السِّنْدية ، فحُبس بها ، فأقام في السجن خمساً وعشرين سنة إلىٰ أن مات في شعبان ، سنة سبع وخمسين[4] .

وفي أيام المتقي : كان حمدي اللص ، ضمَّنه ابن شيرزاد لما تغلب علىٰ بغداد اللصوصيةَ بها بخمسة وعشرين ألف دينار في الشهر ، فكان يكبس بيوت الناس بالمشعل والشمع ويأخذ الأموال ، وكان أسكورج الديلمي قد ولي شرطة بغداد ، فأخذه ووسَّطه ؛ وذلك سنة اثنتين وثلاثين[5] .

---

(١) الخبر في « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ٥ ـ ٢٠) مفرقاً علىٰ ثلاث سنوات .
(٢) البيتان في « السلوك » (١/ ١٢٤) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٠) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٠) ، وانظر « الكامل » (٨/ ٤١٩) .
(٥) الكامل (٨/ ٤١٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/ ١٢) .

[من مات في عهده]

ومات في أيام المتقي من الأعلام : أبو يعقوب النَّهْرجُوري أحد أصحاب الجنيد ، والقاضي أبو عبد الله المَحاملي ، وأبو بكر الفَرْغاني الصوفي ، والحافظ أبو العباس بن عقدة ، وابن ولاد النحوي ، وآخرون .

ولما بلغ القاهر أنه سُمل.. قال : (صرنا اثنين ، ونحتاج إلىٰ ثالث) فكان كذلك ؛ سُمل المستكفي[1] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٥/١٩) .

خلافة المستكفي بالله

[٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ][1]

أبو القاسم ، عبد الله بن المكتفي بن المعتضد ، أمه : أم ولد ، اسمها : أملح الناس ، بويع له بالخلافة عند خلع المتقي في صفر ، سنة ثلاث وثلاثين ، وعمره : إحدىٰ وأربعون سنة ، ومات توزون في أيامه ، ومعه كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد ، فطمع في المملكة ، وحلف العساكر لنفسه ، فخلع عليه الخليفة .

ثم دخل أحمد بن بُوَيْه بغداد ، فاختفى ابن شيرزاد ، ودخل ابن بُوَيْه دار الخلافة ، فوقف بين يدي الخليفة ، فخلع عليه ، ولقبه : معز الدولة ، ولقب أخاه علياً : عماد الدولة ، وأخاهما الحسن : ركن الدولة ، وضربت ألقابهم على السكة ، ولقب المستكفي نفسه : إمام الحق ، وضرب ذلك على السكة .

[استيلاء المعز وسمل المستكفي]

ثم إن معز الدولة قوي أمره ، وحجر على الخليفة ، وقرر له كل يوم برسم النفقة خمسة آلاف درهم فقط ، وهو أول من ملك العراق من الديلم ، وأول من أظهر السعاة ببغداد ، وأغوى المصارعين والسباحين ، فانهمك شباب بغداد في تعلم المصارعة والسباحة حتىٰ صار السباح يسبح وعلىٰ يده كانون فوقه قدرة ، فيسبح حتىٰ ينضج اللحم[2] .

ثم إن معز الدولة تخيل من المستكفي ، فدخل عليه في جمادى الآخرة ، سنة أربع وثلاثين ، فوقف والناس وقوف علىٰ مراتبهم ، فتقدم اثنان من الديلم إلى

---

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٥/ ٢٤٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ١٠) ، و« المنتظم » (١٤/ ٤٠) ، و« الكامل » (٨/ ٤٢٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥/ ١٠٣) ، و« البداية والنهاية » (١١/ ٢١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٥) .

الخليفة ، فمد يده إليهما ظناً أنهما يريدان تقبيلها ، فجذباه من السرير وطرحاه إلى الأرض ، وجراه بعمامته ، وهجم الديلم دار الخلافة إلى الحرم ونهبوها ، فلم يبق فيها شيء ، ومضىٰ معز الدولة إلىٰ منزله ، وساقوا المستكفي ماشياً إليه ، وخلع وسملت عيناه يومئذ ، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر[١] .

وأحضروا الفضل بن المقتدر وبايعوه ، ثم قدموا ابن عمه المستكفي فسلم عليه بالخلافة ، وأشهد علىٰ نفسه بالخلع ، ثم سجن إلىٰ أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة ، وله ست وأربعون سنة ، وكان يتظاهر بالتشيع[٢] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٦ ـ ٢٧) ، وانظر « الكامل » (٨/ ٤٢٠) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٨) .

خلافة المطيع لله

[٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ][1]

أبو القاسم ، الفضل بن المقتدر بن المعتضد ، أمه : أم ولد ، اسمها : مشغلة ، ولد سنة إحدىٰ وثلاث مئة ، وبويع له بالخلافة عند خلع المستكفي ، وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة مئة دينار فقط .

وفي هٰذه السنة من خلافته : اشتد الغلاء ببغداد حتىٰ أكلوا الجيف والروث ، وماتوا على الطرق ، وأكلت الكلاب لحومهم ، وبيع العقار بالرُّغفان ، ووجدت الصغار مشوية مع المساكين ، واشتري لمعز الدولة كُرُّ دقيق بعشرين ألف درهم ، والكُرُّ : سبعة عشر قنطاراً بالدمشقي[2] .

وفيها : وُقع بين معز الدولة وبين ناصر الدولة بن حمدان ، فخرج لقتاله ومعه المطيع ، ثم رجع والمطيع معه كالأسير[3] .

[موت الإخشيد وبيان معاني بعض الألقاب]

وفيها : مات الإخشيد صاحب مصر ، وهو محمد بن طُغُجٍّ الفرغاني ، والإخشيد معناه : ملك الملوك ، وهو لقب لكل من ملك فَرْغانة ، كما أن الأَصْبَهْبُذ[4] : لقب ملك طبرستان ، وصُول : ملك جرجان ، وخاقان : ملك

---

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٥/٢٥٩) ، و« تاريخ بغداد » (١٢/٣٧٩) ، و« المنتظم » (١٤/٤٦) ، و« الكامل » (٨/٤٥١) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦/٣٢٨) ، و« فوات الوفيات » (٣/١٨٢) .

(٢) الكامل (٨/٤٦٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢٨) .

(٣) الكامل (٨/٤٥٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢٩) .

(٤) كذا ضبطها ياقوت في « معجمه » (١/٢١٠) ، وفي « تاج العروس » مادة : (صبهبذ) : (بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الموحدة وسكون الهاء ثم موحدة مفتوحة) .

الترك ، والأفشين : ملك أُشْروسَنَة ، وسامان : ملك سمرقند .

وكان الإخشيد شجاعاً مهيباً ، ولي مصر من قبل القاهر ، وكان له ثمانية آلاف مملوك ، وهو أستاذ كافور[1] .

وفيها : مات القائم العبيدي صاحب المغرب ، وقام بعده ولي عهده ابنه المنصور بالله إسماعيل ، وكان القائم شراً من أبيه ، زنديقاً ملعوناً ، أظهر سب الأنبياء ، وكان مناديه ينادي : العنوا الغار وما حوىٰ ، وقتل خلقاً من العلماء[2] .

وفي سنة خمس وثلاثين : جدد معز الدولة الأيمان بينه وبين المطيع ، وأزال عنه التوكيل ، وأعاده إلىٰ دار الخلافة[3] .

وفي سنة ثمان وثلاثين : سأل معز الدولة أن يشرك معه في الأمر أخوه علي ابن بُوَيْه عماد الدولة ، ويكون من بعده ، فأجابه المطيع ، ثم لم ينشب أن مات عماد الدولة من عامه ، فأقام المطيع أخاه ركن الدولة والد عضد الدولة .

وفي سنة تسع وثلاثين : أعيد الحجر الأسود إلىٰ موضعه ، وجعل له طوق فضة يشد به ، وزنه ثلاثة آلاف وسبع مئة وتسعون درهماً ونصف[4] .

قال محمد بن نافع الخزاعي : (تأملت الحجر الأسود وهو مقلوع ؛ فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض ، وطوله قدر عظم الذراع)[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٣٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٣١) .

(٣) الكامل (٨/ ٤٦٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/ ٣٤) .

(٤) انظر « الكامل » (٨/ ٤٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥/ ٤٣) ، وذكر هـٰذا الوزن في « النجوم الزاهرة » (٣/ ٣٠٥) .

(٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٥) ، وقد أخرج عبد الله في « زوائد المسند » (٢٨٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحجر الأسود من الجنة ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ؛ حتىٰ سودته خطايا أهل الشرك » .

وفي سنة إحدىٰ وأربعين : ظهر قوم من التناسخية ؛ فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه ، وامرأة تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها ، وآخر يدعي أنه جبريل ، فضُربوا ، فتعززوا بالانتماء إلىٰ أهل البيت ، فأمر معز الدولة بإطلاقهم ؛ لميله إلىٰ أهل البيت ، فكان هـٰذا من أفعاله الملعونة[1] .

وفيها : مات المنصور العبيدي صاحب المغرب بالمنصورية التي مصَّرها ، وقام بالأمر ولي عهده ابنه معدٌّ ، ولقب : بالمعز لدين الله ؛ وهو الذي بنى القاهرة ، وكان المنصور أحسن السيرة بعد أبيه ، وأبطل المظالم ، فأحبه الناس ، وأحسن أيضاً ابنه السيرة وصفت له المغرب[2] .

وفي سنة ثلاث وأربعين : خطب صاحب خراسان للمطيع ، ولم يكن خطب له قبل ذلك ، فبعث إليه المطيع اللواء والخِلَع[3] .

وفي سنة أربع وأربعين : زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات ، وفزع الناس إلى الله بالدعاء[4] .

وفي سنة ست وأربعين : نقص البحر ثمانين ذراعاً وظهر فيه جبال وجزائر وأشياء لم تعهد .

وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة ، وخسف ببلد الطالقان ، ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً ، وخسف بمئة وخمسين قرية من قرى الري ، واتصل الأمر إلىٰ حُلوان فخسف بأكثرها ، وقذفت الأرض عظام الموتىٰ ، وتفجرت منها

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢١٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢١٤) .

(٣) الكامل (٨/ ٥٠٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/ ٢١٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٢٠) .

المياه ، وتقطع بالري جبل ، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها ، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة ، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم ، هٰكذا نقل ابن الجوزي[١] .

وفي سنة سبع وأربعين : عادت الزلازل بقُم وحُلوان والجبال ، فأتلفت خلقاً عظيماً ، وجاء جراد طبق الدنيا ، فأتىٰ علىٰ جميع الغلات والأشجار[٢] .

وفي سنة خمسين : بنىٰ معز الدولة ببغداد داراً هائلة عظيمة ، أساسها في الأرض ستة وثلاثون ذراعاً[٣] .

وفيها : قلَّد القضاء أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب ، وركب بالخلع من دار معز الدولة وبين يديه الدَّبَادب والبوقات ، وفي خدمته الجيش ، وشرط علىٰ نفسه أن يحمل في كل سنة إلىٰ خزانة معز الدولة مئتي ألف درهم ، وكتب عليه بذلك سجلاً ، وامتنع المطيع من تقليده ، ومن دخوله عليه ، وأمر ألا يمكن من الدخول إليه أبداً[٤] .

وفيها : ضمن معز الدولة الحسبة ببغداد والشرطة ، وكل ذلك عقب ضعفة ضعفها وعوفي منها ، فلا كان الله عافاه[٥] .

وفيها : أخذت الروم جزيرة أَقْرِيطِش من المسلمين ، وكانت فتحت في حدود الثلاثين ومئتين[٦] .

وفيها : توفي صاحب الأندلس الناصر لدين الله ، وقام بعده ابنه الحَكَم[٧] .

---

(١) المنتظم (١٤/ ١٠٩ و١١٤) ، والنقل من « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ٢٢٤) .
(٢) المنتظم (١٤/ ١١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٢٥) .
(٣) تكملة تاريخ الطبري (ص ١٧٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٣٤) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٣٤) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٣٥) .
(٦) تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٣٥) ، وانظر « الكامل » (٨/ ٥٣٦) .
(٧) الكامل (٨/ ٥٣٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٣٧) .

وفي سنة إحدىٰ وخمسين : كتبت الشيعة ببغداد علىٰ أبواب المساجد : لعنة معاوية ، ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك ، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده ، ولعنة من نفىٰ أبا ذر ، ثم إن ذلك مُحِي في الليل ، فأراد معز الدولة أن يعيده ، فأشار عليه الوزير المهلبي أن يكتب مكان ما محي : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصرحوا بلعنة معاوية فقط(١) .

وفي سنة اثنتين وخمسين يوم عاشوراء : ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ، ومنع الطباخين من الطبخ ، ونصبوا القباب في الأسواق ، وعلقوا عليها المُسوح ، وأخرجوا نساء منشرات الشعور يلطمن في الشوارع ، ويقمن المأتم على الحسين ، وهٰذا أول يوم نيح عليه ببغداد ، واستمرت هٰذه البدعة سنين(٢) .

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها : عمل عيد غدير خُم ، وضربت الدَّبادب(٣) .

[قصة التصاق أخوين]

وفي هٰذه السنة : بعث بعض بطارقة الأرمن إلىٰ ناصر الدولة بن حمدان رجلين ملتصقين ، عمرهما خمس وعشرون سنة ، والالتصاق في الجنب ، ولهما بطنان وسرتان ومعدتان ، ويختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما ، ولكل واحد كتفان وذراعان ويدان وفخذان وساقان وإحليل ، وكان أحدهما يميل إلى النساء ، والآخر يميل إلى المرد ، ومات أحدهما وبقي أياماً وأخوه حي ، فأنتن ، وجمع ناصر الدولة الأطباء علىٰ أن يقدروا علىٰ فصل الميت من الحي فلم يقدروا ، ثم مرض الحي من رائحة الميت ومات(٤) .

---

(١) المنتظم (١٤/ ١٤٠) ، والكامل (٨/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٨) .
(٢) المنتظم (١٤/ ١٥٠) ، والكامل (٨/ ٥٤٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ١١) .
(٣) المنتظم (١٤/ ١٥١) ، والكامل (٨/ ٥٥٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ١٢) .
(٤) المنتظم (١٤/ ١٥١ـ ١٥٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ١٢) .

وفي سنة ثلاث وخمسين : عمل لسيف الدولة خيمة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعاً[١] .

وفي سنة أربع وخمسين : ماتت أخت معز الدولة ، فنزل المطيع في طيارة إلىٰ دار معز الدولة يعزيه ، فخرج إليه معز الدولة ، ولم يكلفه الصعود من الطيارة ، وقبّل الأرض مرات ، ورجع الخليفة إلىٰ داره[٢] .

وفيها : بنىٰ نقفور ملك الروم قيسارية قريباً من بلاد المسلمين وسكنها ؛ ليُغِير كل وقت[٣] .

وفي سنة ست وخمسين : مات معز الدولة ، فأُقيم ابنه بَختيار مكانه في السلطنة ، ولقبه المطيع : عز الدولة[٤] .

[استيلاء القرامطة علىٰ دمشق]

وفي سنة سبع : ملك القرامطة دمشق ، ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا من مصر ، وعزموا علىٰ قصد مصر ليملكوها ، فجاء العبيديون فأخذوها ، وقامت دولة الرفض في الأقاليم : المغرب ومصر والعراق[٥] .

وذلك أن كافوراً الإخشيدي صاحب مصر لما مات . . اختلَّ النظام ، وقلَّت الأموال على الجند ، فكتب جماعة إلى المعز يطلبون منه عسكراً ؛ ليسلموا إليه مصر ، فأرسل مولاه جوهراً القائد في مئة ألف فارس ، فملكها ونزل موضع

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٦/ ١٤) .
(٢) المنتظم (١٤/ ١٦١ـ ١٦٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ١٧) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٦/ ١٧) ، وفي « الكامل » (٨/ ٥٦٠) : (أن نقفور ملك الروم بنىٰ بقيسارية مدينة) .
(٤) المنتظم (١٤/ ١٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٣٧) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٤١) .

القاهرة اليوم واختطها ، وبنىٰ دار الإمارة للمعز ، وهي المعروفة الآن بالقصرين ، وقطع خطبة بني العباس ، ولبس السواد ، وألبس الخطباء البياض ، وأمر أن يقال في الخطبة : (اللهم ؛ صلِّ علىٰ محمد المصطفىٰ ، وعلىٰ علي المرتضىٰ ، وعلىٰ فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، وصل على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله ؛ وذلك كله في شعبان ، سنة ثمان وخمسين)[١] .

ثم في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين : أذَّنوا بمصر بـ(حي علىٰ خير العمل) وشرعوا في بناء الجامع الأزهر ، ففرغ في رمضان ، سنة إحدىٰ وستين[٢] .

وفي سنة تسع وخمسين : انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا ، حتىٰ صار كأنه شعاع الشمس ، وسمع بعد انقضاضه صوت كالرعد الشديد[٣] .

وفي سنة ستين : أعلن المؤذنون بدمشق في الأذان بـ(حي علىٰ خير العمل) بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز بالله ، ولم يجسر أحد علىٰ مخالفته[٤] .

وفي سنة اثنين وستين : صادر السلطان بَختيارُ المطيعَ ، فقال المطيع : أنا ليس لي غير الخطبة ، فإن أحببتم . . اعتزلت ، فشدد عليه حتىٰ باع قماشه ، وحمل أربع مئة ألف درهم ، وشاع في الألسنة أن الخليفة صودر[٥] .

وفيها : قتل رجل من أعوان الوالي ببغداد ، فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٣٢) .
(٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٣٣) .
(٣) المنتظم (١٤/ ٢٠٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٦) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٨) ، والبداية والنهاية (١١/ ٢٧٠) .
(٥) الكامل (٨/ ٦١٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٤٨) .

من طرح النار من النحاسين إلى السماكين ، فاحترق حريق عظيم لم ير مثله ، واحترقت أموال وأناس كثيرون في الدور وفي الحمامات ، وهلك الوزير من عامه ، لا رحمه الله[1] .

وفي رمضان من هـٰذه السنة : دخل المعز إلىٰ مصر ومعه توابيت آبائه[2] .

[تولية محمد ابن أم شيبان القضاء وصورة العهد]

وفي سنة ثلاث وستين : قلد المطيع القضاء أبا الحسن محمد ابن أم شيبان الهاشمي بعد تمنُّع ، وشرط لنفسه شروطاً منها : ألا يرتزق على القضاء ، ولا يخلع عليه ، ولا يشفع إليه فيما يخالف الشرع ، وقرر لكاتبه في كل شهر ثلاث مئة درهم ، ولحاجبه مئة وخمسين ، وللعارض علىٰ بابه مئة[3] ، ولخازن ديوان الحكم وللأعوان ست مئة ، وكُتب له عهد صورته :

(هـٰذا ما عهد عبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين إلىٰ محمد بن صالح الهاشمي ، حين دعاه إلىٰ ما يتولاه من القضاء بين أهل مدينة السلام مدينة المنصور ، والمدينة الشرقية من الجانب الشرقي والجانب الغربي ، والكوفة ، وشقي الفرات ، وواسط ، وكوخي[4] ، وطريق الفرات ، ودجلة ، وطريق خُراسان ، وحُلوان وقَرْمَيسين ، وديار مضر ، وديار ربيعة ، وديار بكر ، والموصل ، والحرمين ، واليمن ، ودمشق ، وحمص ، وجند قِنَّسرين ، والعواصم ، ومصر ، والإسكندرية ، وجند فلسطين ، والأردن ، وأعمال ذلك كلها ، وما يجري من ذلك من الإشراف علىٰ من يختاره لنقابة من العباسيين بالكوفة ، وشقي الفرات وأعمال ذلك .

وما قلده إياه من قضاء القضاة ، وتصفح أحوال الحكام ، والاستشراف علىٰ ما يجري عليه أمر الأحكام في سائر النواحي والأمصار التي تشتمل عليه

---

(١) المنتظم (١٤/ ٢١٥) ، والكامل (٨/ ٦٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٤٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٤٩) .
(٣) في (ج) : (وللفارض) ، وكذلك في « المنتظم » و« تاريخ الإسلام » .
(٤) في (أ) : (وكوفي) ، وفي (ط) ، و« تاريخ الإسلام » : (وكرخي) .

المملكة ، وتنتهي إليها الدعوة ، وإقرار من يحمد هديه وطريقته ، والاستبدال بمن يذم سمته وسجيته ؛ احتياطاً للخاصة والعامة ، وحنواً على الملة والذمة ، عن علم بأنه المقدم في بيته وشرفه ، المبرز في عفافه ، المزكىٰ في دينه وأمانته ، الموصوف في ورعه ونزاهته ، المشار إليه بالعلم والحجى ، المجتمع عليه في الحلم والنهى ، البعيد من الأدناس ، اللبَّاس من التقىٰ أجمل لباس ، النقي الجيب ، المخبور بصفاء الغيب ، العالم بمصالح الدنيا ، العارف بما يفيد سلامة العقبىٰ .

آمره بتقوى الله ؛ فإنها الجنة الواقية ، وليجعل كتاب الله في كل ما يعمل فيه رويته ، ويرتب عليه حكمه وقضيته ، إمامه الذي يفزع إليه ، وعماده الذي يعتمد عليه ، وأن يتخذ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مناراً يقصده ، ومثالاً يتَّبعه ، وأن يراعي الإجماع ، وأن يقتدي بالأئمة الراشدين ، وأن يُعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع .

وأن يُحضر مجلسَه من يستظهر بعلمه ورأيه ، وأن يسوي بين الخصمين إذا تقدما إليه في لحظه ولفظه ، ويوفي كلاًّ منهما من إنصافه وعدله ، حتىٰ يأمن الضعيف حيفه ، وييئس القوي من ميله .

وآمره أن يشرف علىٰ أعوانه وأصحابه ، ومن يعتمد عليه من أمنائه وأسبابه ، إشرافاً يمنع من التخطي إلى السيرة المحظورة ، ويدفع عن الإشفاق إلى المكاسب المحجورة . . .) وذكر من هـٰذا الجنس كلاماً طويلاً[١] .

قلت : كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت ملكهم ، ثم يستنيب القاضي مَن تحت أمره من شاء في كل إقليم وفي كل بلد ؛ ولهـٰذا كان يلقب قاضي القضاة ، ولا يلقب به إلا من هو بهـٰذه الصفة ، ومن عداه بالقاضي فقط ، أو قاضي بلد كذا .

وأما الآن . . فصار في البلد الواحد أربعة مشتركون ؛ كلٌّ منهم يلقب قاضي القضاة ، ولعل آحاد نواب أولـٰئك كان في حكمه أضعاف ما كان في حكم الواحد

---

(١) المنتظم (١٤/ ٢٢١ـ ٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٥١ـ ٢٥٢) .

من قضاة القضاة الآن ، ولقد كان قاضي القضاة إذ ذاك أوسع حكماً من سلاطين هٰذا الزمان .

[خلع المطيع وتولية الطائع]

وفي هٰذه السنة ـ أعني : سنة ثلاث وستين ـ : حصل للمطيع فالج ، وثقل لسانه ، فدعاه حاجب عز الدولة الحاجب سُبُكْتِكِين إلىٰ خلع نفسه ، وتسليم الأمر إلىٰ ولده الطائع لله ، ففعل وعقد له الأمر في يوم الأربعاء ، ثالث عشر ذي القعدة ، فكانت مدة خلافة المطيع تسعاً وعشرين سنة وأشهراً ، وأثبت خلعه على القاضي ابن أم شيبان ، وصار بعد خلعه يسمى الشيخ الفاضل[١] .

[وفاة المطيع]

قال الذهبي : (وكان المطيع وابنه مستضعفينِ مع بني بُوَيه ، ولم يزل أمر الخلفاء في ضعف إلىٰ أن استخلف المقتفي لله ، فانصلح أمر الخلافة قليلاً ، وكان دَسْت الخلافة لبني عبيد الرافضة بمصر أمتن[٢] ، وكلمتهم أنفذ ، ومملكتهم تناطح مملكة العباسيين في وقتهم ، وخرج المطيع إلىٰ واسط مع ولده ، فمات في محرم ، سنة أربع وستين)[٣] .

قال ابن شاهين : (خلع نفسه غير مكره فيما صح عندي) .

قال الخطيب : (حدثني محمد بن يوسف القطان ، سمعت أبا الفضل التميمي ، سمعت المطيع لله ، سمعت شيخي ابن منيع ، سمعت أحمد ابن حنبل يقول : إذا مات أصدقاء الرجل . . ذل)[٤] .

---

(١) المنتظم (١٤/ ٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٥٣) .
(٢) في (أ ، ب ، ج ، ط) : (أميز) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٥٤) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٧٩) .

[من مات في عهده]

ومن مات في أيام المطيع من الأعلام : الخِرَقي شيخ الحنابلة ، وأبو بكر الشِّبْلي الصوفي ، وابن القاص إمام الشافعية ، وأبو رجاء الأَسْواني ، وأبو بكر الصُّولي ، والهيثم بن كُليب الشَّاشي ، وأبو الطيب الصُّعلوكي ، وأبو جعفر ابن النحاس النحوي ، وأبو نصر الفارابي ، وأبو إسحاق المَرْوزي إمام الشافعية ، وأبو القاسم الزَّجَّاجي النحوي ، والكَرْخي شيخ الحنفية ، والدِّيْنَوَري صاحب « المجالسة » ، وأبو بكر الصِّبغي ، والقاضي أبو القاسم التَّنوخي ، وابن الحداد صاحب « الفروع » ، وأبو علي ابن أبي هريرة من كبار الشافعية ، وأبو عمر الزاهد ، والمسعودي صاحب « مروج الذهب » ، وابن دُرُسْتوَيه ، وأبو علي الطَّبَري أول من جرد الخلاف ، والفاكهي صاحب « تاريخ مكة » ، والمتنبي الشاعر ، وابن حبان صاحب « الصحيح » ، وابن شعبان من أئمة المالكية ، وأبو علي القالي ، وأبو الفرج صاحب « الأغاني » .

خلافة الطائع لله

[٣٦٣ ـ ٣٨١هـ][1]

أبو بكر ، عبد الكريم بن المطيع ، أمه : أم ولد ، اسمها : هزار ، نزل له أبوه عن الخلافة ، وعمره ثلاث وأربعون سنة .

فركب وعليه البردة ومعه الجيش ، وبين يديه سُبُكْتِكين ، وخَلَع من الغد علىٰ سُبُكْتِكين خلع السلطنة ، وعقد له اللواء ، ولقبه : نصر الدولة ، ثم وقع بين عز الدولة وسُبُكْتِكين ، فدعا سُبُكْتِكين الأتراك لنفسه ، فأجابوه ، وجرىٰ بينه وبين عز الدولة حروب[2] .

وفي ذي الحجة من هـٰذه السنة : أقيمت الخطبة والدعوة بالحرمين للمعز العبيدي[3] .

وفي سنة أربع وستين : قدم عضد الدولة بغداد لنصرة عز الدولة علىٰ سُبُكْتِكين ، فأعجبته بغداد ومُلْكها ، فعمل عليها واستمال الجند ، فشغبوا علىٰ عز الدولة ، فأغلق بابه ، وكتب عضد الدولة عن الطائع إلى الآفاق باستقرار الأمر لعضد الدولة ، فوقع بين الطائع وبين عضد الدولة ، فقطعت الخطبة للطائع بسبب ذلك ببغداد وغيرها من يوم العشرين من جمادى الأولىٰ إلىٰ أن أُعيدت في عاشر رجب[4] .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ بغداد » (١١/٧٩) ، و« المنتظم » (١٤/٢٢٥) ، و« الكامل » (٨/٦٣٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/٢٨٦) ، و« فوات الوفيات » (٢/٣٧٥) ، و« البداية والنهاية » (١١/٢٧٦) .

(٢) انظر « المنتظم » (١٤/٢٢٥ـ٢٢٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/٢٨٦ـ٢٨٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٦/٢٥٤ـ٢٥٥) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/٢٥٨) .

وفي هـٰذه السنة وبعدها : غلا الرفض وفار بمصر والشام والغرب والشرق ، ونُودي بقطع صلاة التراويح من جهة العبيدي[1] .

وفي سنة خمس وستين : نزل ركن الدولة ابن بُوَيه عما بيده من الممالك لأولاده ، فجعل لعضد الدولة : فارس وكِرمان ، ولمؤيد الدولة : الرِّي وأصبهان ، ولفخر الدولة : همذان والدِّيْنَور[2] .

وفي رجب منها : عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة ، وجلس قاضي القضاة ابن معروف وحكم ؛ لأن عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف هو[3] .

[أسر غلام عز الدولة وفداؤه]

وفيها : كانت وقعة بين عز الدولة وعضد الدولة ، وأسر فيها غلام تركي لعز الدولة ، فجن عليه واشتد حزنه ، وامتنع من الأكل ، وأخذ في البكاء ، واحتجب عن الناس ، وحرَّم علىٰ نفسه الجلوس في الدَّسْت ، وكتب إلىٰ عضد الدولة يسأله أن يرد الغلام إليه ، ويتذلل فصار ضحكة بين الناس ، وعوتب فما ارعوىٰ لذلك ، وبذل في فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بُذل له في الواحدة مئة ألف دينار ، وقال للرسول : (إن توقف عليك في رده . . فزد ما رأيت ولا تفكر ، فقد رضيت أن آخذه وأذهب إلىٰ أقصى الأرض) فردَّه عضد الدولة عليه[4] .

وفيها : أسقطت الخطبة من الكوفة لعز الدولة وأُقيمت لعضد الدولة .

وفيها : مات المعز لدين الله العبيدي صاحب مصر ، وأول من ملكها من

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٦/٢٥٩) .

(٢) المنتظم (١٤/٢٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٦١) .

(٣) المنتظم (١٤/٢٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٦١) .

(٤) المنتظم (١٤/٢٤٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٦٣ـ ٢٦٤) ، والخبر عندهما من أحداث سنة (٣٦٦هـ) .

العبيديين ، وقام بالأمر بعده ابنه نزار ، ولقب : العزيز[1] .

وفي سنة ست وستين : مات المستنصر بالله الحَكَم بن الناصر لدين الله الأموي صاحب الأندلس ، وقام بعده ابنه المؤيد بالله هشام[2] .

[انتصار عضد الدولة علىٰ عز الدولة وأسره]

وفي سنة سبع وستين : التقىٰ عز الدولة وعضد الدولة ، فظفر عضد الدولة ، وأخذ عزَّ الدولة أسيراً ، وقتله بعد ذلك ، وخلع الطائع علىٰ عضد الدولة خلع السلطنة ، وتوَّجه بتاجٍ مجوهر ، وطوَّقه وسوَّره ، وقلَّده سيفاً .

وعقد له لواءين بيده : أحدهما مفضض علىٰ رسم الأمراء ، والآخر مذهَّب علىٰ رسم ولاة العهود ، ولم يعقد هـٰذا اللواء الثاني لغيره قبله .

وكتب له عهد ، وقُرىء بحضرته ، ولم تجر العادة بذلك ، إنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين ، فإذا أخذه . . قال أمير المؤمنين : (هـٰذا عهدي إليك فاعمل به)[3] .

وفي سنة ثمان وستين : أمر الطائع بأن تضرب الدَّبادب علىٰ باب عضد الدولة في وقت الصبح والمغرب والعشاء ، وأن يخطب له علىٰ منابر الحضرة .

قال ابن الجوزي : (وهـٰذان أمران لم يكونا من قبله ، ولا أُطلقا لولاة العهود ، وقد كان معز الدولة أحب أن تضرب له الدَّبادب بمدينة السلام ، فسأل المطيع في ذلك ، فلم يأذن له)[4] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٣٤٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٣٥٨) .
(٣) المنتظم (١٤/ ٣٥٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٦٧) .
(٤) المنتظم (١٤/ ٢٦٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٧١) .

وما حظي عضد الدولة بذلك إلا لضعف أمر الخلافة[1] .

[قدوم عضد الدولة على الطائع]

وفي سنة تسع وستين : ورد رسول العزيز صاحب مصر إلىٰ بغداد ، وسأل عضد الدولة الطائع أن يزيد في ألقابه : تاج الملة ، ويجدد الخِلَع عليه ، ويلبسه التاج فأجابه ، وجلس الطائع على السرير وحوله مئة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان ، وعلىٰ كتفه البردة ، وبيده القضيب ، وهو متقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعثها عضد الدولة ، وسأل أن تكون حجاباً للطائع حتىٰ لا يقع عليه عين أحد من الجند قبله ، ودخل الأتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ، ووقف الأشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ، ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة ، وقبَّل عضد الدولة الأرض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال لعضد الدولة : ما هـٰذا أيها الملك ؟! أهـٰذا هو الله ؟!

فالتفت وقال : هـٰذا خليفة الله في الأرض ، ثم استمر يمشي ويقبل الأرض سبع مرات ، فالتفت الطائع إلىٰ خالص الخادم وقال : استَدْنِه ، فصعد عضد الدولة ، فقبل الأرض دفعتين ، فقال له : ادن إلي ، فدنا وقبَّل رجله ، وثنى الطائع يمينه عليه ، وأمره فجلس علىٰ كرسي بعد أن كرر عليه : اجلس ، وهو يستعفي فقال له : أقسمت عليك لتجلسن ؛ فقبل الكرسي وجلس .

فقال له الطائع : (قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله إليَّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها ، وتدبيرها في جميع جهاتها سوىٰ خاصتي وأسبابي ، فتولَّ ذلك .

فقال : يعينني الله علىٰ طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته ، ثم أفاض عليه الخِلَع وانصرف)[2] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٧١) .

(٢) المنتظم (١٤/ ٢٦٨ـ ٢٦٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

قلت : انظر إلىٰ هـٰذا الأمر وهو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه ، ولا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة !!

وقد صار الأمر في زماننا إلىٰ أن الخليفة يأتي إلى السلطان يهنئه برأس الشهر ، فأكثر ما يقع من السلطان في حقه أن ينزل عن مرتبته ويجلسان معاً خارج المرتبة ، ثم يقوم الخليفة يذهب كآحاد الناس ، ويجلس السلطان في دَسْت مملكته .

ولقد حُدثت : أن السلطان الأشرف برسباي لما سافر إلىٰ آمُد لقتال العدو ، وصحب الخليفة معه . . كان الخليفة راكباً أمامه يحجبه ، والهيبة والعظمة للسلطان ، والخليفة كآحاد الأمراء الذين في خدمة السلطان .

وفي سنة سبعين : خرج من همذان عضد الدولة وقدم بغداد ، فتلقاه الطائع ولم تجر عادة بخروج الخلفاء لتلقي أحد .

فلما توفيت بنت معز الدولة . . ركب المطيع إليه فعزاه ، فقبَّل الأرض ، وجاء رسول عضد الدولة يطلب من الطائع أن يتلقاه ، فما وسعه التأخر(١) .

وفي سنة اثنتين وسبعين : مات عضد الدولة ، فولَّى الطائع مكانه في السلطنة ابنه صمصام الدولة ، ولقبه : شمس الملة ، وخَلَع عليه سبع خِلَع ، وتوَّجه وعقد له لواءين(٢) .

ثم في سنة ثلاث وسبعين : مات مؤيد الدولة أخو عضد الدولة(٣) .

---

(١) المنتظم (١٤/ ٢٧٥ـ٢٧٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٧٧) .
(٢) المنتظم (١٤/ ٢٨٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٧٤) .
(٣) المنتظم (١٤/ ٣١٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٧٥) .

وفي سنة خمس وسبعين : همَّ صمصام الدولة أن يجعل المكس على الثياب الحرير والقطن مما ينسج ببغداد ونواحيها ، ودفع له في ضمان ذلك ألف ألف درهم في السنة ، فاجتمع الناس في جامع المنصور ، وعزموا على المنع من صلاة الجمعة ، وكاد البلد يفتتن ، فأعفاهم من ضمان ذلك[1] .

وفي سنة ست وسبعين : قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة ، فانتصر عليه وكحله ، ومال العسكر إلىٰ شرف الدولة ، وقدم بغداد ، وركب الطائع إليه يهنئه بالبلاد ، وعهد إليه بالسلطنة وتوَّجه ، وقرىء عهده والطائع يسمع[2] .

وفي سنة ثمان وسبعين : أمر شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في مسيرها كما فعل المأمون[3] .

وفيها : اشتد الغلاء ببغداد جداً ، وظهر الموت بها ، ولحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط الناس منه ، وجاءت ريح عظيمة بفم الصِّلح خرقت دجلة حتىٰ ذكر أنه بانت أرضها ، وغرقت كثيراً من السفن ، واحتملت زورقاً منحدراً وفيه دواب ، وطرحت ذلك في أرض جوخىٰ ، فشوهد بعد أيام[4] .

وفي سنة تسع وسبعين : مات شرف الدولة ، وعهد إلىٰ أخيه أبي نصر ، فجاءه الطائع إلىٰ دار المملكة يعزيه ، فقبَّل أبو نصر الأرض غير مرة ، ثم ركب أبو نصر إلى الطائع ، وحضر الأعيان ، فخلع الطائع علىٰ أبي نصر سبع خلع[5] أعلاها سوداء ، وعمامة سوداء ، وفي عنقه طوق كبير ، وفي يديه سواران ،

---

(١) المنتظم (١٤/ ٣١١) ، والكامل (٩/ ٤٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٧٧) .
(٢) المنتظم (١٤/ ٣١٧ـ٣١٨) ، والكامل (٩/ ٤٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٧٩) .
(٣) المنتظم (١٤/ ٣٢٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٨٣) .
(٤) المنتظم (١٤/ ٣٢٩) ، والكامل (٩/ ٦٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٨٣) .
(٥) في « تاريخ الإسلام » زيادة : (طاقية) ، وفي « المنتظم » : (طاقات) .

ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف ، ثم قبَّل الأرض بين يدي الطائع وجلس علىٰ كرسي ، وقرىء عهده ، ولقبه الطائع : بَهاء الدولة وضياء الملة[1] .

[خلع الطائع وتولية القادر وموت الطائع]

وفي سنة إحدىٰ وثمانين : قبض على الطائع ، وسببه : أنه حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة ، فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع في الرواق متقلداً سيفاً ، فلما قرب بهاء الدولة قبَّل الأرض ، وجلس على الكرسي ، وتقدم أصحاب بهاء الدولة ، فجذبوا الطائع من سريره ، وتكاثر عليه الديلم ، فلفوه في كساء وأصعد إلىٰ دار السلطان ، وارتج البلد ، ورجع بهاء الدولة إلىٰ داره ، وكتب على الطائع كتاباً بخلع نفسه ، وأنه سلم الأمر إلى القادر بالله ، وشهد عليه الأكابر والأشراف ، وذلك في تاسع عشر شعبان ، ونفذ إلى القادر بالله ؛ ليحضر وهو بالبَطِيحة[2] .

واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرماً محترماً في أحسن حال ، حتىٰ إنه حمل إليه ليلة شمعة قد أوقد نصفها ، فأنكر ذلك ، فحملوا إليه غيرها ، إلىٰ أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين ، وصلىٰ عليه القادر ، وشيعه الأكابر والخدم ، ورثاه الشريف الرضي بقصيدة[3] .

وكان شديد الانحراف علىٰ آل أبي طالب ، وسقطت الهيبة في أيامه جداً حتىٰ هجاه الشعراء .

[من مات في عهده]

ومات في أيام الطائع من الأعلام : ابن السُّنِّي الحافظ ، وابن عدي ، والقَفَّال الكبير ، والسِّيرافي النحوي ، وأبو سهل الصُّعْلوكي ، وأبو بكر الرازي الحنفي ،

---

(١) المنتظم (١٤/ ٣٣٨ـ ٣٣٩) ، والكامل (٩/ ٦١ـ ٦٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٤٨٥ـ ٤٨٦) .
(٢) المنتظم (١٤/ ٣٤٨ـ ٣٤٩) ، والكامل (٩/ ٧٩ـ ٨٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٥ ـ ٦) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٢٨٦) .

وابن خالويه ، والأزهري إمام اللغة ، وأبو إبراهيم الفارابي صاحب « ديوان الأدب » ، والرفَّاء الشاعر ، وأبو زيد المَرْوَزي الشافعي ، والدَّارَكي ، وأبو بكر الأَبْهَري شيخ المالكية ، وأبو الليث السَّمَرقندي إمام الحنفية ، وأبو علي الفارسي النحوي ، وابن الجلاَّب المالكي .

خلافة القادر بالله

[٣٨١ـ٤٢٢هـ][1]

أبو العباس ، أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة ، وأمه : أمة ، واسمها : تمنىٰ ، وقيل : دمنة .

بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع ، وكان غائباً ، فقدم في عاشر رمضان ، وجلس من الغد جلوساً عاماً وهُنِّىء .

وأنشد بين يديه الشعراء ، من ذلك قول الشريف الرضي[2] : [من الكامل]

شرفُ الخلافةِ يا بني العباسِ   اليومَ جدَّده أبو العبَّاسِ
ذا الطَّودُ بقَّاه الزمانُ ذخيرةً   من ذلك الجبلِ العظيمِ الرَّاسي

قال الخطيب : (وكان القادر من الديانة والسيادة ، وإدامة التهجد ، وكثرة الصدقات ، وحسن الطريقة علىٰ صفةٍ اشتهرت عنه ، تفقه على العلامة : أبي بشر الهَرَوي الشافعي ، وقد صنف كتاباً في الأصول : ذكر فيه فضائل الصحابة ، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن ، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي وبحضرة الناس)[3] .

ترجمه ابن الصلاح في « طبقات الشافعية »[4] .

وقال الذهبي : (في شوال من سنة ولايته عقد مجلس عظيم ، وحلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء ، وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة)[5] .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ بغداد » (٤/ ٣٧) ، و« المنتظم » (١٥/ ٢٢٠) ، و« الكامل » (٩/ ٨٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٧٦) ، و« فوات الوفيات » (١/ ٥٨) .

(٢) البيتان في ديوانه (١/ ٥٤٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٧) .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧) .

(٤) طبقات الشافعية (١/ ٣٢٤) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٧/ ٨) .

وفيها : دعا صاحب مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي إلىٰ نفسه ، وتلقب بالراشد بالله ، وسُلم عليه بالخلافة ، فانزعج صاحب مصر ، ثم ضعف أمر أبي الفتوح ، وعاد إلىٰ طاعة العزيز العبيدي[(١)] .

وفي سنة اثنتين وثمانين : ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ وعمرها ، وسماها دار العلم ، ووقفها على العلماء ، ووقف بها كتباً كثيرة[(٢)] .

وفي سنة أربع وثمانين : عاد الحاج العراقي من الطريق ، اعترضهم الأُصيفر الأعرابي ومنعهم الجواز إلا برسمه ، فعادوا ولم يحجوا ، ولا حج أيضاً أهل الشام ولا اليمن ، إنما حج أهل مصر[(٣)] .

[هلاك تسعة ملوك علىٰ نسق]

وفي سنة سبع وثمانين : مات السلطان فخر الدولة ، وأقيم ابنه رُستم مقامه في السلطنة بالري وأعمالها وهو ابن أربع سنين ، ولقبه القادر : **مجد الدولة**[(٤)] .

قال الذهبي : ومن الأعجوبات : هلاك تسعة ملوك علىٰ نسق في سنتي سبع وثمانين وثمان وثمانين : منصور بن نوح ملك ما وراء النهر ، وفخر الدولة ملك الري والجبال ، والعزيز العبيدي صاحب مصر ، وفيهم يقول أبو منصور عبد الملك الثعالبي[(٥)] : [من الطويل]

أَلم ترَ مُذ عامين أَملاكَ عَصرِنا ... يصيحُ بهم للموتِ والقتلِ صائحُ
فنوحُ بن منصورٍ طوتهُ يدُ الرَّدَىٰ ... علىٰ حَسَرات ضُمِّنتها الجوانِحُ

---

(١) المنتظم (١٤/٣٥٦ـ٣٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/٩ـ١٠) .
(٢) المنتظم (١٤/٣٦٦) .
(٣) المنتظم (١٤/٣٦٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/١٧) .
(٤) انظر « المنتظم » (١٤/٣٨٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/٢١) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٦ـ٣٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/٢٣ـ٢٤) .

ويا بؤسَ منصورٍ وفي يومِ سَرخَسٍ تمـزَّق عنـه ملكُـه وهـو طـائـحُ
وفُرِّق عنه الشملُ بالسَّمْلِ واغتدَىٰ أميـراً ضَـريـراً تعتـريـهِ الجـوائـحُ
وصاحبُ مصر قد مضىٰ لسبيلِه ووالِـي الجبـالِ غيَّبتْـهُ الضـرائـحُ
وصـاحـبُ جُـرجـانيـةٍ فـي نَـدامـةٍ ترصَّده طرفٌ من الحينِ طامِحُ
خُـوارزم شـاهٍ شـاهَ وجـهُ نعيمـهِ وعنَّ له يومٌ من النَّحسِ طالحُ
وكانَ علا في الأرضِ يَخبِطُها أبو علـي إلـىٰ أن طـوَّحتـهُ الطـوائـحُ
وصاحبُ بُسْت ذلك الضَّيغمُ الذي بَـراثنـهُ للمَشـرقيـن مفـاتـحُ
أناخَ به من صدمةِ الدَّهر كَلْكَلٌ فلـم تُغـنِ عنـه والمقـدَّرُ سـانِـحُ
جيوشٌ إذا أَرْبتْ علىٰ عددِ الحَصَىٰ تغـصُّ بهـا قِيعـانُهـا والضَّحـاضِـحُ
ودارَت علىٰ صَمْصام دولةِ بُويهٍ دوائـرُ سـوءٍ سلْبُهُـنَّ فـوادِحُ
وقد جازَ والي الجُوزَجَانِ فناظر الـ ـحياة فـوافَتْـه المَنَـايـا الطَّـوامِـحُ

وذكر الذهبي : (أن العزيز صاحب مصر مات سنة ست وثمانين ، وفُتحت له زيادة علىٰ آبائه : حمص وحماة وحلب ، وخطب له بالموصل وباليمن ، وضرب اسمه فيها على السكة والأعلام)[١] .

وقام بالأمر بعده ابنه منصور ، ولقب : الحاكم بأمر الله .

وفي سنة تسعين : ظهر بسجستان معدن ذهب ، فكانوا يصفُّون من التراب الذهب الأحمر[٢] .

وفي سنة ثلاث وتسعين : أمر نائبُ دمشق الأسود الحاكمي بمغربيٍّ ، فطيف به علىٰ حمار ، ونودي عليه : هـٰذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ، ثم ضُربت عنقه رحمه الله ، ولا رحم قاتله ، ولا أستاذه الحاكم[٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٧/ ١٣١) .
(٢) المنتظم (١٥/ ١٧) ، والكامل (٩/ ١٦٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٦) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٢٧) ، وهـٰذا الخبر ساقط من (أ) .

وفي سنة أربع وتسعين : قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسىٰ الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين ، وكتب له من شيراز العهد ، فلم ينظر في القضاء ؛ لامتناع القادر من الإذن له[1] .

وفي سنة خمس وتسعين : قتلَ الحاكمُ بمصر جماعةً من الأعيان صبراً[2] ، وأمر بكتب سب الصحابة علىٰ أبواب المساجد والشوارع ، وأمر العمال بالسب[3] .

وفيها : أمر بقتل الكلاب ، وبطَّل الفُقَّاع والملوخيا ، ونهىٰ عن السمك الذي لا قشر له ، وقتل جماعة ممن باع ذلك بعد نهيه[4] .

وفي سنة ست وتسعين : أمر الناس بمصر والحرمين إذا ذكر الحاكم . . أن يقوموا ويسجدوا في السوق وفي مواضع الاجتماع[5] .

وفي سنة ثمان وتسعين : وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة في بغداد ، وكاد الشيخ أبو حامد الإسفراييني يقتل فيها ، وصاح الرافضة ببغداد : يا حاكم يا منصور ، فأحفظ القادر من ذلك ، وأنفذ الفرسان الذين علىٰ بابه لمعاونة أهل السنة ، فانكسر الروافض[6] .

وفيها : هدم الحاكم بيعة قمامة التي بالقدس ، وهدم جميع الكنائس التي بمصر ، وأمر النصارىٰ بأن تعمل في أعناقهم الصلبان ، طول الصليب ذراع ،

---

(١) المنتظم (١٥/ ٤٣) ، والكامل (٩/ ١٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٢٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٣١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٨/ ٢٨٣) .

(٤) وفيات الأعيان (٥/ ٢٩٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٨/ ٢٨٤) ، والفقاع : شراب يتخذ من الشعير يعلوه زبد .

(٥) المنتظم (١٥/ ٤٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٣٤) .

(٦) تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٣٧) ، وانظر « الكامل » (٩/ ٢٠٨) .

ووزنه خمسة أرطال بالمصري ، واليهود أن يحملوا في أعناقهم قرامي الخشب في زنة الصلبان ، وأن يلبسوا العمائم السود ، فأسلم طائفة منهم ، ثم بعد ذلك أَذِن في إعادة البِيَع والكنائس ، وأذن لمن أسلم أن يعود إلىٰ دينه ؛ لكونه مكرهاً[1] .

وفي سنة تسع وتسعين : عُزل أبو عمرو قاضي البصرة ، وولي القضاء أبو الحسن ابن أبي الشوارب ، فقال العصفري الشاعر[2] : [من المجتث]

عنـــدي حـــديــثٌ ظـــريــفٌ	بمثلِـــــــهِ يتغَنَّـــــــىٰ
مـــن قـــاضيـيـــن يُعـــزَّىٰ	هـٰــذا وهـٰـــذا يُهنَّـــىٰ
فـــذا يقـــول جُبـــرنـــا	وذا يقـــولُ استَـــرحْنَـــا
ويَكـــذبـــان جَميعـــاً	ومَـــن يُصـــدِّقُ منَّـــا

وفيها : وهىٰ سلطان بني أمية بالأندلس وانخرم نظامهم[3] .

وفي سنة أربع مئة : نقصت دجلة نقصاناً لم يعهد وأُكْرِيَت لأجل جزائر ظهرت ، ولم تكن قبل ذلك قط[4] .

وفي سنة اثنتين : نهى الحاكم عن بيع الرطب وحَرَقَه ، وعن بيع العنب ، وأباد كثيراً من الكروم[5] .

---

(١) المنتظم (١٥/ ٦٠ـ ٦٢) ، والكامل (٩/ ٢٠٨ـ ٢٠٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٣٨ـ ٢٣٩) .
(٢) الأبيات في « المنتظم » (١٥/ ٦٧) ، و« الكامل » (٩/ ٢١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٢٤١) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٤٢) .
(٤) المنتظم (١٥/ ٧٠) ، والكامل (٩/ ٢١٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٢٤٣) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٨/ ٢٨٤) .

وفي سنة أربع : منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً ، واستمر ذلك إلىٰ أن مات[1] .

وفي سنة إحدىٰ عشرة : قُتل الحاكم لعنه الله بحُلوان قرية بمصر ، وقام بعده ابنه علي ، ولقب : بالظاهر لإعزاز دين الله ، وتضعضعت دولتهم في أيامه ، فخرجت عنهم حلب وأكثر الشام[2] .

وفي سنة اثنتين وعشرين : توفي القادر بالله ليلة الاثنين ، الحادي عشر من ذي الحجة ، عن سبع وثمانين سنة ، ومدة خلافته : إحدىٰ وأربعون سنة وثلاثة أشهر .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : أبو أحمد العسكري الأديب ، والرُّمَّاني النحوي ، وأبو الحسن المَاسَرْجِسي شيخ الشافعية ، وأبو عبيد الله المَرْزُباني ، والصاحب بن عبَّاد ؛ وهو وزير مؤيد الدولة ، وهو أول من سمي بالصاحب من الوزراء ، والدَّارَقُطني الحافظ المشهور ، وابن شاهين ، وأبو بكر الأُوْدَني إمام الشافعية ، ويوسف بن السِّيرافي ، وابن زُولاق المصري ، وابن أبي زيد المالكي شيخ المالكية ، وأبو طالب المكي صاحب « قوت القلوب » ، وابن بطة الحنبلي ، وابن سَمْعون الواعظ ، والخَطَّابي ، والحاتمي اللغوي ، والأُدْفُوي أبو بكر ، وزاهر السَّرْخَسي شيخ الشافعية ، وابن غَلْبون المقرىء ، والكُشْمَيهني راوي « الصحيح » ، والمعافى بن زكريا النَّهرواني ، وابن خُوَيز مَنْداد ، وابن جِنِّي ، والجوهري صاحب « الصحاح » ، وابن فارس صاحب « المجمل » ،

---

(١) ذكر الذهبي هـٰذا الخبر في « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٢١) في حوادث سنة (٤٠٥) مفصلاً ، وذكره مجملاً في ترجمة منصور الحاكم بأمر الله (٢٨/ ٢٨٧) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٢٣٧ ـ ٢٤٢) .

وابن منده الحافظ ، والإسماعيلي شيخ الشافعية ، وأصبغ بن الفرج شيخ المالكية ، وبديع الزمان ؛ أول من عمل المقامات ، وابن لال ، وابن أبي زَمَنِين ، وأبو حيان التوحيدي ، والوَأْواء الشاعر ، والهَرَوي صاحب « الغريبين » ، وأبو الفتح البُسْتي الشاعر ، والحَلِيمي شيخ الشافعية ، وابن الفرضي ، وأبو الحسن القابسي ، والقاضي أبو بكر الباقلاَّني ، وأبو الطيب الصُّعْلوكي ، وابن الأَكْفاني ، وابن نُباتة صاحب الخطب ، والصَّيمري شيخ الشافعية ، والحاكم صاحب « المستدرك » ، وابن كُجّ ، والشيخ أبو حامد الإسفراييني ، وابن فُورك ، والشريف الرضي ، وأبو بكر الشِّيرازي صاحب « الألقاب » ، والحافظ عبد الغني بن سعيد ، وابن مَرْدَويه ، وهبة الله بن سلامة الضرير المفسر ، وأبو عبد الرحمـٰن السُّلَمي شيخ الصوفية ، وابن البواب صاحب الخط ، وعبد الجبار المعتزلي ، والمَحاملي إمام الشافعية ، وأبو بكر القَفَّال شيخ الشافعية ، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ، واللاَّلَكائي ، وابن الفخَّار عالم الأندلس ، وعلي بن عيسى الرَّبَعي النحوي ، وخلائق آخرون كبار .

[فَائِدَةٌ]

[فيمن كان من رؤوس العلماء في هـٰذا العصر]

قال الذهبي : (كان في هـٰذا العصر رأس الأشعرية : أبو إسحاق الإسفراييني ، ورأس المعتزلة : القاضي عبد الجبار ، ورأس الرافضة : الشيخ المفيد ، ورأس الكرامية : محمد بن الهَيْصَم ، ورأس القراء : أبو الحسن الحمامي ، ورأس المحدثين : الحافظ عبد الغني بن سعيد ، ورأس الصوفية : أبو عبد الرحمـٰن السُّلَمي ، ورأس الشعراء : أبو عمر ابن دَرَّاج ، ورأس المجودين : ابن البواب ، ورأس الملوك السلطان : محمود بن سُبُكْتِكين)[1] .

قلت : ويضم إلىٰ هـٰذا رأس الزنادقة : الحاكم بأمر الله ، ورأس اللغويين :

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٨/ ٢٣٢) .

الجوهري ، ورأس النحاة : ابن جِنِّي ، ورأس البلغاء : البديع ، ورأس الخطباء : ابن نُباتة ، ورأس المفسرين : أبو القاسم بن حبيب النيسابوري ، ورأس الخلفاء : القادر بالله ؛ فإنه من أعلامهم ، تفقَّه وصنَّف ، وناهيك بأن الشيخ تقي الدين ابن الصلاح عدَّه من الفقهاء الشافعية ، وأورده في طبقاتهم ، ومدته في الخلافة من أطول المدد .

خلافة القائم بأمر الله

[٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ][1]

أبو جعفر ، عبد الله بن القادر ، ولد في نصف ذي القعدة ، سنة إحدىٰ وتسعين وثلاث مئة ، وأمه : أم ولد أرمنية ، اسمها : بدر الدجىٰ ، وقيل : قطر الندىٰ .

ولي الخلافة عند موت أبيه في سنة اثنتين وعشرين ، وكان ولي عهده في الحياة ، وهو الذي لقبه : بالقائم بأمر الله .

قال ابن الأثير : (كان جميلاً مليح الوجه ، ورعاً ديناً زاهداً ، عالماً قوي اليقين بالله ، كثير الصدقة والصبر ، له عناية بالأدب ، ومعرفة حسنة بالكتابة ، مؤثراً للعدل والإحسان وقضاء الحوائج ، لا يرى المنع من شيء طلب منه)[2] .

[حبس الخليفة ثم إطلاقه وقتل البساسيري]

قال الخطيب : (ولم يزل أمره مستقيماً إلىٰ أن قُبض عليه في سنة خمسين وأربع مئة ، وكان السبب في ذلك : أن أرسلان التركي البَساسِيري كان قد عظم أمره ، واستفحل شأنه ؛ لعدم نظرائه ، وانتشر ذكره ، وتهيبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على المنابر ، وجبى الأموال ، وخرَّب القرىٰ ، ولم يكن القائم يقطع أمراً دونه ، ثم صح عنده سوء عقيدته ، وبلغه : أنه عزم علىٰ نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة ، فكاتب الخليفةُ أبا طالب محمد ابن ميكال سلطان الغُزِّ ؛ المعروف : بطُغْرُلْبَك وهو بالري يستنهضه في القدوم ، ثم أحرقت دار البَساسِيري .

---

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ بغداد » (٩/٣٩٩) ، و« المنتظم » (١٥/١٦٨) ، و« الكامل » (١٠/٩٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٣١/٢٢٦) ، و« فوات الوفيات » (٢/١٥٧) ، و« البداية والنهاية » (١٢/٣١) .

(٢) الكامل (١٠/٩٥) .

وقدم طُغْرُلْبَك في سنة سبع وأربعين ، فذهب البَساسِيري إلى الرحبة ، وتلاحق به خلق من الأتراك ، وكاتب صاحب مصر فأمده بالأموال ، وكاتب يَنَال أخا طُغْرُلْبَك ، وأطمعه بمنصب أخيه ، فخرج يَنَال ، واشتغل به طُغْرُلْبَك .

ثم قدم البَساسِيري بغداد في سنة خمسين ومعه الرايات المصرية ، ووقع القتال بينه وبين الخليفة ، ودُعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور ، وزيد في الأذان : « حي علىٰ خير العمل » ، ثم خطب له في كل الجوامع إلا جامع الخليفة ، ودام القتال شهراً .

ثم قبض البَساسِيري على الخليفة في ذي الحجة ، وسيَّره إلىٰ عانة ، فحبسه بها ، وأما طُغْرُلْبَك . . فظفر بأخيه وقتله ، ثم كاتب متولي عانة في رد الخليفة إلىٰ داره مكرماً ، فحصل الخليفة في مقر عزه في الخامس والعشرين من ذي القعدة ، سنة إحدىٰ وخمسين ، ودخل بأبَّهة عظيمة والأمراء والحجاب بين يديه .

وجهز طُغْرُلْبَك جيشاً ، فحاربوا البَساسِيري ، فظفروا به ، فقُتل وحمل رأسه إلىٰ بغداد)[1] .

ولما رجع الخليفة إلىٰ داره . . لم ينم بعدها إلا علىٰ فراش مصلاه ، ولزم الصيام والقيام ، وعفا عن كل من آذاه ، ولم يسترد شيئاً مما نهب من قصره إلا بالثمن ، وقال : هـٰذه أشياء احتسبناها عند الله ، ولم يضع رأسه بعدها علىٰ مخدة .

ولما نهب قصره . . لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي[2] .

[نص رسالة الخليفة المسجون للكعبة]

وروي : أنه لما سجنه البَساسِيري . . كتب قصة ونفذها إلىٰ مكة ، فعُلقت في الكعبة فيها : (إلى الله العظيم من المسكين عبده ، اللهم ؛ إنك العالم بالسرائر ، المطلع على الضمائر ، اللهم ؛ إنك غني بعلمك واطلاعك علىٰ خلقك عن

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٣٩٩ـ ٤٠٣) ، وتاريخ الإسلام (٣١/ ٢٢٧ـ ٢٢٩) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣١/ ٢٢٧) .

إعلامي ، هٰذا عبد قد كفر نعمك وما شكرها ، وألغى العواقب وما ذكرها ، أطغاه حلمك حتىٰ تعدَّىٰ علينا بغياً ، وأساء إلينا عتواً وعدواً ، اللهم ؛ قلَّ الناصر واعتز الظالم ، وأنت المطلع العالم ، المنصف الحاكم ، بك نعتز عليه ، وإليك نهرب من يديه ، فقد تعزز علينا بالمخلوقين ، ونحن نعتز بك ، وقد حاكمنا إليك ، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك ، ورفعنا ظلامتنا هٰذه إلىٰ حرمك ، ووثقنا في كشفها بكرمك ، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين)[1] .

وفي سنة ثمان وعشرين : مات الظاهر العبيدي صاحب مصر ، وأقيم ابنه المستنصر معد وهو ابن سبع سنين ، فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر .

قال الذهبي : (ولا أعلم أحداً في الإسلام : لا خليفة ولا سلطاناً أقام هٰذه المدة ، وفي أيامه كان الغلاء بمصر الذي ما عُهد مثله منذ زمان يوسف ، فأقام سبع سنين حتىٰ أكل الناس بعضهم بعضاً ، وحتىٰ قيل : إنه بيع رغيف بخمسين ديناراً)[2] .

وفي سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة : قطع المعز بن باديس الخطبة للعبيدي بالمغرب ، وخطب لبني العباس[3] .

وفي سنة إحدىٰ وخمسين : كان عقد الصلح بين السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غَزْنة وبين السلطان جغري بك بن سلجوق أخي طُغْرُلْبَك صاحب خراسان بعد حروب كثيرة ، ثم مات جغري بك في السنة ، وأقيم مكانه ابنه أَلْب أرسلان[4] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٣١/ ٢٣٠ـ ٢٣١) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣٣/ ٢٢٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (٣٣/ ٢٢٩) .
(٤) الكامل (١٠/ ٥ـ ٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٧٣) .

وفي سنة أربع وخمسين : زوجَ الخليفة بنته لطُغْرُلْبَك بعد أن دافع بكل ممكن ، وانزعج واستعفىٰ ، ثم لان لذلك برغم منه ، وهـٰذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بُوَيه مع قهرهم للخلفاء وتحكمهم فيهم[1] .

قلت : والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من مماليك السلطان فضلاً عن السلطان ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم قدم طُغْرُلْبَك في سنة خمس ، فدخل بابنة الخليفة ، وأعاد المواريث والمكوس ، وضمن بغداد بمئة وخمسين ألف دينار ، ثم رجع إلى الري فمات بها في رمضان ، فلا عفا الله عنه ، وأقيم في السلطنة بعده ابن أخيه عضد الدولة أَلْب أرسلان صاحب خراسان ، وبعث إليه القائم بالخِلَع والتقليد[2] .

قال الذهبي : (وهو أول من ذكر بالسلطان علىٰ منابر بغداد ، وبلغ ما لم يبلغه أحد من الملوك ، وافتتح بلاداً كثيرة من بلاد النصارىٰ ، واستوزر نظام الملك ، فأبطل ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الأشعرية ، وانتصر للشافعية ، وأكرم إمام الحرمين وأبا القاسم القشيري ، وبنى النظامية ، قيل : وهي أول مدرسة بنيت للفقهاء)[3] .

وفي سنة ثمان وخمسين : ولدت بباب الأزج صغيرة لها رأسان ووجهان ورقبتان علىٰ بدن واحد[4] .

وفيها : ظهر كوكب كأنه دارة القمر ليلة تمه بشعاع عظيم ، وهال الناس ذلك ، وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوءه وغاب[5] .

---

(١) الكامل (١٠/ ٢٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٧٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٨١ـ ٢٨٢) .
(٣) تاريخ الإسلام (٣١/ ١٦١) (٣٠/ ٢٨٤ ـ ٢٩٠) .
(٤) المنتظم (١٦/ ٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٩٢) .
(٥) تاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٩٢) .

وفي سنة تسع وخمسين : فرغت المدرسة النظامية ببغداد ، وقرر لتدريسها الشيخ أبو إسحاق الشِّيرازي ، فاجتمع الناس فلم يحضر واختفىٰ ، فدرَّس ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، ثم تلطَّفوا بالشيخ أبي إسحاق حتىٰ أجاب ودرَّس[1] .

* * *

وفي سنة ستين : كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التي خربتها ، حتىٰ طلع الماء من رؤوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً ، وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم ، فنزل الناس إلىٰ أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم[2] .

* * *

وفي سنة إحدىٰ وستين : احترق جامع دمشق ، وزالت محاسنه وتشوَّه منظره ، وذهبت سقوفه المذهبة[3] .

* * *

وفي سنة اثنتين وستين : ورد رسول أمير مكة على السلطان أَلْب أرسلان بأنه أقام الخطبة العباسية ، وقطع خطبة المستنصر المصري ، وترك الأذان بـ« حي علىٰ خير العمل » ، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخِلَعاً[4] .

وسبب ذلك : ذلة المصريين بالقحط المفرط سنين متوالية ، حتىٰ أكل الناسُ الناسَ[5] ، وبلغ الإردب مئة دينار ، وأبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير[6] .

---

(١) المنتظم (١٦/ ١٠٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٩٤) .
(٢) الكامل (١٠/ ٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٩٦) .
(٣) الكامل (١٠/ ٥٩) ، وتاريخ الإسلام (٣١/ ٥) .
(٤) الكامل (١٠/ ٦١) ، وتاريخ الإسلام (٣١/ ٧ـ ٨) .
(٥) في (أ) : (أكل الناس بعضهم بعضاً) ، وفي « تاريخ الإسلام » : (أذل الناس بعضهم بعضاً) .
(٦) تاريخ الإسلام (٣١/ ٨) .

وحكىٰ صاحب « المرآة » : (أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر ، فقالت : من يأخذه بمد بر ؟ فلم يلتفت إليها أحد)[1] .

وقال بعضهم يهنىء القائم[2] : [من الطويل]

وقـد علـمَ المصـري أنَّ جنـودَه ... سِنُو يوسفٍ فيها وطاعونُ عَمْواسِ

أقـامَـت بـه حتـى اسْتَـراب بنفسِـهِ ... وأَوجَـسَ منهـا خيفـةً أيَّ إيجـاسِ

وفي سنة ثلاث وستين : خطب بحلب للقائم وللسلطان أَلْب أرسلان لما رأوا قوة دولتهما وإدبار دولة المستنصر[3] .

وفيها : كانت وقعة عظيمة بين الإسلام والروم ، ونُصر المسلمون ولله الحمد ، ومقدمهم السلطان : أَلْب أرسلان ، وأسر ملك الروم ، ثم أطلقه بمال جزيل ، وهادنه خمسين سنة ، ولما أطلق.. قال للسلطان : أين جهة الخليفة ؟ فأشار له ، فكشف رأسه وأومأ إلى الجهة بالخدمة[4] .

وفي سنة أربع وستين : كان الوباء في الغنم[5] .

وفي سنة خمس وستين : قُتل السلطان أَلْب أرسلان ، وقام في الملك ولده : ملكشاه ، ولقب : جلال الدولة ، وردَّ تدبير المملكة إلىٰ نظام الملك ولقبه : الأتابك ؛ وهو أول من لقب به ؛ ومعناه : الأمير الوالد[6] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٨/٣١) .
(٢) نسب البيتان في « الكامل » (٦٢/١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٩/٣١) إلى ابن الفضل علي بن الحسن الملقب بـ : صرَّ دُر ، وهما في « ديوانه » (ص ٤) .
(٣) تاريخ الإسلام (١٠/٣١) .
(٤) الكامل (٦٥/١٠ـ٦٦) ، وتاريخ الإسلام (١١/٣١ـ١٣) .
(٥) تاريخ الإسلام (١٥/٣١) .
(٦) انظر « المنتظم » (١٤٦/١٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧/٣١) .

وفيها : اشتد الغلاء بمصر حتىٰ أكلت امرأة رغيفاً بألف دينار ، وكثر الوباء إلى الغاية[1] .

وفي سنة ست وستين : كان الغرق العظيم ببغداد ، وزادت دجلة ثلاثين ذراعاً ، ولم يقع مثل ذلك قط ، وهلكت الأموال والأنفس والدواب ، وركبت الناس في السفن ، وأقيمت الجمعة في الطيار علىٰ ظهر الماء مرتين ، وقام الخليفة يتضرع إلى الله ، وصارت بغداد مَلَقَة واحدة ، وانهدم مئة ألف دار أو أكثر[2] .

[موت الخليفة القائم بأمر الله]

وفي سنة سبع وستين : مات الخليفة القائم بأمر الله ، ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان ؛ وذلك : أنه افتصد ونام ، فانحل موضع الفصد وخرج منه دم كثير ، فاستيقظ وقد انحلت قوته ، فطلب حفيده ولي العهد عبد الله بن محمد ، ووصاه ثم توفي ، ومدة خلافته : خمس وأربعون سنة[3] .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : أبو بكر البَرْقاني ، وأبو الفضل الفلكي ، والثعلبي المفسر ، والقُدُوري شيخ الحنفية ، وابن سينا شيخ الفلاسفة ، ومِهْيار الشاعر ، وأبو نعيم صاحب « الحلية » ، وأبو زيد الدَّبُوسي ، والبَرَاذعي[4] المالكي صاحب « التهذيب » ، وأبو الحسين البصري المعتزلي ، ومكي صاحب

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣١/ ٢٠) .

(٢) انظر « المنتظم » (١٦/ ١٥٤ـ ١٥٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٣١/ ٢٤) ، والمَلَقَة : الأرض التي لا يبين فيها الأثر .

(٣) تاريخ الإسلام (٣١/ ٢٢٧) .

(٤) في (أ ، ب ، جـ ، د) : (البرادعي) ، وفيه الوجهان .

« الإعراب » ، والشيخ أبو محمد الجُوَيني ، والمهدوي صاحب « التفسير » ، والإفْلِيلي ، والثَّمانيني ، وأبو عمرو الداني ، والخليلي صاحب « الإرشاد » ، وسليم الرازي ، وأبو العلاء المعرِّي ، وأبو عثمان الصابوني ، وابن بطَّال شارح « البخاري » ، والقاضي أبو الطيب الطبري ، وابن شيطا المقرىء ، والماوردي الشافعي ، وابن بابشاذ ، والقُضاعي صاحب « الشهاب » ، وابن برهان النحوي ، وابن حزم الظاهري ، والبيهقي ، وابن سيده صاحب « المحكم » ، وأبو يعلى بن الفرَّاء شيخ الحنابلة ، والخضري من الشافعية ، والهُذَلي صاحب « الكامل في القراءات » ، والفُوراني ، والخطيب البغدادي ، وابن رَشيق صاحب « العمدة » ، وابن عبد البر .

خلافة المقتدي بأمر الله

[٤٦٧ - ٤٨٧هـ][1]

أبو القاسم ، عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، مات أبوه في حياة القائم وهو حمل ، فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر ، وأمه : أم ولد ، اسمها : أرجوان .

وبويع له بالخلافة عند موت جده ، وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكانت البيعة بحضرة الشيخ : أبي إسحاق الشيرازي ، وابن الصباغ ، والدَّامَغاني[2] .

وظهر في أيامه خيرات كثيرة ، وآثار حسنة في البلدان ، وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة ، بخلاف مَنْ تقدَّمه .

ومن محاسنه : أنه نفى المغنيات والخواطىء ببغداد ، وأمر ألا يدخل أحدٌ الحمام إلا بمئزر ، وخرب أبراج الحمام ؛ صيانةً لحرم الناس[3] .

وكان ديناً خيراً ، قوي النفس عالي الهمة ، من نجباء بني العباس[4] .

وفي هـٰذه السنة من خلافته : أُعيدت الخطبة للعبيدي بمكة[5] .

وفيها : جمع نظام الملك المنجمين ، وجعلوا النيروز أول نقطة من الحَمَل ، وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت ، وصار ما فعله النظام مبدأ التقاويم[6] .

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٤/١٧) ، و« الكامل » (٩٤/١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢١٠/٣٤) ، و« فوات الوفيات » (٢١٩/٢) ، و« البداية والنهاية » (١٤٦/١٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٨/٣١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢١١/٣٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢١١/٣٣) .

(٥) انظر « المنتظم » (١٦٧/١٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٩/٣١) .

(٦) الكامل (٩٨/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/٣١) .

وفي سنة ثمان : خطب للمقتدي بدمشق ، وأبطل الأذان بـ(حي علىٰ خير العمل) ، وفرح الناس بذلك[١] .

وفي سنة تسع وستين : قدم بغداد أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم القشيري ، فوعظ بالنظامية ، وجرىٰ له فتنة كبيرة مع الحنابلة ؛ لأنه تكلم علىٰ مذهب الأشعري وحط عليهم ، وكثر أتباعه والمتعصبون له ، فهاجت فتن وقتلت جماعة[٢] .

وعزل فخر الدولة بن جَهِير من وزارة المقتدي ؛ لكونه شذ من الحنابلة[٣] .

وفي سنة خمس وسبعين : بعث الخليفةُ الشيخَ أبا إسحاق الشيرازي رسولاً إلى السلطان يتضمن الشكوىٰ من العميد أبي الفتح[٤] .

وفي سنة ست وسبعين : رخصت الأسعار بسائر البلاد ، وارتفع الغلاء[٥] .

وفيها : ولَّى الخليفة أبا شجاع محمد بن الحسين الوزارة ، ولقبه : ظهير الدين[٦] ، وأظن ذلك أول حدوث التلقيب بالإضافة إلى الدين .

وفي سنة سبع وسبعين : سار سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قُونِية وأَقْصَرا بجيوشه إلى الشام ، فأخذ أَنْطاكِيَة وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة ، وأرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره[٧] .

---

(١) انظر « الكامل » (١٠/ ٩٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٣١/ ٣٢) .
(٢) المنتظم (١٦/ ١٨١) ، وتاريخ الإسلام (٣١/ ٣٤) .
(٣) الكامل (١٠/ ١٠٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٢/ ٥) ، والخبر من أحداث سنة (٤٧١هـ) .
(٤) الكامل (١٠/ ١٢٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٢/ ١٤) .
(٥) الكامل (١٠/ ١٣٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٢/ ١٨) .
(٦) تاريخ الإسلام (٣٢/ ١٧) .
(٧) تاريخ الإسلام (٣٢/ ٢١) .

قال الذهبي : (وآل سلجوق هم ملوك بلاد الروم ، وقد امتدت أيامهم وبقي منهم بقية إلىٰ زمن الملك الظاهر بيبرس)[1] .

* * *

وفي سنة ثمان وسبعين : جاءت ريح سوداء ببغداد ، واشتد الرعد والبرق ، وسقط رمل وتراب كالمطر ، ووقعت عدة صواعق ، وظن الناس أنها القيامة ، وبقيت ثلاث ساعات بعد العصر ، وقد شاهد هـٰذه الكائنة الإمام أبو بكر الطرطوشي ، وأوردها في « أماليه »[2] .

* * *

وفي سنة تسع وسبعين : أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سَبتة ومَرَّاكُش إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه وأن يقلده ما بيده من البلاد ، فبعث إليه الخلع والأعلام والتقليد ، ولقبه : بأمير المسلمين ، ففرح بذلك وسُرَّ به فقهاء المغرب ، وهو الذي أنشأ مدينة مَرَّاكُش[3] .

وفيها : دخل السلطان ملكشاه بغداد ، وهو أول دخوله إليها ، فنزل بدار المملكة ، ولعب بالكرة ، وقدم تَقادِمَ للخليفة ، ثم رجع إلىٰ أصبهان[4] .

وفيها : قطعت خطبة العبيدي بالحرمين وخُطب للمقتدي[5] .

وفي سنة إحدىٰ وثمانين : مات ملك غَزْنة المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين ، وقام مقامه ابنه جلال الدين مسعود[6] .

* * *

(١) تاريخ الإسلام (٢٩/ ٧٥) .
(٢) المنتظم (١٦/ ٢٤٠ـ ٢٤١) ، وتاريخ الإسلام (٣٢/ ٢٧) .
(٣) الكامل (١٠/ ١٥٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٢/ ٣١) .
(٤) تاريخ الإسلام (٣٢/ ٣١) ، والتقادِمُ : الهدايا والتحف .
(٥) الكامل (١٠/ ١٥٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٢/ ٣٣) .
(٦) الكامل (١٠/ ١٦٧ـ ١٦٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ٦) .

وفي سنة ثلاث وثمانين : عملت ببغداد مدرسة لتاج الملك مستوفي الدولة بباب أبرز ، ودرَّس بها أبو بكر الشاشي[1] .

وفي سنة أربع وثمانين : استولت الفرنج علىٰ جميع جزيرة صِقِلِّيَّة ، وأول ما فتحها المسلمون بعد المئتين ، وحكم عليها آل الأغلب دهراً ، إلىٰ أن استولى العبيدي المهدي على المغرب[2] .

[عزم ملكشاه علىٰ أخذ بغداد فمات]

وفيها : قدم السلطان ملكشاه بغداد ، وأمر بعمل جامعٍ كبير بها ، وعمل الأمراء حوله دوراً ينزلونها ، ثم رجع إلىٰ أصبهان ، وعاد إلىٰ بغداد في سنة خمس وثمانين عازماً على الشر ، وأرسل إلى الخليفة يقول : لا بد أن تترك لي بغداد وتذهب إلىٰ أي بلد شئت ، فانزعج الخليفة وقال : أمهلني ولو شهراً ، قال : ولا ساعة واحدة ، فأرسل الخليفة إلىٰ وزير السلطان يطلب المهلة عشرة أيام ، فاتفق مرض السلطان وموته ، وعدَّ ذلك كرامة للخليفة[3] .

وقيل : إن الخليفة جعل يصوم ، فإذا أفطر . . جلس على الرماد ودعا علىٰ ملكشاه ، فاستجاب الله دعاءه ، وذهب إلىٰ حيث أَلْقَت[4] .

ولما مات . . كتمت زوجته تركان موته ، وأرسلت إلى الأمراء سراً ، فاستحلفتهم لولده محمود ؛ وهو ابن خمس سنين ، فحلفوا له ، وأرسلت إلى المقتدي في أن يسلطنه ، فأجاب ولقبه : ناصر الدنيا والدين ، ثم خرج عليه أخوه بَرْكْيارُوق بن ملكشاه ، فقلده الخليفة ، ولقبه : ركن الدين ، وذلك في محرم سنة سبع وثمانين ، وعلم الخليفة علىٰ تقليده[5] .

---

(١) الكامل (١٠/ ١٨٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ١٢) ، وتعرف بالمدرسة التاجية .

(٢) الكامل (١٠/ ١٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ١٧) .

(٣) المنتظم (١٦/ ٢٩٨ـ ٢٩٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ١٩ و٢٣) .

(٤) وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٩) .

(٥) انظر « المنتظم » (١٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٣/ ٢٥) .

ثم مات الخليفة من الغد فجأة ، فقيل : إن جاريته شمس النهار سمَّته ، وبويع لولده المستظهر .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المقتدي من الأعلام : عبد القاهر الجُرْجاني ، وأبو الوليد الباجي ، والشيخ أبو إسحاق الشِّيرازي ، والأعلم النحوي ، وابن الصباغ صاحب « الشامل » ، والمتولي ، وإمام الحرمين ، والدَّامَغاني الحنفي ، وابن فضال المُجَاشعي ، والبَزْدَوي شيخ الحنفية .

خلافة المستظهر بالله

[٤٨٧ـ ٥١٢هـ][1]

أبو العباس ، أحمد بن المقتدي بالله ، ولد في شوال ، سنة سبعين وأربع مئة ، وبويع له عند موت أبيه ، وله ست عشرة سنة .

قال ابن الأثير : (كان لين الجانب ، كريم الأخلاق يسارع في أعمال البر ، حسن الخط جيد التوقيعات ، لا يقاربه فيها أحد ، يدل علىٰ فضل غزير ، وعلم واسع ، سمحاً جواداً ، محباً للعلماء والصلحاء ، ولم تَصْفُ له الخلافة ، بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب)[2] .

وفي هـٰذه السنة من أيامه : مات المستنصر العبيدي صاحب مصر ، وقام بعده ابنه المستعلي أحمد[3] .

وفيها : أخذت الروم بَلَنْسِيَة[4] .

وفي سنة ثمان وثمانين : قُتل أحمد خان صاحب سمرقند ؛ لأنه ظهر منه الزندقة ، فقبض عليه الأمراء ، وأحضروا الفقهاء فأفتوا بقتله ، فقُتل لا رحمه الله ، وملَّكوا ابن عمه[5] .

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٧/ ١٦٥) ، و« الكامل » (١٠/ ٢٣١) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٦/ ٢٧٣) ، و« فوات الوفيات » (١/ ٨٨) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ١٨٢) .

(٢) الكامل (١٠/ ٥٣٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٣٢٧) .

(٣) الكامل (١٠/ ٢٣٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ٣٥ـ ٣٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٣/ ٣٧) .

(٥) الكامل (١٠/ ٢٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ٣٨) .

وفي سنة تسع وثمانين : اجتمعت الكواكب السبعة سوىٰ زحل في برج الحوت ، فحكم المنجمون بطوفان يقارب طوفان نوح ، فاتفق أن الحُجَّاج نزلوا في دار المناقب ، فأتاهم سيل غرق أكثرهم[1] .

وفي سنة تسعين : قُتل السلطان أرسلان أرغون بن أَلْب أرسلان السلجوقي صاحب خراسان ، فتملَّكها السلطان بَرْكْيارُوق ، ودانت له البلاد والعباد[2] .

وفيها : خطب للعبيدي بحلب وأنْطاكِيَة والمعرَّة وشَيزَر شهراً ، ثم أُعيدت الخطبة العباسية[3] .

وفيها : جاءت الفرنج فأخذوا نِيْقِيَة ، وهو أول بلد أخذوه ، ووصلوا إلىٰ كَفْر طاب ، واستباحوا تلك النواحي ، فكان هـٰذا أول مظهر الفرنج بالشام ، قدموا في بحر القسطنطينية في جمع عظيم ، وانزعجت الملوك والرعية ، وعظم الخطب ، فقيل : إن صاحب مصر لما رأىٰ قوة السلجوقية واستيلاءهم على الشام . . كاتب الفرنج يدعوهم إلى المجيء إلى الشام ليملِّكوه ، وكثر النفير على الفرنج من كل جهة[4] .

وفي سنة اثنتين وتسعين : انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان[5] .

[استيلاء الفرنج علىٰ بيت المقدس]

وفيها : أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف ، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً ، منهم جماعة من العلماء والعبَّاد والزهاد ، وهدموا المشاهد ،

---

(١) المنتظم (١٧/ ٣١) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ٤٣) .
(٢) الكامل (١٠/ ٢٦٤ـ ٢٦٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ٤٥ـ ٤٦) .
(٣) الكامل (١٠/ ٢٦٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/ ٤٧) .
(٤) تاريخ الإسلام (٣٣/ ٤٧ـ ٤٨) .
(٥) الكامل (١٠/ ٢٨١ـ ٢٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ١٥) .

وجمعوا اليهود في الكنيسة ، وأحرقوها عليهم ، وورد المستنفرون إلىٰ بغداد ، فأوردوا كلاماً أبكى العيون ، واختلفت السلاطين ، فتمكنت الفرنج من الشام ، وللأَبِيْوَردي في ذلك[1] : [من الطويل]

مزَجْنا دماءً بالدُّموعِ السَّواجِمِ ... فلم يبقَ منَّا عُرضةٌ للمَراجمِ[2]

وشرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضهُ ... إذا الحربُ شبَّت نارُها بالصَّوارمِ

فَإيهاً بَني الإسلامِ إن وراءكُم ... وقائعَ يُلحِقن الرَّدىٰ بالمَناسمِ

أتهويمةٌ في ظلِّ أمنٍ وغِبطَةٍ ... وعيشٍ كنُوَّار الخميلةِ ناعمِ[3]

وكيفَ تنامُ العينُ ملءَ جفونِها ... علىٰ هَبَواتٍ أيقظت كلَّ نائمِ

وإخوانُكم بالشامِ يُضحي مقيلُهم ... ظُهورَ المَذاكي أو بُطونَ القَشاعمِ

تَسومهمُ الرُّوم الهوانَ وأنتمُ ... تجرُّون ذيلَ الخفضِ فِعلَ المُسالمِ

فكَم من دماءٍ قد أُبيحت ومن دُمىً ... تُواري حياءً حُسنَها بالمَعاصمِ

بحيثُ السيوفُ البيضُ محمرَّةُ الظُّبا ... وسمرُ العوالي داميات اللَّهازمِ[4]

يكادُ لهنَّ المُستجِنُّ بطَيبةٍ ... يُنادي بأعلَى الصوتِ يا آلَ هاشمِ[5]

أَرىٰ أُمتي لا يُشرِعون إلى العِدَىٰ ... رماحَهُمُ والدينُ واهي الدَّعائمِ

ويَجتنِبُونَ النارَ[6] خوفاً من الرَّدىٰ ... ولا يَحسبون العارَ ضَربةَ لازمِ

أَترضىٰ صناديدُ الأَعاريبِ بالأَذَىٰ ... وتُغضي علىٰ ذلٍّ كُماةُ الأَعاجمِ

فليتَهمُ إذ لم يَذودوا حميَّةً ... عن الدينِ ضَنُّوا غَيرةً بالمَحارمِ

وفيها : خرج محمد بن ملكشاه علىٰ أخيه السلطان بَرْكْيارُوق ، فانتصر

---

(١) الخبر مع الأبيات في « المنتظم » (١٧/ ٤٧ـ ٤٨) ، و« الكامل » (١٠/ ٢٨٤ـ ٢٨٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٣/ ١٥ـ١٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٤٩٤) .

(٢) الدموع السواجم : الدموع السائلة ، والمراجم ـ جمع مِرجمة ـ : القذّافة .

(٣) التهويم : هز الرأس من النعاس .

(٤) الظبا : حد السيف ، واللهازم ـ جمع لهزمة ـ : العظم الناتىء في اللَّحْي تحت الأذن .

(٥) المستجن : المستتر .

(٦) في (أ ، ب ، د ، هـ) : (الثأر) .

عليه ، فقلده الخليفة ؛ ولُقب : غياث الدنيا والدين ، وخُطب له ببغداد ، ثم جرت بينهما عدة وقعات[1] .

وفيها : نقل المصحف العثماني من طبرية إلىٰ دمشق ؛ خوفاً عليه ، وخرج الناس لتلقيه ، فآووه في خزانة بمقصورة الجامع[2] .

وفي سنة أربع وتسعين : كثر أمر الباطنية بالعراق ، وقَتْلهم الناس ، واشتد الخطب بهم حتىٰ كانت الأمراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم ، وقتلوا خلائق منهم : الرُّوياني صاحب « البحر »[3] .

وفيها : أخذ الفرنج بلد سَرُوج ، وحيفا ، وأَرْسُوف ، وقَيسارية[4] .

وفي سنة خمس وتسعين : مات المُستعلي صاحب مصر ، وأقيم بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور ؛ طفل له خمس سنين[5] .

وفي سنة ست وتسعين : جرت فتن للسلطان ، فترك الخطباء الدعوة للسلطان ، واقتصروا على الدعوة للخليفة لا غير[6] .

وفي سنة سبع وتسعين : وقع الصلح بين السلطانين : محمد وبَرْكَيارُوق ؛ وسببه : أن الحروب لما تطاولت بينهما وعم الفساد ، وصارت الأموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والبلاد مخربة ، والسلطنة مطموعاً فيها ، وأصبح الملوك

---

(١) الكامل (١٠/ ٢٨٧ـ ٢٨٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣٤/ ٢١) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤/ ٣٤ ـ ٣٥) .
(٤) تاريخ الإسلام (٣٤/ ٣٦ ـ ٣٧) .
(٥) الكامل (١٠/ ٣٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٤١) .
(٦) الكامل (١٠/ ٣٥٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٥٤) .

مقهورين بعد أن كانوا قاهرين . . دخل العقلاء بينهما في الصلح ، وكتبت بينهم العهود والأيمان والمواثيق ، وأرسل الخليفة خِلَع السلطنة إلىٰ بَرْكْيارُوق ، وأُقيمت له الخطبة ببغداد[1] .

وفي سنة ثمان وتسعين : مات السلطان بَرْكْيارُوق ، فأقام الأمراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه ، وقلده الخليفة ، وخُطب له ببغداد ، وله دون خمس سنين ، فخرج عمه محمد ، واجتمعت الكلمة عليه ، فقلده الخليفة ، وعاد إلىٰ أصبهان سلطاناً متمكناً مهيباً كثير الجيوش[2] .

وفيها : كان ببغداد جدري مفرط ، مات فيه خلق من الصبيان لا يحصون ، وتبعه وباء عظيم[3] .

وفي سنة تسع وتسعين : ظهر رجل بنواحي نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق ، فأُخذ وقُتل[4] .

وفي سنة خمس مئة : أُخذت قلعة أصبهان التي ملكها الباطنية ، وهُدمت وقتلوا ، وسُلخ كبيرهم وحُشي جلده تِبناً ، فعل ذلك السلطان محمد بعد حصار شديد ، فلّله الحمد[5] .

وفي سنة إحدىٰ وخمس مئة : رفع السلطان الضرائب والمكوس ببغداد ،

---

(١) المنتظم (١٧/ ٨٠ـ ٨٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٥٧) .
(٢) انظر « الكامل » (١٠/ ٣٨٤ ـ ٣٨٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٤/ ٦٤) .
(٣) الكامل (١٠/ ٣٩٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٦٩) .
(٤) المنتظم (١٧/ ٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٧٠) .
(٥) الكامل (١٠/ ٤٣٠ـ ٤٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/ ٧٩) .

وكثر الدعاء له ، وزاد في العدل وحسن السيرة[1] .

وفي سنة اثنتين : عادت الباطنية ، فدخلوا شَيْزَر علىٰ حين غفلة من أهلها ، فملكوها وملكوا القلعة ، وأغلقوا الأبواب ، وكان صاحبها خرج يتنزه ، فعاد وأبادهم في الحال ، وقتل فيها شيخ الشافعية الرُّوياني صاحب « البحر » ، قتله الباطنية في بغداد ؛ كما تقدم[2] .

وفي سنة ثلاث : أخذت الفرنج طرابلس بعد حصار سنين[3] .

وفي سنة أربع : عظم بلاء المسلمين بالفرنج ، وتيقنوا استيلاءهم علىٰ أكثر الشام ، وطلب المسلمون الهدنة ، فامتنعت الفرنج ، وصالحوهم بألوف دنانير كثيرة ، فهادنوا ثم غدروا ، لعنهم الله[4] .

وفيها : هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس ، حتىٰ لا يبصر الرجل يده ، ونزل على الناس رمل ، وأيقنوا بالهلاك ، ثم تجلىٰ قليلاً ، وعاد إلى الصفرة ، وكان ذلك من العصر إلىٰ بعد المغرب[5] .

وفيها : كانت ملحمة كبيرة بين الفرنج وبين ابن تاشفين صاحب الأندلس ، نُصِر فيها المسلمون ، وقتلوا وأسروا وغنموا ما لا يعبر عنه ، وبادت شجعان الفرنج[6] .

---

(١) المنتظم (١٧/ ١٠٧) ، والكامل (١٠/ ٤٥٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٨) .
(٢) الكامل (١٠/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ١٤ ـ ١٥) ، وقد تقدم قريباً (ص ٦٥٨) .
(٣) الكامل (١٠/ ٤٧٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ١٦) .
(٤) الكامل (١٠/ ٤٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٢٠) .
(٥) الكامل (١٠/ ٤٨٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٢١) .
(٦) الخبر في « الكامل » (١٠/ ٤٩٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٥/ ٢٥) ، و« مرآة الجنان » (١/ ٤٨٠) من حوادث سنة (٥٠٥ هـ) .

وفي سنة سبع : جاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل ملك الفرنج الذي بالقدس ، فوقع بينهم معركة هائلة ، ثم رجع مودود إلىٰ دمشق ، فصلى الجمعة يوماً في الجامع ؛ وإذا بباطني وثب عليه فجرحه فمات من يومه ، فكتب ملك الفرنج إلىٰ صاحب دمشق كتاباً فيه : (وإن أمة قتلت عميدها ، في يوم عيدها ، في بيت معبودها . . لحقيقٌ على الله أن يبيدها)[1] .

وفي سنة إحدىٰ عشرة : جاء سيل عرم غرَّق سِنْجار وسورها ، وهلك خلق كثير ، حتىٰ إن السيل أخذ باب المدينة فذهب به عدة فراسخ ، واختفىٰ تحت التراب الذي جره السيل ، وظهر بعد سنين ، وسلم طفل في سرير له حمله السيل ، فتعلق السرير بزيتونة وعاش وكبر[2] .

وفيها : مات السلطان محمد ، وأقيم ابنه محمود ، وله أربع عشرة سنة[3] .

[موت الخليفة المستظهر بالله]

وفي سنة ثنتي عشرة : مات الخليفة المستظهر بالله في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول ، فكانت مدته خمساً وعشرين سنة ، وغسله ابن عقيل شيخ الحنابلة ، وصلىٰ عليه ابنه المسترشد ، وماتت بعده بقليل جدته أرجوان والدة المقتدي[4] .

قال الذهبي : (ولا يعرف خليفة عاشت جدته بعده إلا هو)[5] .

رأت ابنها خليفة ، ثم ابن ابنها ، ثم ابن ابن ابنها[6] .

---

(١) الكامل (١٠/ ٤٩٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٢٨ـ٢٩) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣٥/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .
(٣) المنتظم (١٧/ ١٥٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٢٧٠) .
(٤) المنتظم (١٧/ ١٦٥) ، والكامل (١٠/ ٥٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/ ٣٢٧ـ٣٢٨) .
(٥) تاريخ الإسلام (٣٥/ ٣٢٨) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤١٢) .

ومن شعر المستظهر[1] : [من البسيط]

أذابَ حرُّ الهوَىٰ في القلبِ ما جَمَدا ... يوماً مَددتُ إلىٰ رَسْمِ الوداعِ يَدا
وكيفَ أسلكُ نهجَ الاصطبارِ وقدْ ... أَرَىٰ طرائقَ في مَهوى الهوَىٰ قِدَدا
إن كنتُ أنقضُ عهدَ الحبِّ يا سَكَنِي ... من بعدِ حبِّي فلا عاينتُكُم أبَدا

وللصارم مرَجّا البطائحي : [من الكامل]

أصبحتُ بالمستظهرِ بنِ المُقتدي ... بـالله إبـنِ القـائـمِ بـن القـادرِ
مُستعصمـاً أَرجـو نَـوَالَ أكفِّـهِ ... وبأن يكونَ على العَشيرةِ ناصِرِي
فيقـرُّ مـع كِبَـري قَـراري عنـدَه ... ويفـوزُ مـن مَـدحـي بشعـرٍ سـائـرِ

فوقَّع المستظهر : (يخيَّر بين الصلة والانحدار ، والمقام والإدرار)[2] .

وقال السِّلَفي : (قال لي أبو الخطاب بن الجراح : صليت بالمستظهر في رمضان ، فقرأت : ﴿إنَّ ابنَكَ سُرِّقَ﴾ رواية رويناها عن الكسائي ، فلما سلَّمتُ . قال : هـٰذه قراءة حسنة ؛ فيها تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب)[3] .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : أبو المظفَّر السَّمعاني ، ونصر المقدسي ، وأبو الفرج الزَّاز ، وشَيْذَلة ، والرُّوياني ، والخطيب التِّبريزي ، وإلكيا الهرَّاسي ، والغزالي ، والشَّاشي الذي صنف له كتاب « الحلية » وسماه « المستظهري » ، والأَبِيْوردي اللغوي .

(١) الأبيات في « المنتظم » (١٧/ ١٢١) ، و« الكامل » (١٠/ ٥٣٦) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣٥/ ٣٢٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (٣٥/ ٣٢٨) .

خلافة المسترشد بالله

[٥١٢ـ٥٢٩هـ][1]

أبو منصور ، الفضل بن المستظهر بالله ، ولد في ربيع الأول ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه في ربيع الآخر ، سنة اثنتي عشرة وخمس مئة .

وكان ذا همة عالية ، وشهامة زائدة ، وإقدام ورأي وهيبة شديدة ، ضبط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رسم الخلافة ونشر عظامها ، وشيد أركان الشريعة وطرز أكمامها ، وباشر الحروب بنفسه ، وخرج عدة نُوَب إلى الحِلَّة والمَوصل وطريق خراسان ، إلىٰ أن خرج النوبة الأخيرة وكُسر جيشه بقرب همذان ، وأخذ أسيراً إلىٰ أذربيجان .

وقد سمع الحديث من أبي القاسم بن بيَّان ، وعبد الوهاب بن هبة الله السِّيبي[2] .

وروىٰ عنه : محمد بن عمر بن مكي الأهوازي ، ووزيره علي بن طِرَاد ، وإسماعيل بن طاهر الموصلي ، ذكر ذلك ابن السمعاني .

وذكره ابن الصلاح في « طبقات الشافعية » ـ وناهيك بذلك ـ فقال : (هو الذي صنف له أبو بكر الشاشي كتابه « العمدة » في الفقه ، وبلقبه اشتهر الكتاب ؛ فإنه كان حينئذٍ يلقب : عمدة الدنيا والدين[3]) .

وذكره ابن السبكي في « طبقات الشافعية » فقال : (كان في أول أمره تنسك

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٧/ ٣٠٤) ، و« طبقات الشافعية » لابن الصلاح (٢/ ٦٥٨) ، و« الكامل » (١١/ ٢٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٦١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٥٧) ، و« فوات الوفيات » (٣/ ١٧٩) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ١٨٢) .

(٢) كذا في النسخ : (عبد الوهاب) ، والصواب : (أحمد بن عبد الوهاب) ؛ كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٦٣) .

(٣) طبقات الشافعية (٢/ ٦٥٨) .

ولبس الصوف ، وانفرد في بيت للعبادة ، وكان مولده يوم الأربعاء ، ثامن عشر شعبان ، سنة ست وثمانين وأربع مئة .

وخطب له أبوه بولاية العهد ، ونقش اسمه على السكة في شهر ربيع الأول ، سنة ثمان وثمانين ، وكان مليح الخط ، ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله ، يستدرك علىٰ كتابه ، ويصلح أغاليط في كتبهم .

وأما شهامته وهيبته وشجاعته وإقدامه . . فأمرٌ أشهر من الشمس ، ولم تزل أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين ، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ، إلىٰ أن خرج الخرجة الأخيرة إلى العراق ، فكُسر وأُخذ ، ورُزق الشهادة)[١] .

[مواجهة بين مسعود والخليفة وأسر الخليفة]

وقال الذهبي : (مات السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه سنة خمس وعشرين ، فأُقيم ابنه داوود مكانه ، فخرج عليه عمه مسعود بن محمد فاقتتلا ، ثم اصطلحا على الاشتراك بينهما ، ولكلٍّ مملكة ، وخطب لمسعود بالسلطنة ببغداد ، ومن بعده لداوود ، وخُلع عليهما ، ثم وقعت بين الخليفة ومسعود وحشة ، فخرج لقتاله ، فالتقى الجمعان وغَدر بالخليفة أكثر عسكره ، فظفر به مسعود ، وأُسر الخليفة وخواصه ، فحبسهم بقلعة بقرب همدان ، فبلغ أهل بغداد ذلك ، فحثوا في الأسواق علىٰ رؤوسهم التراب ، وبكوا وضجوا ، وخرج النساء حاسرات يندبن الخليفة ، ومنعوا الصلوات والخطبة)[٢] .

[رسالة سنجر إلىٰ مسعود بإعادة الخليفة]

قال ابن الجوزي : (وزلزلت بغداد مراراً كثيرة ، ودامت كل يوم خمس أو ست مرات والناس يستغيثون ، فأرسل السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول : ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين علىٰ هـٰذا المكتوب . . يدخل علىٰ

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢٥٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٨ـ٤٩) .

أمير المؤمنين ، ويقبل الأرض بين يديه ، ويسأله العفو والصفح ، ويتنصَّل غاية التنصل ؛ فقد ظهرت عندنا من الآيات السماوية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها ، فضلاً عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ، ودوام ذلك عشرين يوماً ، وتشويش العساكر وانقلاب البلدان ، ولقد خفت علىٰ نفسي من جانب الله وظهور آياته ، وامتناع الناس من الصلوات في الجوامع ، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله ، فالله الله بتلافي أمرك ، وتعيد أمير المؤمنين إلىٰ مقر عزه ، وتحمل الغاشية بين يديه ؛ كما جرت عادتنا وعادة آبائنا ، ففعل مسعود جميع ما أمر به ، وقبَّل الأرض بين يدي الخليفة ، ووقف يسأل العفو .

ثم أرسل سنجر رسولاً آخر ، ومعه عسكر يستحث مسعوداً علىٰ إعادة الخليفة إلىٰ مقر عزه ، فجاء في العسكر سبعة عشر من الباطنية ، فذكر : أن مسعوداً ما علم بهم ، وقيل : بل هو الذي دسهم ، فهجموا على الخليفة في مخيمه ، ففتكوا به وقتلوا معه جماعة من أصحابه ، فما شعر بهم العسكر إلا وقد فرغوا من شغلهم ، فأخذوهم وقتلوهم إلىٰ لعنة الله ، وجلس السلطان للعزاء ، وأظهر المساءة بذلك ، ووقع النحيب والبكاء ، وجاء الخبر إلىٰ بغداد ، فاشتد ذلك على الناس ، وخرجوا حفاة مخرِّقين الثياب ، والنساء ناشرات الشعور يلطمن ويقلن المراثي ؛ لأن المسترشد كان محبباً فيهم بمرة ؛ لما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم)[1] .

وكان قتل المسترشد رحمه الله بمراغةَ ، يوم الخميس ، سادس عشر ذي القعدة ، سنة تسع وعشرين .

[ذكر شيء من شعر المسترشد]

ومن شعره[2] : [من الطويل]

أنا الأشقرُ المدعوُّ بي في الملاحمِ ... ومَن يملكُ الدنيا بغيرِ مُزاحمِ

(١) المنتظم (١٧/ ٢٩٨ـ٢٩٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٤٩ـ٥٢) .
(٢) البيتان في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٦٣) .

ستبلغُ أرضَ الرومِ خَيلي وتُنتضَىٰ بأقصىٰ بلادِ الصينِ بيضُ صَوارِمي

ومن شعره لما أسر[١] : [من الطويل]

ولا عَجَباً للأُسْد إن ظفِرَت بها كلابُ الأَعادي من فصيحٍ وأَعجَمِ
فحربةُ وحْشِيٍّ سَقَت حمزةَ الرَّدَىٰ وموتُ عليٍّ من حُسامِ ابنِ مُلجَمِ

وله لما كُسر، وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل، وثبت حتىٰ أُسر[٢] : [من مجزوء الكامل]

قـالـوا تُقِيـمُ وقَـد أَحـا طَ بـكَ العـدوُّ ولا تَفِـرّْ
فـأَجبتهـم المـرءُ مـا لـم يَتَّعـظ بـالـوعـظِ غِـرّْ
لا نلـتُ خَيـراً مـا حَييْـ ـتُ ولا عـداني الـدَّهـرَ شرّْ
إن كنـتُ أعلـمُ أنَّ غَيـ ـرَ اللهِ ينفـعُ أو يضُـرّْ

[خطبة المسترشد في عيد أضحىٰ ومدح أبي المظفر له]

قال الذهبي : وقد خطب بالناس يوم عيد أضحىٰ فقال : **الله أكبر ما سحَّت الأنواء ، وأشرق الضياء ، وطلعت ذُكاء ، وعلت على الأرض السماء .**

الله أكبر ما هَمَع سحاب ، ولمع سراب ، وأنجح طِلاب ، وسَرَّ قادماً إياب . . . وذكر خطبة بليغة .

ثم جلس ، ثم قام فخطب وقال : **اللهم ؛ أصلحني في ذريتي ، وأعني علىٰ ما وليتني ، وأوزعني شكر نعمتك ، ووفقني وانصرني** ، فلما أنهاها وتهيأ للنزول . . بدره أبو المظفر الهاشمي ، فأنشده[٣] : [من الطويل]

عليكَ سلامُ اللهِ يا خيرَ مَن عَلا علىٰ منبرٍ قد حفَّ أعلامَه النصرُ
وأفضـلَ مَـن أمَّ الأنـامَ وعمَّهـم بسيـرتِـه الحُسنىٰ وكـان لـه الأمـرُ
وأفضل أهلِ الأرضِ شَرْقاً ومَغرِباً ومَـن جـدُّه مـن أجلـه نـزلَ القطـرُ

---

(١) البيتان في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٦٣) .
(٢) الأبيات في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٦٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٦٢) .
(٣) الخبر والأبيات في « تاريخ الإسلام » (٣٥/ ٣٠٩ـ٣١٠) ، وانظر « المنتظم » (١٧/ ٢٣٥ـ٢٣٦) .

لقد شنَّفَت أسماعَنا منك خطبةٌ ... وموعظةٌ فصلٌ يَلينُ لها الصَّخرُ
مـلأتَ بهـا كـلَّ القلـوبِ مهـابـةً ... فقد رجَفَت من خوفِ تَخويفِها مصرُ
وزدتَ بهـا عـدنـانَ مَجـداً مـؤثَّـلاً ... فأَضحَىٰ لها بينَ الأنامِ بكَ الفخرُ
وسدتَ بني العباسِ حتىٰ لقد غَدَا ... يُباهي بكَ السَّجَّادُ والعَلَمُ البحرُ
فللّٰـه عصـرٌ أنـتَ فيـه إمـامُـه ... ولله ديـنٌ أنـتَ فيـه لنـا الصَّـدرُ
بقيتَ على الأيامِ والمُلكِ كلَّما ... تقادَمَ عصرٌ أنتَ فيه أَتَىٰ عصرُ
وأصبحـتَ بـالعيـدِ السعيـدِ مهنئـاً ... تُشـرِّفنـا فيـه صلاتُـك والنحـرُ

وقال وزيره جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة يمدحه[1] : [من الطويل]

وجدتُ الوَرَىٰ كالماءِ طَعماً ورِقَّةً ... وأنَّ أميـرَ المـؤمنيـن زُلالُـهُ
وصوَّرتُ معنَى العقلِ شخصاً مصوَّراً ... وأنَّ أميـرَ المـؤمنيـن مِثـالُـهُ
ولولا مكانُ الدينِ والشرعِ والتُّقَىٰ ... لقلـتُ مـن الإعظـامِ جـلَّ جـلالُـهُ

وفي سنة أربع وعشرين من أيامه : ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل ناراً أحرقت من البلد مواضع ودوراً كثيرة[2] .

وفيها : قُتل صاحب مصر الآمر بأحكام الله منصور عن غير عقب ، وقام بعده ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر[3] .

وفيها : ظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان ، وخاف الناس منها ، وقد قتلت جماعة أطفال[4] .

---

(١) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٣٥/ ٣٠٩ـ ٣١٠) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ١٩٩) ، والأول والثالث في « المنتظم » (١٧/ ٢٥٠) .
(٢) المنتظم (١٧/ ٢٥٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢١) .
(٣) المنتظم (١٧/ ٢٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٢) .
(٤) الكامل (١٠/ ٦٦٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٥) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المسترشد من الأعلام : شمس الأئمة أبو الفضل إمام الحنفية ، وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي ، وقاضي القضاة أبو الحسن الدَّامَغاني ، وابن بَلِّيمة المقرىء ، والطُّغْرائي صاحب « لامية العجم » ، وأبو علي الصَّدفي الحافظ ، وأبو نصر القُشَيري ، وابن القَطَّاع اللغوي ، ومحيي السنة البَغَوي ، وابن الفحَّام المقرىء ، والحريري صاحب « المقامات » ، والميداني صاحب « الأمثال » ، وأبو الوليد بن رُشْد المالكي ، والإمام أبو بكر الطَّرطُوشي ، وأبو الحجاج السَّرَقُسْطي ، وابن السِّيد البَطَلْيَوسي ، وأبو علي الفَارِقي من الشافعية ، وابن الطَّراوة النحوي ، وابن البَاذِش ، وظافر الحداد الشاعر ، وعبد الغافر الفارسي ، وخلائق آخرون .

خلافة الراشد بالله

[٥٢٩ ـ ٥٣٠هـ][١]

أبو جعفر ، منصور بن المسترشد ، ولد سنة اثنتين وخمس مئة ، وأمه : أم ولد ، ويقال : إنه ولد مسدوداً ، فأحضروا الأطباء ، فأشاروا بأن يفتح له مخرجٌ بآلةٍ من ذهب ، ففُعل به ذلك فنفع[٢] .

وخطب له أبوه بولاية العهد سنة ثلاث عشرة ، وبويع له بالخلافة عند قتل أبيه في ذي القعدة ، سنة تسع وعشرين .

وكان فصيحاً أديباً شاعراً ، شجاعاً سمحاً ، جواداً حسن السيرة ، يؤثر العدل ويكره الشر .

[خلع الراشد ثم قتله]

ولما عاد السلطان مسعود إلىٰ بغداد . . خرج هو إلى الموصل ، فأحضروا القضاة والأعيان والعلماء ، وكتبوا محضراً فيه شهادة طائفة بما جرىٰ من الراشد من الظلم وأخذِ الأموال وسفكِ الدماء وشربِ الخمر ، واستفتوا الفقهاء : فيمن فعل ذلك هل تصح إمامته ؟

وهل إذا ثبت فسقه . . يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيراً منه ؟

فأفتوا بجواز خلعه ، وحكم بخلعه ابن الكرخي قاضي البلد ، وبايعوا عمه محمد بن المستظهر ، ولقب : المقتفي لأمر الله ؛ وذلك في سادس عشر ذي القعدة ، سنة ثلاثين[٣] .

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٧/ ٣٣٢) ، و« الكامل » (١١/ ٢٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٦/ ٣٠٠) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ١٦٨) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ٢٠٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٦/ ٣٠٠) .

(٣) المنتظم (١٧/ ٣١٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٦٠ و٣٠٢) .

وبلغ الراشد الخلع ، فخرج من الموصل إلىٰ بلاد أَذْرَبِيجان ، وكان معه جماعة ، فقسَّطوا علىٰ مراغة مالاً ، وعاثوا هناك ، ومضوا إلىٰ هَمَذان وأفسدوا بها ، وقتلوا جماعة وصلبوا آخرين ، وحلقوا لحىٰ جماعة من العلماء ، ثم مضوا إلىٰ أصبهان فحاصروها ونهبوا القرىٰ .

ومرض الراشد بظاهر أصبهان مرضاً شديداً ، فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فرَّاشين معه ، فقتلوه بالسكاكين ، ثم قُتلوا كلهم ، وذلك في سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ، وجاء الخبر إلىٰ بغداد ، فقعدوا للعزاء يوماً واحداً[1] .

قال العماد الكاتب : (كان للراشد الحُسْن اليوسفي ، والكرم الحاتمي)[2] .

قال ابن الجوزي : (وقد ذكر الصولي أن الناس يقولون : إن كل سادس يقوم للناس يخلع ، فتأملت هٰذا فرأيته عجباً)[3] .

قلت : وقد سقت بقية كلامه في الخطبة[4] .

ولم تؤخذ البردة والقضيب من الراشد حتىٰ قتل ، فأحضرا بعد قتله إلى المقتفي .

---

(١) تاريخ الإسلام (٣٦/ ٣٠٢ـ٣٠٣) .

(٢) خريدة القصر (١/ ٣٢) .

(٣) المنتظم (١٧/ ٣٣٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٣٠٣) .

(٤) انظر ما تقدم (ص ٨٦) .

خلافة المقتفي لأمر الله

[٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ][1]

أبو عبد الله ، محمد بن المستظهر بالله ، ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول ، سنة تسع وثمانين وأربع مئة ، وأمه : حبشية ، وبويع له بالخلافة عند خلع ابن أخيه ، وعمره أربعون سنة .

وسبب تلقيبه بالمقتفي : أنه رأىٰ في منامه قبل أن يستخلف بستة أيامٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : « سيصل هٰذا الأمر إليك ، فاقتفِ بي » ، فلُقِّب : المقتفي لأمر الله[2] .

وبعث السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهد بغداد ، فأخذ جميع ما في دار الخلافة : من دواب وأثاث ، وذهب وستور وسرادق ، ولم يترك في إصطبل الخلافة سوىٰ أربعة أفراس وثمانية أبغال برسم الماء ، فيقال : إنهم بايعوا المقتفي علىٰ ألا يكون عنده خيل ولا آلة سفر[3] .

ثم في سنة إحدىٰ وثلاثين : أخذ السلطان مسعود جميع تعلق الخليفة ، ولم يترك له إلا العقار الخاص ، وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مئة ألف دينار ، فقال المقتفي : (ما رأينا أعجب من أمرك !! أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرىٰ ما جرىٰ ، وأن الراشد ولي ففعل ما فعل ورحل وأخذ ما تبقىٰ ، ولم يبق إلا الأثاث فأخذتَه كله ، وتصرفت في دار الضرب ، وأخذت التركات والجوالي ، فمن أي وجه نقيم لك هٰذا المال ؟! وما بقي إلا أن نخرج من الدار ونسلمها ؛ فإني عاهدت الله ألا آخذ من المسلمين حبة ظلماً) .

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٧/ ٣١٢) ، و« الكامل » (١١/ ٤٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٨/ ١٧١) ، و« الوافي بالوفيات » (٢/ ٩٤) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ٢١٠) .

(٢) المنتظم (١٧/ ٣١٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٦٠) .

(٣) المنتظم (١٧/ ٣١٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٦١) .

فترك السلطان الأخذ من الخليفة ، وعاد إلىٰ جباية الأملاك من الناس ، وصادر التجار ، فلقي الناس من ذلك شدة ، ثم في جمادى الأولىٰ أعيدت بلاد الخليفة ومعاملاته والتركات إليه(١) .

وفي هـٰذه السنة : رُقب الهلال ليلة الثلاثين من شهر رمضان فلم يُرَ ، فأصبح أهل بغداد صائمين لتمام العدة ، فلما أمسوا رقبوا الهلال فما رأوه أيضاً ، وكانت السماء جلية صاحية ، ومثل هـٰذا لم يسمع بمثله في التواريخ(٢) .

وفي سنة ثلاث وثلاثين : كان بجَنْزة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها ، فأهلكت خلائق ، ثم خُسف بجَنْزة وصار مكان البلد ماء أسود(٣) .

وفيها : استولى الأمراء علىٰ مغلات البلاد ، وعجز السلطان مسعود ، ولم يبق له إلا الاسم ، وتضعضع أيضاً أمر السلطان سَنْجَر ، فسبحان مذل الجبابرة !! وتمكن الخليفة المقتفي ، وزادت حرمته ، وعلت كلمته ، وكان ذلك مبدأ صلاح الدولة العباسية ، فللّٰه الحمد(٤) .

وفي سنة إحدىٰ وأربعين : قدم السلطان مسعود بغداد وعمل دار ضرب ، فقبض الخليفة على الضرَّاب الذي تسبب في إقامة دار الضرب ، فقبض مسعود علىٰ حاجب الخليفة ، فغضب الخليفة ، وغلق الجامع والمساجد ثلاثة أيام ، ثم أُطلق الحاجب ، فأُطلق الضراب ، وسكن الأمر(٥) .

[موعظة العبادي للسلطان مسعود]

وفيها : جلس ابن العبَّادي الواعظ ، فحضر السلطان مسعود ؛ فعرَّض بذكر

---

(١) المنتظم (١٧/ ٣٢٢ـ٣٢٣) .
(٢) المنتظم (١٧/ ٣٢٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٠٤) .
(٣) المنتظم (١٧/ ٣٣٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٠٨) .
(٤) انظر « العبر » (٤/ ١٣٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٦/ ٢١٠) .
(٥) المنتظم (١٨/ ٤٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٧/ ٦) .

مكس البيع وما جرىٰ على الناس ، ثم قال : (يا سلطان العالم ، أنت تهب في ليلة لمطرب بقدر هـٰذا الذي يؤخذ من المسلمين ، فاحسبني ذلك المطرب ، وهبه لي ، واجعله شكراً لله بما أنعم عليك) .

فأجاب ونودي في البلد بإسقاطه ، وطيف بالألواح التي نقش عليها ترك المكوس ، وبين يديه الدَّبادب والبوقات ، وسمرت ، ولم تزل إلىٰ أن أمر الناصر لدين الله بقلع الألواح ، وقال : (ما لنا حاجة بآثار الأعاجم)[1] .

وفي سنة ثلاث وأربعين : حاصرت الفرنج دمشق ، فوصل إليها نور الدين محمود بن زنكي ، وهو صاحب حلب يومئذ ، وأخوه غازي صاحب الموصل ، فنُصر المسلمون ولله الحمد ، وهُزم الفرنج ، واستمر نور الدين في قتال الفرنج وأخذ ما استولوا عليه من بلاد المسلمين[2] .

وفي سنة أربع وأربعين : مات صاحب مصر الحافظ لدين الله ، وأقيم ابنه الظافر إسماعيل[3] .

وفيها : جاءت زلزلة عظيمة ، وماجت بغداد نحو عشر مرات ، وتقطع منها جبل بحُلوان[4] .

وفي سنة خمس وأربعين : جاء باليمن مطر كله دم ، وصارت الأرض مرشوشة بالدم ، وبقي أثره في ثياب الناس[5] .

---

(١) المنتظم (١٨/ ٤٩ ـ ٥٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٦) .
(٢) المنتظم (١٨/ ٦٣ ـ ٦٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ١٣) .
(٣) الكامل (١١/ ١٤١ ـ ١٤٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٤) .
(٤) المنتظم (١٨/ ٧٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٢٠) .
(٥) المنتظم (١٨/ ٧٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/ ٢٨) .

[دعاء الخليفة شهراً علىٰ مسعود فمات]

وفي سنة سبع وأربعين : مات السلطان مسعود .

قال ابن هُبَيرة ـ وهو وزير المقتفي ـ : (لما تطاول على المقتفي أصحابُ مسعود ، وأساؤوا الأدب ، ولم يمكن المجاهرة بالمحاربة . . اتفق الرأي على الدعاء عليه شهراً ؛ كما دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم علىٰ رِعْل وذَكْوان شهراً[1] ، فابتدأ هو والخليفة سراً كل واحد في موضعه يدعو سحراً من ليلة تسع وعشرين من جمادى الأولىٰ ، واستمر الأمر كل ليلة ، فلما تكامل الشهر . . مات مسعود علىٰ سريره ، لم يزد على الشهر يوماً ولا نقص يوماً)[2] .

واتفق العسكر علىٰ سلطنة ملكشاه ، وقام بأمره خاصبك ، ثم إن خاصبك قبض علىٰ ملكشاه ، وطلب أخاه محمداً من خُوْزستان ، فجاءه فسلم إليه السلطنة ، وأمر الخليفة حينئذ ونهىٰ ، ونفذت كلمته ، وعزل من كان السلطان ولاَّه مدرساً بالنظامية ، وبلغه أن في نواحي واسط تخبيطاً ، فسار بعسكره ومهد البلاد ، ودخل الحِلَّة والكوفة ، ثم عاد إلىٰ بغداد مؤيداً منصوراً ، وزينت بغداد[3] .

وفي سنة ثمان وأربعين : خرجت الغزُّ على السلطان سَنْجَر ، وأسروه وأذاقوه الذل ، وملكوا بلاده ، وبقّوا الخطبة باسمه ، وبقي معهم صورة بلا معنىً ، وصار يبكي علىٰ نفسه ، وله اسم السلطنة ، وراتبه في قدر راتب سائس من سياسه[4] .

وفي سنة تسع وأربعين : قتل بمصر صاحبها الظافر بالله العبيدي ، وأقاموا ابنه الفائز عيسىٰ صبياً صغيراً ، ووهىٰ أمر المصريين ، فكتب المقتفي عهداً لنور الدين محمود بن زنكي وولاَّه مصر ، وأمره بالمسير إليها ، وكان مشغولاً بحرب الفرنج ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) الإفصاح (٤/ ٩٤ـ ٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٧/ ٣٤) .

(٣) المنتظم (١٨/ ٨٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٣٥ـ ٣٦) .

(٤) المنتظم (١٨/ ٩٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/ ٤١) .

وهو لا يفتر من الجهاد ، وكان تملك دمشق في صفر من هٰذا العام ، وملك عدة قلاع وحصون بالسيف وبالأمان من بلاد الروم ، وعظمت ممالكه ، وبَعُد صيته ، فبعث إليه المقتفي تقليداً ، وأمره بالمسير إلىٰ مصر ، ولُقب : بالملك العادل .

وعظم سلطان المقتفي ، واشتدت شوكته ، واستظهر على المخالفين ، وأجمع علىٰ قصد الجهات المخالفة لأمره ، ولم يزل أمره في تزايد وعلو إلىٰ أن مات ليلة الأحد ، ثاني ربيع الأول ، سنة خمس وخمسين(١) .

[من مناقب المقتفي لأمر الله]

قال الذهبي : (كان المقتفي من سروات الخلفاء ، عالماً ديناً شجاعاً حليماً ، دمث الأخلاق كامل السؤدد ، خليقاً للإمامة ، قليل المثل في الأئمة ، لا يجري في دولته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه ، وكتب في خلافته ثلاث ربعات ، وسمع الحديث من مؤدبه أبي البركات بن أبي الفرج ابن السِّيْبي)(٢) .

قال ابن السمعاني : (وسمع « جزء ابن عرفة » مع أخيه المسترشد من أبي القاسم بن بيَّان)(٣) .

روىٰ عنه : أبو منصور الجواليقي اللغوي إمامه ، والوزير ابن هبيرة وزيره ، وغيرهما .

وقد جدد المقتفي باباً للكعبة ، واتخذ من العتيق تابوتاً لدفنه(٤) .

وكان محمود السيرة ، مشكور الدولة ، يرجع إلىٰ دين وعقل وفضل ، ورأي وسياسة ، جدَّد معالم الإمامة ، ومهَّد رسوم الخلافة ، وباشر الأمور بنفسه ، وغزا غير مرة ، وامتدت أيامه(٥) .

وقال أبو طالب عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب

---

(١) تاريخ الإسلام (٣٦/ ٤٨ـ٥٣) ، وانظر « المنتظم » (١٨/ ٩٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣٨/ ١٧٢) ، وفي النسخ : (السني) ، والمثبت من « تاريخ الإسلام » .
(٣) تاريخ الإسلام (٣٨/ ١٧٢) .
(٤) انظر « الكامل » (١١/ ٢٥٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٨/ ١٧٣) .
(٥) انظر « الكامل » (١١/ ٢٥٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٨/ ١٧٣) .

« المناقب العباسية » : (كانت أيام المقتفي نَضِرةً بالعدل ، زَهِرة بفعل الخيرات ، وكان علىٰ قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه ، وكان في أول أمره متشاغلاً بالدين ، ونسْخِ العلوم ، وقراءة القرآن ، ولم يُر مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته ، مع ما خُص به من زهده وورعه وعبادته ، ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت)[1] .

وقال ابن الجوزي : من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق إلىٰ يد الخلفاء ، ولم يبق لها منازع ، وقبل ذلك من دولة المقتدر إلىٰ وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك ، وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة .

ومن سلاطين دولته : السلطان سَنْجَر صاحب خراسان ، والسلطان نور الدين محمود صاحب الشام .

وكان جواداً كريماً محباً للحديث وسماعه ، معتنياً بالعلم مكرماً لأهله[2] .

[حديث من رواية المقتفي]

قال ابن السمعاني : (حدثنا أبو منصور الجَوَاليقي ، حدثنا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب ، أخبرنا أبو محمد الصَّريفيني ، أخبرنا المخلص ، أخبرنا إسماعيل الورَّاق ، حدثنا حفص بن عمرو الرَّبالي ، حدثنا أبو سُحيم ، حدثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يَزدادُ الأمرُ إلاَّ شدةً ، ولا الناسُ إلا شُحّاً ، ولا تَقومُ الساعةُ إلاَّ علىٰ شِرَارِ الناسِ »)[3] .

[الجواليقي والمقتفي وإفحام ابن التلميذ النصراني]

ولما دعا المقتفي الإمام أبا منصور الجَوَاليقي النحوي ليجعله إماماً يصلي

---

(١) تاريخ الإسلام (٣٨/ ١٧٤) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٨/ ١٧٤ـ ١٧٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٨/ ١٧٣) ، والحديث أخرجه الحاكم (٤/ ٤٤١) ، وابن ماجه (٤٠٣٩) من طريق الحسن عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

به . . دخل عليه ، فما زاد علىٰ أن قال : (السلام علىٰ أمير المؤمنين ورحمة الله .

وكان ابن التلميذ النصراني الطبيب قائماً ، فقال : ما هٰكذا يسلم علىٰ أمير المؤمنين يا شيخ ؟!

فلم يلتفت إليه ابن الجَوَاليقي ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية . . . وروى الحديث ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ لو حلف حالف : أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلىٰ قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه . . لما لزمته كفارة ؛ لأن الله ختم علىٰ قلوبهم ، ولن يفك ختم الله إلا الإيمان ، فقال المقتفي : صدقت وأحسنت ، وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع غزارة أدبه)[١] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المقتفي من الأعلام : ابن الأبرش النحوي ، ويونس بن مغيث ، وجمال الإسلام بن المسلم الشافعي ، وأبو القاسم الأصبهاني صاحب « الترغيب » ، وابن بَرَّجان ، والمَازَري المالكي صاحب « المُعلم بفوائد مسلم » ، والزمخشري ، والرُّشاطي صاحب « الأنساب » ، والجَوَاليقي وهو إمامه ، وابن عطية صاحب التفسير ، وأبو السعادات ابن الشَّجَري ، والإمام أبو بكر ابن العربي ، وناصح الدين الأَرَّجاني الشاعر ، والقاضي عياض ، والحافظ أبو الوليد بن الدبَّاغ ، وأبو الأسعد هبة الرحمـٰن القشيري ، وابن غلام الفرس المقرىء ، والرفَّاء الشاعر ، والشَّهْرَستاني صاحب « الملل والنحل » ، والقَيسَراني الشاعر ، ومحمد بن يحيىٰ تلميذ الغزالي ، وأبو الفضل بن ناصر الحافظ ، وأبو الكرم الشهرزوري المقرىء ، والوأواء الشاعر[٢] ، وابن الخل إمام الشافعية ، وخلائق آخرون .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤) ، ووفيات الأعيان (٥/ ٣٤٢) .

(٢) وهو غير الوأواء الذي مات في خلافة القادر بالله أحمد .

خلافة المستنجد بالله

[٥٥٥-٥٦٦هـ][1]

أبو المظفر ، يوسف بن المقتفي ، ولد سنة ثمان عشرة وخمس مئة ، وأمه : أم ولد كَرَجية ، اسمها : طاووس .

خطب له أبوه بولاية العهد سنة سبع وأربعين ، وبويع له يوم موت أبيه .

وكان موصوفاً بالعدل والرفق ، أطلق من المكوس شيئاً كثيراً ؛ بحيث لم يترك بالعراق مكساً ، وكان شديداً على المفسدين ؛ سجن رجلاً كان يسعىٰ بالناس مدة ، فحضر رجلٌ وبذل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال : (أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ، ودلني علىٰ آخر مثله ؛ لأحبسه وأكف شره)[2] .

قال ابن النجار : (وكان المستنجد موصوفاً بالفهم الثاقب ، والرأي الصائب ، والذكاء الغالب ، والفضل الباهر ، له نظم بديع ، ونثر بليغ ، ومعرفة بعمل آلات الفلك والإسطرلاب وغير ذلك)[3] .

[من شعر المستنجد بالله]

ومن شعره[4] : [من الخفيف]

عيَّرتني بالشَّيبِ وهو وَقَارُ ... لَيْتَها عيَّرت بما هو عارُ

إن تكُن شابَتِ الذَّوائبُ منِّي ... فاللَّيالي تُزينها الأقمارُ

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٨/ ١٣٩) ، و« الكامل » (١١/ ٢٥٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩/ ٢٥٥) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٣٥٨) .

(٢) الروضتين (٢/ ١٧٧-١٧٨) ، والكامل (١١/ ٣٦٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٢٥٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٩/ ٢٦٠) .

(٤) البيتان في « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٢٥٧-٢٥٨) .

وله في بخيل[1] : [من السريع]

وبــاخــلٍ أشعَــلَ فــي بيتِــهِ تكــرِمَــةً منــه لنــا شمعَــةْ
فمــا جَــرَت مــن عينهــا دَمعــةٌ حتــىٰ جــرَت مــن عينِــه دمعَــةْ

ولـه فـي وزيـره ابـن هبيـرة وقـد رأىٰ منـه مـا يعجبـه مـن تـدبيـر مصـالـح المسلمين[2] : [من الطويل]

صَفَـت نعمتـانِ خصَّتـاكَ وعمَّتَـا فـذكـرُهمـا حتـى القيـامـةِ يُـذكـرُ
وُجُـودك والـدُّنيـا إليـكَ فقيـرةٌ وَجُودك والمعروفُ في الناسِ ينكرُ
فلو رامَ يا يَحيىٰ مكانَكَ جعفرٌ ويَحيىٰ لكفَّا عنه يَحيىٰ وجعفرُ
ولم أرَ من يَنوي لك السُّوءَ يا أبا الـ ـمُظفَّـر إلاَّ كنـتَ أنـتَ المظفَّـرُ

مات في ثمان ربيع الآخر ، سنة ست وستين .

وكان في أول سنة من خلافته : مات الفائز صاحب مصر ، وقام بعده العاضد لدين الله ، آخر خلفاء بني عبيد[3] .

وفي سنة اثنتين وستين : جهز السلطان نور الدين الأمير أسد الدين شيركوه في ألفي فارس إلىٰ مصر ، فنزل بالجيزة ، وحاصر مصر نحو شهرين ، فاستنجد صاحبها بالفرنج ، فدخلوا من دمياط لنجدته ، فرحل أسد الدين إلى الصعيد ، ثم وقعت بينه وبين المصريين حرب انتصر فيها علىٰ قلة عسكره وكثرة عدوه ، وقتل من الفرنج ألوفاً .

ثم جبىٰ أسد الدين خراج الصعيد ، وقصد الفرنج الإسكندرية ، وقد أخذها

(١) البيتان في « خريدة القصر » (١/ ٢٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩/ ٢٥٨) .
(٢) الأبيات في « المنتظم » (١٨/ ١٦٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) .
(٣) المنتظم (١٨/ ١٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٣٨/ ٣٠) .

صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ وهو ابن أخ أسد الدين ، فحاصروها أربعة أشهر ، فتوجه أسد الدين إليهم فرحلوا عنها فرجع إلى الشام[1] .

وفي سنة أربع وستين : قصدت الفرنج الديار المصرية في جيش عظيم ، فملكوا بُلْبِيس ، وحاصروا القاهرة ، فأحرقها صاحبها خوفاً منهم ، ثم كاتب السلطان نور الدين يستنجد به ، فجاء أسد الدين بجيوشه ، فرحل الفرنج عن القاهرة لما سمعوا بوصوله ، ودخل أسد الدين ، فولاه العاضد صاحب مصر الوزارة ، وخلع عليه ، فلم يلبث أسد الدين أن مات بعد خمسة وستين يوماً ، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقلده الأمور ، ولقبه : الملك الناصر ، فقام بالسلطنة أتم قيام[2] .

ومن أخبار المستنجد : قال الذهبي : (ما زالت الحمرة الكثيرة تعرض في السماء منذ مرض ، وكانت ترمي ضوءها على الحيطان)[3] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : الدَّيْلَمي صاحب « مسند الفردوس » ، والعِمْراني صاحب « البيان » من الشافعية ، وابن البَزْري شافعي أهل الجزيرة ، والوزير ابن هُبيرة ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، والإمام أبو سعد السَّمعاني ، وأبو النجيب السَّهْرَوردي ، وأبو الحسن بن هذيل المقرىء ، وآخرون .

---

(١) الكامل (١١/ ٣٢٤ـ٣٢٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٨ ـ ١٠) .
(٢) الكامل (١١/ ٣٣٥ـ٣٤٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ١٢ـ١٧) .
(٣) تاريخ الإسلام (٣٩/ ٢٦) .

خلافة المستضيء بأمر الله

[٥٦٦ـ٥٧٥هـ][1]

الحسن ، أبو محمد بن المستنجد بالله ، ولد سنة ست وثلاثين وخمس مئة ، وأمه : أم ولد أرمنية ، اسمها : غضة ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه .

قال ابن الجوزي : (فنادىٰ برفع المكوس ورد المظالم ، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا ، وفرق مالاً عظيماً على الهاشميين والعلويين والعلماء والمدارس والربط ، وكان دائم البذل للمال ليس له عنده وقع ، ذا حلم وأناة ورأفة ، ولما استخلف . . خلع علىٰ أرباب الدولة وغيرهم ، فحكىٰ خياط المخزن : أنه فصل ألفاً وثلاث مئة قباء إبريسم .

وخطب له علىٰ منابر بغداد ، ونثرت الدنانير كما جرت العادة ، وولىٰ رَوح بن الحديثي القضاء ، وأمَّر سبعة عشر مملوكاً ، وللحيص بيص فيه : [من الخفيف]

يا إمامَ الهُدىٰ عَلَوت عن الجُو ... دِ بمالٍ وفضَّةٍ ونضارِ

فوَهبتَ الأعمارَ والأمنَ والبُلـ ... ـدانَ في ساعةٍ مَضَت من نهارِ

فبماذا نُثني عليكَ وقد جَا ... وزتَ فضلَ البحورِ والأَمطارِ

إنَّما أنتَ معجزٌ مُستقلٌّ ... خارِقٌ للعقولِ والأَفكارِ

جمعتْ نفسُكَ الشريفةُ بالبَأ ... سِ وبالجودِ بين ماءٍ ونارِ

قال ابن الجوزي : واحتجب المستضيء عن أكثر الناس ، فلم يركب إلا مع الخدم ، ولم يدخل عليه غير قَيْماز .

وفي خلافته : انقضت دولة بني عُبيد ، وخُطب له بمصر ، وضُربت السِّكة

---

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٨/ ١٩٠) ، و« الكامل » (١١/ ٤٥٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٠/ ١٦٥) ، و« فوات الوفيات » (١/ ٣٧٠) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ٣٠٤) .

باسمه ، وجاء البشير بذلك ، فغلقت الأسواق ببغداد ، وعُملت القباب ، وصنفتُ كتاباً سميته : « النصر علىٰ مصر ») هٰذا كلام ابن الجوزي[1] .

[ضعف الرفض وعودة الخطبة للعباسيين بمصر]

وقال الذهبي : (في أيامه ضعف الرفض ببغداد ووهىٰ ، وأمن الناس ، ورزق سعادة عظيمة في خلافته ، وخطب له باليمن ، وبَرْقة ، وتَوْزَر ، ومصر إلىٰ أسوان ، ودانت الملوك بطاعته)[2] ، وذلك سنة سبع وستين .

وقال العماد الكاتب : (استفتح السلطان صلاح الدين بن أيوب سنة سبع ، بجامع مصر كل طاعة وسمعٍ ، وهو إقامة الخطبة في الجمعة الأولىٰ منها بمصر لبني العباس ، وعفت البدعةُ ، وصفت الشِّرعة ، وأقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية بالقاهرة ، وأعقب ذلك موت العاضد في يوم عاشوراء ، وتسلَّم صلاح الدين القصر بما فيه من الذخائر والنفائس ؛ بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه ، وسير السلطان نور الدين بهٰذه البشارة شهاب الدين المطهَّر ابن العلامة شرف الدين ابن أبي عصرون إلىٰ بغداد ، وأمرني بإنشاء بشارة عامة تقرأ في سائر بلاد الإسلام ، فأنشأتُ بشارةً أولها :

الحمد لله معلي الحق ومعلنه ، وموهي الباطل وموهنه . . . ومنها : ولم يبق بتلك البلاد منبر إلا وقد أُقيمت عليه الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، وتمهَّدت جوامع الجمع ، وتهدَّمت صوامع البدع . . . إلىٰ أن قال : وطالما مرت عليها الحِقَب الخوالي ، وبقيت مئتين وثمان سنين ؛ ممنوَّة بدعوة المبطلين ، مملوءة بحزب الشياطين ، فملَّكنا الله تلك البلاد ، ومكَّن لنا في الأرض ، وأقدرنا علىٰ ما كنا نؤمِّله من إزالة الإلحاد والرفض ، وتقدَّمنا إلىٰ من استنبناه أن يقيم الدعوة العباسية هنالك ، ويورد الأدعياء ودعاة الإلحاد بها المهالك) .

---

(١) المنتظم (١٨/ ١٩٠ـ١٩٦) ، وتاريخ الإسلام (٤٠/ ١٦٦ـ١٦٧) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٠/ ١٦٧) .

وللعماد قصيدة في ذلك منها : [من الخفيف]

قـد خَطبْنـا للمستضـيءِ بمصـرٍ نـائـبِ المُصطفـىٰ إمـامِ العَصـرِ
وخَـذَلنـا لنَصْـرِه العَضُـد العَـا ضِـدَ والقـاصِـرَ الـذي بـالقَصـرِ
وتَـركنـا الـدَّعِـيَّ يَـدعـو ثُبـوراً وهْو بالذُّلِّ تحتَ حَجْرٍ وحَصرِ

وأرسل الخليفة في جواب البشارة الخِلَع والتشريفات لنور الدين وصلاح الدين ، وأعلاماً وبنوداً للخطباء بمصر ، وسيَّر للعماد الكاتب خلعةً ومئة دينار ، فعمل قصيدةً أخرىٰ منها : [من المتقارب]

أدالَـتْ بمصـرَ لـداعـي الهُـدا ةِ وانتقَمـت مـن دَعـيِّ اليهـودِ[1]

وقال ابن الأثير : (السبب في إقامة الخطبة العباسية بمصر : أن صلاح الدين لما ثبَّت قدمَه وضعف أمر العاضد . . كتب إليه نور الدين يأمره بذلك ، فاعتذر بالخوف من وثوب المصريين ، فلم يُصغ إلىٰ قوله ، وأرسل إليه يلزمه بذلك ، واتفق أن العاضد مرض ، فاستشار صلاح الدين أمراءه : فمنهم من وافق ، ومنهم من خاف ، وكان قد دخل مصر أعجمي يعرف بالأمير العالم ، فلما رأىٰ ما هم فيه من الإحجام . . قال : أنا أبتدىء بها .

فلما كان أول جمعة من المحرم . . صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء ، فلم ينكر ذلك أحد ، فلما كان الجمعة الثانية . . أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد ، ففُعل ذلك ولم يَنتَطِح فيها عَنْزان ، والعاضد شديد المرض ، فتوفي في يوم عاشوراء)[2] .

وفي سنة تسع وستين : أرسل نور الدين إلى الخليفة بتقادم وتحف ؛ منها : حمار مخطط [مثل] ثوب عتابي ، وخرج الخلق للفرجة عليه ، وكان فيهم رجل

(١) تاريخ الإسلام (٣٩/ ٣٤ـ ٤٠) .
(٢) الكامل (١١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٣٩ ـ ٤٠) .

عتابي كثير الدعاوي ، وهو بليد ناقص الفضيلة ، فقال رجل : (إن كان قد بعث إلينا حمار عتابي . . فنحن عندنا عتابي حمار)[1] .

وفيها : وقع بَرَدٌ بالسواد كالنارنج ، هدم الدور ، وقتل جماعة وكثيراً من المواشي ، وزادت دجلة زيادة عظيمة ، بحيث غرقت بغداد ، وصليت الجمعة خارج السور ، وزادت الفرات أيضاً ، وأهلكت قرىً ومزارع ، وابتهلت الخلق إلى الله تعالىٰ ، ومن العجائب : أن هـٰذا الماء علىٰ هـٰذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش[2] .

وفيها : مات السلطان نور الدين ، وكان صاحب دمشق وابنه الملك الصالح إسماعيل وهو صبي ، فتحركت الفرنج بالسواحل ، فصولحوا بمال وهودنوا[3] .

وفيها : أراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم إقامة الدعوة وردها إلىٰ آل العاضد ، ووافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين ، فاطلع صلاح الدين علىٰ ذلك ، فصلبهم بين القصرين[4] .

وفي سنة اثنتين وسبعين : أمر صلاح الدين ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة ، وجعل علىٰ بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش[5] .

قال ابن الأثير : (دوره : تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاث مئة ذراع بالهاشمي)[6] .

وفيها: أمر بإنشاء قلعة بجبل المُقَطَّم ، وهي التي صارت دار السلطنة ، ولم تتم إلا في أيام السلطان الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين ، وهو أول من سكنها[7] .

---

(١) المنتظم (١٨/ ٢٠٣ـ ٢٠٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٤٨ـ ٤٩) ، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٧٣) .
(٢) المنتظم (١٨/ ٢٠٧) ، والكامل (١١/ ٤٠٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٤٩ـ ٥٠) .
(٣) الكامل (١١/ ٤٠٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٥٤) .
(٤) الكامل (١١/ ٣٩٨ـ ٤٠٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/ ٥٤ ـ ٥٥) .
(٥) الكامل (١١/ ٤٣٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٠/ ١٥) .
(٦) الكامل (١١/ ٤٣٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٠/ ١٥) .
(٧) تاريخ الإسلام (٤٠/ ١٥) .

وفيها : بنىٰ صلاح الدين تربة الإمام الشافعي[1] .

وفي سنة أربع وسبعين : هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل ، وظهرتْ أعمدةٌ مثل النار في أطراف السماء ، واستغاث الناس استغاثة شديدة ، وبقي الأمر علىٰ ذلك إلى السحر[2] .

وفي سنة خمس وسبعين : مات الخليفة المستضيء في سلخ شوال ، وعهد إلى ابنه أحمد[3] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المستضيء من الأعلام : ابن الخشَّاب النحوي ، وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافي ، والحافظ أبو العلاء الهَمَذاني ، وناصح الدين بن الدهان النحوي ، والحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من حفدة الشافعي ، والحَيْصَ بَيْص الشاعر ، والحافظ أبو بكر بن خير ، وآخرون .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٠/ ١٦) .
(٢) المنتظم (١٨/ ٢٥٢) ، وتاريخ الإسلام (٤٠/ ٢٧) .
(٣) المنتظم (١٨/ ١٩٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٠/ ٣٥) .

خلافة الناصر لدين الله

[٥٧٥ـ ٦٢٢هـ] [(١)]

أحمد ، أبو العباس بن المستضيء بأمر الله ، ولد يوم الاثنين عاشر رجب ، سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة ، وأمه : تركية ، اسمها : زمرد ، وبويع له عند موت أبيه في مستهل ذي القعدة ، سنة خمس وسبعين .

وأجاز له جماعة ؛ منهم : أبو الحسين عبد الحق اليوسفي ، وأبو الحسن علي بن عساكر البطائحي ، وشُهدة .

وأجاز هو لجماعة ، فكانوا يحدِّثون عنه في حياته ، ويتنافسون في ذلك ؛ رغبةً في الفخر لا في الإسناد[(٢)] .

قال الذهبي : (ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه)[(٣)] ؛ فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة .

ولم تزل مدة حياته في عزٍّ وجلالةٍ وقمعٍ للأعداء ، واستظهارٍ على الملوك ، ولم يجد ضيماً ، ولا خرج عليه خارجي إلاَّ قمعه ، ولا مخالف إلا دمغه ، وكل مَن أضمر له سوءاً . . رماه الله بالخذلان .

وكان مع سعادة جده شديدَ الاهتمام بمصالح المُلْك ، لا يخفىٰ عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم ، وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة .

وكانت له حيل لطيفة ، ومكائد غامضة ، وخدع لا يفطن لها أحد ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون .

---

(١) انظر ترجمته في : « الكامل » (١٢/٤٣٨ ـ ٤٤٠) ، و« وفيات الأعيان » (١/ ٦٦ـ ٦٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ٨٣) ، و« فوات الوفيات » (١/ ٦٦) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ١٠٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٤) .

[قصة مازندار مع الخليفة الناصر]

ولما دخل رسول صاحب مازَنْدران بغداد . . كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل ، فصار يبالغ في التكتم والورقة تأتيه ، فاختلىٰ ليلةً بامرأة دخلت من باب السر ، فصبَّحته الورقة بذلك ؛ وفيها : كان عليكم دواج فيه صورة الأفيلة ، فتحير ، وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب ؛ لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل ، وما وراء الجدار .

وأتىٰ رسول خوارزم شاه برسالةٍ مخفيةٍ وكتاب مختوم ، فقيل له : ارجع ، فقد عرفنا ما جئت به ، فرجع وهو يظن أنهم يعلمون الغيب[1] .

قال الذهبي : (قيل : إن الناصر كان مخدوماً من الجن)[2] .

ولما ظهر خوارزم شاه بخراسان وما وراء النهر ، وتجبر وطغىٰ ، واستعبد الملوك الكبار ، وأباد أمماً كثيرة ، وقطع خطبة بني العباس من بلاده ، وقصد بغداد، فوصل إلىٰ همذان ، فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوماً ، فغطَّاهم في غير أوانه ، فقال له بعض خواصه : إن ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت النبوة .

وبلغه : أن أمم الترك قد تألَّبوا عليه ، وطمعوا في البلاد ؛ لبعده عنها ، فكان ذلك سبب رجوعه ، وكُفي الناصر شره بلا قتال[3] .

[كرم الخليفة الناصر]

وكان الناصر إذا أطعم . . أشبع ، وإذا ضرب . . أوجع ، وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر .

ووصل رجلٌ معه ببغاء تقرأ : (قل هو الله أحد) تحفة للخليفة من الهند ، فأصبحت ميتة ، وأصبح حيران ، فجاءه فرَّاش يطلب منه الببغاء ، فبكىٰ وقال : الليلة ماتت ، فقال : قد عرفنا هاتها ميتة ، وقال : كم كان ظنك أن يعطيك الخليفة ؟ قال : خمس مئة دينار .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٥) .

فقال : هٰذه خمس مئة دينار ، خذها فقد أرسلها إليك الخليفة ؛ فإنه علم بحالك منذ خرجت من الهند .

[قصة فرس الفقيه وما جرىٰ معه]

وكان صدرجهان قد صار إلىٰ بغداد ومعه جمع من الفقهاء ، وواحد منهم لما خرج من داره من سمرقند علىٰ فرس جميلة ، فقال له أهله : لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد ؟!

فقال : الخليفة لا يقدر أن يأخذها مني ، فأمر بعض الوقادين : أنه حين يدخل بغداد يضربه ، ويأخذها منه ، ويهرب في الزحمة ، ففعل .

فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث ، فلما رجعوا من الحج . . خلع علىٰ صدرجهان وأصحابه ، وخلع علىٰ ذلك الفقيه ، وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق ، وقيل له : لم يأخذ فرسك الخليفة ، إنما أخذها أتونيٌّ ، فخرَّ مغشياً عليه ، وأسجل بكرامتهم[1] .

[هيبة الناصر في قلوب الرعية]

وقال الموفق عبد اللطيف : (كان الناصر قد ملأ القلوب هيبة وخيفة ، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد ، فأحيا هيبة الخلافة ، وكانت قد ماتت بموت المعتصم ، ثم ماتت بموته .

وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرىٰ ذكره في خلواتهم . . خفضوا أصواتهم هيبة وإجلالاً ، وورد بغداد تاجر ومعه متاع دمياط المذهب ، فسألوه عنه فأنكر ، فأعطي علامات فيه ؛ من عدده وألوانه وأصنافه ، فازداد إنكاره ، فقيل له : من العلامات : أنك نقمت علىٰ مملوكك التركي فلان ، فأخذته إلىٰ سيف بحر دمياط خلوة ، وقتلته ودفنته هناك ولم يشعر بذلك أحد !!)[2] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٩) .

وقال ابن النجار : (دانت السلاطين للناصر ، ودخل تحت طاعته من كان من المخالفين ، وذلت له العتاة والطغاة ، وانقهرت بسيفه الجبابرة ، واندحض أعداؤه ، وكثر أنصاره ، وفتح البلاد العديدة ، وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدمه من الخلفاء والملوك ، وخُطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين ، وكان أسد بني العباس ، تتصدع لهيبته الجبال ، وكان حسن الخَلْق ، لطيف الخُلُق ، كامل الظرف ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، له التوقيعات المسددة ، والكلمات المؤيدة ، كانت أيامه غُرة في وجه الدهر ، ودرة في تاج الفخر)[١] .

وقال ابن واصل : (كان الناصر شهماً شجاعاً ، ذا فكرة صائبة وعقل رصين ، ومكر ودهاء ، وله أصحابُ أخبار في العراق وسائر الأطراف ، يطالعونه بجزئيات الأمور ، حتىٰ ذُكر أن رجلاً ببغداد عمل دعوة وغسل يده قبل أضيافه ، فطالع صاحبُ الخبر الناصرَ بذلك ، فكتب في جواب ذلك : سوء أدب من صاحب الدار ، وفضول من كاتب المطالعة) .

قال : (وكان مع ذلك رديء السيرة في الرعية ، مائلاً إلى الظلم والعسف ، ففارق أهل البلاد بلادهم ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل أفعالاً متضادة ، وكان يتشيع ويميل إلىٰ مذهب الإمامية ، بخلاف آبائه ، حتىٰ إن ابن الجوزي سئل بحضرته : من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أفضلهم بعده : من كانت ابنته تحته ، ولم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر)[٢] .

وقال ابن الأثير : (كان الناصر سيىء السيرة ، خربت في أيامه العراق مما أحدثه من الرسوم ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل الشيء وضده ، وكان يرمي بالبندق ويغوي الحمام)[٣] .

وقال الموفق عبد اللطيف : (وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث ، واستناب نواباً في الإجازة عنه والتسميع ، وأجرىٰ عليهم جرايات ، وكتب

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٩) .
(٢) مفرج الكروب (٤/ ١٦٣) ، وتاريخ الإسلام (٤٥/ ٩٠) .
(٣) الكامل (١٢/ ٤٤٠) .

للملوك والعلماء إجازات ، وجمع كتاباً سبعين حديثاً ، ووصل إلىٰ حلب وسمعه الناس)[١] .

قال الذهبي : (أجاز الناصر لجماعة من الأعيان فحدثوا عنه ؛ منهم : ابن سُكينة ، وابن الأخضر ، وابن النجار ، وابن الدامَغاني وآخرون)[٢] .

قال أبو المظفر سبط الجوزي وغيره : (قلَّ بصر الناصر في آخر عمره ، وقيل : ذهب جلُّه ، ولم يشعر بذلك أحد من الرعية حتى الوزير وأهل الدار ، وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه ، فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التواقيع)[٣] .

وقال شمس الدين الجزري : (كان الماء الذي يشربه الناصر تأتي به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ، ويغلىٰ سبع غلوات كل يوم غلوة ، ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام ، ثم يشرب منه ، وبعد هـٰذا ما مات . . حتىٰ سقي المُرْقِد مرات[٤] ، وشُقَّ ذكره وأُخرج منه الحصىٰ[٥] ، ومات منه يوم الأحد ، سلخ رمضان ، سنة اثنتين وعشرين وست مئة) .

ومن لطائفه : أن خادماً له اسمه يمن كتب إليه ورقة فيها عتب ، فوقع فيها : [من مجزوء الرجز]

بمَـــن يمـــنُّ يُمْـــنُ ثمـــنُ يُمْـــنٍ ثُمْـــنُ[٦]

ولما تولى الخلافة . . بعث إلى السلطان صلاح الدين بالخلع والتقليد ، وكتب إليه السلطان كتاباً يقول فيه : (والخادم ـ ولله الحمد ـ يعدِّد سوابق في الإسلام والدولة العباسية لا يعدها أوليَّة أبي مسلم ؛ لأنه والَىٰ ثم وارىٰ ، ولا آخرية طُغْرُلْبَك ؛ لأنه نصر ثم حجر ، والخادم خلع من كان ينازع الخلافة رداءها ،

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٧ ـ ٨٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٨٨) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٥/ ٩١) .
(٤) المُرْقِد : دواء يرقد شاربه وينومه .
(٥) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٩١) .
(٦) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٩٠) .

وأساغ الغصة التي ذخر الله للإساغة في سيفه ماءها ، فرجَّل الأسماء الكاذبة الراكبة على المنابر ، وأُعزَّ بتأييدٍ إبراهيمي ، فكسر الأصنام الباطنة بسيفه الظاهر)[١] .

ومن الحوادث في أيامه منثورة

في سنة سبع وسبعين : أرسل الملك الناصر يعاتب السلطان صلاح الدين في تسميته بالملك الناصر ، مع علمه أن الخليفة اختار هـٰذه التسمية لنفسه[٢] .

وفي سنة ثمانين : جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمناً لمن لاذ به ، فالتجأ إليه خَلْقٌ ، وحصل بذلك مفاسد[٣] .

وفي سنة إحدىٰ وثمانين : ولد بالعَلْث ولد طول جبهته شبر وأربع أصابع ، وله أذن واحدة[٤] .

وفيها : وردت الأخبار بأنه خطب للناصر بمعظم بلاد المغرب[٥] .

[بيان كذب المنجمين]

وفي سنة اثنتين وثمانين : اجتمع الكواكب الستة في الميزان ، فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح ، فشرع الناس في حفر مغارات في التُّخوم وتوثيقها ، وسد منافسها على الريح ، ونقلوا إليها الماء والزاد ، وانتقلوا إليها ، وانتظروا الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد ؛ وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة ، فلم يأتِ فيها شيء ، ولا هب فيها نسيم ؛

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٣٦٨) ، وتاريخ الإسلام (٤٥/ ٤٠ـ ٤١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٠/ ٤٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٠/ ٥٨) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤١/ ٥) .

(٥) الكامل (١١/ ٥٢١) ، وتاريخ الإسلام (٤١/ ٥) .

بحيث أُوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح تطفئها ، وعملت الشعراء في ذلك ، فمما قيل فيه قول أبي الغنائم محمد بن المعلِّم[1] : [من المنسرح]

قُـل لأَبـي الفضـلِ قـولَ معتـرفٍ ... مَضَـىٰ جُمـادَىٰ وجـاءَنـا رجَـبُ
ومـا جَـرَت زَعْـزَعـاً كمـا حَكَمـوا ... ولا بَـدَا كـوكـبٌ لـه ذنَـبُ
كـلاَّ ولا أظلَمَـتْ ذُكـاء ولا ... أبْـدَت إذن فـي قـرانهـا الشُّهـبُ
يَقضِـي عليهـا مَـن ليسَ يعلـمُ مـا ... يُقضَـىٰ عليه هـٰذا هـو العجَـبُ
قـد بـانَ كـذبُ المنجميـنَ وفـي ... أيِّ مقـالٍ قـالـوا فمـا كَـذبـوا

[اتفاق عجيب]

وفي سنة ثلاث وثمانين : اتفق أن أول يوم في السنة كان أول أيام الأسبوع ، وأول السنة الشمسية وأول سني الفرس ، والشمس والقمر في أول البرج ، وكان ذلك من الاتفاقات العجيبة[2] .

[فتوحات السلطان صلاح الدين]

وفيها : كانت الفتوحات الكثيرة ، أخذ السلطان صلاح الدين كثيراً من البلاد الشامية التي كانت بيد الفرنج ، وأعظم ذلك بيت المقدس ، وكان بقاؤه في يد الفرنج إحدىٰ وتسعين سنة ، وأزال السلطان ما أحدثه الفرنج من الآثار ، وهدم ما أحدثوه من الكنائس ، وبنىٰ موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية ، فجزاه الله عن الإسلام خيراً ، ولم يهدم القُمامة اقتداء بعمر رضي الله عنه ؛ حيث لم يهدمها لما فتح بيت المقدس ، وقال في ذلك محمد بن أسعد النسابة[3] : [من الكامل]

أَتـرىٰ مَنـامـاً مـا بَعينـي أُبصِـرُ ... القـدسُ يُفتـح والنَّصـارىٰ تُكسَـرُ

---

(١) الخبر مع الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٤١/ ١٠ـ ١١) ، وانظر « الكامل » (١١/ ٥٢٨) ، و« البداية والنهاية » (٢/ ٣١٩) .

(٢) الكامل (١١/ ٥٢٩) ، وتاريخ الإسلام (٤١/ ١٥) .

(٣) الخبر والأبيات في « تاريخ الإسلام » (٤١/ ٢٧ـ ٢٨) .

وقُمامة قُمَّت من الرِّجس الذي ... بـزَوالِـهِ وزَوالِهـا يَتطهَّـرُ
ومَليكُهم في القَيدِ مَصفودٌ ولم ... يُـرَ قبلَ ذاك لهـم مليـكٌ يُـؤسَـرُ
قـد جـاءَ نصـرُ الله والفتـحُ الـذي ... وعَدَ الرسولَ فسبِّحوا واستَغفِرُوا
يا يوسفُ الصديقُ أنتَ لِفَتحِها ... فـارُوقُهـا عمـرُ الإمـامُ الأطهـرُ

من الغريب : أن ابن بَرَّجان ذكر في تفسير : ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ : أن بيت المقدس يبقىٰ في يد الروم إلىٰ سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة ، ثم يُغلَبون ويفتح ويصير دار إسلام إلىٰ آخر الأبد ؛ أخذاً من حساب الآية ، فكان كذلك[1] .

قال أبو شامة : وهـٰذا الذي ذكره ابن بَرَّجان من عجائب ما اتفق ، وقد مات ابن بَرَّجان قبل ذلك بدهر فإن وفاته سنة . . . .[2] .

[وفاة القائد صلاح الدين وتركته]

وفي سنة تسع وثمانين : مات السلطان صلاح الدين رحمه الله ، فوصل إلىٰ بغداد الرسول وفي صحبته لأُمَة الحرب التي لصلاح الدين ، وفرسه ، ودينار واحد ، وستة وثلاثون درهماً لم يخلف من المال سواها ، واستقرت مصر لابنه عماد الدين عثمان الملك العزيز ، ودمشق لابنه الملك الأفضل نور الدين علي ، وحلب لابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي[3] .

وفي سنة تسعين : مات السلطان طُغريل[4] شاه بن أرسلان بن طُغريل بن محمد بن ملك شاه ؛ وهو آخر ملوك السلجوقية[5] .

قال الذهبي : (وكان عددهم نيفاً وعشرين ملكاً ، أولهم : طُغْرُلبَك

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٢٣٠) ، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٠) .
(٢) في النسخ بعدها بياض ، وابن برجان هو عبد السلام بن عبد الرحمـٰن ، مات سنة (٥٣٦ هـ) ، وانظر « الروضتين » (٣/ ١٧٠) .
(٣) الكامل (١٢/ ٩٥ـ٩٨) ، وتاريخ الإسلام (٤١/ ٩٠) .
(٤) في « تاريخ الإسلام » : (ويقال : طغرل بحذف الياء) .
(٥) الكامل (١٢/ ١٠٦) ، وتاريخ الإسلام (٤١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) .

الذي أعاد القائم إلىٰ بغداد ، ومدة دولتهم مئة وستون سنة)[1] .

وفي سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة : هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا ، ووقع على الناس رمل أحمر ، ووقع من الركن اليماني قطعة[2] .

وفيها : عسكر خُوارزم شاه ، فعدا جيحون في خمسين ألفاً ، وبعث إلى الخليفة يطلب السلطنة وإعادة دار السلطنة إلىٰ ما كانت ، وأن يجيء إلىٰ بغداد ، ويكون الخليفة من تحت يده كما كانت الملوك السلجوقية ، فهدم الخليفة دار السلطنة ، ورد رسوله بلا جواب ، ثم كفى الله شره ؛ كما تقدم[3] .

وفي سنة ثلاث وتسعين : انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل ، واهتزت الدور والأماكن ، فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء ، وظنوا ذلك من أمارات القيامة[4] .

وفي سنة خمس وتسعين : مات الملك العزيز بمصر ، وأقيم ابنه المنصور بدله ، فوثب الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب وتملكها ، ثم أقام بها ابنه الملك الكامل[5] .

[شدة الغلاء وأكل الناس الجيف]

وفي سنة ست وتسعين : توقف النيل بمصر ؛ بحيث كسر ولم يكمل ثلاثة عشر ذراعاً ، فكان الغلاء المفرط ؛ بحيث أكلوا الجيف والآدميين ، وفشا أكل بني آدم ، واشتهر ورئي من ذلك العجب العجاب ، وتعدوا إلىٰ حفر القبور وأكل

---

(١) تاريخ الإسلام (٤١/ ٣٧٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٢/ ١٢) ، وفي « الكامل » (١٢/ ١٢٣) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ١٢) : (هبت ريح شديدة بالعراق . . .) ، ولم يُذكر عندهما سقوط قطعة من الركن اليماني .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ١٢) ، وانظر ما تقدم (ص ٦٨٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٢/ ١٥) .

(٥) انظر « الكامل » (١٢/ ١٤٠ـ ١٤٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٢٣ـ ٢٥) .

الموتىٰ ، وتمزق أهل مصر كل ممزق ، وكثر الموت من الجوع ؛ بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره إلا علىٰ ميت ، أو من هو في السياق ، وهلك أهل القرىٰ قاطبة ؛ بحيث إن المسافر يمر بالقرية فلا يرىٰ فيها نافخ نار ، ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتىٰ[1] .

وقد حكى الذهبي في ذلك حكايات يقشعر الجلد من سماعها ، قال : (وصارت الطرق مزرعة بالموتىٰ ، ومأدبة بلحومهم للطير والسباع ، وأبيعت الأحرار والأولاد بالدراهم اليسيرة ، واستمر ذلك إلىٰ أثناء سنة ثمان وتسعين)[2] .

وفي سنة سبع وتسعين : جاءت زلزلة كبرىٰ بمصر والشام والجزيرة ، فأخربت أماكن كثيرة وقلاعاً ، وخسفت قرية من أعمال بصرىٰ[3] .

وفي سنة تسع وتسعين في سلخ المحرم : ماجت النجوم ، وتطايرت تطاير الجراد ، ودام ذلك إلى الفجر ، وانزعج الخلق وضجوا إلى الله تعالىٰ ، ولم يعهد ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

وفي سنة ست مئة : هجم الفرنج إلى النيل من رشيد ، ودخلوا بلد فُوَّة فنهبوها ، واستباحوها ورجعوا[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/ ٣٠) ، والخبر في « الكامل » (١٢/ ١٧٠) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ٢٦) من حوادث سنة (٥٩٧هـ) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٢/ ٣١ـ ٣٥) .
(٣) الكامل (١٢/ ١٧٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٢/ ٣٦ـ٣٧) .
(٤) تاريخ الإسلام (٤٢/ ٤٨) .
(٥) الكامل (١٢/ ١٩٨) ، وتاريخ الإسلام (٤٢/ ٥٢) .

وفي سنة إحدىٰ وست مئة : تغلبت الفرنج على القُسطنطينية ، وأخرجوا الروم منها ، وكانت بأيدي الروم من قبل الإسلام ، واستمرت بيد الفرنج إلىٰ سنة ستين وست مئة ، فاستعادها منهم الروم(١) .

وفيها ـ أي : سنة إحدىٰ ـ : ولدت امرأة بقَطُفْتا ولداً برأسين ويدين وأربعة أرجل ، ولم يعش(٢) .

وفي سنة ست وست مئة : كان ابتداء أمر التتار ، وسيأتي شرح حالهم(٣) .

وفي سنة خمس عشرة : أخذت الفرنج من دمياط برج السلسلة(٤) .

قال أبو شامة : (وهـٰذا البرج كان قفل الديار المصرية ، وهو برجٌ عالٍ في وسط النيل ، ودمياط بحذائه من شرقيه ، والجيزة بحذائه من غربيه ، وفي ناحيته سلسلتان ؛ تمتد إحداهما على النيل إلىٰ دمياط ، والأخرىٰ على النيل إلى الجيزة ، يمنعان عبور المراكب من البحر المالح)(٥) .

وفي سنة ست عشرة : أخذت الفرنج دمياط بعد حروب ومحاصرات ، وضعف المَلِك الكامل عن مقاومتهم ، فبدعوا فيها ، وجعلوا الجامع كنيسة ، فابتنى الملك الكامل مدينة عند مفرق البحرين وسماها المنصورة ، وبنىٰ عليها سوراً ونزلها بجيشه(٦) .

وفي هـٰذه السنة : كاتبه قاضي القضاة زكي الدين الطاهر ، وكان الملك

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٨ و٤٨/٨٦) .

(٢) الكامل (١٢/٢٠٦) ، وتاريخ الإسلام (٤٢/٨) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ٧١١) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٤/٢٠) .

(٥) الذيل على الروضتين (ص ١٠٩) .

(٦) انظر « الكامل » (١٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦) في حوادث سنة (٦١٤هـ) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٢٧ـ ٣١) .

المعظم صاحب دمشق في نفسه منه ، فأرسل له بقجة فيها قباء وكلوتة[1] ، وأمره بلبسها بين الناس في مجلس حكمه ، فلم يمكنه الامتناع ، ثم قام ودخل داره ، ولزم بيته ، ومات بعد أشهر قهراً ، ورمىٰ قطعاً من كبده ، وتأسف الناس لذلك ، واتفق أن الملك المعظم أرسل في عقب ذلك إلى الشرف بن عُنَين حين تزهد خمراً ونرداً ، وقال : سبح بهـٰذا ، فكتب إليه[2] : [من الكامل]

يـا أَيُّهـا الملـكُ المعظَّـم سُنـةٌ أحـدثْتَهـا تَبقـىٰ إلـى الآبـادِ
تجري الملوكُ علىٰ طريقكَ بعدَها خِلَـع القضـاةِ وتُحفـةُ الـزُّهـادِ

وفي سنة ثمان عشرة : استُردت دمياط من الفرنج ، فللّٰه الحمد[3] .

وفي سنة إحدىٰ وعشرين : بنيت دار الحديث الكاملية بالقاهرة بين القصرين ، وجعل شيخها أبو الخطاب ابن دحية[4] .

وكانت الكعبة تكسى الديباج الأبيض من أيام المأمون إلى الآن ، فكساها الناصر ديباجاً أخضر ، ثم كساها ديباجاً أسود ، فاستمر إلى الآن .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام الناصر من الأعلام : الحافظ أبو طاهر السِّلَفي ، وأبو الحسن بن العصَّار اللغوي ، والكمال أبو البركات ابن الأنباري ، وسيدي أحمد الرفاعي الزاهد ، وابن بَشْكُوَال ، ويونس والد بني يونس من الشافعية ، وأبو بكر ابن طاهر الخِدَبّ النحوي ، وأبو الفضل والد الرافعي ، وابن مَلْكون النحوي ، وعبد الحق الإشبيلي صاحب « الأحكام » ، وأبو زيد السُّهيلي صاحب

---

(١) الكلوتة : غطاء للرأس ، تلبس وحدها أو بعمامة ، وهي مما استحدثه سلاطين الأيوبيين بمصر .
(٢) الخبر في « تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٣٢ـ٣٣) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٩٤) .
(٣) الكامل (١٢/ ٣٢٦) ، وتاريخ الإسلام (٤٤/ ٥٥) .
(٤) تاريخ الإسلام (٤٥/ ٦) .

« الروض الأنف » ، والحافظ أبو موسى المديني ، وابن بَرِّي اللغوي ، والحافظ أبو بكر الحازمي ، والشرف ابن أبي عصرون ، وأبو القاسم البخاري العَتَّابي صاحب « الجامع الكبير » من كبار الحنفية ، والنجم الخُبُوشاني المشهور بالصلاح ، وأبو القاسم بن فِيْرة الشاطبي صاحب القصيدة ، وفخر الدين أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي ؛ أول من وضع الفرائض علىٰ شكل المنبر ، والبرهان المَرْغيناني صاحب « الهداية » من الحنفية ، وقاضي خان صاحب « الفتاوىٰ » منهم ، وعبد الرحيم بن حجون الزاهد بالصعيد ، وأبو الوليد ابن رشد صاحب العلوم الفلسفية ، وأبو بكر ابن زهر الطبيب ، والجمال بن فَضْلان من الشافعية ، والقاضي الفاضل صاحب الإنشاء والترسل ، والشهاب الطُّوسي ، وأبو الفرج بن الجوزي ، والعماد الكاتب ، وابن عظيمة المقرىء ، والحافظ عبد الغني المقدسي صاحب « العمدة » ، والركن الطاووسي صاحب الخلاف ، وشُمَيم الحلي ، وأبو ذر الخُشَني النحوي ، والإمام فخر الدين الرازي ، وأبو السعادات المجد ابن الأثير صاحب « جامع الأصول » و« نهاية الغريب » ، والعماد بن يونس صاحب « شرح الوجيز » ، والشرف شارح « التنبيه » ، والحافظ أبو الحسن بن المفضل ، وأبو محمد بن حوط الله ، وأخوه أبو سليمان ، والحافظ عبد القادر الرُّهاوي ، والزاهد أبو الحسن بن الصباغ بقَنَا ، والوجيه ابن الدهان النحوي ، وتقي الدين المقتَرَح ، وأبو اليمن الكندي النحوي ، والمعين الجاجَرْمي صاحب « الكفاية » من الشافعية ، والركن العميدي صاحب « الطريقة في الخلاف » ، وأبو البقاء العُكْبَري صاحب « الإعراب » ، وابن أبي أُصيبعة الطبيب ، وعبد الرحيم بن السَّمعاني ، ونجم الدين الكُبْري[1] ، وابن أبي الصيف اليمني ، وموفق الدين بن قدامة الحنبلي ، وفخر الدين بن عساكر ، وخلائق آخرون .

---

(١) كذا ضبطه الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٧/ ٢٦٣) ، وقال السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢٥) : الكبرىٰ علىٰ صيغة فُعلىٰ كعظمىٰ ، والله تعالىٰ أعلم .

خلافة الظاهر بأمر الله

[٦٢٢ـ ٦٢٣هـ][1]

أبو نصر ، محمد بن الناصر لدين الله ، ولد سنة إحدىٰ وسبعين وخمس مئة ، وبايع له أبوه بولاية العهد ، واستخلف عند موت والده وهو ابن اثنتين وخمسين سنة ، فقيل له : ألا تتفسح ؟ قال : لقد لَقِسَ الزرع ، فقيل : يبارك الله في عمرك ، قال : من فتح دكاناً بعد العصر . . أيش يكسب ؟!

ثم إنه أحسن إلى الرعية ، وأبطل المكوس ، وأزال المظالم ، وفرّق الأموال ، ذكر ذلك أبو شامة[2] .

[إظهار الخليفة للعدل]

وقال ابن الأثير في « الكامل » : (لما ولي الظاهر . . أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين ، فلو قيل : ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله . . لكان القائل صادقاً ؛ فإنه أعاد من الأموال المغصوبة والأملاك المأخوذة في أيام أبيه وقبلها شيئاً كثيراً ، وأطلق المكوس في البلاد جميعها ، وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق ، وبإسقاط جميع ما جدده أبوه ، وكان ذلك كثيراً لا يحصىٰ .

فمن ذلك : بَعْقُوبا كان يحصل منها قديماً عشرة آلاف دينار ، فلما استخلف الناصر . . كان يؤخذ منها في السنة ثمانون ألف دينار ، فاستغاث أهلها ، فأعادها الظاهر إلى الخراج الأول .

ولما أعاد الخراج الأصلي على البلاد . . حضر خلقٌ ، وذكروا : أن أملاكهم

---

(١) انظر ترجمته في : « الكامل » (١٢/ ٤٤١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ١٦٥) ، و« الوافي بالوفيات » (٢/ ٩٥) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ١٠٧) ، و« النجوم الزاهرة » (٦/ ٢٦٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/ ١١) .

قد يبست أكثر أشجارها وخربت ، فأمر : ألا يؤخذ إلا من كل شجرة سالمة .

ومن عدله : أن صنجة المخزن كانت راجحة نصف قيراط في المثقال ، يقبضون بها ويعطون بصنجة البلد ، فخرج خطُّه إلى الوزير ؛ وأوله : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . . . ﴾ الآياتِ ؛ وفيه : قد بلغنا كذا وكذا ، فتُعاد صنجة الخزانة إلىٰ ما يتعامل به الناس .

فكتبوا إليه : إن هٰذا فيه تفاوت كثير ، وقد حسبناه في العام الماضي فكان خمسة وثلاثين ألف دينار ، فأعاد الجواب ينكر على القائل ويقول : يبطل ولو أنه ثلاث مئة ألف وخمسون ألف دينار .

ومن عدله : أن صاحب الديوان قدم من واسط ومعه أزيد من مئة ألف دينار من ظلم ، فردها علىٰ أربابها .

وأخرج أهل الحبوس ، وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليوفيها عمن أعسر ، وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مئة ألف دينار ، وقيل له : هٰذا الذي تخرجه من الأموال لا تسمح نفس ببعضه ، فقال : أنا فتحت الدكان بعد العصر ؛ فاتركوني أفعل الخير ، فكم بقيت أعيش ؟!

ووجد في بيت من داره ألوف رقاع كلها مختومة ، فقيل له : لِمَ لم تفتحها ؟ قال : لا حاجة لنا فيها ، كلها سعايات) هٰذا كله كلام ابن الأثير[1] .

وقال سبط ابن الجوزي : (لما دخل إلى الخزائن . . قال له خادم : في أيامك تمتلىء ؟! فقال : ما فُعلت الخزائن لتمتلىء ، بل لتفرغ وتنفق في سبيل الله ؛ فإن الجمع شغل التجار)[2] .

وقال ابن واصل : (أظهر العدل ، وأزال المكس ، وظهر للناس ، وكان أبوه لا يظهر إلا نادراً)[3] .

---

(١) الكامل (١٢/ ٤٤١ـ ٤٤٤ و٤٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٥/ ١٦٦ـ ١٦٨) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/ ١٦٨ـ ١٦٩) .
(٣) مفرج الكروب (٤/ ١٩٣) .

توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب ، سنة ثلاث وعشرين ، فكانت خلافته تسعة أشهر وأياماً .

وقد روى الحديث عن والده بالإجازة ، روىٰ عنه : أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي .

ولما توفي . . اتفق خسوف القمر مرتين في السنة ، فجاء ابن الأثير نصر الله رسولاً من صاحب الموصل برسالة في التعزية ؛ أولها : (ما للَّيل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما ، وما للشمس والقمر لا ينكسفان وقد فقد ثالثهما : [من الطويل]

فيا وَحْشَةَ الدُّنيا وكانَت أنيسةً ووَحـدَةَ مَـن فيهـا لمَصْـرعِ واحـدِ

وهو سيدنا ومولانا الإمام الظاهر أمير المؤمنين ، الذي جعلت ولايته رحمة للعالمين . . .) إلىٰ آخر الرسالة[1] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٥/١٨ـ١٩) ، والبيت لأبي تمام في « ديوانه » (٢/٢٩٨) .

خلافة المستنصر بالله

[٦٢٣ـ ٦٤٠هـ][1]

أبو جعفر ، منصور بن الظاهر بأمر الله ، ولد في صفر ، سنة ثمان وثمانين وخمس مئة ، وأمه : جارية تركية .

قال ابن النجار : (وبويع بعد موت أبيه في رجب ، سنة ثلاث وعشرين وست مئة ، فنشر العدل في الرعايا ، وبذل الإنصاف في القضايا ، وقرَّب أهل العلم والدين ، وبنى المساجد والرُّبُط والمدارس والمارستانات ، وأقام منار الدين ، وقمع المتمردة ، ونشر السُّنن ، وكف الفتن ، وحمل الناس علىٰ أقوم سَنَن ، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام ، وجمع الجيوش لنصرة الإسلام ، وحفظ الثغور ، وافتتح الحصون)[2] .

وقال الموفق عبد اللطيف : (بويع أبو جعفر ، فسار السيرة الجميلة ، وعمَّر طرق المعروف الداثرة ، وأقام شعار الدين ومنار الإسلام ، واجتمعت القلوب علىٰ محبته والألسنة علىٰ مدحه ، ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معاباً .

وكان جده الناصر يقربه ، ويسميه القاضي ؛ لهديه وعقله وإنكار ما يجده من المنكر)[3] .

[بناء المدرسة المستنصرية]

وقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري : (كان المستنصر راغباً في فعل الخير ، مجتهداً في تكثير البِرِّ ، وله في ذلك آثار جميلة ، وأنشأ المدرسة

---

(١) انظر ترجمته في : « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٠٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٤٥٢) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ١٦٩) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ١٦٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٦/ ٤٥٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٦/ ٤٥٣) .

المستنصرية ، ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم)[١] .

وقال ابن واصل : (بنى المستنصر علىٰ دجلة من الجانب الشرقي مدرسة ما بُني علىٰ وجه الأرض أحسن منها ، ولا أكثر وقوفاً ، وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة ، وعمل فيها بيمارستاناً ، ورتب فيها مطبخاً للفقهاء ، ومُزَمَّلة للماء البارد ، ورتب لبيوت الفقهاء الحُصُر والبُسُط والزيت والورق والحبر وغير ذلك ، وللفقيه بعد ذلك في الشهر دينار[٢] ، ورتب لهم حماماً ، وهو أمر لم يسبق إلىٰ مثله ، واستخدم عساكر عظيمة لم يَستخدِم مثلها أبوه ولا جده .

وكان ذا همة عالية وشجاعة وإقدام عظيم ، قصدت التتار البلاد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة ، وكان له أخ يقال له : الخفاجي ، فيه شهامة زائدة ، وكان يقول : لئن وليت . . لأعبرن بالعساكر نهر جيحون ، وآخذ البلاد من أيدي التتار ، وأستأصلهم ، فلما مات المستنصر . . لم ير الدويدار ولا الشرابي تقليد الخفاجي ؛ خوفاً منه ، وأقاما ابنه أحمد ؛ للينه وضعف رأيه ؛ ليكون لهما الأمر ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً من هلاك المسلمين في مدته ، وتغلب التتار ، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٣] .

[افتتاح المدرسة المستنصرية وما وقف عليها]

قال الذهبي : (وقد بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية في العام نيفاً وسبعين ألف مثقال ، وكان ابتداء عمارتها في سنة خمس وعشرين ، وتمت في سنة إحدىٰ وثلاثين ، ونقل إليها الكتب وهي مئة وستون حِملاً من الكتب النفيسة ، وعدة فقهائها مئتان وثمانية وأربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة ، وأربعةٌ مدرِّسون وشيخ حديث ، وشيخ نحو ، وشيخ طبٍّ ، وشيخ فرائض ، ورتب فيها الخبز والطبيخ والحلاوة والفاكهة ، وجعل فيها ثلاثون يتيماً ، ووقف عليها ما لا يعبر عنه

---

(١) التكملة لوفيات النقلة (٣/ ٦٠٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٦/ ٤٥٤) .

(٢) في (أ) : (ديناراً) ، وفي « تاريخ الإسلام » : (ديناران) .

(٣) مفرج الكروب (٥/ ٣١٦ـ ٣١٧) ، تاريخ الإسلام (٤٦/ ٤٥٣ـ ٤٥٤) .

كثرة. . . ثم سرد الذهبي القرىٰ والرباع الموقوفة عليها ، قال : وفتحت يوم الخميس في رجب ، وحضر القضاة والمدرسون والأعيان وسائر الدولة ، وكان يوماً مشهوداً)[١] .

ومن الحوادث في أيام المستنصر

في سنة ثمان وعشرين : أمر الملك الأشرف صاحب دمشق ببناء دار الحديث الأشرفية ، وفرغت في سنة ثلاثين[٢] .

[ضرب دراهم الفضة بأمر المستنصر]

وفي سنة اثنتين وثلاثين : أمر المستنصر بضرب الدراهم الفضة ؛ ليتعامل الناس بها بدلاً عن قُراضة الذهب ، فجلس الوزير وأحضر الولاة والتجار والصَّيارفة ، وفُرشت الأنطاع ، وأفرغ عليها الدراهم ، وقال الوزير : قد رسم مولانا أمير المؤمنين لمعاملتكم بهٰذه الدراهم عوضاً عن قُراضة الذهب ؛ رفقاً بكم وإنقاذاً لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوي ، فأعلنوا بالدعاء ، ثم أديرت بالعراق ، وسعِّرت كل عشرة بدينار ، فقال الموفق أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد[٣] : [من الخفيف]

لا عَـدِمنـا جميـلَ رأيـكَ فينـا ... أنـتَ بـاعَـدْتَنـا عـنِ التَّطفيـفِ
ورسَمْـتَ اللُّجَيـن حتـىٰ أَلِفْنـا ... هُ ومـا كـانَ قبـلُ بـالمـألـوفِ
ليسَ للجمعِ كـان منعُـك للصَّـر ... فِ ولٰكـن للعَـدْلِ والتعـريـفِ

وفي سنة خمس وثلاثين وست مئة : ولي قضاء دمشق شمس الدين أحمد

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٦/٦ـ٩ و٤٥٦) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/٤٤) .
(٣) الخبر مع الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٤٦/١١) .

الجوني ؛ وهو أول قاض رتب مراكز الشهود بالبلد ، وكان قبل ذلك يذهب الناس إلىٰ بيوت العدول يُشهِّدُونهم[1] .

وفيها : مات السلطانان الأخوان : الأشرف صاحب دمشق ، والكامل صاحب مصر بعده بشهرين ، وتَسَلْطَن بمصر ولد الكامل قلامة ، ولقب : العادل ، ثم خلع وتملك أخوه الصالح أيوب نجم الدين[2] .

وفي سنة سبع وثلاثين وست مئة : ولي خطابة دمشق الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فخطب خطبة عريَّة من البدع ، وأزال الأعلام المذهَّبة ، وأقام عوضها سوداً بأبيض ، ولم يُؤذِّن قدامه سوىٰ مؤذنٍ واحد[3] .

وفيها : قدم رسول الأمير الذي تملك اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني إلى الخليفة ، يطلب تقليداً بسلطنة اليمن بعد موت الملك المسعود ابن الملك الكامل ، وبقي المُلْك في بنيه إلىٰ سنة نيف[4] وثمان مئة[5] .

وفي سنة تسع وثلاثين وست مئة : بنى الصالح صاحب مصر المدرسة التي بين القصرين ، والقلعة التي بالروضة ، ثم أخرب غلمانه القلعة المذكورة سنة إحدىٰ وخمسين وست مئة[6] .

[وفاة المستنصر]

وفي سنة أربعين وست مئة : توفي المستنصر يوم الجمعة عاشر جمادى

---

(١) تاريخ الإسلام (٢١/٤٦) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢/٤٦ و٢٥) .
(٣) تاريخ الإسلام (٣٧/٤٦) .
(٤) كذا في (هـ) ، وفي (ط) : (خمس وستين) ، وفي باقي النسخ بياض .
(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩/٤٦) .
(٦) تاريخ الإسلام (٤٥/٤٦ و٨/٤٨) ، والبداية والنهاية (١٥٧/١٣) .

الآخرة ، ورثاه الشعراء ، فمن ذلك قول صفي الدين عبد الله بن جميل[1] : [من الكامل]

[عـزَّ العَـزَاءُ وأعـوزَ الإلمـامُ ... واسترجَعَتْ ما أعْطَت الأيامُ
فَدعِ العُيونَ تسحُّ بعد فِرَاقِهم ... عِوَضَ الدُّموعِ دَماً فليسَ تُلامُ
بانوا فلا قلبي يقرُّ قرارُه ... أسفاً ولا جَفني القريحُ ينامُ
فَعَلى الذين فقدْتُهم وعَدِمتُهم ... مني تحيةُ موجَعٍ وسلامُ]

ومن مناقب المستنصر : (أن الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها :

[من الكامل]

لو كنتَ في يومِ السَّقيفةِ حاضراً ... كنتَ المقدَّمَ والإمامَ الأَورَعَا

فقال له قائل بحضرته : أخطأت ؛ قد كان حاضراً العباس جد أمير المؤمنين ، ولم يكن المقدم إلا أبو بكر ، فأقر ذلك المستنصر ، وخلع على القائل ذلك خلعة ، وأمر بنفي الوجيه ، فخرج إلىٰ مصر) حكاها الذهبي[2] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المستنصر من الأعلام : الإمام أبو القاسم الرافعي ، والجمال المصري ، وابن معزوز النحوي ، وياقوت الحَمَوي ، والسكّاكي صاحب « المفتاح » ، والحافظ أبو الحسن بن القطّان ، ويحيى بن مُعطي صاحب « الألفية » في النحو ، والموفق عبد اللطيف البغدادي ، والحافظ أبو بكر بن نقطة ، والحافظ عز الدين علي بن الأثير صاحب « التاريخ » و« الأنساب » و« أسد الغابة » ، وابن عُنَين الشاعر ، والسيف الآمدي ، وابن فَضْلان ، وعمر بن الفارض صاحب « التائية » ، والشهاب السُّهْرَوردي صاحب « عوارف المعارف » ، والبهاء بن شدَّاد ، وأبو العباس العَزَفي صاحب المولد النبوي ،

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من « تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٤٥٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٩) .

والعلامة أبو الخطاب بن دِحيةَ ، وأخوه أبو عمرو ، والحافظ أبو الربيع بن سالم صاحب « الاكتفاء في المغازي » ، وابن الشوَّاء الشاعر ، والحافظ زكي الدين البِرْزالي ، والجمال الحَصِيري شيخ الحنفية ، والشمس الخُوَيِّي ، والحَرَالِّي ، والحافظ أبو عبد الله الدُّبَيْثي ، وأبو البركات بن المستوفي ، والضياء بن الأثير صاحب « المثل السائر » ، وابن عربي صاحب « الفصوص » و« الفتوحات المكية » ، والكمال ابن يونس شارح « التنبيه » ، وخلائق آخرون .

خلافة المستعصم بالله

[٦٤٠ـ٦٥٦هـ] [١]

أبو أحمد ، عبد الله بن المستنصر بالله ، آخر الخلفاء العراقيين ، ولد سنة تسع وست مئة .

وأمه : أم ولد ، اسمها : هاجر ، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه .

وأجاز له علىٰ يد ابن النجار المؤيد الطوسي ، وأبو روح الهروي وجماعة ، وروىٰ عنه بالإجازة جماعة ؛ منهم : النجم البادَرَائي ، والشرف الدمياطي ، وخرَّج له الدمياطي أربعين حديثاً رأيتها بخطه .

وكان كريماً حليماً ، سليم الباطن حسن الديانة[٢] .

قال الشيخ قطب الدين : (كان متديناً متمسكاً بالسنة كأبيه وجده ، ولـٰكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة ، وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة ، وكان يقول : إن ملكني الله الأمر . . لأعبرنَّ بالجيوش نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم ، فلما توفي المستنصر لم ير الدُّويدار والشَّرَابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر ، وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده ؛ ليكون لهم الأمر ، فأقاموه .

ثم ركن المستعصم إلىٰ وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي الرافضي ، فأهلك الحرث والنسل ، ولعب بالخليفة كيف أراد ، وباطن التتار وناصحهم ، وأطمعهم في المجيء إلى العراق ، وأخذ بغداد ، وقطع الدولة العباسية ؛ ليقيم خليفة من آل علي ، وصار إذا جاءه خبر منهم . . كتمه عن الخليفة ، ويطالع

---

(١) انظر ترجمته في : « ذيل مرآة الزمان » (١/ ٢٥٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٢٥٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ١٧٤) ، و« فوات الوفيات » (٢/ ٢٣٠) ، و« الوافي بالوفيات » (١٧/ ٦٤١) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ٢٠٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٢٥٩) .

بأخبار الخليفةِ التتار إلىٰ أن حصل ما حصل)[1] .

[موت الملك الصالح وولده توران شاه]

وفي سنة سبع وأربعين من أيامه : أخذت الفرنج دمياط ، والسلطان الملك الصالح مريض ، فمات ليلة نصف شعبان ، فأخفت جاريته أم خليل المسماة : شجر الدُّر موته ، وأرسلت إلىٰ ولده توران شاه الملك المعظم ليتملك ، فحضر ، ثم لم يلبث أن قُتل في محرم ، سنة ثمان وأربعين وست مئة ؛ وثب عليه غلمان أبيه فقتلوه ، وأمَّروا عليهم جارية أبيهم شجر الدُّر ، وحلف لها الأتراك ولنائبها عز الدين أيبك التركماني ، فشرعت شجر الدُّر في الخلع للأمراء والأعطيات .

ثم استقل عز الدين بالسلطنة في ربيع الآخر ، ولُقِّب : الملك المعز ، ثم تنصل منها ، وحلف العسكر للملك الأشرف بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الكامل وله ثمان سنين ، وبقي عز الدين أتابكه ، وخُطب لهما وضربت السكة باسمهما[2] .

وفي هـٰذه السنة ـ أعني سنة ثمان ـ : استردت دمياط من الفرنج .

وفي سنة اثنتين وخمسين وست مئة : ظهرت نار في أرض عدن ، وكان يطير شررها في الليل إلى البحر ، ويصعد منها دخان عظيم في النهار[3] .

وفيها : أبطل المعز اسم الملك الأشرف واستقل بالسلطنة[4] .

[ظهور نار عظيمة بالمدينة المنورة]

وفي سنة أربع وخمسين : ظهرت النار بالمدينة النبوية .

---

(١) ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٥٤ـ ٢٥٥) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٢٥٩ـ ٢٦٠) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٤١ـ ٥٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٩) ، والبداية والنهاية (١٣/ ١٨٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٨/ ١٠) .

قال أبو شامة : (جاءنا كتب من المدينة فيها : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة . . ظهر بالمدينة دوي عظيم ، ثم زلزلة عظيمة ، فكانت ساعة بعد ساعة إلىٰ خامس الشهر ، فظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة ، نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وسالت أودية منها إلىٰ وادي شظا مسيل الماء ، وطلعنا نبصرها ؛ فإذا الجبال تسيل ناراً ، وسارت هٰكذا وهٰكذا نيران كأنها الجبال ، وطار منها شرر كالقصر إلىٰ أن أبصر ضوءها من مكة ومن الفلاة جميعهما ، واجتمع الناس كلهم إلى القبر الشريف مستغفرين تائبين ، واستمرت هٰكذا أكثر من شهر)[1] .

قال الذهبي : (أمر هٰذه النار متواتر ؛ وهي مما أخبر به المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم حيث قال : « لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تَخرجَ نارٌ من أرضِ الحجازِ تُضيء لها أَعناقُ الإبلِ ببُصرَىٰ »[2] ، وقد حكىٰ غير واحدٍ ممن كان ببصرىٰ في الليل ، ورأىٰ أعناق الإبل في ضوئها)[3] .

[فتنة التتار وخيانة العلقمي]

وفي سنة خمس وخمسين وست مئة : مات المعز أَيْبَك سلطان مصر ؛ قتلته زوجته شجر الدُّر ، وسلطنوا بعده ولده الملك المنصور علياً[4] .

هٰذا ؛ والتتار جائلون في البلاد ، وشرهم متزايد ونارهم تستعر ، والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم ، والوزير العلقمي حريص علىٰ إزالة الدولة العباسية ، ونقلها إلى العلوية ، والرسل في السر بينه وبين التتار ، والمستعصم تائه في لذاته لا يطلع على الأمور ، ولا له غرض في المصلحة .

وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جداً ، وكان مع ذلك يصانع التتار

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/ ١٨ـ ٢١) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٨) ، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٢٢) .

(٤) ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٢٨) .

ويهاديهم ويرضيهم ، فلما استخلف المستعصم . . كان خلياً من الرأي والتدبير ، فأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند ، وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل بها المقصود ، ففعل ذلك .

ثم إن الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد ، وسهَّل عليهم ذلك ، وطلب أن يكون نائبهم ، فوعدوه بذلك ، وتأهَّبوا لقصد بغداد[1] .

شرح حال التتار ملخصاً

قال الموفق عبد اللطيف في خبر التتار : (هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوي الأخبار ، وتاريخ ينسي التواريخ ، ونازلة تصغِّر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض ، وتملؤها ما بين الطول والعرض .

وهـٰذه الأمة لغتهم مشوبة بلغة الهند ؛ لأنهم في جوارهم ، وبينهم وبين تَنْكُت أربعة أشهر ، وهم بالنسبة إلى الترك عراض الوجوه ، واسعو الصدور ، خفاف الأعجاز ، صغار الأطراف ، سمر الألوان ، سريعو الحركة في الجسم والرأي .

تصل إليهم أخبار الأمم ، ولا تصل أخبارهم إلى الأمم ، وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم ؛ لأن الغريب لا يتشبه بهم ، وإذا أرادوا جهة . . كتموا أمرهم ، ونهضوا دفعة واحدة ، فلا يعلم بهم أهل بلد حتىٰ يدخلوه ، ولا عسكر حتىٰ يخالطوه ؛ فلهـٰذا تفسد على الناس وجوه الحيل ، وتضيق طرق الهرب ، ونساؤهم يقاتلن كرجالهم .

والغالب علىٰ سلاحهم النشَّاب ، وأكلهم أيَّ لحم وجد ، وليس في قتلهم استثناء ولا إبقاء ، يقتلون الرجال والنساء والأطفال ، وكان قصدهم إفناء النوع وإبادة العالم ، لا قصد الملك والمال)[2] .

وقال غيره : (أرض التتار بأطراف بلاد الصين ، وهم سكان براري ، ومشهورون بالشر والغدر) .

---

(١) ذيل مرآة الزمان (١/ ٨٥) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٣٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٣/ ٢٦ـ٢٧) .

[سبب ظهور التتار]

وسبب ظهورهم : أن إقليم الصين متسع دوره ستة أشهر ، وهو ست ممالك ، ولهم ملك حاكم على الممالك الست ، وهو القان الأكبر المقيم بطمغاج ، وهو كالخليفة للمسلمين .

وكان سلطان أحد الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكزخان ، فحضر زائراً لعمته وقد مات زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان ، فأعلمتهما أن الملك لم يخلف ولداً ، وأشارت على ابن أخيها أن يقوم مقامه ، فقام وانضم إليه خلق من المغول ، ثم سير التقادم إلى القان الكبير ، فاستشاط غضباً ، وأمر بقطع أذناب الخيل التي أهديت وطردها ، وقتل الرسل ؛ لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك ، إنما هم بادية الصين .

فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلوخان . . تحالفا على التعاضد ، وأظهرا الخلاف للقان ، وأتتهما أمم كثيرة من التتار ، وعلم القان قوتهم وشرهم ، فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك أنه ينذرهم ويهددهم ، فلم يغن ذلك شيئاً ، ثم قصدهم وقصدوه ، فوقع بينهم ملحمة عظيمة ، فكسروا القان الأعظم ، وملكوا بلاده واستفحل شرهم ، واستمر الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة .

ثم سارا إلىٰ بلاد ساقون من نواحي الصين فملكاها ، فمات كشلوخان ، فقام مقامه ولده ، فاستضعفه جنكزخان ، فوثب عليه وظفر به ، واستقل جنكزخان ، ودانت له التتار وانقادت له ، واعتقدوا فيه الإلـٰهية ، وبالغوا في طاعته[1] .

[أول خروج التتار]

ثم كان أول خروجهم في سنة ست وست مئة من بلادهم إلىٰ نواحي الترك وفرغانة ، فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان الذي أباد الملوك

(١) تاريخ الإسلام (٤٣/ ٢٧ـ٢٨) .

وأخذ الممالك ، وعزم علىٰ قصد الخليفة ، فلم يتهيأ له كما تقدم[1] ، فأمر أهل فرغانة والشاش وكاسان وتلك البلاد النَّزِهةَ العامرة بالجلاء والجفل إلىٰ سمرقند وغيرها ، ثم خرَّبها جميعاً ؛ خوفاً من التتار أن يملكوها ؛ لعلمه أنه لا طاقة له بهم[2] .

ثم صار التتار يتخطفون ويتنقلون إلىٰ سنة خمس عشرة ، فأرسل فيها جنكزخان إلى السلطان خوارزم شاه رسلاً وهدايا ، وقال الرسول : إن القان الأعظم يسلم عليك ويقول لك : ليس يخفىٰ عليَّ عظم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الأقاليم ، وأنا أرىٰ مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادي ، وغير خاف عنك أنني ملكت الصين ، وأنت أخبر الناس ببلادي ، وأنها مثارات العساكر والخيول ومعادن الذهب والفضة ، وفيها كفاية عن غيرها ، فإن رأيت أن تعقد بيننا المودة ، وتأمر التجار بالسفر لتعم المصلحتين . . فعلت .

فأجابه خوارزم شاه إلىٰ ملتمسه ، وسُرَّ جنكزخان بذلك ، واستمر الحال على المهادنة إلىٰ أن وصل من بلاده تجار .

[غدر خوارزم شاه بالتجار ثم موته]

وكان خال خوارزم شاه ينوب علىٰ بلاد ما وراء النهر ، ومعه عشرون ألف فارس ، فشرهت نفسه إلىٰ أموال التجار ، وكاتب السلطان يقول : إن هـٰؤلاء القوم قد جاؤوا بزي التجار ، وما قصدهم إلا التجسس ، فإن أذنت لي فيهم ؟

فأذن له بالاحتياط عليهم ، فقبض عليهم ، وأخذ أموالهم ، فوردت رسل جنكزخان إلىٰ خوارزم شاه تقول : إنك أعطيت أمانك للتجار فغدرت ، والغدر قبيح ، وهو من سلطان الإسلام أقبح ؛ فإن زعمت أن الذي فعله خالك بغير أمرك . . فسلمه إلينا ، وإلاَّ . . سوف تشاهد مني ما تعرفني به ، فحصل عند

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٦٨٧) .
(٢) الكامل (١٢/ ٢٦٧ـ ٢٧١) ، وتاريخ الإسلام (٤٣/ ٢٥ـ ٢٦) .

خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله ، فتجلد وأمر بقتل الرسل فقُتلوا .

فيا لها من حركة ؛ لِمَا هدرت من دماء الإسلام أجرت بكل نقطة سيلاً من الدم !

ثم سار جنكزخان إليه ، فانجفل خوارزم شاه عن جيحون إلىٰ نيسابور ، ثم ساق إلىٰ مرج همذان رعباً من التتار ، فأحدق به العدو ، فقتلوا كل من معه ونجا هو بنفسه ، فخاض الماء إلىٰ جزيرة ، ولحقته علة ذات الجنب ، فمات بها وحيداً فريداً ، وكفن في شاش فراش كان معه ، وذلك في سنة سبع عشرة ، وملكوا جميع مملكة خوارزم شاه[1] .

قال سبط الجوزي : (كان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة ، فأخذوا بخارىٰ وسمرقند وقتلوا أهلها ، وحاصروا خوارزم شاه ، ثم بعد ذلك عبروا النهر ، وكان خوارزم شاه قد أباد الملوك من مدن خراسان ، فلم تجد التتار أحداً في وجوههم ، فطووا في البلاد قتلاً وسبياً ، وساقوا إلىٰ أن وصلوا إلىٰ همذان وقزوين في هـٰذه السنة)[2] .

وقال ابن الأثير في « كامله » : (حادثة التتار من الحوادث العظمىٰ ، والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها ، عمَّت الخلائق وخصَّت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلقه الله تعالىٰ إلى الآن لم يبتلوا بمثلها . . لكان صادقاً ؛ فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .

ومن أعظم ما يذكرون : فعل بختنصر ببني إسرائيل بالبيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلىٰ ما خرَّب هـٰؤلاء الملاعين من مدن الإسلام ؟! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلىٰ ما قتلوا ؟!

فهـٰذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ؛ فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان ، مثل كاشغر وبلاد شاغرق ، ثم منها إلىٰ بخارىٰ وسمرقند ، فيملكونها

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٤/٢٢ـ٢٥) ، وفي النسخ : (همدان) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٤/٣٧ـ٣٨) .

ويبيدون أهلها ، ثم تعبر طائفة منهم إلىٰ خراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً وإبادة ، وإلى الري وهمذان إلىٰ حد العراق ، ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ، ويخربونها ويستبيحونها في أقل من سنة . . أمر لم يسمع بمثله !!

ثم ساروا من أذربيجان إلىٰ دَرَبَنْد شروان فملكوا مدنه ، وعبروا من عندها إلىٰ بلد اللاَّن واللَّكْز ، فقتلوا وأسروا ، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً ، فقتلوا من وقف ، وهرب الباقون ، واستولى التتار عليها .

ومضت طائفة أخرىٰ غير هـٰؤلاء إلىٰ غَزْنة وأعمالها ، وسِجِسْتان وكَرْمان ، ففعلوا مثل هـٰؤلاء ، بل أشد[1] .

هـٰذا ما لم يطرق الأسماع مثله ؛ فإن الإسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هـٰذه السرعة ، وإنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحداً ، إنما رضي بالطاعة ، وهـٰؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه وأعمره في نحو سنة ، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يترقب وصولهم إليه .

ثم إنهم لم يحتاجوا إلىٰ ميرة ومددهم يأتيهم ؛ فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير .

وأما خيلهم . . فإنها تحفر الأرض بحوافرها ، وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير .

وأما ديانتهم . . فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرِّمون شيئاً ، ويأكلون جميع الدواب وبني آدم ، ولا يعرفون نكاحاً ، بل المرأة يأتيها غير واحد)[2] .

[اجتياح التتار لبغداد]

ولما دخلت سنة ست وخمسين : وصل التتار إلىٰ بغداد وهم مئتا ألف ،

---

(١) في (ج) : (بل أشد من هـٰذا ما لم يطرق) .
(٢) الكامل (١٢/٣٥٨ـ ٣٦٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٤/٣٨ـ ٣٩) .

ومقدمهم هولاكو ، فخرج إليهم عسكر الخليفة فهزم العسكر .

ودخلوا بغداد يوم عاشوراء ، فأشار الوزير لعنه الله على المستعصم بمصانعتهم وقال : أخرجُ إليهم أنا في تقرير الصلح ، فخرج وتوثق بنفسه منهم ورد إلى الخليفة وقال : إن الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبي بكر ، ويبقيك في منصب الخلافة ؛ كما أبقىٰ صاحب الروم في سلطنته ، ولا يؤثر إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية ، وينصرف عنك بجيوشه ، فيجيب مولانا إلىٰ هـٰذا ؛ فإن فيه حقن دماء المسلمين ، ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد ، والرأي أن تخرج إليه ، فخرج إليه في جمع من الأعيان ، فأُنزل في خيمة .

ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد ، فخرجوا من بغداد ، فضربت أعناقهم ، وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ، حتىٰ قتل جميع من هناك من العلماء والأمراء والحجاب والكبار .

ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد ، واستمر القتل فيها نحو أربعين يوماً ، فبلغ القتلىٰ أكثر من ألف ألف نسمة ، ولم يَسْلم إلا من اختفىٰ في بئر أو قناة ، وقتل الخليفة رفساً[(١)] .

قال الذهبي : (وما أظنه دفن)[(٢)] .

وقتل معه جماعة من أولاده وأعمامه ، وأسر بعضهم ، وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها .

ولم يتم للوزير ما أراد ، وذاق من التتار الذل والهوان ، ولم تطل أيامه بعد ذلك .

[بعض المراثي في بغداد وأهلها]

وعملت الشعراء قصائد في مراثي بغداد وأهلها ، وتمثّل بقول سبط

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٣٥ـ٣٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٢٦١) .

التعاويذي : [من الكامل]

بـادَتْ وأَهلُـوهـا معـاً فبُيـوتُهـم ... ببقـاءِ مَـولانـا الـوزيـرِ خـرَابُ[1]

وقال بعضهم[2] : [من الكامل]

يا عَصبةَ الإسلامِ نُوحي وانْدُبي ... حُـزنـاً علـىٰ مـا تـمَّ للمستعصـمِ

دَسـتُ الـوزارةِ كـان قبـلَ زمـانِـه ... لابن الفراتِ فصارَ لابن العَلقَمِي

وكان آخر خطبة خطبت ببغداد قال الخطيب في أولها : (الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار ، وحكم بالفناء علىٰ أهل هـٰذه الدار ، هـٰذا والسيف قائم بها)[3] .

ولتقي الدين بن أبي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد وهي[4] : [من البسيط]

لسـائلِ الـدَّمـع عـن بغـدادَ أخبـارُ ... فما وُقوفُكَ والأحبابُ قد سَارُوا

يا زائرينَ إلى الزوراءِ لا تَفِدُوا ... فمـا بـذاكَ الحِمَـىٰ والـدارِ ديَّـارُ

تاجُ الخلافةِ والرَّبْع الذي شَرُفَت ... بـه المَعـالِـمُ قـد عفَّـاه إقفـارُ

أَضْحَىٰ لعصفِ البِلَىٰ في رَبعه أثرٌ ... ولِلـدُّمـوعِ علـى الآثـارِ آثـارُ

يا نارَ قَلبيَ مِن نارٍ لحربِ وَغَىٰ ... شَبَّت عليه ووافَى الرَّبعَ إعصارُ

علا الصَّليبُ علىٰ أَعلَىٰ منابِرِها ... وقـامَ بـالأمـرِ مـن يَحـويـه زُنَّـارُ

وكَم حريمٍ سَبَته التركُ غاصبةً ... وكـان مـن دونِ ذاكَ السَّترِ أستارُ

وكَم بدورٍ على البدريَّةِ انْخَسَفت ... ولـم يَعُـد لبُـدورٍ منـه إبْـدَارُ

وكم ذخائرَ أَضْحت وهي شائعةٌ ... مـن النِّهـاب وقـد حـازَتْـه كفَّـارُ

وكَم حدودٍ أُقيمت من سُيوفِهمُ ... علـى الـرِّقـابِ وحُطَّـت فيـه أوزارُ

نـادَيـتُ والسَّبـيُ مَهتُـوكٌ يجـرُّهـمُ ... إلـى السِّفـاحِ مـن الأعـداءِ ذُعَّـارُ

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٣٦ـ٣٧) ، والبيت في « ديوانه » (ص ٤٨) .

(٢) البيتان في « البداية والنهاية » (١٣/٢١٣) من غير نسبة ، ونُسبا في « خزانة الأدب وغاية الأرب » (٤/٦٧) لشمس الدين الكوفي الواعظ محمد بن أحمد بن عبيد الله .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٨/٣٧) .

(٤) القصيدة في « تاريخ الإسلام » (٤٨/٣٧ـ٤٨) .

ولما فرغ هولاكو من قتل الخليفة وأهل بغداد.. أقام على العراق نوابه، وكان ابن العلقمي حسَّن لهم أن يقيموا خليفة علوياً، فلم يوافقوه، واطرحوه، وصار معهم في صورة بعض الغلمان، ومات كمداً، لا رحمه الله ولا عفا عنه[1].

[كُتب هولاكو للسلطان الناصر صاحب دمشق]

ثم أرسل هولاكو إلى الناصر صاحب دمشق كتاباً صورته: (يعلم السلطان الملك ناصر طال بقاؤه: أنه لما توجهنا إلى العراق، وخرج إلينا جنودهم فقتلناهم بسيف الله، ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومقدموها، فكان قصارىٰ كلامهم سبباً لهلاك نفوس تستحق الإذلال، وأما ما كان من صاحب البلدة.. فإنه خرج إلىٰ خدمتنا، ودخل تحت عبوديتنا، فسألناه عن أشياء كذبنا فيها، فاستحق الإعدام، وكان كذبه ظاهراً، ووجدوا ما عملوا حاضراً، أجب ملك البسيطة، ولا تقولن: قلاعي المانعات ورجالي المقاتلات، ولقد بلغنا أن شذرة من العسكر التجأت إليك هاربة، وإلىٰ جنابك لائذة: [من الكامل]

أيــنَ المفــرُّ ولا مَفــرَّ لهــاربٍ ... ولنــا البَسيطــانِ الثَّــرَىٰ والمــاءُ

فساعة وقوفك علىٰ كتابنا.. تجعل قلاع الشام سماءها أرضاً، وطولها عرضاً، والسلام).

ثم أرسل له كتاباً ثانياً يقول فيه: (خدمة ملك ناصر طال عمره:

أما بعد: فإنا فتحنا بغداد، واستأصلنا مُلْكها ومَلِكها، وكان ظن وقد ضن بالأموال، ولم ينافس في الرجال: أن ملكه يبقىٰ علىٰ ذلك الحال، وقد علا ذكره ونما قدره، فخسف في الكمال بدره: [من المتقارب]

إذا تــمَّ أمــرٌ بَــدَا نقصُــه ... تَــوقَّــعْ زَوالاً إذا قيــلَ تــمْ

ونحن في طلب الازدياد علىٰ ممر الآباد، فلا تكن كالذين نسوا الله فأنساهم

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٤٠).

أنفسهم ، وأَبدِ ما في نفسك : إما إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، أجب دعوة ملك البسيطة . . تأمن شره وتنال بره ، واسْعَ إليه برجالك وأموالك ، ولا تعوق رسولنا ، والسلام)[1] .

ثم أرسل إليه كتاباً ثالثاً يقول فيه :

(أما بعد : فنحن جنود الله ، بنا ينتقم ممن عتا وتجبر ، وطغىٰ وتكبر ، وبأمر الله ما ائتمر ، إن عوتب . . تنمر ، وإن روجع . . استمر ، ونحن قد أهلكنا البلاد وأبدنا العباد ، وقتلنا النسوان والأولاد ، فيا أيها الباقون ؛ أنتم بمن مضىٰ لاحقون ، ويا أيها الغافلون ؛ أنتم إليهم تساقون ، ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المَلَكة ، مقصودنا الانتقام ، وملكنا لا يرام ، ونزيلنا لا يضام ، وعدلنا في ملكنا قد اشتهر ، ومن سيوفنا أين المفر ؟ [من الكامل]

أيــنَ المفــرُّ ولا مَفــرَّ لهــاربٍ ... ولنــا البَسيطــانِ الثَّــرَىٰ والمــاءُ
ذلَّــت لهيبَتِنَــا الأســودُ وأصبحَــتْ ... فــي قبضتِــي الأمــراءُ والخلفــاءُ

ونحن إليكم صائرون ، ولكم الهرب ، وعلينا الطلب : [من الطويل]

ستَعلَــمُ ليلَــىٰ أيَّ ديــنٍ تَــداينَــت ... وأيَّ غــريــمٍ بــالتَّقــاضِــي غــريمُهــا

دمرنا البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأهلكنا العباد ، وأذقناهم العذاب ، وجعلنا عظيمهم صغيراً ، وأميرهم أسيراً ، تحسبون أنكم منا ناجون أو متخلصون ، وعن قليل سوف تعلمون علىٰ ما تقدمون ، وقد أعذر من أنذر)[2] .

[كلمة سلطان العلماء العز بن عبد السلام]

ثم دخلت سنة سبع وخمسين والدنيا بلا خليفة .

وفيها : نزل التتار علىٰ آمِد ، وكان صاحب مصر المنصور علي بن المعز صبياً ، وأتابكه الأمير سيف الدين قُطُز المعزي مملوك أبيه ، وقدم الصاحب كمال

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٤١ـ٤٢) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٥٨) .

الدين ابن العَدِيم إليهم رسولاً يطلب النجدة على التتار .

فجمع قُطُز الأمراء والأعيان ، فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان المشار إليه في الكلام ، فقال الشيخ عز الدين : (إذا طرق العدو البلاد . . وجب على العالَم كلهم قتالهم ، وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به علىٰ جهازهم ، بشرط ألا يبقىٰ في بيت المال شيء ، وأن تبيعوا ما لكم من الحوائص والآلات ، ويقتصر كل منكم علىٰ فرسه وسلاحه ، ويتساووا في ذلك هم والعامة ، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة . . فلا) .

ثم بعد أيام يسيرة قبض قُطُز على ابن أستاذه المنصور ، وقال : (هـٰذا صبي ، والوقت صعب ، ولا بد من أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد) ، وتسلطن قطز ، ولقب : بالملك المظفر[1] .

[وقعة عين جالوت وهزيمة التتار]

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين والوقت أيضاً بلا خليفة .

وفيها : قطع التتار الفرات ، ووصلوا إلىٰ حلب ، وبذلوا السيف فيها ، ثم وصلوا إلىٰ دمشق ، وخرج المصريون في شعبان متوجهين إلى الشام لقتال التتار ، فأقبل المظفر بالجيوش ، وشاليشه ركن الدين بيبرس البُندقداري ، فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ، ووقع المصاف ، وذلك يوم الجمعة خامس عشري رمضان ، فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد .

وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم ، وجاء كتاب المظفر إلىٰ دمشق بالنصر ، فطار الناس فرحاً ، ثم دخل المظفر إلىٰ دمشق مؤيَّداً منصوراً ، وأحبه الخلق غاية المحبة ، وساق بيبرس وراء التتار إلىٰ بلاد حلب ، وطردهم عن البلاد ، ووعده السلطان بحلب ، ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس من ذلك ، وكان ذلك مبدأ الوحشة .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٤٤ـ٤٥) .

[قتل المظفر وتولي بيبرس مكانه]

وكان المظفر عزم على التوجه إلىٰ حلب ؛ لينظف آثار البلاد من التتار ، فبلغه أن بيبرس تنكر له وعمل عليه ، فصرف وجهه عن ذلك ، ورجع إلىٰ مصر ، وقد أضمر الشر لبيبرس ، وأسرَّ ذلك إلىٰ بعض خواصه ، فأطلع علىٰ ذلك بيبرس ، فساروا إلىٰ مصر ، وكل منهما محترس من صاحبه .

فاتفق بيبرس وجماعة من الأمراء علىٰ قتل المظفر ، فقتلوه في الطريق في سادس عشر ذي القعدة ، وتسلطن بيبرس ، ولقب : بالملك القاهر .

ودخل مصر وأزال عن أهلها ما كان المظفر قد أحدثه عليهم من المظالم ، وأشار عليه الوزير زين الدين ابن الزبير بأن يغير هٰذا اللقب ، وقال : ما لُقِّب به أحد فأفلح ؛ لقب به القاهر بن المعتضد فخلع بعد قليل وسمل ، ولقب به القاهر ابن صاحب الموصل فسم ، فأبطل السلطان هٰذا اللقب ، وتلقب : بالملك الظاهر[1] .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين : والوقت أيضاً بلا خليفة إلىٰ رجب ، فأقيمت بمصر الخلافة ، وبويع المستنصر كما سنذكره[2] ، فكان مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصف[3] .

[من مات في أيام المستعصم]

وممن مات في أيام المستعصم من الأعلام : الحافظ تقي الدين الصَّرِيفيني ، والحافظ أبو القاسم بن الطيلسان ، وشمس الأئمة الكَرْدَري من كبار الحنفية ، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، والعَلَم السخاوي ، والحافظ محب الدين بن النجار مؤرخ بغداد ، ومُنتجَب الدين شارح « المفصل » ، وابن يعيش النحوي ،

---

(١) انظر « ذيل مرآة الزمان » (١/ ٣٦٥ـ٣٧٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٦٠ـ٦٦) .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٧٢٣) .

(٣) ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٧٥) .

وأبو الحجاج الأقصري الزاهد ، وأبو علي الشَّلَوبين النحوي ، وابن البيطار صاحب « المفردات » ، والعلامة جمال الدين ابن الحاجب إمام المالكية ، وأبو الحسن بن الدبَّاج النحوي ، والقِفْطي صاحب « تاريخ النحاة » ، وأفضل الدين الخُونجي صاحب المنطق ، واللارَدِي ، والحافظ يوسف بن خليل ، والبهاء ابن بنت الجُمَّيزي ، والجمال ابن عمرون النحوي ، والرضي الصَّغَاني اللغوي صاحب « العباب » وغيرِه ، والكمال عبد الواحد الزملكاني صاحب « المعاني » و« البيان » و« إعجاز القرآن » ، والشمس الخُسْرَوشَاهِي ، والمجد ابن تيمية ، ويوسف سبط ابن الجوزي صاحب « مرآة الزمان » ، وابن باطيش من كبار الشافعية ، والنجم البادَرائي ، وابن أبي الفضل المرسي صاحب التفسير ، وخلائق آخرون .

فَصْلٌ
[في وفيات مدة انقطاع الخلافة]

ومات في مدة انقطاع الخلافة من الأعلام : الزكي عبد العظيم المنذري ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية ، وشعلة المقرىء ، والفاسي شارح « الشاطبية » ، وسعد الدين بن العربي الشاعر ، والصَّرْصري الشاعر ، وابن الأبَّار مؤرخ الأندلس ، وآخرون .

خلافة المستنصر بالله

[٦٥٩ـ ٦٦٠هـ][1]

أحمد أبو القاسم ابن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد .

قال الشيخ قطب الدين : (كان محبوساً ببغداد ، فلما أخذت التتار بغداد. . أطلق ، فهرب وصار إلىٰ عرب العراق ، فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس. . وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بني مهارش ، فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والدولة ، فشق القاهرة ، ثم أثبت نسبه علىٰ قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز .

ثم بويع له بالخلافة ؛ فأول من بايعه السلطان ، ثم قاضي القضاة تاج الدين ، ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم الكبار علىٰ مراتبهم ، وذلك في ثالث عشر رجب .

ونقش اسمه على السكة ، وخُطب له ، ولُقب بلقب أخيه ، وفرح الناس ، وركب يوم الجمعة وعليه السواد إلىٰ جامع القلعة ، فصعد المنبر ، وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ، ودعا فيها للسلطان وللمسلمين ، ثم صلىٰ بالناس ، ثم رسم بعمل خلعة خليفَتِيَّةٍ[2] للسلطان ، وبكتابة تقليد له .

ثم نصبت خيمة بظاهر القاهرة ، وركب المستنصر بالله والسلطان يوم الاثنين رابع شعبان إلى الخيمة ، وحضر القضاة والأمراء والوزير ، فألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه ، ونصب منبر ، فصعد عليه فخر الدين ابن لقمان ، فقرأ التقليد ، ثم ركب السلطان بالخلعة ودخل من باب النصر ، وزينت القاهرة ،

---

(١) انظر ترجمته في : « ذيل الروضتين » ، و« ذيل مرآة الزمان » (١/ ٤٤١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٤٠٦) ، و« الوافي بالوفيات » (٧/ ٣٨٤) .

(٢) نسبة إلى الخليفة ، والقياس : (خليفية) ، وهي كذلك في (ب) .

وحمل الصاحب التقليد علىٰ رأسه راكباً والأمراء مشاة .

ورتب السلطان للخليفة : أتابكاً ، واستاداراً ، وشرابياً ، وخازنداراً ، وحاجباً ، وكاتباً ، وعين له خزانة وجملة مماليك ، ومئة فرس ، وثلاثين بغلاً ، وعشرة قطارات جمال . . . إلىٰ أمثال ذلك)[١] .

قال الذهبي : (ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا هـٰذا والمقتفي)[٢] .

وأما صاحب حلب الأمير شمس الدين أقوش . . فإنه أقام بحلب خليفة ، ولقبه : الحاكم بأمر الله ، وخطب له ، ونقش اسمه على الدراهم[٣] .

[توجه المستنصر إلى العراق وانتهاء خلافته]

ثم إن المستنصر هـٰذا عزم على التوجه إلى العراق ، فخرج معه السلطان يشيعه إلىٰ أن دخلوا دمشق ، ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل ، وغرم عليه وعليهم من الذهب ألف ألف دينار وستين ألف درهم[٤] .

فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق صاحب الموصل ، وصاحب سنجار والجزيرة ، فاجتمع به الخليفة الحلبي الحاكم ، ودان له ودخل تحت طاعته .

ثم سار ففتح الحديثة ، ثم هِيت ، فجاءه عسكر من التتار فتصافوا ، فقتل من المسلمين جماعة ، وعدم الخليفة المستنصر ، فقيل : قتل وهو الظاهر ، وقيل : سَلِم وهرب فأضمرته البلاد[٥] ، وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين ، فكانت خلافته دون ستة أشهر ، وتولىٰ بعده بسنة الحاكم الذي كان بويع بحلب في حياته .

(١) ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٤١ـ ٤٥٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٤٠٧ـ ٤٠٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٤٠٧) .

(٣) ذيل الروضتين (ص٢١٥) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٧٥ـ ٧٦) .

(٤) قوله : (وستين ألف درهم) ليس في (هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٤٠٨) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ١٠٨) .

(٥) ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٦٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/ ٤٠٨ـ ٤٠٩) .

خلافة الحاكم بأمر الله

[٦٦١ـ ٧٠١هـ][1]

أبو العباس ، أحمد بن أبي علي الحسن القُبِّي ـ بضم القاف وتشديد الموحدة ـ ابن علي بن أبي بكر ابن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله .

كان اختفىٰ وقت أخذ بغداد ونجا ، ثم خرج منها وفي صحبته جماعة ، فقصد حسين ابن فلاح أمير بني خفاجة ، فأقام عنده مدة ، ثم توصل مع العرب إلىٰ دمشق ، وأقام عند الأمير عيسى بن مهنأ مدة ، فطالع به الناصر صاحب دمشق ، فأرسل يطلبه فبغته مجيء التتار .

فلما جاء الملك المظفَّر دمشق . . سيَّر في طلبه الأمير قَليج البغدادي ، فاجتمع به وبايعه بالخلافة ، وتوجه في خدمته جماعة من أمراء العرب ، فافتتح الحاكم عانة بهم والحديثة وهِيت والأنبار ، وصاف التتار وانتصر عليهم .

ثم كاتبه علاء الدين طَيْبرس نائب دمشق يومئذ ، للملك الظاهر يستدعيه ، فقدم دمشق في صفر ، فبعثه إلى السلطان ، وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة أيام إلى القاهرة ، فما رأىٰ أن يدخل إليها ؛ خوفاً من أن يمسك ، فرجع إلىٰ حلب ، فبايعه صاحبها ورؤساؤها ؛ منهم : عبد الحليم بن تيمية ، وجمع خلقاً كثيراً ، وقصد عانة ، فلما خرج المستنصر . . وافاه بعانة ، فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته .

فلما عُدِم المستنصر في الوقعة المذكورة في ترجمته . . قصد الحاكم الرحبة ، وجاء إلىٰ عيسى بن مهنأ ، فكاتب الملك الظاهر فيه ، فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعة ، فأكرمه الملك الظاهر ، وبايعوه بالخلافة ، وامتدت أيامه ،

---

(١) انظر ترجمته في : « ذيل مرآة الزمان » (٢/ ١٨٦) ، و« الوافي بالوفيات » (٦/ ٣١٧) ، و« البداية والنهاية » (١٤/ ١٩) ، و« النجوم الزاهرة » (٧/ ١١٨) .

وكانت خلافته نيفاً وأربعين سنة ، وأنزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة ، وخطب بجامع القلعة مرات[1] .

قال الشيخ قطب الدين : (في يوم الخميس ، ثامن المحرم ، سنة إحدىٰ وستين : جلس السلطان مجلساً عاماً ، وحضر الحاكم بأمر الله راكباً إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل ، وجلس مع السلطان وذلك بعد ثبوت نَسَبه ، فأقبل عليه السلطان ، وبايعه بإمرة المؤمنين ، ثم أقبل هو على السلطان وقلَّده الأمور ، ثم بايعه الناس علىٰ طبقاتهم .

فلما كان من الغد يوم الجمعة . . خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والإمامة ، وتعرض إلىٰ ما جرىٰ من هتك حرمة الخلافة ، ثم قال : وهـٰذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار ، وشرَّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، وأول الخطبة : الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركناً وظهيراً ، ثم كتب بدعوته إلى الآفاق)[2] .

وفي هـٰذه السنة وبعدها : تواتر مجيء جماعة من التتار مسلمين مستأمِنين ، فأُعطوا أخبازاً وأرزاقاً ، فكان ذلك مبدأ كفاية شرهم[3] .

وفي سنة اثنتين وستين : فرغت المدرسة الظاهرية بين القصرين ، وولي بها تدريس الشافعية التقي ابن رزين ، وتدريسَ الحديثِ الشرفُ الدمياطي[4]

وفيها : زُلزلت مصر زلزلة عظيمة[5] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/ ٨٠ ـ ٨١) .

(٢) ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٨٧ـ١٨٨) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ٥ـ٦) .

(٣) ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٩٥) ، وفي « تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٨٥) : من أحداث سنة (٦٦٠هـ) ..

(٤) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٢٩) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ١٠) .

(٥) ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٣١) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ١١) .

وفي سنة ثلاث وستين : انتصر سلطان المسلمين بالأندلس أبو عبد الله ابن الأحمر على الفرنج ، واسترجع من أيديهم اثنتين وثلاثين بلداً ، من جملتها : إشبيلية ومرسية[١] .

وفيها : كثر الحريق بالقاهرة في عدة مواضع ، ووجد لفائف فيها النار والكبريت على الأسطحة[٢] .

وفيها : حفر السلطان بحر أشمون ، وعمل فيه بنفسه والأمراء[٣] .

وفيها : مات طاغية التتار هلاكو ، وملك بعده ابنه أبغا[٤] .

وفيها : سلطن السلطان ولده الملك السعيد ، وعمره أربع سنين ، وركبه بأبهة الملك في قلعة الجبل ، وحمل الغاشية[٥] بنفسه بين يدي ولده ؛ من باب السر إلىٰ باب السلسلة ثم عاد ، وركب السعيد إلى القاهرة والأمراء مشاة بين يديه[٦] .

وفيها : جدد بالديار المصرية القضاة الأربعة ، من كل مذهب قاض ، وسبب ذلك : توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز عن تنفيذ كثير من الأحكام ، وتعطلت الأمور ، وأبقىٰ للشافعي النظر في أموال الأيتام وأمور بيت المال ، ثم فعل ذلك بدمشق[٧] .

وفي رمضان منها : حجب السلطانُ الخليفةَ ومنعه الناسَ ؛ لكون أصحابه كانوا يخرجون إلى البلد ويتكلمون في أمر الدولة[٨] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٩/ ١٥ـ١٦) .
(٢) تاريخ الإسلام (٤٩/ ١٧ـ١٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (٤٩/ ١٨ـ١٩) .
(٤) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٢٢) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ١٩ـ ٢٠) .
(٥) الغاشية : سرج من أديم ، مخروزة بالذهب ، يظنها الناظر كلها ذهباً ، ويلقيها علىٰ يديه يميناً وشمالاً .
(٦) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٢٢) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ٢٠) .
(٧) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٢٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ٢١) .
(٨) تاريخ الإسلام (٤٩/ ٢٢) .

وفي سنة خمس وستين وست مئة : أمر السلطان بعمل الجامع بالحسنية ، وتم ذلك في سنة سبع وستين ، وقرر له خطيب حنفي[1] .

[فتح النوبة]

وفي سنة أربع وسبعين : وجه السلطان جيشاً إلى النُّوبة ودُنْقُلة ، فانتصروا وأسر ملك النوبة ، وأرسل به إلى الملك الظاهر ، ووضعت الجزية علىٰ أهل دُنْقُلة ولله الحمد[2] .

قال الذهبي : وأول ما غزيت النوبة في سنة إحدىٰ وثلاثين من الهجرة ، غزاها عبد الله بن أبي سَرْح في خمسة آلاف فارس ، ولم يفتحها ، فهادنهم ورجع ، ثم غزيت في زمن هشام ولم تفتح ، ثم في زمن المنصور ، ثم غزاها تِكين التركي ، ثم كافور الإخشيدي ، ثم ناصر الدولة ابن حمدان ، ثم توران شاه أخو السلطان صلاح الدين في سنة ثمان وستين وخمس مئة ، ولم تفتح إلىٰ هـٰذا العام ، وقال في ذلك ابن عبد الظاهر : [من البسيط]

هـٰذا هو الفتحُ لا شيءٌ سمعتَ به   في شاهدِ العينِ لا ما في الأسانيدِ[3]

[موت الظاهر وتولية ابنه الملك السعيد]

وفي سنة ست وسبعين : مات الملك الظاهر بدمشق في المحرم ، واستقل ابنه الملك السعيد محمد بالسلطنة وله ثمان عشرة سنة[4] .

وفيها : جمع للتقي بن رَزِين بين قضاء مصر والقاهرة، وكان قضاء مصر قبل ذلك مفرداً عن قضاء القاهرة ، ثم لم يفرد بعد ذلك قضاء مصر عن قضاء القاهرة[5] .

---

(١) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٦١) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ٢٩) .
(٢) ذيل مرآة الزمان (٣/ ١١٧) ، وتاريخ الإسلام (٥٠/ ١٨) .
(٣) تاريخ الإسلام (٥٠/ ١٨ـ١٩) .
(٤) ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٣٣) ، وتاريخ الإسلام (٥٠/ ٢٩ـ ٣٠) .
(٥) تاريخ الإسلام (٥٠/ ٣٢) .

[خلع الملك السعيد وموته وتولية قلاوون]

وفي سنة ثمان وسبعين : خلع الملك السعيد من السلطنة وسير إلى الكَرْك سلطاناً بها ، فمات من عامه ، وولوا مكانه بمصر أخاه بدر الدين سلامش وله سبع سنين ، ولقبوه : بالملك العادل ، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون ، وضربت السكة باسمه علىٰ وجه ، وباسم أتابكه علىٰ وجه ، ودعي لهما معاً في الخطبة ، ثم في رجب نُزع سلامش من السلطنة بغير نزاع ، وتسلطن قلاوون ، ولقب : بالملك المنصور[١] .

وفي سنة تسع وسبعين : يوم عرفة وقع بديار مصر بَرَد كبار وصواعق[٢] .

وفي سنة ثمانين : وصل عسكر التتار إلى الشام ، وحصل الرجيف ، فخرج السلطان لقتالهم ووقع المصاف ، وحصل مقتلة عظيمة ، ثم حصل النصر للمسلمين ولله الحمد[٣] .

[فتح طرابلس واستردادها]

وفي سنة ثمان وثمانين : أخذ السلطان طرابلس بالسيف ، وكانت في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمس مئة إلى الآن ، وكان أول فتحها في زمن معاوية .

وأنشأ التاج ابن الأثير كتاباً بالبشارة بذلك إلىٰ صاحب اليمن يقول فيه : (وكانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم إلا من هو مشغول بنفسه ، مكبٌّ علىٰ مجلس أنسه ، يرى السلامة غنيمة ، وإذا عنَّ له وصف الحرب . . لم يسأل إلا عن طرق الهزيمة ، قد بلغ أمله من الرتبة ، وقنع بالسكة والخطبة ،

---

(١) ذيل مرآة الزمان (٤/ ٤) ، وتاريخ الإسلام (٥٠/ ٣٨ و٤٠) .

(٢) ذيل مرآة الزمان (٤/ ٥٣) ، وتاريخ الإسلام (٥٠/ ٥٢) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٥٧ـ٥٩) ، وهي وقعة حمص .

أموال تنهب ، وممالك تذهب ، لا يبالون بما سلبوا ، وهم كما قيل : [من البسيط]

إن قَاتلوا قُتِلوا أو طَارَدوا طُرِدوا ... أو حارَبُوا حُربوا أو غَالَبوا غُلِبوا

إلىٰ أن أوجد الله من نصر دينه ، وأذل الكفر وشياطينه)[1] .

وذكر بعضهم : (أن معنىٰ « طرابلس » باللسان الرومي : ثلاثة حصون مجتمعة)[2] .

[موت السلطان قلاوون وتولية ابنه الأشرف]

وفي سنة تسع وثمانين : مات السلطان قلاوون في ذي القعدة ، وتسلطن ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل ، فأظهر أمر الخليفة ، وكان خاملاً في أيام أبيه ، حتىٰ إن أباه لم يطلب منه تقليداً بالملك ، فخطب الخليفة بالناس يوم الجمعة ، وذكر في خطبته توليته للملك الأشرف أمر الإسلام .

ولما فرغ من الخطبة . . صلىٰ بالناس قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ثم خطب الخليفة مرة أخرىٰ خطبة جهادية ، وذكر بغداد وحرَّض علىٰ أخذها[3] .

وفي سنة إحدىٰ وتسعين : سافر السلطان فحاصر قلعة الروم[4] .

وفي سنة ثلاث وتسعين وست مئة : قتل السلطان بترُوجة في المحرم ، وسلطنوا أخاه محمد بن المنصور ، ولقب : الملك الناصر ، وله يومئذ تسع سنين ، ثم خُلع في المحرم سنة أربع وتسعين وتسلطن كتبغا المنصوري ، وتسمىٰ : بالملك العادل[5] .

---

(١) النجوم الزاهرة (٧/ ٣٢٣) .

(٢) النجوم الزاهرة (٧/ ٣٢٢) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٤١ـ ٤٢) ، و(٥١/ ٥٧) ، و« النجوم الزاهرة » (٧/ ٣٢٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٥٢/ ١٢) .

(٥) تاريخ الإسلام (٥٢/ ٢٧ ، ٣٤) ، والنجوم الزاهرة (٨/ ٤١) .

وفي هـٰذه السنة[1] : دخل في الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاكو ملك التتار ، وفرح الناس بذلك ، وفشا الإسلام في جيشه[2] .

وفي سنة ست وتسعين وست مئة : كان السلطان بدمشق ، فوثب لاجين على السلطنة ، وحلف له الأمراء ، ولم يختلف عليه اثنان ، ولقب : الملك المنصور ، وذلك في صفر ، وخَلَع عليه الخليفة الخلعة السوداء ، وكتب له تقليداً ، وسير العادل إلىٰ صَرْخَد نائباً بها ، ثم قُتل لاجين ، في جمادى الآخرة ، سنة ثمان وتسعين ، وأُعيد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، وكان منفياً بالكَرْك ، فقلَّده الخليفة ، فسير العادلَ إلىٰ حماة نائباً بها ، فاستمر إلىٰ أن مات سنة اثنتين وسبع مئة[3] .

[وفاة الخليفة الحاكم]

وفي سنة إحدىٰ وسبع مئة : توفي الخليفة الحاكم ليلة الجمعة ، ثامن عشر جمادى الأولىٰ ، وصلي عليه العصر بسوق الخيل تحت القلعة ، وحضر جنازته الدولة والأعيان كلهم مشاة ، ودفن بقرب السيدة نفيسة ، وهو أول من دفن منهم هناك ، واستمر مدفنهم إلى الآن ، وكان عهد بالخلافة لولده أبي الربيع سليمان[4] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام الحاكم من الأعلام : الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والعلم اللَّوْرَقي ، وأبو القاسم القَبَّاري الزاهد ، والزين خالد النابلسي ، والحافظ

---

(١) أي : في سنة أربع وتسعين .

(٢) تاريخ الإسلام (٥٢/ ٣٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥٢/ ٤٩ـ ٥٢) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٣) ، والمنهل الصافي (٢/ ٨٠) .

أبو بكر ابن مسدي ، والإمام أبو شامة ، والتاج ابن بنت الأعز ، وأبو الحسن ابن عدلان ، ومجد الدين بن دقيق العيد ، وأبو الحسن بن عصفور النحوي ، والكمال سَلاَّر الإرْبِلي ، وعبد الرحيم بن يونس مصنف « التعجيز » ، والقرطبي صاحب « التفسير » و« التذكرة » ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، وولده بدر الدين ، والنصير الطوسي رأس الفلسفة وخاصة التتار ، والتاج ابن الساعي خازن المستنصرية ، والبرهان ابن جماعة ، والنجم الكاتبي المنطقي ، والشيخ محيي الدين النووي ، والصدر سليمان إمام الحنفية ، والتاج ابن ميسر المؤرخ ، والكَوَاشي المفسر ، والتقي بن رَزِين ، وابن خَلِّكان صاحب « وفيات الأعيان » ، وابن إياز النحوي ، وعبد الحليم ابن تيمية ، وابن جَعوان ، وناصر الدين بن المنير ، والنجم ابن البارزي ، والبرهان النسفي صاحب التصانيف في الخلاف والكلام ، والرضي الشاطبي اللغوي ، والجمال الشريشي ، وابن النفيس شيخ الأطباء ، وأبو الحسين ابن أبي الربيع النحوي ، والأصبهاني شارح « المحصول » ، والعفيف التلمساني الشاعر المنسوب إلى الاتحاد ، والتاج ابن الفِرْكاح ، والزين ابن المُرحِّل ، والشمس الخُوَيِّي ، والعز الفاروثي ، والمحب الطبري ، والتقي ابن بنت الأعز ، والرضي القسطنطيني ، والبهاء ابن النحاس النحوي ، وياقوت المستعصمي صاحب الخط المنسوب ، وخلائق آخرون .

خلافة المستكفي بالله

[٧٠١-٧٤٠هـ][1]

أبو الربيع ، سليمان بن الحاكم بأمر الله ، ولد في نصف المحرم ، سنة أربع وثمانين وست مئة ، واشتغل قليلاً ، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولىٰ ، سنة إحدىٰ وسبع مئة .

وخطب له على المنابر في البلاد المصرية والشامية ، وسارت البشارة بذلك إلىٰ جميع الأقطار والممالك الإسلامية ، وكانوا يسكنون بالكبش ، فنقلهم السلطان إلى القلعة ، وأفرد لهم داراً[2] .

ثم في سنة اثنتين : هجم التتار الشام ، فخرج السلطان ومعه الخليفة لقتالهم ، فكان النصر ، وقُتل من التتار مقتلة عظيمة ، وهرب الباقون[3] .

وفيها : زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة هلك منها خلق تحت الهدم[4] .

وفي سنة أربع : أنشأ الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوريُّ الوظائفَ والدروسَ بجامع الحاكم ، وجدده بعد خرابه من الزلزلة ، وجعل القضاة الأربعة مدرسي الفقه ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أبا حيان[5] .

---

(١) انظر ترجمته في : « الوافي بالوفيات » (١٥/ ٣٤٩) ، و« البداية والنهاية » (١٤/ ١٨٧) ، و« النجوم الزاهرة » (٩/ ٣٢٢) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ١٨٧) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٢٧) .

(٥) البداية والنهاية (١٤/ ٣٣) .

[السلطان ابن قلاوون يعزل نفسه ثم يعود وما جرىٰ من ذلك]

وفي سنة ثمان : خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قاصداً للحج ، فخرج من مصر في رمضان ، وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فردهم ، فلما اجتاز بالكَرْك . . عدل إليها ، فنُصب له الجسر ، فلما توسطه . . انكسر به ، فسلم مَنْ قدامه ، وقفز به الفرس فسلم ، وسقط من وراءه فكانوا خمسين ، فمات أربعةٌ وتهشم أكثرهم في الوادي الذي تحته ، وأقام السلطان بالكَرْك .

ثم كتب كتاباً إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفذ علىٰ قضاة الشام .

وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة في الثالث والعشرين من شوال ، ولقب : الملك المظفر ، وقلَّده الخليفة ، وألبسه الخِلْعَة السوداء والعمامة المدورة ، ونفذ التقليد إلى الشام في كيس أطلسَ أسودَ ، فقرىء هناك ؛ وأوله : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمـٰن الرحيم) .

ثم عاد الملك الناصر في رجب سنة تسع يطلب عوده إلى الملك ، ومالأَهُ علىٰ ذلك جماعةٌ من الأمراء ، فدخل دمشق في شعبان ، ثم دخل مصر يوم عيد الفطر وصعد القلعة ، وكان المظفر بيبرس فَرَّ في جماعة من أصحابه قبل قدومه بأيام ، ثم أُمسك وقُتل من عامه ، وقال العلاء الوداعي في عود الناصر إلى الملك : [من السريع]

المَلِكُ النَّاصِرُ قد أَقبَلَت ... دولتُه مشرقةَ الشَّمسِ
عادَ إلىٰ كُرسيِّه مثلَ ما ... عادَ سُليمَانُ إلى الكُرسي[1]

وفي هـٰذه السنة[2] : تكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلىٰ لبس العمائم البيض ، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مئة ألف كل سنة زيادة على الجالية ، فقام

(١) النجوم الزاهرة (٨/ ١١٦) ، وانظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٤٧) .
(٢) أي : سنة (٧٠٩هـ) .

الشيخ تقي الدين ابن تيمية في إبطال ذلك قياماً عظيماً ، وبطل ولله الحمد[1] .

[موت خير ملوك التتار ووالده من قبله]

وفيها : أظهر ملك التتار خُدابَنْدَهْ[2] الرفض في بلاده ، وأمر الخطباء ألا يذكروا في الخطبة إلا علي بن أبي طالب وولديه وأهل البيت ، واستمر ذلك إلىٰ أن مات سنة ست عشرة وولي ابنه أبو سعيد ، فأَمَر بالعدل ، وأقام السُّنة والترضي عن الشيخين ثم عثمان ثم علي في الخطبة ، وسَكَن كثيرٌ من الفتن ولله الحمد ، وكان هـٰذا من خير ملوك التتار وأحسنهم طريقة ، واستمر إلىٰ أن مات سنة ست وثلاثين ، ولم يقم لهم من بعده قائمة ، بل تفرقوا شَذَرَ مَذَرَ[3] .

وفي سنة سبع عشرة : زاد النيل زيادة كثيرة لم يسمع بمثلها ، وغرق منها بلاد كثيرة وناس كثيرون[4] .

وفي سنة أربع وعشرين : زاد النيل أيضاً كذلك ، ومكث على الأرض ثلاثة أشهر ونصفاً ، وكان ضرره أكثر من نفعه[5] .

وفي سنة ثمان وعشرين : عمرت سقوف المسجد الحرام بمكة ، والأبواب ، وظاهره مما يلي باب بني شيبة[6] .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤) .
(٢) خُدابَنْدَهْ : اسم فارسي ؛ معناه : عبد الله ، وهو لقب السلطان المغولي الإيلخاني أولجايتوات (ت ٧١٦هـ) . ويقال له : (خَرْبَنْدَا) . انظر « النجوم الزاهرة » (٩/ ٢٣٨) ، و« الدرر الكامنة » (٣/ ٣٧٨) ، و« المعجم الفارسي الكبير » (١/ ١٠١٨ و١٠٢٥) .
(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٥٦ ، ٧٧) ، و« النجوم الزاهرة » (٨/ ٢٧٨) .
(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٨٢) .
(٥) البداية والنهاية (١٤/ ١١٢) .
(٦) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٣) .

وفي سنة ثلاثين : أقيمت الجمعة بإيوان الشافعية من المدرسة الصالحية بين القصرين ، وذلك أول ما أقيمت بها[1] .

وفيها : فرغ من الجامع الذي أنشأه قوصون خارج باب زَوِيلة ، وخطب به وحضره السلطان والأعيان ، وباشر الخطابة يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، ثم استقر في خطابته فخر الدين بن شكر[2] .

وفي سنة ثلاث وثلاثين : أمر السلطان بالمنع من رمي البندق ، وألا تباع قسيه ، ومنع المنجمين[3] .

وفيها : عمل السلطان للكعبة باباً من الآبِنُوس عليه صفائح فضة ، زنتها : خمسة وثلاثون ألفاً وثلاث مئة وكَسْر ، وقلع الباب العتيق ، فأخذه بنو شيبة بصفائحه ، وكان عليه اسم صاحب اليمن[4] .

[اعتقال الخليفة ونفيه حتىٰ مات]

وفي سنة ست وثلاثين : وقع بين الخليفة والسلطان ، فقبض على الخليفة ، واعتقله بالبرج ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ثم نفاه في ذي الحجة سنة سبع إلىٰ قوص هو وأولاده وأهله ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وهم قريب من مئة نفس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، واستمر المستكفي بقوص إلىٰ أن مات بها ، في شعبان ، سنة أربعين وسبع مئة ، ودفن بها وله بضع وخمسون سنة[5] .

قال ابن حجر في « الدرر » : (كان فاضلاً جواداً ، حسن الخط جداً ، شجاعاً يعرف لعب الكرة ورمي البندق ، وكان يجالس العلماء والأدباء ، وله عليهم

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٤٨) .
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٤٩) .
(٣) البداية والنهاية (١٤/ ١٦١) .
(٤) البداية والنهاية (١٤/ ١٦٢) .
(٥) البداية والنهاية (١٤/ ١٧٤ ، ١٨٧) .

إفضال ، ومعهم مشاركة ، وكان بطول مدته يخطب له على المنابر ، حتىٰ في زمن حبسه ومدة إقامته بقوص ، وكان بينه وبين السلطان أولاً محبة زائدة ، فكان يخرج معه إلى السرحات ، ويلعب معه الكرة ، وكانا كالأخوين .

والسبب في الوقيعة بينهما : أنه رفع إليه قصة عليها خط الخليفة بأن يحضر السلطان بمجلس الشرع الشريف ، فغضب من ذلك ، وآل الأمر إلىٰ أن نفاه إلىٰ قوص ، ورتب له علىٰ واصل الكارم[1] أكثر مما كان له بمصر)[2] .

قال ابن فضل الله في ترجمته في « المسالك » : (كان حسن الجملة ، لين الحملة)[3] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المستكفي من الأعلام : قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ الشافعية ، وشيخ دار الحديث ؛ وَلِيهَا من بعد وفاة النووي إلى الآن[4] ، ووليها بعده : صدر الدين بن الوكيل .

والشرف الفزاري ، والصدر بن الزريزير الحاسب ، والحافظ شرف الدين الدمياطي ، والضياء الطوسي شارح « الحاوي » ، والشمس السروجي شارح « الهداية » من الحنفية ، والإمام نجم الدين ابن الرفعة إمام الشافعية في زمانه ، والحافظ سعد الدين الحارثي ، والفخر التُّوزي محدث مكة ، والرشيد بن المعلم من كبار الحنفية ، والأُرْمَوي ، والصدر بن الوكيل شيخ الشافعية ، والكمال ابن الشريشي ، والتاج التِّبريزي ، والفخر ابن بنت أبي سعد ، والشمس بن أبي العز شيخ الحنفية ، والرضي الطبري إمام مكة ، والصفي أبو الثناء محمود الأُرْموي ، والشيخ نور الدين البكري ، والعلاء ابن العطار تلميذ النووي ، والشمس الأصبهاني صاحب التفسير وشرح « مختصر ابن الحاجب » وشرح « التجريد »

---

(١) نوع من المكوس المفروضة علىٰ تجار الحجاز واليمن وما والاهما . « صبح الأعشىٰ » (٣/ ٤٦٤) .
(٢) الدرر الكامنة (٢/ ١٤١ـ ١٤٤) .
(٣) المسالك (٢٤/ ٣١٥) .
(٤) أي : إلىٰ زمن المستكفي .

وغير ذلك ، والتقي الصائغ المقرىء خاتمة مشايخ القراء ، والشهاب محمود شيخ صناعة الإنشاء ، والجمال بن مطهر شيخ الشيعة ، والكمال بن قاضي شهبة ، والنجم القَمُولي صاحب « الجواهر » و« البحر » ، والكمال بن الزَّملكاني ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وابن جُبارة شارح « الشاطبية » ، والنجم البالسي شارح « التنبيه » ، والبرهان الفَزَاري شيخ الشافعية ، والعلاء القُونَوِي شارح « الحاوي » ، والفخر التركماني من الحنفية شارح « الجامع الكبير » ، والملك المؤيد صاحب حماة الذي له تصانيف كثيرة منها « نظم الحاوي » ، والشيخ ياقوت العرشي تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي ، والبرهان الجعبري ، والبدر ابن جماعة ، والتاج ابن الفاكهاني ، والفتح ابن سيد الناس ، والقطب الحلبي ، والزين الكَتْناني ، والقاضي محيي الدين بن فضل الله ، والركن بن القَوْبَع ، والزين بن المُرحِّل ، والشرف ابن البَارِزي ، والجلال القزويني وآخرون .

خلافة الواثق بالله إبراهيم

[٧٤٠ـ٧٤١هـ][1]

ابن ولي العهد المستمسك بالله أبي عبد الله محمد ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .

كان جده الحاكم عهد إلى ابنه محمد ، ولقبه : المستمسك ، فمات في حياته ، فعهد إلى ابنه إبراهيم هـٰذا ظناً أنه يصلُح للخلافة ، فرآه غير صالح لها ؛ لما هو فيه من الانهماك في اللعب ومعاشرة الأراذل ، فعدل عنه وعهد إلى المستكفي ابنه ـ أعني ابن الحاكم ـ وهو عم إبراهيم ، فكان إبراهيم هو السبب في الوقيعة بين الخليفة المستكفي والسلطان بعد أن كانا كالأخوين ؛ لما كان يحمله إليه من النميمة به حتىٰ جرىٰ ما جرىٰ .

فلما مات المستكفي بقوص . . عهد إلى ابنه أحمد ، فلم يلتفت السلطان إلىٰ ذلك ، وبايع إبراهيم هـٰذا ، ولقب : بالواثق ، إلىٰ أن حضرت السلطانَ الوفاةُ ، فندم علىٰ ما صدر منه ، وعزل إبراهيم هـٰذا ، وبايع ولي العهد أحمد ، ولقب : الحاكم ، وذلك في أول المحرم ، سنة اثنتين وأربعين[2] .

قال ابن حجر : (راجع الناس السلطان في أمر إبراهيم هـٰذا ، ووسموه بسوء السيرة ، فلم يلتفت إلىٰ ذلك ، ولم يزل بالناس حتىٰ بايعوه ، وكان العامة يلقبونه : المستعطي بالله)[3] .

وقال ابن فضل الله في « المسالك » في ترجمة الواثق : (عهد إليه جده ظناً أن يكون صالحاً ، أو يجيب لداعي الخلافة صائحاً ، فما نشأ إلا في تهتك ، ولا دان إلا بعدم تنسك ، أُغوي بالقاذورات ، وفعل ما لم تدع إليه الضرورات ، وعاشر

---

(١) انظر ترجمته في : « الدرر الكامنة » (١/ ٥٦) ، و« النجوم الزاهرة » (٩/ ١٥١) .

(٢) انظر « النجوم الزاهرة » (٩/ ١٥١) .

(٣) الدرر الكامنة (١/ ٥٦) .

السفلة والأراذل ، وهان عليه من عرضه ما هو باذل ، وزُين له سوء عمله فرآه حسناً ، وعمي عليه فلم ير مسيئاً إلا محسناً ، وغوي اللعب بالحمام ، ومشترى الكباش للنطاح ، والديوك للنقار ، والمنافسة في المعز الزرائبية الطوال الآذان ، وأشياء من هـٰذا ، ومثله ما يسقط المروءة ، ويثلم الوقار ، هـٰذا إلىٰ سوء معاملة ، ومشترىٰ سِلَع لا يوفي أثمانها ، واستئجار آدر[1] لا يقوم بأجرها ، وتحيل علىٰ درهم يملأ به كفه ، وسحْت يجمع به فمه ، وحرام يطعم منه ويطعم حرمه ، حتىٰ كان عرضه عرضة للهوان ، وأكلة لأهل الأوان .

فلما توفي المستكفي والسلطان عليه في حدة غضبه ، وتياره المتحامل عليه في شدة غلبه . . طلب هـٰذا الواثق المغتر والمائق إلا أنه غير المضطر ، وكان ممن يمشي إلى السلطان في عمه بالنميمة ، ويعقد مكايده علىٰ رأسه عقد التميمة ، فحضر إليه وأحضر معه عهد جده ، فتمسك السلطان في مبايعته بشبهته ، وصرف وجه الخلافة إلىٰ جهته ، وكان قد تقدم نقض ذلك العهد ، ونسخ ذلك العقد ، وقام قاضي القضاة أبو عمر بن جماعة في صرف رأي السلطان عن إقامة الخطبة باسم الواثق ، فلم يفعل ، فاتفق الرأيان علىٰ ترك الخطبة للاثنين ، واكتفي فيها بمجرد اسم السلطان ، فترجل بموت المستكفي اسم الخلافة عن المنابر ؛ كأنه ما علا ذروتها ، وخَلاَ الدعاء للخلفاء من المحاريب ؛ كأنه ما قرع بابها ومروتها ، فكأنما كان آخر خلفاء بني العباس ، وشعارها عليه لباس الحداد ، وغمروا تلك السيوف الحداد .

ثم لم يزل الأمر علىٰ هـٰذا حتىٰ حضرت السلطان الوفاة ، وقرع الموت صفاه ، فكان مما أوصىٰ به : رد الأمر إلىٰ أهله ، وأمضىٰ عهد المستكفي لابنه ، وقال : الآن حصحص الحق ، وحنا علىٰ مخالفيه ورَقَّ ، وعزل إبراهيم وهزل ، وكان قد رعىٰ رعي الهمم[2] ، وستر اللؤم بثياب أهل الكرم ، وتسمن وشحمه ورم ، وتسمىٰ بالواثق ، وأين هو من صاحب هـٰذا الاسم الذي طالما سرىٰ رعبه

---

(١) آدُر : جمع دار .
(٢) في (ب) : (البهم) .

في القلوب ، وأمنت هيبته العيوب ؟! وهيهات لا تعد من النسر التماثيل ، ولا الناموسة وإن طال خرطومها كالفيل !! وإنما سوء الزمان قد ينفق ما كسد ، والهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد ، وقد عاد الآن يعض يديه ، ومن يهن . . يسهل الهوان عليه) هـٰذا آخر كلام ابن فضل الله[1] .

---

(١) المسالك (٢٤/٣١٨ـ٣١٩) .

خلافة الحاكم بأمر الله

[٧٤١ ـ ٧٥٣ هـ][1]

أبو العباس أحمد بن المستكفي ، كان أبوه ـ لما مات بقوص ـ عهد إليه بالخلافة ، فقدَّم الملكُ الناصرُ عليه إبراهيمَ ابن عمه لِمَا كان في نفسه من المستكفي ، وكانت سيرة إبراهيم قبيحة ، وكان القاضي عز الدين بن جماعة قد جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فلم يفعل .

فلما حضرته الوفاة . . أوصى الأمراء برد الأمر إلىٰ ولي عهد المستكفي ولده أحمد .

فلما تسلطن المنصور أبو بكر بن الناصر . . عقد مجلساً يوم الخميس ، حادي عشر ذي الحجة ، سنة إحدىٰ وأربعين ، وطلب الخليفةَ إبراهيم ووليَّ العهد أحمد والقضاةَ ، وقال : (من يستحق الخلافة شرعاً ؟) .

فقال ابن جماعة : (إن الخليفة المستكفي المتوفىٰ بمدينة قوص أوصىٰ بالخلافة من بعده لولده أحمد ، وأشهد عليه أربعين عدلاً بمدينة قوص ، وثبت ذلك عندي بعد ثبوته علىٰ نائبي بمدينة قوص) .

فخلع السلطان حينئذٍ إبراهيم وبايع أحمد ، وبايعه القضاة ، ولقب : الحاكم بأمر الله لقب جده .

وقال ابن فضل الله في « المسالك » في ترجمته : (هو إمام عصرنا ، وغمام مصرنا ، قام علىٰ غيظ العدىٰ ، وعرف بفيض الندىٰ ، صارت له الأمور إلىٰ مصائرها ، وسيقت إلىٰ مصائرها ، فأحيا رسوم الخلافة ، ورُسم بما لم يستطع أحد خلافه ، وسلك مناهج آبائه وقد طُمست ، وأحياها بمباهج أبنائه وقد دَرَست ، وجمع شمل بني أبيه وقد طال بهم الشَّتات ، وأطال غُررهم وقد اختلفت

---

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١٠/ ٢٩٠) ، و« الدرر الكامنة » (١/ ١٣٧) ، و« شذرات الذهب » (٨/ ٢٩٦) .

الشيات[1] ، ورُفع اسمه علىٰ ذرى المنابر ، وقد غَبَر مدة لا يطلع إلا في آفاقه تلك النجوم ، ولا يسحُّ من سُحبه تلك الغيوم والسجوم ، طُلب بعد موت السلطان ، وأنفذ حكم وصيته في تمام مبايعته ، والتزام متابعته ، وكان أبوه قد أحكم له بالعقد المتقدم عقدَها ، وحفظ له عند ذوي الأمانة عهدَها ، ثم سلطن الملك المنصور أبا بكر بن السلطان ، وعمر له من تحت الملك الأوطان) .

[صورة المبايعة]

قال ابن فضل الله : (وقد كتبتُ له صورة المبايعة وهي :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ عَظِيمًا ﴾

هـٰذه بيعة رضوان وبيعة إحسان ، وجمعة رِضاً يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمـٰن ، بيعة يلزم طائرها العنق ، وتحوم بشائرها وتحمل أنباءَها البراري والبحار مشحونة الطرق .

بيعة يُصلح الله بها الأمة ، ويمنح بسببها النِّعمة ، ويتجارى الرفاق ، ويسري الهناء في الآفاق ، وتتزاحم زهر[2] الكواكب علىٰ حوض المجرَّة الدقاق .

بيعة سعيدة ميمونة ، شريفة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة ، بيعة صحيحة شرعية ، بيعة ملحوظة مرعية .

بيعة تسابق إليها كل نية ، وتطاوع كل طويَّة ، ويجمع عليها شتات البرية ، بيعة يستهل بها الغَمام ، ويتهلَّل البدر التَّمام .

بيعة متَّفق على الإجماع عليها ، والاجتماع لبسط الأيدي إليها ، انعقد عليها الإجماع ، فاعتقد صحتها مَن سمع الله وأطاع ، وبذل في تمامها كل امرىء ما استطاع ، حَصَل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلىٰ مستحقه وأقر الخصم وانقطع النزاع .

---

(١) الشيات : جمع شية ؛ والشية : اللون .

(٢) في مطبوع « المسالك » : (زمر) .

تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون ، وتلقَّاه الأئمة الأقربون : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، وإلينا ولله الحمد وإلىٰ بني العباس .

أجمع علىٰ هٰذه البيعة : أرباب العقد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قل وجَلَّ ، وولاة الأمور والحُكَّام ، وأرباب المناصب والأحكَام ، وحملة العلم والأعلام ، وحماة السيوف والأقلام ، وأكابر بني عبد مناف ، ومَن انخفض قدره وأَناف ، وسروات قريش ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس ، وخاصة الأئمة وعامة الناس .

بيعة ترىٰ بالحرمين خيامها ، وتخفق بالمأزِمين أعلامها[١] ، وتتعرف عرفات بركاتها ، وتعرف بمنىٰ ، ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر ، ويؤم ما بين الركن والمقام والحجر[٢] ، ولا يبتغىٰ بها إلا وجه الله الكريم .

بيعة لا يُحل عقدها ، ولا يُنبذ عهدها ، لازمة جازمة ، دائبة دائمة ، تامة عامة ، شاملة كاملة ، صحيحة صريحة ، متعبة مريحة ، ولا من يوصف بعلم ولا قضاء ، ولا من يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء ، ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو الفتوىٰ يسأل فيجيب ، ولا من حشي المساجد[٣] ولا من تضمهم أجنحة المحاريب ، ولا من يجتهد في رأي فيخطىء أو يصيب .

ولا محدِّث بحديث ، ولا متكلم في قديم وحديث ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكِفَاح ، ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح ، ولا ضارب بصفاح ، ولا ساع بقدم ولا طائر بجناح ، ولا مخالط للناس ولا قاعد في عزلة ، ولا جمع كثرة ولا قلة ، ولا من يستقل بالجوزاء لواؤه ، ولا من يقل فوق الفرقد ثَواؤه .

ولا باد ولا حاضر ، ولا مقيم ولا سائر ، ولا أول ولا آخر ، ولا مسر في

---

(١) المأزم : المضيق بين الجبلين ؛ والمراد : الجبلان اللذان بين عرفة والمزدلفة .
(٢) في (ب ، د ، هـ) : (القر) ، وفي مطبوع « المسالك » : (القبر) .
(٣) في مطبوع « المسالك » : (جنبي) .

باطن ولا معلن في ظاهر ، ولا عرب ولا عجم ، ولا راعي إبل ولا غنم ، ولا صاحب أناة ولا بِدَار[1] ، ولا ساكن في حضر وبادية بدار ، ولا صاحب عُمُد ولا جدار ، ولا ملجج في البحار الزاخرة والبراري والقفار .

ولا من يتوقل[2] صهوات الخيل ، ولا من يسبل على العجاجة الذيل[3] ، ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل .

ولا من تظله السماء وتقله الأرض ، ولا من تدل عليه الأسماء على اختلافها وترفع درجات بعضهم علىٰ بعض ؛ حتىٰ آمن بهٰذه البيعة وأمن عليها وأمن بها ، ومَنَّ الله عليه وهداه إليها ، وأقر بها وصدق ، وغضَّ لها بصره خاشعاً وأطْرَق ، ومدَّ إليها يده بالمبايعة ، ومعتقَدَه بالمتابعة ، ورضي بها وارتضاها ، وأجاز حكمها علىٰ نفسه وأمضاها ، ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ .

وإنه لما استأثر الله بعبده سليمان أبي الربيع الإمام المستكفي بالله أمير المؤمنين كرم الله مثواه ، وعوضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله مزكي يديه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام ، حيث آثره بقربه ومهد لجنبه ، وأقْدَمه علىٰ ما قدَّمه من مرجو عمله وكسبه ، وخار له في جواره فريقاً ، وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولـٰئك رفيقاً .

الله أكبر ليومه ، لولا مخلفه . . كانت تضيق الأرض بما رحبت ، وتجزىٰ كل نفس بما كسبت ، وتُنبَّأ كل سريرة ما ادَّخرت وما خبأت[4] ، لقد اضطرم سعير إلا أنه في الجوانح .

لقد اضطرب[5] منبر وسرير لولا خلفه الصالح ، لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح .

---

(١) الأناة : الحلم .

(٢) في النسخ تحرفت التاء إلىٰ عين ، والمثبت من « المسالك » ، والتوقل : الصعود .

(٣) العجاجة : الإبل .

(٤) في غير (ج) : (خبت) ، وفي (د ، ط) ومطبوع « المسالك » : (جنت) .

(٥) في (أ ، د ، هـ ، ط) : (اضطر) .

ولم يكن في النسب العباسي ، ولا في البيت المسترشدي ، ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجدود ، ولا من تلده أخرى الليالي وهي عاقر غير ولود ، مَن تسلِّم إليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم عقد نياتها ، وسر طوياتها ؛ إلا واحد .

وأين ذاك الواحد ؟ هو ـ والله ـ من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأطهار ، وتراث أجداده ولا شيء هو إلا ما اشتملت عليه رداء الليل والنهار .

وهو ولد المنتقل إلىٰ ربه ، وولد الإمام الذاهب لصلبه ، المجمع علىٰ أنه في الأيام فرد هٰذا الأنام[1] ، وواحد ، وهٰكذا في الوجود الإمام ، وأنه الحائز لما زُرِّرت عليه جيوب المشارق والمغارب، والفائز بملك ما بين المشارق والمغارب .

الراقي في صفح السماء هٰذه الذروة المنيفة ، الباقي بعد الأئمة الماضين ونعم الخليفة ، المجتمع فيه شروط الإمامة ، المتضع لله ، وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم إلىٰ يوم القيامة .

الذي يفضح السحاب نائله ، والذي لا يغره عاذره ، ولا يغيره[2] عاذله ، والذي ما ارتقىٰ صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال ناصره[3] : وقام قائمه ، ولا قعد علىٰ سرير الخلافة إلا وعرف أنه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه .

نائب الله في أرضه ، والقائم مقام رسوله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه ، وتابع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه : أبو العباس الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين .

أيد الله ببقائه الدين ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكُتب له النصر إلىٰ يوم الدين ، وكب بجهاده على الأذقان طوائف المفسدين ، وأعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين .

---

(١) كذا في (ب) ، وفي (ج) : (هٰؤلاء الأنام) ، وفي غيرهما : (هو الأنام) .
(٢) في مطبوع « المسالك » : (يعيره) .
(٣) في (ب ، ج ، ط) : (بأمره) ، وفي (د ، هـ) : (باصره) .

وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وعليه كانوا يعملون ، ونصر أنصاره ، وقدر اقتداره ، وأسكن في القلوب سكينته ووقاره ، ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره .

ولما انتقل إلى الله ذلك السيد ولقي أسلافه ، ونقل إلىٰ سرير الجنة عن سرير الخلافة ، وخلا العصر من إمام يمسك ما بقي من نهاره ، وخليفة يغالب مزيد[١] الليل بأنواره ، ووارث نبي بمثله ومثل آبائه ، استغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الأنبياء عن نبي يقفىٰ علىٰ آثاره ، ومضىٰ ولم يعهد ، فلم يبق إذ لم يوجد النص إلا الإجماع ، وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع . . اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كل طرف به معقود ، وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود ، وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، فحضر من لم يعبأ بعده بمن تخلف ، ولم يَرْبأ معه[٢] وقد مد يده طامعاً لمزيدها وقد تكلف .

وأجمعوا علىٰ رأي واحد استخاروا الله فيه فخار ، وأخذ يمين يمد لها الأيمان ، ويشد بها الإيمان ، ويعطىٰ عليها المواثيق ، وتعرض أمانتها علىٰ كل فريق ، حتىٰ تقلد كل من حضر في عنقه هٰذه الأمانة ، وحط على المصحف الكريم يده وحلف بالله وأتم أيمانه ، ولم يقطع ولا استثنىٰ ولا تردَّد ، ومن قطع عن غير قصد . . أعاد وجدَّد .

وقد نوىٰ كل من حلف : أن النية في يمينه نية من عقدت له هٰذه البيعة ، ونية من حلف له وتذمم بالوفاء له في ذمته وتكفله علىٰ عادة أيمان البيعة ، وشروطها وأحكامها المرددة ، وأقسامها المؤكدة ؛ بأن يبذل لهٰذا الإمام المفترض الطاعة الطاعة ، ولا يفارق الجمهور ولا يظهر عن الجماعة انجماعه[٣] ، وغير ذلك مما

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « صبح الأعشىٰ » (٩/ ٣٢٥) : (مربدّ) ، ولعله الصواب .

(٢) في مطبوع « المسالك » : (يعبأ بعده) ، ربأ : تثاقل .

(٣) في (ب) : (الجماعة وغير) ، وفي (أ ، ج) : (إنجاعه) ، وفي : (و ، ط) : (الجماعة الجماعة) .

تضمنته نسخ الأيمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها ؛ مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم ، وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتبوا وأذنوا أن يكتب عنهم ، حسبما يشهد به بعضهم علىٰ بعض ، ويتصادق عليه أهل السماء والأرض .

بيعة تمَّ بمشيئة الله تمامُها ، وعمَّ بالصوب المغدق غمامها ، وقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، ووهب لنا الحسن ، ثم الحمد لله الكافي عبده ، الوافي لمن يضاعف علىٰ كل موهبة حمده ، ثم الحمد لله علىٰ نعمة يرغب أمير المؤمنين في ازديادها ، ويرهب إلا أن يقاتل أعداء الله بإمدادها ، ويرأب بها من أثر في منابر ممالكه بما بان من مباينة أضدادها .

نحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلمة لا يمل من تردادها ، ولا يحل بما تفوق السهام من سدادها ، ولا يبطل إلا علىٰ ما يوجب تكثير أعدادها ، وتكبير أقدار أهل ودادها ، وتصغير التحقير لا التحبيب لأندادها .

ونشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تتقايس دماء الشهداء وأمداد مدادها ، وتتنافس طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها ، وتتجانس رقومها المدبجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها ، والليالي من دثارها ، والأعداء من حدادها .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلىٰ جماعة أهله ومن خلف من أبنائها ، وسلف من أجدادها ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

فإن أمير المؤمنين لما أكسبه الله من ميراث النبوة ما كان لجده ، ووهبه من الملك السليماني ما لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلَّمه منطق الطير بما يتحمله حمائم البطائق من بدائع البيان ، وسخَّر له من البريد علىٰ متون الخيل ما سخره من الريح لسليمان ، وآتاه من خاتم الأنبياء ما امتد به أبوه سليمان وتصرف ، وأعطاه من الفخار به ما أطاعه كل مخلوق ولم يتخلف .

وجعل له من لباس بني العباس ما يقضي له سواده بسؤدد الأجداد ، وينفض

علىٰ ظل الهدب ما فضل عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد ، ويمد ظله على الأرض وكل مكان دار ملك وكل مدينة بغداد ، وهو في ليله السجَّاد وفي نهاره العسكري وفي كرمه جعفر وهو الجواد ، يديم الابتهال إلى الله تعالىٰ في توفيقه ، والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه .

ونبدأ يوم هـٰذه المبايعة بما هو الأهم من مصالح الإسلام ، وصالح الأعمال فيما يتحلىٰ به الإمام(١) ، ويقدم التقوىٰ أمامه ، ويقرر عليها أحكامه ، ويتَّبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ، ومن لا يحمل أمره طائعاً على العين يحمله غصباً على الراس ، ويعجل أمير المؤمنين بما استقر به النفوس ، ويرد به كيد الشيطان إنه يَؤوس ، ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غني عن هـٰذا ولـٰكنه يسوس .

وأمير المؤمنين يُشهد الله وخلقه عليه : بأنه أقرَّ وليَّ كل أمر من ولاة أمور الإسلام علىٰ حاله ، واستمر به في مَقيله تحت كَنَف ظلاله ، على اختلاف طبقات ولاة الأمور وطرقات الممالك والثغور : براً وبحراً ، سهلاً ووعراً ، شرقاً وغرباً ، بعداً وقرباً ، وكل جليل وحقير ، وقليل وكثير ، وصغير وكبير ، وملك ومملك ، وأمير وجندي يبرق له سيف شهير ورمح ظهير .

ومَن مع هـٰؤلاء من وزراء وقضاة وكُتَّاب ، ومن له تدقيق في إنشاء وتحقيق في حساب ، ومن يتحدث في بريد وخراج ، ومن يحتاج إليه ومن لا يحتاج ، ومن في التدريس والمدارس والربط والزوايا والخَوَانِق ، ومن له أعظم التعلُّقات وأدنى العلائق ، وسائر أرباب المراتب وأصحاب الرواتب ، ومن له من مال الله رزق مقسوم ، وحق مجهول أو معلوم ، استمراراً بكل امرىء علىٰ ما هو عليه ، حتىٰ يستخير الله ويتبين له ما بين يديه .

فمن ازداد تأهيله . . زاد تفضيله ، وإلا . . فأمير المؤمنين لا يريد إلا وجه الله ، ولا يحابي أحداً في دين الله ، ولا يحابي حقاً في حق ؛ فإن المحاباة في الحق مداجاة على المسلمين(٢) .

---

(١) في (أ ، د ، هـ) : (الأيام) ، وفي (ج) : (الأنام) .
(٢) المداجاة : المداراة .

وكل ما هو مستمر إلى الآن مستقر علىٰ حكم الله ، مما فهَّمه الله له وفهَّمه سليمان ، لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه مغيراً ؛ شكراً لله علىٰ نعمه ، وهـٰكذا يجازىٰ من شكر ، ولا يكدر علىٰ أحد مورداً نزه الله نعمه الصافية عن الكدر ، ولا يتأوَّل في ذلك متؤوِّل إلا من جحد النعمة أو كفر ، ولا يتعلَّل متعلِّل ؛ فإن أمير المؤمنين يعوذ بالله ويُعيذ أيامه من الغير .

وأَمَر أمير المؤمنين ـ أعلى الله أمره ـ أن يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الآفاق ، وأن تضرب باسمهما النقود وتسير بالإطلاق ، ويوشح بالدعاء لهما عطف الليل والنهار ، ويصرح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار .

وقد أسمع أمير المؤمنين في هـٰذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ، ويتداوله كل بعيد وقريب ؛ ومختصره : أن الله أمر بأوامر ونهىٰ عن نواهٍ وهو رقيب ، وسيُفرِغ الألبّاء لها السَّجايا ، ويُفرغ الخطباء لها شعوب الوصايا ، وتتكمل بها المزايا ، ويخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا ، ويسمر بها السَّمار ويترنم الحادي والملاح ، ويرقُّ سحرها في الليل المقمر ويرقم علىٰ جبين الصباح ، وتعظ[1] بها مكة بطحاها ، ويحيا بحداها فناه ، ويلقنها كل أب فهمه ابنه ويسأل كل ابن نجيب أباه .

وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين من سدد عليكم بينة ، وإليكم ما دعاكم به إلىٰ سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ، ولأمير المؤمنين عليكم الطاعة .

ولولا قيام الرعايا . . ما قبل الله أعمالها ، ولا أمسك بها البحر ودحا الأرض وأرسىٰ جبالها ، ولا اتفقت الآراء علىٰ من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها ، وأخذها دون بني أبيه : [من المتقارب]

ولـــم تَـــكُ تصلُـــحُ إلا لـــهُ ولـــم يـــكُ يصلـــحُ إلا لهـــا

وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح الله لكم من أبواب الأرزاق وأسباب

---

(١) في مطبوع « المسالك » : (تعطر) .

الارتزاق ، وأجركم علىٰ وفاقكم وعملكم[1] مكارم الأخلاق ، وأجراكم علىٰ عوائدكم ولم يمسك خشية الإنفاق .

ولم يبق لكم علىٰ أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما يتعب به من يجيء ـ أطال الله بقاء أمير المؤمنين ـ مِن بعده ، ويزيد علىٰ من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد ، وينيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد .

وأمير المؤمنين يقيم علىٰ عادة آبائه موسم الحج في كل عام ، ويشمل بره سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ، ويجهز السبيل علىٰ حاله ويرجو أن يعود علىٰ حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هٰذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلىٰ ثالثهما في البيت المقدس ساكب الغمام ، ويقيم معونة[2] قبور الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أينما كانوا وأكثرهم في الشام ، والجمع والجماعات هي فيكم علىٰ قديم سُننها وقويم سَننها ، وستزيد في أيام أمير المؤمنين لمن يضم إليه ، وفيما يتسلم من بلاد الكفار ويسلم منهم علىٰ يديه .

وأما الجهاد . . فكفىٰ باجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بمأموره ، المقلد عنه جميع ما وراء سريره ، وأمير المؤمنين قد وكل منه ـ خلد الله ملكه وسلطانه ـ عيناً لا تنام ، وقلَّد سيفاً لو أغفت بَوارقه ليلة واحدة عن الأعداء . . سَلَتَ خياله عليهم الأحلام[3] .

وسيؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العِدَىٰ ، وقد قدَّم الوصية بأن يوالي غزو العدو المخذول براً وبحراً ، ولا يكفَّ عمن ظفر به منهم قتلاً ولا أسراً ، ولا يفك أغلالاً ولا إصراً ، ولا ينفكُّ يرسل عليهم في البر من الخيل عقباناً ، وفي البحر غرباناً ، تحمل كل منهما من كل فارس صقراً .

ويحمي الممالك ممن يتخوف أطرافها بإقدام ، ويتخول أكنافها بأقدام ،

---

(١) في (أ) : (علمكم) .
(٢) في (أ ، ب) : (بعونه) ، وفي (ط) ، ومطبوع « المسالك » : (بعدله) .
(٣) سلت : قطع .

وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور وما يحتاج إليه من آلات القتال وأمهات الممالك ، التي هي مرابط البنود ، ومرابض الأسود ، والأمراء والعساكر والجنود ، وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود .

ويتفقد أحوالهم بالعرض ، بما لهم من خيل تعقد ما بين السماء والأرض ، وما لهم من زَرَد موضون ، وبيض مسها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون ، وسيوف قَواضب ، ورماح شيبُ ذوائبها من الدماء خَواضب ، وسهام تواصل القسي وتفارقها فتحن حنين مفارق وتُزَمجر القوس زَمْجرة مُغاضب .

وهـٰذه جملة أراد أمير المؤمنين بها إطابة قلوبكم ، وإطالة ذيل التطويل علىٰ مطلوبكم ، ودماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ما أباح الشرع المطهر ، ومزيد الإحسان إليكم علىٰ مقدار ما يخفىٰ منكم ويظهر .

وأما جزئيات الأمور . . فقد علمتم بأن من بعد عن أمير المؤمنين غني عن مثل هـٰذه الذكرىٰ ، وأنتم علىٰ تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ، وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين ، وله عليكم أداء النصيحة ؛ وإبداء الطاعة بسريرة صحيحة ؛ فقد دخل كل منكم في كَنَف أمير المؤمنين وتحت رِقِّه ، ولزمه حكم بيعته وألزم طائره في عنقه ، ويستعمل[1] كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليماً ، ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

هـٰذا قول أمير المؤمنين ، وقال : وهو يعمل في ذلك كله بما تحمد عاقبته من الأعمال ، وعلىٰ هـٰذا عهد إليه وبه يعهد ، وما سوىٰ هـٰذا فجور لا يشهد به عليه ولا يشهد .

وأمير المؤمنين يستغفر الله علىٰ كل حال ، ويستعيذ به من الإهمال ، ويسأل أن يمده لما يحب من الإمهال[2] ، ولا يمد له حبل الإمهال .

ويختم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان ، والحمد لله وهو من الخلق أحمد وقد آتاه الله ملك سليمان ، والله يمتع أمير المؤمنين بما

---

(١) في (جـ ، ط) : (وسيعلم) .
(٢) كذا في النسخ ، وفي مطبوع « المسالك » : (الآمال) ، وانظر « صبح الأعشىٰ » .

وهبه ، ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل عَقِبه ، ولا يزال علىٰ سدة العلياء قعوده ، ولدَسْت الخلافة به أبهة الجلالة كأنه ما مات منصوره ولا أودىٰ مهديه ولا رشيده)[1] .

وقال ابن حجر في « الدرر » : (كان أولاً لقب : المستنصر ، ثم لقب : الحاكم ، وذكر الشيخ زين الدين العراقي : أنه سمع الحديث علىٰ بعض المتأخرين ، وأنه حدث ، مات في الطاعون في نصف سنة ثلاث وخمسين)[2] .

ومن الحوادث في أيامه في عام ولايته

خلع السلطان المنصور ؛ لفساده وشربه الخمور ، حتىٰ قيل : إنه جامع زوجات أبيه ، ونفي إلىٰ قوص وقتل بها ، فكان ذلك من الله مجازاة لما فعله والده مع الخليفة ، وهـٰذه عادة الله مع مَنْ تعرَّض لأحد من آل العباس بأذىً ، وتسلطن أخوه الملك الأشرف كُجُك ، ثم خلع من عامه ، وولي أخوه أحمد ، ولقب : بالناصر ، وعقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السُّبكي قاضي الشام ، وكان قد حضر مصر .

وفي سنة ثلاث وأربعين : خُلع الناصر أحمد ، وولي أخوه إسماعيل ، ولقب : بالصالح .

وفي سنة ست وأربعين : مات الصالح ، فقلد الخليفة أخاه شعبان ، ولقب : بالكامل[3] .

---

(١) المسالك (٢٤/ ٣٢٠ـ٣٣٦) ، وانظر « صبح الأعشىٰ » (٩/ ٣٢١ـ٣٣١) .

(٢) الدرر الكامنة (١/ ١٣٧) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٢١٦) .

وفي سنة سبع وأربعين : قتل الكامل ، وولي أخوه أمير حاج ، ولقب : بالمظفر(١) .

وفي سنة ثمان وأربعين : خلع المظفر ، وولي أخوه حسن ، ولقب : بالناصر(٢) .

وفي سنة تسع وأربعين : كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله(٣) .

وفي سنة اثنتين وخمسين : خُلع الناصر حسن ، وولي أخوه صالح ، ولقب : الملك الصالح ؛ وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون ، وجعل شيخو أتابكه(٤) .

قال في « ذيل المسالك » : (وهو أول من سمي بمصر الأمير الكبير) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام الحاكم من الأعلام : الحافظ أبو الحجاج المِزِّي ، والتاج عبد الباقي اليمني ، والشمس ابن عبد الهادي ، وأبو حيَّان ، وابن الوردي ، وابن اللَّبَّان ، وابن عدلان ، والذهبي ، وابن فضل الله ، وابن قيم الجوزية ، والفخر المصري شيخ الشافعية بالشام ، والتاج المَرَّاكُشي ، وآخرون .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢١٩) .
(٢) انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٢٢٤) ، وفيها : (أنه قتل في العشر الأخير من رمضان) .
(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٢٢٥) .
(٤) انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٢٣٩) .

خلافة المعتضد بالله

[٧٥٣ـ٧٦٣هـ][(١)]

أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي ، بويع بالخلافة بعد موت أخيه في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بعهد منه .

وكان خيراً متواضعاً ، محبّاً لأهل العلم ، مات في جمادى الأولىٰ سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومن الحوادث في أيامه

في سنة أربع وخمسين : قال ابن كثير وغيره : (كان بطرابلس بنت تسمىٰ نفيسة ، زوجت بثلاثة أزواج ولا يقدرون عليها ، يظنون أن بها رتقاً ، فلما بلغت خمس عشرة سنة . . غارت ثدياها ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليلاً قليلاً إلىٰ أن برز منه ذكر قدر إصبع وأنثيان ، وكتب بذلك في محاضر)[(٢)] .

وفي سنة خمس وخمسين : خُلع الملك الصالح ، وأعيد الناصر حسن[(٣)] .

وفي سنة ست وخمسين : رسم بضرب فلوس جدد علىٰ قدر الدينار ووزنه ، وجعل كل أربعة وعشرين فلساً بدرهم ، وكان قبل ذلك الفلوس العتق كل رطل ونصف بدرهم ، ومن هنا يعرف مقدار الدراهم النُّقرة التي جعلها شيخو

---

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١١/ ١٤) ، و« الدرر الكامنة » (١/ ٤٤٣) ، و« شذرات الذهب » (٨/ ٣٣٨) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٤٨) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٢٥١) .

وصرغتمش لأرباب الوظائف في مدرستيهما ، فمرادهما بالدرهم : ثلثا رطل من الفلوس[1] .

وفي سنة اثنتين وستين : قتل الناصر حسن ، وولي محمد ابن أخيه المظفر ، ولقب : بالمنصور[2] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المعتضد من الأعلام : الشيخ تقي الدين السُّبكي ، والسمين صاحب « الإعراب » ، والقوام الأتقاني ، والبهاء ابن عقيل ، والصلاح العلائي ، والجمال ابن هشام ، والحافظ مُغلطاي ، وأبو أمامة ابن النقاش ، وآخرون .

---

(١) انظر « السلوك لمعرفة دول الملوك » (٤/ ٢٣٥) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٧٨) .

خلافة المتوكل على الله

[٧٦٣ـ٨٠٨هـ][1]

أبو عبد الله ، محمد بن المعتضد والد خلفاء العصر ، ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد موته ، في جمادىٰ ، سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، وامتدت أيامه خمساً وأربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس كما سنذكره .

وأعقب أولاداً كثيرة ، يقال : إنه جاء له مئة ولد ما بين مولود وسقط ، ومات عن عدة ذكور وإناث ، ولي الخلافة منهم خمسة ، ولا نظير لذلك : المستعين العباس ، والمعتضد داوود ، والمستكفي سليمان ، والقائم حمزة ، والمستنجد يوسف .

وبقي من أولاده الآن واحد يسمىٰ موسىٰ ما أشبهه بإبراهيم بن المستكفي ، والموجود الآن من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هـٰذا ، أكثر الله عددهم ، وزاد مَدَدَهُم ومُدَدهُم .

ومن الحوادث في أيامه

في سنة أربع وستين : خلع المنصور محمد ، وولي شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، ولقب : الأشرف[2] .

[إحداث العلامة الخضراء علىٰ عمائم الشرفاء]

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة : أحدثت العلامة الخضراء علىٰ عمائم

---

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢/ ١٦٧) ، و« إنباء الغمر » (٢/ ٣٤٣) ، و« الضوء اللامع » (٧/ ١٦٨) ، و« شذرات الذهب » (٩/ ١١٦) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٣٠٢) .

الشرفاء ؛ ليتميزوا بها بأمر السلطان ، وهٰذا أول ما أحدث[1] ، وقال في ذلك أبو عبد الله بن جابر الأعمى النحوي صاحب « شرح الألفية » المشهور بالأعمىٰ والبصير[2] : [من الكامل]

جَعلوا لأبناءِ الرَّسول علامةً ... إنَّ العلامةَ شأنُ مَن لم يُشهرِ

نورُ النبوةِ في كريمِ وجوهِهم ... يُغني الشريف عن الطِّرازِ الأخضرِ

ولبعضهم[3] : [من الكامل]

أطرافُ تِيجَانٍ أتت من سُندسٍ ... بعصائبٍ خضرٍ على الأشرافِ

والأشرفُ السلطانُ خَصَّهمُ بِهَا ... شرفاً ليفْرُقهم مِنَ الأطرافِ

[خروج الطاغية تمرلنك]

وفي هٰذه السنة : كان ابتداء خروج الطاغية تَمُرْلَنْك الذي أخرب البلاد وأباد العباد ، واستمر يعثو في الأرض بالفساد إلىٰ أن هلك إلىٰ لعنة الله تعالىٰ في ليلة الأربعاء ، سابع عشر شعبان ، سنة سبع وثمان مئة[4] ، وفيه قيل[5] : [من الطويل]

. . . فعل التتار ولو رأوا ... فعال تَمُرْلَنْك إذاً كان أعظما

. . . . وطائره في جلق كان أشأما

وكان أصله من أبناء الفلاحين ، ونشأ يسرق ويقطع الطريق ، ثم انضم إلىٰ خدمة صاحب خيل السلطان ، ثم قُرِّر مكانه بعد موته ، وما زال يترقىٰ إلىٰ أن وصل إلىٰ ما وصل[6] .

---

(١) انظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (١١/ ٤٩٧) .

(٢) البيتان في « النجوم الزاهرة » (١١/ ٥٧) .

(٣) البيتان زيادة من (ج) ، وهما في « النجوم الزاهرة » (١١/ ٥٦) ، و« إنباء الغمر » (١/ ١١) لمحمد بن إبراهيم بن بركة المزين .

(٤) قوله : (ليلة الأربعاء . . . سنة سبع) : في (أ ، د ، هـ) بياض ، وفي (ج ، ط) : سنة (٧٧٣هـ) ، وانظر « المنهل الصافي » (٤/ ١٣٨) .

(٥) بعدها وبعد الشطر الثاني بياض في الأصول .

(٦) انظر « المنهل الصافي » (٤/ ١٠٣) ، و« إنباء الغمر » (١/ ١٧ـ١٨) .

قيل لبعضهم : في أي سنة كان ابتداء خروج تَمُرْلَنْك ؟ قال : في سنة (عذاب) ، يعني بحساب الجمل : ثلاثاً وسبعين وسبع مئة .

وفي سنة خمس وسبعين : ابتدئت قراءة « البخاري » في رمضان بالقلعة بحضرة السلطان ، ورتب الحافظ زين الدين العراقي قارئاً ، ثم أشرك معه الشهاب العُرْياني يوماً بيوم[١] .

في سنة سبع وسبعين : غلا البيض بدمشق ؛ فبيعت الحبة الواحدة بثلاثة دراهم من حساب ستين بدينار[٢] .

[قتل الأشرف شعبان]

وفي سنة ثمان وسبعين : قتل الأشرف شعبان ، وتسلطن ابنه علي ، ولقب : المنصور ؛ وذلك : أن الأشرف سافر إلى الحج ومعه الخليفة والقضاة والأمراء ، فخامر عليه الأمراء ، وفر راجعاً إلى القاهرة ، ورجع الخليفة ومن رجع ، وأرادوا أن يسلطنوا الخليفة فامتنع ، فسلطنوا ابن الأشرف ، واختفى الأشرف إلىٰ أن ظفروا به ، فخنقوه في ذي القعدة[٣] .

وفيها : خسف الشمس والقمر جميعاً ، وطلع القمر خاسفاً في شعبان ليلة أربع عشرة ، وكسفت الشمس يوم الثامن والعشرين منه[٤] .

[قصة خلع المتوكل وإعادته]

وفي سنة تسع وسبعين في رابع ربيع الأول : طلب أينبك البدري أَتابِك

---

(١) إنباء الغمر (١/ ٦١) .
(٢) إنباء الغمر (١/ ١٠٧) .
(٣) انظر « إنباء الغمر » (١/ ١٢٨ـ ١٣٠) .
(٤) إنباء الغمر (١/ ١٣١) .

العساكر زكرياء بن إبراهيم بن المستمسك ابن الخليفة الحاكم فخلع عليه ، واستقر خليفة بغير مبايعة ولا إجماع ، ولقب : المستعصم بالله[1] ، ورسم بخروج المتوكل إلىٰ قوص لأمور حقدها عليه وقعت منه عند قتل الأشرف ، فخرج وعاد من الغد إلىٰ بيته ، ثم عاد إلى الخلافة في العشرين من الشهر ، وعزل المستعصم ، فكانت مدة خلافته خمسة عشر يوماً[2] .

والمتوكل هو سادس الخلفاء الذين سكنوا مصر ، وأقيموا بعد انقطاع الخلافة مدة ، فحصل له هٰذا الخلع توفية بالقاعدة[3] .

[قصة عجيبة]

[في انقلاب وجه عابث إلىٰ خنزير]

وفي سنة اثنتين وثمانين : ورد كتاب من حلب يتضمن : أن إماماً قام يصلي وأن شخصاً عبث به في صلاته ، فلم يقطع الإمام الصلاة حتىٰ فرغ ، وحين سلم . . انقلب وجه العابث وجه خنزير ، وهرب إلىٰ غابة هناك ، فعجب الناس من هٰذا الأمر ، وكتب بذلك محضر[4] .

وفي صفر سنة ثلاث وثمانين : مات المنصور ، وتسلطن أخوه حاجي بن الأشرف ، ولقب : الصالح[5] .

وفي رمضان سنة أربع وثمانين : خلع الصالح ، وتسلطن برقوق ، ولقب : الظاهر ، وهو أول من تسلطن من الجراكسة[6] .

---

(١) ولعل الصواب : (المعتصم بالله) كما في المصادر .

(٢) انظر « النجوم الزاهرة » (١١/ ١٥٥) ، و« السلوك لمعرفة دول الملوك » (٦/ ١٩٠) ، و« مورد اللطافة » (١/ ٢٤٨) ، و« حسن المحاضرة » (٢/ ٧٨) .

(٣) أي : التي ذكرها في (ص ٨٦) .

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك (٥/ ٧٩) ، وإنباء الغمر (١/ ٢١٠) .

(٥) السلوك لمعرفة دول الملوك (٥/ ١١٨) ، وإنباء الغمر (١/ ٢٣٢) .

(٦) انظر « النجوم الزاهرة » (١١/ ٢٢١) .

[خلع برقوق للخليفة ثم إعادته]

وفي رجب سنة خمس وثمانين : قبض برقوق على الخليفة المتوكل ، وخلعه وحبسه بقلعة الجبل ، وبويع بالخلافة عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم ، ولقب : الواثق بالله ، فاستمر في الخلافة إلىٰ أن مات يوم الأربعاء ، تاسع عشري شوال ، سنة ثمان وثمانين .

فكلم الناس برقوقاً في إعادة المتوكل إلى الخلافة فلم يقبل ، وأحضر أخا عمر زكريا الذي كان ولي تلك الأيام اليسيرة ، فبايعه ، ولقب : المستعصم بالله ، واستمر إلىٰ سنة إحدىٰ وتسعين .

فندم برقوق علىٰ ما فعل بالمتوكل ، وأخرج المتوكل من الحبس ، وأعاده إلى الخلافة ، وخلع زكريا ، واستمر زكريا بداره إلىٰ أن مات مخلوعاً ، واستمر المتوكل في الخلافة إلىٰ أن مات .

وفي جمادى الآخرة من السنة : أعيد الصالح حاجي إلى السلطنة ، وغيَّر لقبه : بالمنصور ، وحبس برقوق بالكرك[1] .

وفي هـٰذه السنة في شعبان : أحدث المؤذنون عقب الأذان الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهـٰذا أول ما أحدث ، وكان الآمر به المحتسب نجم الدين الطُّنْبُذي[2] .

[موت برقوق ثم موت الخليفة المتوكل]

وفي صفر سنة اثنتين وتسعين : أخرج برقوق من الحبس ، وعاد إلىٰ ملكه ، فاستمر إلىٰ أن مات في شوال ، سنة إحدىٰ وثمان مئة ، فأقيم مكانه في السلطنة ابنه فرج ، ولقب : الناصر ، فاستمر إلىٰ سادس ربيع الأول ، سنة ثمان وثمان مئة ، فخلع من المُلك ، وأقيم أخوه عبد العزيز ، ولقب : المنصور ، ثم خلع في رابع جمادى الآخرة من السنة ، وأعيد الناصر فرج .

---

(١) انظر « النجوم الزاهرة » (١١/ ٢٠٧) .

(٢) النجوم الزاهرة (١١/ ٨٥) .

وفي هـٰذه السنة : مات الخليفة المتوكل ليلة الثلاثاء ، ثامن عشري رجب ، سنة ثمان وثمان مئة[1] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المتوكل من الأعلام : الشمس ابن مُفلح عالم الحنابلة ، والصلاح الصَّفَدي ، والشهاب ابن النقيب ، والمحب ناظر الجيش ، والشريف الحسيني الحافظ ، والقطب التحتاني ، وقاضي القضاة عز الدين ابن جماعة ، والتاج ابن السُّبكي ، وأخوه الشيخ بهاء الدين ، والجمال الإسنوي ، وابن الصائغ الحنفي ، والجمال ابن نُباتة ، والعفيف اليافعي ، والجمال الشَّريشي ، والشرف ابن قاضي الجبل ، والسراج الهندي ، وابن أبي حجلة ، والحافظ تقي الدين بن رافع ، والحافظ عماد الدين بن كثير ، والعتابي النحوي ، والبهاء أبو البقاء السُّبكي ، والشمس بن خطيب يبرود ، والعماد الحُسْباني ، والبدر بن حبيب ، والضياء القِرَمي ، والشهاب الأذرعي ، والشيخ أكمل الدين ، والشيخ سعد الدين التَّفْتازاني ، والبدر الزَّرْكَشي ، والسراج ابن المُلَقِّن ، والسراج البُلْقيني ، والحافظ زين الدين العراقي .

---

(١) إنباء الغمر (٢/ ٣٤٣) .

خلافة الواثق بالله عمر بن إبراهيم بن ولي العهد المستمسك بن الحاكم

[٧٨٥ ـ ٧٨٨ هـ][1]

بويع بالخلافة بعد خلع المتوكل في رجب ، سنة خمس وثمانين ، فاستمر إلىٰ أن مات يوم الأربعاء ، تاسع عشري شوال ، سنة ثمان وثمانين .

---

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢/ ١٨٧) ، و« النجوم الزاهرة » (١١/ ٢٣٥) ، و« مورد اللطافة » (١/ ٢٥٢) ، و« إنباء الغمر » (١/ ٣٢٥) ، و« شذرات الذهب » (٨/ ٥٢٠) .

خلافة المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم بن المستمسك

[٧٨٨ ـ ٧٩١هـ][1]

بويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق ، ثم خلع منها في سنة إحدىٰ وتسعين ، واستمر بداره مخلوعاً إلىٰ أن مات ، وأعيد المتوكل كما تقدم[2] .

---

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢/ ١٨٠) ، و« السلوك لمعرفة دول الملوك » (٥/ ١٩٠) ، و« مورد اللطافة » (١/ ٢٤٩) ، و« النجوم الزاهرة » (١١/ ٢٤٥) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٨٨) .

خلافة المستعين بالله

[٨٠٨ ـ ٨١٥هـ][1]

أبو الفضل، العباس بن المتوكل ، أمه : أم ولد تركية، اسمها : باي خاتون .

بويع بالخلافة بعهد من أبيه ، في رجب ، سنة ثمان وثمان مئة ، والسلطان يومئذ الملك الناصر فرج ، فلما خرج الناصر لقتال شيخ وهُزم وقُتل.. بويع الخليفة بالسلطنة مضافة للخلافة؛ وذلك في المحرَّم، سنة خمس عشرة، ولم يفعل ذلك إلا بعد شدة وتصميم وتوثق من الأمراء بالأيمان ، وعاد إلىٰ مصر والأمراء في خدمته ، وتصرف بالولاية والعزل ، وضربت السكة باسمه ، ولم يغير لقبه .

[قصيدة الحافظ ابن حجر يمدح المستعين]

وعمل شيخ الإسلام ابن حجر فيه قصيدته المشهورة وهي[2] : [من الكامل]

الملكُ أصبَحَ ثابِتَ الأَساسِ	بالمستعينِ العادِلِ العبَّاسي
رجَعَت مكانةُ آلِ عمِّ المصطفَىٰ	لمحلِّها من بعدِ طولِ تَناسِ
ثاني ربيعِ الآخِرِ المَيمونِ في	يوم الثَّلاثا حُفَّ بالأعراسِ
بقُدومِ مَهديِّ الأنامِ أَمينِهم	مأمونِ غيبٍ[3] طاهرِ الأنفاسِ
ذو البيتِ طَافَ به الرَّجاءُ فهل يُرىٰ	من قاصدٍ متردِّدٍ في اليَاسِ
فَرعٌ نَمَا من هاشمٍ في رَوضةٍ	زَاكِي المَنابِتِ طَيِّب الأَغراسِ
بالمُرتَضَىٰ والمُجتبَىٰ والمُشتَرِي	للحَمدِ وَالحَالِي به والكَاسِي
مِن أسرةٍ أَسَروا الخُطوبَ وطُهِّروا	ممَّا بغَيرِهِمُ[4] مِنَ الأَدناسِ

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢/ ٢٠٢) ، و« السلوك لمعرفة دول الملوك » (٦/ ١٥٤) ، و« مورد اللطافة » (١/ ٢٥٥) ، و« النجوم الزاهرة » (١٣/ ٥١) ، و« شذرات الذهب » (٩/ ٢٩٥) .

(٢) القصيدة في « حسن المحاضرة » (٢/ ٧٥ـ ٧٧) .

(٣) في (أ) : (عيب) .

(٤) في (ب ، ج) : (يغيرهم) .

أُسْدٌ إذا حَضَروا الوَغَىٰ وإذا خَلَوا ... كـانـوا بمَجلِسِهم ظِباءَ كِناسِ[1]
مثلُ الكواكِبِ نُورُه ما بينَهم ... كالبدرِ أشرَقَ في دُجَى الأغلاسِ
وبكفِّه عندَ العلامةِ آيةٌ ... قلَمٌ يُضيء إضاءَةَ المِقبَاسِ
فلبِشْرِه للوَافدينَ مباسمٌ ... تُدعىٰ وللإجلالِ بالعبَّاسِ
فالحمدُ لله المعزِّ لدينِه ... من بعدِ ما قَد كانَ في إبلاسِ
بالسَّادةِ الأُمراءِ أركانِ العُلاَ ... من بينِ مُدركِ ثَأرِهِ ومُواسِ
نَهَضوا بأعباءِ المَنَاقبِ وارتَقَوا ... في منصبِ العَلْيا الأشمِ الرَّاسِي
تَرَكوا العِدَىٰ صَرْعَىٰ بمُعترَك الرَّدَىٰ ... فالله يحرُسُهم مِنَ الوَسواسِ
وإمامُهم بجلالهِ متقدِّمٌ ... تقديمَ باسمِ اللهِ في القِرطَاسِ
لولا نِظامُ المُلكِ في تَدبيرِه ... لم يَستقم في المُلكِ حالُ النَّاسِ
كمْ مِن أميرٍ قبلَه خطَبَ العُلاَ ... وبجهدِهِ رَجَعَته بالإفلاسِ
حتىٰ إذا جاءَ المعاليَ كُفؤُها ... خَضَعت له من بعدِ فَرط شِماسِ[2]
طاعَت له أَيدي الملوكِ وأَذْعَنَت ... من نِيلِ مصرَ أصابعُ المِقياسِ
فهو الذي قد ردَّ عنَّا البؤسَ في ... دهرٍ به لَولاه كُلُّ الباسِ
وأزالَ ظلماً عمَّ كلَّ معمَّمٍ ... من سائرِ الأَنواعِ والأجناسِ
بالخاذلِ المدعوِّ ضدَّ فِعَالِه ... بالنَّاصرِ المُتَناقضِ الآساسِ
كم نعمةٍ للهِ كانَت عندَه ... فكأنَّها في غُربةٍ وتَناسِ
ما زالَ سرُّ[3] الشَّرِّ بينَ ضُلوعِهِ ... كالنَّارِ أو[4] صَحِبَتْه للأرماسِ
كم سنَّ سيئةً عليه أَثامُها ... حتى القيامةِ ما لَه مِن آسِ
مَكراً بَنَىٰ أركانَه لكنَّها ... للغدرِ قد بُنِيت بغيرِ أساسِ
كلُّ امرىءٍ يَنْسَىٰ ويَذكر تارةً ... لكنَّه للشرِّ ليسَ بنَاسِ
أَمْلَىٰ له ربُّ الوَرَىٰ حتىٰ إذا ... أخَذُوه لم يُفلِتْه مرُّ الكاسِ

(١) الكناس : المكانِ الذي تأوي إليه الظباء .
(٢) الشماس : الامتناع .
(٣) في (أ) : (سوء) .
(٤) في (ب) : (إذ) .

وأَدالَنَا منه المَليكُ بمالِكٍ أَيّامُه صَدَرَت بغير قِيَاسِ
فاسْتَبشَرت أمُّ القُرَىٰ والأرضُ من شرقٍ وغربٍ كالعُذَيبِ وفاسِ
آياتُ مَجدٍ لا يُحاوِلُ جَحْدَها في النَّاسِ غيرُ الجاهِلِ الخَنَّاسِ
ومَناقِبُ العبَّاس لم تُجمَع سِوَىٰ لحفيدِه مَلِكِ الوَرَى العبَّاسِ
لا تُنكِرُوا للمُستعينِ رئاسةً في المُلكِ من بعدِ الجُحودِ النَّاسِي
فبَنُو أميَّةَ قد أتَىٰ من بَعدِهم في سَالِفِ الدُّنيا بَنُو العبَّاسِ
وأتَىٰ أشجُّ بني أُميةَ نَاشِراً للعدلِ من بعد المُبيرِ الخَاسِي
مَولاي عبدُك قد أتَىٰ لكَ رَاجياً منكَ القَبُولَ فلا يَرَىٰ من باسِ
لولا المَهابةُ طُوِّلَت أَمداحُه لٰكنَّها جاءَته بالقِسطَاسِ
فأدامَ ربُّ الناسِ عزَّك دائماً بالحقِّ مَحروساً بربِّ النَّاسِ
وبقيتَ تَستمعُ المَديحَ لخادِمٍ لولاكَ كانَ من الهموم يُقاسِي
عبد صَفَا ودّاً وزَمزَمَ حَادياً وسَعَىٰ على العَينينِ قبلَ الرَّاسِ
أَمداحُه في آل بيتِ محمدٍ بينَ الوَرَىٰ مِسكيَّةُ الأَنفاسِ

[تغلب شيخ على السلطنة وخلع المستعين ثم موته]

ولما وصل المستعين إلىٰ مصر. . سكن القلعة ، وسكن شيخ الإصطبل ، وفوض إليه المستعين تدبير المملكة بالديار المصرية ، ولقب : نظام الملك .

فكانت الأمراء إذا فرغوا من الخدمة بالقصر. . نزلوا في خدمة الشيخ إلى الإصطبل ، فأعيدت الخدمة عنده ، ويقع عنده الإبرام والنقض .

ثم يتوجه دواداره إلى المستعين فيعلِّم على المناشير والتواقيع ، ثم إنه تقدم إليه بألا يمكن الخليفة من كتابة العلامة إلا بعد عرضها عليه ، فاستوحش الخليفة وضاق صدره وكثر قلقه .

فلما كان في شعبان. . سأل شيخ الخليفة : أن يفوض إليه السلطنة على العادة ، فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلىٰ بيته ، فلم يوافقه شيخ علىٰ ذلك ، وتغلب على السلطنة ، وتلقب : بالمؤيد ، وصرح بخلع المستعين .

وبايع بالخلافة أخاه داوود ، ونقل المستعين من القصر إلىٰ دار من دور القلعة ومعه أهله ، ووكل به من يمنعه من الاجتماع بالناس ، فبلغ ذلك نوروزا نائب الشام ، فجمع القضاة والعلماء واستفتاهم عما صنعه المؤيد من خلع الخليفة وحصره ، فأفتوه بأن ذلك لا يجوز ، فأجمع علىٰ قتال المؤيد ، فخرج إليه المؤيد في سنة سبع عشرة وثمان مئة ، وسير المستعينَ إلى الإسكندرية فاعتقل بها إلىٰ أن تولىٰ ططر ، فأطلقه وأذن له في المجيء إلى القاهرة ، فاختار سكنى الإسكندرية ؛ لأنه استطابها وحصل له مال كثير من التجارة ، فاستمر إلىٰ أن مات بها شهيداً بالطاعون ، في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين[١] .

ومن الحوادث الغريبة في أيامه

في سنة اثنتي عشرة : كثر النيل في أول يوم من مسرىٰ[٢] ، وبلغت الزيادة اثنين وعشرين ذراعاً[٣] .

وفي سنة أربع عشرة : أرسل غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه ملك الهند يطلب التقليد من الخليفة ، وأرسل إليه مالاً ، وللسلطان هدية[٤] .

[من مات في عهده]

وممن مات في خلافته من الأعلام : الموفق الناشري شاعر اليمن ، ونصر الله البغدادي عالم الحنابلة ، والشمس المعيد نحوي مكة ، والشهاب الحُسباني ، والشهاب الناشري فقيه اليمن ، وابن الهائم صاحب الفرائض والحساب ، وابن العُلَيف شاعر اليمن ، والمحب ابن الشِّحنة عالم الحنفية والد قاضي العسكر .

---

(١) إنباء الغمر (٣/ ٤٤٥ـ٤٤٦) .
(٢) مسرىٰ : من شهور السريان ، ويدخل في (٢٤) تموز ، وآخره (٢٧) آب .
(٣) السلوك (٦/ ٢٤٣) .
(٤) السلوك (٦/ ٢٧٤) .

خلافة المعتضد بالله

[٨١٥ ـ ٨٤٥هـ][١]

أبو الفتح داوود بن المتوكل ، أمه : أم ولد تركية ، اسمها : كزل .

بويع بالخلافة بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة ، والسلطان المؤيد ، فاستمر إلىٰ أن مات في محرم ، سنة أربع وعشرين ، فقلد السلطنة ابنه أحمد ، ولقب : المظفر ، وجعل نظامَه ططر .

ثم قَبضَ ططر عليه في شعبان ، فقلده الخليفة السلطنة ، ولقب : الظاهر ، ثم مات ططر من عامه ، في ذي الحجة ، فقلد ابنه محمداً ، ولقب : الصالح ، وجعل نظامه برسباي .

ثم وثب برسباي على الصالح فخلعه ، وقلده الخليفة السلطنة في ربيع الآخر ، سنة خمس وعشرين وثمان مئة ، فاستمر إلىٰ أن مات في ذي الحجة ، سنة إحدىٰ وأربعين ، فقلد ابنه يوسف ، ولقب : العزيز ، وجعل جَقْمَق نظامه .

فوثب جَقْمَق على العزيز ، وقبض عليه في ربيع الأول ، سنة اثنتين وأربعين ، فقلده الخليفة ولقب الظاهر ، فمات الخليفة في أيامه .

وكان المعتضد من سروات الخلفاء ، نبيلاً ذكياً فطناً ، يجالسه العلماء والفضلاء ، ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه ، جواداً سمحاً إلى الغاية .

مات في يوم الأحد رابع ربيع الأول ، سنة خمس وأربعين وثمان مئة ، وقد قارب السبعين[٢] ، قاله ابن حجر[٣] .

---

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢/٢٠٩) ، و« السلوك » (٦/٣٥٧) ، و« مورد اللطافة » (١/٢٥٨) ، و« النجوم الزاهرة » (١٥/٤٨٩) ، و« إنباء الغمر » (٤/١٨٩) ، و« شذرات الذهب » (٩/٣٧١) .

(٢) في (د ، هـ) ، ومطبوع « إنباء الغمر » : (التسعين) .

(٣) إنباء الغمر (٤/١٨٩) .

وأخبرتني ابنة أخيه : (أنه عاش ثلاثاً وستين) .

ومن الحوادث الغريبة في أيامه

سنة ست عشرة : تولى الحسبة صدر الدين ابن الآدمي مضافة للقضاء ، وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة(١) .

وفي سنة تسع عشرة : وليها مَنْكَلي بغا ، وهو أول من ولي الحسبة من الأتراك في الدنيا(٢) .

وفيها : ظهر بمصر شخص يدعي أنه يصعد إلى السماء ، ويشاهد الباري تعالىٰ ويكلمه ، واعتقده جمع من العوام ، فعقد له مجلس واستتيب فلم يتب ، فعلق المالكي الحكم بقتله علىٰ شهادة اثنين بأنه حاضر العقل ، فشهد جماعة من أهل الطب أنه مختل العقل ، فقيد في المارستان(٣) .

وفي سنة إحدىٰ وعشرين : ولدت ببلبيس جاموسة مولوداً برأسين ، وعنقين وأربعة أيدي ، وسلسلتي ظهر ودبر واحد ، ورِجلين اثنين لا غير وفرج واحد أنثىٰ ، والذنب مفروق باثنين ، فكانت من بديع صنع الله(٤) .

وفي سنة اثنتين وعشرين : وقع زلزلة عظيمة بأَرْزَنْكان ، وهلك بسببها عالم كثير(٥) .

وفيها : تمت المدرسة المؤيدية ، وجعل شيخها الشمس ابن الديري ،

---

(١) السلوك (٦/ ٣٥٤) ، وإنباء الغمر (٣/ ١١) .

(٢) السلوك (٦/ ٣٥٤) ، وإنباء الغمر (٣/ ٨٦) .

(٣) إنباء الغمر (٣/ ٩٩) .

(٤) السلوك (٦/ ٤٢٧ـ ٤٢٨) ، وإنباء الغمر (٣/ ١٣٧) .

(٥) السلوك (٦/ ٤٩٧) ، والنجوم الزاهرة (١٦/ ١١٤) ، وإنباء الغمر (٣/ ١٩٢) .

وحضر السلطان درسه ، وباشر ولد السلطان إبراهيم فرش سجادة الشيخ بيده .

وفي سنة ثلاث وعشرين : ذبح جمل بغزة فأضاء لحمه كما يضيء الشمع ، ورمي منه قطعة لكلب فلم يأكلها[1] .

وفي سنة أربع وعشرين : استمرت زيادة النيل إلىٰ آخر هاتور ، وغرق بذلك زرع كثير[2] .

وفي سنة خمس وعشرين : ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولداً خنثىٰ ، له ذكر وفرج ، وله يدان زائدتان في كتفه ، وفي رأسه قرنان كقرني الثور ، ومات بعد ساعة[3] .

وفيها : زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة .

وفيها : كسر النيل في ثامن عشري أبيب[4] .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : الشهاب ابن حجي فقيه الشام ، والبرهان ابن زُقَّاعة الأديب ، والزين أبو بكر المَرَاغي فقيه المدينة ومحدثها ، والحسام الأَبِيْوَردي ، والجمال ابن ظهيرة حافظ مكة ، والمجد الشِّيرازي صاحب « القاموس » ، وخلف النحريري من كبار المالكية ، والشمس ابن التَّبَّاني من كبار

---

(١) السلوك (٧/ ١٧) ، وإنباء الغمر (٣/ ٢٢٤) .
(٢) إنباء الغمر (٣/ ٢٥٣) ، وهاتور : من شهور القبط ، ودخوله في (٢٧) من تشرين الأول ، وآخره (٢٥) من تشرين الثاني .
(٣) إنباء الغمر (٣/ ٢٦٦) .
(٤) إنباء الغمر (٣/ ٢٧٥) ، وأبيب : هو الشهر الحادي عشر من شهور القبط ، ويبدأ في (٢٤) حزيران وينتهي (٢٣) تموز . انظر « صبح الأعشىٰ » (٢/ ٣٨٨) .

الحنفية ، وأبو هريرة ابن النقَّاش ، والوانوغي ، **والأستاذ** عز الدين ابن جماعة[1] ، وابن هشام **العُجَيمي** ، والصلاح **الأَقْفَهسي** ، والشهاب العزي **أحد أئمة الشافعية** ، **والجلال** البُلقيني ، والبرهان البَيْجوري ، والولي العراقي ، والشمس ابن الديري ، والشرف التبَّاني ، والعلاء بن المُغلِي ، والبدر بن الدَّماميني ، والتَّقي الحِصْني شارح « أبي شجاع » ، والهَرَوي ، والسِّراج قارىء « الهداية » ، والنجم ابن حجي ، والبدر البَشْتكي ، والشمس البِرْماوي ، والشمس الشَّطَّنوفي ، والتقي الفاسي ، والزين القِمَّني ، والنظام يحيى السيرامي ، وقرا يعقوب الرومي ، والشرف ابن مُفْلح الحنبلي ، والشمس ابن الفَنَري ، وابن الجَزَري شيخ القراءات ، وابن خطيب الدَّهْشة ، والشهاب الإبشيطي ، والزين التَّفِهني ، والبدر القدسي ، والشرف بن المقري عالم اليمن صاحب « عنوان الشرف » ، والتقي ابن حجة الشاعر ، والجلال المرشدي نحوي مكة ، والهمام الشِّيرازي تلميذ الشريف ، والجمال ابن الخياط عالم اليمن ، والبُوصِيري المحدث ، والشهاب ابن المُحمِّرة ، والعلاء البخاري ، والشمس البِسَاطي ، والجمال الكَازَرُوني عالم طيبة ، والمحب البغدادي الحنبلي ، والشمس ابن عمار ، وآخرون .

---

(١) وهو القاضي عز الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز ، وهو غير قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة (ت ٧٦٧هـ) المتقدم ذكره في خلافة المتوكل على الله أبي عبد الله .

خلافة المستكفي بالله

[٨٤٥ـ٨٥٤هـ][1]

أبو الربيع سليمان بن المتوكل ، ولي الخلافة بعهد من أخيه ؛ وهو شقيقه .

[صورة العهد التي كتبها والد المؤلف للمستكفي]

وكتب له والدي رحمه الله نسخة العهد ، وهـٰذه صورتها :

(هـٰذا ما أشهد علىٰ نفسه الشريفة حرسها الله تعالىٰ وحماها ، وصانها من الأكدار ورعاها ، سيدنا ومولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكية ، الإمامية الأعظمية ، العباسية النبوية المعتضدية ، أمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ، ووارث الخلفاء الراشدين : المعتضد بالله تعالىٰ أبو الفتح داوود أعز الله به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين : أنه عهد إلىٰ شقيقه المقر العالي ، المولوي الأصيلي العريقي الحسيبي النسيبي الملكي ، سيدي : أبي الربيع سليمان المستكفي بالله ، عظَّم الله شأنه بالخلافة المعظمة .

وجعله خليفة بعده ، ونصَّبه إماماً على المسلمين ، عهداً شرعياً ، معتبراً مرضياً ، نصيحة للمسلمين ، ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحدين ، واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .

وذلك لما علم من دينه وخيره وعدالته ، وكفاءته وأهليته واستحقاقه ، بحكم أنه اختبر حاله ، وعلم طويته ، وأنه الذي يدين الله به أنه أتقىٰ لله ممن رآه ، وأنه لا يعلم صَدَر منه ما ينافي استحقاقه لذلك ، وأنه إن ترك الأمر هَمَلاً من غير تفويض للمشار إليه . . أدخل إذ ذاك المشقة علىٰ أهل الحَلِّ والعقد في اختيار من ينصبونه للإمامة ، ويرتضونه لهـٰذا الشأن ، فبادر إلىٰ هـٰذا العقد

---

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١/١٦) ، و« مورد اللطافة » (١/ ٢٦٠) ، و« المنهل الصافي » (٦/ ١٨٣) ، و« الضوء اللامع » (٤/ ٢٦٩) ، و« شذرات الذهب » (٩/ ٢٦٩) .

شفقة عليهم ، وقصداً لبراءة ذمتهم ، ووصول الأمر إلىٰ من هو أهله ؛ لعلمه أن العهد كان غير محوج إلىٰ رضا سائر أهله .

وواجب علىٰ من سمعه وتحمل ذلك منه أن يعمل به ، ويأمر بطاعته عند الحاجة إليه ، ويدعو الناس إلى الانقياد له ، فسجل ذلك عليه من حضره حسب إذنه الشريف ، وسطر عن أمره ، وقبل ذلك سيدي المستكفي أبو الربيع سليمان المسمىٰ فيه ـ عظَّم الله شأنه ـ قبولاً شرعياً)[1] .

وكان من صلحاء الخلفاء ، صالحاً ديناً عابداً ، كثير التعبد والصلاة والتلاوة ، كثير الصمت ، منعزلاً عن الناس ، حسن السيرة .

وقال في حقه أخوه المعتضد : (لم أر علىٰ أخي سليمان منذ نشأ كبيرة ، وكان الملك الظاهر يعتقده ويعرف له حقه)[2] .

وكان والدي إماماً له ، وكان عنده بمكان رفيع ؛ خصيصاً به ، محترماً عنده جداً ، وأما نحن . . فلم ننشأ إلا في بيته وفضله ، وآله خير آل ديناً وعبادة وخيراً ، ما أظن أنه وجد علىٰ ظهر الأرض آل خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هـٰذا الخليفة .

[وفاة المستكفي]

مات في يوم الجمعة ، سلخ ذي الحجة ، سنة أربع وخمسين ، وله ثلاث وستون سنة ، ولم يعش والدي بعده إلا أربعين يوماً ، ومشى السلطان في جنازته إلىٰ تربته ، وحمل نعشه بنفسه[3] .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : التقي المَقْريزي ، والشيخ عبادة ، وابن كُمَيل الشاعر ، والوَنائي ، والقاياتي ، وشيخ الإسلام ابن حجر .

---

(١) انظر نص العهد في « حسن المحاضرة » (٢/ ٧٨) .
(٢) انظر « الضوء اللامع » (٣/ ٢٦٩) .
(٣) حسن المحاضرة (٢/ ٧٩) .

خلافة القائم بأمر الله

[٨٥٤ـ٨٥٩هـ][1]

أبو البقاء حمزة بن المتوكل ، بويع بالخلافة بعد أخيه ، ولم يكن عهد إليه ولا إلىٰ غيره .

وكان شهماً صارماً ، أقام أبّهة الخلافة قليلاً ، وعنده جبروت بخلاف سائر إخوته .

ومات في أيامه الملك الظاهر جَقْمق ، في أول سنة سبع وخمسين وثمان مئة ، فقلد ابنه عثمان ، ولقب : المنصور ، فمكث شهراً ونصفاً .

ثم وثب إينال على المنصور فقبض عليه ، فقلده الخليفة في ربيع الأول ، ولقب : الأشرف .

ثم وقع بين الخليفة والأشرف بسبب ركوب الجند عليه ، فخلعه من الخلافة ، في جمادىٰ ، سنة تسع وخمسين وثمان مئة ، وسيَّره إلى الإسكندرية ، فاعتقله بها إلىٰ أن مات بها ، سنة ثلاث وستين وله نحو سبعين ، ودفن عند شقيقه المستعين[2] .

والعجب : أن هـٰذين الأخوين الشقيقين خلعا من الخلافة ، واعتقل كل منهما بالإسكندرية ، ودفنا معاً !!

[من مات في عهده]

مات في أيام القائم من الأعلام : والدي ، والعلاء القَرْقَشندي .

---

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١٦/ ١٩٣) ، و« مورد اللطافة » (١/ ٢٦٢) ، و« المنهل الصافي » (٥/ ١٨٣) ، و« الضوء اللامع » (٣/ ١٦٦) .

(٢) انظر « الضوء اللامع » (٣/ ١٦٦) .

خلافة المستنجد بالله

[٨٥٩ـ ٨٨٤هـ][1]

خليفة العصر ، أبو المحاسن ، يوسف بن المتوكل ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه ، والسلطان يومئذ الأشرف إينال ، فمات في سنة خمس وستين وثمان مئة ، فقلد ابنه أحمد ، ولقب : المؤيد .

ثم وثب خشقدم على المؤيد ، فقبضه في رمضان من عامه ، فقلده ، ولقب : الظاهر ، فاستمر إلىٰ أن مات في ربيع ، سنة اثنتين وسبعين .

فقلد يلباي ، ولقب : الظاهر ، فوثب عليه الجند بعد شهرين وقبضوه ، فقلد تمربغا ، ولقب : الظاهر ، فوثبوا عليه أيضاً بعد شهرين .

[تولي الأشرف قايتباي]

فقلد سلطان العصر قايتباي ، ولقب : الأشرف ، فاستقر له الملك ، وسار في المملكة بشهامة وصرامة ما سارها ملكٌ قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون ؛ بحيث إنه سافر من مصر إلى الفرات في طائفة يسيرة جداً من الجند ليس فيهم أحد من المقدمين الألوف .

ومن سيرته الجميلة : أنه لم يول بمصر صاحب وظيفة دينية ؛ كالقضاة والمشايخ والمدرسين إلا أصلح الموجودين لها بعد طول ترويه وتمهله ؛ بحيث تستمر الوظيفة شاغرة الأشهر العديدة ، ولم يول قاضياً ولا شيخاً بمال قط .

[وفاة المستنجد بالله]

وكان الظاهر خشقدم أول ما قُلِّد قَدِم نائبُ الشام جانم لموافقةٍ كانت بينه وبين

---

(١) انظر ترجمته في : « مورد اللطافة » (١/٢٦٦) ، و« الضوء اللامع » (١٠/٣٢٩) ، و« شذرات الذهب » (٧/٣٣٨) .

العسكر في سلطنته ، فأمر الظاهر حين بلغه قدومه بطلوع الخليفة والقضاة الأربعة والعسكر إلى القلعة ، وأرسل إلىٰ نائب الشام يأمره بالانصراف ، فانصرف بعد شروط شرطها .

وعاد القضاة والعسكر إلىٰ منازلهم ، واستمر الخليفة ساكناً بالقلعة ، ولم يمكِّنه الظاهر من عوده إلىٰ سكنه المعتاد ، فاستمر بها إلىٰ أن مات يوم السبت رابع عشري المحرم ، سنة أربع وثمانين وثمان مئة ، بعد تمرضه نحو عامين بالفالج ، وصلي عليه بالقلعة ، ثم أنزل إلىٰ مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسي ، وقد بلغ التسعين أو جاوزها[1] .

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (١٠/٣٢٩ـ ٣٣٠) .

خلافة المتوكل على الله

[٨٨٤ـ٩٠٣هـ][1]

أبو العز ، عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله ، ولد سنة تسع عشرة وثمان مئة ، وأمه : بنت جندي ، اسمها : حاج ملك ، ولم يلِ والده الخلافة .

ونشأ معظَّماً مشاراً إليه ، محبوباً للخاصة والعامة ؛ لخصاله الجميلة ، ومناقبه الحميدة ، وتواضعه وحسن سمته ، وبشاشته لكل أحد وكثرة أدبه ، وله اشتغال بالعلم ، قرأ علىٰ والدي وغيره ، وزوَّجه عمه المستكفي بابنته ، فأولدها ولداً صالحاً ، فهو هاشمي بين هاشميين .

ولما طال مرض عمه المستنجد . . عهد إليه بالخلافة ، فلما مات . . بويع بها ، يوم الاثنين ، سادس عشري المحرم بحضرة السلطان والقضاة والأعيان ، وكان أراد أولاً التلقيب بالمستعين بالله ، ثم وقع التردد بين المستعين والمتوكل ، واستقر الأمر علىٰ : المتوكل .

ثم ركب من القلعة إلىٰ منزله المعتاد والقضاة والمباشرون والأعيان بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم عاد من آخر يومه إلى القلعة حيث كان المستنجد ساكناً بها .

ففي هـٰذه السنة : سافر السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز برسم الحج ، وذلك أمْرٌ لم يُعهد لملكٍ من أكثر من مئة سنة ، فبدأ بزيارة المدينة الشريفة ، وفرق بها ستة آلاف دينار ، ثم قدم مكة وفرق بها خمسة آلاف دينار ، وقرر بمدرسته التي أنشأها بمكة شيخاً وصوفية ، وحج وعاد ، وزينت البلد لقدومه أياماً[2] .

---

(١) انظر ترجمته في : « الضوء اللامع » (٤/ ٢٣٦) .
(٢) انظر « سمط النجوم العوالي » (٤/ ٥٦) .

[كسر عسكر مصر وموت الدوادار]

وفي سنة خمس وثمانين وثمان مئة : خرج عسكر من مصر عليهم الدوادار يشبك إلىٰ جهة العراق ، فالتقوا مع عسكر يعقوب شاه بن حسن بقرب الرُّها ، فكُسر المصريون وقُتل منهم من قتل وأُسِر الباقون ، وأُسر الدوادار وضُربت عنقه ؛ وذلك في النصف الثاني من[1] رمضان .

والعجب : أن الدوادار هٰذا كان بينه وبين قاضي الحنفية شمس الدين الأمشاطي وقعة كبيرة ، وكل منهما يود زوال الآخر ، فكان قتل الدوادار بشاطىء الفرات وموت الأمشاطي بمصر في يوم واحد !!

وفي سنة ست وثمانين وثمان مئة : زلزلت الأرض يوم الأحد بعد العصر ، سابع عشر المحرم زلزلة صعبة ماجت منها الأرض والجبال والأبنية موجاً ، ودامت لحظة لطيفة ، ثم سكنت ، فالحمد لله علىٰ سكونها ، وسقط بسببها شرافة من المدرسة الصالحية علىٰ قاضي القضاة الحنفي شرف الدين بن عيد فمات ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[2] .

وفي هٰذه السنة في ربيع الأول : قدم إلىٰ مصر من الهند رجل يسمىٰ خاكي ، زعم أن عمره مئتان وخمسون سنة ، فاجتمعت به ؛ فإذا هو رجل قوي لحيته كلها سوداء ، لا يجوِّز العقل أن عمره سبعون سنة ، فضلاً عن أكثر من ذلك ، ولم يأت بحجة علىٰ ما يدعيه ، والذي أقطع به أنه كذاب .

ومما سمعته منه أنه قال : إنه حج وعمره ثمان عشرة سنة ، ثم رجع إلى الهند ، فسمع بذهاب التتار إلىٰ بغداد ليأخذوها ، وأنه قدم إلىٰ مصر زمن السلطان حسن قبل أن يبني مدرسته ، ولم يذكر شيئاً يستوضح به علىٰ قوله .

وفيها : ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان ملك الروم ، وأن ولديه

---

(١) في (أ ، ب ، ج) : (سابع عشر) .
(٢) انظر « مفاكهة الخلان » (١/ ٣٤) .

اقتتلا على الملك فغلب أحدهما واستقر في المملكة ، وقدم الآخر إلىٰ مصر ، فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأنزله ، ثم توجه من الشام إلى الحجاز برسم الحج .

وفي شوال : قدمت كتب من المدينة الشريفة تتضمن : أن في ليلة ثالث عشر رمضان نزلت صاعقة من السماء على المئذنة فأحرقتها ، وأحرقت سقوف المسجد الشريف وما فيه من خزائن وكتب ، ولم يبق سوى الجدران ، وكان أمراً مهولاً[1] .

مات المتوكل يوم الأربعاء ، سلخ المحرم ، **سنة ثلاث وتسع مئة** ، وعهد بالخلافة لابنه **يعقوب** ، ولقبه : **المستمسك بالله** .

---

(١) انظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (٣/ ٤٩٥) .

[ذكر المؤلف المصادر التي اعتمدها]

وهـٰذا آخر ما تيسر جمعه في هـٰذا التاريخ ، وقد اعتمدت في الحوادث علىٰ « تاريخ الذهبي » وانتهىٰ إلىٰ سنة سبع مئة ، ثم علىٰ « تاريخ ابن كثير » وانتهىٰ إلىٰ سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، ثم على « المسالك » وذيله إلىٰ سنة ثلاث وسبعين ، ثم علىٰ « إنباء الغمر » لابن حجر إلىٰ سنة خمسين وثمان مئة .

وأما غير الحوادث . . فطالعت عليه « تاريخ بغداد » للخطيب عشر مجلدات ، و« تاريخ دمشق » لابن عساكر سبعة وخمسون مجلداً ، و« الأوراق » للصولي سبع مجلدات ، و« الطيوريات » ثلاث مجلدات ، و« الحلية » لأبي نعيم تسع مجلدات ، و« المجالسة » للدينوري ، و« الكامل » للمبرد مجلدان ، و« أمالي ثعلب » مجلد ، وغير ذلك .

[قصيدة للمؤلف في أسماء الخلفاء ووفياتهم]

وقد عمل بعض الأقدمين أرجوزة في أسماء الخلفاء ووفياتهم ، انتهىٰ فيها إلىٰ أيام المعتمد ، وقد عملت قصيدة أحسن منها ، ورأيت أن أختم بها هـٰذا الكتاب وهي هـٰذه :

[من البسيط]

الحمـدُ لله حمـداً لا نَفـادَ لـه ... وإنَّما الحمدُ حقّاً رأسُ مَن شكَرَا
ثم الصَّلاةُ على الهَادي النبيِّ ومَن ... سـادَتْ بِنِسْبته الأشـرافُ والكُبَـرَا
إنَّ الأميـنَ رسـولَ الله مبعثُـه ... لأربعيـنَ مَضَـت فيمـا رَوَوا عُمُـرَا
وكـانَ هجـرتُـه منهـا لطَيْبَتِـه ... بعـدَ الثلاثـةِ أَعـوامـاً تَلـي عشَـرَا
وماتَ في عامِ إحدَىٰ بعدَ عَشْرتها ... فيا مُصيبةَ أهلِ الأرضِ حين سَرَىٰ
وقامَ من بعدِه الصِّديقُ مُجتهداً ... وفـي ثـلاثـةَ عشـرَ بعـدَه قُبـرَا
وهو الذي جمَعَ القرآنَ في صُحُفٍ ... وأَوَّل الناسِ سمَّى المُصحفَ الزُّبُرَا
وقامَ من بعدِه الفاروقُ ثمَّت في ... عشـريـن بعـد ثـلاث غَيَّبـوا عُمَـرَا
وهو الذي اتَّخذ الديوانَ وافترَضَ الـ ... ـعطاءَ قيل وبيتَ المالِ والدُّرَرا
سنَّ التراويحَ والتاريخَ وافتَتَح الـ ... ـفتوح جمّاً وزادَ الحدَّ مَن سَكِرَا
وهو المُسمَّىٰ أميرَ المؤمنين ولَم ... يُـدْعَ بـه قبلَـه شخـصٌ مـن الأُمَـرَا
وقـامَ عثمـانُ حتـىٰ جـاءَ مَقتلُـه ... بعدَ الثلاثين في ستٍّ وقد حُصِرَا
وهو الذي زادَ في التأذينِ أوَّلَه ... في جمعةٍ وبه رِزقُ الأذانِ جَرَىٰ
وأوَّل الناسِ ولَّىٰ صَحْب شُرطَتِه ... حمَى الحِمَىٰ أقطعَ الإقطاعَ أي كثُرَا
وبعـدُ قـامَ علـيٌّ ثـم مَقتلُـه ... لأربعيـنَ فمَـن أَوْداه قـد خَسِـرَا
ثم ابنُه السِّبْط نصفَ العامِ ثم أتَىٰ ... بنـو أميَّـة يبغـون الـوَغَـىٰ زُمَـرَا
فسلَّـم الأمـرَ فـي إحـدىٰ لـرَغبَتِـه ... عن دارِ دنيا بلا ضَيرٍ ولا ضَرَرَا
وكـان أوَّل ذي ملـكٍ معـاويـةٌ ... في النِّصف من عامِ ستينَ الحِمامُ عَرَا
وهو الذي اتَّخذ الخِصيانَ من خَدَمٍ ... كذا البريدُ ولم يَسبقه من أَمَرَا

واستخْلَفَ الناسَ لمَّا أن يُبايعهم   والعهدَ قبلَ وفاةٍ لابنه ابْتكَرا
ثم اليزيدُ ابنُه أَخبثْ به ولَداً   في أربعٍ بعدَها ستون قد قُبِرَا
وابنُ الزُّبيرِ وفي سَبعين مقتَلُه   بعدَ الثلاثِ وكَم بالبيتِ قد حُصِرَا
وفي ثمانين مع ستٍّ تَليه قَضَىٰ   عبدُ المليك له الأَمر الذي اشْتُهِرَا
ضرب الدَّنانير في الإسلام مُعْلَمَةً   وكسوةُ الكعبةِ الدِّيباج مُؤتَجِرَا
وهو الذي مَنعَ الناسَ التَّراجُعَ في   وجهِ الخليفةِ مَهما قال أو أَمَرَا
وأوَّل الناسِ هٰذا الاسمَ سُمِّيَه   وأوَّل الناسِ في الإسلامِ قد غَدَرَا
ثم الوليدُ ابنُه في قبلِ ما رَجبٍ   في الستِّ من بعد تسعين انقضَىٰ عُمُرَا
وهو الذي مَنَعَ الناسَ النِّداءَ له   باسمٍ وكانت تُنادىٰ باسمِها الأُمَرَا
وقامَ بعدُ سليمانُ الخيارُ وفي   تسعٍ وتسعين جاءَ الموتُ في صَفَرَا
وبعدَه عمرٌ ذاكَ النَّجيبُ وفي   إحدَىٰ تلي مئةً قد أَلحَدُوا عُمَرَا
وهو الذي أمَرَ الزهريَّ خوفَ ذَها   بِ العِلْم أن يجمعَ الأَخبارَ والأَثَرَا
ثم اليزيدُ وفي خمسٍ قَضَىٰ وَتَلا   هشامُ في الخمسِ والعشرين قد سُطِرَا
ثم الوليدُ وبعدَ العامِ مقتَلُه   من بعدِ ما جاءَ بالفسقِ الذي شُهِرَا
ثم اليزيدُ وفي ذا العام ماتَ وقد   أقامَ ستَّ شهورٍ مثلَ ما أُثِرَا
وبعدَه قامَ إبراهيمُ ثم مَضَىٰ   بالخلع سبعين يوماً قد أقامَ ترَىٰ
وبعدَه قامَ مروانُ الحِمارُ وفي   ثنتينِ بعدَ ثلاثين الدماءُ جَرَىٰ
وقامَ من بعدِهِ السَّفاحُ ثم قَضَىٰ   بعدَ الثلاثين في ستٍّ وقد جُدِرَا
وقامَ من بعدِهِ المنصورُ ثمَّتَ في   خمسينَ بعدَ ثمانٍ مُحرِماً قُبِرَا
وهو الذي خصَّ أعمالاً مَواليَه   وأهمَلَ العُرْب حتىٰ أمرُهم دَثَرَا
ثم ابنُه وهو المهديُّ ماتَ لَدَىٰ   تسع وستين مَسموماً كما ذُكِرَا
ثم ابنُه وهُو الهادي ومَوتَتُه   في عامِ سبعين لمَّا همَّ أن غَدَرَا
ثم الرَّشيدُ وفي تسعينَ تاليةً   ثلاثةً ماتَ في الغزوِ الرَّفيع ذَرَا
ثم الأمينُ وفي تسعينَ تاليةً   ثمانياً جاءَه قتلٌ كما قُدِرَا
وقامَ من بعدِهِ المأمونُ ثمَّت في   ثمانِ عشرةَ كانَ الموتُ فاعتَبَرَا
وقامَ معتصمٌ من بعدِهِ وقَضَىٰ   في عامِ سبعٍ وعشرين الذي أُثِرَا

وهو الذي أدخلَ الأتراكَ مُنفرداً ... ديـوانَـه واقتَنَـاهـم جَـالِبـاً وشَـرَا
ثم ابنُه الواثقُ المَالِي الوَرَىٰ رُعُباً ... وفـي ثـلاثيـن مـع ثنتيـنِ قـد غَبـرَا
وذو التَّوكُّل ما أَزْكاه من خَلَفٍ ... ومُظهـرُ السنـةِ الغـرَّاءِ إذ نَصَـرَا
في عامِ سبعٍ يَليها أربعون قَضَىٰ ... قتـلاً حَبَاه ابنـهُ المَـدعـو مُنتَصِـرَا
فلـم يَقُـم بعـدَهَ إلا اليسيـرَ كَمـا ... قـد سنَّـه الله فيمَـن بعضَـه غـدَرَا
والمستعينُ وفي عام اثنتين تَلِي ... خمسيـن خلـعٌ وقَتـلٌ جـاءَه زُمَـرَا
وهو الذي أحدَث الأكمامَ واسعَةً ... وفي القلانِسِ عن طولٍ أَتَىٰ قِصَرَا
وقامَ من بعدِهِ المُعتزُّ ثمَّت في ... خمس وخمسين قفَّىٰ قتلُه أُثِـرَا
والمهتدي الصالحُ الميمون مَقتلُه ... من بعدِ عامٍ وقفَّي بعدَه[1] عُمُرَا
وقـامَ مـن بعـدِهِ بـالأَمـرِ معتمِـدٌ ... في عام تسعٍ وسبعين الحِمامُ عَرَا
وذاكَ أوَّل ذي أمـرٍ لـه حَجَـروا ... وأوَّل النـاسِ مَـوكُـولاً بـه قُهـرَا
وقـامَ مـن بعـدِهِ بـالأمـرِ مُعتضِـدٌ ... وفي ثمانين مع تسعٍ مَضَت قُبِرَا
ثـم ابنُـه المُكتفي بـالله أُلحِدَ في ... خمس وتسعين سُبحانَ الذي قَدَرَا
في عامِ عشرينَ في شوالِ بعدَ مئي ... ثـلاثـةٍ مَقتـلُ المـدعـوِّ مُقتـدِرَا
وبعـدَه القـاهـر الجبَّـارُ مَخلَعُـه ... في اثنين من بعدِ عشرين وقد سُمِرَا
وقامَ من بعده الرَّاضي وماتَ لَدَىٰ ... تسعٍ وعشرين وانْسُب عنده أُخَرَا
والمتَّقي ومَضَىٰ بالخلعِ مُنْسَمِلاً ... من بعدِ أربعةِ الأَعوامِ في صَفَرَا
وقـامَ بـالأمـرِ مُستكفيهـمُ وقَفَـا ... مـن بعـدِ عـامٍ لأمـرِ المُتقي أَثَـرَا
ثـم المطيـعُ وفـي ستيـنَ يَتبعُهـا ... ثـلاثـةٌ فـي أَخيـرِ العـام قـد عَبَـرَا
ثـم ابنُـه الطـائـعُ المقهورُ مَخلَعُـه ... عامَ الثمانين مع إحدَىٰ كما أُثِرَا
ثـم الإمـامُ أبـو العبَّـاسِ قـادِرُهـم ... في اثنين من بعدِ عشرين مَضَت قُبِرَا
ثـم ابنُـه قـائـمٌ بـالله مـاتَ لَـدَىٰ ... سبعٍ وستين من شعبان قد سُطِرَا
والمقتدي ماتَ في سبعٍ بأَوَّلِها ... بعدَ الثمانين جدَّ المُلكُ واقتَدَرَا
وقـامَ مـن بعـدِه مستظهِرٌ وقَضَـىٰ ... في سادسِ القَرنِ في اثنين تَلي عَشَرَا

---

(١) في (أ ، ط) و« سمط النجوم العوالي » (٣/ ٥٣٥) : (قبله) .

وقامَ من بعدِهِ مُسترشدٌ ولَدَىٰ   تسعٍ وعشرين فيه القَتلُ حلَّ عُرَا

ثم ابنُه الرَّاشدُ المقهورُ مَخلَعُه   من بعدِ عامٍ فلا عينٌ ولا أثَرَا

والمُقتفي ماتَ من بعدِ التَّمكُّن في   خمسٍ وخمسينَ وانْقامَت له النُّصَرَا

وقامَ من بعدِهِ مستنجدٌ وقَضَىٰ   من بعدِ ستين في ستٍّ وقد شَعَرَا

والمستضيءُ بأمرِ الله ماتَ لَدَىٰ   خمسٍ وسبعين بالإحسانِ قد بَهَرَا

وقامَ من بعدِهِ بالأمرِ ناصرُهم   وماتَ في اثنينِ مع عشرين إذ كَبِرَا

وقامَ من بعدِهِ بالأمرِ ظاهِرُهم   تسعاً شهوراً فأقْلِل مدَّة قِصَرَا

وقامَ من بعدِهِ مُستنصرٌ وقَضَىٰ   لأربعينَ وكَم يَرثيه من شُعَرا

وقامَ من بعدِهِ مُستعصمٌ ولَدَىٰ   ستٍّ وخمسين كانَ الفتنةُ الكُبَرا

جاءَ التَّتارُ فأودَوه وبلدَتَه   فيلعَنُ الله والمخلوقةُ التَّتَرَا

مرَّت ثلاثُ سنينَ بعدَهُ ويَلي   نصف ودهرُ الوَرَىٰ من قائمٍ شَغَرَا

وقامَ من بعدِ ذا مستنصرٌ وثَوَىٰ   في آخرِ العامِ قَتلاً منهمُ وسَرَىٰ

أقامَ ستَّ شهورٍ ثم راحَ لَدَىٰ   مُهَلِّ ستين لم يَبلُغ به وطَرَا

وقامَ من بعدِهِ في مصرَ حاكمُهم   علىٰ وَهىً لا كَمَن مِن قبلهِ غَبَرَا

وماتَ في عامِ إحدَىٰ بعد سبعِ مئي   وقامَ من بعدُ مُستكفيهمُ وجَرَىٰ

في أربعين قَضَىٰ إذ قام واثقُهم   ففي اثنتينِ مَضَىٰ خَلعاً من الأُمَرَا

وقامَ حاكِمُهم من بعدِه وقَضَىٰ   عامَ الثلاث مع الخمسين مُعتَبَرَا

وقامَ من بعدِهِ بالأمرِ معتضدٌ   وفي الثلاثةِ والستين قد غَبَرَا

وذو التوكُّلِ يَتلوه أقامَ إلىٰ   بعدَ الثمانين في خمسٍ وقد حُصِرَا

وبايَعوا واثقاً بالله ثمَّت في   عامِ الثمان قَضَىٰ وسمِّه عُمَرَا

وبايَعوا بعدَه بالله مُعتصماً   لعامِ إحدَىٰ وتسعين أُزيل وَرَا

وذو التوكُّلِ رَدُّوه أقامَ إلىٰ   ذا القَرن عامَ ثمانٍ منه قد قُبِرَا

في عهدهِ زِيدَ من بعدِ الأذانِ علىٰ   خيرِ النبيينَ تسليمٌ كما أَمَرَا

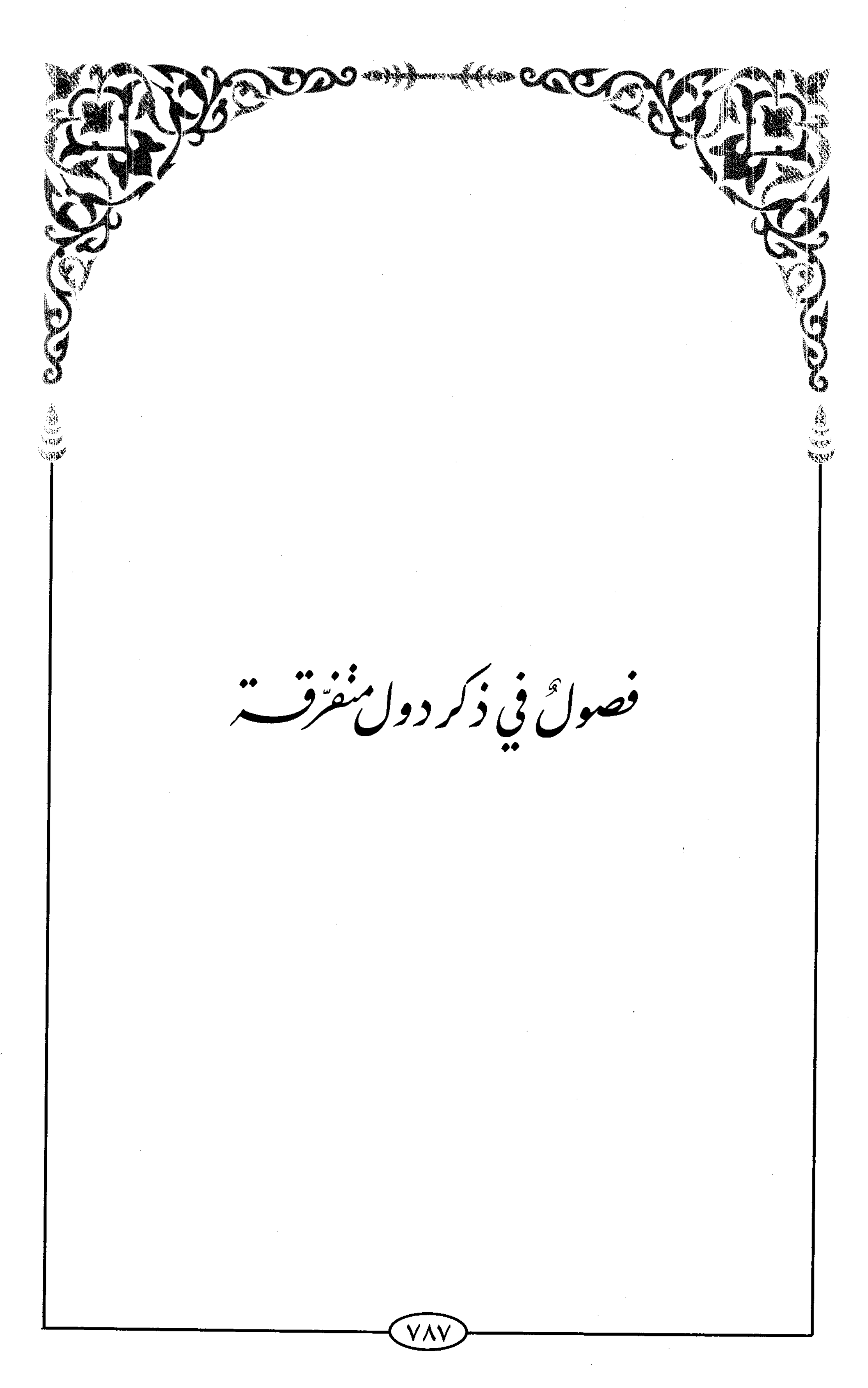
وأحدَثَ السِّمَةَ الخضراءَ للشُّرَفا   يا حُسنها من سِمَاتٍ بُوركت خُضُرَا

أَولادُه منهمُ خمسٌ مبجَّلَةٌ   جاؤوا الخلافةَ إذ كانَت لهم قَدَرَا

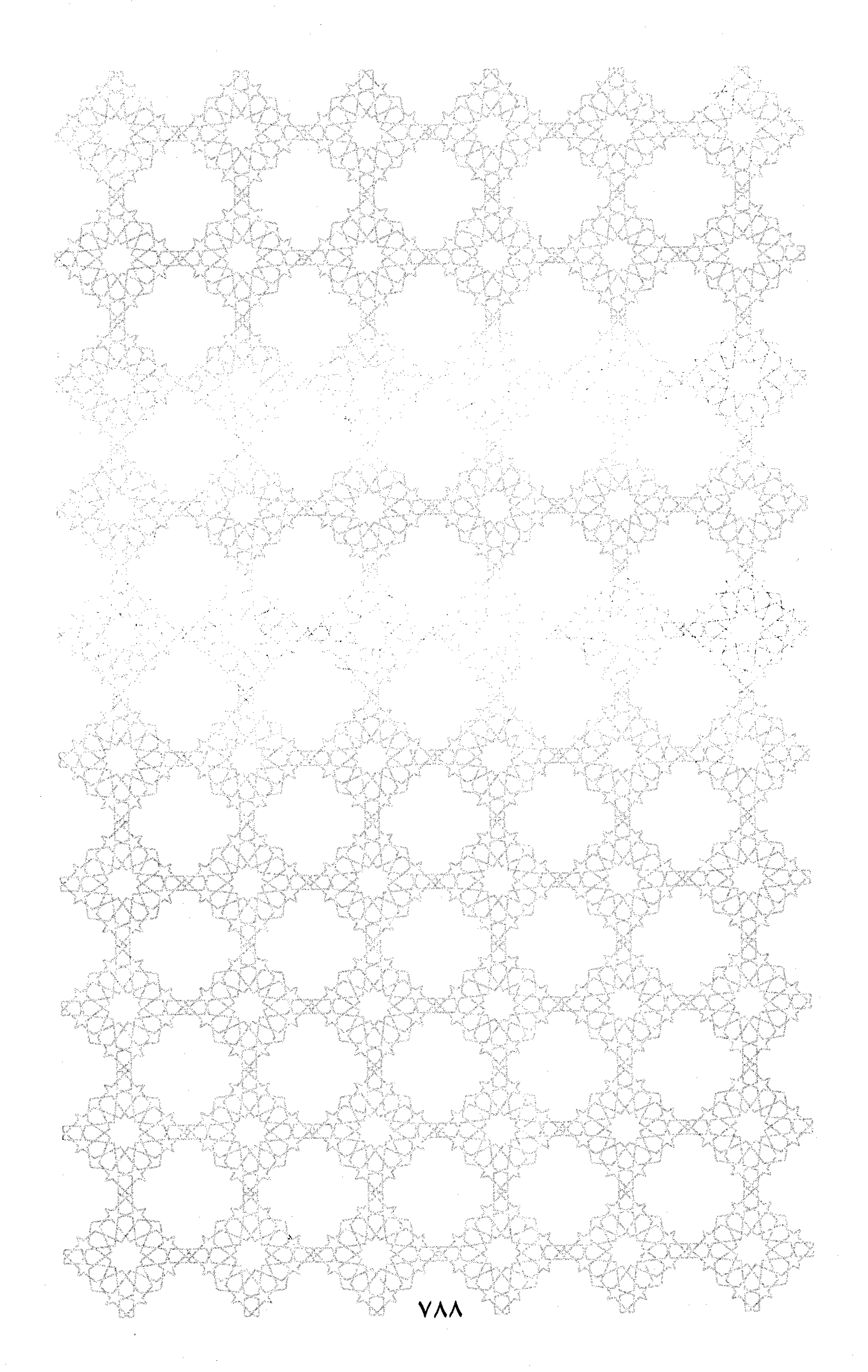
فالمستعينُ وآلَ الأمرُ أن خَلَعوا[1] في شهرِ شعبانَ في خمسٍ تلي عَشَرَا
وقامَ من بعدِه بالأمرِ معتضدٌ لأربعينَ تليها الخمسةُ احتُضِرَا
وقامَ بالأمرِ مُستكفيهمُ وقضىٰ في عامِ الاربعِ والخمسينَ مُصطَبِرَا
وقام قائمُهم من بعدِ ثمَّت في تسعٍ وخمسين بعدَ الخلع قد حُصِرَا
وقام من بعدِهِ مستنجدٌ دَهَراً خليفةُ العصرِ رقَّاه الإلٰهُ ذُرَا
وليسَ يُعرف في الأعصارِ قَبلَهُمُ خمسٌ ولوا إخوةٌ بَل أربعٌ أُمَرَا
ولا شقيقانِ إلاَّ غيرَ خامِسِهم كذا الرَّشيدُ مع الهادي كما ذُكِرَا
كذا سُليمان من بعدِ الوليدِ كَذا نَجلاَ الوليدِ يزيدُ والذي أُثِرَا
وما تكرَّر في بغدادَ من لَقَبٍ ولا تَلا ابنَ أخٍ عمٌّ خلا نفَرَا
اثنان فالمُقتفي عن راشدٍ وكذا مستنصرٌ بعد مقتولِ التَّتار عَرَا
أولئكَ القومُ أربابُ الخلافةِ خُذ سبعين من غيرِ نَقصٍ عدُّها حُصِرَا
من الصحابةِ سبعٌ كالنجومِ ومِن بني أميَّة إثنان تَلي عَشَرَا
ولم أعدَّ أبا عبد المليكِ فذا باغٍ كما قالَه من وَرَّخ السِّيَرَا
وعدَّة من بني العبَّاس شَامِخَةٌ إحدىٰ وخمسون لا قلَّتْ لهم نُصَرَا
تَبقى الخلافةُ فيهم كي يُسلِّمها الـ مهديُّ منهم إلىٰ عيسَىٰ كما أُثِرَا
وبعدَ نَظْميَ هٰذا النَّظمَ في مُدِدٍ قَضَىٰ خليفتُنا المذكورُ مُصطَبِرَا
في عامِ الأربعِ في شهر المحرَّم من بعدِ الثمانين يومَ السبتِ قد قُبِرَا
وبويعَ ابنُ أَخيه بعدَه ودُعِي بذي التوكُّلِ كالجدِّ الذي شُهِرَا
ولم يسمَّ إمامٌ في الأُلَىٰ سَبقوا عبدَ العزيز سِواه فاسمَه ابْتَكَرَا
فالله يُبقيه ذا عزٍّ ويَحفظُه ويجعلُ الملكَ في أَعقابهِ زُمَرَا
وماتَ عام ثلاثٍ بعدَ تسعِ مئي سَلْخ المحرَّم عن عهدٍ له سُطِرَا
لنجلِه البرِّ يعقوبَ الشَّريفِ وقد لقِّب مُستمسكاً بالله في صَفَرا

---

(١) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : (خُلِعا) ، والله أعلم .



فصولٌ في ذكر دول متفرّقة



فَصْلٌ

في الدولة الأموية القائمة بالأندلس

[١٣٨ـ ٤٢٧هـ]

أولهم : عبد الرحمـٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، بويع بالخلافة لما دخل الأندلس هارباً ؛ وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومئة ، وكان من أهل العلم والعدل ، مات سنة سبعين ومئة ، في ربيع الآخر[١] .

وقام بعده ابنه هشام أبو الوليد ، ومات في شهر صفر ، سنة ثمانين ومئة[٢] .

وقام بعده ابنه الحكم أبو المظفر[٣] ، الملقب : بالمرتضىٰ ، ومات في ذي الحجة ، سنة ست ومئتين .

وقام بعده ابنه عبد الرحمـٰن ، وهو أول من فخَّم الملك بالأندلس من الأموية ، وكساه أبهة الجلالة ، وفي أيامه أحدث بالأندلس لبس الطرز ، وضرب الدراهم ، ولم يكن فيها دار ضرب منذ فتحها العرب ، وإنما كانوا يتعاملون بما يُحمل إليهم من دراهم أهل المشرق .

وكان يشبَّه بالوليد بن عبد الملك في جبروتيته ، وبالمأمون العباسي في طلب الكتب الفلسفية ، وهو أول من أدخل الفلسفة الأندلس ، مات سنة تسع وثلاثين ومئتين[٤] .

وقام بعده ابنه محمد ، مات في صفر ، سنة ثلاث وسبعين ومئتين[٥] .

وقام بعده ابنه المنذر ، ومات في صفر ، سنة خمس وسبعين[٦] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١١/ ٢٣٩) ، وفيه : (أنه توفي سنة « ١٧٢هـ ») .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (١١/ ٣٩٠) .
(٣) في (أ ، هـ) : (أبو المطرف) ، والصواب : أن الحكم يكنىٰ أبا العاص ؛ كما في « تاريخ الإسلام » (١٤/ ١٢٤) ، وأبو المطرف : هو ولده الآتي بعده .
(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٢٣٨ـ ٢٣٩) ، وفيه : (أنه مات سنة « ٢٣٨هـ ») .
(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٤٥١) .
(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٤٧٦) .

وقام أخوه عبد الله ؛ وهو أصلح خلفاء الأندلس علماً وديناً ، مات في ربيع الأول ، سنة ثلاث مئة[1] .

وقام حفيده عبد الرحمـٰن بن محمد الملقب : بالناصر ؛ وهو أول من تسمىٰ بالأندلس : بالخلافة وبأمير المؤمنين ؛ وذلك لما وهت الدولة العباسية في أيام المقتدر ، وكان الذين قبله إنما يتسمون بالأمير فقط ، مات في رمضان ، سنة خمسين وثلاث مئة[2] .

وقام ابنه الحكم المستنصر ، ومات في صفر ، سنة ست وستين[3] .

وقام ابنه هشام المؤيد ، ثم خلع وحبس ، سنة تسع وتسعين[4] .

وقام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر عبد الرحمـٰن ، ولقب : المهدي ستة عشر شهراً ، ثم خرج عليه ابن أخيه هشام بن سليمان بن الناصر عبد الرحمـٰن ، وبويع ، وتلقب : بالرشيد ، فحاربه عمه وقتله ، واتفق الناس علىٰ خلع عمه ، فاختفىٰ ثم قتل[5] .

وبايعوا ابن أخي هشام المقتول سليمان بن الحكم المستنصر ، ولقب : بالمستعين ، ثم قاتلوه ، وأسر سنة ست وأربع مئة[6] .

وقام عبد الرحمـٰن بن عبد الملك بن الناصر ، ولقب : المرتضىٰ ، وقُتل في آخر العام .

ثم وَهَت الدولة الأموية[7] ، وقامت الدولة العلوية الحسنية .

***

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢/ ١٨٤) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ٤٤٣) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٣٥٨) .
(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ١٢٣) .
(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٣٨٨) ، وذلك سنة (٤٠٠هـ) .
(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٥٨) ، وفيه : (أنه مات سنة « ٤٠٧هـ ») .
(٧) انظر خبره في « نفح الطيب » (١/ ٤٨٤) .

الدّولة العَلويّة الحَسنيّة بالأندلس

[٤٠٧-٤١٣هـ]

فولي الناصر علي بن حَمُّود في المحرم ، سنة سبع وأربع مئة ، ثم قُتل في ذي القعدة ، سنة ثمان وأربع مئة[(١)] .

وقام أخوه المأمون القاسم ، وخُلع سنة إحدىٰ عشرة[(٢)] .

وقام ابن أخيه يحيىٰ بن الناصر علي بن حَمُّود ، ولقب : المُعْتَلي ، وقُتل بعد سنة وسبعة أشهر[(٣)] .

ثم عادت الدولة الأموية ؛ فولي المستظهر عبد الرحمـٰن بن هشام بن عبد الجبار ، ثم قُتل بعد خمسين يوماً[(٤)] .

وقام محمد بن عبد الرحمـٰن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمـٰن ، ولقب : المستكفي ، وخُلع بعد سنة وأربعة أشهر[(٥)] .

وقام هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمـٰن ، ولقب : المعتمد ، فأقام مدة ، ثم خلع وسجن إلىٰ أن مات في صفر ، سنة [سبع وعشرين][(٦)] وأربع مئة .

وماتت بموته الدولة الأموية بالأندلس .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٧٦) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٣٤٩) ، وكانت وفاته سنة (٤٣١هـ) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٢٠٦) ، وكانت وفاته سنة (٤٢٧هـ) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٣٤٨) ، وكانت وفاته سنة (٤١٤هـ) .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٣٩٣) ، وكانت وفاته سنة (٤١٥هـ) .

(٦) ما بين معقوفين في النسخ بياض ، وفي المطبوع : (ثمان وعشرين) ، والمثبت من « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٢٠٥) .

فصل
في الدولة الخبيثة العبيدية

[٢٩٦ـ٤٦٧هـ]

أول من قام منهم بالمغرب : المهدي عبيد الله ، سنة ست وتسعين ومئتين ، ومات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة[١] .

وقام ابنه القائم بأمر الله محمد ، ومات سنة ثلاث وثلاثين[٢] .

وقام ابنه المنصور إسماعيل ، ومات سنة إحدىٰ وأربعين[٣] .

وقام ابنه المعز لدين الله معَدّ ، ودخل القاهرة سنة اثنتين وستين ، ومات سنة خمس وستين[٤] .

وقام ابنه العزيز نزار ، ومات سنة ست وثمانين[٥] .

وقام ابنه الحاكم بأمر الله منصور ، وقتل في سنة إحدىٰ عشرة وأربع مئة[٦] .

وقام ابنه الظاهر لإعزاز دين الله علي ، ومات سنة ثمان وعشرين[٧] .

وقام ابنه المستنصر معدّ ، ومات سنة سبع وثمانين ، فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر[٨] .

قال الذهبي : (ولا أعلم أحداً في الإسلام لا خليفة ولا سلطاناً أقام هٰذه المدة)[٩] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ١٠٨) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ١١٤) ، ولقبه : نزار ؛ وفيه : (أن موته كان سنة « ٣٣٤هـ ») .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ٢٤١) .
(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٣٤٨) .
(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٢٩) .
(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٢٨٣) .
(٧) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ١٩٧) ؛ وفيه : (أنه مات سنة « ٤٢٧هـ ») .
(٨) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ٢٢٧) .
(٩) تاريخ الإسلام (٣٠/ ٢٢٨) .

وقام ابنه المستعلي أحمد ، ومات سنة خمس وتسعين[1] .

وقام ابنه الآمر بأحكام الله منصور ، وقتل في سنة أربع وعشرين وخمس مئة[2] .

وقام ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ومات سنة أربع وأربعين[3] .

وقام ابنه الظافر بالله إسماعيل ، وقتل سنة تسع وأربعين[4] .

وقام ابنه الفائز بنصر الله عيسىٰ ، ومات سنة خمس وخمسين[5] .

وقام العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ، وخلع سنة سبع وستين ، ومات بها ، وأقيمت الدعوة العباسية بمصر ، وانقرضت الدولة العبيدية[6] .

قال الذهبي : (فكانوا أربعة عشر متخلفاً لا مستخلفاً)[7] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤/ ٢٠٩) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٦/ ١٢٣) .
(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٧/ ١٩٣) .
(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٧/ ٣٥٦) .
(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٨/ ١٦٥) .
(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩/ ٢٧٣) .
(٧) تاريخ الإسلام (٣٩/ ٢٧٥) .

فصل
في دولة بني طباطبا العلوية الحسنية
[١٩٩ـ ٣٤٤هـ]

قام منهم بالكوفة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا ، في جمادى الأولىٰ ، سنة تسع وتسعين ومئة[١] .

وقام باليمن في هٰذا العصر الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طَبَاطَبَا ، ودعي له بإمرة المؤمنين ، ومات في ذي الحجة ، سنة ثمان ومئتين[٢] .

وقام ابنه المرتضىٰ محمد ، ومات سنة عشرين وثلاث مئة[٣] .

وقام أخوه الناصر أحمد ، ومات في صفر ، سنة ثلاث وعشرين[٤] .

وقام ابنه المنتجب الحسين ، ومات سنة تسع وعشرين[٥] .

وقام أخوه المختار القاسم ، وقتل في شوال ، سنة أربع وأربعين[٦] .

وقام أخوه الهادي محمد ، ثم الرشيد العباس ، ثم انقرضت دولتهم[٧] .

---

(١) انظر « المسالك » (٢٤/ ٣٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/ ٧٠) ومات في هٰذه السنة .
(٢) المسالك (٢٤/ ٣٩) ، ووفاته في « تاريخ الإسلام » (٢٢/ ٣٢١) سنة (٢٩٨هـ) .
(٣) المسالك (٢٤/ ٤٠) .
(٤) المسالك (٢٤/ ٤١) .
(٥) المسالك (٢٤/ ٤٢) .
(٦) المسالك (٢٤/ ٤٢) .
(٧) المسالك (٢٤/ ٤٢) .

فصل

في الدولة الطبرستانية

تداولها ستة رجال : ثلاثة من بني الحسن ، ثم ثلاثة من بني الحسين :

فقام الداعي إلى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد الجواد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمسين ومئتين بالري والديلم[1] .

ثم قام أخوه القائم بالحق محمد ، وقتل سنة ثمان وثمانين[2] .

فقام حفيده المهدي الحسن بن زيد بن القائم بالحق[3] .

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ٧٧) ، وكانت وفاته سنة (٢٧٠هـ) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٢٦٠) .

(٣) في (أ ، ب ، ج) بعدها : (وقام بعده) ثم بياض .

فصل
في فتن الممات

فائدة
[في الحوادث التي وقعت في رأس كل مئة]

قال ابن أبي حاتم في « تفسيره » : حدثنا يحيى بن عَبْدَك القزويني ، حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا المبارك بن فَضالة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ، عن العُرْيان بن الهيثم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : (**ما كان منذ كانت الدنيا رأس مئة سنة . . إلا كان عند رأس المئة أمر**)[1] .

قلت : كان عند رأس **المئة الأولىٰ من هـٰذه الملة** : فتنة الحجاج ، وما أدراك ما الحجاج ؟!

وفي المئة الثانية : فتنة المأمون وحروبه مع أخيه حتىٰ درست محاسن بغداد وباد أهلها ، ثم قتله إياه شر قتلة ، ثم امتحانه الناس بخلق القرآن ؛ وهي أعظم الفتن في هـٰذه الأمة ، وأولها بالنسبة إلى الدعاء إلى البدعة ، ولم يدع خليفة قبله إلىٰ شي من البدع .

وفي المئة الثالثة : خروج القرمطي وناهيك به ، ثم فتنة المقتدر لما خلع وبويع ابن المعتز وأعيد المقتدر ثاني يوم وذبح القاضي وخلقاً من العلماء ، **ولم يقتل قاض قبله في ملة الإسلام** ، ثم فتنة تفرق الكلمة وتغلب المتغلبين على البلاد ، واستمر ذلك إلى الآن .

ومن جملة ذلك : ابتداء الدولة العبيدية وناهيك بهم إفساداً وكفراً وقتلاً للعلماء والصلحاء .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٧٣٠) بدون إسناد .

وفي المئة الرابعة : كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله ، وناهيك بما فعل .

وفي المئة الخامسة : أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس .

وفي المئة السادسة : كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وكان ابتداء أمر التتار .

وفي المئة السابعة : كانت فتنة التتار العظمى التي أسالت من دماء أهل الإسلام بحاراً .

وفي المئة الثامنة : كانت فتنة تمرلنك التي استُصغرت بالنسبة إليها فتنة التتار علىٰ عظمها .

وأسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المئة التّاسعة

بجاه نبيّه محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم وآله وصحبه أجمعين

آمين

خاتمة النسخة (أ)

[بيان فتنة المئة التاسعة]

هٰذا آخر ما وجدت بخط المصنف الشيخ جلال الدين الأسيوطي رحمه الله تعالىٰ ، ووجدت آخر نسخة المصنف :

قال الفقير جرامرد الناصري الحنفي تلميذ المؤلف رحمه الله تعالىٰ : (لا شك ولا ارتياب أن فتنة المئة التاسعة : هي فتنة ابن عثمان سليم شاه وحروبه مع إخوته ، وقتله إياهم وأولادهم شر قتلة ، ولم يُبق منهم أحداً لا كبيراً ولا صغيراً ، ثم حروبه صاحب الشرق وكسره إياه شر كسرة ، ثم قتله علي دولات وأخذه بلاده ، ثم اجتماعه بعسكر مصر وسلطانهم علىٰ مرج دابغ ، وقتله سلطانها وأكابر أمرائها ونوابها ، ثم توجهه إلىٰ مصر ودخوله إليها في أسرع حال وأقصر زمان من غير توان ولا مهلة ، وفعله فيها مع أهلها ما فعل .

وأظن أني لو حلفت بالله . . لم أحنث أن فتنة التتار وتمرلنك استصغرتا بالنسبة إليها ؛ فإن التتار وتمرلنك ما دخلاها وانكسرا من الشام ورُدّا خائبين ، ولا رأينا في التواريخ ولا سمعنا أن مصر من حين صارت دار الإسلام لم تصب بمثل هٰذه المصيبة ، فسبحان الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعطي ملكه من يشاء ، وهو الواحد القهار .

ولا شك ولا ارتياب أيضاً أن الله تعالىٰ قبل دعاء الشيخ رحمه الله تعالىٰ ؛ حيث قبضه إلىٰ رحمته سبحانه وتعالىٰ قبل وقوع هٰذه الفتنة ، فسبحان مجيب الدعوات !!

وأنا أسأل الله تعالىٰ كما استجاب دعاء الشيخ أن يستجيب دعوتي ، وأن يعقب أهل مصر وسائر بلاد الإسلام خيراً ، ويتوفني ومحبيّ على الإيمان ، ويثبت قلوبنا عليه ، ويدخلنا في زمرة أحبابه وأوليائه ، ويدخلنا في شفاعة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

وأن ينصر سلطاننا علىٰ سائر المخالفين من أهل البدع والزيغ ومخالفي

الإسلام ، وأن يلهمه العدل والإنصاف في رعيته ، ويحببه إلى الرعية ويحبب الرعية إليه .

اللَّهم ؛ وفقه لصراطك المستقيم ، والعمل بوظائف دينك القديم ، اللَّهم ؛ وفقه لصراطك المستقيم ، والشفقة على الرعية والرفق بهم ، والاعتناء بمصالحهم ، وأصلح اللَّهم سائر ولاة المسلمين ، آمين .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً بدوامه باقياً ببقائه) هـٰذا ما وجد بخط الشيخ جرامرد .

وكتبه الفقير الحقير ، المعترف بالذنب والتقصير : أحمد بن محمد بن يوسف الجوجري ، غفر الله لهما .

بتاريخ : يوم السبت المبارك ، تاسع عشر ذي الحجة ، ختام سنة ستة وتسعين وتسع مئة .

خاتمة النسخة (ب)

قال الفقير جرامرد الناصري الحنفي تلميذ المؤلف رحمه الله تعالىٰ : (لا أشك ولا أرتاب أن فتنة المئة التاسعة : هي فتنة ابن عثمان سليم شاه وحروبه مع إخوته ، وقتله إياهم وأولادهم شر قتلة ، ولم يُبق منهم أحداً لا كبيراً ولا صغيراً ، ثم حروبه صاحبَ الشرق وكسره إياه شر كسرة ، ثم قتله علي دولات وأخذه بلاده ، ثم اجتماعه بعسكر مصر وسلطانها علىٰ مرج دابغ ، وقتله سلطانها وأكابر أمرائها ونوابها ، ثم توجهه إلىٰ مصر ودخوله إليها في أسرع حال وأقصر زمان من غير توان ولا مهلة ، وفعله فيها مع أهلها ما فعل .

وأظن أني لو حلفت بالله . . لم أحنث أن فتنة التتار وتمرلنك استُصغرتا بالنسبة إليها ؛ فإن التتار وتمرلنك ما دخلاها ، وانكسر أمير التتار وردوا خائبين ، ولا رأينا في التواريخ ولا سمعنا أن مصر من حين صارت دار إسلام لم تصب بمثل هـٰذه المصيبة ، فسبحان الذي يعز من شاء ويذل من شاء ، ويعطي ملكه من شاء ، وهو الواحد القهار .

ولا أشك ولا أرتاب أيضاً أن الله سبحانه وتعالىٰ قَبِل دعاء الشيخ رحمه الله ؛ حيث قبضه إلىٰ رحمته قبل وقوع هـٰذه الفتنة ، فسبحان مجيب الدعوات ! !

وأنا أسأل الله تعالىٰ كما استجاب دعاء الشيخ أن يستجيب دعوتي ، وأن يعقب أهل مصر وسائر بلاد الإسلام خيراً ويتوفني ومحبيّ على الإيمان ، ويثبت قلوبنا عليه ويدخلنا في زمرة أوليائه وأحبائه ، ويدخلنا في شفاعة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

وأن ينصر سلطاننا علىٰ سائر المخالفين من أهل البدع والزيغ ومخالفي الإسلام، وأن يلهمه العدل والإنصاف في رعيته ، ويحببه إلى الرعية ويحبب الرعية فيه .

اللَّهم ؛ وفقه لصراطك المستقيم ، والعمل بوظائف دينك القويم ، ووفقه اللَّهم للشفقة على الرعية ، والرفق بهم ، والاعتناء بمصالحهم ، وأصلح اللَّهم سائر ولاة المسلمين ، آمين .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلىٰ آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلىٰ أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى التابعين ، وتابع التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين) .

انتهت كتابة هـٰذه النسخة المباركة الميمونة : ضحىٰ يوم الثلاثاء ، سادس شهر رمضان المعظم ، أحد شهور عام سبع وثمانين وتسع مئة .

أحسن الله عاقبتها ، بطيبة الطيبة ، على الحالِّ بها أفضل الصلاة والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

خاتمة النّسخة (ج)

وكان الفراغ من كتابة هـٰذه النسخة المباركة : يوم الأحد ، رابع عشر من ذي القعدة الحرام بمكة المشرفة زادها الله فضلاً وشرفاً ، سنة (٩٨٥هـ) علىٰ يد العبد الفقير ، المحتاج إلىٰ عفو ربه الغني : عبد الكريم بن علي السَّمهودي الحسني ، غفر الله له ، ولوالديه ولمن دعا له ، ولمن قرأ وطالع فيها وللمسلمين ، آمين ، آمين ، آمين ، آمين .

خاتمة النسخة (هـ)

وكان الفراغ من نسخ هٰذا الكتاب المبارك كتابة : في يوم الأربعاء المبارك ، ثاني عشر شهر ربيع الآخر ، سنة (٨٩٥هـ) أحسن الله عاقبتها ، وصلواته علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه بيده الفانية فقير رحمة ربه (. . .)[1] له ولوالديه ولجميع المسلمين ، آمين ، آمين ، آمين .

خاتمة النسخة (و)

وكان الفراغ من كتابة هٰذا التاريخ المبارك : في يوم الأربعاء ، العشرون من ربيع الأول ، من شهور سنة خمس وستين وتسع مئة .

أحسن الله باقيه ، وغفر لكاتبه ، وللناظر فيه ، ولوالديهم ولجميع المسلمين آمين .

وكتبه : عوض أفندي .

خاتمة النسخة (ط)

تاريخ الطبع لمصححه ومحشيه الأحقر : غلام رسول عادل جرهي ، سنة (١٣٠٤هـ) ؛ سنة (١٨٨٧م) .

أحمـــدُ اللهَ حـــقَّ مـــا أعطـــىٰ ... مـــن عطيـــاتـــه الكـــرام لنـــا

واختتـــامُ الكتـــاب جـــائـــزة ... منـــه فـــي حقنـــا فيـــا بشـــرىٰ

تـــم هٰـــذا الكتـــاب بـــالخيـــر ... بـــارك الله فيـــه للطلبـــاء

فـــالسيـــوطـــي حـــوىٰ بتفصيـــل ... مـــا جـــرىٰ مـــن وقـــائـــع الكبـــراء

وإذا مـــنـــا رأيتـــه مـــلآن ... بـــالتـــواريـــخ جـــامعـــاً أدبـــا

طـــار قلبـــي إليـــه مشغـــوفـــاً ... فتجـــاســـرتُ فيـــه تصحيحـــا

---

(١) بياض في المخطوط .

ثـــم زيّنتُـــه بحـــلٍّ لغـــات   رافعـــاً ستـــره لمـــن نظمـــا
نفـــع الله نـــاظـــريـــه بـــه   ولمـــن بـــاع واشتـــرىٰ وتـــلا

بعد إتمامه لعام الطبع قلت : أتلو سوانح الخلفا (١٣٠٤هـ) .

وجاء بالهامش باللغة الأوردية ما ترجمته : فقد طبع الكتاب في مطبعة محمدي ، بمدينة لاهور ، بأمر تاجر : فقير الله ، وعبد العزيز ، وعبد القادر بن أحمد الجامي ، رزقهم الله إيماناً كاملاً .

يمكـن الحصـول علـىٰ هـٰذا الكتـاب مـن المحـل التجـاري لفقيـر الله ، وعبد القادر ، وعبد العزيز .

خاتمة العناية بهذا الكتاب

تمَّ بحمد الله وعونه الفراغ من تحقيق هـٰذا السفر المبارك وتصحيحه ليلة يوم السبت ، الثاني عشر من شهر ربيع الأنور ، عام ثلاثة وثلاثين وأربع مئة وألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الموافق للثالث من شهر شباط (فبراير) ، عام اثني عشر وألفين للميلاد ، في دمشق الشام ، حرسها الله وسائر بلاد المسلمين .

فنسأل الله تعالىٰ أن يتقبله منا ، وأن ينفع به كلّ من قرأه ، أو اطلع عليه والحمد لله ربّ العالمين

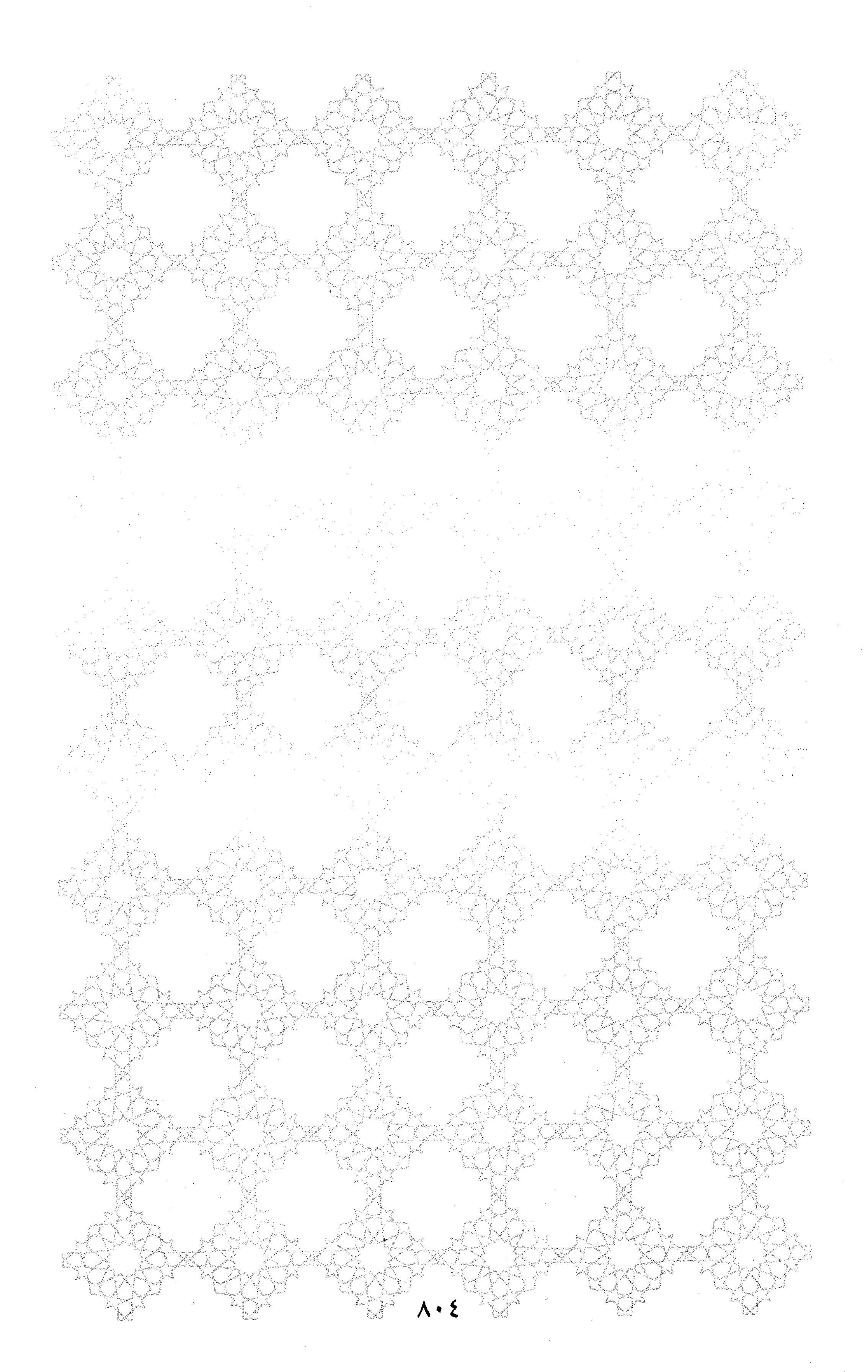
وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

وكتبه
محمّد غسّان نصوح عزقول الحسينيّ
المشرف على أعمال البحوث والنشر
بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي



(*) ارتأى القائمون على المركز العلمي بدار المنهاج أن يزاد هـٰذا الفصل الجديد لكون بعض المخطوطات تحتوي علىٰ فوائد ونفائس وضنائن مكتوبة في طرة المخطوطة وخاتمتها ، وهي من الأهمية بمكان .

ولذا فقد اعتمدنا أن يكتب ما وجد من ذلك في هـٰذا الموضع ، لعموم النفع والانتفاع بذلك . والله الموفق .



[إلحاق كل شيء بشيء]

من فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قال بعض العلماء : (إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه **سأل كعب الأحبار عن العراق وغيره** ، فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ؛ **لمَّا خلق الله تعالى الأشياء . . ألحق كل شيء بشيء** .

قال العقل : أنا ألحق بالعراق ، **وقال العلم** : وأنا معك . **قال المال** : أنا لاحق بالشام ، **قالت الفتن** : وأنا معك .

قال الخصب : وأنا لاحق بمصر ، **قال الذل** : وأنا معك . **قال الفقر** : وأنا لاحق بالحجاز ، **قال القُنْعُ** : وأنا معك .

قال الشقاء : أنا لاحق بالبادية ، **قالت الصحة** : وأنا معك . **قالت السُّمْرَة** : وأنا لاحق باليمن ، **قال رقة الأجساد** : وأنا معك .

قال البخل : أنا لاحق بالمغرب ، **قال سوء الخلق** : وأنا معك)(1) .

[بيتان للسيد خادم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

[من الرجز]

طَـالِـعَ فِيـهِ دَاعِيـاً لِمَـالِكِـهْ ... أَعَــزَّ رَبِّــي قَــدْرَهُ وَجَــانِبَــهْ
أَعْنِـي بِـهِ أَحْمَـدَ خَيْـرَ حَـامِـدٍ ... خَـادِمَ مَسْجِـدِ ٱلنَّبِـيْ وَنَـائِبَـهْ

لأم سلمة رضي الله عنها : [من البسيط]

لَـوْ كَـانَ مُعْتَصِمـاً مِـنْ زَلَّـةٍ أَحَـدٌ ... كَانَتْ لِعَائِشَةَ ٱلرُّتْبَىٰ عَلَى ٱلنَّاسِ
قَـدْ يَنْـزِعُ ٱللهُ مِـنْ قَـوْمٍ عُقُـولَهُـمُ ... حَتَّىٰ يُتِمَّ ٱلَّذِي يَقْضِي عَلَىٰ رَاسِ

---

(1) انظر « مروج الذهب » (٢/ ١٨٣) .

السعادة الكاملة ، والبركة الشاملة ، والرحمة النازلة لمن قال : (لا إلـه إلا الله) لله در قائله .

[الحث على التغرب والسفر]

[من مجزوء الكامل المذيَّل]

حَثْحِثْ رِكَابَكَ فِي ٱلْفَلاَ ... وَدَعِ ٱلْغَوَانِيَ لِلْقُصُورْ
لَوْلاَ ٱلتَّغَرُّبُ مَا ٱرْتَقَتْ ... دُرَرُ ٱلْبُحُورِ عَلَى ٱلنُّحُورْ(١)

دَامَتْ لَكُمُ ٱلنِّعَمُ . . مَا حَصَلَ ٱلْجَوَابُ بِـ(نَعَمْ) .

تدبير الله عظيم ، جل من لا يتغير .

[اعتذار جميل لبثينة]

[من الطويل]

خَلِيلَيَّ إِنْ قَالَتْ بُثَيْنَةُ مَا لَهُ ... أَتَانَا بِلاَ وَعْدٍ فَقُولُوا لَهَا لَهَا
أَتَىٰ وَهْوَ مَشْغُولٌ لِعُظْمِ ٱلَّذِي بِهِ ... وَمَنْ بَاتَ طُولَ ٱللَّيْلِ يَرْعَى ٱلسُّهَىٰ سَهَا
بُثَيْنَةُ تُزْرِي بِٱلْغَزَالَةِ فِي ٱلضُّحَىٰ ... إِذَا بَرَزَتْ لَمْ يَبْقَ يَوْماً بِهَا بَهَا
لَهَا مُقْلَةٌ كَحْلاَءُ نَجْلاَءُ خِلْقَةً ... كَأَنَّ أَبُوهَا ٱلظَّبْيَ أَوْ أُمُّهَا مَهَا
دَهَتْنِي بِوُدٍّ قَاتِلٍ وَهْوَ مُتْلِفِي ... وَكَمْ قَتَلَتْ بِٱلْوُدِّ مَنْ وَدَّهَا دَهَا(٢)

[رسالة الظاهر بيبرس لأبي نمي ورده للصواب]

حكي : أنه وقع لأبي نُمَي سلطان مكة أنه عارض الحاج المصري ونهبه ،

---

(١) البيتان لصرَّ دُر ، وهما في « ديوانه » (ص ٢١٠) بنحوهما .

(٢) الأبيات لجميل بثينة ، وهي في « ديوانه » (ص ٢١٨) ؛ وفيه : (كأن أباها الظبي . . .) .

وقتل منه جماعة ، فأرسل إليه السلطان الظاهر بيبرس مع شخص في هيئة فقير مستخفياً ، فلما وصل إليه . . ناوله الورقة ، فإذا فيها : (من الفقير بيبرس إلى السيد الحسيب النسيب أبي نُمَي :

أما بعد :

فإن السيئة في نفسها سيئة ، وهي من بيت النبوة أسوأ ، والحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن ، وقد بلغني : أنك آويت المجرم ، واستحللت دم المحرم ، ومن يهنِ اللهُ . . فما له من مكرم ، فإن لم تقف عند حدك ، وإلا . . أغمدت فيك سيف جدك) .

فقرأها ثم كتب إليه يقول : (العبد معترف بذنبه ، تائب إلىٰ ربه ، فإن تؤاخذ . . فبيدك الأقوىٰ ، وأن تعفو فهو أقرب للتقوىٰ) ، فردَّ جميع ما أخذه .

[الخلافة والخليفة]

[من المتقارب]

أَتَتْـــهُ ٱلْخِـــلاَفَـــةُ مُنْقَـــادَةً ... إِلَيْـــهِ تُجَـــرِّرُ أَذْيَـــالَهَـــا

فَلَـــمْ تَـــكُ تَصْلُـــحُ إِلاَّ لَـــهُ ... وَلَـــمْ يَـــكُ يَصْلُـــحُ إِلاَّ لَهَـــا

وَلَـــوْ رَامَهَـــا أَحَـــدٌ غَيْـــرُهُ ... لَـــزُلْـــزِلَـــتِ ٱلأَرْضُ زِلْـــزَالَهَـــا

وَلَـــوْ لَـــمْ تُطِعْـــهُ بَنَـــاتُ القلـــوب ... لَمَـــا قَبِـــلَ ٱللهُ أَعْمَـــالَهَـــا[1]

[خيبة والدٍ في ولده]

[من مجزوء الرجز]

كَـــمْ حَسْـــرَةٍ لِـــي فِـــي ٱلْحَشَـــا ... مِـــنْ وَلَـــدٍ إِذَا نَشَـــا

أَمَّلْـــتُ فِيـــهِ رُشْـــدَهُ ... فَمَـــا نَشَـــا كَمَـــا نَشَـــا[2]

(١) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٢٢٠) ، وقوله : (بنات القلوب) في (هـ) : (سخا بالنفوس) ، والمثبت من « الديوان » .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٦٣) .

[سلم للقضاء لا للخل]

[من الطويل]

أَرَاكَ تَشُمُّ ٱلْخَلَّ فِي زَمَنِ ٱلْوَبَا   فَدَعْ عَنْكَ أَقْوَالَ ٱلأَطِبَّةِ يَا خِلِّي
إِذَا كَانَ بِٱلطَّاعُونِ رَبُّكَ قَدْ قَضَىٰ   تَمُوتُ بِهِ رَغْماً وَأَنْفُكَ فِي ٱلْخَلِّ (١)

[وقوع الفتن كما وردنا]

[من البسيط]

هَـٰذَا ٱلزَّمَانُ ٱلَّذِي كُنَّا نُحَذَّرُهُ   مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ وَعَنْ قَوْلِ ٱبْنِ مَسْعُودِ
إِنْ دَامَ هَـٰذَا وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ غِيَرٌ   لَمْ يُبْكَ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ لِمَوْلُودِ (٢)

[قضاة مصر الفاسدون]

[دوبيت]

فِي مِصْرَ مِنَ ٱلْقُضَاةِ قَاضٍ وَلَهُ   فِي أَكْلِ مَوَارِيثِ ٱلْيَتَامَىٰ وَلَهُ
إِنْ رُمْتَ عَدَالَةً فَقُمْ مُجْتَهِداً   مَنْ عَدَّ لَهُ دَرَاهِماً عَدَّلَهُ (٣)

[سنة الله في خلقه]

[من مجزوء الكامل]

لاَ تَحْزَنَنَّ وَلاَ تَخَفْ   وَدَعِ ٱلتَّفَكُّرَ وَٱلأَسَفْ
فَٱللهُ عَوَّدَكَ ٱلْجَمِيلَ فَقِسْ عَلَىٰ مَا قَدْ سَلَفْ

---

(١) انظر « ديوان الشاب الظريف » (ص ١٩٤) .
(٢) انظر « المنتحل » للثعالبي (ص ٢٠٢) .
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١/ ٣٨٦) .

[ثق بالله]

[من الخفيف]

إِنَّ رَبّاً كَفَاكَ بِٱلأَمْسِ مَا كَا نَ سَوْفَ يَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ[1]

[صلوا عليه وسلموا تسليماً]

[من الكامل]

يَا قَائِمِينَ إِلَى ٱلصَّلاَةِ بِطَيْبَةٍ نِلْتُمْ مَقَاماً بِٱلنَّبِيِّ عَظِيمَا
وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي ٱلتَّشَهُّدِ حَوْلَهُ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

[المُفْتون من الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

ذكر المقريزي في « تاريخه » :

(كان يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم) .

[النسيم رسولي]

فتح الدين بن عبد الظاهر :

[من الكامل]

إِنْ شِئْتَ تَنْظُرُنِي وَتَنْظُرُ حَالَتِي فَٱنْظُرْ إِذَا هَبَّ ٱلنَّسِيمُ قَبُولاَ
فَتَرَاهُ مِثْلِي رِقَّةً وَلَطَافَةً وَلأَجْلِ قَلْبِكَ لاَ أَقُولُ عَلِيلاَ
فَهُوَ ٱلرَّسُولُ إِلَيْكَ مِنِّي لَيْتَنِي كُنْتُ ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاَ[2]

---

(١) البيت للإمام الشافعي ، وهو في « ديوانه » (ص ١٣٢) .

(٢) الأبيات لابن النقيب عبد الرحمٰن بن محمد ، وهي في « ديوانه » (ص ٣٠٥) .

[اللطم على ملك تسوسه النساء]

[من مجزوء الخفيف]

إِنَّ مُلْكـــاً تَسُـــوسُـــهُ أُمُّ مُـــوسَـــىٰ وَفَـــاطِمَـــةْ
لَجَـــدِيـــرٌ بِـــأَنْ تَـــرَىٰ رَبَّـــةَ ٱلْبَيْـــتِ لاَطِمَـــةْ[1]

[بيع يد بيد أو الرهن]

[من البسيط]

أَشْكُو إِلَىٰ ٱللهِ لاَ أَشْكُو إِلَىٰ أَحَدِ أَصْبَحْتُ فِي بَلَدٍ وَ ٱلْحِبُّ فِي بَلَدِ
مَـا بِعْتُكُـمْ مُهْجَتِي إِلاَّ لِطَـوْعِكُـمُ وَلاَ أُسَلِّمُهَـــا إِلاَّ يَـــداً بِيَـــدِ
فَإِنْ رَضِيتُمْ فَيَا عِزِّي وَيَا شَرَفِي وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَكَانَ ٱلرَّهْنُ تَحْتَ يَدِي

[نصيحة]

[من مجزوء الكامل المرفَّل]

اِحْـــذَرْ عَـــدُوَّكَ مَـــرَّةً وَ ٱحْـذَرْ صَـدِيقَـكَ أَلْـفَ مَـرَّةْ
فَلَـــرُبَّمَـــا ٱنْقَلَـــبَ ٱلصَّـــدِيـ ـــقُ فَصَـارَ أَعْلَـمَ بِـٱلْمَضَـرَّةْ[2]

[لا خير في عيش إذا ذهب الحياء]

[من الوافر]

إِذَا لَـمْ تَخْـشَ عَـاقِبَـةَ ٱللَّيَـالِـي وَلَـمْ تَسْتَحْـي فَـٱصْنَـعْ مَـا تَشَـاءُ
فَـلاَ وَ ٱللهِ مَـا فِـي ٱلْعَيْـشِ خَيْـرٌ وَلاَ ٱلـدُّنْيَـا إِذَا ذَهَـبَ ٱلْحَيَـاءُ[3]

---

(١) انظر « تاريخ ابن الوردي » (١/ ٣٥٩) .
(٢) البيتان لمنصور الفقيه ، وهما في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/ ٦٩٦) .
(٣) البيتان لأبي تمام ، وهما في « ديوانه » (٢/ ١٩٧) .

أهمّ مصادر ومراجع التحقيق (١)

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، للإمام الحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠هـ) ، بإشراف ياسر إبراهيم ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الوطن ، السعودية .
- الإتقان في علوم القرآن ، للإمام الحافظ عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفىٰ ديب البغا ، ط٢ ، (١٩٩٣م) ، دار ابن كثير ودار العلوم الإنسانية ، سورية .
- الأحاديث المختارة ، المسمى « المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما » ، للإمام الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الملك عبد الله بن دهيش ، ط٤ ، (٢٠٠١م) ، دار خضر ، لبنان .
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المسمى « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها » ، للإمام الحافظ علي بن بَلْبان بن عبد الله الفارسي ، المعروف بـ ابن بلبان (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط٣ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- أخبار القضاة وتواريخهم ، المسمىٰ « طبقات القضاة » ، للقاضي المؤرخ محمد بن خلف بن حيَّان الضبي ، المعروف بـ وكيع (ت ٣٠٦هـ) ، عني به عبد العزيز مصطفى المَرَاغي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة عن نشرة لدىٰ عالم الكتب ، لبنان .
- الأخبار الموفقيات ، لعالم الأنساب والأخبار الراوية الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، ط١ ، (١٩٧٢م) ، مطبعة العاني ، العراق .
- الأدب المفرد ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٤ ، (١٩٩٧م) ، نسخة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، لبنان .

---

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الأعلام ، الأردن .

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، للعلامة علي بن محمد الشيباني ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، ط١ ، (١٩٧٠م) ، دار الشعب ، مصر .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، وبهامشه « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ، ط١ ، (١٣٥٩هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ أطراف الغرائب والأفراد ، للإمام الحافظ الجوال الرحال محمد بن طاهر المقدسي ، المعروف بـ ابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ) ، تحقيق محمود نصار والسيد يوسف أحمد ، ط١ (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٠٨هـ) ، تحقيق الدكتور نجم الدين خلف ، ط١ ، (١٤١٣هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ الأعلام ، وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، للأديب الكبير خير الدين بن محمود بن محمد الزِّركلي (ت ١٣٩٦هـ) ، ط١٢ ، (١٩٩٧م) ، دار العلم للملايين ، لبنان .

ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمـٰن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، بدون تحقيق ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة عن طبعة القدسي لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ الأغاني ، للعلامة الإخباري الأديب علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق علي مهنا وسمير جابر ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، لبنان .

ـ الإفصاح عن معاني الصحاح شرح الجمع بين الصحيحين للحميدي ، للإمام الفقيه الوزير يحيىٰ بن هبيرة (ت ٥٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ومجموعته ، ط٢ ، (١٩٩٣م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية ، قطر .

ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق الدكتور يحيىٰ إسماعيل ، ط٢ ، (٢٠٠٤م) ، دار الوفاء ، مصر .

ـ الأم ، لإمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار الوفاء ، مصر .

ـ الأمالي ، للإمام المحدث عبد الملك بن محمد بن عبد الله البغدادي ، المعروف بـ ابن بشران (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق عادل العزازي ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار الوطن ، السعودية .

ـ الأمالي المطلقة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

ـ الأمالي ، لإمام اللغة والأدب والشعر إسماعيل بن القاسم بن عيذون ، المعروف بـ أبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) ، عني به محمد عبد الجواد الأصمعي ، ط١ ، (١٩٨٠م) ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان .

ـ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإنسانية ، للأستاذ البحاثة إياد خالد طباع ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، دار القلم ، سورية .

ـ إنباء الغُمْر بأنباء العُمْر ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ، مصر .

ـ أنساب الأشراف ، للعلامة المؤرخ النسابة أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، ط١ ، (١٩٩٦م)، دار الفكر ، لبنان.

ـ الأوائل ، للعلامة الأديب الحسن بن عبد الله بن سهل ، المعروف بـ أبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) ، ط١ ، (١٩٨٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الأوراق ، قسم من سنة ٢٩٥هـ إلىٰ سنة ٣١٥ هـ ، وأخبار الشعراء المحدثين من « كتاب الأوراق » ، للعالم الموسوعي الأديب محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت ٣٣٥هـ) ، تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق .

- البحر الزخار ، المسمىٰ « مسند البزار » ، للإمام الحافظ أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمـٰن زين الله ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار الفكر ، سورية .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية .

- بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط٢ ، (١٩٨١م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، للإمام الكبير الشريف محمد بن محمد الزَّبيدي الحسيني ، المعروف بـ مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من أئمة التحقيق ، ط١ ، (١٣٨٥هـ) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

- تاريخ ابن الوردي وهو ذيل لتاريخ أبي الفداء وخلاصة منه ، للأديب المؤرخ الشاعر عمر بن مظفر بن عمر المعري ، المعروف بـ ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) ، ط٢ ، (١٩٦٩م) ، المطبعة الحيدرية ، العراق .

- تاريخ أصبهان ، المسمىٰ « ذكر أخبار أصبهان » ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ الإسلام ووفَيات المشاهير والأعلام ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق الدكتور عمر بن عبد السلام تدمري ، ط١ ، (١٩٨٧م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- تاريخ الطبري ، المسمىٰ « تاريخ الأمم والملوك » ، للإمام العلامة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، (١٩٦٧م) ، طبعة مصورة بدون ناشر ، لبنان .

- التاريخ الكبير ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، عني به السيد هاشم الندوي ، ط٢ ، (٢٠٠٨م) ، دار الفكر ، لبنان .

- تاريخ بغداد ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الفكر ، لبنان .

- تاريخ خليفة بن خياط ، للمحدث الأخباري النسابة خليفة بن خياط بن خليفة العُصفُري (ت ٢٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، (١٣٩٧هـ) ، دار القلم ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بـ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العَمْروي ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، لبنان .

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ومعه « النكت الظِّراف على الأطراف » لابن حجر العسقلاني ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمـٰن المِزي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، المكتب الإسلامي والدار القيمة ، لبنان والهند .

- تذكرة الحفاظ ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تصحيح عبد الرحمـٰن بن يحيى المعلمي ، ط١ ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند سنة (١٣٣٣ـ ١٣٣٤هـ) لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، عني به محمد سالم هاشم ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ التعازي والمراثي ، للإمام البليغ محمد بن يزيد ، المعروف بـ المبرِّد (ت ٢٨٦هـ) ، تحقيق محمد الديباجي ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ تعظيم قدر الصلاة ، للإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي (ت ٨٩٤هـ) ، تحقيق أحمد أبو المجد ، ط١ ، (٢٠٠٣م) ، دار العقيدة ، مصر .

ـ التعقبات على الموضوعات ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، (١٣٠٣هـ) ، المكتبة الأثرية ، باكستان .

ـ تفسير ابن أبي حاتم ، للإمام الحافظ الكبير عبد الرحمـٰن بن محمد بن إدريس الرازي ، المعروف بـ ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ، مكتبة نزار الباز ، السعودية .

ـ تفسير البغوي ، المسمىٰ « معالم التنزيل » ، للإمام الحافظ الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، دار طيبة ، السعودية .

ـ تفسير الطبري ، المسمىٰ « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، للإمام العلامة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط١ ، (١٩٦٩م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ التفسير الكبير ، المسمى « البحر المحيط » ، للإمام النحوي محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، المعروف بـ أبي حيان (ت ٧٤٥هـ) ، وبهامشه « تفسير النهر الماد من البحر » للمؤلف و« الدر اللقيط من البحر المحيط » لابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) ، ط٢ ، (١٩٩٠م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ تكملة تاريخ الطبري ، للإمام الجليل محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمذاني ، المعروف بـ المقدسي (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق ألبرت يوسف كنعان ، ط١ ، (١٩٥٨م) ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان .

ـ الرد على الجهمية ، للإمام الحافظ الحجة عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) ، تحقيق بدر البدر ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، الدار السلفية ، الكويت .

ـ التكملة لوفيات النقلة ، للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط٢ ، (١٩٨١م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك ، دار الفيحاء ودار المنهل ، سورية .

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمـٰن المِزِّي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط١ ، (١٩٨٠م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ توضيح المشتبه ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله ، المعروف بـ ابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ) ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط٢ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ويليه التذييل المرغوب من ثمار القلوب ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار البشائر ، سورية .

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للإمام الحافظ اللغوي المبارك بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط١ ، (١٩٦٩م) ، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، سورية .

ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ط١ ، (١٩٩١م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الجمع بين الصحيحين ، للإمام المحدث محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، ط٢ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ، لعالم الأنساب والأخبار الراوية الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) ، بعناية حمد الجاسر ، ط١ ، بدون تاريخ ، مجلة العرب ، السعودية .

ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، دار الفكر العربي ، مصر .

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، ط٥ ، (١٩٨٧م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، مصر ولبنان .

ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) ، للعلامة المؤرخ الأديب محمد بن محمد بن حامد ، المعروف بـ عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، ط١ ، (١٩٥٥م) ، وزارة الإعلام العراقية ، العراق .

ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ، للعالم الأديب أبي بكر بن علي بن عبد الله بن حِجَّة الحَمَوي (ت ٨٣٧هـ) ، تحقيق الدكتورة كوكب دياب ، ط٢ ، (٢٠٠٥م)، دار صادر ، لبنان .

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعلامة الأدب والتاريخ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، (١٩٧٩م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

ـ الخصائص الكبرى ، المسمىٰ « كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم » ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، عني به هاشم وأحمد الله ومحمد طه الندوي ، ط١ ، (١٣٤٩هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن ، الهند .

ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعه جي ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار مصر .

ـ دلائل النبوة ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، عني به عبد البر عباس ومحمد رواس قلعه جي ، ط١ ، (١٩٧٠م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- ديوان ابن الجهم ، للشاعر الأديب علي بن الجَهْم بن بدر السامي (ت ٢٤٩هـ) ، تحقيق خليل مردم بك ، ط٣ ، (١٩٩٦م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان ابن الرومي ، للشاعر الكبير علي بن العباس بن جريج ، المعروف بـ ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، ط٣ ، (٢٠٠٣م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، مصر .
- ديوان ابن الشيص الخزاعي وأخباره ، للشاعر المطبوع محمد بن علي بن عبد الله ، المعروف بـ أبي الشيص (ت ١٩٦هـ) ، صنعة عبد الله الجبوري ، ط١ ، (١٩٨٤م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- ديوان ابن المعتز ، للشاعر الخليفة عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي ، المعروف بـ ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، تحقيق وشرح مجيد طراد ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- ديوان ابن النقيب ، لأديب دمشق وشاعرها عبد الرحمـٰن بن محمد بن محمد بن محمد الحراني الحسيني ، المعروف بـ ابن النقيب (ت ١٠٨١هـ) ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط١ ، (١٩٦٣م) ، المجمع العلمي العربي ، سورية .
- ديوان ابن عنين ، للشاعر الكاتب الظريف محمد بن نصر بن الحسين الزرعي الحوراني ، المعروف بـ ابن عنين (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق خليل مردم بك ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان ابن وهيب ، جمعه المستشرق غوستاف فون غرونباوم ، ترجمه محمد يوسف نجم ، ط١ ، (ت ١٩٥٩م) ، دار مكتبة الحياة ، لبنان .
- ديوان أبي الأسود الدؤلي برواية أبي سعيد الحسن السكري ، للتابعي الجليل واضع علم النحو ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني ، المعروف بـ أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار ومكتبة الهلال ، لبنان .
- ديوان أبي العتاهية ، للشاعر المكثر إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد ، المعروف بـ أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) ، بعناية كرم البستاني ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان أبي تمام ، لأمير البيان الشاعر حبيب بن أوس الطائي ، المعروف بـ أبي تمام (ت٢٣١هـ)، عني به الدكتور محيي الدين صبحي، ط١، (١٩٩٧م)، دار صادر، لبنان .

- ديوان أبي دلامة الأسدي ، للشاعر المجيد زند بن الجون الأسدي ، المعروف بـ **أبي دلامة** (ت ١٦١ هـ) ، جمع الدكتور رشدي علي حسن ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، مؤسسة الرسالة ودار عمار .

- ديوان أبي نُوَاس ، **لشاعر العراق في عصره** الحسن بن هانيء بن عبد الأول ، المعروف بـ **أبي نُوَاس** (ت ١٩٨ هـ وقيل غير ذلك) ، تحقيق وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي ، ط١ ، (١٩٥٣م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان الأحوص الأنصاري ، **لشاعر الهجاء** عبد الله بن محمد بن عبد الله الضبيعي ، المعروف بـ **الأحوص** (ت ١٠٥هـ) ، قدم له الدكتور سعدي ضنّاوي ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الأخطل ، **للشاعر النصراني** غياث بن غوث بن الصلت بن طارق التغلبي شاعر بني أمية (ت ٩٢هـ) ، تحقيق كارين صادر ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان البحتري ، **للشاعر الكبير** الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري (ت ٢٨٤هـ) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ط٢ ، (١٩٧٢م) ، دار المعارف ، مصر .

- ديوان الثعالبي ، **لإمام اللغة والأدب** عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، المعروف بـ **أبي منصور الثعالبي** (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق الدكتور محمود عبد الله الجادر ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق .

- ديوان الشاب الظريف ، **للشاعر المترقق** محمد بن سليمان بن علي التلمساني ، المعروف بـ **الشاب الظريف** (ت ٦٨٨هـ) ، تحقيق شاكر هادي شَكَر ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، عالم الكتب ، لبنان .

- ديوان الشافعي وحكمه وكلماته السائرة ، **لإمام الدنيا** محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، جمع وضبط يوسف علي بديوي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة دار الفجر ، سورية .

- ديوان الشريف الرضي ، **لشاعر الطالبيين العلامة النقيب** محمد بن الحسين بن موسى الحسيني ، المعروف بـ **الشريف الرضي** (ت ٤٠٦هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، **للشاعر المخضرم الشماخ** بن ضرار بن حرملة الذبياني (ت ٢٢هـ) ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، ط١ ، (١٩٧٧م) ، دار المعارف ، السعودية .

- ديوان النابغة الجعدي ، **للشاعر المفلق الصحابي** قيس بن عبد الله بن عُدَس رضي الله عنه ، المعروف بـ **النابغة** (ت نحو ٥٠هـ) ، جمعه الدكتور واضح الصمد ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الوزير الزيات ، **لإمام اللغة والأدب البليغ** محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بـ**ابن الزيات** (ت ٢٣٣هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور جميل سعيد ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية .

- ديوان الوليد بن يزيد ، **للشاعر الخليفة الوليد** بن **يزيد** بن عبد الملك الأموي (ت ١٢٦هـ) ، جمعه وحققه الدكتور واضح الصمد ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان أمية بن أبي الصلت ، **للشاعر الجاهلي الحكيم أمية** بن عبد الله **أبي الصلت** بن أبي ربيعة الثقفي (ت ٥هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط٣ ، (١٩٧٧م) ، نشره محققه ، سورية .

- ديوان بشار بن برد ، **للشاعر المولد الخطيب بشار بن برد** بن بهمن الفارسي (ت ١٦٧هـ) ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، بدون تاريخ .

- ديوان جرير ، **لشاعر عصره الهجَّاء** جرير بن عطية الخَطَفي (ت ١١٠هـ) ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان جميل ، شاعر الحب العذري ، **للشاعر العاشق** جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، المعروف بـ **جميل بثينة** (ت ٨٢هـ) ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، ط١ ، (١٩٧٩م) ، مكتبة مصر ، مصر .

- ديوان حاتم الطائي ، **للشاعر الجاهلي الفارس الجواد حاتم** بن عبد الله بن سعد بن الحشرج **الطائي** (ت ٤٦ ق هـ) ، صنعة يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام الكلبي ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- ديوان حسان بن ثابت ، للصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه (ت ٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط١ ، (١٩٧٤م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان سبط ابن التعاويذي ، لشاعر العراق محمد بن عبيد الله ، المعروف بـ سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٣هـ) ، عني به د . س . مرجليوث ، ط١ ، (١٩٠٣م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة المقتطف بمصر لدىٰ دار صادر ، لبنان .

- ديوان صالح بن عبد القدوس ، للشاعر المتكلم الحكيم صالح بن عبد القدوس البصري (ت نحو ١٦٧هـ) ، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب ، ط١ ، (١٩٦٨م) ، دار منشورات البصري ، العراق .

- ديوان صَرَّ دُرّ، للشاعر المُجِيد الرئيس علي بن الحسن ، المعروف بـ صَرَّ دُرّ (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق أحمد نسيم ، ط١ ، (١٩٣٤م) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر .

- ديوان عبيد بن الأبرص ، للشاعر الجاهلي الداهية عَبيد بن الأبرص الأسدي (ت نحو ٢٥ ق هـ) ، تحقيق الدكتور محمد علي دقة ، ط١ ، (٢٠٠٣م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان عدي بن زيد ، للشاعر الجاهلي الداهية عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي (ت نحو ٣٥ق هـ) ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، ط١ ، (١٩٦٥م) ، وزارة الثقافة والإرشاد ، العراق .

- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، للشاعر الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه (ت نحو ٥٠هـ) ، تحقيق مجيد طراد ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان لبيد بن ربيعة بشرح الطوسي ، للشاعر الفارس الصحابي لبيد بن ربيعة بن مالك رضي الله عنه (ت ٤١هـ) ، تحقيق الدكتور حنا نصر الحتي ، ط٢ ، (١٩٩٦م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان مروان بن أبي حفصة ، للشاعر المخضرم مروان سليمان الأعجمي ، المعروف بـ ابن أبي حفصة (ت ١٨١هـ) ، عني به أشرف أحمد عدرة ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان وضاح اليمن ، لشاعر الغزل الرقيق عبد الرحمـٰن بن إسماعيل بن عبد كلال الخولاني (ت ٩٥هـ) ، وبذيله كتاب مأساة الشاعر وضاح لمحمد بهجة الأثري وأحمد حسن الزيات ، جمعه الدكتور محمد خير البقاعي ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان يزيد بن معاوية ، للشاعر الخليفة يزيد بن الصحابي كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ٦٤هـ) ، تحقيق الدكتور واضح الصمد ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .
- الذرية الطاهرة ، للإمام الحافظ الوراق محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم الدولابي (ت ٣١٠هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، لبنان .
- ذيل الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن إسماعيل المقدسي ، المعروف بـ أبي شامة (ت ٦٦٥هـ) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- ذيل مرآة الزمان ، للعلامة المؤرخ موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ) ، عني به وزارة التحقيقات الحكمية الهندية ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة عن نشرة وزارة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن لدىٰ دار الكتاب الإسلامي ، مصر .
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، للإمام البارع شيخ العرب والعجم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الذخائر ، إيران .
- الروض الأُنُف في شرح سيرة ابن هشام ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ) ، بعناية عمر عبد السلام السلامي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن إسماعيل المقدسي ، المعروف بـ أبي شامة (ت ٦٦٥هـ) ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، السعودية .
- زاد المسير في علم التفسير ، للإمام الحافظ المؤرخ عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد البغدادي ، المعروف بـ ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، ط٣ ، (١٩٨٤م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- الزهد الكبير ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط٣ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- الزهد والرقائق برواية المروزي ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن المبارك بن واضح **المروزي** (ت ١٨١هـ) ، ويليه زيادات رواية نُعيم بن حمّاد عليه ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الزهد ، **للإمام الحافظ** أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، **للعلامة البارع** عبد الملك بن حسين **العصامي** (ت ١١١١هـ) ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- السنة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن عمرو ، المعروف بـ **ابن أبي عاصم** (ت ٢٨٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، **للإمام الحافظ** محمد بن يزيد القزويني ، المعروف بـ ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- سنن أبي داوود ، **للإمام الحافظ أبي داوود** سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، وبهامشه « معالم السنن » للخطابي ، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- سنن الترمذي ، المسمى « الجامع الصحيح » ، **للإمام الحافظ** محمد بن عيسى بن سورة **الترمذي** (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، ط١ ، (١٩٣٨م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، **للإمام الحافظ الحجة** علي بن عمر بن أحمد بن مهدي **الدارقطني** (ت ٣٨٥هـ) ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني ، عني به عبد الله هاشم يماني ، ط١ ، (١٩٦٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- السنن الكبرىٰ ، **للإمام الحافظ** أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ سنن النسائي (المجتبىٰ) ، للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، ومعه « زهر الربىٰ على المجتبىٰ » للسيوطي ، وبذيله « حاشية الإمام السندي » ، ط١ ، (١٣١٢هـ) ، نسخة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي عن طبعة المطبعة الميمنية ، لبنان .

ـ سنن سعيد بن منصور ، للإمام الحافظ سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ) ، تحقيق الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد ، ط٢ ، (٢٠٠٠م) ، دار الصميعي ، السعودية .

ـ سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، إشراف شعيب الأرناؤوط ، ط١١ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ سيرة ابن إسحاق ، المسماة « المبتدأ والمبعث والمغازي » للإمام الراوية المحدث محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ) ، تحقيق محمد حميد الله ، ط١ ، (١٩٧٦م) ، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب ، المغرب .

ـ السيرة الحلبية ، المسمىٰ « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون صلى الله عليه وآله وسلم » ، للإمام المحقق علي بن إبراهيم الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ السيرة الشامية ، المسماة : « سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم » ، للإمام المحدث محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ، مصر .

ـ السيرة النبوية ، للإمام عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار ابن كثير ، سورية .

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للإمام الفقيه عبد الحي بن أحمد ، المعروف بـ ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار ابن كثير ، سورية .

ـ شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، استخرجها وحققها الدكتور إحسان عباس ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، للإمام العلامة هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد سعد الغامدي ، ط٩ ، (٢٠٠٥م) ، دار طيبة ، السعودية .

- شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك ، للإمام المحدث الحجة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ، ط٣ ، (٢٠٠٤م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- شرح ديوان الحماسة ، للإمام الأديب اللغوي يحيى بن علي الشيباني ، المعروف بـ ابن الخطيب التِّبريزي (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١ ، (١٩٣٨م) ، المكتبة التجارية ، مصر .

- شرح ديوان طرفة بن العبد ، للشاعر الجاهلي عمرو بن العبد بن سفيان البكري (ت ٥٦٤م) ، شرح وتحقيق الدكتور سعدي الضناوي ، ط٢ ، (١٩٩٧م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- شرح مذاهب أهل السنة ، للإمام الحافظ عمر بن أحمد عثمان ابن شاهين (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق عادل بن محمد ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

- شرح مشكل الآثار ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- شعر ابن ميادة ، للشاعر الرقيق الهجاء الرماح بن أبرد بن ثوبان السلمي ، المعروف بـ ابن ميادة (ت ١٤٩هـ) ، تحقيق حنا جميل حداد ، ط١ ، (١٩٨٢م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- شعر ابن هرمة القرشي ، لشاعر الغزل إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الكناني (ت ١٧٦هـ) ، تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ، ط١ ، (١٩٦٩م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- شعر دعبل ، لشاعر الهجاء دِعْبِل بن علي بن رزين الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) ، جمع وتحقيق عبد الكريم الأشتر ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، مجمع اللغة العربية ، سورية .

- شعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، للصحابي الفارس الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما (ت ٧٣هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط١ ، (١٩٧٤م) ، دار الحرية ، العراق .

- شعر منصور النمري ، للشاعر منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري (ت ١٩٠هـ) ، تحقيق الطيب العشاش ، ط١ ، (١٩٨١م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- شعراء إسلاميون ، جمعه الدكتور نوري حمودي القيسي ، ط٢ ، (١٩٨٤م) ، عالم الكتب ، لبنان .

- صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا ، للأديب المؤرخ البحَّاثة أحمد بن علي بن أحمد القَلْقَشَندي (ت ٨٢١هـ) ، ط١ ، (١٩٦٣م) ، طبعة مصورة لدى المؤسسة المصرية العامة ، مصر .

- صحيح البخاري ، المسمى « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السلطانية العثمانية) ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

- صحيح مسلم ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة ، للإمام العلامة أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) ، تحقيق عبد الرحمـٰن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب علىٰ حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ومجهول روىٰ ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة ، للإمام الحافظ محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العُقَيلي (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، السعودية .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمـٰن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، عني به محمد جمال القاسمي ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي سنة (١٣١٣هـ) لدىٰ دار الجيل ، لبنان .

- طبقات الشافعية الكبرىٰ ، **للإمام القاضي** عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، المعروف بـ **تاج الدين السبكي** (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، ط١ ، (١٣٩٦هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- طبقات الفقهاء الشافعية ، **للإمام الحافظ** عثمان بن عبد الرحمـٰن الشَّهْرَزوري ، المعروف بـ **ابن الصلاح** (ت ٦٤٣هـ) ، هذبه ورتبه واستدرك عليه الإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، وبيض أصوله ونقَّحه الإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمـٰن المِزِّي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق محيي الدين علي نجيب ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- الطبقات الكبير ، **للإمام الحافظ المؤرخ** محمد بن سعد بن منيع البصري ، المعروف بـ **ابن سعد** (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- العبر في خبر من غَبَر ، **للإمام الحافظ** محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، (١٩٨٤م) ، وزارة الإعلام ، الكويت .

- العظمة ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ، المعروف بـ **أبي الشيخ** (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، دار العاصمة ، السعودية .

- العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، **للإمام الحافظ الحجة** علي بن عمر بن أحمد بن مهدي **الدارقطني** (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمـٰن زين الله ومحمد صالح الدباسي ، ط٣ ، (٢٠٠٣م) ، دار طيبة ودار ابن الجوزي ، السعودية .

- العلل ، **للإمام الحافظ الكبير** عبد الرحمـٰن بن محمد بن إدريس الرازي ، المعروف بـ **ابن أبي حاتم** (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف الدكتور سعد عبد الله الحميد والدكتور خالد عبد الرحمـٰن الجريسي ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، نشره محققه ، السعودية .

- العيال ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق الدكتور نجم عبد الرحمـٰن خلف ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار الوفاء ، مصر .

- غريب الحديث ، **لإمام الأدب واللغة القاضي** عبد الله بن مسلم ، المعروف بـ ابن قتيبة الدِّينَوَري (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط١ ، (١٣٩٧هـ) ، مطبعة العاني ، العراق .

- غريب الحديث ، **للإمام المحدث الفقيه الأديب** القاسم بن سلاَّم الهروي ، المعروف بـ أبي عُبيد (ت ٢٢٤هـ) ، بعناية الدكتور محمد عبد المعيد خان ، ط١ ، (١٩٦٤م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة الغزالي ، سورية .

- فتوح الشام ، **للقاضي المؤرخ** محمد بن عمر **الواقدي** (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمـٰن ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- فتوح مصر والمغرب ، **للمؤرخ المحدث** عبد الرحمـٰن بن عبد الله ، المعروف بـ ابن عبد **الحكم** (ت ٢٥٧هـ) ، تحقيق الدكتور الحجيري ، ط١ ، دار الفكر ، لبنان .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، **للإمام الحافظ** شيرويه بن شهردار **الديلمي** (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- فضائل أبي بكر الصديق ، **للعلامة الأمين** محمد بن علي بن الفتح **الحربي العشاري** (ت ٤٥١هـ) ، تحقيق عمرو عبد المنعم ، ط١ ، دار الصحابة للتراث ، مصر .

- فضائل الصحابة ، **للإمام الحافظ أحمد** بن محمد بن **حنبل** الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ط٤ ، (١٤٣٠هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

- فضائل القرآن وما أُنزل من القرآن بمكة وما أُنزل بالمدينة ، **للإمام الحافظ** محمد بن أيوب بن يحيى بن **الضُّرَيس** (ت ٢٩٥هـ) ، تحقيق الدكتور مسفر بن سعيد دماس الغامدي ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار حافظ ، السعودية .

- فضائل القرآن ، **للإمام الحافظ** إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق أبو إسحاق الحويني ، ط١ ، (١٤١٦هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، مصر .

- فضائل القرآن ، للإمام المحدث الفقيه الأديب القاسم بن سلاَّم الهروي ، المعروف بـ أبي عُبيد (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين ، ط٢ ، (١٩٩٩م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- فوات الوفَيات والذيل عليها ، للعلامة المؤرخ الأديب محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٧٣م) ، دار صادر ، لبنان .

- الفوائد المنتخبة العوالي عن الشيوخ الثقات ، المسمى « الغيلانيات » ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي البزاز (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق حلمي كامل عبد الهادي ، بدون تاريخ ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

- الفوائد ، للإمام الحافظ تمام بن محمد الرازي (ت ٤١٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة الرشد ، السعودية .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للإمام العلامة محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، ط١ ، (١٣٥٧هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- قصر الأمل ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- الكامل في التاريخ ، للإمام المؤرخ علي بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، حققه الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، ط٢ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- الكامل في ضعفاء الرجال ، للإمام الحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ) ، الطبعة الأولىٰ بتحقيق الدكتور سهيل زكار والثالثة يحيىٰ مختار غزاوي ، ط٣ ، (١٩٨٨م) ، دار الفكر ، لبنان .

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للإمام الحافظ علي بن حسام الدين ، المعروف بـ البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) ، عني به بكري حيَّاني وصفوة السقا ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، للعلامة الأديب المؤرخ محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ) ، تحقيق ميخائيل جبور ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان .

ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ لباب النقول في أسباب النزول ، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمـٰن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق أحمد عبد الشافي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ لسان الميزان ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

ـ مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، للأديب المؤرخ البحَّاثة أحمد بن علي بن أحمد القَلْقَشَندي (ت ٨٢١هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، ط٢ ، (١٩٨٥م) ، سلسلة التراث العربي ـ وزارة الإعلام ، الكويت .

ـ المتمنين ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط١ ، (١٩٩٧م)، دار ابن حزم ، لبنان .

ـ مجالس ثعلب ، لإمام الكوفيين العلامة أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، المعروف بـ ثعلب (ت ٢٩١هـ) ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، (٢٠٠٦م) ، دار المعارف ، مصر .

ـ المجالسة وجواهر العلم ، للعلامة الفقيه المحدث أحمد بن مروان بن محمد الدِّينوري (ت ٣٣٣هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

ـ المجروحين من المحدثين ، للإمام الحافظ محمد بن حِبَّان البُسْتي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار الصميعي ، السعودية .

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة المعارف ، لبنان .

ـ المحتضرين ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم ، **للإمام الأديب المشارك** علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني **القفطي** (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق رياض مراد ، ط٢ ، (١٩٨٨م) ، دار ابن كثير ، سورية .

ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، **للإمام الحافظ** محمد بن مُكَرَّم ، المعروف بـ **ابن منظور** (ت ٧١١هـ) ، عني به مجموعة من المحققين ، ط١ ، (١٩٨٤م) ، دار الفكر ، سورية .

ـ مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق صبري بن عبد الخالق ، ط٣ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

ـ مختصر شرح لامية العجم ، **للإمام العلامة الفقيه الأديب** محمد بن موسى بن عيسى **الدميري** (ت ٨٠٨هـ) ، عني به محمد شادي عربش ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ المختصر في أخبار البشر ، المسمىٰ « تاريخ أبي الفداء » ، **للملك المؤيد صاحب حماة المؤرخ الجغرافي** إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد **الأيوبي** (ت ٧٣٢هـ) ، تحقيق محمد زينهم ومحمد عزب ويحيى السيد حسين ومحمد فخري الوصيف ، ط١ ، بدون تاريخ ، دار المعارف ، مصر .

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، **للإمام العلامة المحدث** عبد الله بن أسعد بن علي **اليافعي** (ت ٧٦٨هـ) ، ط١ ، (١٣٣٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن لدىٰ دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، **للمؤرخ البحّاثة** علي بن الحسين بن علي **المسعودي** (ت ٣٤٦هـ) ، تصحيح شارل بلاّ ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) ، انتشارات الشريف الرضي ، إيران .

ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، **للإمام الحافظ القاضي الأديب** أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي ، المعروف بـ **ابن فضل الله العمري** (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة .

ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، للإمام الحافظ القاضي الأديب أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي ، المعروف بـ ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري ، المعروف بـ الحاكم (ت ٤٠٥هـ) ، وبذيله : « تلخيص المستدرك » للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط١ ، (١٣٣٥هـ) ، نسخة مصورة لدىٰ دار المعرفة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند بحيدر آباد الدَّكَّن ، لبنان .

ـ مسند أبي داوود الطيالسي ، للإمام الحافظ سليمان بن داوود بن الجارود ، المعروف بـ أبي داوود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) ، ط١ ، (١٣٢١هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ مسند أبي يعلى الموصلي ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى ، المعروف بـ أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط٢ ، (١٩٨٩م) ، دار المأمون للتراث ودار الثقافة العربية ، سورية .

ـ مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، (١٩٩٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ مسند الدارمي ، المسمىٰ « سنن الدارمي » ، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمـٰن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار المغني ، السعودية .

ـ مسند عبد بن حميد ، للإمام الحافظ عبد بن حميد بن نصر الكَشي (ت ٢٤٩هـ) ، عني به صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصعيدي ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، مكتبة السنة ، مصر .

ـ المسند ، للإمام الحافظ الهيثم بن كليب الشاشي (ت ٣٣٥هـ) ، تحقيق محفوظ الرحمـٰن زين الله ، ط١ ، (١٤١٠هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

ـ المصاحف ، للإمام الحافظ عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ، المعروف بـ ابن أبي داوود (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ ، ط٢ ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

ـ المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عربي وعجمي ، للإمام المؤرخ محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمـٰن الأنصاري ، المعروف بـ ابن حديدة (ت ٧٨٣هـ) ، تحقيق محمد عظيم الدين ، ط٢ ، (١٩٨٥م) ، عالم الكتب ، لبنان .

ـ المصنف ، للإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمـٰن الأعظمي ، ومعه : « الجامع » للإمام معمر الأزدي (ت ١٥٣هـ) ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، لبنان .

ـ المصنف ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوَّامة ، ط٢ ، (٢٠٠٦م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، دار العاصمة ، السعودية .

ـ المعجم (معجم شيوخ) ، للإمام المحدث المؤرخ أحمد بن محمد بن زياد بن بشر البصري ، المعروف بـ ابن الأعرابي (ت ٣٤٠هـ) ، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

ـ معجم الأدباء ، المسمىٰ « إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب » ، للعلامة المؤرخ الأديب ياقوت بن عبد الله الرومي الحَمَوي (ت ٦٢٦هـ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، مؤسسة المعارف ، لبنان .

ـ المعجم الأوسط ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق طارق عوض الله ، دار الحرمين ، مصر .

ـ معجم البلدان ، للعلامة المؤرخ الأديب ياقوت بن عبد الله الرومي الحَمَوي (ت ٦٢٦هـ) ، عني به المستشرق وستنفيلد ، ط٢ ، (١٩٩٥م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ معجم الشعراء ، للعلامة الإخباري الأديب محمد بن عمران بن موسى المَرْزُباني (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق الدكتور فاروق اسْليِّم ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، دار صادر ، لبنان .

- معجم الصحابة ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٧هـ) ، تحقيق محمد الأمين الجنكي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة دار البيان ، الكويت .
- المعجم الصغير ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، ومعه « غنية الألمعي » للعظيم آبادي (ت ١٣٢٩ هـ) ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .
- المعجم الفارسي الكبير (فارسي عربي) ، للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا (ت ١٩٩٨م) ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، مكتبة مدبولي ، مصر .
- المعجم الكبير ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، ومعه « الأحاديث الطوال » ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- معجم المؤلفين ، للأستاذ المؤرخ عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ) ، عني به مكتب تحقيق التراث بالدار ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- معجم شيوخ الإسماعيلي ، للإمام الفقيه الحجة أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني ، المعروف بـ الحافظ الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ) ، ط١ ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .
- معرفة السنن والآثار ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار قتيبة ودار الوعي ودار الوفاء ، سورية ومصر .
- معرفة الصحابة ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار الوطن ، السعودية .
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، للعلامة المؤرخ المشارك محمد بن علي ابن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ) ، تحقيق محمد مصطفى ، ط١ ، (١٩٦٢م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، للعلامة الفقيه المؤرخ محمد بن سالم بن نصر الله ، المعروف بـ ابن واصل (ت ٦٩٧هـ) ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، ط١ ، (١٩٥٣م) ، دار الفكر العربي ، مصر .

- مقاتل الطالبيين ، لإمام الأدب واللغة علي بن الحسين بن محمد الأموي ، المعروف بـ أبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط١ ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

- مقدمة ابن خلدون ، للفيلسوف المؤرخ البحاثة الاجتماعي عبد الرحمٰن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، ط١ ، بدون تاريخ ، المكتبة التجارية ، مصر .

- المقفى الكبير ، لمؤرخ الديار المصرية أحمد بن علي بن عبد القادر ، المعروف بـ تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، تحقيق محمد اليعلاوي ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .

- مكارم الأخلاق ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، ويليه أخلاق العلماء للحافظ الآجري (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- من حديث خيثمة بن سليمان (الفوائد ، فضائل الصحابة ، فضائل أبي بكر الصديق ، الرقائق والحكايات) ، للإمام الحافظ المحدث خيثمة بن سليمان بن حيدرة المري القرشي الأطرابلسي (ت ٣٤٣هـ) ، تحقيق عمر تدمري ، ط١ ، (١٩٨٠م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- المنتحل ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق أحمد أبو علي ، بدون تاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- المنتخب من السياق لتكملة تاريخ نيسابور ، للإمام المحدث الرحال إبراهيم بن محمد الأزهر الصريفيني (ت ٦٤١هـ) ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، ط١ ، (١٩٨٩م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، **للعلامة المؤرخ البحَّاثة** يوسف بن **تغري بردي** (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق الدكتور محمد محمد أمين ورفاقه ، ط١ ، (١٩٨٤م) ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر .

ـ مورد اللطافة ، **للعلامة المؤرخ البحَّاثة** يوسف بن عطاء الله الظاهري ، المعروف بـ **ابن تَغْري بَرْدي** (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق نبيل عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، مصر .

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، **للإمام الحافظ** محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١ ، (١٩٦٣م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، **للعلامة المؤرخ البحَّاثة** يوسف بن عطاء الله الظاهري ، المعروف بـ **ابن تَغْري بَرْدي** (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط١ ، (١٩٦٣م) ، دار الكتب المصرية ، مصر .

ـ نسب قريش ، **للراوية المحدث النسابة** مصعب بن عبد الله بن المصعب **الزبيري** (ت ٢٣٦هـ) ، تحقيق ليفي برفنسال ، ط٤ ، (١٩٥٣م) ، دار المعارف ، مصر .

ـ نظم العقيان في أعيان الأعيان وهو تراجم مشاهير القرن التاسع الهجري ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمـٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، عني به الدكتور فيليب حتي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، **للحافظ المؤرخ الأديب** أحمد بن محمد بن يحيى ، المعروف بـ **المَقَّري** (ت ١٠٤١هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، **للعالم البحاثة** أحمد بن عبد الوهاب بن محمد **النويري** (ت ٧٣٣هـ) ، بعناية مجموعة من الباحثين ، ط١ ، (١٩٢٣م) ، دار الكتب المصرية ، مصر .

ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، **للعلامة الشريف** عبد القادر بن شيخ بن عبد الله **العيدروس** (ت ١٠٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار صادر ، لبنان .

- هواتف الجِنَّان ، للإمام الحافظ الحجة محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري الخرائطي (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار البشائر ، سورية .
- الوافي بالوفَيات ، للعلامة المؤرخ الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، ط١ ، دار التراث العربي ، لبنان .
- وفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، للإمام المؤرخ أحمد بن محمد ابن خَلِّكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٦٨م) ، دار صادر ، لبنان .

محتوى الكتاب